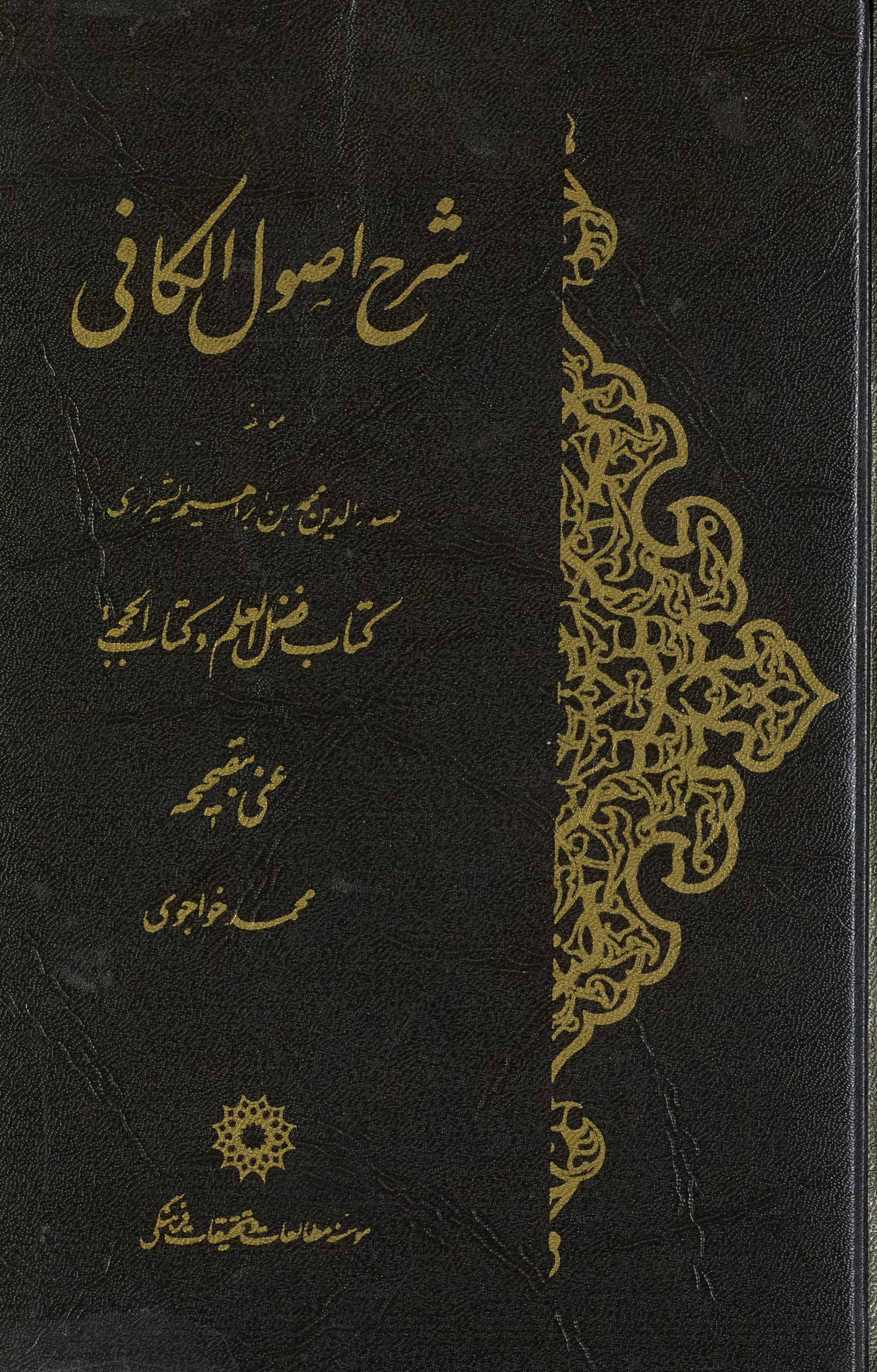

شرح اصول الکافی
صدرالدین محمد بن ابراهیم الشیرازی
کتاب فضل العلم و کتاب الحجة
به تصحیح
محمد خواجوی
مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی


بسم الله الرحمن الرحیم



شرح اصول الکافی

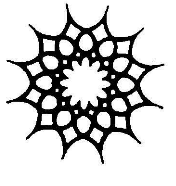
لمؤلفه

صدر الدین محمد بن ابراهیم الشیرازی

کتاب فضل العلم و کتاب الحجة

عنی بتصحیحه

محمد خواجوی



مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی

تهران ۱۳۶۷

مؤسسهٔ مطالعات وتحقیقات فرهنگی

وابسته به

وزارت فرهنگ و آموزش عالی

شرح اصول کافی جلد دوم

شماره ۵۸۵

مصحح : محمد خواجوی

تیراژ : ۲۰۰۰ نسخه

تاریخ انتشار : ۱۳۶۷

ناظر چاپ : ابوالفضل صحتی

نوبت اول : چاپ اول

چاپخانه : خواندنیها

بها : با جلد شمیز ۲۰۰۰ ریال، با جلد کالینگور ۲۴۰۰ ریال

صدرالدین شیرازی، محمد بن ابراهیم، ‍ـ۱۰۵۰ ق.

شرح اصول کافی.

مندرجات : ج ۱. کتاب العقل والجهل ج ۲. کتاب فضل العلم وکتاب الحجة

۱. احادیث شیعه. الف. کلینی، محمد بن یعقوب، ـ ۳۲۹ ق. اصول کافی. شرح. ب. خواجوی، محمد، ۱۳۱۳ـ . ویرایشگر.

ج. عنوان.

۹ خ ۴ ص/۱۲۹/۵۰۸ BP ۲۹۷/۲۱۲

فهرس المطالب

كتاب فضل العلم

تـذكرة

نلفت نظر القراء الكرام الى رموز نسخ التى اعتمدت عليها فى تصحيح كتاب الحجة :

«م» رمز نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ٣٢ و كانت سنة تحريرها ١٢٣٣ هجرية.

«ط» رمز نسخة المطبوعة بالطبعة الحجرية فى سنة ١٢٨٢ هجرية.

و نسخة المتن نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ۴۸۰۶ وكانت سنة تحريرها ١٣٢٠ هجرية.

و لقلة حجم كتاب شرح فضل العلم و كذا شرح كتاب الحجة بالنسبة الى كتابى العقل والتوحيد، جعلناهما فى مجلدة واحدة، والا على الترتيب الاصلى، لابدان يكون كتاب الحجة بعد كتاب التوحيد ، الذى فيه ثلاث و ثلاثون باباً و سبعة عشر و مائتان حديثا

و فى مواضع شتى من كتاب الحجة تعليقات للعارف الـولـوى المولى على النورى قدس الله سره القدوسى وضعناها فى مواضعها ـ ذيل صفحتها ـ فتذكر.

فهرس المطالب

كتاب الحجة

كتاب فضل العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

باب فرض العلم

و وجوب طلبه و الحث عليه

و هو الباب الثاني من كتاب العقل و فيه تسعة احاديث

الحديث الاول

و هو الخامس والثلاثون

«اخبرنا محمدبن يعقوب عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسن بن ابى الحسين الفارسى»، لم اجد هذا الاسم فى كتب الرجال[1]، «عن عبدالرحمن بن زيد» بن اسلم التنوخى المدنى من اصحاب الصادق عليه السلام، «عن ابيه» زيدبن اسلم مولى عمربن الخطاب من اصحاب الصادق عليه السلام، المدنى العدوى «صه» قال الشيخ الطوسى: فيه نظر، «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: طلب العلم

١ــ و فى جامع الرواة: عبدالرحمن بن زيدبن اسلم عن ابيه عن عطاءبن يسار عن ابى جعفر عليه السلام فى باب ان رسول الله صلى الله عليه و اله حرم كل مسكر فى كتاب الاشربة. الحسن بن ابى الحسين الفارسى عن عبدالرحمن بن زيد، فى نسخة و اخرى عبدالله بن زيد عن ابيه عن ابى عبدالله عليه السلام فى باب فرض العلم.

فریضة علی کل مسلم الا ان الله یحب بغاة العلم.

الشرح

بغاة العلم ای طلابه وهی جمع باغ کالهداة جمع هاد، یقال: بغی یبغی بغاء بالضم اذاطلب، وقدیجمع الباغی علی بغیان کما فی الحدیث: انطلقوا بغیانا، ای ناشدین و طالبین کرعیان و رعاة جمع راع. و اما حدیث عمار رضی الله عنه تقتلك الفئة الباغیة فهی فیه بمعنی الظالمة الخارجة عن طاعة الامام، و اصل البغی مجاوزة الحد ومنه قوله تعالی: فلاتبغوا علیهن سبیلا (النساء ـ ۳۴)، ای ان اطعنکم لایبقی لکم علیهن طریق الا ان یکون بغیاً وجوراً.

اعلم ایدك الله ان هذا الحدیث المنقول عن رسول الله صلی الله علیه واله بالاتفاق مشتمل علی مقصدین: الاول فضل العلم وشرفه مطلقا و الثانی تعیین العلم الذی وجب علی کل مسلم اما فضل العلم فشواهده من القران: شهدالله انه لااله الاهو و الملائکة و اولوا العلم (آل عمران ـ ۱۸)، فانظر کیف بدأ بنفسه وثنی بالملائکة و ثلث باهل العلم وناهیك بهذا شرفاً وفضلا وجلالة، و قوله تعالی: یرفع الله الذین امنوا منکم و الذین اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ۱۱).

قال ابن عباس رضی الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنین بسبع مائة درجة، بین الدرجتین مسیرة خمس مائة عام[1].

وقال تعالی: هل یستوی الذین یعلمون و الذین لایعلمون (الزمر ـ۹)، وقال تعالی: انما یخشی الله من عباده العلماء (الفاطر ـ ۲۸) و قال: کفی بالله شهیداً بینی وبینکم و من عنده علم الکتاب (الرعد ـ ۴۳)، وقال تعالی: قال الذین اوتوا العلم: ویلکم ثواب الله خیر (القصص ـ ۸۰) بین ان عظم قدر الاخرة لایعرف الا بالعلم، وقال: وتلك الامثال نضربها للناس وما یعقلها الا العالمون (العنکبوت ـ ۴۳)، بین ان رموز القران و اسراره و اغواره لایعلمها الا اولوا العلم، و لذا قال: ومایعلم تأویله الا الله

۱ـ المراد تصویر الکثرة لا الحصر فی هذه العدة.

و الراسخون فی‌العلم (آل عمران ـ ۷)، علی‌قرائة الوصل[1].

وقال ايضا تعالی: و يری الذين‌اوتوا العلم الذی انزل اليك من ربك‌هو الحق (سبا ـ ۶)، دل بمفهومه علی ان غيرهم لايعلم المنزل علی‌الرسول صلی‌الله عليه واله حقاً.

ومن‌الحديث قوله صلی‌الله عليه واله: يا علی‌نوم العالم افضل من عبادة العابد، يا علی ركعتان يصليهما العالم افضل من‌الف ركعة يصليها العابد، يا علی‌لافقراشد من الجهل‌ولاعبادة مثل‌التفكر، وعن‌الصادق عليه‌السلام: اذا كان يوم‌القيامةجمع‌الله الناس فی‌صعيد واحد ووضعت الموازين، فيوزن دماء الشهداء مع‌مداد العلماء فيرجح مداد العلماء علی دماء الشهداء.

وقال‌صلی‌الله‌عليه واله: العامل علی‌غير بصيرة كالسائر علی‌الطريق لايزيده سرعة السير من‌الطريق‌الابعداً، وقال‌صلی‌الله عليه واله: الانبياء قادة والعلماء سادة ومجالستهم عبادة، وقال: النظر الی وجه العالم عبادة.

و روی فی‌كتاب الاحياء عن رسول‌الله صلی‌الله عليه واله انه قال: اذا كان يوم القيامة يقول‌الله تعالی للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء بفضل‌علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول‌الله تعالی: انتم عندی كبعض ملائكتی اشفعوا تشفعوافيشفعون ثم يدخلون الجنة، وهذا انما يكون للعلماء المعلمين ومن اجل العلم المتعدی[2] لاالعلم اللازم الذی لايتعدی.

وقال صلی‌الله عليه واله: ان الله وملائكته و اهل السموات والارض‌حتی النملة فی‌جحرها والحوت فی‌البحر ليصلون علی معلم‌الناس‌بالخير. وقال‌صلی‌الله عليه‌واله: اذامات ابن ادم انقطع عمله الامن ثلاث: علم ينتفع به‌اوصدقة جارية او ولد صالح يدعوله. وقال صلی‌الله عليه و اله: لاحسد الافی اثنين[3]: رجل اتاه‌الله حكمة فهويقضی

۱ـ حتی يكون مفاده: الا، ای الراسخون فی‌العلم، لا ان الراسخون كلمة مستأنف.

۲ـ انما يكون بالعلم المتعدی بالتعليم «الاحياء».

۳ـ اثنتين ـ «الاحياء».

بها ویعلمها الناس و رجل اتاه‌الله مالا فسلطه علی انفاقه فـی‌الحق فهو ینفق منه سراً و جهراً[1].

وسیجیء احادیث عن‌الائمة علیه‌السلام فی باب صفة العلم وفضله فیها غنیة لهذا المقصد من طرین الخبر، و اما طریق العقل فیه فاعلم:

ان العلم عبارة عن حضور الصورة المجردة عن‌المواد و الاجسام عندالعقل، و لاشك ان اشرف الممکنات و اعلاها و انورها هو الموجود الذی لاتعلق له بـالامور الجسمانیة.

وایضا قد تقرر فی‌علم النفس: ان النفس فی‌اول الفطرة امربالقوة فی‌باب‌العقل والمعقول کالهیولی‌التی لاصورة لها فی‌ذاتها فی‌باب‌الحس والمحسوس، فاذا ادرکت اوائل العلوم والضروریات حصل لها استعداد ادراك النظریات وصارت‌عقلا بالملکة، ثم اذا تکررت منه الافکار و الانظار فصارت باشراق النور العقلی علی ذاتها من‌المبدأ الاعلی عقلا بالفعل وعاقلة ومعقولة فیصیروجودها وجودا اخر عقلیا بعدماکان وجودها وجوداً حسیاً حیوانیاً فتکون احد سکان عالم الجبروت بعدما کانت احد سکان العالم الادنی.

فای فضیلة و کمال اشرف واعلی من فضیلة العلم و کماله الذی یجعل الاموات احیاءِ و الظلمات انواراً؟ اعنی الاموات بالقیاس الی الحیوة العقلیة و اعنی بالظلمات ظلمات الجهل والعمی کما سبق ذکره.

واما المقصد الثانی: وهو تعیین‌العلم‌الذی وقع فی‌قوله صلی‌الله علیه واله طلب العلم‌فریضة علی کل مسلم وکذا فی‌قوله صلی‌الله علیه واله: اطلبوا العلم ولو بالصین.

فاعلم ان الناس اختلفوا فی‌العلم الذی هوفرض عین علی کل مسلم وتحزبـوا فیه احزاباً و افترقوا علی فرق کثیرة ولاحاجة فی‌تفصیل الاقـوال ونقلها جمیعا و حجة کل فریق، ولکن حاصله انکل فریق نزل الوجوب علی‌العلم الذی هوبصدده.

فقال المتکلمون هوعلم الکلام اذبه یدرك التوحید ویعلم به ذات‌الله وصفاته.

۱ـ و رجل اتاه‌الله مالافسلطه علی هلکته فی‌الخیر «الاحیاء».

وقـال الفقهاء رحمهم‌الله تعالـى هوعلم الفقه اذبه يعرف العبادات والحلال و الحرام وكيفية المعاملات وما يحرم منها ويحل.

وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بها يتوصل الى العلوم كلها.

و قال المتصوفة المراد به هـذا العلم، اى التصوف و هـو علم السلوك و علم الشهود، فقال بعضهم هو علم العبد بحاله و مقامه من‌الله و عندالله[1] و قال بعضهم هـو علم الباطن وهوالعلم بالاخلاص و افات النفوس و تميز[2] لمة الملك من لمةالشيطان، و ذلك يجب على اقوام مخصوصين وهم اهل لذلك وقد صرفوا اللفظ عن عمومه.

و قال ابوطالب المكى: هوالعلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهوقوله صلى‌الله عليه واله: بنى‌الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب.

اقول: التحقيق فى‌هذا المقام: ان‌لفظ العلم كلفظ الوجودمن الالفاظ المشككة، و هوالذى له معنى واحد مشترك متفاوت الحصول كمالا ونقصاً شدة وضعفاً و اذا كان كذلك ولاشبهة فى‌انه شىء يستكمل به الانسان ويحتاج اليه فى‌معرفة نفسة ومعرفة ربه و معرفة انبيائه و رسله وحججه و اياته ومعرفة العمل بما يسعده و يقربه الـى‌الله وبما يخلصه من‌الشقاوة والعذاب و البعد عن‌الله تعالى و دار كرامته.

فكلما حصل له شىء من‌العلم وجب عليه مرتبة اخرى فوقه ولاحدله يقف‌عنده اذ مراتب القرب و منازل الوصول غير متناهية، ولهذا قال اعلم‌الخلائق صلى‌الله عليه واله: رب زدنى علماً (طه ـ۱۱۴)، فعلى هذاكان معنى الحديث: ان طلب جنس‌العلم و طبيعته واجب على كل مسلم، سواء كان المسلم جاهلا اوعالماً ناقصا اوكاملا اعنى بالنسبة الى مادونه، و الافلاحد لكمال العلم.

وقريب من هذا المعنى ما ذكره صاحب كتاب الاحياء وليس بذاك و هوقوله:

۱ـ من‌الله عزوجل «الاحياء».

۲ـ تمييز «الاحياء».

ان العلم ينقسم الى علم معاملة و علم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم الاعلم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد وفعل و ترك. فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة النهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادتين[1] وفهم معناهما، و ليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر و الاستدلال و البحث عن تحرير الادلة، بل يكفيه ان يصدق به و يعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، و ذلك قد يحصل بمجرد التقليد و السماع من غير بحث وبرهان.

اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه واله من اجلاف العرب التصديق والاقرار من غير تعليم[2] دليل، فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب وقته، وكان العلم الذى هو فرض عينه فى وقت تكلم الكلمة[3] وفهمهما، بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله تعالى غير عاص، و انما يجب غير ذلك بعارض يعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه، وتلك العوارض اما ان يكون فى الفعل و اما فى الترك و اما فى الاعتقاد.

اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة و ان كان صحيحا و كان بحيث لو صبر الى زوال[4] الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل خرج[5] الوقت لو اشتغل بالتعلم، فلا يبعد ان تقول[6] الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات، فان عاش الى شهر رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم و كيفيته، فان

۱ـ الشهادة «الاحياء».

۲ـ تعلم «الاحياء».

۳ـ فقد ادى واجب الوقت، وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تكلم الكلمتين «الاحياء».

۴ـ الى وقت زوال «الاحياء».

۵ـ يخرج «الاحياء».

۶ـ يقال «الاحياء».

تجدد له مال او كان عنده مال لزمه تعلم مايجب من الزكوة و لكن لافى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام و كذا الكلام فى الحج و الجهاد وغيرهما من الواجبات التى هى فروض الاعيان.

و اما الترك فيجب علم ذلك[١] ايضاً بحسب مايتجدد من الحال و ذلك يختلف باختلاف الشخص، فلا[٢] يجب على الاعمى، تعلم مايحرم من النظر ولاعلى الابكم، تعلم مايحرم من الكلام ولاعلى البدوى، تعلم مايحل الجلوس فيه من المساكن، و ذلك ايضا واجب بحسب مايقتضيه الحال فما[٣] ينفك عنه لايجب تعلمه وهوملابس له يجب تنبيهه فيه[٤]، كما لوكان عندالاسلام لابساً للحرير جالساً[٥] فى مكان الغصب و ناظراً الى غير[٦] محرم فيجب تعريفه ذلك[٧] و كذا ماهو بصدد التعرض له على القرب كالاكل، فيجب تعليمه حتى اذاكان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر و اكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك و تنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.

و اما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمة الشهادة فيجب عليه تعلم مايتوصل به الى ازالة الشك، فان لم يخطر له ذلك و مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم او حادث اوانه مرئى اوغير مرئى اوانه محل الحوادث[٨] اولا الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقدمات على الاسلام اجماعاً، و لكن كلما خطر له خاطر شك اونحوه فى معتقده فيجب عليه تعلمه وطلب العلم بدفعه.

١ــ و اما التروك فيجب تعلم ذلك «احياء».

٢ــ يختلف بحال الشخص، اذلا «الاحياء».

٣ــ فما يعلم انه «الاحياء».

٤ــ عليه «الاحياء».

٥ــ او جالساً «الاحياء».

٦ــ او ناظراً الى غير ذى محرم «الاحياء».

٧ــ بذلك «الاحياء».

٨ــ كلام الله قديم و انه مرئى و انه محل الحوادث «الاحياء».

هذا حاصل ما ذكره وفيه نظر.

اما اولا: فتخصيص ذلك العلم بعلم الاعمال و المعاملات دون غيره من العلوم التى لايتعلق بعمل او كيفية عمل ليس بموجه، لان العلم بوحدانيته تعالى و برائته عن النقائص كلها يجب طلبه و اكتسابه وكذا العلم بكيفية صفاته و افعاله وملائكته و كتبه و رسله وملكه وملكوته وخلقه و امره و احاطته بالأشياء كلها علماً وحفظا و رحمة و وجوداً وكذا العلم باحوال النفس وصفاتها و احوالها ونشآتها وخلقها و بعثها الى الله والنشأة الاخرة و سعادتها وشقاوتها مما يجب تعلمه وطلبه على كثير من الناس، و لايلزم ان يكون العلم الذى يجب تعلمه على كل مسلم علماً واحداً بعينه ولاالواجب على احد بعينه هوالواجب على الاخر.

واماثانيا فنقول: ظاهرالحديث يفيد انوجوب طلب العلم، غير منفك عن المسلم فى وقت من الأوقات كماقيل: من المهد الى اللحد، فان هذا هوالمدلول الحقيقى الموافق للفظ من غير تجوز، اذقوله عليه السلام: طلب العلم فريضة، اى بالفعل يجب ان يكون متلبساً بطلبه، و دل عليه الدليل العقلى الذى ذكرناه فما الباعث على صرف الحديث عن ظاهره كما فعله؟

و اما ثالثا: فان الذى تصوره وصوره يلزم على مقتضاه سقوط هذا الفرض عن اكثر الناس بناءٍ على ماحصل له فى اول بلوغه، سيما اذا لم يختلج بباله شك فى صدق كلمة الشهادة، فيكون باقى عمره فارغاً عن طلب وكسب و ذلك فى غاية البعد.

و اما رابعا: فالذى ظهر من كلامه ان وجوب الاعتقاد بمدلول كلمة الشهادة، انما هو لتوقف صحة العمل و العبادة عليه لاغير ممنوع، بل الحق ان ذلك مع قطع النظر عن توقف الاعمال امر واجب على كل احد، ولامنافاة بين كون الشيء واجباً فى نفسه و واجبا لغيره.

فالاولى ان يحمل معنى الحديث على ماحملنا من ان طلب العلم واجب على كل احد فى كل وقت، فان طبيعة العلم معنى واحد مشكك ليس له حد مخصوص، والانسان ايضا سيما العاقل الزكى دائم الانتقال من نشأة الى نشأة ومن طور الى طور، وكلما بلغ الى

مرتبة كمالية كـان حكمه كحكم الصبى اذا بلغ فيجب عليه مـن التعلم او التفكر مالا يجب قبل ذلك ويكون حكمه في الاعراض عنه اوالتقاعد او الجحود له والانكار حكم ماسبق في ترتب العقاب ولـزوم الشقاوة و العذاب الا ان يتداركـه الله تعالى بلطفه و رحمته اويمحوه ويعفوعنه بتجاوزه.

الحديث الثانى
وهو السادس والثلاثون

«محمدبن يحيى عن محمدبن الحسين» بن ابى الخطاب واسم ابى لخطاب زيد ويكنى محمدبابى جعفر الزيات الهمدانى جليل من اصحابنا عظيم القدر كثير الرواية ثقة عين حسن التصانيف مسكون الى روايته له تصانيف «صه» ويحتمل ان يكون ابن سعيد الصائغ و هو كوفى ينزل فى بنى زمـل[1]، ابوجعفر ضعيف وقيل: انه غـال، احمدبن محمدبن رباح روى عنه بكتبه ومات سنة تسع وستين ومائتين «صه».

«عن محمدبن عبدالله» مشترك بين جماعة ضعفاء.

«عن عيسى بن عبدالله العمرى»، الظاهر انه عيسى بن عبدالله بن محمدبن عمر بن على بن ابى طـالب الهاشمى وله كتاب، و قد جمع ابـوبكر محمدبن سالم الجعالى[2] روايات عيسى عـن ابائه، ويحتمل ان يكـون سعدبن مالك الاشعرى روى عـن ابى عبدالله و ابـى الحسن عليهما السلام و له مسائل للرضـا عليه السلام، قال على بن احمد العقيقى: انه يشبه اباه وكان وجهاً عند ابى عبدالله عليه السلام مختصاً به «صه».

روى الكشى عن حمدويه بن نصير عن محمدبن الحسين بن ابـى الخطاب عن احمدبن عيسى[3] عن يونس بن يعقوب: ان الصادق عليه السلام قبل بين[4] عينيه وقال له:

١ـ بنى ذهل «جش ـ جامع الرواة».
٢ـ الجعابى «جامع الرواة ـ جش».
٣ـ عن احمدبن محمدبن ابـى نصر «كش» وفى «جش» كما فـى المتن ـ اى منافى الدنيا والاخرة.
٤ـ قبل ما بين «كش ـ جامع الرواة».

انت[۱] منا اهل البیت.

قال الکشی: روی محمدبن مسعود قال، حدثنی علی‌بن محمد قال : حدثنی احمدبن محمد عن موسی‌بن طلحة عن ابی‌محمد اخی یونس‌بن یعقوب قال: کنت بالمدینة فاستقبلنی جعفربن محمد علیهما السلام فی‌بعض ازقتها[۲] قال فقال: اذهب یا یونس فان بالباب منا رجل‌اهل البیت، قال: فجئت الی‌الباب فاذأ عیسی‌بن عبدالله القمی[۳] قال: فقلت[۴] من انت؟ فقال: انارجل من اهل قم قال: فلم یکن من[۵] ان اقبل ابوعبدالله قال: فدخل علی‌الحمار الدار[۶] ثم التفت الینا فقال: ادخلا ثم قال یا یونس بن یعقوب: احسبك انکرت قولی لك ان عیسی‌بن عبدالله منا اهل البیت؟ قال: قلت: ای والله جعلت فداك، لان عیسی‌بن عبدالله رجل من اهل قم، فقال یا یونس‌بن‌یعقوب: عیسی‌بن عبدالله هومناحی وهومنامیت[۷].

«عن ابی عبدالله علیه‌السلام قال طلب‌العلم فریضة»

الشرح

قدمضی مافیه‌کفایة لشرحه.

الحدیث الثالث
وهوالسابع و الثلاثون

«علی‌بن ابراهیم عن محمدبن عیسی»بن عبیدبن یقطین مولی بنی‌اسدبن‌خزیمة

۱ـ انك «کش ـ جامع‌الرواة».
۲ـ الزقاق بالضم ـ الطریق والسبیل والسوق ومنه زق‌العطار، والجمع منه ازقة.
۳ـ القمی جالس «جامع‌الرواة ـ کش».
۴ـ فقلت له «جامع‌الرواة».
۵ـ باسرع من‌ان اقبل «جامع‌الرواة».
۶ـ ای خشبة الدار ـ مدخل البیت.
۷ـ مناحیا وهو منامیتاً «جامع‌الرواة».

ابوجعفر العبیدی الیقطینی یونسی[۱]، قال العلامة: اختلف علماؤنا فی شأنه فقال شیخنا الطوسی رحمه‌الله: انه ضعیف، استثناه ابوجعفربن بابویه من رجال نوادر الحکمة و قال: لااروی مایختص به[۲]، وقیل: انه کان علی مذهب[۳] الغلاة.

وقال الکشی: حدثنی علی بن محمد القتیبی کان الفضل بن شاذان رحمه‌الله یحب العبیدی ویثنی علیه ویمدحه ویمیل الیه ویقول: لیس فی اقرانه مثله.

وقال النجاشی: جلیل فی اصحابنا ثقة عین کثیر الروایة حسن التصانیف روی عن ابی جعفر الثانی علیه‌السلام مکاتبة ومشافهة.

و ذکر ابوجعفربن بابویه عن ابن الولید انه قال: ما تفرد به محمدبن عیسی من کتب یونس وحدیثه لایعتمد علیه، قال: و رأیت اصحابنا ینکرون هذا القول ویقولون: من مثل ابی جعفر محمدبن عیسی؟ سکن بغداد وله کتب، قال العلامة: و الاقوی عندی قبول روایته، «عن یونس بن عبدالرحمن» مولی علی بن یقطین ابومحمد کان وجهاً فی اصحابنا متقدماً عظیم المنزلة روی عن ابی الحسن موسی و عن الرضا علیهما السلام، وکان الرضا علیه‌السلام یشیر الیه فی العلم و الفتیاء وکان ممن بذل له علی الوقف مال جلیل فامتنع من اخذه وثبت علی الحق.

وروی الشیخ المفید عن ابی القاسم جعفربن محمدبن قولویه عن علی بن الحسین بن بابویه عن عبدالله بن جعفر الحمیری رحمهم‌الله تعالی قال: قال لنا ابوهاشم داود بن القاسم الجعفری رحمه‌الله عرضت علی ابی محمد صاحب العسکر علیه‌السلام کتاب یوم ولیلة لیونس فقال: تصنیف من هذا؟ قلت تصنیف یونس مولی آل یقطین

۱ــ الیونسیه اصحاب یونس النمیری زعم ان الایمان هو المعرفة بالله والخضوع له و ترک الاستکبار علیه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فیه هذه الخصال فهو مؤمن وماسوی المعرفة من الطاعة لیس من الایمان ــ راجع الملل والنحل. و فی الفرق بین الفرق. هؤلاء اتباع یونس بن عبدالرحمن القمی وکان فی الامامیة علی مذهب القطعیة الذین قطعوا بموت موسی بن جعفر علیه‌السلام.

۲ــ بروایته «جامع الرواة ــ ست».

۳ــ یذهب مذهب «جامع الرواة ــ ست».

فقال: اعطاه الله لكل حرف نوراً يوم القيامة «صه».

و روى الكشى عن على بن محمد القتيبى عن الفضل بن شاذان قال: حدثنى عبدالعزيز بن المهتدى وكان خير قمى رأيته و كان و كيل الرضا عليه السلام و خاصته، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: انى لا القاك فى كل وقت فعن من اخذ معالم دينى؟ قال: خذ عن يونس بن عبدالرحمن.

وقال العلامة: وفى حديث صحيح عن على بن محمد القتيبى عن الفضل بن شاذان عن محمد بن الحسن الواسطى وجعفر بن عيسى ومحمد بن يونس ان الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات.

وقال النجاشى: ومدائح يونس كثيرة ليس هذا موضع بيانها[1] وانما ذكرناهذا حتى لانخليه من بعض حقوقه رحمه الله.

وقال زين المتأخرين طاب ثراه: اورد الكشى فى ذمه نحو عشرة احاديث و حاصل الجواب عنها يرجع الى ضعف سندها وجهالة بعض رجالها[2] والله اعلم بحاله، قال النجاشى: قال محمد بن على بن الحسين: سمعت محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله يقول: كتب يونس بن عبدالرحمن التى هى بالروايات كلها صحيحة معتمد عليها الامايتفرد[3] به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ولم يروه غيره، فانه[4] لايعتمد عليه ولا يفتى به «عن بعض اصحابه قال: سأل ابو الحسن عليه السلام هل يسع الناس ترك المسأله عما يحتاجون اليه؟ فقال: لا».

الشرح

المسالة والسؤال مايسأله الانسان وسألته الشىء وعن الشىء سؤالا ومسألة، قوله:

۱ــ هذا موضعها «جامع الرواة ــ جش».

۲ــ رواتها «جامع الرواة».

۳ــ ينفرد «جامع الرواة».

۴ــ فانا لانعتمد عليه ولانفتى به «جامع الرواة».

عما يحتاجون اليه اى فى امور دينهم كما هو الظاهر، فيجب على المسؤل الجواب عنه اذا كان السؤال فى الواجبات ويستحب اذا كان فى المندوبات.

والسؤال فى كتاب الله تعالى و الحديث نوعان: احدهما ماكان على وجه التبيين و التعليم مما تمس الحاجة اليه وهومباح اومندوب اومأمور به، والاخر ماكان على طريق التكلف والتعنت وهو مكروه ومنهى عنه، وكلماكان من هذا الوجه فان وقع السكوت عن جوابه فانماهو ردع و زجر للسائل و ان وقع الجواب عنه فهو عقوبة و تغليظ.

فقوله عليه السلام: عما يحتاجون اليه، اشارة الى تخصيص السؤال بمايكون من القسم الاول سواء كان الحاجة اليه للشخص بخصوصه اوللامة، فان كان الاول كان الفرض المستفاد عن المنع عن ترك السؤال فرض عين و ان كان الثانى كان الفرض فرض كفاية، فماورد فى بعض الاحاديث من النهى عن كثرة السؤال قيل: هو الذى كان من القسم الثانى، فلايجب الجواب عنه ولايستحب بل ربما يحرم وقيل: هو من سؤال الناس اموالهم، و كذا ماورد عنه صلى الله عليه واله انه كره المسائل و عابها، المراد بها المسائل الدقيقة التى لايحتاج اليها الناس ولايصلح لهم التفتيش والخوض فيها فيحرم الجواب عنها كما فى قوله صلى الله عليه و اله: لاتؤتوا الحكمة غير اهلها. لانه من قبيل تعليق الدر باعناق الخنازير.

الحديث الرابع
وهو الثامن و الثلاثون

«على بن محمد وغيره عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعا عن حسن بن محبوب عن هشام بن سالم»، الجواليقى الجعفى مولى بشر بن مروان ابو الحكم من[1] سبى الجورجان روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ثقة ثقة «صه» قال النجاشى: له كتاب روى عنه ابن ابى عمير، وفى الفهرست:

١ـ كان من «جامع الرواة».

له اصل روی ابن ابی‌عمیر وصفوان‌بن یحیی وعلی‌بن حکم.

قال ابن طاوس قدس سره: ظاهرانه صحیح العقیدة معروف‌الولایة غیرمدافع.

قال بعض الفضلاء: و مارواه الکشی من انه یزعم ان‌الله عزوجل صورة و ان ادم مخلوق علی‌مثال‌الرب تعالی ففی‌الطریق محمدبن موسی‌بن عیسی الهمدانی وهو ضعیف واسکیب‌بن عبدك الکیسانی وعبدالملك‌بن هشام الحناط[1] وهما مجهولاالحال علی انکون ابن عبدك کیسانیاً ذم حاضر. انتهی.

اقول: لاحاجة فی الاعتذار عن ما نسب‌الیه الی ما ذکره، لان القول بان‌الله صورة لایستلزم‌القول بالتجسیم فان مثله قد یصدر عن‌العرفاء الکاملین، فان‌لفظ‌الصورة مشترك عندالعلماء بین معان غیر ما وقع فی‌العرف من معنی الشکل و الخلقة، فانهم یطلقون تارة علی‌ماهیة الشیء وتارة علی وجوده فی‌العقل و تارة علی‌کمال الشیء و تمامه وتارة علی الوجود البحت الذی لاتعلق له بجسم ولاجسمانی کالذوات المفارقة عن‌المواد و الاجرام فیقولون: ذاته تعالی صورة الصور وحقیقة الحقائق، کأن غیره سبحانه بالقیاس‌الیه ناقص الوجود و الحقیقة حیث یحتاج الی‌مصور یصوره ویخرجه من حدالقوة و الامکان الی حدالفعل و الوجود.

فعلی‌هذا لایلزم من اطلاق الصورة علیه تعالی اعتقاد التجسیم سواء کانت التسمیة بها مأذوناً فیها من‌الشرع اولا. ثم قدوردالحدیث‌المشهوربین‌الخاصة والعامة: ان الله خلق ادم علی‌صورته، کما سیجیء فی‌هذا الکتاب، والمراد منه کونه مخلوقا علی‌مثال الرب تعالی والفرق حاصل بین‌المثال والمثل و الاول لایستلزم الثانی، فان مثل‌الشیء هوالمشارك له فی‌تمام الحقیقة ومثاله هومشارکه فی‌النسب و الاضافات، والله سبحانه منزه عن‌المثل لاعن المثال لقوله تعالی: وله المثل الاعلی فی‌السموات (الروم ـ ۲۷).

«عن ابی‌حمزة» الثمالی اسمه ثابت‌بن دینار ابوصفیة مولی عربی ازدی ثقة، قال النجاشی: لقی علی‌بن الحسین و ابا جعفر و اباعبدالله و ابا الحسن علیهم‌السلام

۱ـ الخیاط «جامع‌الرواة».

وروی‌عنهم و کان من‌خیار اصحابنا وثقاتهم ومعتمدیهم فی‌الروایة والحدیث.

وقال‌الکشی: قال الفضل‌بن‌شاذان: سمعت الثقة‌یقول: سمعت‌الرضا علیه‌السلام یقول: ابوحمزة‌الثمالی فی‌زمانه کلقمان‌فی‌زمانه وذلک‌انه‌خدم‌اربعة‌منا: علی‌بن‌الحسین ومحمدبن‌علی وجعفربن‌محمدوبرهة‌من‌عصرموسی‌بن‌جعفر ویونس‌فی‌زمانه کسلمان‌فی زمانه[1]،وبعض‌النسخ‌سلمان‌بدل‌لقمان کمافی کتاب‌النجاشی، وفیه‌مات‌سنة‌خمسین ومائة و اختلف فی‌بقائه الی وقت ابی‌الحسن علیه‌السلام، «عن ابی اسحق السبیعی» عمرو- بن عبدالله‌بن علی تابعی ویأتی عمر کما فی‌رجال الشیخ علی ما یوجد من نسخه[2]، و فی‌القاموس: السبیع کامیر السبیع‌بن سبیع ابوبطن من همدان، منهم الامام ابواسحق عمروبن عبدالله ومحله بالکوفة منسوبة الیهم ایضاً. انتهی.

وقال ابن الاثیر فی‌النهایة: السبیع هوبفتح السین وکسر الباء محلة من محال الکوفة منسوبة الی‌قبیلة وهم بنوسبیع من همدان. انتهی.

وقال بعض‌الفضلاء فی‌رجاله: هووولدله‌اسمه یونس‌من‌العامة. «عمن‌حدثه‌قال: سمعت امیرالمؤمنین علیه‌السلام یقول: ایها الناس اعلموا ان‌کمال‌الدین طلب العلم والعمل به، الا و ان طلب‌العلم اوجب علیکم من طلب‌المال، ان المال مقسوم مضمون لکم قد قسمه عادل بینکم وضمنه و سیفی لکم والعلم مخزون عند اهله، و قد امرتم بطلبه من اهله فاطلبوه».

الشرح

قد علمت فیما سبق، ان‌الاعمال الدینیة کالصلوة والصیام وغیرهما انما یراد للاحوال اعنی طهارة القلب وصفاؤه عن الاخباث و الشهوات و التعلقات، والاحوال انمایراد للعلوم، فهذا معنی‌قوله علیه‌السلام: ان کمال‌الدین طلب‌العلم، ای‌غایة الاعمال الدینیة و التکالیف الشرعیة طلب‌العلم.

١- و یونس‌بن عبدالرحمن کذلک هو سلمان فی زمانه «کش».

٢- قال ابوعلی فی رجاله: عمروبن ابواسحق السبیعی یأتی بعنوان عمرو.

ثم العلم قسمان: علم مكاشفة: كالعلم بذات‌الله وصفاته و افعاله، وعلم معاملة: و هوالعلم المتعلق بكيفية اعمال الطاعات وتروك المعاصی والسيئات: فالاول يراد لنفسه و الثانی يـراد للعمل به والعمل يراد للعلم ايضا، فالعلم هـوالاول و الاخر والمبدأ و الغاية.

فضرب من‌العلم وسيلة وضرب من‌العلم غاية، و هـوالاشرف الاعلی، والعمل لايكون الا وسيلة لانه من‌الدنيا والدنيا وسيلة للاخرة فكذا ماهومنها، فلاخير فی‌طاعة لايكون وسيلة للعلم: وكذا العلم المتعلق بها اذا لم يكن‌وسيلة الی العمل المؤدی‌الی الحال المؤدی الی العلم الحر والمعرفة الخالصة لوجه‌الله فقوله عليه‌السلام : والعمل به، اشارة الـی ثمرة ضرب من‌العلوم و اوائلها ومباديها دون غاياتها وثمراتها.

و اما قوله عليه‌السلام: الا و ان طلب‌العلم اوجب عليكم من طلب المال، فهو من قبيل دعوی الشیء ببينة ومن قبيل قضاياقياساتها معها كقولنا: الاربعة زوج‌لكونها منقسمة بمتساويين، و ذلك لان نسبة العلم الی الروح كنسبة المال الی البدن، حيث ان العلم غذاء للروح يحيی به‌ويقوی ويتكمل، كما ان بالمال يتغذی البدن ويحيی‌وينمو ويتكمل ولاشك ان الروح اشرف من‌البدن وحيوته ادوم وابقی من حيوة البدن لانها حيوة زائلة منقطعة وحيوة الروح ابدية لانهاية لها فطلب مايوجب حيوة الروح و هو العلم اوجب من طلب المال، و المراد انه لوفرض ان طلب‌المال واجب فطلب العلم اوجب منه، فهذا لاينافی فضيلة الزهد.

وما يستفاد ايضاً من قـوله عليه‌السلام: ان المال مقسوم الی اخـره وبيانه: ان رزق‌العبد و ما ينوط به فی‌الدنيا امر مقدر مقسوم فی‌القدر لاصنع للعبد فيه اصلا، ولا دخـل للطلب والتدبـر فيه كما هـو مكشوف عند من علم كيفية انتظام الامور الكائنة الارضية بالاسباب السماوية والاغراض العلوية التابعة للاحكام القدرية، ومع ذلك قد اخبرالله تعالی بان الرزق مقسوم فی‌الازل و اكـد ذلك بالضمان والاقسام[1] المقتضی للايفاء:

۱ـ ای باليمين.

اما الاول فقوله تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا (الزخرف ـ ٢٢)، و قوله تعالى: وفى السماء رزقكم وما توعدون (الذاريات ـ ٢٣).

و اما الثانى[1] فقوله: فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون (الذاريات ـ ٢٣).

و اما العلم فلايمكن حصوله للعبد الا بالكسب والسعى والطلب والجهد ومع ذلك فقد وقع الامر من الله و رسوله علينا بطلبه.

فان العلم مخزون فى خزائن الله الغيبية من الاذهان العالية والسافلة و هى اهل العلم. والانسان فى اول الفطرة خالية عنه لكونه بعيد المناسبة الى عالم الملكوت العلوى، و انما يمكن له ان يصير اهلا للعلم والاختزان اذا طلب و ارتاض بالفكر والسعى و امعن فى تصفية القلب و تهذيبه حتى يصير مشابهاً لمعادن العلم و خزائن المعرفة كالحديدة الحامية تتشبه بالنار بمجاورتها فتصير مثلها فى الاضائة والاحراق، فكذلك النفوس الانسانية اذا تفكرت فى الملكوت وطلبت العلم بالمواظبة على تحصيله تشبهت بالخزانة العقلية فصارت مثلها، ولهذا امر عليه السلام بعد امر الله و رسوله صلى الله عليه واله بقوله عليه السلام: فاطلبوه، تأمل تعرف. والله اعلم.

الحديث الخامس
وهو التاسع والثلاثون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد البرقى عن يعقوب بن يزيد»، الكاتب الانبارى و يعرف بالقمى[2] ثقة، وقد مر اسم ابيه ابو يعقوب و وصفه بالثقة فى الحديث العشرين.

قال النجاشى: ابن يزيد بن حماد الانصارى السلمى ابو يوسف الكاتب من كتاب المستنصر روى عن ابى جعفر الثانى عليه السلام و انتقل الى بغداد كان ثقة صدوقا و

١ـ اى اليمين والضمان.

٢ـ بالعمى. النسخة البدل لجامع الرواة.

كذلك ابوه، وقال الشيخ: انه كثير الرواية ثقة، «عن ابـى عبدالله» مشترك بين جماعة اكثرها ضعفاء ومجاهيل «عن رجل من اصحابنا رفعه قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضة».

«وفى حديث آخر قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، الا وان الله يحب بغاة العلم».

الشرح

قد مر شرحه وبرهانه وعلمت ما العلم الذى هو فرض عين مطلقاً، و الذى هو فرض عين لكل احد بخصوصه وانـه ليس امراً معينا، بل ذلك مما يختلف بـالقياس الى الاشخاص و الاوقات، فان اشتهيت ان تعرف العلم الذى هو من فروض الكفايات و الذى هو محمود و الذى هو مذموم فاسمع فيه كاملا سنذكره.

قال ابوحامد الغزالى فى كتاب الاحياء اعلم: ان العلوم تنقسم الى شرعية وغير شرعية: و اعنى بـالشرعية مايستفاد من الانبياء عليهم السلام ولايـرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربـة مثل الطـب ولا السماع مثل اللغة. والعلوم التى ليست شرعية تنقسم الى ماهو محمود و الى ماهو مذموم و الى ماهو مباح.

فالمحمود مايرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب و ذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس بفريضة، اما فرض الكفاية فهو كـل علم لايستغنى عنه فى المعاملات وقسمة المواريث و الوصايا وغيرها، وهذه هى العلوم التى لـو خلا البلد عمن يقوم بها وقع اهل البلد فـى الحرج و اذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين، و اما مايعد فضيلة لافريضة فكالتعمق فى دقائق الحساب و خفايا[1] الطب وغير ذلك ممايستغنى عنه ولكنه زيادة[2] قوة فى القدر المحتاج اليه.

و اما المذموم من العلم فكعلم السحر والطلسمات و علم الشعبذة و التلبيسات،

١ـ و حقائق «الاحياء».

٢ـ و لكنه يفيد زيادة «الاحياء».

و اما المباح فكالعلم بالاشعار التى لاسحت[1] فيها و تواريخ الاخبار ونحوها، و امـا العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان ولكن[2] قد يلتبس بها مايظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة.

اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات: اما الاصول فهى الكتاب والسنة و الاجماع و اما الفروع فما فهم من هذه الاصول لابموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول واتسع بسببها الفهم حتى يفهم من اللفظ الملفوظ بهغيره، كما فهم من قوله صلى‌الله عليه و آله: لايقضى القاضى حين يقضى وهو غضبان، انه لايقضى اذا كان جائعا و حـاقنا ومتألماً لمرض اوعطشاناً وشبهها مما يشغله عـن الاحتياط فيما هو بصدده[3].

واما المقدمات فهى مـاتجرى فهـى ماتجرى منها مجرى الالات كعلم اللغة و والنحو فانها آلتان لعلم الكتاب والسنة وليسا فى ذاتهما من العلوم الشرعية ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشارع. اذجاءت هذه الشريعة بلغة العرب فيصير تعلم اللغة والنحو من الاتها.

واما المتممات فهى فى علم القران ينقسم الى مايتعلق باللفظ كعلم القرائة ومخارج الحروف والى مايتعلق بالمعنى كالتفسير والى مايتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ و العام والخاص والنص و الظاهر و كيفية استعمال البعض منه مع البعض و هـو العلم المسمى باصول الفقه.

قال: فهذه العلوم الشرعية و كلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات، فجعل علم الفقه ملحقاً بعلم الدنيا والحق الفقهاء بعلماء الدنيا وبين ذلك ببيان تفصيلى يطول ذكره

١ـ لاسخف «الاحياء».

٢ـ فهى محمودة كلها ولكن «الاحياء».

٣ـ فـى الحديث: لارأى لحاقن ولاحـاقب ولاحازق، هكـذا فى غـريب القتبى. فالحاقن الذى به بول كثير والحاقب المحصور والحازق الذى ضاق خفه فخرق قدمـهاى ضغطها. كذا بخطه قدس سره فى الحاشية.

من اراد ان يطلع عليه فليرجع الى ما ذكره، ثم قال:

فان قلت: فقد سويت بين الفقه و الطب اذالطب ايضاً يتعلق بالدنيا و هوصحة الجسد ويتعلق[1] بهصلاح الدين وهذه التسوية يخالف اجماع المسلمين؟

فاعلم: ان التسوية غيرلازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه: احدها انه علم شرعى اى[2] مستفاد من النبوة بخلاف الطب، و الثانى انه لايستغنى عنه احد من سالكى طريق الاخرة البتة لاالصحيح ولاالمريض، و اما الطب فلايحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون، والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة لانه نظر فى اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأوها صفات القلوب.

فالمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية فى الاخرة و المذموم من المذمومة ولايخفى[3] اتصال الجوارح بالقلب، و اما الصحة و المرض فمنشأوهما صفات[4] فى المزاج و الاخلاط و ذلك من اوصاف البدن لامن اوصاف القلب، فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه و اذا اضيف الى طريق الاخرة ظهر شرف علم الاخرة[5] و انة قسمان: علم مكاشفة وعلم معاملة.

و الاول هوعلم الباطن، و ذلك غاية العلوم وهوعلم الصديقين و المقربين وهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ينكشف فى ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماؤها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة. فتتضح له ذلك حتى تحصل له المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى و بصفاته التامات و افعاله وبحكمته فى خلق الدنيا و الاخرة ووجه ترتيب الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة و النبى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة و الشياطين وكيفية معاداة الشيطان

۱ـ و ذلك يتعلق به ايضا «الاحياء».

۲ـ اذهو «الاحياء».

۳ـ والمذموم يصدر من المذموم و ليس يخفى «الاحياء».

۴ـ صفاء «الاحياء».

۵ـ اذا اضيف علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضاً شرف علم طريق الاخرة «الاحياء»

للانسان و کیفیة ظهور الملك للانبياء عليهم السلام و کیفیة وصول الوحی الیهم و المعرفة بملكوت السموات و الارض ومعرفة القلب و کیفیة تصادم جنود الملائكة و الشياطين فيه ومعرفة لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة و الجنة و النار وعذاب القبر و الصراط و الميزان و الحساب ومعنى قوله تعالى:

و کفی بنفسك اليوم عليك حسيبا (الأسراء ـ ۱۴)، ومعنى قوله: و ان الدار الاخرة لهی الحيوان لو کانوا يعلمون (العنكبوت ـ ۶۴)، ومعنى لقاءالله تعالى و النظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه و النزول فی جواره ومعنى السعادة و الشقاوة و تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض کمايرى الكواكب الدری فی جو[1] السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله.

قال: واما القسم الثانی من علم الاخرة وهو علم المعاملة فهو العلم باحوال القلب. اما مايحمد منها فكالصبر و الشكر و الخوف و الرجاء[2] و الزهد و التقوى و القناعة و السخاوة ومعرفة المنةلله تعالى فی جميع الاحوال ومعرفة الاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة و الصدق و الاخلاص، فمعرفة حقائق هذه الاحوال و حدودها و اسبابها التی بها يكتسب وثمراتها و علاماتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى و مازال حتى يعود هی من[3] علم الاخرة.

و اما مايذم فخوف الفقر و الغل و الحسد و الحقد و الغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فی الدنيا للتمتع و الكبر و الرياء و الغضب و العداوة و البغضاء و الطمع و البخل و الاشر و البطر و الفخر و الخيلاء و المباهاة و الاستكبار عن الحق و العجب و المكر و الخيانة و المخادعة وطول الامل و القسوة و الفظاظة الى غير ذلك من رذائل الاخلاق.

فهذه و امثالها هی مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة و اضدادها هی

۱ـ جوف «الاحياء».

۲ـ الرجاء و الرضاء «الاحياء».

۳ـ يعود من «الاحياء».

الاخلاق المحمودة منبع الطاعـات والقربات. فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها و اسبابها وعلاماتها وثمراتهاوعلاجها هوعلم‌الاخرة وهوفرض‌عين‌فی‌فتوی علماء الاخرة و المعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فی الاخـرة، كما ان المعرض عن‌الاعمال الظاهرةهالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاءِ الدنيا، فنظر الفقهاءِ فی‌فروض العين بالاضافة الى صلاح‌الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح‌الاخرة.

ولوسأل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الاخلاص مثلا اوعن‌التوكل اوعن وجه الاحتراز عن‌الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذى فی‌اهماله هلاكه فی الاخرة. ولوسألته عن‌الظهار واللعان‌والسبق والرمی‌يسرد عليك‌مجلدات من التفريعات الدقيقة التی تنقضی‌الدهور و لايحتاج الی‌شیء منها، وان احتيج لم يخل البلاد عمن يقوم بها ويكفيه مـؤنة التعب فيها، فلايزال يتعب فيه ليلاونهاراً فـی‌حفظه و درسه و يغفل عماهومهم‌نفسه‌فی‌الدين ويزعم انه مشتغل بعلم‌الدين ويلبس‌علی‌نفسه وعلی‌غيره.

و الفطن يعلم انه لوكان غرضه اداء حق الامر فی‌فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل‌قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات، فكم من بلدليس فيه طبيب الامـن اهل الذمة ولايجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق‌بالاطباء من احكام الفقه ثم لاترى احداً يشتغل به‌ويتهافت[1] على علم‌الفقه لاسيما الخلافيات و الجدليات والبلد مشحون من‌الفقهاء، و ليس الباعث الا ان الطب ليس ميسرالوصول به الی‌تولی الاوقاف والوصايا وحيازة مال‌الايتام و تقلد القضاء والحكومة والتقدم به‌علی‌الاقران والتسلط علی‌الاعداء.

هيهات قداندرس علم الـدين بتلبيس علماءِ السوء والله المستعان واليه اللياز[2] فی ان يعيدنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان. انتهى كلامه.

ثم لايخفی ان قوله عليه‌السلام: ان‌الله يحب بغاة العلم، ای طالبيه ممايدل علی ان العلم الذى طـالبوه محبوبون‌لله ينبغی ان يكـون علماً شريفا الهياً مقصوداً لـذاته لاالذی هومقصود لغيره مما يتعلق بالامـور الخسيسة، فان‌الذى يكـون مقصوداً لغيره

۱ــ يتهافتون «الاحياء».

۲ــ والملاذ «الاحياء» لاذبه لوذاً و لياذاً ای لجأ اليه وعاذبه.

يكون هومراداً محبوباً لنفسه، بل ذلك الغير ويكون هووسيلة، والوسيلة للشيء دائما يكون اخس رتبة من ذلك الشيء، فالعلم المتعلق بالعمل ادون منزلة من العمل، والعمل امر جسماني خسيس و ذلك العلم اخس منه.

واما العلم المطلق المجرد عن التعلقات فلاشبهة في انه رفيع القدر شريف المنزلة فطالبه وصاحبه هو الحرى بان يكون من محبوبي الحق تعالى و مقربيه ومجاوريه في الملاء الأعلى، والله اعلم.

الحديث السادس
وهو الاربعون

«على بن محمد بن عبدالله عن احمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى» هو ابو عمرو العامري الكلابي الرواسي من ولد عبدالله بن رواس بتشديد الواو وبعد الراء والسين المهملة اخيراً[1]، واقفي من اصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام كذا في الفهرست و في الخلاصة على وفق ما ذكره النجاشي، كان شيخ الواقفة و وجهها واحد وكلاء المستبدين[2] بمال موسى بن جعفر عليهما السلام.

ذكر نصر بن صباح ان عثمان بن عيسى كان واقفيا وكان وكيل ابي الحسن موسى عليه السلام وفي يده مال[3] فسخط عليه الرضا عليه السلام ثم مات[4] عثمان وبعث بالمال[5] اليه وكان شيخا عمر ستين سنة و كان يروى عن ابي حمزة الثمالي ولايتهمون عثمان بن عيسى.

قال حمدويه: قال محمد بن عيسى: ان عثمان بن عيسى رأى في منامه انه يموت

۱ـ يقال لبايع الرؤس رأاس والعامة يقول رواس.
۲ـ المستمدين «جش».
۳ـ فمنعه فسخط «جش».
۴ـ تاب «جامع الرواة ـ جش ـ كش».
۵ـ ثم تاب و بعث اليه بالمال «جش».

بالخیر[۱] ویدفن فیه فرفض الکوفة ومنزله وخرج الی الخیر[۲] و ابناه بعیر[۳] فقال: لاابرح حتی یمضی الله مقادیره، و اقام یعبد ربه عزوجل حتی مات و دفن[۴] ونقل الکشی قولا بان عثمان بن عیسی ممن اجتمعت العصابة علی تصحیح مایصح عنهم واقرواله بالفقه و العلم.

و ذکر الفاضل محمد الاسترابادی ان العلامة رحمه الله حسن طریق الصدوق الی سماعة[۵] وفیه عثمان بن عیسی و قال: هنا الوجه عندی التوقف فیما ینفرد به، وفی کتب الاستدلال جزم بضعفه، «عن علی بن ابی حمزة قال سمعت ابا عبدالله علیه السلام یقول: تفقهوا فی الدین فانه من لم یتفقه منکم فی الدین فهو اعرابی، ان الله یقول فی کتابه: لیتفقهوا فی الدین ولینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم لعلهم یحذرون (التوبة ـ ۱۲۲).

الشرح

قد علمت فیماسبق ما معنی التفقه فی الدین و ما الفقه الذی یترتب علیه الانذار و التخویف فلانعیده وقوله: فهو اعرابی، ای عامی جاهل بامر الدین، لان الاعراب سکان البادیة الذین لایقیمون الامصارولایدخلونها الالحاجة. فهم جهلة لایعرفون مناهج الشریعة والدین، فسمی علیه السلام من لم یکن متفقهاً فی الدین اعرابیاً لکونه مثله فی الحال والصفة مما یتعلق بحال العاقبة وامر الاخرة، و انما جعل المهاجر ضدالاعرابی لاجل اکتسابه للدین وتعلمه للفقه والیقین، و الا فیکون مثله لاضده.

۱ـ بالحایر «جش».

۲ـ الحیر «جامع الرواة ـ کش».

۳ـ و ابناه معه فقال «جامع الرواة».

۴ـ دفن هناک «جش».

۵ـ ای سماعة بن مهران بن عبدالرحمن الحضرمی و کان واقفیا روی عن ابی عبدالله وابی الحسن ثقة ثقة، له کتاب یرویه عنه جماعة کثیرة وعثمان بن عیسی عنه «رجال ابوعلی».

الحديث السابع
وهو الحادی والاربعون

«الحسين بن محمد عن جعفر بن محمد عن القاسم بن الربيع»، مشترك بين اثنين: احدهما من روی عنه علی بن ابراهيم بكتابه، و جعفر بن محمد بن مالك الفزاری الكوفی قال: حدثنا القاسم بن الربيع بن بنت زيد الشحام، والثانی المذكور فی الخلاصة: ابن الربيع الصحاف كوفی ضعيف فی حديثه غال فی مذهبه لا التفات اليه ولا ارتفاع به.

«عن مفضل بن عمر قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: عليكم بالتفقه فی دين الله ولا تكونوا اعرابا، فان[1] من لم يتفقه فی دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا.

الشرح

معنی النظر ههنا الاختيار والرحمة والعطوفة قال تعالی: ولا ينظر اليهم... ولا يزكيهم (ال عمران ـ ۷۷)، وفی الحديث: ان الله لا ينظر الی صوركم و اموالكم[2] و لكن الی قلوبكم ونياتكم. فترك النظر مقابل الرحمة والمحبة اعنی الغضب والنقمة، لان النظر فی الشاهد دليل المحبة و ترك النظر دليل البغض والكراهة.

والنظر يقع علی الاجسام المحسوسة و علی المعانی المعقولة، فما كان بالابصار فهو للاجسام وما كان للبصائر فهو للمعانی، والله مقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الی ما هو السر واللب و هو القلب و احواله، فمن كان ذا قلب منور بالعلم والفقه كان منظوراً له تعالی باللطف والعناية ومن لم يكن كذلك بل كان حكم قلبه فی القساوة والظلمة كحكم الاجسام لم يكن منظوراً بعناية الله تعالی، ولا يتنور القلب و يتجرد عن شبه الجسم الا بنور المعرفة واليقين، فمن لا علم له لا قلب له اعنی اللطيفة الملكوتية،

۱ـ فانه (الكافی).

۲ـ و اعمالكم ـ النسخة البدل فی الاصل للشارح.

فلیس فی مثل هذاالانسان شیء ینظر الیه الحق تعالی.

فقد دل کلامه علیه‌السلام علی ان باکتساب العلم والتفقه یصیر الصورة معنی والمحسوس معقولا و به یخرج النفس العاقلة من القوة الی الفعل و یصیر وجود الانسان به وجوداً اخر اخرویاً غیر الوجود الدنیوی الذی کان اولا؛ ولما کان العمل تابعاً للذات کانت زکوته و طهارته تابعة لتزکیة القلب وتطهیره. فتأمل تعرف.

الحدیث الثامن
وهو الثانی والاربعون

«محمدبن اسمعیل» هذا الاسم مشترک بین اثنی عشر رجلا من الرواة سوی محمد بن اسمعیل بن بزیع، وهم محمدبن اسمعیل بن میمون الزعفرانی ومحمدبن اسمعیل بن احمد البرمکی الرازی صاحب الصومعة وعشرة اخرون.

اما العشرة الباقون فلم یوثق احد علماء الرجال احداً منهم. فانهم لم یذکروا من حال الاثنین منهم و هما الکنانی و الجعفری الا ان لکل منهما کتاباً، و لامن حال الاثنین الاخرین وهما الصیمری والسلحی الا انهما من اصحاب ابی الحسن الثالث علیه‌السلام ولامن حال الستة البواقی الا انهم من اصحاب الصادق علیه‌السلام وبقاء احدهم الی عصر الکلینی بعید جداً.

وقد اطبق متأخروا علمائنا رحمهم‌الله علی تصحیح مایرویه عن محمدبن اسمعیل فبقی الاحتمال فی ابن بزیع والرجلین الباقیین وهما محمدبن اسمعیل بن میمون الزعفرانی ومحمدبن اسمعیل بن احمد البرمکی الرازی صاحب الصومعة، ولنذکر اولا حال کل من هؤلاء الثلاثة ثم نتکلم فی ان المراد ههنا ای واحد منهم.

اما المطلب الاول فنقول فیه: اما محمدبن اسمعیل بن بزیع فهو ابوجعفر مولی ابی جعفر المنصور وولد بزیع بیت[1] منهم حمزة بن بزیع وکان من صالحی هذه الطائفة وثقاتهم کثیر العمل.

۱ـ بیت العرب. ای: شرفها.

قال الشيخ الطوسى رحمه‌الله: ان محمدبن اسمعيل‌بن بزيع ثقة صحيح‌الرواية مولى المنصور وقال‌الكشى: كان من رجال ابى‌الحسن موسى عليه‌السلام و ادرك ابا جعفر الثانى عليه‌السلام قال حمدويه عن اشياخه: انه و احمدبن حمزة كانا فى‌عداد الوزراء وكان على‌بن النعمان وصى بكتبه لمحمدبن اسمعيل و قال على‌بن الحسن: انه ثقة ثقة عين.

وحكى بعض اصحابنا عن ابن الوليد قال وفى‌روايته محمدبن اسمعيل‌بن‌بزيع قال‌الرضا عليه‌السلام: ان‌الله تعالى بابواب الظالمين من نورالله به البرهان ومكن له فى البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح‌الله به امور المسلمين، لانهم ملجاء المؤمنين من الضرر واليه مفزع[1] ذى‌الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن‌الله روعة المؤمن فى دارالظلم. اولئك المؤمنون حقا اولئك امناءالله فى‌ارضه اولئك نورالله فى‌رعيتهم يوم القيامة ويزهر نورهم لاهل‌السموات كماتزهرالكواكب الدرية لاهل‌الارض. اولئك من‌نورهم نورالقيامة تضىء منهم القيامة، خلقوا والله للجنة وخلقت‌الجنة لهم فهنيئاً لهم، ما على احدكم ان لوشاء لنال هذا كله، قال: قلت‌له: بماذا جعلنى الله فداك؟ قال: يكون معهم فيسرنا بادخال السرور على‌المؤمن[2] من شيعتنا، فكن منهم يا محمد.

و روى الكشى عن‌على‌بن محمد قال: حدثنى بنان‌بن محمد عن على‌بن‌مهزيار عن محمدبن اسمعيل‌بن بزيع قال: سألت اباجعفر عليه‌السلام ان يؤمرلى[3] بقميص من قمصه اعده لكفنى‌فبعث به الى، قال: قلت‌له: كيف اصنع به جعلت فداك؟ قال: انزع ازراره.

قال الكشى: وجدت فى كتاب محمدبن‌الحسن بن بندارالقمى بخطه حدثنى محمدبن يحيى‌العطار عن محمدبن احمدبن يحيى قال: كنت بفيد[4] فقال لى‌محمد بن

۱ــ الضر و اليه يفزع ذو «جامع‌الرواة ــ جش»

۲ــ المؤمنين «جامع‌الرواة ــ جش».

۳ــ يأمرلى «كش ــ جامع‌الرواة».

۴ــ فيد: منزل بطريق مكة.

على‌بن بلال: مـربنا الى‌قبر محمدبن اسمعيل‌بن بـزيـع لنزوره، فلما اتيناه جلس عند رأسه مستقبل القبلة و القبر امـامه ثم قال: اخبرنى صاحب هذا القبر يعنى محمدبـن اسمعيل انه سمع ابا جعفر عليه‌السلام يقول: من زار قبراخيه المؤمن فجلس عند قبره و استقبل القبلة و وضع يده على‌القبر وقرأ انا انزلناه فى‌ليلةالقدر سبع مرات امن من فزع‌الاكبر. وقال‌النجاشى بعدالحكاية المذكورة: وله كتب روى‌عنه‌احمدبن‌محمدبن عيسى ومعويةبن حكيم و ابراهيم‌بن هاشم ومحمدبن ابى‌الخطاب[1].

و اما محمدبـن اسمعيل‌بن ميمون الزعفرانى، و كنيته ابوعبدالله فهو عين ثقة روى عنه الثقات و روى عنهم ولقى اصحاب ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال النجاشى: له كتاب روى عنه عبداللهبن محمد خالد.

و امـا محمدبن اسمعيل‌بن احمدبن بشير البرمكى فهو ابـوعبدالله المعروف بصاحب‌الصومعة سكن بقم وليس‌اصله منها. ذكرذلك‌ابوالعباس‌بن نوح قال‌النجاشى: له كتب روى عنه محمدبن جعفر الاسدى وقـال العلامة: اختلف علمائنا فى‌شأنه فقال النجاشى: انه ثقة مستقيم، وقـال ابن‌الغضائرى: انه ضعيف، و قـول النجاشى عندى ارجح.

واما المطلب‌الثانى: فـاعلم انه قال شيخنا المكرم بهاء الملة والـدين العاملى عظم‌الله قدره‌فى كتابه المسمى بمشرق‌الشمسين بهذه‌العبارة: «تبصرة» دأب ثقة‌الاسلام رحمه‌الله‌فى كتاب الكافى انه يأتى‌فى كل‌حديث بجميع سلسلة السند بينه وبين‌المعصوم عليه‌السلام ولايحذف من‌اول‌السند احداً، ثم انه كثيراً ما يذكرفى‌صدورالسندمحمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان و هويقتضى كون الرواية عنه بغير واسطة، فـربما ظن بعضهم ان المراد به الثقة الجليل محمدبن اسمعيل‌بن بزيع، و ايدوا ذلـك بما يعطيه كلام الشيخ تقى‌الدين حسن‌بن داود رحمه‌الله حيث قال فى كتابه: اذا وردت روايـة عن محمدبن يعقوب عن محمدبن اسمعيل ففى صحتها قولان: فان فـى‌لقائه له اشكالا

---

[1]ـ محمدبن حسين‌بن ابى‌الخطاب «جش ـ جامع‌الرواة».

فنقف لجهالة الواسطة بينهما و ان كانا مرضيين معظمين. انتهى كلامه[1]. و الظاهر ان ظن كونه ابن بزيع من الظنون الواهية ويدل على ذلك وجوه:

الاول: ان ابن بزيع من اصحاب ابى‌الحسن الرضا و ابى‌جعفر الجواد عليهما السلام، وقد ادرك عصر الكاظم عليه‌السلام و روى عنه كما ذكره علماء الرجال فبقاؤه الى زمن الكلينى مستبعد.

الثانى: ان‌قول علماء‌الرجال: ان‌محمدبن‌اسمعيل ادرك اباجعفر الثانى عليه‌السلام يعطى انه لم يدرك من بعده احداً من الائمة‌عليهم السلام، فان مثل هذه‌العبارة انمايذكرونها فى‌اخر امام ادركه الراوى كما لايخفى على من له انس بكلامهم.

الثالث: انه رحمه‌الله لوبقى الى زمن الكلينى نورالله مرقده لكان قد عاصر ستة من الائمة عليهم السلام وهذه مزية عظيمة لم يظفر بها احد من اصحابهم عليهم السلام، فكان ينبغى لعلماءِ الرجال ذكرها وعدها من جملة مزاياه وحيث ان احداً لم يذكره، علم انه غير واقع.

الرابع ان محمدبن اسمعيل الذى يروى عنه الكلينى بغير واسطة يروى عن الفضل بن شاذان، و ابن بزيع كان من مشايخ الفضل‌بن شاذان، كما ذكره الكشى.

الخامس: ما اشتهر على الالسنة ان وفات ابن بزيع كانت فى‌حيوة الجواد.

السادس: انا استقرينا جميع احاديث الكلينى المروية عن محمدبن اسمعيل فوجدناه كلما قيده بابن‌بزيع فانما يذكره فى‌اواسط السندويروى عنه بواسطتين هكذا: محمدبن يحيى عن‌احمدبن محمدعن محمدبن‌اسمعيل‌بن بزيع، واما محمدبن‌اسمعيل الذى يذكره فى‌اول السند فلم نظفر بعد الاستقراء الكامل و التتبع التام بتقيده مرة من المرات بابن بزيع، ويبعد ان يكون هذا من الاتفاقيات المطردة.

السابع ان ابن بزيع من‌اصحاب الائمة الثلاثة اعنى الكاظم والرضا والجواد عليهم‌السلام وقدسمع منهم سلام‌الله عليهم احاديث متكثرة بالمشافهة، فلو لقيه الكلينى لنقل عنه شيئاً من تلك الاحاديث التى نقلها عنهم بغير واسطة ليكون الواسطة بينه و

---

[1]ـ اى كلام الشيخ تقى‌الدين فى كتابه.

بين كلا من الأئمة الثلاثة عليهم السلام واحـداً، فان قلة الوسائط شيءٍ مطلوب و شدة اهتمام المحدثين بعلو السند امر معلوم، ومحمد بن اسمعيل الذی يذكره فی اوائل السند ليس له رواية عن احد المعصومين سلام الله عليهم بدون واسطة اصلا بل جميع رواياته عنهم عليهم السلام انما هی بوسائط عديدة.

فان قلت: للمناقشة فی هذه الوجوه مجال واسع كمايناقش فـی الاول بان لقاءِ الكلينی من لقی الكاظم عليه السلام غير مستنكر، لان وفاته عليه السلام سنة ثلاث وثمانين ومائة و وفـات الكلينی سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وبين الـوفاتين، مائة وخمس و اربعون سنة، فغاية مايلزم تعمير ابن بزيع الی قريب مائة سنة و هو غير مستعبد. و فـی الثانی يمنع كون تلك العبارة نصاً فـی ذلك، ولو سلم فلعلل المراد بالادراك الـرواية لاادراك الرؤية ولاادراك الزمان فقط، وفی الثالث بان المزية العظمی رؤية الائمة عليهم السلام والرواية عنهم بلاواسطة لامجرد المعاصرة لهم من دون رؤية ولارواية، فيجوز ان يكون ابن بزيع عاصر باقی الائمة لكنهم لم يرهم.

قلت: اكثر هذه الوجوه، و ان امكنت المناقشة فيه بـانفراده، لكن الانصاف انه يحصل من مجموعها ظن غالب يتآخم العلم: بان الرجل المتنازع فيه ليس هو ابن بزيع، و ليس الظن الحاصل منها ادون من سائر الظنون المعول عليها فی علم الرجال كما لايخفی علی من خاض فی ذلك الفن و مارسه والله اعلم. انتهی كلامه زيد اكرامه فنقول:

اذا تقرر هذا، وظهر ضعف القول و بعد الظن بان المذكور هو ابن البزيع، و قد اطبق علماؤنا المتأخـرون قدس الله ارواحهم علی تصحيح ما يرويه الكلينی عـن محمد بن اسمعيل الذی فيه النزاع، و اطباقهم هذا قرينة علی انه ليس احداً من اولئك الذين لم يوثقهم[1] احد من علماء الرجال، فبقی الامر دائراً بين الزعفرانی والبرمكی، فانهما ثقتان من اصحابنا لكن الزعفرانـی ممن لقی الصادق عليه السلام كما نص عليه النجاشی فيبعد بقاؤه الی عصر الكلينی. فيقوی الظن فی جانب البرمكی فانه مع كونه

١ــ ای العشرة المذكورة سابقا.

رازياً كالكلينى، فزمانه فى غاية القرب مـن زمانه، لان النجاشى يروى عـن الكلينى بواسطتين وعن محمدبن اسمعيل البرمكى بثلاث وسائط والصدوق يروى عن الكلينى بواسطة واحدة و عن البرمكى بواسطتين، والكشى حيث انه معاصر للكلينى يـروى عن البرمكى بواسطة و بدونها.

و ايضا فمحمدبـن جعفر الاسدى المعروف بمحمدبـن ابـىعبدالله الذى كان معاصراً لبرمكى توفى قبل وفاة الكلينى بقريب من ستة عشر سنة، فلم يبق مرية فى قرب زمان الكلينى مـن زمان البرمكى جداً . و اما روايته عنه فـى بعض الاوقات بتوسط الاسدى فغير قادح فى المعاصرة، فان الرواية عن الشيخ تارة بواسطة و اخرى بغيرها[1] امر شائع متعارف لاغرابة فيه. والله اعلم. هذا ما ذكره ايضا شيخنا البهائى جل بهاؤه و مجده بعد ما زيف القول بكون المذكور ابن البزيع او واحد من العشرة الباقية.

«عن الفضل بن شاذان»، بالشين والذال المعجمتين والنون، ابن الخليل بالخاء المعجمة ابومحمد الازدى النيشابورى، كان ابوه من اصحاب يونس و روى عن ابى جعفر الثانى عليه السلام وقيل: عن الرضا عليه السلام ايضا. وكان ثقة جليلا، فقيها متكلماً له عظم شأن فى هذه الطائفة، قيل: انه صنف مائة و ثمانين كتابا و ترحم عليه ابومحمد عليه السلام مرتين و روى ثلاثا ولاءِ، و نقل الكشى عن الائمة عليهم السلام مدحه ثم ذكر ما ينافيه و قد اجبنا عنه فى كتابنا الكبير: وهذا الشيخ اجل من ان يغمز عليه فانه رئيس طائفتنا رضى الله عنه «صه» وقال النجاشى: اجل اصحابنا الفقهاء والمتكلمين وله جلالة فى هذه الطائفة وهو فى قدره اشهر من ان نصفه.

و قال الشيخ فـى الفهرست: متكلم فقيه جليل القدر لـه كتب و مصنفات روى الكشى عن الملقب بتور[2] من اهل البرزجان[3] من نيشابور: ان ابامحمد الفضل بن شاذان كان وجهه الى العراق فذكر انه دخل على ابـىمحمد عليه السلام فلما اراد ان يخرج

۱ــ بدونها. النسخة البدل فى الاصل المشارح.

۲ــ بتورا «جامع الرواة»

۳ــ بوزجان «جامع الرواة ــ كش».

سقط عنه كتاب و كان مـن تصنيف الفضل، فتناوله ابـومحمد عليه‌السلام و نظرفيه و ترحم عليه و ذكـر انه قال : اغبط اهل خراسان بمكان الفضل بـن شاذان و كان بين اظهركم.

«عن ابن ابى‌عمير»، و هو محمدبن زيادبن عيسى ابومحمد[1] مولى الازد مـن موالى المهلب‌بن ابى‌صفرة وقيل مولى بنى‌امية والاول اصح، بغدادى الاصل والمقام لقى اباالحسن موسى‌عليه‌السلام وسمع منه احاديث كناه فى بعضها فقال: يااباممحمد[1]، و روى عـن‌الرضا عليه‌السلام جليل‌القدر عظيم‌المنزلة فينا وعند المخالفين «صه» قال الكشى: انه ممن‌اجمعت اصحابنا على تصحيح مايصح عنه و اقروا له بالفقه والعلم، و قال الشيخ الطوسى: انه اوثق الناس عندالخاصة والعامة و انسكهم نسكاً و اورعهم و اعبدهم، ادرك مـن‌الائمة ثلاثة: ابا ابراهيم مـوسى‌بن‌جعفر عليه‌السلام ولم يرو عنه و روى عن ابى‌الحسن الرضا عليه‌السلام و ابى‌جعفر الثانى عليه‌السلام.

«عن‌جميل‌بن‌دراج» بالدال غيرالمجمعة والراء المشددة والجيم. و دراج‌يكنى بابى‌الصبيح‌بن عبدالله ابى‌على‌النخعى وقال ابن فضال: ابومحمد شيخنا و وجه‌الطائفة ثقة روى عن ابى‌عبدالله و ابـى‌الحسن عليهماالسلام و اخوه نـوح بن دراج القاضى ايضا من اصحابنا، وكان يخفى امره ومات فى‌ايام الرضا عليه‌السلام و كـان اكبر من نوح وعمى‌فى‌اخر عمره واخذ عن زرارة له اصل «صه» قال الكشى: انه ممن‌اجمعت العصابه‌على تصحيح‌مايصح‌عن‌هؤلاء وتصديقهم لمايقولون واقروالهم بالفقه: جميل‌بن دراج وعبدالله‌بن مسكان وعبدالله‌بن بكير وحمادبن عيسى وحمادبـن عثمان و ابان بن عثمان، قالوا: و زعـم ابو اسحق الفقيه يعنى ثعلبة‌بن ميمون ان افقه هـؤلاء جميل‌بن دراج وهم[2] اصحاب ابى‌عبدالله عليه‌السلام.

«عن ابان‌بن تغلب» بـالتاء المنقوطة فوقها نقطتين المفتوحة و الغين المعجمة الساكنة ابن‌رباح ثقة‌جليل‌القدر عظيم المنزلة فى‌اصحابنا، لقى‌ابامحمد على‌بن‌الحسين

۱ــ ابو احمد «جش ــ جامع‌الرواة».
۲ــ وهم احداث اصحاب «جامع‌الرواة».

و ابا جعفر و ابا عبدالله عليهم السلام وقدم الى المدينة وروى عنهم وقال له الباقر عليه‌ـ السلام: اجلس فی مسجد المدينة و افت الناس، فانى احب ان يرى فی شيعتى مثلك، و مات فی حيوة ابی عبدالله عليه السلام فقال الصادق عليه السلام لما اتاه نعيه: اما والله لقد اوجع قلبی موت ابان، و مات فـی سنة احدى و اربعين و مـائة. و روى ان الصادق عليه السلام قال له: يا ابان: ناظـر اهل المدينة فانى احب ان يكون مثلك من رواتى و رجالی.

«عن ابـی عبدالله عليه السلام قال: لوددت ان اصحابی ضربت رؤسهم بالسياط حتى يتفقهوا.»

الشرح

معناه واضح. السياط جمع سوط و هو الذی يجلدبه، و الاصـل سواط بالواو فقلبت ياء لكسرة ماقبلها، وقـديجمع على الاصل اسواط، والذی نقل عن ابی هريرة: فجعلنا نضرب باسياطنا وقسينا بالياء هوشاذ والقياس اسواطنا، كما يقال فی جمع ريح: ارياح شاذا و القياس ارواح وهوالمطرد المستعمل وانما قلبت الواوفی سياط لكسرة ماقبلها ولاكسرة فی اسواط.

الحديث التاسع
و هو الثالث و الاربعون

علی بن محمد عن سهل بن زياد عن محمدبن عيسى «عمن رواه عن ابی عبدالله عليه السلام قال: قال رجل جعلت فداك: رجل عرف هذا الامر لزم بيته ولم يتعرف الى احد من اخوانه فقال[1] كيف يتفقه هذا فی دينه؟»

١ـ قال: فقال: (الكافی).

الشرح

اعلم: ان الناس اختلفوا فى ان لزوم البيت و العزلة من الخلق افضل او المخالطة والصحبة معهم؟ و التحقيق ان كلا من الامرين يفضل على الاخر فى وقت ومن جهة، و ذلك يختلف باختلاف حال الاشخاص بل باختلاف حال شخص واحد بحسب الاوقات. فان كثيراً من المقاصد الدينية و الدنياوية يتوقف حصولها على الاستعانة بالغير واعظم ذلك كله التعلم والتفقه فى الدين، فانه اعظم و اهم من كل عبادة وطاعة ولايتصور ذلك الا بالمخالطة والصحبة مع المعلمين والاستاذين، وكل مايستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة.

فالمحتاج الى التعلم كماهو فرض عليه فمايفوت به و هو العزلة حرام عليه فهو يكون عاصياً بالعزلة ولزوم البيت، اللهم الا ان لايتأتى منه الخوض فى العلوم و رأى الاشتغال بالعبادة و الاكتفاءِ بالتقليد فيما سمعه منذاول الامر واعتقده اولى، فلايبعد ان يكون العزلة فى حقه راجحاً سيما اذا لم يتمش منه انفاع الغير و لااكتساب الخيرات الدنيوية، فان عبادة الجهال ليس فيها كثير خير.

واما من كان يقدر على التبريز فى علوم الدين واصول اليقين، فالعزلة فى حقه قبل التعلم والتفقه هى الخسران المبين، ولهذا قال بعضهم: تفقه ثم اعتزل.

ومن اعتزل قبل التعلم، فهو فى الاكثر مضيع اوقاته بنوم اوفكر فى هوس، وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها و هو لاينفك فى اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لايدرى، ولاينفك فى اعتقاده فى الله تعالى وصفاته عن اوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها، فيكون فى اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد، فالعلم هو اصل الدين فلاخير فى عزلة العوام والجهال.

قال بعض العلماء: مثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف ليعالجها، فالمريض الجاهل اذاخلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لامحالة مرضه؛ فلايليق العزلة الا بالعلماء.

باب صفة العلم و فضله و فضل العلماء

و هو الباب الثالث وفيه تسعة احاديث

الحديث الاول

وهو السابع والاربعون

«محمدبن الحسن وعلی‌بن محمد عن سهل‌بن زیاد عن محمدبن عیسی عن عبیدالله‌بن عبدالله الدهقان عن درست الواسطی عن ابراهیم‌بن عبدالحمید عن ابی الحسن موسی علیه‌السلام قال: دخل رسول‌الله صلی‌الله علیه واله المسجد، فاذاً جماعة قداطافوا برجل فقال: ماهذا؟ فقیل: علامة، قال: وما العلامة؟ فقالوا: اعلم الناس بانساب العرب و وقائعها و ایام الجاهلیة و الاشعار العربیة فقال[1] النبی صلی‌الله علیه واله: ذاك علم لایضر من جهله و لاینفع من علمه، ثم قال النبی صلی‌الله علیه واله: انما العلم ثلاثة: ایة محکمة اوفریضة عادلة اوسنة قائمة وما خلاهن فضل».

الشرح

قوله علیه‌السلام: فقیل: علامة، ای عالم جداً، والهاء فیه للمبالغة، قوله: قال: و ما العلامة؟ کلمة ما من جملة کلمات الاستفهام التی‌یقع بها السؤال عن ماهیة الشیء اوسببه او وجوده اوکمه اوکیفه اومتاه اواینه او غیر ذلك. فالسؤال عن ماهیة الشیء بـ «ماهو» وعن سببه بـ «لم‌هو»، وعن‌وجوده بـ «هل‌هو»، وعن‌مقداره اوعدده بـ «کم‌هو»، وعن صفته بـ «کیف‌هو» وعن زمانه بـ «متی‌هو»، وعن مکانه بـ «این هو».

فان قلت: المناسب ههنا ایرادکلمة «لم» بدل «ما».

قلنا: قد تقرر فی‌العلوم العقلیة: ان مطلب «ماهو» و «لم‌هو» فی کثیر من‌الاشیاء متحدان، وهی کالمفارقات العقلیة التی وجودها الخاص عین ماهیتها فمن علم‌ان‌العقل مثلا«ماهو» علم ایضا «لم‌هو» وکما اذا اخذت الماهیة مع وجودهاالخاص، فان سبب وجود الشیء و ان‌کان خارجاً عن نفس ماهیته لکنه داخل فی‌قوام وجوده.

---

[1] ــ قال: فقال. (الکافی).

فاذا كان السؤال عن الماهية الموجودة فصح ايراد كلمة «لم» بدل «ما» و كـذا اذا كان السؤال عن سبب وجود الشيء بـ «ماهو» نفس الوجود صح ايـراد كلمة «ما» بدل «لم» ونظير ذلك انه اذا اخذ الموصوف مع صفته كالجسم مع البياض كانهما امر واحد مركب من مادة وصورة، فاذا سأل عن المجموع سأل بـ «ماهو» ويقع فى الجواب: الجسم الأبيض كما يقع الحد المركب من الجنس والفصل، ففى هذا المثال قـد وقـع فى جواب «ماهو» ما كان يقع فى جواب «كيف هو».

ففى ما نحن فيه لما كان غرضه صلى الله عليه واله الاستكشاف عن حقيقة عالمية ذلك الرجل المقيد بالعلم المأخوذ بكونه عالماً، فكان السؤال عن سبب اتصافه بالعلامة راجعاً الى السؤال عن حقيقة كونه علامة، ولهذا وقع الجواب بنحو علمه الـداخل فى كونه علامة بزعمهم وهو علمه بانساب العرب وحكاياتها وعلمه بالاشعار العربية، فذلك العلم داخل فى حقيقة عالميته وعلة لاتصاف ذاته بنعت العلم.

وهذا كما اذا سأل ما الخسوف؟ يقع الجواب: بانه محق ضوء القمر لحيلولة الارض بينه وبين الشمس عند المقابلة الحقيقية. و اذا سأل: لم الخسوف؟ يقع الجواب بحيلولة الارض بينهما عند المقابلة فيمحق نوره، فاذن يشارك فيه الجوابان: اعنى الحد و البرهان فافهم هذا، فانه من غوامض العلوم.

ثم لما زعموا ان ماحصل لذلك الرجل، هو من العلوم المعتبرة الحقيقية فينبههم رسول الله صلـى الله عليه واله بان الذى حصل ليس علما بالحقيقة، اذ العلم بـالحقيقة هو الذى يضر جهله فى المعاد وينفع اقتناؤه ذخراً ليوم يقوم فيه الاشهاد لا الذى يستحسنه العوام ويكون مصيدة الحطام، ثم افاد صلى الله عليه واله لهم ان العلم الذى يضر جهله وينفع علمه فى الاخرة ماذا؟ فقال: انما العلم ثلاثة... الى اخره

واعلم انك قد علمت سابقاً ان العلوم الاخروية قسمان: علوم معاملة وعلوم مكاشفة، والظاهر ان هذه الاقسام التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه واله وحصرها فى ثلاثة هى علوم المعاملة، لانها التى يقع بها الانتفاع لاكثر الخلق.

و اما علوم المكاشفة فلم توجد فى كـل وقت الا فى اقل قليل من الناس، وهو

اعزمن الكبريت الاحمر كمادل عليه بعض الاحاديث الاتية فى كتاب الايمان، والمذكور منها فى القران انما كان على سبيل الرمز فى متشابهات القران التى لايعلم تأويلها الاالله والراسخون فى العلم.

ولما كانت العلوم الدينية النافعة فى الاخرة اما متعلقة بالاصول الاعتقادية او بالفروع العملية، والثانية اما متعلقة بالافعال واعمال الجوارح من الحلال والحرام واما متعلقة بالاحوال و اعمال القلب من محاسن الاخلاق ومقابحها ونيات الضمائر و اغراضها فهى ثلاثة اقسام: فقوله صلى الله عليه واله: اية محكمة، اشارة الى القسم الاول وهواصول العقائد و اركانها المستفادة من الايات المحكمات القرانية، و قوله صلى الله عليه واله: اوفريضة عادلة، اشارة الى العلم بفرائض الاعمال و واجباتها و محرماتها التى يجب على المكلفين الاتيان بها والكف عنها وقوله: اوسنة قائمة، اشارة الى العلم بالسنن والنوافل، فانها من الاعمال التى يؤثرفى جلب الاحوال للقلوب و كسب الاخلاق الحسنة و ازالة الملكات الرديئة وكلها ثابتة من طريق الحديث والسنة.

ويحتمل ان يكون الثانى اشارة الى علوم الاخلاق وصفات القلب، وان اكثرها مما يستقل العقل بادراكه اعنى محاسن تلك الاحوال و مقابحها. والثالث وهو قوله صلى الله عليه واله: اوسنة قائمة، اشارة الى العلم باعمال المكلفين و احكامها الخمسة المستفاد جلها بل كلها من السنة القائمة، اى الاحاديث الصحيحة الثابتة بنقل الرواة العدول و الرجال الثقات.

و قوله صلى الله عليه واله: و ماخلاهن فضل، اى ما خلا هذه الثلاثة سواء كان محموداً كالطب ونحوه، اومذموما كعلم السحروالشعبذة والفأل واحكام النجوم وغيرها، فان اكثر مايعده العامة من العلوم المستحسنة المحمودة ليس منها بل يكون مذموماً.

فان قلت: العلم هومعرفة الشىء على ماهوعليه و هومن صفات الله تعالى، فكيف يكون الشىء علما ومع كونه علما مذموماً؟

قلنا: ان العلم لايذم لعينه و لالكونه علماً على الاطلاق و انما الذم متوجه اليه لاحد اسباب ثلاثة:

احدها ان يكون مـؤديا الى ضرر اما بصاحبه اوبغيره، كمايـذم علم السحر و الطلسمات وهوحق اذشهد القران له وبه‌يتوسل الى‌مايفرقون به‌بين‌المرء وزوجه.

الثانى ان يكون مضراً بصاحبه فى‌اكثر الامر كعلم النجوم، فانه فـى‌نفسه غير مذموم اذهوقسمان: قسم يتعلق بالحساب و الهيئة وقد نطق القران بان مسيرالكواكب محسوب اذقال: والشمس والقمر بحسبان (الرحمن ـ ۵)، وقال: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجـون القديـم (يس ـ ۳۹) ، و قال: لتعلموا عـدد السنين والحساب (يونس ـ ۵) ، والثانـى الاحكام، و حاصله يرجع الـى الاستدلال على الحـوادث بالاسباب، و هو كالاستدلال الطبيب بالنبض و حركة الشرايين على ما سيحدث فـى بدن الانسان من‌الصحة والمرض و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه و انما زجر عنه لثلاثة اوجه:

الاول: انه مضر باكثر الخلق، فانه اذا القى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير هذه الكـواكب والانظار وقع فـى نفوسهم ان الكواكب هى المؤثرات و انها الالهة المدبرة، لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها فى‌القلوب فيلتفت اليها و يرى الخير والشر مرجواً و محذوراً من جهتها و ينمحى ذكـرالله عن‌القلب، فان الضعيف يقصر نظره على‌الـوسائط، والعالم الراسخ هـو الذى يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه.

والثانى: ان‌احكام النجوم تخمين‌محض ليس بعلم لاباليقين ولا بالظن، فالحكم به حكم بجهل فيكون مذموماً على هذا من حيث انه جهل وكذب لامن حيث انه علم وحق، و لقدكان ذلك معجزة لادريس النبى عليه‌السلام وقد اندرس و انمحى وما يتفق احيانا من اصابة المنجم فهو اتفاق.

و ثالث الوجوه انه لافائدة فيه، و اقل احواله انه خوض فـى فضول لايعنى و تضييع العمر الذى هو انفس بضاعة‌الانسان بغير فائدة وهو غاية الخسران، فالخوض فى‌النجوم و ما يشبهه اقتحام خطر او خـوض جهالة مـن غير فائدة، فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه، و اكثر ادلتها ممايطلع

عليه.

السبب الثالث غموض بعض العلوم الحقة و دقته، فان الخوض فى علم لايستقل الخائض بدركه مذموم فيجب كف الناس عن البحث عنه والخوض فيه، و لهذا قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله: اذا ذكر القدر فامسكوا، و قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام كما رواه الصدوق فى كتاب التوحيد باسناده عن الاصبغ‌بن نباته: الا ان‌القدر سر من سرالله، وستر من سترالله، و حرز من حرزالله مرفوع فى حجاب‌الله، مطوى عن‌خلق‌الله مختوم بخاتم‌الله... الحديث بطوله.

و اعلم انه كمايطلع الطبيب‌الحاذق على اسرار فى‌معالجات المرضى يستبعدها من‌لايعرفها، فكذا الانبياء عليهم‌السلام اطباء القلوب عارفون باسباب‌الحيوة الاخروية، فلاتحكم بمعقولك على سنتهم و احكامهم، ففى اسرار الشريعة و لطائفها المفيدة لصفاء القلوب و طهارتها و اصلاحها المترقى الى جوارالله والوصول الى داركرامته امور تكل عن ادراكها الافهام، و تدق عن ادراكها عقول الانام بقوة افكارها و استدلالاتها، وكل مالم يصل عقلك الى وجه الحكمة فيه فاعزل العقل عن‌الفكرة فيه و لازم الاتباع.

و لذلك ورد عن‌النبى صلى‌الله عليه و اله انه قال: ان من العلم جهلا و ان من العقل عياً[1]. ومعلوم ان‌العلم لايكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى‌الاضرار و انه‌قال صلى‌الله عليه و اله: قليل من‌التوفيق خير من كثير من‌العلم، فقد تبين ان معنى كون علم مذموماً ماذا، و الا فالعلم فى‌نفسه اى علم‌كان نوع من‌النور والظهور قل اوكثر والنور لايكون الا ممدوحاً بنفسه، وانما الذم لاجل ما لزمه من ضرر او شر.

الحديث الثانى
وهو الخامس والاربعون

«محمد بن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى عن محمدبن خالد عن ابى

۱ـ عى عيا وعياء: اى جهله.

البختری»، بالباء المنقطة تحتها نقطة و الخاء المعجمة و التاء المنقطة فوقها نقطتین و الراء اسمه وهب بن وهب بن عبدالله بن زمعة بن الاسود ابن عبدالمطلب[۱] بن عبدالعزی روی عن ابی عبدالله علیه السلام و کان کذاباً قاضیا عامیا، الا انه له احادیث عن جعفر بن محمد علیهما السلام کلها لایوثق بها، و له احادیث مع الرشید فی الکذب. قال سعد: تزوج ابو عبدالله علیه السلام بامه «صه».

قال الکشی عن علی القتیبی، عن الفضل بن شاذان: کان ابو البختری من اکذب البریة وقال الشیخ فی الفهرست: انه ضعیف عامی المذهب له کتب روی عنه السندی[۲] بن محمد و ابراهیم بن هاشم و سهل بن رجاء الشیبانی. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال: ان العلماء ورثة الانبیاء: و ذاك ان الانبیاء لم یورثوا درهماً ولا دیناراً و انما اورثوا احادیث من احادیثهم، فمن اخذ بشیء منها فقد اخذ حظاً وافراً، فانظروا علمکم[۳] عمن تأخذونه فان فینا اهل البیت فی کل خلف عدولا ینفون عنه تحریف الغالین و انتحال المبطلین و تأویل الجاهلین».

الشرح

الحدیث لغة یرادف الکلام، سمی به لانه یحدث شیئا فشیئا ، و فی الاصطلاح کلام خاص عن النبی صلی الله علیه واله او الامام او الصحابی او التابعی ومن یحذو حذوه یحکی قولهم او فعلهم او تقریرهم ، وبعض المحدثین لایطلق اسم الحدیث الا علی ماکان عن المعصوم.

والانتحال من النحلة وهی النسبة بالباطل، و نحلت القول من باب منع نحلا اضفت الیه قولا قاله غیره و ادعیته علیه، و انتحل فلان شعر غیره او قول غیره ادعاء

۱ــ ابن المطلب «کش ــ جش ــ ست ــ جخ».

۲ــ له کتب عند السندی ابن محمد و ابراهیم بن هاشم و سهل بن حاد (رجاء) الشیبانی (الصنعانی ــ ست) «جامع الرواة».

۳ــ علمکم هذا (الکافی).

لنفسه وتنحله مثله، وفلان منتحل مذهب كذا وقبيلة كذا اذا انتسب اليه، قوله عليه السلام: ان العلماء ورثة الانبياء.

اعلم ايها الطالب الذكى الفهم اضاءالله قلبك بانوار العلم والعرفان: انه كما ان الولادة قسمان: احديهما الصورية وهى المعروفة عندالناس فى هذه النشأة البدنية والاخرى المعنوية و هى ولادة الروح فى النشأة الباطنة، و اشار المسيح على نبينا واله وعليه السلام الى الولادتين جميعا بقوله: لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين، فكذا الوراثة قسمان: مالية و علمية، والانبياء عليهم السلام من حيث كونهم انبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً بل ميراثهم هوالعلم والكلام. فوراثهم لايكونوا الا العلماء.

وقد اختلفوا فى معنى ال النبى صلى الله عليه و اله، فالاكثر على انهم اهل بيته، و استدل الشافعى بما روى فى الحديث عنه صلى الله عليه و اله: لاتحل الصدقة لمحمد و ال محمد صلى الله عليه و اله، على ان ال محمد صلى الله عليه و اله هم الذين حرمت عليهم الصدقة و هم صلبة بنى هاشم و بنى المطلب وقيل: اصحابه ومن امن به، وهو فى اللغة يقع على الجميع.

قال بعض الفضلاء المتأخرين فى معرض تحقيق الال ما حاصله: ان ال النبى صلى الله عليه واله كل من يؤل اليه وهم قسمان: الاول من يؤل اليه مآلا صورياً جسمانياً كاولاده و من يحذوحذوهم من اقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة فى الشريعة المحمدية، والثانى من يؤل اليه مآلا معنويا روحانياً وهم اولاده الروحانيين من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكوة انواره، سواء سبقوه بالزمان او لحقوه.

ولاشك ان النسبة الثانية اكد من الاولى، و اذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور كما فى الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين، و كما حرم على اولاده الصوريين الصدقة الصورية حرم على الاولاد المعنويين الصدقة المعنوية اعنى تقليد الغير فى العلوم والمعارف. انتهى ملخص كلامه.

قوله عليه السلام: و انما اورثوا احاديث من احاديثهم، اى احاديث هى بعض من

كل احاديثهم، و كما ان المواريث الصورية متفاوتة فى القدر و العدد حسب تفاوت القرابة، فكذا فى هذه الوراثة المعنوية من كان اكثر نصيباً و اوفر استفادة من النبى صلى‌الله عليه و اله كان اشد قرابة و اكد نسبة، وليس المراد من اخذ الاحاديث عنهم عليهم‌السلام مجرد حفظ الالفاظ الكتابية فان ذلك شىء قليل النفع ليس من الميراث العلمى بشىءٍ بل اللفظ من الدنيا والاخذ به يشبه الميراث الصورى، وانما المراد اخذ معانيها العلمية و مطاويها العقلية و مضامينها الحكمية كمادل عليه قوله عليه‌السلام: فمن اخذبشىء منها فقد اخذ حظاً وافراً، لان قليلا من العلم والمعرفة خير مما طلعت‌الشمس عليه من شرق‌الدنيا الى غربها.

قوله عليه‌السلام: فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه،اى تأملوا فى‌علمكم الذى به‌تكونون من‌جملة العلماء الذين هم من وراث الانبياء فان لكل علم وصنعة بيتاً واهل بيت مخصوص و الائمة المعصومون عليهم‌السلام اهل‌بيت‌النبوة والعلم و اصل‌شجرة العلم المعبرعنه بلسان‌الشريعة بـ «طوبى» فى‌دارهم، والشجرة الخبيثة كناية عن‌العلوم الباطلة و المغاليط الوهمية التى لاحقيقة لها ولاثبات كما قال تعالى اشارة الى‌الاولى: كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى‌السماءِ تؤتى اكلها كل حين باذن ربها (ابراهيم- ۲۴ و ۲۵) وقال فى‌الثانية: كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى‌الحيوة الدنيا وفى‌الاخرة (ابراهيم - ۲۶ و ۲۷)، لاتبديل لكلمات‌الله (يونس -۶۴).

و الشجرة الملعونة فى‌القران التى نزلت فى‌ال ابى سفيان، كناية عن ماينتحل به‌الفجار المنافقون والامراء الباغون والرؤساء المضلون والائمة‌المفسدون، فالمأخوذ من اهل‌بيت النبوة عليهم‌السلام هو ميراث العلم و الاخذون العلم منهم ورثة الانبياء عليهم‌السلام المستضيئون بانوارهم دون من اخذالنصيب من غيرهم، فان ذلك ليس علما ولاحكمة بل ماكان الاجدلا يختصم به طالب المباهاة بالغلبة و الافحام اوفتوى حكومة يستعين بهاالقضاة و غيرهم على‌الحكومة وفصل‌الخصام اوخطابة يتصنع به الواعظ فى‌مجمع‌العوام اوسجعاً مزخرفاً يتوسل به‌الحطام.

وقوله علیه‌السلام: فان فینا اهل البیت فی کل خلف عدولاینفون عنه الی اخره، یعنی ان فینا فی کل مایخلف عن النبی صلی الله علیه واله من العلوم الحقیقیة جماعة عدولا ای امة وسطاً لهم الاستقامة فی طریق الحق من غیر تحریف و لاغلو ولاتقصیر، فینفون عن العلم ویذبون عن الدین تحریف الغالین و اضلال المضلین و یدفعون انتحال المبطلین ای المنتحلین بالشرع علی الوجه الباطل، وهم اکثر المنتسبین الی الشریعة والدین من غیربصیرة ولایقین، و یبطلون تأویلات الجاهلین المؤلین لکلام الله لاعلی طریقة، المحرفین للکلم عن مواضعها.

فاهل البیت علیهم‌السلام هم الراسخون فی العلم وعندهم تأویل الاحادیث، واهل الظاهر و القشر بمعزل عن معرفة بطون القران و تأویل الاحادیث. اذ القشر لایعرف الا القشر و اللب لایعرفه الا اولوا الالباب، وهم الذین عبرت ارواحهم عن عالم الصورة والحس الی عالم المعنی و العقل فهم یأخذون العلم عن الله بنور الاحوال و غیرهم یأخذون عن الرجال و لیس سبیلهم الاجمع الاقوال.

واعلم ان الفرق بین اهل البیت علیهم‌السلام اعنی الاولیاء الکاملین وبین غیرهم من العلماء فی باب الوراثة عن النبی صلی الله علیه واله، ان الولی المعصوم من الخطاء لایأخذ العلم الذی هومیراث الانبیاء والرسل الابعد ان یرث الله منهم ثم یلقیه الیه[1]، و اما سائر علماء الرسوم یأخذون العلم خلفاً عن سلف عن خلف حتی ینتهی الی النبی صلی الله علیه واله اوالی الوارث الالهی وهکذا الی یوم القیامة فیبعد النسب.

و اما الاولیاء علیهم‌السلام فهم یأخذون میراث الانبیاء علیهم‌السلام عن الله من حیث کونه ورثة وجادبه علی هؤلاء، فهم ورثة الرسل و رواة الاحادیث عنهم بمثل هذا السند العالی المحفوظ الذی لایأتیه الباطل من بین یدیه ولامن خلفه تنزیل من حکیم حمید. (فصلت ـ ۴۲).

۱ـ ای یرث الله تعالی من الانبیاء ثم یلقی ای الحق تعالی هذا العلم الی الولی المعصوم.

ولاجله قال بعض اهل الحق[1] اخـذتم علمکم میتا عن میت واخذنا علمنا عن الحی الـذی لایموت. و قال‌الله تعالی لنبیه فی مثل هـذا المقام بعد ذکر الانبیاء علیه و علیهم السلام فی سورة الانعام: اولئك الذین هدی‌الله فبهدیم اقتده (الانعام ــ ۹۰)، و کانوا قد ماتوا و ورثهم‌الله وهوخیرالوارثین ثم جاد علی النبی صلی‌الله علیه واله بذلك الهدی الذی هداهم به، وهذا عین ما ذکرنا فی علم الاولیاء وهدیهم بهدی النبی وهدی الانبیاءِ علیه وعلیهم صلوات‌الله اجمعین. هذا خلاصة ما ذکره بعض العرفاء[2] وهو تحقیق شریف حقیق بالتصدیق، والله ولی التوفیق.

الحدیث الثالث
وهوالسادس و الاربعون

«الحسین بن محمدعن معلی بن محمد عن الحسن بن علی الوشاء عن حماد بـن عثمان عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام: اذا ارادالله بعبد خیراً فقهه فی الدین».

الشرح

یستفاد من هذا الحدیث ان العلم امر وهبی لایحصل بمجرد العمل والسعی بل یتعلق بمشیةالله. بل الانسان بحسب النشأة الباطنة انواع مختلفة، والعالم مخالف لغیره من افراد البشر مخالفة ذاتیة کمادل علیه قوله تعالی: هل یستوی الذین یعلمون والذین لایعلمون (الزمر ــ۹)، وقول النبی صلی‌الله علیه واله: الناس معادن کمعادن الذهب و الفضة... الحدیث، وقدمرغیر مرة ان المراد من التفقه فی الدین ماذا؟ فلانعیده.

۱ــ هو ابویزید البسطامی قدس سره.

۲ــ و هو شیخ‌الاکبر محی‌الدین الاعرابی قدس‌سره فی کتابه المسمی بـ«الفتوحات المکیة».

الحديث الرابع
وهوالسابع و الاربعون

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حمادبن عيسى»، الجهنى البصرى ابومحمد مولى، وقيل: عربى اصله الكوفه وسكن البصرة روى عن ابى‌عبدالله و ابى الحسن و الرضا عليهم السلام ومات فى حيوة ابى‌جعفر الثانى عليه السلام ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا ولاعن ابى‌جعفر عليهما السلام وكان ثقة فى حديثه صدوقا، قال سمعت من ابى‌عبدالله سبعين حديثا فلم ازل ادخل الشك على نفسي حتى اقتصرت على هذه العشرين. دعاله ابوعبدالله عليه السلام بان يحج خمسين حجة فحجها و غرق بعد ذلك «صه»

قال زين المجتهدين: كان الغرق فى غسل احرام الحج الحادى و الخمسين و كان من جهينة، وتوفى سنة تسع ومأتين و قيل ثمان ومأتين بوادى قناة وهو واديسيل من الشجرة الى المدينة وهوغريق الجحفة وله نيف وتسعون سنة «صه» وقال الشيخ فى الفهرست: له كتب، وقال الكشى: اجمعت العصابة على تصحيح مايصح عنه اقرواله بالفقه فى اخرين.

روى الكشى عن حمدويه عن العبيدى عن حمادبن عيسى: قال: دخلت على ابى الحسن الاول فقلت[1]: جعلت فداك، ادع الله ان يرزقنى داراً و زوجاً و ولداً و خادماً و الحج فى كل سنة فقال: اللهم صل على محمد و ال محمد وارزقه داراً و زوجة و ولداً وخادماً والحج خمسين سنة، فلما[2] شرط خمسين سنة علمت انى لااحج اكثر من خمسين سنة، قدرزقت كل ذلك وحججت ثمان واربعين سنة. فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين ثم خرج بعد حاجاً[3]، فلما صار فى موضع الاحرام دخل يغتسل فجاء الوادى[4]

١ــ فقلت له «كش».

٢ــ قال حماد: فلما «كش».

٣ــ بعدالخمسين حاجا «كش».

۴ــ ودى الشيء: سال، ومنه اشتقاق الوادى لسيلان الماء فيه.

فحمله فغرقه الماء رحمه‌الله.

«عن ربعى‌بن عبدالله»، بالباء المنقطة تحتها وبعدها العين المهملة ابن‌عبدالله‌بن جارود[1] بن ابى سبرة بفتح المهملة و سكون الموحدة ابونعيم بصرى ثقة روى عن ابى‌عبدالله و ابى‌الحسن عليهما‌السلام و صحب الفضيل‌بن يسار و اكثر الاخذ عنه و كان خصيصا به «صه» فى الفهرست: روى عنه ابن ابى‌عمير و حمادبن عيسى، قال الكشى: قال محمدبن مسعود : سألت ابامحمد عبدالله‌بن محمدبن خالد الطيالسى عن ربعى‌بن عبدالله فقال: هو ابن‌جارود[1] بصرى ثقة، «عن رجل عن ابى‌جعفر عليه‌السلام قال: الكمال كل الكمال: التفقه فى‌الدين والصبر على‌النائبة و تقدير المعيشة».

الشرح

النائبة هى ماينوب الانسان اى ينزل به من المهمات والحوادث، من ناب عنى فلان‌ينوب منابا اذا قام مقامى، و انتاب فلان‌القوم انتيابا اتاهم مرة بعد اخرى، والنائبة المصيبة، واحدة نوائب الدهر.

قدر على‌الانسان رزقه قدرا مثل قتر و قدر على عياله قدرا مثل قتر ومعناه ضيق، و قدرت الشىء قدرا من‌التقدير، والمراد من تقدير المعيشة ههنا اما الضيق والعسرة و اما كون المعيشة على قدر الكفاية من‌غير تقتير ولا توسعة كما فى قوله تعالى فى‌معرض المدح: والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (الفرقان-۶۷)، و لكل منهما وجه فى اكتساب العلم، فالاول من جهة رياضة النفس و تصفية الذهن و ترقيق القلب والثانى من جهة فراغ البال وقلة الاشتغال بامور الدنيا.

تنبيه و تذكير

جعل عليه‌السلام مجامع الكمالات الانسانية منحصرة فى ثلاثة امور : العلم والصبر وتقدير المعيشة، وذلك لان‌الخير والكمال‌بالحقيقة عبارة عن‌الاحاطة‌بالمعلومات

۱- الجارود «كش - جش - جامع‌الرواة».

والتجرد عن الدنيات، و بهما يحصل التخلق باخلاق الله و التشبه بالملائكة المقربين، اما التفقه في الدين فبه يحصل الاحاطة بالمعلومات.

و اما الصبر فهوعبارة عن ثبات باعث الدين وجنود العقل في مقابلة باعث الهوى وجنود الشهوة، و ذلك لان التجرد المحض للخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشردون الخير سجية اهل الشهوة والهوى كالبهائم والشياطين و الرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشرمن خواص الادميين.

و الانسان خلق في ابتداء الصبى ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه الاقوة الشهوة فليس فيه الاجند الهوى كما في البهائم، ولكن الله فضله و رفع درجته عن درجة البهائم و الشياطين بان وكل له ملكين احدهما يهديه والاخر يقوية، فاختص بصفتين: احديهما قوة معرفة الله ومعرفة رسوله والعلم باليوم الاخر و هو التفقه في الدين و الثانية قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة وهي عبارة عن الصبر، اذبه فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات والتحمل للشدائد والنائبات.

واما التقدير في المعيشة فلان يكون فارغ البال لايهتم بشيء غير طلب العلم للكمال وقمع الاعداء للارتحال، فالاول[1] هو الكمال بالحقيقة والاخيران هما المطلوبان بالتبع لتوقفه عليهما.

الحديث الخامس
وهو الثامن و الاربعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى عن محمدبن سنان عن اسمعيل بن جابر»، الجعفى الكوفى ثقة ممدوح، وماورد فيه من الذم فقد بينا ضعفه في كتابنا الكبير وكان من اصحاب الباقرعليه السلام وحديثه اعتمد عليه «صه» قال النجاشي: ثقة ممدوح له اصول رواها عنه صفوان بن يحيى و هو من اصحاب الباقر عليه السلام روى عنهما عليهما السلام ايضا. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: العلماء امناء و الاتقياء حصون و

۱ـ اى المعرفة.

الاوصياء سادة. وفى رواية اخرى: العلماء منار و الاتقياء حصون و الاوصياءِ سادة».

الشرح

اما كون العلماءِ امناءالله فى ارضه فلانهم حملة لكتابه وحفظة لاسراره و خزنة لحكمته و ليس لغيرهم هذا الشأن حتى يكون اميناً، اذليس من الحمل و الحفظ و الخزانة فى شىء.

و اما كونهم مناراً فى بلاده كما فى الرواية الاخرى فلان بهم يعرف معالم دين الله وسبيل طاعته وطريق رضوانه.

و اما كون الاتقياء حصونا للشريعة فلان بالتقوى يدفع فساد المفسدين. فان مواظبة اهل التقوى و اصحاب الورع على فعل الطاعات وترك المنكرات تؤثر تأثيراً عظيما فى قلوب الناس فلايجترؤن على هتك حرمة الشريعة وهدم حصونها.

واما كون الاوصياء سادة فلانهم اجل العلماءِ وافضلهم و اعظمهم والعلماء سادات الناس، لانهم فى رتبة الانسانية وحقيقة الادمية وهى العقل و التميز والروية والنطق اعظمهم و اكملهم، و الافضل من الافضل اولى بان يكون افضل و اجل، فالاوصياءِ عليهم السلام اولى بان يكونوا سادة الخلائق اجمعين سوى النبيين عليهم الصلوة والسلام.

و السادة جمع السيد من ساد قومه يسودهم سيادة و سودداوسيدودة فهو سيد، وقوم سادة اى جل وعظم عليهم؛ وتقدير سيد فعيل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبائع. و قيل: فعيل، وسوده قومه وهواسود من فلان اى اجل منه، وهذا سيد قومه اليوم و هوسائد قومه عن قليل.

وفى النهاية: فيه انه جاءه[1] رجل فقال: انت سيد قريش فقال: السيد «الله» اى هوالذى يحق له السيادة، كأنه كره ان يحمد فى وجهه واحب التواضع، ومنه الحديث لما قالواله: انت سيدنا قال: قولوا بقولكم اى ادعونى نبياً و رسولا كما سمانى الله تعالى ولاتسمونى سيداً كما تسمون رؤسائكم، فانى لست كاحدهم ممن يسودكم فى

۱ــ جاء رجل الى النبى صلى الله عليه و اله. «النهاية»

اسباب الدنیا.

وفی الحدیث: اناسیدولدادم ولافخر، قاله اخباراً عما اکرمه الله تعالی من الفضل و السوددو تحدثا بنعمة الله عنده و اعلاماً لامته لیکون ایمانهم به علی حسبه وموجبه و لهذا اتبعه بقوله: ولافخر، ای ان هذه الفضیلة التی نلتها کرامة من الله لم انلها من قبل نفسی ولابلغتها بقوتی فلیس لی ان افتخر بها، ومنه کل بنی ادم سید، فالرجل سید اهل بیته والمرأة سیدة اهل بیتها، وفیه قال للانصار: قوموا الی سیدکم، یعنی سعدبن عباده، ارادا افضلکم رجلا، وفی روایة: انظروا الی سیدکم، ای مقدمکم.

الحدیث السادس
و هوالتاسع و الاربعون

«احمدبن ادریس» ابوعلی الاشعری القمی کان ثقة فقیهاً فی اصحابنا کثیر الحدیث صحیح الروایات[1]، «عن محمدبن حسان عن ادریس بن الحسن» مجهول غیر مذکور فی کتب الرجال التی رأیناها. «عن ابی اسحق الکندی عن بشیر الدهان»، روی عن ابی عبدالله علیه السلام وقیل: یسیر بالیاء والسین غیر المعجمة من اصحاب الکاظم علیه السلام «قال: قال ابوعبدالله علیه السلام: لاخیر فیمن لایتفقه من اصحابنا، یا بشیر: ان الرجل منهم اذا لم یستغن بفقهه احتاج الیهم، فاذا احتاج الیهم ادخلوه فی باب ضلالتهم و هولایعلم.

الشرح

لماکانت الفرقة الناجیة الفائزة مذهبهم یخالف مذهب العامة وجماهیر الفرق فی اکثر الاصول کمادل علیه قول الصادق علیه السلام: حدیثنا صعب مستصعب لایحتمله الا ملک مقرب اونبی مرسل اوعبدامتحن الله قلبه للایمان، فلابد للمرء الذی هوشیعی امامی المذهب ان یکون متفقها عارفاً باصول هذا المذهب، عالما بمأخذه وقواعده لیکون

۱ــ کثیر الروایة «جش ــ جامع الرواة».

علی‌بصیرة فی‌دینه، متخلقاً باخلاق الائمة علیهم‌السلام، ناهجاً منهجهم سالکاً طریقهم، و الا لکان اما متحیراً فی‌دینه لما رأی من مخالفته لمذاهـب الجمهور المنتسبین الـی العلم و الفضیلة او داخلا فی‌ضلال اهل الاهواء مفتوناً بطریقة علماء الـدنیا الراغبین الی‌طلب الجاه و الرئاسة الضالین المضلین للخلق.

لانهم لیسوا من دین‌الله ومعرفته ومعرفة الاخرة فی‌شیء ولاخبرلهم من‌مفسدات الاعمال‌ومشوشات‌القلوب‌ومکدراتهاومبعدات‌النفوس‌عن‌الله والدار الاخرة، لاغترارهم بمجرد حفظ الاقـوال و نقل الاخبار و الروایـات وضبط اسامی الرجال، فـوجب ان لایکون المنتحل‌بهذا المذهب عامیا مقلداً من غیربصیرة، بل عارفا فقیهاً متدیناً صالحاً ورعاً معرضاً عن‌الخلق مؤثراً للخلوة مع‌الله بالمناجاة والفکر والصمت.

عن محمدبن احمدبن ابی نصرالبزنطی‌قـال: قال ابوالحسن علیه‌السلام: مـن علامات الفقه الحلم والعلم والصمت.

الحدیث السابع
و هوالخمسون

«علی‌بـن محمد عن سهل‌بن زیاد عن‌النوفلی عـن‌السکونی عـن ابی عبدالله علیه‌السلام عن ابائه علیهم‌السلام قال: قال‌رسول‌الله صلی‌الله علیه واله: لاخیرفی‌العیش الا لرجلین: عالم مطاع[1] ومستمع واع».

الشرح

العیش الحیوة والمراد عیش الاخرة وهی‌العیشة الراضیة، وقدسبق فـی‌الکلام ان حیوة الاخرة لاتحصل الابالعلم، بل‌الحیوة الاخرویة نفس قـوة العلم و الادراك و الیه الاشارة بقوله تعالی: اومن کان میتاً فاحییناه(الانعام ــ۱۲۲)، و اما العمل الصالح فانما یطلب لکونه وسیلة الی‌العلم والمعرفة.

۱ــ او (الکافی).

و اذا تقرر هذا فنقول: الناس على اربعة اقسام: لانه اما جاهل او غير جاهل، و الثانی اما عالم بالفعل اوبالقوة وهو المستمع، و الاول اما جاحد للعلم اوغير جاحد.

و اذا كانت حيوة الاخرة وعيشها بالعلم فالقسمان الاولان[1] من اهل العيشة الراضية والنعمة الباقية الا انها للاول بالذات و للثانی بالتبعية، لان الاول منته الی الغاية و الثانی فی سبيل الهداية. و اما الاخيران فالثالث[2] من اهل النقمة و العذاب والمعيشة الضنك والرابع[3] فی مشيةالله تعالی او فی الرحمة الواسعة.

الحديث الثامن
و هو الحادی والخمسون

«علی بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابی عمير. ومحمدبن يحيی عن احمدبن محمد عن ابن ابی عمير عن سيف بن عميرة عن ابی حمزة عن ابی جعفر عليه السلام قال: عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد».

الشرح

قد علمت ان العقل وهو الصورة المفارقة عن المواد و التغيرات والنقائص و الاعدام و الشرور اقرب المجعولات اليه تعالی و اكرم المفطورات لديه، و الانسان فی اول النشأة عقل بالقوة جسمانی بالفعل، ومن شأنه ان يخرج من القوة الی الفعل و من الظلمة الی النور فيصير عقلا بالفعل بعد ماكان عقلا بالقوة نفساً بالفعل، وانما الشیء الذی به يصير جوهراً نورانياً عقليا بالفعل هو العلم، اعنی الملكة الراسخة الحاصلة للنفس الانسانية عقيب تكرر الادراكات و الانظار العقلية وتكثر التأملات و الافكار العلمية.

۱ــ ای العالم بالفعل او بالقوة.

۲ــ ای الجاحد.

۳ــ ای غير جاحد.

و اذا حصلت تلك الملكة النورية فی قلب المؤمن بـالفيض الربانی يحصل له بصيرة عقلية يتراء ی له حقائق الاشياء كماهی فيراها رؤية عقلية، كمايری صور الاشياء الحسية ببصره الحسی وهو نور يفيض علی العين الصحيحة باشراق الشمس عليها.

فتلك الملكة العلمية اصل كل سعادة وخيرودفع كل شقاوة وشر، و هوغاية كل سعی وحركة ونهاية كل عمل وطاعة، فـای فضيلة و منقبة افضل و اشرف ممايجعل به الحيوان البشری ملكاً مقرباً والجوهر الظلمانی نـوراً عقلياً و الاعمی بصيرا والضال مهدياً هادياً والسفلی علويا والمسجون فی سجين صائراً فی عليين؟

فالعلم هو الاكسير الكبير اذبه يصير القلب الاسود الكاسد نقداً رائجاً فـی سوق الاخرة والحديد القاسی الجامد درة بيضاء بل كوكباً درياً يستضیء بنوره اهل الارض و السماء، و هوالدرياق الفاروق الذی به يفرق بين الحق والباطل وبه يميز الخبيث من الطيب، وهوالنور الذی يحيی به الاموات ويسعی بين ايدی المؤمنين و بايمانهم يوم جزاء الحسنات و السيئات و هـوالقوة التی يقع بها الطيران الی عالم العرش فـوق السموات، و اية نسبة فـی الفضل و الشرف بينه وبين الاعمال و الحركـات و آداب الجوارح فی الطاعات؟

ونسبة العلم الـی العمل كنسبة القلب الی القالب و الروح الی الاعضاء، فحق ان عـالماً ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عـابد، وهذه النسبة ايضاً ای نسبة سبعين الف الی الواحد انما يكون محققة لاجل مافی العبادة من رائحة العلم، اذالنية معتبرة فيها والنية ضرب من المعرفة و الا فلانسبة بين العلم بلانية.

الحديث التاسع
و هوالثانی و الخمسون

«الحسين بن محمد عن احمدبن اسحق» المسمی باحمدبن اسحق رجلان اثنان كلاهما ثقتان احمدهما الرازی من اصحاب الهادی عليه السلام ثقه اورد الكشی مايدل علی اختصاصه بالجهة المقدسة «صه».

حکی بعض الثقات بنیسابور انه خرج لاسحق بن اسمعیل من ابی محمد علیه‌السلام[۱] توقیع: یا اسحق‌بن اسمعیل: الی‌ان قال: فلیئود حقوقنا الی ابراهیم و لیحمل ذلک ابراهیم‌بن عبدة الی‌الرازی رضی‌الله عنة اوالی‌من یسمی‌له الرازی فان ذلک عن امری و رأیی ان‌شاءالله. انتهی. وقداورد من ذلک فی ابن اسحق القمی و یحتمل الاتحاد.

و الثانی القمی و هواحمدبن اسحق‌بن عبدالله‌بن سعدبن مالک‌بن الاحوص الاشعری و کان وافد القمیین روی عن‌الجواد والهادی علیهماالسلام و کان خاصة[۲] ابی‌محمد علیه‌السلام و رأی صاحب‌الزمان علیه‌السلام و هوشیخ القمیین وکان صالحاً ثقة «صه».

و روی الکشی عن ابی محمد الرازی قال: کنت انا و احمدبن ابی عبدالله بالعسکر فورد علینا رسول من‌الرجل فقال لنا: الغائب العلیل ثقة و ایوب‌بن نوح و ابراهیم‌بن محمد الهمدانی واحمدبن حمزة واحمدبن اسحق ثقات جمیعا.

وقال الشیخ فی‌کتاب الغیبة: وقدکان فی زمان السفراء المحمودین اقوام‌ثقات ترد علیهم التوقیعات من‌قبل المنسوبین[۳] للسفارة من الاصل ثم قال: ومنهم احمد بن اسحق وجماعة خرج التوقیع فی‌مدحهم. روی احمدبن ادریس عن محمدبن احمد عن محمدبن‌عیسی عن‌ابی‌محمد الرازی قال: کنت واحمدبن ابی‌عبدالله بالعسکرفورد علینا رسول‌من قبل‌الرجل‌فقال: احمدبن اسحق الاشعری وابراهیم‌بن اسحق‌الاشعری[۴] و ابراهیم‌بن محمد الهمدانی و احمدبن حمزة الیسع ثقات.

و فی ربیع الشیعة: انه من الوکلاء و انه من‌السفراء و الابواب المعروفین

۱ـ حکی بعض ثقات نیشابور انه خرج لاسحق بن اسمعیل بن ابی‌محمد علیه‌السلام «جامع‌الرواة».

۲ـ من خاصة «جامع‌الرواة».

۳ـ المنصوبین «الغیبة».

۴ـ ابراهیم‌بن اسحق الاشعری لیس اسمه فی‌کتابین الغیبة و جامع‌الرواة.

الذین لایختلف الشیعة القائلون بامامة الحسن بن علی علیهما السلام فیهم. و الظاهر ان المذکور ههنا هو الاول لکونه رازیا کالکلینی رحمهما الله، واحتمال الاتحاد ایضاً قوی کمامر. «عن سعدان بن مسلم»، اسمه عبدالرحمن کوفی من اصحاب الصادق علیه السلام قال النجاشی: ابو الحسن العامری مولی ابی العلا کرز بن جعید العامری من عامر ربیعة روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام و عمر عمراً طویلا و قال الشیخ فی الفهرست: له اصل روی عنه محمد بن عذافر وصفوان ابن یحیی و العباس بن معروف وعبدالله بن الصلت القمی واحمد بن اسحق انتهی: «عن معویة بن عمار»، بن ابی معویة خباب بن عبدالله الدهنی مولاهم کوفی، و دهن بضم الدال و اسکان العین من بجلیة هو دهن بن معویة بن مسلم بن اخمس بن العوث بن انمار، کان وجها فی اصحابنا و مقدما کبیر الشأن عظیم المحل ثقة، وکان ابوه عمار ثقة فی العامة وجها یکنی ابا معویة، روی معویة عن ابی عبدالله و ابی الحسن موسی علیهما السلام ومات سنة خمس و سبعین و مائة «صه».

قال الکشی: انه کان یبیع السابری[1] وعاش مائة وخمسا وسبعین سنة، و قال علی بن احمد العقیقی: لم یکن معویة بن عمار عند اصحابنا بمستقیم کان ضعیف العقل مأموناً فی حدیثه وقال النجاشی: یکنی ابا معویة و ابا القاسم و ابا حکیم وکان له من الولد القاسم وحکیم ومحمد وقال فی الفهرست: له کتب روی عنه ابن ابی عمیر و محمد بن سکین وصفوان بن یحیی. «قال قلت لابی عبدالله علیه السلام: رجل راویة لحدیثکم یبث ذلک فی الناس ویشدده فی قلوبهم وقلوب شیعتکم، ولعل عابداً من شیعتکم لیست له هذه الروایة ایهما افضل؟ قال: الراویة لحدیثنا یشد به قلوب شیعتنا افضل من الف عابد».

الشرح

التاء فی الراویة للمبالغة کمافی العلامة والنسابة معناه کثیر الروایة. وبث الحدیث

۱ــ هو ضرب من الثیاب الرقاق تعمل بسابور موضع بفارس.

نشره و اظهاره وفي حديث ام زرع، زوجي لاابث خبره، اى لا انشره لقبح اثاره.

وبث الخبر و اثبه بمعنى وابثثتك سرى اظهرته لك، وبثث الخبر شدد للمبالغة وفيه ايضا الاتبثث حديثنا تبثيثاً. والشدة القوة، وشد عضده اى قواه وشده اى اوثقه فقوله: ويشده في قلوبهم اى يؤكد حديثكم ويقويه في قلوب العامة، وقوله: يشدبه قلوب شيعتنا اى يقوى بسبب بث الحديث عقيدة قلوبهم ويزداد ايمانهم ومحبتهم لنا اهل البيت.

فـان قلت الـوارد في الحديث السابق: ان العالـم المنتفع بعلمه افضل مـن سبعين الف عـابد و في هذا الحديث: ان الراوية للحديث افضل من الف عـابد فما وجه التوفيق بينهما؟ حيث ان مـرتبة الثاني في الفضل جزء من سبعين جزء من مـرتبة الاول فيه.

قلنا: له وجهان: احدهما ان الراوى للحديث لايعتبر في مفهومه ومعناه الاضبط الفاظ الحديث ونقلها اوهما مع فهم مدلولاتها اللغوية، ولايعتبر فيه ان يكـون له علم بحقائق معانيها اوله قوة الفكر والروية في استنباط معانيها العقلية. فليس كل حامل حديث عالماً بما فيه، فليست رتبة الراوى والمحدث و ان حفظ جميع الاحاديث كرتبة العالم و الفقيه، ومع ذلك لايبعد ان يكـون افضل من العابد بالف درجة، لان رواية الـراوى وسيلة لحصول العلم و استفادة المعرفـة و اليقين بخلاف عبادة العابد فـانها لايتعدى خيريتها، ولـو تعدت لـم يتعد بان يصير وسيلة الى حصول علم ومعرفة، فشتان مـابين الوسيلتين: وسيلة العلم ووسيلة العمل كمابين اصليهما.

وثانيهما: ان يكون المراد من الالف اوسبعين الف مجرد الكثرة اللامعدودة و العدد اللامحصور، لاخصوصية المرتبة كماهو المتعارف بين الناس في بيان التفاضـل الفاحش بين شيئين، والله اعلم.

باب اصناف الناس

و هو الباب الرابع، و فيه اربعة احاديث

الحديث الاول

وهو الثالث والخمسون

«على بن محمد عن سهل بن زياد ومحمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى جميعا عن ابن محبوب عن ابى اسامة» هو زيد الشحام بن يونس و قيل: بن موسى و قال زين المتأخرين فى حاشية «صه» جعل ابن داود ابن موسى غير ابـن يونس و انه واقفى وسيأتى فى قسم الضعفاء ماينا سبه. انتهى. وهو ابو اسامة مولى شديدبن عبدالرحمن بن نعيم الازدى الغامدى الكوفى روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ثقة عين «صه» «عن هشام بن سالم» غير معروف ولامذكور فى كتب الرجال، «عن ابى حمزة عن ابى اسحق السبيعى عمن حدثه ممن يثق[1] به قال: سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول: ان الناس الوا بعد رسول الله صلى الله عليه واله الـى ثلاثة: الوا الى عالم على هدى من الله، قد اغناه الله بما علم غيره، وجاهل مدع للعلم لاعلم له معجب بما عنده، و قـد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله و نجاة ثم هلك من ادعى و خاب من افترى».

الشرح

قوله عليه السلام: الوابفتح اللام من ال الشىء يؤل الى كذا اى رجع و صار اليه، وفيه[2]: من صام الدهـر فلاصام ولا ال، اى لارجع الى خير، والاول الرجـوع، و قدمر معنى ال البنى صلى الله عليه واله و هم بالحقيقة الذين الوا اليه فى طريق الهداية ومنهج الحق و اليقين.

الفتنة فى الاصل الامتحان و الاختبار، و افتتن الرجل وفتن فتونا فهو مفتون اذا

۱ـ يوثق (الكافى).

۲ـ اى فى الحديث.

اصابته فتنة فذهب ماله وعقله و كـذلك اذا اختبر، والفاتن المضل عن الحق، و الفتان بالضم جمع الفاتن وبالفتح هو الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين، وفتان مـن صيغ المبالغة في الفتنة: وقد كثرت في الحديث الاستعاذة من فتنة القبر و فتنة الـدجال وفتنة المحيا و الممات و غير ذلك.

وقوله عليه السلام: وقد فتنته الدنيا وفتن غيره، اى قد اضلته الدنيا و اوقعته فى فتنة الجاه والمال وحب الرياسة و هو اضل غيره و اوقعهم فيما وقع فيه مـن المهالك لاستحسانهم ما رأوا منه بسبب اشتهاره بالعلم الظاهر مع افلاس باطنه عن حقيقة العلم و الحال.

ومعنى الحديث: ان الناس كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه واله على قسمين: اما علماء هـادين و اما متعلمين مهتدين لاثالث لهم، فصاروا بعد رسول الله الـى ثلاثة اقسام:

احدها عالم على هدى من الله وبينة من ربه اخذ علمه من الله على وجه الالهام فى القلب و الالقاء فى الروع، لاجرم قد اغناه الله بعلمه الفائض من لدنه من علم غيره.

و ثانيها جاهل القلب مغرور ممكور مـدع للعلم لاجل حفظه للاقـوال و حمله للاسفار اووقوعه فى صحبة المشايخ و الرجال، والحال انه جاهل لاعلم له، وقلبه اعمى لابصيرة له، معجب بما عنده من ظواهر الاقوال وصور الاحاديث او المجادلات الكلامية و المغالطات الفلسفية او الخيالات و التمويهات التصوفية او الخطابات الشعرية التى يجلب بها نفوس العوام وسائـر ما اغترت به علماء الدنيا الـراغبون فى المال والجاه و الصيت والشهرة، فهو من الذين غرتهم الحيوة الدنيا عن الاخرة.

والذين نسوا الله فانساهم انفسهم (الحشر-١٩)، و الذين: يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم... فى قلوبهم مرض فـزادهم الله مرضاً (البقره ٩ و ١٠)، والذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً والذين: ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف -١٠٤) والذين: جائتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (غافر-٨٣)، الى غير ذلك من ذمائم الاخلاق و

الاحوال المذكورة عنهم فى القران.

و ثالثها طالب العلم متعلم ممن علمه‌الله، فهو و ان لم‌يكن بالفعل على هـدى، لكنه واقع على سبيل الهدى و النجاة من العذاب، كما ان العالم على هدى من الله وفضل و رحمة. والحاصل ان الاقسام الثلاثة احدها واصل الى المطلوب والثانى معرض عنه منحرف عن سمته والثالث سالك اليه واقع فى طريقه.

فان قلت: ههنا قسم رابع كما ذكرته فيما سبق، وهو الجاهل الغافل الذى ليس بمتعلم ولا ضال.

قلنا: الكلام فيمن ليس من اهل الضرر والزمانة والنقيصة، بل فيمن كانت لـه قوة الارتقاء الى ملكوت السماء ولان قـوله عليه‌السلام: ان الناس آلـوا بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله، يدل على ان الكلام فيمن كان من الصحابة الذين ادركـوا الخدمة والصحبة و شاهدوا الوحى و رأوا الايات والمعجزات، و مثلهم لايخلو عما يتزين به الانسان او يفتخر به على الاقران اما بحق او شبهة حق.

ثم قال عليه‌السلام بعد ما ذكر الاقسام: هلك من ادعى وخاب من افترى، وانما هلك المدعى للعلم و خاب المفترى على‌الله، لان الحيوة الاخروية والبقاء السرمـدى انما يحصل بالعلم بالله واليوم الاخر و هو الايمان الحقيقى، فالعالم بالفعل حـى بتلك الحيوة و انما يمنعه التحقق بهـا والالتذاذ بمشتهياتهـا الاحتجاب بهذا البدن و هـذه الحيوة الطبيعية، والمتعلم ايضاً حى بالقوة اذفيه استعداد الوصول الى تلك الحيوة و هو على سبيلها.

واما المدعى للعلم مع جهله المشفوع بالغرور والاستكبار المقرون بالاستنكاف عن التعلم مع اللجاج والعناد والفرح بما عنده من شبه العلم فقد ابطل استعداده و ضل عن طريق معاده فهو من الهالكين فـى المآل اذ بطلت قوته فى الحال، و انما خاب و خسر لانه قد فسدت مـرآة قلبه لما ارتكمت عليها مـن القساوات والظلمات و عميت بصيرته بالغشاوات والكدورات كقوله تعالى: بل ران على قلوبهم ماكانـوا يكسبون (المطففين ـ ۱۴)، فطبع على قلوبهم فهـم لايفقهون (المنافقون ـ ۳)، كلا انهم عـن

ربهم يؤمئذ لمحجوبون (المطففين ـ ۱۵).

تبصرة و تذكرة

اعلم ان اكثر هؤلاء غروراً و عجبا جماعة اقتصروا على علم الفتاوى والاحكام و حفظ مسائل الحلال والحرام، و زعموا انه علم الـدين و علم كتاب الله و سنة سيد المرسلين و تركوا علم طريق الاخرة و مجاهدة النفس و تهذيب الباطن عـن ذمائم الاخلاق ونهى النفس عن الهوى و تطهير القلب بالزهد والتقوى عن ارجاس الشهوات و ادناس الخطيئات و رفضوا بالكلية طريق المعرفة والفقه عن الله بادراك عظمته وجلالته و توحيده و تقديسه و ان منه البدء والانشاء و اليه العود والرجعى.

و هـو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع و بـه يقع الاطلاع على حقارة الدنيا و دثورها و فنائها و عظمة الاخرة و دوامها و بقائها و به يحصل الوقوف والعثور على حقيقة البعث والنشور، و ذلك من اغمض المعارف و ادق العلوم واكثر الخلق منه غافلون بل عنه معرضون، قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون (ص‒۶۷و۶۸).

وكثير من القائلين بالبعث على توهمات سخيفة و تخيلات فاسدة او مبهمة، و غاية مـا تخيلوا: ان الموت عـدم والبعث ايجاد مقيد بانه بعد عدم مثل الايجاد الاول، والجميع ضلال و اضلال و غلط و وبال.

فاما ظنهم ان الموت عـدم فهو باطل، بل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهـوا. و ان القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، والميت اما سعيد او شقى، اما السعداء فاولئك ليسوا امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله مـن فضله (ال‌عمران ـ ۱۶۹ و ۱۷۰)، واما الاشقياء فهم ايضا احياء بضرب اخر من الحيوة، و لذلك ناداهـم الرسول صلى الله عليه و اله فى واقعة بدر، ثم لما قال لـه عمر : انهم موتى لايسمعون قال: ما انتم لما اقوله باسمع منهم لكنهم لايقدرون على الجواب، و قال تعالى: النار يعرضون عليها غدواً و عيشاً و يوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب (غافر ـ ۴۶).

و اما ظنهم ان البعث ليس الاايجاداً ثانيا وهومثل الايجاد الاول فهو ايضا غير صحيح، بل البعث انشاء اخر لايناسب الانشاء الاول اصلا، بل للانسان نشآت كثيرة ولوجوده شئونات و تقلبات و حركات جوهرية ذاتية من نشأة الى نشأة و طور الى طور بعد نشأة الدنيا فى القبر و البرزخ و الحشر و العرض الى ان يشاء الله، كماله نشآت فى اطوار الخلقة الى ان انشأه الله خلقا اخر و هو احسن اطوار الخلقة الدنياوية، ولهذا عقب ذكره بقوله سبحانه: فتبارك الله احسن الخالقين (المؤمنون ـ ۱۴)، وقال تعالى: و قد خلقكم اطواراً (نوح ـ ۱۴).

ثم ظهور خاصية الولاية لمن ترزق له نشأة اخرى ثم ظهور نشأة النبوة طور اخر، والله باعث الرسل عليهم السلام كما انه باعث يوم القيامة وكما يعسر على ابن المهد فهم حقيقة التمييز، وماينكشف فى طور العقل من العجائب بعسر فهمه على المميز قبل حصول العقل، فكذلك يعسر فهم طور الولاية و النبوة فى طور العقل الذى عليه اكثر الناس، وكما ان من طباع الناس انكار مالم يبلغوه و لم ينالوه فمن طباعهم ايضا انكار الولاية وعجائبها و النبوة و غرائبها، بل من طباعهم انكار النشأة الثانية و الحيوة الاخرة و هوحيوة العلم وشهود الملكوت، لان نشأة الولاية و النبوة ايضا من ظهور سلطان الاخرة، فمن انكر حقيقة الاخرة فقد انكرهما لامحالة ولم يعرف النبى بماهو نبى و الولى بماهو ولى.

ولاشك ان هؤلاء المغترين بصورة العلم المشعوفين بما عندهم من العلم منكرون لهذه النشآت، اذلاخبر لهم عن العلوم التى هى بالحقيقة علوم وعن المعارف التى اشرنا اليها، فلاجرم اعرضوا عنها وجحدوها استكباراً وعتواً وقالوا مثل ماقال الاولون، واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (الاحقاف ـ ۱۱)، و اكثرهم على طباع السباع و الاساود[۱]، خلقهم الايذاء وطبعهم التفاخر و الاستيلاء على الاقران والتطاول على الناس ولايقصدون العلم الا لضرورة مايلزمهم من المباهاة.

۱ـ اى: الحيات، جمع اسود ـ الاوساد جمع الجمع ـ قال الاعشى:

تناهيتم عنا وقدكان فيكم اساود صرعى لم يسود قتيلها «يعنى بالاوساد شخوص القتلى».

فكل علم لايحصل به المباهاة و التظاهر و التفاخر فلاوقع له عندهم كعلم القلب وعلم سلوك الاخرة ومحو الصفات المذمومة و تبديلها بالمحمودة بل انهم يستحقرونه ويسمونه التزويق[1] والتخييل.

و انما التحقيق عندهم اما معرفة المجادلات الكلامية فى المذاهب و تفاصيل العربدة والنزاع بين ارباب المذاهب واصحاب الدعاوى والخصومات اومعرفة الفروع الخلافية والترجيحات فى قوانين حفظ الابدان والانساب والاموال ، فحفظ الاموال بشروط المعاملات و حفظ الانساب بشروط المناكحات و حفظ الابدان بدفع القتل والجراحات، ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب (البقرة ـ ١٧٩)، وان المال الة وعلف للدابة الماشية فى طريق الله والبدن مركب والنفس راكبة عليه فى الذهاب الى الله كما قال المسيح النورانى على نبينا وآله وعليه السلام.

و زاد الاخرة العلم و التقوى، و انما العلم المهم هو معرفة النفس وحفظها عن المهلكات و المؤذيات ومعرفة زادها وطريقها الى الله و استقامتها على الصراط و معرفة قواطعها وعقباتها التى هى الصفات المذمومة وهى الحجب بينها وبين الله، فاذا مات العبد ملوثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن ربه، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (المطففين ـ ١٥) ومن احتجب عن ربه كان فى عذاب الجحيم، ثم انهم لصالوا الجحيم (المطففين ـ ١٦)، بل كل ميسر لما خلق له، ولاينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم (هود ـ ٣٤)، والله يقول الحق و هو يهدى السبيل (الاحزاب ـ ٤).

الحديث الثانى
و هو الرابع و الخمسون

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد عن الحسن بن على الوشاء عن احمد بن عائذ»، بالذال المعجمة ابوحبيب الاحمسى بالسين الغير المعجمة البجلى مولى

[1] ـ اى التزيين.

ثقة كان صحب اباخديجة سالم بن مكرم و اخذ عنه و عرف به و كان حلالا[1] «صه» قال الكشي: قال محمدبن مسعود: سألت ابا الحسن على بن الحسن بن فضال عن احمدبن عائذ كيف هو فقال: صالح كان يسكن بغداد. و انالم القه.

وفى كتاب الفاضل الاسترابادى: احمدبن عائذبن عائذبن حبيب، فابوحبيب كما فى «صه» سهو من اصحاب الصادق عليه السلام: انتهى. «عن ابى خديجة» اسمه «سالم بن مكرم» بن عبدالله ويقال ابوسلمة الكناسى، يقال صاحب الغنم، مولى بنى اسد الجمال، يقال كنيته كانت ابا خديجة و ان ابا عبدالله سماه ابا سلمة، ثقة ثقة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام، له كتاب روى الحسن بن على الوشاء عنه قاله النجاشى. و سيأتى تتمة شرح احواله عنداسم سالم بن مكرم «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء».

الشرح

الغثاءِ بالغين المعجمة المضمومة و الثاء المثلثة و الالف الممدودة مايجيء فوق السيل ممايحمله من الزبد والوسخ.

و جاء فى كتاب مسلم: كما تنبت الغثائة، يريد به مااحتمله السيل من البزورات. وفى حديث القيامة: كما تنبت الحبة فى غثاء السيل، وقد تكرر فى الحديث اريد اراذل الناس و سقطهم.

والوجه فى حصر اصناف الناس فى هذه الثلاثة: ان لكل نوع من انواع الموجودات الطبيعية، غاية لاجلها خلقت وبها تمامه وكماله، و غاية خلقة الانسان ان يستكمل بالعلم والطاعة ويحيى حيوة ثانية هى حيوة العلم والعرفان وبها يستحق النعيم الدائم والسعادة الابدية.

فالناس اما واصلون الى هذه الغاية وهم العلماء، اى الذين خرجت نفوسهم من القوة الى الفعل فى باب العقل والمعقول لافى باب الادراكات الخيالية او الوهمية و

۱ـ الحل: دهن السمسم. والحلال بياع الشيرج وهو دهن السمسم.

سائر مايعده الجمهور علماً و فضيلة.

واما فی‌طريق الوصول و سبيل‌الهدی، وهم‌المتعلمون الذين اشتغلوا باكتساب العلوم الحقيقية التی يصير النفس بها عقلا وعاقلا بالفعل.

والقسم الباقی هو الذی ليس بواصل الی ماخلق لاجله ولا فی طريق الوصول اليه، فهو من‌الهالكين اذبطل معاده وفسد استعداده، وانما استعير لاسمه‌الغثاء لمشاركته معها فی بطلان الصورة، وفساد القوة التی تحرك المادة الی صورة اخری فوقها هـی غاية الاولی وكمالها، كما فی‌سائر الطبائع التی هـی متوجهة بالفطرة التی فطـرهاالله عليها الی ماهو اشرف منها و اقرب الی جهة الاخرة و دارالبقاء والقرار.

اذ الموجودات كلها علی مراتبها و منازلها فی‌القرب والبعد مـن الحق تعالی، متوجهة نحوه سائرة اليه تعالی مادامت علی صورتها وفطرتها الاصلية. لكن اذافسدت او انسلخت عن صـورتها بعروض عارض‌مفسد كالغثاء ونحوها مـن‌المواد المتعفنة و الصور العاطلة الضائعة، وقفت عن طلب غايتها وتعطلت عن سيرها.

قال تعالی: ولكل وجهة هومو ليها فاستبقوا الخيرات (البقرة ـ ۱۴۸)، الاتری المعادن يستحيل الی اجسام النبات والنبات يستحيل الـی اجسام الحيوان؟ و اشرف الحيوانات هوالانسان، فصورة النبات صـراط ممدود وقد جاوزتها النفس الحيوانية ونجت منها، مامن دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربـی علی صراط مستقيم (هود ـ ۵۶) وصورة الحيوان صراط ممدود وقد جاوزتها النفس الانسانية ونجت منها، و صـورة الانسان صراط مستقيم بين‌النار والجنة واقع علی‌متن جهنم التی قال تعالی فی‌شأنها: و ان منكم الاواردها كان علی ربك حتماً مقضيا ثم ننجی‌الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا (مريم ۷۱ و ۷۲). وهـذه الصورة اخر باب فـی جهنم، فای نفس جـازتها نجت من جهنم و دخلت الجنة التی فيها الصور الخالصة الطاهرة كصور الملائكة و الروحانيين، و الاردت الی اسفل سافلين كما قال تعالی: لقد خلقنا الانسان فی احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين (التين ـ ۴ و۵)... الاية.

فالعلماء الربانيون هـم‌الذين جاوزوا هذه الصراطـات و الحجب، و وصلوا

بحسب المرتبة والمقام الى النعيم المقيم.

و اما المتعلمون منهم المقتدون بهم فهم فى سمتهم سالكون سنتهم سائرون و على اثارهم مقتفون. فان وصلوا الى الغاية وفازوا بالبلوغ الى النهاية فذاك والافاجرهم على الله، ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله (النساء ــ ۱۰۰)، فهؤلاء الاتباع حشرهم مع اولئك الاخيار.

و اما القسم الثالث فان لم يكن جهلهم مقروناً بالعناد و الاستكبار، فهم فى رحمة الله الواسعة والافحالهم كما افصح الله عنه بقوله: والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب و يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون (الانفال ــ ۳۶ و۳۷).

و احسن من هذا البيان و اوضح واصرح من هذا القران النازل من عندالله الرحمن لايكون ولاكان، ولكن الجاهل المغرور بما عنده من القشور عسوف[1] والمحمود على صورة ما فى يده من العلم مشعوف، لظنه ان العلم الممدوح المشكور عندالله و رسله هو الذى اخذه من افواه الرجال، ويحفظ به الأبدان و الانساب و الاموال، و ينتظم به هذه الحيوة بدفع الجراح و القتال، و انه الموجب للشهرة والجاه و التسلط على الاقران والاشباه. ومن يضلل الله فلاهادى له ويذرهم فى طغيانهم يعهمون. (الاعراف ــ ۱۸۶).

الحديث الثالث
وهو الخامس والخمسون

«محمدبن يحيى عن عبدالله بن محمد» كأنه عبدالله بن محمدبن حصين الحصنينى[2] بالحاء المهملة والنون قبل الياء وبعدها الاهوازى روى عن الرضا عليه السلام ثقة ثقة، جرت الخدمة على يده للرضا عليه السلام، اوعبدالله بن محمدبن خالدبن عمر الطيالسى

۱ــ العسف اى الاخذ على غير الطريق. العسوف: الظلوم.

۲ــ حضين الحضينى و قيل: الحصينى العبدى من الاهواز «جامع الرواة».

ابو العباس وهو ايضا ثقة كما في «صه» «عن علی بن الحكم» من اهل الانبار، قال الكشي: عن حمدويه عن محمدبن عيسى ان علی بن الحكم: هو ابن اخت داودبن النعمان بياع الانماط[1] وهو نسيب[2] بنی الــزبير الصيارفة، وعلی بن الحكم تلميذ ابن ابی عمير ولقی من اصحاب ابی عبدالله عليه السلام مثل[3] ابن فضال و ابن بكير «عن علاء بن رزين عن محمدبن مسلم عن ابی حمزة الثمالی قال: قال لی ابوعبدالله عليه السلام: اغد عالماً او متعلما اواحب اهل العلم، ولاتكن رابعا فتهلك ببغضهم».

الشرح

اغد صيغة امر من الغدو بالضم وهو سير اول النهار نقيض الرواح، و قدغدا يغدو غدواً والغدوة ايضاً مابين صلوة الغداة وطلوع الشمس، و قد تكرر فی الحديث اسماً وفعلا و اسم فاعل وغيره، و المراد ههنا مطلق الصيرورة.

ای اصبح عالما اومتعلماً اوكن محبا لاهــل العلم و لاتكن قسماً رابعاً ای غير عالم ولامتعلم ولامحب لهما فتكون من الهالكين ای المعذبين بنار الجحيم.

وقوله عليه السلام: فتهلك ببغضهم، ای بسبب عــداوتك وحسدك لهم باضــافة المصدر الی المفعول، وفيه اشعار بان المنقسم الی هذه الاقسام ما سوی النفوس الناقصة الساذجة عن الدواعی النفسانية و الاغراض و الامراض الباطنية.

و فی بعض النسخ بالعين المهملة و علی تقديــره كان فيه مضاف محذوف، ای بعداوة بعض هذه الثلاثة اوحسده، وتربيع الاقسام فی هذا الحديث لاينافی تثليثها كما فی الحديث السابق، فان القسمين الاخرين ههناداخلان فی القسم الثالث الــذی هناك كما وقعت الاشارة اليه.

۱ــ النمط ضرب من البسط والجمع انماط.

۲ــ وهو ينسب الی «ج. كش».

۳ــ ابی عبدالله (ع) الكثير، وهو مثل «كش».

الحديث الرابع
و هو السادس و الخمسون

«على بن ابــراهيم عن محمدبن عيسى عن يونس عن جميل عن ابــى عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول يغدو الناس على ثلاثة اصناف عالم و متعلم و غثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء».

الشرح

اعلم يا حبيبى ايدك الله: انه يستفاد من هذا الحديث امور قد اكثرنا ذكـرها و كررنا بيانها عند اصحابنا المعاصرين و استبعد عند اكثرهم بل كلهم ما ادعيناه كسائر ماتفردنا بتحقيقه.

منها: ان المراد من العلم الممدوح عندالله ليس مـا اصطلح عليه الجمهور، و سموه فقهاً و اعتقدوا الماهر فيه من علماء الـدين، فان اختصاص العلم بهم عليه السلام ومن يتلوهم من الاولياء الكاملين والعلماء الراسخين كما فى هذا الحديث نص على ان المراد به، العلم الالهى والحكمة الدينية المشار اليها فى القرآن الحكيم فى مثل قوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ـ۴)، وقوله: و من يـؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيراً (البقرة ـ ۲۶۹)، وقوله: فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه (المائدة ـ ۵۴)، ومحبة العبدلله تعالى فرع عرفانه بالله. وظاهر ايضا ان المحبوبين له تعالى لايكونون الاالعلماء الربانيين.

ومنها: ان المراد من شيعة على واولاده عليه وعليهم السلام ليس مجرد المحب لهم بقلبه ولسانه، من غير ان يعرف بماهم عليه من خصائص العلوم الباطنة، والاسرار الغامضة التى هم عليه دون علماء الرسوم، فانهم[1] اهل التأويل والراسخون فــى العلم بخلاف علماء الدنيا الذين هم حملة اسفار ونقلة اخبار وهم المصطلح عليهم عنداولئك المصطفين الاخيار بالعامة، اذ المراد بهم المقتصرون على الظواهر الشرعية المترسمون

۱ـ اى علماء الباطن.

بالعلم، من غير بصيرة قلبية و روية عقلية من اية فرقة كانوا من فرق الاسلام.

ويؤيدهذا ما ذكره الشيخ العارف المحقق عبدالرزاق القاسانی فی كتابه المسمى باصطلاحات الصوفية: العامة هم الذين اقتصرت علومهم[۱] على الشريعة ويسمى علماؤهم علماء الرسوم.

ومنها: ان الايمان عبارة عن معرفة الله ومعرفة الملائكة و الكتب و الرسل و الائمة ومعرفة اليوم الاخر و يندرج فيها معرفة النفس و درجاتها و احوالها و منازلها فی القيامة، والعلم بالقبر و البعث و الحشر و الحساب و الميزان وتطائر الكتب وغير ذلك. وهذه مرتبة عظيمة فوق الاسلام الذی يقع به حقن النفوس و الاموال، وصحة العقود و المناكحات و المعاملات، ولذلك قال تعالی: وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (يوسف ـ ۱۰۳) وقال: قالت الاعراب امنا... (الحجرات ـ ۱۴) الاية، و يدل عليه ايضاً ماورد من الاحاديث فی فضل المؤمن وعظيم منزلته عندالله.

باب ثواب العالم و المتعلم

و هو الباب الخامس وفيه ستة احاديث

الحديث الاول

و هوالسابع و الخمسون

«محمدبن الحسن وعلی بن محمد عن سهل بن زياد ومحمدبن يحيى عن احمد بن محمد جميعا عن جعفر ابن محمد الاشعری، عن عبدالله بن الميمون القداح» بن الاسود[۲] كان يبری القداح[۳] مولى بنی مخزوم روی ابوه عن ابی جعفر و ابی عبدالله عليهما السلام و روی هوعن ابی عبدالله عليه السلام وكان ثقة.

۱ـ اقتصر علمهم (اصطلاحات).

۲ـ الاسود القداح كان يبری القداح، المكی مولی.... (جش ـ جامع الرواة).

۳ـ القدح بالكسر: السهم قبل ان يراش و ينصل و بريت من العود و بريت القلم اذا حسرته و اذهبت لحمه. منه قدس سره.

و روی الکشی عن حمدویه عن ایوب بن نوح عن صفوان بن یحیی، عن ابی خالد القماط عن عبدالله بن میمون عن ابی جعفر علیه السلام قال: یابن میمون کم انتم بمکة؟ قلت: نحن اربعة، قال: انکم نور الله[1] فی ظلمات الارض، قال العلامة فی «صه» هذا لایفید العدالة، لانه شهادة منه علی نفسه لکن الاعتماد علی ما قاله النجاشی.

و روی الکشی عن جبرئیل بن احمد قال: سمعت محمدبن عیسی یقول کان عبدالله بن میمون یقول بالتزید[2]، و فی هذا الطریق ضعف «صه»[3] «و علی بن ابراهیم عن ابیه عن حمادبن عیسی عن القداح عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه و اله: من سلك طریقا یطلب فیه علماً سلك الله به طریقا فی الجنة، و ان الملائکة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاًبه، و انه یستغفر لطالب العلم من فی السماء ومن فی الارض حتی الحوت فی البحر، و فضل العالم علی العابد کفضل القمر علی سائر النجوم لیلة البدر، و ان العلماء ورثة الانبیاء، ان الانبیاء لم یورثوا دیناراً ولا درهما و لکن ورثوا العلم فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر».

الشرح

هذا الحدیث مشتمل علی خمسة احکام فی فضیلة العلم، ونحن نرید ان نبین کل واحد منها ببیان حکمی و برهان عقلی لمی.

اما قوله صلی الله علیه و اله: من سلك طریقا الی قوله: فی الجنة، فالوجه اللمی

۱ــ انکم نور فی... (جش ــ کش).

۲ــ تزید فی شیء: تکلف، وفی الحدیث: تزخرف و زاد علی الحقیقة وقال المامقانی: هو بمعنی اظهار مسلك الزیدیة، وقال الجوهری فی الصحاح: الزید فی الحدیث: الکذب.

۳ــ کتب الشارح بخطه فی الحاشیة: قال زین المجتهدین فی الحاشیة: الذی اعتبرناه بالاستقراء من طریقة المصنف ان ما یحکیه اولا من کتاب النجاشی ثم یعقبه بغیره ان اقتضاه الحال، و علی هذه الطریقة لیخرج قوله، لکن الاعتماد علی ما قاله النجاشی، فانه لم یتقدم للنجاشی قول مصرح، الا ان التوثیق السابق لما کان من النجاشی علی قاعدته اطلق القول بهنا ــ انتهی.

فيه ان الامور على اربعة اقسام : قسم يرضاه العقل ولا يرضاه الشهـوة، و قسم يرضاه الشهـوة ولا يرضاه العقل ، و قسم يرضاه العقل والشهـوة ، و قسم لايـرضاه العقل والشهوة.

فالاول هو الامراض والمكاره فيالدنيا، واما الثانى فهو المعاصى اجمع، واما الثالث فهوالعلم، و اما الرابع فهو الجهل.

فمن اشتغل بالعلم فقد خاض فيجنة حاضرة. اذ الجنة ما تشتهيه الانفس وفيها النعيم، ومـن رضى بالجهل فقد رضى بنار حاضر، اذ الجحيم مايسخطه و يستكرهـه النفس. ثم من اختار العلم و يسلك سبيله يقال له غداً: تعودتِ المقام فيالجنة فادخل الجنة، ومن اكتفى بالجهل يقال له غدا: تعودت بالنار فادخل النار.

والـذى يزيـدك ايضاحاً ان العلم جنة والجهل نار: انكمال اللذة فـى ادراك المحبوب وكمال الالم فيالبعد عن المحبوب، لكن محبوب كل قوة ماهو من جنسه، فلذة البصر ادراك الملونـات و لذة اللمس ادراك الملموسات و لـذة الشهوة ادراك المشتهيات التى من جنسها، فلشهوة البطن المأكولات و لشهوة الفرج المنكوحات و لذة القوة الغضبية بنيل الظفر والانتقام.

و حقيقة الانسان ليست شيئاً من هذه القوى المذكورة و محالها من الجوارح والاعضاء، بل النفس الناطقة الباقية بعد موت هذا البدن الكائن الفاسد، ولها قـوى و حواس اخروية باقية معها و بدن مكتسب كما حقق فى مقامه.

اذا تقرر هذا و تبين ان اللذة ادراك المحبوب والالم ادراك المكروه فنقول:

كلماكان الادراك اغوص و اشد والمدرك اشرف و اكمل و ابقى وانقى وجب ان يكون اللذة اشرف و اشد؛ ولا شك ان محل العلم هـو الروح و هو اشرف مـن البدن، ولاشك انالادراك العقلى اغوص و اشرف، اما انه اغوص من ادراكالحواس، لانه يتعلق بباطن الشيء وظاهره و بحقيقته وعارضه وكنهه و وجهه.

و اما الحواس فيتعلق بظواهرالاشياء و سطوحها و اطرافها، ولاشك انالمعلوم اشرف من المحسوس، لانه هو ربالعالمين و صفاته و مخلوقاته منالملائكة والانبياء

عليهم السلام، والعقول والنفوس وحقائق الانواع الكونية من الافلاك ومافيها وماتحتها، و اوامره و تكاليفه و احكامه و كتبه المنزلة ووعده و وعيده. و اى محسوس اشرف من ذات الله تعالى وافعاله واثاره؟ فثبت ان لالذة ولاكمال فوق لذة العلم وكماله ولاشقاوة ولانقصان فوق شقاوة الجهل و نقصانه.

فاذا ثبت ذلك، ثبت ان كل من سلك طريقا الى العلم سلك طريقا الى الجنة، و ان كل باب فى العلم باب فى الجنة[1].

و اما قوله صلى الله عليه و اله : و ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً به، فتأويله: ان طالب العلم بالله و توحيده شأنه ان يتفكر فى المعقولات و ينتقل من معقول الى معقول حتى ينتهى الى معرفة الله و صفاته و خواصه وكيفية صنعه و ابداعه و امره وخلقه. و اقرب الطرق و اشرفها طريق النفس، فمن عرف النفس انتقل منها الى معرفة العقل وما فوقه بان ينتقل الى عالم الملكوت ومنه الى عالم الجبروت ومنه الى عالم الالهية.

و لفظ الملائكة يطلق على الجواهر القدسية الغائبة عن الابصار و اجنحتها عبارة عن جهاتها و قواها العلمية والعملية شبهت باجنحة الطيور التى بها يقع الطيران الى فوق او تحت؛ و جناح الطائر يده والجوانح الاضلاع ممايلى الصدر وهى جمع الجانحة، قيل: معنى تضع اجنحتها ان تضعها ليكون وطأ له اذا مشى، وهو استعارة بليغة لانتقال النفس بقوتها الفكرية عليها[2] وطيها بقدم العقل، وقيل: هو بمعنى التواضع له تعظيماً لحقه وهو ايضا حسن موجه.

١ـ و اعلم ان فى قوله صلى الله عليه و آله: طريقاً فى الجنة، حيث اورد لفظة «فى» بدل «الى» تلويحاً و اشعاراً لطيفاً الى مانحن بصدد تحقيقه فى كثير من المواضع من ان العارف بمطالعته الحضرة الربوبية فى جنة عرضها السموات والارض بل اوسع و اكبر، لكن اشتغاله بهذا البدن يمنعه عن تمام المشاهدة، فاذا زال العايق فاذن فيها، وغير العارف يحتاج الى سائق وشهيد منفصلين عن ذاته كما فى الدنيا. فلتدرك غوره، ولا اظنك تدرك. منه عفى عنه. كذا بخطه الشريف فى الحاشية.

٢ـ اى على الاجنحة.

و وجه ذلك: انالنفس اذا ادركتها[١] و احاطت بها علماً فكأنها نزلت منسماء ملكوتها ومقامها و وضعت عند نفس العالم حتى وطأتها، و قيل: اراد بوضع الاجنحة نزولهم فىمجالسالعلم؛ والوجه العقلى فيه ما ذكرناه على انا لاننكر تصورها بصورة الطيور الباسطة اجنحتها لطالب العلم باذنالله، الا ان ذلك مجرد احتمال وتجويز غير ثابت، و ما ذكرناه امر محقق.

و اما قوله صلىالله عليه و اله: و انه يستغفر لطالب العلم من فىالسماء و من فىالارض حتى الحوت فىالبحر، فالوجه العقلى فيه: انكل نعمة مننعمالله التى انعم بها على الانسان قد وجب عليه شكرها، ولايمكن الشكر على نعمة ما لم يعرف قدرها، ولايعرف قدر نعمة منالنعم من لم يعلمها ولا مايتوقف عليه مناسبابها وعللها ولاكيفية الانتفاع بها.

ومامن نعمة منالنعم ولو شىءٍ حقير كفتح العين او اقل منه الا ويتوقفوجوده على وجودالاسباب التى لايتناهى، ومن كفر بهكفر بها جميعا، فمن كفر بفتحالعين كفر بنعمةالله فى خلق الاجفان التى من جملتها خلق اطرافها حادة منطبقة علىالحدقةليكون كالمصقلة للمرآة و دافعاً لاصابة الغبار اياها، وقد انصقلت عنالغبارات بتطبيقاطراف الجفن عليها مرة و مرتين و خرجت الاقذار الى زوايا العين ومنها الى الخارج فقد كفر نعمةالله فى خلقالعين وما يتوقف عليه من الموجودات المتسلسلة عرضاً الى ما لايقف، و طولا الى مايقف عندالله.

اذ الاجفان لايقوم الا بالعين والعين لا يقوم الا بالرأس ولا الرأس الا بجميع البدن، ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالارض والماء والهواء والمطر والغيم والسحاب ولا هى الا بالشمس والقمر والنجوم المسخرات بامره، ولايقوم شىء منها الا بالسموات ولاالسموات الا بالملائكة المدبرات، ولايقوم هذه المدبرات الا بحملة العرش واهلالجبروت واللوح المحفوظ والقلم الاعلى.

فان العالم كله كالشخص يرتبط البعض منه بالبعض، فمن يكفر بنعمة التطريفة

١ـ اى الملائكة التى هى الجواهر القدسية.

الواحدة فقدكفر بكل نعمة منه تعالى فى‌الوجود من منتهى العرش الى‌الارض السفلى ومن اعلى الثريا الى تحت الثرى، فلم‌يبق ملك ولافلك ولا حيوان ولا نبات ولا حجر ولا مدر الا ويلعنه و يتبرء منه، ولذلك ورد فى الخبر: ان كل بقعة يجتمع فيها قوم اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم.

فعلى هذا القياس لماكان العالم هوالذى يعرف قدر نعم‌الله عظائمها و دقائقها و ظواهرها و بواطنها و اصولها و فروعها، وما يتوقف عليه مـن‌المبادى والاسباب و ما يترتب عليها من‌الغايات والمسببات ــ وقد عرفت ان افضل ضروب الشكر للنعمة هو معرفتها ــ فلايقدر على شكر نعمة واحدة هى احقر نعم‌الله كفتح عين او تنفس او اكل لقمة او شربة ماء الا الحكيم العالم بكيفية النظام و ارتباط النعم بعضها ببعض، و لهذا قال تعالى: و قليل من عبادى الشكور (سباءــ۱۳)، فكما ان كل من كفر نعمة من نعم‌الله تعالى استحق ان يلعنه كل مـن فى‌السماء والارض حتى الجماد والنبات. فكل من يعلم نعمة من‌الله فحق له ان‌يستغفر له كل ملك فى‌السماء و كل‌حيوان فى‌الارض والماء حتى الحيتان فى‌البحر، فهذا هوالوجه العقلى والسر الحكمى فى‌هذا الكلام.

و اما قوله صلى‌الله عليه و اله : فضل العالم على العابدكفضل القمر على سائر النجوم.

فاعلم ان العلم يطلق على ثلاثة معان: احـدها اضافة بين العالم والمعلوم يشتق منها اسم الفاعـل و اسم المفعول و غيرهما، كالقدرة اذا اريد بها نفس الاضافة اعنى القادرية.

و ثانيها الصورة الحاصلة فى‌النفس من الامر العينى كلياكان ذلك الامر كصورة الانسان و صورة الفرس او جزئيا كصورة زيد و صورة عمرو و صورة هذا الفرس و ذاك الشجر.

و ثالثها الملكة الراسخة التى بها ينكشف المعلومات و يتجلى الحقائق، وهذه كملكة القدرة التى بها يتمكن القادر من فعل مقدوراته متى شاء.

وكذلك فى الابصار ثلاثة امور: اضافة بين البصر والمبصر يقال لها الرؤية، و

صورة حاصلة من المرئى فى العين، و قوة بها[1] يتمكن الحيوان مــن الرؤية متى اراد، فالعلم بالمعنى الاضافى ليس هو المراد ههنا اذ لا وجود له متقرراً، ولا المعنى الثانــى هــو المراد، لانه مطابق للعلوم متحد الماهية معه متكثر بتكثر المعلومــات قابل للتغير والزوال، و لهذا قالت الصوفية: مقام واحد خير من سبعين الف حال.

بل المراد من العلم انما هــو تلك الملكة الحاصلة فــى نفوس العلماء بعد كثرة الافكار والانظار والتأملات والتعقلات ، و هــى تختلف شدة و ضعفا و كمالا و نقصاناً بحسب تفاوت صفاء النفس و كثرة التعقلات والرياضات توفيقاً من الله و تأييداً منه.

ولا شك انها نور عقلى يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده، و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور (النور ـ ۴۰)، و هو الايمان الحقيقى لقوله: الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور (البقرة ـ ۲۵۷)، و به الحيوة الاخروية الدائمة لقوله تعالى: او مــن كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فــى الناس كمن مثله فــى الظلمات ليس بخارج منها (الانعام ـ ۱۲۲)، وقوله: نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم (التحريم ـ ۸).

و هذا النور يتفاوت فى اهل الايمان بقدر تفاوت قوة ايمانهم و تفاوت قربهم من الله، فمنهم من نوره كنور الشمس وهــم الانبياء والاولياء الكاملون عليهم الصلوة والسلام، ومنهم كنور القمر ومنهم كنور اعظم الكواكب ثم اصغر منه وهكذا الى السها و بعدها كانوار النيرانات.

فمنهم من نوره فى القيامة مد بصره ومنهم من نوره عند ابهام قدمه وهو اخرهم، وعلى قياس قوة هذا النور و ضعفه قوة سرعة المشى على الصراط و بطوئه. فمنهم من يمر عليه كلمح البصر[2] او اقرب منه وسنهم كالبرق الخاطف ومنهم كهبوب الريح العاصف و منهم كعدو الفرس الشديد العدو. وهكذا الى ان ينتهى الى قوة من يضع رجله مرة ويكبو اخرى والنار تصيب من اطرافه.

۱ـ فيها. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

۲ـ كطرف العين. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

فلیس النور هناك بكثرة الاعمال انما النور بقدر قـوة العلم والایمان ، و انما یعظم ثواب الاعمال بحسب مالها من النیات و بحسب مـدخلیتها فی اكتساب العلوم والاحوال.

فاذا تقرر ما ذكرنا و تحقق ان مدار الفضل والتفاضل بین العباد عندالله هـو بحصول نـور العلم فی قلوبهم و فیه یقع الموازنة والمفاضلة بمیزان یـوم الحساب فنقول:

لما كـان النور الحسی البصری مثالاً للنور المعنوی العلمـی، والتفاوت بین مراتبه مثال التفاوت بین مراتب ذلك النور، و ان كان التفاوت فیما هناك یبلغ الی حد اللانهایة بخلاف ماههنا لامتناع اللاتناهی فی الاجسام والجسمانیات، فوقع التمثیل فی التفاضل بین علم العالم وعبادة العابد بنور القمر ونور النجوم، وانما یصح هذه المقایسة لما فی العبادة من اشتراط ضرب من العلم المنغمر فی عمل العابد.

و اشترط فی هذا التمثیل ایضاً امران: كـون القمر بدراً لا هلالا ولا فـی حالة التربیع وغیره، وكون البدر واقعا فی اللیلة لافی النهار اذ نور البدر ضعیف فی النهار، واما اللیلة القمراء فاكثر النجوم مضمحلة النور فیها والقلیلة منها فی غایة ضعف النوریة فحینئذ یحصل التقریب فـی هذا التمثیل الذی لبیان التفاوت فی الفضل بین العالـم والعابد.

ثم لایخفی علیك ان المراد بالعالم المذكور فی هذا الحدیث غیر العالم الربانی الذی علمه لدنی حاصل بالموهبة الربانیة كعلوم الانبیاء والاولیاء علیهم السلام كما یدل علیه التمثیل بالقمر، و الا لكان اللائق ان یمثل له بالشمس، لانها التی نـورها مستفاد من افاضة الله تعالی بلاتوسط شیء اخر من نوعه او جنسه بخلاف سائر الاجرام الكوكبیة كالقمر والنجوم، كمـا هـو التحقیق عند حكماء الفرس والاشراقیین و تبعهـم الشیخ السهروردی فی حكمة الاشراق حیث قال:

وهو رخش[1] ای الشمس بلغةالفرس قاهر الغسق رئیس السماء فاعل النهار یعطی جمیع الکواکب ضوئها ولاتأخذ منها.

فاذن الشمس مثال النبی والولی علیهماالسلام و نورها الذاتی مثال‌الله فی هذا العالم، وله المثل الاعلی فی‌السموات (الروم ـ ۲۷)، و انوار الکواکب علی تفاوتها امثلة علوم العلماء المستفادة من علم‌النبی والولی علی‌تفاوت مراتبهم فی‌العلم، والنسبة بین نور القمر و انوار النجوم المختفیة علی‌البصر فی لیلةالبدر مثال فضل العالم علی العابد فلاتغفل. و اما قوله صلی‌الله علیه واله: ان العلماء ورثة الانبیاء... الی اخره، فقد مربیانه علی‌حسب ما فی وسعنا، ومن‌الله التوفیق و العصمة.

الحدیث الثانی
و هوالثامن و الخمسون

«محمدبن یحیی عن احمدبن محمدعن‌الحسن‌بن محبوب عن جمیل‌بن صالح» الاسدی ثقة وجه، روی عن ابی‌عبدالله و ابی‌الحسن علیهماالسلام ذکره ابوالعباس فی‌کتاب الرجال «صه» و قال‌الشیخ: فی‌الفهرست ابن‌صالح الکوفی له اصل، من اصحاب‌الصادق علیه‌السلام. «عن‌محمدبن مسلم عن‌ابی‌جعفر علیه‌السلام قال: ان‌الذی یعلم‌العلم منکم له اجرمثل اجر المتعلم وله الفضل علیه، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه اخوانکم کما علمکموه العلماء».

الشرح

قوله علیه‌السلام: منکم، لیس‌صلة للتعلیم بل‌المراد به‌من جملتکم یعنی الطائفة

۱ـ قال قدس سره فی‌کتاب هیاکل النور: و اشرف الاجسام انورها و هو القدیس الاب الملک هو رخش الشدید قاهر الغسق رئیس السماء فاعل النهارکامل القوی صاحب العجائب عظیم الهیبة الالهیة یعطی جمیع‌الاجرام ضوئها ولایأخذ منها، مثال‌الله الاعظم والوجهه الکبری. و فی برهان قاطع: بضم اول و سکون ثانی: مجهول. و فتح راء بمعنی هوراست‌که نام‌آفتاب عالمتاب است.

الفائزة، اشعاراً بانه‌لاثواب فی‌التعليم والتعلم لغيرهؤلاءِ من‌اصحاب‌المذاهب العامية.

وقوله: كما علمكموه العلماء، الضمير المخاطب للجمع‌هو للمفعول الاول‌لفعل التعليم و الضمير المفرد العائد الی‌الموصول للمفعول الثانی و الفاعل هو لفظ العلماء، وههنا مسائل:

الاولی ان اجر التعليم و التعلم و ثوابهما من قبيل ثواب الاعمال دون ثواب العلم، لان ثواب العلم هوالقرب والمنزلة عندالله، بل‌العلم الذی هوالعلم بالحقيقة هو نفس التقرب الی‌الله و الارتقاءِ اليه.

و اما ثواب الاعمال البدنية فهو علی حسب المشقة والتعب، فافضل الاعمال اشقها و احمزها ولهذا اجر التعليم كاجرالتعلم اوازيد منه بقليل، و هذا معنی قوله: وله الفضل عليه.

والثانية ان التعلم واجب بالسنة و الاجماع و الدليل العقلی، اما الاول فلقوله صلی‌الله عليه واله: طلب‌العلم فريضة علی كل مسلم، وقوله: اطلبوا العلم ولوبالصين، ولمامرمن الاحاديث وقدمر كيفية وجوبه، و ان ای العلوم من فروض‌العين و ايها من فروض الكفاية.

و اما الاجماع فلاتفاق الامة علی ان الكافر يخلد فی‌النار، و الكفر ليس الا الجهل بالتوحيد و النبوة و المعاد، و ان المؤمن يستحق الثواب الدائم و الايمان ليس الا العلم بهذه الاركان، وكلما يوجب استحقاق الثواب الدائم وضده يوجب العذاب الدائم فتعلمه و اكتسابه واجب.

و اما الدليل العقلی فبيانه علی‌الوجه المفصل مذكور فی كتب الحكماء و العرفاء و اجماله: ان النفس الانسانية فی مبدأ تكونها ناقصة بالقوة قابلة للموت و الحيوة و حيوتها بالعلم وموتها بالجهل، فيجب عليها عقلا اكتساب مايوجب حيوتها للابدية و ازالة مايوجب موتها الابدی.

و الثالثة ان المتعلم يجب عليه ان يتعلم من حملة العلم لامن غيرهم و الا لكان كمريض يستعلج من مريض اخر مثله، بل‌مرض النفس و هوالجهل اشد و اقرب الی

الهلاك من مرض البدن، وهلاك النفس ابدى لانه هلاك الذات الانسانية و هلاك البدن هلاك غير ابدى، اذ المادة من شأنها ان تنبعث بصورة اخرى و البدن بمنزلة الة للنفس، و فساد الالة لايوجب فساد الذات المستعملة اياها، فالمريض بمرض الجهل اولى بان يكون طبيبه وهو المعلم عالما بما ينفعه فى الاخرة اويضره حتى لايهلكه هلاكاً ابديا.

الرابعة ان التعليم واجب كما دل عليه قوله عليه السلام: فعلموه من اخوانكم، اذ صيغة الامر ظاهرها تدل على الوجوب، ولقول النبى صلى الله عليه واله: لاتؤتوا الحكمة غير اهلها فتضلوها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم، وقوله: من اخوانكم، اشارة الى الاهل المستحق للتعليم، ولانه كما وجب على كل احد وجوباً على الكفاية تخليص المسلم من الهلاك او العذاب او ارشاده بما يخلصه، فكذلك وجب على كل من يقدر على تعليمه بمايوجب نجاته عن الهلاك الدائم ان يعلمه ويهديه وجوباً على الكفاية بل هذا اولى بالوجوب كما علمت، فثبت ان التعليم واجب عقلا وشرعاً.

و الخامسة انه يجب على المعلم ان يكون تعليمه و ارشاده للمتعلمين مثل ما تعلمه من العلماء الراشدين من غير تحريف ولاتغير ولانقصان اوكتمان للحق كما فعله قوم من احبار اليهود للاغراض النفسانية و المآرب الدنيوية قال تعالى فيهم: و قدكان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون (البقرة ـ ۷۵) و قال: ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (البقرة ـ ۱۵۹).

الحديث الثالث
وهو التاسع والخمسون

«على بن ابراهيم عن احمد بن محمد البرقى عن على بن الحكم عن على بن ابى حمزة»

هذا الاسم مشترك بين رجلين: احدهما على بن حمزة الثمالى و قال الكشى: سألت ابا الحسن حمدويه بن نصير عن على بن ابى حمزة الثمالى والحسين ومحمد اخويه و ابيه فقال:

کلهم ثقات فاضلون؛ والثانی علی بن ابی حمزة سالم البطائی[1] ابوالحسن مولی الانصار قائد ابی بصیر یحیی بن القاسم، وله اخ یسمی جعفربن ابی حمزة روی عن ابی الحسن موسی و ابی عبدالله علیهما السلام وهو احد عمد الواقفة «صه».

قال الشیخ فی الفهرست: له اصل روی عنه ابن ابی عمیر وصفوان.

و قال علی بن الحسن بن فضال: علی بن ابی حمزة کذاب متهم ملعون قد رویت عنه احادیث کثیرة و کتب تفسیر القران کله من اوله الی اخره الا انی لااستحل ان اروی عنه حدیثا واحداً.

قال ابن الغضائری: علی بن ابی حمزة لعنه الله اصل الوقف و اشد الخلق عداوة للولی بعد ابی ابراهیم علیه السلام «صه».

و روی الکشی فی ذمه روایات کثیرة منها عن حمدویه عن الحسن بن موسی عن داودبن محمد عن احمدبن محمد قال: وقف علی ابوالحسن علیه السلام فقال وهو رافع صوته: یا احمد، قلت: لبیك. قال: انه لما قبض رسول الله صلی الله علیه و اله جهد الناس فی اطفاء نورالله فابی الله الا ان یتم نوره بامیرالمؤمنین علیه السلام، فلما توفی ابوالحسن علیه السلام جهد علی بن ابی حمزة و اصحابه فی اطفاء نورالله فابی الله الا ان یتم نوره.

«عن ابی بصیر»، هذا ایضاً مشترك بین رجلین: احدهما لیث بن البختری بالباء المنقطة تحتها نقطة والخاء المعجمة الساکنة والتاء المنقطة فوقها نقطتین المفتوحة والراء المکسورة، المرادی ویکنی ابامحمد.

ایضاً روی الکشی عن حمدویه بن نصیر عن یعقوب بن یزید عن محمدبن ابی عمیر عن جمیل بن دراج قال سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول: بشر المخبتین بالجنة: بریدبن معویة العجلی و ابوبصیر لیث بن البختری المرادی و محمدبن مسلم و زرارة اربعة نجباء[2] الله علی حلاله و حرامه، لولا هؤلاء انقطعت اثار النبوة و اندرست.

۱ـ البطائنی (کش ـ جامع الرواة).

۲ـ نجباء امناء الله (کش).

و قال الکشی: ان ابا بصیر الاسدی احد من اجتمعت العصابة علی تصدیقه والاقرار له بالفقه، و قال بعضهم موضع ابی‌بصیر الاسدی ابوبصیر المرادی و هو لیث المرادی و روی احادیث فی مدحه و جرحه ذکرناها فی کتابنا الکبیر و اجبنا عنها.

و قال ابن الغضائری: لیث‌بن البختری المرادی ابوبصیر کان ابوعبدالله علیه‌السلام یتضجر به و یتبرم[1]، واصحابه یختلفون فی‌شأنه، قال: وعندی ان‌الطعن انما وقع علی دینه لاعلی حدیثه وهو عندی ثقة «صه» قال العلامة: والذی اعتمد علیه قبول روایته و انه من اصحابنا الامامیة للحدیث الصحیح الذی ذکرناه اولا، و قول ابن الغضائری لایوجب الطعن. انتهی.

وفی رجال الفاضل الاسترابادی: لیث المرادی ابن‌البختری ابومحمد و قیل ابوبصیر الاصغر روی عن ابی‌جعفر و ابی‌عبدالله علیهما‌السلام، قاله النجاشی عن ابی عبدالله و ابی‌الحسن علیهما‌السلام کما فی‌الفهرست.

روی الکشی عن الحسین‌بن الحسن بندار القمی قال: حدثنی سعدبن عبدالله عن محمدبن عبدالله المسمعی عن علی‌بن حدید و علی‌بن اسباط عن جمیل‌بن دراج قال سمعت اباعبدالله علیه‌السلام یقول: اوتاد الارض و اعلام‌الدین اربعة: محمدبن مسلم و بریدبن معویة ولیث‌بن البختری المرادی و زرارةبن اعین.

و بهذا الاسناد عن محمدبن عبدالله المسمعی عن علی‌بن اسباط عن محمدبن سنان عن داودبن سرحان قال: سمعت اباعبدالله علیه‌السلام یقول: ان اصحاب ابی کانوا زیناً احیاء و امواتاً، اعنی زرارة و محمدبن مسلم و منهم لیث المرادی و برید العجلی، هؤلاء القوامون بالقسط هؤلاء القوالون[2] و هؤلاء السابقون السابقون اولئك المقربون.

و رواه ایضاً عن محمدبن قولویه عن سعدبن محمدبن عبدالله المسمعی و عن

۱ـ برم بالشیء برماً فهو مثل ضجر ضجراً، فهو ضجروزناً و معناً ـ منه قدس‌سره.
۲ـ القوامون بالصدق (کش ـ جامع‌الرواة).

حمدويه قال: حدثنى يعقوب‌بن يزيد عن ابن ابى عمير عن هشام‌بن سالم عن سليمان بن خالد الاقطع قال: سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: ما اجد احداً احيى ذكرنا و احاديث ابى الازرارة و ابى‌بصير ليث المرادى ومحمدبن مسلم وبريدبن معوية، و لولاهؤلاء ماكان احد يستنبط هذا. هؤلاء احفاظ الدين و امناءِ ابى على حلال‌الله و حرامه وهم السابقون الينا فى‌الدنيا السابقون الينا فى‌الاخرة.

وبهذا الاسناد عن ابن ابى عمير عن جميل‌بن دراج قال: سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول : بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلى و ابوبصير ليث‌بن البخترى المرادى ومحمدبن مسلم وزرارة اربعة نجباءِ امناء الله على حلاله وحرامه لولا هؤلاء لانقطعت اثارالنبوة و اندرست، و روى فى ذمه مالايصلح معارضاً ولا حجة. انتهى كلامه.

والثانى يحيى‌بن القاسم الحذا بالحاء المهملة من اصحاب الكاظم عليه‌السلام يعرف بابى بصير الاسدى مولاهم، و اختلف علمائنا فيه فالشيخ رحمه‌الله قال: انه واقفى، وروى الكشى روايات يتضمن ذلك وقال‌النجاشى يحيى‌بن القاسم ابوبصير الاسدى وقيل ابومحمد ثقة وجه[1] روى عن ابى جعفر و ابى‌عبدالله عليهما السلام كذا قال العلامة فى «صه» وقال ايضاً فيه: والذى اراه العمل بروايته وان‌كان مذهبه فاسدا.

اقول: والظاهر انه المراد فى‌هذا الحديث وكذا المراد من على بن ابى‌حمزة المذكورهوعلى‌بن ابى‌حمزة البطائنى الواقفى، لانه‌كان قائد ابى‌بصيريحيى‌بن‌القاسم كما تقدم وكثيراً ما يروى عنه.

«قال سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: من علم خيراً فله مثل اجر من عمل به،قلت: فان‌علمه‌غيره يجرى ذلك‌له؟ قال: ان‌علمه‌الناس كلهم جرى ذلك‌له، قلت: فان مات ؟ قال: وان مات».

الشرح

قوله يجزى بالجيم و الزاء وعلى صيغة المجهول، ويحتمل ان يكون بالحاء و

۱ــ وجيه (جش).

الراء المهملتين وصيغة المعلوم، وكذا قياس قوله: جرى ذلك.

ومعنى الحديث واضح مكشوف لكن يجب ان يعلم ان المراد بالخير في قوله عليه السلام: من علم خيراً، هو قاعدة كلية في علم من علوم الدين نظرية ليست بديهية ولا بحيث من شأن كل احد ان يتفطن به حتى يظهر وجه صحة الحكم الذى ذكره عليه السلام من ان له اجر من عمل به ولو كان جميع الناس ولو بعد وفاته الى يوم القيامة، اذ لا استبعاد في ان اجر المعلم لقاعدة عقلية دينية كاجور جميع العالمين الى يوم القيامة.

و الدليل على ما ذكرنا انه ورد في الحديث الاتى بدل قوله من علم خيراً قوله عليه السلام: من علم باب هدى، وكذا القياس في مقابل كل منهما اعنى شراً او باب ضلال في ترتب الوزر.

الحديث الرابع
وهو الستون

«و بهذا الاسناد عن محمدبن عبدالحميد» بن سالم العطار ابوجعفر، روى عبدالحميد عن ابى الحسن موسى عليه السلام وكان ثقة من اصحابنا الكوفيين «صه».

قال زين الفقهاء في الحاشية: هذه عبارة النجاشي و ظاهرها ان الموثق الأب لاالابن[1].

اقول: كون الظاهر الاب غير مسلم بل الظاهر ان النعوت المذكورة في مثل هذا الموضع راجعة الى اصل الاسم[2].

«عن العلاءبن رزين عن ابى عبيدة الحذاء» اسمه زيادبن عيسى الكوفى مولى ثقة روى عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام وقال الحسن بن على بن فضال: انه مات في حيوة ابى عبدالله عليه السلام.

١ـ اى السالم لاالعبد الحميد.

٢ـ وهو عبدالحميد.

وقال الکشی: حدثنی احمدبن محمدبن یعقوب قال: اخبرنی عبدالله‌بن‌حمدویه قال: حدثنی محمدبن عیسی‌عن بشیر عن الارقط عن ابـی عبدالله علیه‌السلام قال: لما دفن ابوعبیدة الحذاءِ قال: انطلق بناحتی نصلی علی ابی‌عبیدة، قال: فانطلقنا فلما اتینا[1] الی‌قبره لم یزد علی ان دعـاله فقال: اللهم برد علی ابی‌عبیدة اللهم نـورله قبره اللهم الحقه بنبیه. ولم یصل علیه، فقلت: هـل علی‌المیت صلوة بعدالدفن؟ قال: لا انماهـو الدعاءِ.

وقال السید علی‌بـن احمد العقیقی العلوی: ابوعبیدة زیادالحذاءِ حسن المنزلة عند ال محمد علیهم‌السلام وکان زامل[2] ابا جعفر علیه‌السلام الی مکة له‌کتاب یـرویه علی‌بن رئاب. «عن ابی‌جعفر علیه‌السلام قال: من علم باب هدی فله مثل اجرمن عمل به‌لاینقص اولئك من اجورهم شیئا، ومن علم باب ضلال‌کان علیه مثل اوزار من عمل به ولاینقص هؤلاء من اوزارهم شیئا».

الشرح

قوله علیه‌السلام: بـاب هدی، الهدی الرشاد خلاف الضلالة، و انما یـراد به المبدأ و المنشأ للرشاد لاالمعنی المصدری، ثم ان المراد بالهدی المستعمل المذکور فی‌الکتاب والسنة عندالتحقیق نور عقلی فائض من‌الله علی قلب من استقام علی سبیل المعرفة و الطاعة.

و انما سمی هدی اذبذلك النور یری الاشیاء علی‌ماهی علیه ویهتدی الی‌الحق ویسلك سبیل القرب من‌الله،کما ان بالنور الحسی‌یـری المحسوسات ویهتدی الـی المارب الحسیة‌کما فی‌قوله تعالی: وبالنجم‌هم یهتدون (النحل ــ ۱۶)، و ذلك النور سماه اهل الحکمة العتیقة عقلا بالفعل وهو الایمان الحقیقی، قـال تعالی: ان الهدی هدی‌الله (آل عمرانــ۷۳)، وقال: اولئك علی هدی من ربهم (البقره ــ۵)، وانماسمی

۱ــ انتهینا (کش).

۲ــ الزامل: الرفیق، عادله علی البعیر ای‌رکب هو فی‌جانب من‌المحمل و ردیفه.

القران هدی کما فی قوله عزوجل: ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده (الانعام ـ٥) وقوله: هذا هدى (الجاثية ـ ١١)، لکونه وسيلة اليه تسمية المسبب باسم المسبب.

ولذلك الهدى ابواب متعددة وطرق کثيرة وهى بالحقيقة مسائل علمية و مقاصد دينية اذ کل قاعدة کلية علمية لها مدخل فی تحصيل تلك الملكة النورانية المسماة بالهدى، لانها ان کانت نظرية فلها تأثير بالذات فی تنويرالقلب، وان کانت عملية فلها تأثير بواسطة العمل بها فی صفاءِ الضمير وتهذيب الخاطر وطهارة النفس.

فاذا تقرر ما ذکرناه ظهر لمية قوله عليه السلام من علم باب هدى فله مثل اجر من عمل به، ای اجر کل من عمل به الی يوم القيامة کما يعلم بقرينة قوله عليه السلام: ولاينقص اولئك من اجورهم شيئا وبما ذکر فی غير ذلك من الأحاديث، وکذا المراد بالضلال ظلمة باطنية متراکمة فی النفس لرسوخ الجهالات والاعراض عن سماع الحق وقبول الصدق.

وتلك الملكة النفسانية الظلمانية اصل کل شر وافة فی الدين و انحراف عن سبيل المسلمين وتولی عن الحق واليقين، ولها شعب کثيرة وابواب مختلفة هی ابواب الجحيم، لکل باب جزء مقسوم (الحجر ـ٤٤) کباب الشهوة وباب الغضب و باب الحرص وباب الحسد وباب المکر والخديعة وباب التکبر والعجب وباب طول الامل و الاخلاد الی الدنيا و غير ذلك، فاذن قد ظهر سرقوله: من علم باب ضلال کان عليه مثل اوزار من عمل به.

تذکرة استنارية

اعلم انه ليس المراد من هذا الحديث و امثاله مثل ما روی عن رسول الله صلى الله عليه واله من قوله: ايما داع دعى الی الهدى فاتبع کان له اجر من تبعه لاينقص من اجرهم شیء، و ايما داع دعى الی الضلالة فاتبع کان عليه مثل وزر من تبعه ولاينقص منه شیءٍ، ان الله تعالى يوصل الثواب او العقاب الذی يستحقه الاتباع الی القادة و الرؤساء لقوله تعالى: و ان ليس للانسان الا ماسعی (النجم ـ ٣٩)، وقوله: ولاتزر

وازرة وزر اخرى (فاطر ــ۱۸)، و الالمادخل احد من الناس الجنة الا الرسل عليهم ـ السلام ولادخل النار احد ابداً بل كانت مقصورة على ابليس وحدة.

بل المعنى: ان المعلم الهادى الـواضـع لحسنة اوهــدى يهتدى بــه انما يصدر تعليمه عن نفس ذات صفاء و اشراق كمل نورها، فاشرق على غيرها من النفوس القابلة التابعة لها فاستضاءت بنورهـا، و ذلك الباب العلمى المفتوح منه او السنة المأخــوذة من جملة انوارهــا الفائضة عنها على النفوس التابعة التى اقتبستها، فكـان فــى النفس المتبوعة من الاستكمال بالنور الالهى و الهدى الربانى الذى هــو اصل كل نورورأس كل هدى ماهوفى قوة جميع الانوار المقتبسة عن ذلك القانون العلمى او السنة العملية ومثل لها جميعا، فكان لتلك النفس المتبوعة من الاجر و الثواب مثل ماللتابعين لهامن غير نقصان عن اجورالتابعين.

و كذلك فى جانب السيئات و الضلال، فان المراد: ان الرئيس المضل اذا علم باب ضلال او وضـع سيئة يكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر ذلك الاضــلال او تلك السيئة الاعن نفس قداستولــى عليها ظلمة الجهل المركب المضاد لنوراليقين و صارت ملكة من ملكاتها فتسود وجهها بهعن قبول الانوار الالهية، وصار ذلك حجاباً بينها وبين قبول الرحمة بحيث يكون ذلك فى القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له و المقيدين بهالناشئة عن فتنته واضلاله و اظلامه.

فان تلك الحجب الطارئة على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب الحاصل فى نفسه وهواصلها، فلاجــرم يكون وزره وسيئته فى قوة اوزار اتباعه و سيئاتهم التى حصلت بسبب اضلاله، لاكل سيئاتهم من كل جهة، ولذلك قال تعالى: ومن اوزار الذين يضلونهم (النحل ــ۲۵) اى بعض اوزارهم وهى الحاصلة بسبب المضلين.

وقال الواحــدى: ان «من» فى هذه الاية ليست للتبعيض بــل لبيان الجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم، و ذلك يناقض قــوله صلى الله عليه واله: من غيران ينقص من اوزارهم شىء، وفيه نظر، فان الذى حمله و ان كــان حسناً الا ان الالــزام الذى ذكره غير لازم على كونه للتبعيض، لان القائل بكونها كذلك يقول: ان المراد و

ليحملوا بعض امثال اوزارالتابعين لابعض اعيان اوزارهم.

اعتضاد تمثيلی

ومما يؤيد ما ذكرناه ماورد فی مثل هذا الباب من الاشارة الواردة فی الخبر: ان حسنات الظالم ينتقل الى ديوان المظلوم و سيئات المظلوم ينتقل الى ديوان الظالم، فانك تعلم ان الحسنة والسيئة اعراض و احوال لايمكن نقلها من محل الى محل، فليس ذلك نقلا حقيقياً بل على وجه الاستعارة كما يقال: انتقلت الخلافة من فلان الى غيره.

وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم: حصول امثالها فی قلب الظالم، ونقل حسنات الظالم الى المظلوم: حصول امثالها فی قلبه، و ذلك لان للطاعة تأثيراً فی النفس بالتنوير و للمعاصی تأثيراً فيها بالقسوة و الظلمة، وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية، وبالقسوة و الظلمة، يستعد للبعد و الحجاب عن مشاهدة الجمال الالهی، فالطاعة مورثة لذة المشاهدة بواسطة الصفاء و النور الذی يحدث فی النفس، والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التی تحدث عنها.

وبين الحسنات والسيئات تضاد و تعاقب على النفس كما قال تعالى: ان الحسنات يذهبن السيئات (هود ـ ١١٤)، وقال: ولاتبطلوا اعمالكم (محمد ـ ٣٣)، وقال صلى الله عليه واله: اتبع السيئة بالحسنة تمحها، والالام ممحصات للذنوب، ولذلك قال صلى الله عليه واله: ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التی تصيب رجله، وقال: الحدود كفارات لاهلها.

والظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه مايقسی القلب ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذی يكون من طاعته فكأنه احبط طاعته، والمظلوم يرتاض نفسه وتنكسر شهوته و يستكين قلبه و يرجع الى الله تعالى فيفارقه الظلمة والقسوة التی حصلت له من اتباع الشهوات، فكأن النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم و انتقل السواد والظلمة

من‌قلبه الی قلب الظالـم، و ذلك الانتقال علی‌سبیل الاستعارة كما علمت و كما یقال: انتقل ضوءالشمس من مكان الی‌مكان.

و اعلم ان ذلك النقل و حمل الظالم اوزار المظلوم و ان‌كان امراً حـاصلا فی الدنیا الا انه لمالم ینكشف للبصائر الا فـی‌یوم القیامة، لاجرم خصص بیوم القیامـة، و سیأتی لك بیان وظائف‌المعلم فی‌تعلیمه و وظائف المتعلم فی‌تعلمه فی‌باب بذل‌العلم ان‌شاءالله تعالی.

الحدیث الخامس
و هوالواحد والستون

«الحسین‌بن محمد عن علی‌بن محمدبن سعد» مجهول «رفعه عن ابی‌حمزة عن علی‌بن الحسین علیهما السلام قال: لویعلم الناس ما فی طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، ان‌الله تعالی اوحی الی دانیال: ان امقت عبیدی الی الجاهل المستخف بحق اهل‌العلم التارك للاقتداء بهم، و ان احب عبیدی الـی التقی الطالب للثواب الجزیل اللازم للعلماء التابع للحكماء القائل عن‌الحكماء[1]».

الشرح

السفك الاراقة و الاجراء لكل مائع، یقال سفك‌الـدم، والدمع و الماء یسفكه سفكا، وكأنه بالدم اخص‌وقد تكرر فی‌الحدیث؛ والمهج جمع المهجة وهـی الدم و قیل: دم‌القلب خاصة، وخرجت مهجته‌ای روحه لاستلزام الدم الروح‌الحیوانی لكونه مركبه فكان خروجه خروج الروح.

و الخوض اصله المشی فی‌الماء و تحریكه یقال: خضت‌الماء اخوضه خوضاً، ثم استعمل فی‌التصرف فی‌شیء و الامعان فیه ویقال: خضت‌الغمرات‌اقتحمتها واللجج جمع اللجة بالضم وهی‌معظم‌الماء ومنه بحرلجی.

۱ـ التابع للحلماء القابل عن‌الحكماء (الكافی).

مقته مقتا ابغضه فهومقيت وممقوت، والمقت اشدمن البغض، ونكاح المقت كان فى الجاهلية و هو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه اذاطلقها اومات عنها.

اعلم ان المطلوب كلماكان اعز و اشرف و اجل كان طلبه اكد و اوجب وارتكاب التعب والمشقة فى تحصيله اسهل على النفس واهون. ثم قدلاح لك فيما سبق وسنزيدك وضوحاً: ان قلب الانسان اى نفسه الناطقة ميت بالفعل من شأنه ان يحيى بروح الحيوة الدائمة، و ان حيوته بالعلم و حيوة القلب هى الحيوة الدائمة الذاتية التى لا يمكن زوالها و انقطاعها.

فالعلم اشرف المقاصد و اجل المآرب، فاولى به ان يصرف الهمم فى طلبه و يرتكب المخاطرات و خوض الغمرات فى تحصيله، ثم انا نرى كثيراً من الناس يتعبون انفسهم و يفرغون سعيهم، و يبذلون جهدهم و يقعون فى المخاوف والمهالك و سفك الدماء و خوض اللجج الخضراء كل ذلك فى طلب المال، و هو احد اسباب المعيشة الدنياوية فى مدة قليلة مع مالها من شوائب الافات والعاهات والامراض والمكروهات التى لامحيص عنها. فما بالهم لايرتكبون ادنى مشقة فى طلب العلم وبه الحيوة الابدية من غير شوب افة و خلل؟ وما السبب فى ذلك الا جهلهم بحقيقة العلم و ذهولهم عن شرفه و جلالته ونوره.

ولهذا قال عليه السلام: لو يعلم الناس ما فى طلب العلم.... الى اخره تنبيهاً على ان عدم توجه الخلق الى اكتساب العلم سببه عدم شعورهم بمافيه من الفائدة العظيمة التى لايوجد مثلها فى طلب شىء من الاشياء.

قال بعض الحكماء: القلب ميت و حيوته بالعلم، والعلم ميت اى مفقود عن القلب اولا، و الا فهوعين الحيوة العقلية وهو ضدالموت ولامعنى لاتصاف احدالضدين بالاخر، و حيوته اى وجدانه بالطلب والطلب ضعيف و قوته بالمدارسة، فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب و اظهاره بالمناظرة، واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم، و نتاجه بالعمل، فاذا زوج بالعمل توالد و تناسل ملكاً ابديا لا اخر له، و ان نملة واحدة نالت الرئاسة بمسألة واحدة علمتها وذلك قولها: وهم لايشعرون (النمل-۱۸)، كأنها اشارت

الی تنزیه الانبیاء علیهم السلام عن المعصیة و ایذاء البریء من غیر جرم فقالت: لوحطمکم سلیمان، فانما یصدر منه لانه لم یشعر بکم.

فمن علم حقائق الاشیاء من الموجودات قدیمها و حادثها جواهرها واعراضها، جسمانیاتها و روحانیاتها و ملکها و ملکوتها، و دنیاها و اخراها مشهوداتها ومغیباتها فکیف لایستحق الرئاسة العظمی والخلافة الکبری من الله فی الدین والدنیا؟ وان الکلب المعلم یکون صیده طاهراً مذکی ببرکة العلم مع انه نجس فی الاصل.

فالنفس الطاهرة فی الفطرة الاولی اذا تلوثت باوضار[1] المعصیة کیف لایتطهر ولا یتقدس ببرکة العلم بالله والیوم الاخر حتی ینخرط فی سلك القدیسین و حزب الملائکة المقربین؟

قیل: السارق اذاکان عالما لایقطع یده لانه یقول: کان المال ودیعة لی، وکذا الشارب الخمر یقول: حسبته حلالا فشربتها، وکذا الزانی یقول فی غیر ذات البعل: تزوجتها وفیها حسبتها زوجتی، فانه لایحد.

ومن الدلائل علی فضیلة العلم: ان یوسف علی نبینا و اله و علیه السلام مع ماله من الملك والمال والجاه وحسن الخلق والخلق ذکر منة الله علی نفسه بالعلم حیث قال: و علمتنی من تاویل الاحادیث (یوسف ـ ۱۰۱)، فانت یا عالم : اما تذکر نعمة الله علیك حیث جعلك من اهل تأویل الاحادیث فضلا عن تفسیر ظاهرها ، ومن العارفین باسرار الحقیقة والیقین فضلا عن الواقفین علی الظواهر والقشور من فروع الشریعة والدین؟ و جعلك سمیاً لنفسه و هو العلیم الحکیم؟ و جعل شهادتك قریناً لشهادته و شهادة ملائکته فی باب التوحید حیث قال: شهد الله انه لا اله الا هو والملائکة واولوا العلم؟ (ال‌عمران ـ ۱۸)، و جعلك وارثاً لنبیه؟ لقوله صلی الله علیه واله: العلماء ورثة الانبیاء، و داعیاً لخلقه و سراجاً لاهل بلاده ومناراً فی عباده؟ لقوله تعالی: و جعلنا له نوراً (الانعام ـ ۱۲۲)، وقوله: نورهم یسعی بین ایدیهم و بایمانهم؟ (التحریم ـ ۸).

و قوله صلی الله علیه واله: فضل العالم علی العابد کفضل القمر لیلة البدر علی

۱ـ کذا فی الاصل، والظاهر: اوزار.

سائر الكواكب، وشفيعاً يوم القيامة؟ لما روى عنه صلى الله عليه و اله: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء، واميناً فـى ارضه؟ لقوله صلى الله عليه و اله: العالم امين الله في الارض، وسيداً وقائداً للخلق الى جنته وثوابه وزاجراً لهم عن ناره و عقابه؟ كما قال صلى الله عليه واله: العلماء سادة و الفقهاء قادة ومجالستهم عبادة، وخليفة لنبيه صلى الله عليه و اله؟ كما قال صلى الله عليه و اله: اللهم ارحم خلفائى فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدى يروون حديثى و سنتى.

و من لطائف الشواهد اليقينية على جلالة قدر العالم وارتفاع مكانه: اى مـن اخص الأعمال الباطنية التي يفعلها و يتشبه بـالله المفيض للارواح المحيى للاجساد هـو انه بقوته الفكرية ينزع مـن كل مـادة حسية صورة عقلية مجردة عـن الشوائب الدنيويـة ثم يجعلها مخزونة فـى خزينة مـن خزائن الملكوت يحضرهـا متى شاء باذن الله.

فالعالم الحقيقى الربانى هـو الذى يجرد الماهيات مـن الشخصيات و يأخذ الكليات من الجزئيات، فمن شأنه نزع الارواح من الاجساد و تصويرها تارة فى عالم التعقل بصورة العقليات و تارة اخرى بصورة تحاكيها فـى عالم التمثل من الحسيات، فمن كان هذا صنيعه وديدنه مادام مبتلى بهذه الدار الكائنة المستحيلة الداثرة فعند المفارقة كيف ينحبس فى سجون التعلقات و يتقيد بقيود الشهوات و شبكة الدنيات ؟ و انـى يحشر مع الاموات فى قبور الأبدان الدارسات او يقف على الصراط مدة مكث ذوى الحجبات؟ لا والله، بل هداية الله ادركتهم و جذبة نوره النافذ فى قلوبهم من فوق حجب السموات رفعتهم من منازل السافلين و مواطن المجرمين الى درجات العليين عند ذى العرش اله العالمين.

وتحت كبريائه قوم مصطفون كانوا مدة حيوتهم الدنيوية باسطى ايديهم ينتظرون الرزق السماوى و يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و يلتمسون النور وهم فى ظلمة ليل داج والتوحـد مع الحق، وهـم بعد قرين ازواج ذات تركيب و امتزاج، و لما انفتحت ابصارهم بنور الله وحدوه و عظموه و عبدوه عبادة الاحرار شوقا و طرباً، ففريق عبدوه

عبادةالاجراء او عبيد الغلة، فيطلبون منه غيره من قضاء شهوة او دفع الم، فاولئك ليسوا احباءالله و اوليائه.

واماالعلماء بالله فهم اولياءالله على الحقيقة لانهم قوم يحبهم ويحبونه (المائدة ـ ۵۴)، ولولا وجودهم في الارض لتنوير قلوب الناس و تطهير نفوسهم عن الارجاس والادناس لقذفت السموات وبالا على من في الارض، لانها تطحن بدورانها حبوب الكائنات و مواليد الظلمات ليصير بالتلطيف والتصفية اغذية للصالحات من النفوس العائدات الى جوارالله.

فسبحان الذى برزت له الذوات الصالحات و خرجت من ظلمات الهياكل و مضائق الابدان الى فسحة انوار القدس و اضواء الرحمن. و لنمسك عنان القلم عن صوب هذا النحو من الكلام، لانه مما يشمأز عنه طباع الاكثرين و ربما يحرك سلسلة الحمقى المجانين و لنصرفه الى منهج السماع الحسى. لان الجماهير اطوع للحس والرواية منهم للبرهان والدراية.

فنقول: دلائل فضيلة العلم من طريق النقل عن الكتاب والسنة و اثار السلف كثيرة لايعد ولايحصى و لنذكر جملة منها: اما من الكتاب فوجوه:

الاول: انه تعالى سمى العلم بالحكمة، ثم انه عظم امر الحكمة فى كثير من مواضع القران، فذلك يدل على عظم شأن العلم.

اما بيان الاول: فهو ان المفسرين قالوا: ان الحكمة جاءت فى القران على اربعة وجوه: احدها مواعظ القران قال فى البقرة: و ما انزل عليكم من الكتاب والحكمة (البقرة ـ ۲۳۱)، وفى النساء: وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (النساء ـ ۱۱۳)، يعنى المواعظ، ومثلها فى ال عمران.

و ثانيها: الفهم والعلم قوله: و اتيناه الحكم صبيا (مريم ـ ۱۲)، وفى لقمان: و اتينا لقمان الحكمة (لقمان ـ ۱۲)، يعنى الفهم والعلم، وفى الانعام: اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم (الانعام ـ ۸۹).

و ثالثها النبوة، فى النساء: فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة (النساء ـ ۵۴)،

یعنی النبوة، وفی «ص» و اتیناه الحکمة (ص ـ ۲۰)، یعنی النبوة.

و رابعها القران، فی النحل: ادع الی سبیل ربك بالحکمة (النحل ـ ۱۲۵)، و فی البقرة: و من یؤت الحکمة فقد اوتـی خیراً کثیراً (البقرة ـ ۲۶۹)، و جمیع هذه الوجوه عندالتحقیق یرجع الی العلم.

واما الثانـی: فهو ظاهر مکشوف من صریح القران فـی مواضع الامتنان، ثم تأمل حیث سمی الله الدنیا بحذافیرها قلیلا، قل متاع الـدنیا قلیل (النساء ـ ۷۷)، و ما سماه قلیلا لانحیط بکمیة مقدارها، فما ظنك بما سماه خیراً کثیراً کیف یعلم احد قدره الاالله؟

ثم البرهان العقلی قائم علی قلة الدنیا کماً و کیفا و کثرة الحکمة قدراً و شرفاً، لان الدنیا متناهیة الابعاد و الکمیات و کذا القوی و الکیفیات المتعلقة بها و الحکمة لانهایة لقدرها و عـدتها و مدتها، لانها فـوق الکمیات و وراءِ الاعداد و المـدد، و بها قامت السموات و الارض فی الدنیا و اقیمت القیامة و طبقات الجنات فی الاخرة، فهذا ینبهك علی فضیلة العلم.

الثانی قوله: هل یستوی الذین یعلمون و الذین لایعلمون (الزمر ـ ۹). اعلم انه عزوجل قد فرق فی کتابه بین سبعة امور و اضدادها: فرق بین الخبیث و الطیب فقال: قل لایستوی الخبیث و الطیب (المائدة ـ ۱۰۰)، و بین الاعمی و البصیر، قل هل یستوی الاعمی و البصیر (الرعد ـ ۱۶)، و بین النور و الظلمة و بین الجنة و النار و بین الظل و الحرور. و اذا تأملت وجدت کل ذلك مأخوذاً من الفرق بین العلم و الجهل اما بالحقیقة اوعلی التشبیه و التمثیل.

الثالث قوله تعالی: اطیعوا الله و اطیعوا الرسول و اولی الامر منکم (النساء ـ ۵۹) و المراد منه علی اصح الاقـوال. اما العلماء بالله و الیوم الاخـر عامة او الائمة المعصومون علیهم السلام کما هوعند اصحابنا لانها اعلم العلماء. فالمرجع فی القولین الی العلم و کماله لان الملوك یجب علیهم طاعة العلماء ولاینعکس،ثم انظر الی هذه المرتبة فانه تعالی ذکرهم فی موضعین من کتابه فی المرتبة الثانیه فقال: شهدالله انه لااله الاهو

و الملائكة و اولوا العلم قائما بالقسط (آل عمران ــ ۱۸)، وقال: اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ــ ۵۹) ثم انه زاد فى التعظيم والاكرام فجعلهم فى المرتبة الاولى فى ايتين قال: ومايعلم تأويله الاالله و الراسخون فى العلم (ال عمران ــ۷)، وقال: و كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد ــ ۴۳).

الرابع قوله تعالى: يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ــ ۱۱).

قال بعض المفسرين: انه تعالى ذكر الدرجات لاربعة اصناف: اولها للمؤمنين من اهل بدرو هوقوله: انما المؤمنون الذين اذا ذكرالله وجلت قلوبهم... الى قوله: لهم درجات عند ربهم (الانفال ــ ۲ ــ۴).

الثانية للمجاهدين لقوله: فضل الله المجاهدين... على القاعدين درجة (النساء ــ ۹۵).

والثالثة من عمل الصالحات، قوله: ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاؤلئك لهم الدرجات العلى (طه ــ ۷۵).

و الرابعة للعلماء، والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ــ ۱۱) فالله فضل اهل بدرعلى غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات، ثم فضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب كون العلماء افضل الناس.

الخامس قوله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ــ ۲۸).

اعلم ان الله تعالى وصف العلماء فى كتابه بخمس مناقب: التوحيد و الشهادة: شهدالله... الى قوله: واولوا العلم (ال عمران ــ ۱۸)، و ثالثها البكاء: ويخرون للاذقان يبكون (الاسراء ــ ۱۰۹)، و رابعها الخشوع: ان الذين اوتوا العلم من قبله (الاسراء ــ ۱۰۷)... الاية، و خامسها الخشية: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ــ۲۸).

و اما الحديث فكيثر منها مامر فى طريقنا وماسيأتى ومانحن فيه من قوله عليه ــ

السلام: ان امقت عبیدی الی الجاهل «آه»[1]. فاذا کان الجاهل المستخف بحق العلماءِ التارك للاقتداءِ بهم امقت الناس عندالله و کان التقی الصالح الطالب للثواب الجزیل، فی لزومه للعلماء و اتباعه لهم.

وقوله عنهم: احب الناس الیه تعالی، دل ذلك علی فضل العلم وشرفه اتم دلالة و اوضحه.

ومنها ما فی طریق الجمهور من وجوه: احدها ثابت عن انس قال صلی الله علیه واله: من احب ان ینظر الی عتقاء الله من النار فلینظر الی المتعلمین فوالذی نفسی بیده ما من متعلم یختلف الی باب العلم الا کتب الله له بکل قدم عبادة سنة و بنی له بکل قدم مدینة فی الجنة ویمشی علی الارض والارض یستغفر له ویمسی ویصبح مغفوراً له وشهدت الملائکة لهم بانهم عتقاء الله من النار.

وثانیها عن انس قال رسول الله صلی الله علیه واله: من طلب العلم فهو کالصائم نهاره وکالقائم لیله، و ان باباً من العلم یتعلمه الرجل بمنزلة من یکون له ابوقبیس ذهباً فینفقه فی سبیل الله.

و ثالثها الحسن مرفوعاً: من جائه الموت و هو یطلب العلم لیحیی به الاسلام کان بینه وبین الانبیاء درجة فی الجنة.

و رابعها ابوموسی الاشعری مرفوعا: یبعث الله عباده یوم القیامة ثم یمیز العلماء فیقول: یا معشر العلماء انی لم اضع نوری فیکم الا لعلمی بکم، ولااضع علمی فیکم لاعذبنکم انطلقوا فقد غفرت لکم.

وخامسها قال صلی الله علیه واله: معلم الخیر اذامات بکی علیه طیر الهواءِ و دواب الارض وحیتان البحر.

و سادسها ابوهریرة مرفوعا انه قال: من صلی خلف عالم من العلماء فکأنما صلی خلف نبی من الانبیاء.

وسابعها ابن عامر مرفوعاً: فضل العالم علی العابد سبعین درجة بین کل درجة

۱ــ ای: الی اخره.

حضر الجواد المضمرة[1] سبعين سنة، و ذلك لان الشيطان يضع البدعة للناس فينظرها العالم ويزيلها، والعابد مقبل على عبادته لايتوجه لها ولايعرف بها.

وثامنها الحسن مرفوعا: رحمة الله على خلفائى فقيل يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يحيون سنتى ويعلمونها عبادالله.

وتاسعها قال النبى صلى الله عليه واله: من خرج يطلب باباً من العلم ليرد باطلا الى حق اوضلالا الى هدى، كان علمه كعبادة اربعين عاما.

وعاشرها قال صلى الله عليه واله لعلى عليه السلام حين بعثه الى اليمن: لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما تطلع عليه الشمس اوتغرب.

الحادى عشر ابن مسعود قال صلى الله عليه واله: من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاءِ وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبياً.

الثانى عشر عامر الجهنى مرفوعا: يؤتى بمداد طالب العلم و دم الشهداء يوم القيامة، لايفضل احدهما على الاخر، وفى رواية فيرجح مدادالعلماء.

و الثالث عشر ابو واقد: انه صلى الله عليه واله بينما هوجالس و الناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر: فاما احدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس اليها، واما الاخر فجلس خلفهم، واما الثالث فانه رجع وفر، فلما فرغ من كلامه قال: الا اخبركم عن النفر الثلاثة؟ اما الاول فاوى الى الله فاواه الله، و اما الثانى فاستحيى من الناس فاستحيى الله منه، و اما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه.

والرابع عشر قيل: يا رسول الله اى الاعمال افضل؟ قال: العلم بالله تعالى فقيل: اى الاعمال تزيد[2]؟ قال: العلم بالله، فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال صلى الله عليه واله: ان قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لاينفع مع الجهل.

۱ـ حضر الفرس، اى عدوها. و تضمير الخيل : هو ان يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لاتعلف الا قوتا، و مضمار الفرس: غايته فى السباق، والمعنى: مسافة سبعين سنة تقطعها الخيل المضمرة الجياد ركضاً.

۲ـ اى العلم تريد؟ (المغنى).

الخامس عشر قال النبی صلی‌الله علیه واله: اذا کان یوم القیامة یقول‌الله تعالی للعابدین و المجاهدین: ادخلوا الجنة، فیقول العلماء: ان هؤلاء بفضل علمنا تعبدوا و جاهدوا، فیقول‌الله: انتم عندی کبعض ملائکتی اشفعوا تشفعوا فیشفعون ثم یدخلون[1]، وهذا انما یکون للعلم[2] المتعدی بالتعلیم لاالعلم اللازم الذی لایتعدی.

السادس عشرقال صلی‌الله علیه واله: الدنیا ملعونة ملعون‌مافیها الا ذکرالله‌تعالی وما والاه او معلماً او متعلما.

السابع عشر قال صلی‌الله علیه و اله: ان‌الله تعالــی و ملائکته و اهل‌السموات والارض حتی‌النملة فی‌جحرها و الحوت فی‌البحر لیصلون علی‌معلم‌الناس بالخیر[3].

الثامن عشر: انه صلی‌الله‌علیه واله‌خرج ذات یوم فرأی مجلسین احدهمایدعون الله ویرغبون‌الیه و الثانی یعلمون‌الناس فقال صلی‌الله علیه واله: اما هؤلاء فیسألون‌الله تعالی ان‌شاء اعطاهم و ان‌شاء منعهم، و اما هــؤلاء فیعلمون الناس وانما بعثت معلماً، ثم عدل الیهم وجلس معهم.

والتاسع عشر: لاحسد الافی اثنین: رجل اتاه‌الله حکمة فهو یقضی بها ویعلمها الناس، و رجل اتاه مالا فسلطه علی انفاقه فی‌الحق فهوینفق منه سراً وجهراً.

العشرون: قال صلی‌الله علیه و الــه: نعم‌الهدیة و نعم‌العطیة کلمة حکمة تسمعها فتنطوی علیها ثم تحملها الی اخ لك مسلم تعلمه ایاها تعدل عبادة[4].

فهذه عشرون حدیثا رواها العلماءِ العامة بعضها متفق علیه.

وفی کتاب الاحیاء لابی‌حامد الغزالی. قــال علی‌علیه‌السلام یاکمیل: العلم خیر من‌المال، العلم یحرسك و انت تحرس‌المال، و العلم حــاکم والمال محکوم علیه، و المال تنقصه النفقة والعلم یزکو علی‌الانفاق، وقال علیه‌السلام: العالم افضل من‌الصائم

۱ــ یدخلون الجنة (المغنی).

۲ــ بالعلم (احیاء).

۳ــ الخیر (المغنی).

۴ــ عبادة سنة (المغنی).

القائم المجاهد، و اذامات العالم ثلم فی الاسلام ثلمة لایسدها الاخلف مثله[1]، وقال ایضاً نظما وقیل انه لابنه الحسین علیهما السلام:

الناس من جهة التمثال اکفاء	ابوهم ادم و الام حواءِ
فان یکن لهم فی علمهم شرف	تفاخرون به لا الطین و الماءِ[2]
ما الفخر الا لاهل العلم انهم	علی الهدی لمن استهدی ادلاء
و وزن[3] کل امرىءٍ ماکان یحسنه	والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم تحز طیب الحیوة به[4]	فالناس موتی و اهل العلم احیاء

و اما الآثار فقیل العلماء سرج الازمنه کل واحد مصباح زمانه یستضیء به اهل عصره.

اقول: قدمر ان العلم فی الحقیقة نور عقلی و وجود صوری مجرد عن الجسم و ظلماته وغواشیه، ومثاله فی الشاهد المحسوس هوالنور الحسی الذی یبصر لذاته و یبصر به سائر المبصرات. وکما ان النور المحسوس یتفاوت شدة وضعفاً وکمالا و نقصاً فمراتبه امثلة لمراتب النور العلمی، الا ان من العلم ماهو مجرد عن غیره قائم بذاته بلاماهیة وهوعلم الله تعالی، ومنه ماهومجرد عن المواد و الاجرام، ثابت الذات من غیر تغیر لکن غیربرىء الذات عن الماهیة ولوازمها من الامکان والحاجة الیه تعالی، و هو علم الذوات العقلیة التی هی کلمات الله من الملائکة و الانبیاءِ علیهم السلام و ضرب من الاولیاءِ، ومنه ماهو مع کونه زائداً علی الذات، فهومتغیر زمانی وهوالعلوم النفسانیة الفائضة علی النفوس بواسطة العقول التامة، وهوعلم سائر العلماء علی تفاوته فیهم. اذا تقرر هذا فنقول:

لوکان فی النور الحسی ضوء قائم بذاته لکان مثالا لعلم الله تعالی، والله نور

۱ــ منه(الاحیاء).

۲ــ هذین البیتین لیستا فی الاحیاء.

۳ــ و قدر (الاحیاء).

۴ــ ففز بعلم تعش حیاً به ابدا (الاحیاء).

السموات والارض (النور -٣٥)، و امـا الشمس فمثال لعالـم الملائكـة و الانبياء و الاولياء عليهم السلام: فان علومهم زائدة علـى ذواتهم فـائضة عليهم من الله، ضـرورة كالشمس وضوئها اللازم لهاالابواسطة نيراخر، والكواكب امثلة لعلوم الاولياء المستفادة عن الله بتابعية النبى صلى الله عليه واله على وجه الاعداد لا الايجاد، كانـوار الكواكب عندمن جعلها فائضة من الله تعالى على اجرامها بتبعية نور الشمس بتبعية لازمة.

و امـا النيرات و المصابيح و السرج فانـوارها امثلة لعلـوم العلماء النظار و المجتهدين، لان علومهم ليست مستفادة من الله وملكوته الاعلى كعلوم الانبياء والاولياء عليهم السلام. بل انما هى حاصلة لهم بتعليم بشرى خارجى لاباستفاضة باطنية بطريـق الوحى و الالهام؛ فالمراد من العلماء فى قوله: العلماء سرج الازمنة، هـو العلماء النظار و اهل الأجتهاد؛ و اما سائر المتعلمين و المقلدين فمثالهم فى علمهم الحاصل بالتقليد كمثال نورالارض، نورالجدار والسطح وصحن الدار.

قال ابن مسعود رضـى الله عنه: عليكـم بالعلم قبل ان يـرفـع، و رفعه ان يهلك رواته، فوالذى نفسى بيده ليؤدن رجال قتلوا فى سبيل الله تعالى شهداء ان يبعثهم الله علماء لمايرون من كرامتهم.

وقال يحيى بن معاذ: العلماء ارحم بامـة محمد صلى الله عليه واله من ابـائهم و امهاتهم قيل: فكيف ذلك؟ قال: لان ابائهم و امهاتهـم يحفظونهم من نار الدنيا وهـم يحفظونهم من نار الاخرة.

وقال معاذبن جبل: تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة[1] وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة و بذله لاهله قربة، و هـو الانيس فـى الوحدة والصاحب فى الخلوة، والدليل على الهدى والمصباح فـى السراء والضراء، والدين عند الاخلاء[2] والقريب عند الغرباء والسلاح على الاعداء و منار سبيل الجنة.

١- خشية (المغنى).

٢- والدليل على السراء والضراء والزين عند الاخلاء «الاحياء» وفى نسخة اخرى: والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء.

یرفع الله تعالی به اقواماً فیجعلهم فی الخیر قادة هداة، فیقتدی بهم ادلة فی الخیر تقتص اثارهم و ترمق[1] افعالهم و ترغب الملائکة فی خلتهم و باجنحهتا تمسحهم ، و کل رطب و یابس یستغفر لهم حتی الحیتان فی البحر و هوامه و سباع البر و انعامه و هوام الارض والسماء و نجومها.

لان العلم حیوة القلب من العمی و نور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف، یبلغ به العبد منازل الاخیار والدرجات العلی، و به یطاع الله و به یعبد و به یوحد و به یتورع ویزهد و به توصل الارحام وتعرف الحلال والحرام، و هو امام العمل والعمل تابعه یلهمه السعداء ویحرمه الاشقیاء. والله اعلم.

وسأل ابن المبارك عن[2] الناس فقال: العلماء قیل: فمن الملوك؟ قال الزهاد، قیل: فمن السفیه[3]؟ قال: الذی یأکل بدینه[4].

وانما لم یجعل غیر العالم من الناس لان الخاصیة التی بها میز الانسان عن البهائم هی العلم والانسان، انسان بما هو شریف لاجله، و لیس ذلك بقوة شخصه، فان الجمل اقوی منه، ولابعظمه فان الفیل اعظم منه، ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه، ولاباکله فان الحمار اوسع منه بطناً، ولا بالمجامعة فان اخس العصافیر اقوی علی السفاد منه، بل لم یخلق الا للعلم ولا یشرف الا بذلك.

وقال فتح الموصلی: ألیس المریض اذا منع الطعام والشراب والدواء یموت؟ قال: بلی! قال: کذلك القلب اذا منع العلم والحکمة ثلاثة ایام.

و لقد صدق فان غذاءِ القلب العلم والحکمة و بهما حیوته، کما ان غذاء الجسد الطعام، و من فقد العلم والحکمة فقلبه مریض و موته لازم ولکنه لایشعر. اذحب الدنیا و اشتغاله بحیوة الجسد ابطل احساسه بالموت، و اذا حط عنه موت الجسد اعباء الدنیا

۱ـ ای اطال و ادام النظر.

۲ـ من (الاحیاء).

۳ـ السفلة (الاحیاء).

۴ـ یأکلون الدنیا بدین (الاحیاء).

احس بهلاكه.

وقال الاحنف: كاد العلماءِ ان يكونـوا اربابا، وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل مصيره. و قال ابن ابى الجعد: اشترانى مولاى بثلاثة مائة درهم و اعتقنى، فقلت: باى حرفة احترف؟ فقال: باحسن حرفة فاحترفت بالعلم، فما تمت لى سنة حتى اتانى امير المدينة زائراً فلم اذن له.

وقيل لبعض الحكماء: اى الاشياءِ تقتنى؟ قال الاشياء التى اذا غـرقت سفينتك سبحت معك، يعنى العلم. ولعله اراد بغرق السفينة هلاك البدن بالموت.

و هذا اى تشبيه البدن بالسفينة والدنيا بالبحر يوافق كلام فيثاغورس فى رسالة له فى معاتبة النفس حيث قال: يا نفس ان هذا المركب الذى قد ركبته فى هذا البحر الاعظم جوهره من جوهر هذا الماءِ، انما هذه السفينة مياه جامدة و بالغرور تركبت، ويوشك ان تطلع عليها الشمس فينحل فتعود الى عنصرها و تتركك جالسة على وجهها ان امكنك الجلوس، ولامركب حينئذ الا مااكتسبته من جودة السباحة وحسن التهدى. انتهى.

والمراد ان النفس عند هلاك البدن لا يمكنها الخلاص مـن بحر الطبيعة التى سيبرز فى القيامة نار جهنم الا بسفينة العلم والهدى ولا المشى على الصراط الا بقوتى اليقين والتقوى.

وقيل لاسكندر: ما بالك تحب معلمك اكثر مما تحب لابيك؟ فقال: لان معلمى سبب حيوتى الروحانية الاخروية و ابى وسيلة حيوتى الجسمانية.

ومن وصايا لقمان لابنه يابنى: جالس العلماء و زاحمهم بركبتيك، فانالله يحيى القلوب بنورالحكمة كما انه يحيى الارض بوابل السماء.

و اعلم ان سائـر كتبالله ناطقة بفضل العلم؛ امـا التورية ففيها انه تعالـى قال لموسى عليه‌السلام: عظم‌الحكمة فانى لااجعل الحكمة فى قلب عبد الا واردت اناغفر له، فتعلمها ثم اعمل بها ثم اتركها لى تنال بذلك كرامتى فى الدنيا والاخرة.

واما الزبور، فقال‌الله تعالى يا داود: قل لاحبار بنى اسرائيل و رهبانهم: حادثوا

من الناس الاتقياء ، فان لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء ، فان لم تجدوا فحادثوا العقلاء. فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ماجعلت واحدة منهن فى احد من خلقى و اريد هلاكه.

وانما قدم التقى على العلم لان التقى لايوجد بدون العلم ـ كما بين فى موضعه من ان الخشية لاتحصل الا مع العلم ـ ولاشك ان الموصوف بالامرين اشرف من الموصوف باحدهما، ولهذا السر قدم العالم على العاقل لان كل عالم عاقل ولاعكس كلياً، قال تعالى: و اتقوا الله يعلمكم (البقرة – ٢٨٢).

بل اقول: التقوى يوجب تجرد النفس عن الدنيا والاجرام، والتجرد مستلزم للعلم، وكل مجرد عن المواد ذاتاً و تعلقاً فهو كامل بالفعل.

و اما الانجيل فقال تعالى فى السورة السابعة: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار، اطلبوا العلم و تعلموا فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم ، و ان لم يرفعكم لم يضعكم و ان لم يغنكم فلم يفقركم، و ان لم ينفعكم لم يضركم. ان الله يقول يوم القيامه: يا معشر العلماء، ما ظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا ان ترحمنا و تغفر لنا، فيقول: فانى قدفعلت انى استودعكم حكمتى لا لشر اردته بل لخير اردته بكم، فادخلوا فى صالح عبادى الى جنتى برحمتى.

و قال مقاتل: وجدت فى الانجيل ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى: عظم العلماء و اعرف فضلهم، و انى فضلتهم على جميع خلقى الا النبيين و المرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الاخرة على الدنيا وكفضلى على كل شىء.

و روى عن عيسى عليه السلام انه قال: ان من امة محمد صلى الله عليه واله علماء حكماء كأنهم من الفقه انبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ويدخلون الجنة بلااله الاالله.

و اعلم ان المراد بهذه الكلمة فى مثل هذا الموضع، هو علم التوحيد لامجرد التلفظ بها لسانا او الاخطار بالبال مفهوماً، ولاالتصديق بها تقليداً ولاالاعتقاد بها قلباً بادلة يحررها المتكلم. و ان كان شىء من هذه المقامات، يكتفى به لعامة المكلفين و

يحكم باسلامهم فى الشريعة؛ وعلم التوحيد علم شريف يتشعب منه سائر العلوم، ويختص بدركه اخص خواص هذه الامة كما قيل: جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد اويطلع عليه الا واحد بعد واحد.

و روى مسلم عن رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله انه قال: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء، قال الراوى: فالعلم مرتبة هى واسطة بين النبوة و الشهادة؛ وعنه صلى‌الله عليه و اله: الناس كلهم موتى الا العالمون، والخبر مشهور.

الناس موتى واهل العلم احياء ‏ ‏ ‏ والناس مرضى و هم فيهم اطباء

والناس ارض واهل العلم فوقهم ‏ ‏ ‏ سماء نور وما فى النور ظلماء

و زمرة العلم روح الخلق كلهم ‏ ‏ ‏ و سائر الناس فى التمثيل اعضاء

قال ابوسعيد الخدرى: يقسم الجنة على عشر الاف جزء، تسعة الاف وتسمائة وتسعة وتسعون للذين عقلوا عن‌الله امره، فكان قدر ثوابهم قدر ما قسم لهم من العقول يقسمون المنازل فيها، وجزء للمؤمنين الضعفاء.

وقال اخر وقدنسب الى على عليه‌السلام:

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله ‏ ‏ ‏ و اجسادهم قبل القبور قبور

وان امرءى لم يحيى بالعلم ميت ‏ ‏ ‏ و ليس لهم حتى النشور نشور

وقال سقراط: اذا اقبلت الحكمة خدمت[1] الشهوات العقول، واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات.

وقيل لذيمقراطيس: لاتنظر، فغمض عينيه، قيل له: لاتسمع، فسداذنيه، قيل له: لاتتكلم، فوضع يده على شفتيه، قيل له: لاتعلم، قال: لااقدر.

وانما ارادان البواطن من عالم الملكوت بامرالله لاتندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر و اختيار الظاهر.

ولماكان الانسان بصورته الظاهرة من عالم الخلق و الحدوث كان معزول الولاية عن التصرف فى قلبه، ولهذا قال صلى‌الله عليه و اله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع

١ــ الحكمة اذا اقبلت خدمت «الملل والنحل».

الرحمن يقلبه كيف يشاء، و انما خص ذلك بالمؤمن اذ الكافر لاقلب له. و دل هذا الكلام على فضيلة العلم للتميز الحاصل بين الادراك العقلى و الادراك الحسى.

فالاول امر ربانى لايتصور الانفكاك عنه لمن كان له ولا الاعراض عنه او النسيان له بالاختيار بخلاف الادراكات الحسية، فدل على ان العلم ليس من جنس الحس ولا العقل من عالم البدن.

وقال ارسطو: سلطان العقل على باطن العاقل اشد تحكماً من سلطان السيف على ظاهر الاحمق[۱]، وقال: العقل لايألم فى طلب معرفة الاشياء بل الجسد يسأم و يألم، واخذ يوماً تفاحة فقال: ما الطف قبول هذه الهيولى لصورتها و انفعالها لما يؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ و الروائح والطعوم التى هى دلائل و اثار لروحانياتها حسب[۲] تمثيل النفس لها، كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل. وقيل: والطف منها قبول هذه النفس الانسانية العلامة لصورتها العقلية و انفعالها لمايؤثر العقل الكلى[۳] فيها من العلوم الروحانية حسب تمثيل العقل اياها، وكل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل.

قال الشيخ اليونانى وهومن قدماء الفلاسفة: كما ان البدن الخالى من النفس يفوح منه نتن الجيفة، كذلك النفس الخالية من العلم و الادب يختبر[۴] نقصها بالكلام و الافعال.

اقول: ويظهر خبثها و نجاستها و موتها على مشام اهل العقل ولهذا قال تعالى: انما المشركون نجس (التوبة ـ ۲۸)، وقال: انك لاتسمع الموتى (النمل ـ ۸۰).

و قال افلاطون: علة هبوط النفس الى هذا العالم سقوط ريشها، فاذا ارتاشت ارتفعت[۵] الى عالمها الاول.

۱ـ هذه وما بعدها فى كتاب الملل والنحل من حكم الاسكندر الرومى.

۲ـ فيها من الاوضاع الروحانية: من تركيب بسيط و بسط مركب، حسب «الملل».

۳ـ النفس الكلية «الملل».

۴ـ يحس «الملل».

۵ـ ارتقت (اثولوجيا).

اراد بالريش العلم والمعرفة تشبيهاً للنفس بالطائر ولعلمها بالريش، اذ به يصعد الى عالم الملكوت ولجهلها و خطائها بسقوط ريشها، لانه الموجب لهبوطها.

و قال ارسطاطاليس : من قدر على خلع بدنه و تسكين حواسه و وسواسه و قدر فى فكره الرجوع الى ذاته والصعود بعقله على العالم الاعلى، فيرى حسنه و بهائه ونوره و بقائه.

و ذهب اسكندر الافروديسى وهو احد تلامذة ارسطو الى ان الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هى القوة العقلية و خالف استاذه.

والمتأخرون يثبتون بقائها على هيئات اخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فيستعد بها لقبول هيئات ملكية فى ذلك العالم.

ونحن قد حققنا الكلام فى هذا المرام بما لامزيد عليه فى سائر كتبنا.

و قال زينون الكبير فى رسالة له نقلا عن معلمه ارسطو حكاية عن معلمه افلاطن انه قال: ان شاهق المعرفة اشمخ من ان يطير اليه كل طائر و سرادق البصيرة احجب من ان يحوم حوله كل سائر.

وقال فيثاغورس فى رسالة المسماة بالذهبية: يانفس، اعلمى ان اربعة هى السبب فى هلاك النفس: الجهل والجور والفقر والخوف، فمن بحث عن العلم عدم الجهل، و من ترك المقتنيات[١] الخارجية عدم الجور، ومن ترك الشهوات وعف عنها عدم الفقر، ومن تشوق الى الموت الطبيعى عدم الخوف.

يانفس[٢] هذه رتب جماعة ثلاث فكونى على اشرفها و اجملها.

فادناها رتبة عامل غير عالم كرجل ذى سلاح لاشجاعة لها، و ما عسى يصنع الجبان بالسلاح؟

والرتبة الثانية رجل عالم غير عامل، و هو كرجل شجاع لاسلاح معه و كيف

١ــ اى متخذات لنفسه. يقال قناه يقنوه و اقتناء: اى اتخذه لنفسه دون البيع.

٢ــ اى قال فى عبارة اخرى.

يلقى عدوه ولاسلاح معه؟ غير ان الشجاع على السلاح اقدر من الجبان على الشجاعة[1]، وكذلك عامل غير عالم.

الرتبة الثالثة هى رجل عالم عامل، وهو كرجل ذى شجاعة وسلاح، وهذه ينبغى ان يكون الرتبة الشريفة.

اقول: ههنا دقيقة غفل عنها الاكثرون، وهى ان العلم علمان: علم حر لاتعلق له بالعمل وعلم مقيد متعلق بالعمل.

وبعبارة اخرى: العلم علمان: هو علم وسيلة العمل و مبدأه وعلم هو نتيجة العمل و ثمرته.

و بعبارة اخرى: العلم علمان: علم السلوك و علم الوصول.

اذا تقرر هذا فنقول: ان الذى وقع عليه التقسيم بهذه الاقسام الثلاثة فى كلام هذا الحكيم، انما هو العلم المتعلق بالاعمال والعبادات لا العلم بالمعنى الاخر، و هو العلم الاعلى المطلق الحر الذى سائر العلوم خدمه و عبيده و صاحبه ارفع حالا من ان يؤثر فيه عداوة احد او كيد كائد او حسد حاسد، لان سره مشغول بالحق خارج من عالم الظلمات الى عالم النور، و نفسه اكبر من ان يخرجه زلة بشر او يغويه شيطان مريد.

وقال ايضا: يانفس، انى تأملت اللذات كلها فلم اجد الذمن ثلاثة هى الاصل: الامن و العلم و الغنى. ولكل من هذه الثلاثة اصل وينبوع يحركه، فمن طلب العلم فليذهب الى معنى التوحيد، فانه بالتوحيد يكون المعرفة والعلم وبالتخمين والاشراك يكون النكرة والجهل و الشك، ومن طلب الغنى فليذهب الى رتبة القنوع، فانه حيث لاقنوع لاغناء، و من طلب الامن فليعتقد التحرى بمفارقة عالم الطبيعة و هو الموت الطبيعى.

اقول: لقد صدق هذا الفيلسوف فى قوله بالتوحيد يكون المعرفة والعلم، و ذلك ان من امعن فى النظر وجد ان كل علم وعرفان انما يرجع الى ضرب من التوحيد، و

١ـ اى ويمكن للشجاع تحصيل السلاح بطريق سهلة ولا يمكن للجبان.

انمدار العلم بحقائق الاشياء بالاطلاع على جهة وحدتها، و كل من كان علمه احكم و اقوى و ارفع و اعلى، كان اطلاعه على حقيقة الوحدة اكثر وهو على ارجاع الكثرات الى الوحدة اقدر.

و ايضا كل موجود، هو اشد وحدة و اتم بساطة فهو اكثر جمعية للفضائل و المعانی واوفر احاطة بالموجودات، حتى ان العقل لبساطته كل المعقولات و البسيط الحقيقى كل الموجودات، وهو مع ذلك متفرد عن جميع الاشياء غنى عما عداه.

وقال ايضاً: ان من اصعب الاشياء ان تعمل صناعة الصياغة بالة الفلاحة او صنعة النجارة بالة الخياطة. ولكل صنعة اداة لن يستوى عملها الابها، فمن اراد ان يعمل الخياطة فينبغی ان یرمی من یده الة الفلاحة و يأخذ للخياطة اداتها التى تصلح لها، فكذلك يا نفس ينبغى لمن اراد عمل الآخرة، ان يترك من يده اداة الجهل والشر، فخذی[1] للعلم والخير اداتهما، فانه متى عملتها باداتهما حصلا[2] بغير تعب ولانصب، و اعلمى ان الشهوة والعلم وحب الدنيا والخير لايجتمعان فى قلب ابداً.

فتصوری یا نفس حقيقة هذا، و ان بالعلم تدركين ببصر عقلك اتصالك ببارئك ومناسبتك اياه، فتلتذى بذلك لذة الحق، و انه بالجهل تعدمين ذلك فتنكرينه، و ذلك لعمائك وظلمتك.

وقال ايضا: یا نفس: ان الموت الطبيعى ليس هوشىء غير غنية النفس عن الجسد، فاذا تقررتها فى علمك فتعلمى ان الرجل الحكيم العالم عند حضوره، هوحكيم عالم فی مغيبه[3] لن ينتقل عن حكمته وعلمه اينما توجه واينما سلك. فتنبهى يا نفس لهذا المعنى وتيقنى ايضا بان غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشر يختلفان، لان شجرة الخير لن تثمر الاخيراً وشجرة الشر لاتثمر الا شراً، فقد اتضح ضرورة و عقلا وحساً ان الشیء لايثمر الانوعه وشكله ولايلد الامثله. فهل رأيت حماراً اولد انساناً؟ اوانساناً

۱ـ ای النفس.
۲ـ حصل، النسخة البدل فى الاصل للشارح.
۳ـ عند غيبته. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

اولدفرسا؟

فان اتضحت لك يا نفس هذه المعانى: فاطلبى العلم بحقائق الاشياء و اغرسى شجرة العلم و الخير لينجلى بصرك، فتستثمرى من علمك علماً و من فعلك الخير خيراً ومن استبصارك بصيرة ونوراً وهدى، فتستكنى بذلك المحل الاعلى وتتم لك السعادة القصوى و الراحة الابدية.

اقول: قداشرنا فيماسبق ان المعرفة فى هذا العالم ينقلب مشاهدة وان العلم بحقائق الامور وعظائم الموجودات كالبارى جل اسمه بذر ملاقاتها. فان باطن الانسان و سره يصير فى القيامة ظاهره وعلنه، ويصير بصيرته بصره الذى به يبصر هناك ما علمه ههنا. و كل من كان جاهلاناسياً ههنا، يحشر فى الاخرة اعمى وكل من الف الدنيا ومحسوساتها وشهواتها يحترق فى القيامة بنار الجحيم.

وقال يا نفس: تأملى جوهرك، واعتبرى و اعلمى ان جوهرك جوهر عال شريف، و ذلك لمناسبتها جميع العوالـم، فتارة تنسب الـى عالم الطبيعة فتكون انسانية حسية مشاهدة للمحسوسات، مشافهة للمآكل والمشارب والشهوات وجميع معانى الطبيعة، و تارة تنسب الى عالمها الاخص بها فتكون مدبرة، مستعملة محركة لقوى الوهم والخيال ذات استبحاث وتأمل و اختيار و ارادة.

فهذه المعانى: هى معانى النفس والحيوة المنبثة فى جميع مايحتوى عليه ملكوت النفس، وتارة تنسب الى عالم العقل فيكون منتزعة الصور من الهيولى مدركة للبسائط الاولى مميزة مصورة عاقلة لجميع المعانى الفاردة، و تارة تنسب الـى العالم الالهى فيكون فاعلة للخير والجود امارة به خالية من الشر والجور، حكيمة الافعال متقنة الاعمال.

ومن اوضح الدلالة على انها تنتسب الى العلة الاولى، انها تسمو الى الاحاطة بجميع الاشياء التى تحوى عليه الملكوت الاعظم، و انها لن تلقى مستقرة راضية تامة الرضا دون ان يبلغ العالم العقلى بجميع مافيه، فحينئذ تلقى تامة مستقرة تامة الرضا.

وقال يانفس: ان القليل من العمل مع العلم به خير مـن كثير العمل مع قلة العلم به، انتهى ما استخرجنا من كلام هذا الحكيم.

و قال بعض الفضلاء: لاشك ان الانسان افضل الحيوانات وليست تلك الفضيلة لقوته و صورته، فان كثيراً من الحيوانات يساويه اويزيد عليه، فاذن ليست تلك الفضيلة الا اختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعداً لادراك حقائق الاشياء والاطلاع عليها والاشتغال بعبادة الله على ماقال: و ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (الذاريات ـ ٥٦).

و ايضا الجاهل كأنه فى ظلمة شديدة لايرى شيئا البتة، والعالم كأنه يطير فى اقطار الملكوت و يسبح فى بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال . ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب، و يبالغ فى تقسيم كل منها الى انواعها و انواع انواعها و تحليلها الى اجزائها و اجزاء اجزائها والجزء الذى به يشارك غيره، والجزء الذى به يمتاز عن غير حتى ينتهى فى الضرب الاول الى الاجناس البسيطة العالية، وفى الضرب الثانى الى الفصول البسيطة القاصية، و يعرف اثر كل شيء ومؤثره و مادته و صورته وجنسه و فصله، ولازمه و ملزومه وواحده وكثيره حتى يصير عقله كالنسخة المعقولة المأخوذة من جميع الموجودات اثبت فيها صور جميع المعلومات بتفاصيلها و اقسامها.

فاى سعادة فوق هذه الدرجة سيما وقد علمت ان علوم الانسان يصير فى القيامة اعياناً خارجية فيكون له فى ذاته عالم عظيم مفارق مصفى عن كل درن و ظلمة و افة و شر تحت حيطته وتصرفه يفعل فيه مايريد. وهذا هو الملك الدائم الذى لايزول والجاه الرفيع الذى لايرتفع.

ثم انه بعد صيرورته كذلك تصير مكملة للناقصين جاعلة للنفوس الجاهلة عالمة، فيصير كالشمس فى عالم الارواح سبباً للحيوة الابدية لسائر النفوس. فيكون كبعض الملائكة واسطة بين الله و بين عباده فى نفخ روح الحيوة العقلية على قوابل نفوسهم، و لذا قال تعالى: ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء (النحل ـ ٢)، فالعلم حيوة النفس.

والمفسرون فسروا هذا الروح بالعلم والقران، فكما ان البدن بلاروح اى نفس،

ميت فاسد فكذا الروح بلاعلم ميت. و نظيره قوله تعالى: وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا (الشورى ـ ٥٢)، و قوله: اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نوراً (الانعام ـ ١٢٢)... الاية. فالعلم روح الروح و نور النور ولب اللب.

ومن خواص هذه السعادة انها تكون بالله امنة من الفساد والتغير، فان التصورات الكلية لايتطرق اليها الزوال والتغير. فاذا كانت هذه السعادة فى نهاية الجلالة فى ذاتها، ثم انها باقية ابد الاباد و دهر الداهرين كانت لامحالة اكمل السعادات.

و ايضا ان الانبياء صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق، قال تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة (النحل ـ ١٢٥)... الاية، و قال: قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى (يوسف ـ ١٠٨).

ثم خذ من اول الامر فانه سبحانه لماقال: انى جاعل فى الارض خليفة، فلماقالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء، قال سبحانه انى اعلم ما لاتعلمون (البقرة ـ ٣٠)، فاجابهم بكونه سبحانه عالماً فلم يجعل سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء جواباً لهم، و ذلك يدل على ان صفات الجلال والكمال و ان كانت فى نهاية الشرف الا ان صفة العلم اشرف.

ثم انه سبحانه لما اراد ان اقام الحجة عليهم فى استحقاق ادم منصب الخلافة، انما اظهر فضيلته عليهم بالعلم . و ذلك ايضا يدل على ان العلم اشرف من العمل سيما عمل الملائكة و هو التسبيح والتقديس، ثم انه تعالى لما اظهر علمه جعله مسجوداً للملائكة و خليفة العالم السفلى و هو يدل على ان تلك المرتبة انما استحقها ادم عليه السلام بالعلم.

ثم ان الملائكة افتخرت بالتسبيح والتقديس، والافتخار بهما انما يحصل لو كانا مقرونين بالعلم. و اما ان حصلا بدون العلم كان ذلك نفاقاً والنفاق اخس المراتب، و ان وقعا تقليدا، فالتقليد مذموم . فثبت ان تسبيحهم و تقديسهم انما صارا موجبا للافتخار ببركة العلم.

ثم ادم عليه السلام انما وقع عليه اسم المعصية لانه اخطأ فى مسألة واحدة

اجتهادية[١]، فلاجل هذه الخطاء وقع فيما وقع فيه، والشيء كلماكان الخطر فيه اكثركان اشرف فذلك يـدل على غاية جلالة العلم، ثم انه ببركة العلم لماتاب و اناب و تـرك الاصرار والاستكبار وجد خلعة الاجتباء، وامـا اللعين فلما اصر على جهله و استكباره طوقه‌الله المقت والمٕن.

ثم انظر الى ابـراهيم على نبينا و اله و عليه‌السلام كيف اشتغل فـى اول امره بطلب العلم على ماقاله سبحانه: فلما جن عليه الليل رأى كـوكبا (الانعام ـ ٧٦)، ثـم انتقل من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس، ولم يزل ينتقل بفكره من شيء الى شيءٍ الى ان وصل بالدليل الزاهر ، والبرهان الباهر الى المقصود و اعرض عـن الشرك، فقال: انـى وجهت وجهى للذى فطرالسموات والارض (الانعام ـ ٧٩)، فلما وصل الى‌هذه الجهة، مدحه‌الله باشرف المدائح و عظمه على اتم الوجوه، فقال تارة: و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض (الانعام ـ ٧٥)، و تارة اخـرى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من‌نشاء (الانعام ـ ٨٣).

ثم انه عليه‌السلام بعدالفراغ عن معرفة المبدأ، اشتغل بمعرفة المعاد فقال: و اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى (البقرة ـ ٢٦٠).

ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة تارة مع ابيه على ما قال: لـم تعبد ما لايسمع ولا يبصر (مريم ـ ٤٢)، و تارة مع قومـه: ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون (الانبياء ـ ٥٢)، و اخرى مع ملك زمانه: الم تر الى الذى حاج ابراهيم (البقرة ـ ٢٥٨)... الاية.

و كذلك حال موسى على نبينا و اله و عليه‌السلام مع فرعـون و وجود دلائله معه.

ثم انظر الى حال سيد المرسلين و خاتم‌النبيين محمد صلى‌الله عليه و اله كيف مـن‌الله عليه بالعلم مرة بعد اخرى فقال: و وجـدك ضالا فهدى (الضحى ـ ٧)، و قال ايضاً: ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (الشورى ـ ٥٢)، و قال: مـاكنت تعلمها

١ـ وهى ان النهى اما ان يكون للتحريم او غيره.

انت ولا قومك (هود ـ ۴۹)، ثم انه اوحى ما اوحى اليه قوله: اقرأ باسم ربك الذى خلق (العلق ـ ۱)، ثم قال: و علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (النساء ـ ۱۱۳)، وقال فى معرض الامتنان على امته: هو الذى ارسل رسوله بالهدى (التوبة ـ ۳۳)، الذى انزل على عبده الكتاب (الكهف ـ ۱)، هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة ـ ۲)، و اشار الى العلم والحكمة بقوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ـ ۴).

و هو صلى الله عليه و اله كان يقول فى دعائه: رب ارنا الاشياء كماهى، و قال يوسف عليه السلام: رب قد اتيتنى من الملك و علمتنى من تأويل الاحاديث (يوسف ـ ۱۰۱)، و قال: اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (يوسف ـ ۵۵)، ولم يقل انى نسيب حسيب فصيح مليح.

و ايضا قدجاء فى الخبر: المرء مرء باصغريه: قلبه و لسانه، لان الاول محل الاعتقاد والرأى، والثانى محل الحكاية والقول فيعلم بجنانه و يتكلم بلسانه، قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وايضا فانه عزوجل قدم عذاب الجهل على عذاب النار فقال: كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم (المطففين ـ ۱۵ و۱۶).

و عن على عليه السلام: عين العلم من العلو و لامه من اللطف و ميمه من المروة.

و قيل: العلم عشرة: علم التوحيد للاديان و علم الشر[1] لرد الشيطان و علم المعاشرة للاخوان و علم الشريعة للاركان و علم السياسة للسلطان و علم النجوم للازمان و علم المبارزة للفرسان وعلم الرؤيا للعيان و علم الطب للابدان وعلم الحقيقة للرحمن.

و قيل: ضرب الله المثل فى العلم بالماء قوله: انزل من السماء ماء... (الرعد ـ ۱۷) الاية، لانه سبب للحيوة الباقية، والمياه اربعة و العلوم اربعة: ماء العين لعلم

۱ـ اى المغالطة. منه قدس سره.

التوحيد لايجوز تحريكه لئلا يتكدر، و لذا لاينبغى البحث عن كيفية ذات الله و قضائه لئلا يحصل الكفر، و ماء القناة لعلم الفقه يزداد بالاستنباط كماء القناة يزداد بالحفر، و ماء المطر لعلم الزهد ينزل صافياً و يتكدر بغبار الهواء و كذلك علم الزهد يتكدر بالهوى والطمع، و ماء السيل لعلم البدع والمقائيس كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق.

فهذه جملة من الاخبار و الاثار دلالة على فضيلة العلم وقد علمت الوجه العقلى فى ذلك، ولو ذهبنا الى ذكر الدلائل و الشواهد و الحكايات الدالة على هذا المطلب لما وفى بذلك المجلدات الكثيرة. والله اعلم.

الحديث السادس
وهو الثانى والستون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد» الظاهر ان يكون المراد به قاسم بن محمد الاصبهانى المعروف بكاسولا، لمشاركته مع سليمان فى البلد كما فى «صه» و يحتمل ان يكون قاسم بن محمد الخلفانى كوفى قريب الامر «صه» قال النجاشى: له كتاب روى عنه احمد بن ميثم.

«عن سليمان بن داود المنقرى» ابو ايوب الشاذكونى بصرى، قال النجاشى: ليس بالمتحقق بنا غير انه يروى عن جماعة اصحابنا من اصحاب جعفر بن محمد عليهما السلام وكان ثقة. انتهى. وفى «صه» مثله الا ان فيها الاصبهانى بدل بصرى و ابى جعفر بدل جعفر بن محمد، و قال ابن الغضائرى: انه ضعيف جداً لايلتفت اليه يوضع كثيراً على المهمات، وفى الفهرست و النجاشى له كتاب يروى عنه القاسم بن محمد.

«عن حفص بن غياث»، القاضى عامى المذهب له كتاب معتمد «صه» قال النجاشى: ابن غياث بن طلق بن معوية ابو عمرو القاضى الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام، روى عنه وعن ابى الحسن عليهما السلام ولى القضاء ببغداد الشرقية لهرون ثم ولاه قضاء الكوفة ومات بها سنة اربع وتسعين ومائة روى عنه ابن عمر. «قال قال لى ابو عبدالله

عليه‌السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم‌لله دعى فى ملكوت السموات عظيماً، فقيل: تعلم‌لله و اعمل به‌لله[1] وعلم‌لله.

الشرح

قوله عليه‌السلام: علم به بالتشديد للتعدية، وقـوله: لله، اولا متعلق بكل واحـد من الافعال الثلاثة: اعنى‌التعلم والعمل والتعليم بدليل ما فصل اخيراً.

و الملكوت اسم مبنى من‌الملك كالجبروت و الرهبوت من‌الجبر و الرهبة، و المراد بملكوت كل شىء باطنه المتصرف فيه المالك لامره باذن‌الله. فان لكل موجود فى‌هذا العالم الحسى الشهادى صورة باطنية فى عـالم اخر روحانى غيبى نسبتها اليه نسبة الروح الى البدن، وكما يتفاوت الموجودات فى‌هذا العالم شرفاً و فضيلة كذلك يتفاضل الموجودات فى ذلك العالم، فملكوت الاشرف اشرف من ملكوت الاخس، اذلا شبهة فى ان باطن‌الحيوان اشرف من‌باطن الجماد مثلا لكن التفاضل‌فى‌الدرجات هناك اكثر و اعظم كما فى‌قوله‌تعالى: وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (الاسراء- ۲۱).

ولماكان اشرف الاجسام فى‌هذا العالم هوالسموات بما فيها من‌الاجرام‌الكريمة النورانية فملكوت السموات وما فيها اشرف و اعلى من ملكوت الارض ومـافيها. ثم من كان يدعى عظيما فـى ملكوت السموات كان مقامـه اشرف و اعلى من مقام اهـل الملكوت الاعلى، فما اجل و اعظم فضيلة العلم حيث يجعل به‌الانسان السفلى‌الارضى اعظم من اهل الملكوت العلوى السماوى؟

ثم لايخفى ان العلم كمامر قسمان: علم معاملة وعلم مكاشفة، والثانى اشرف من الاول والمذكور فـى هذا الحديث هـوالاول لدلالة قوله عليه‌السلام: وعمل به، فاذا كان حال القسم الادون من‌العلم هذا فما ظنك بحال القسم الاعلى المطلق الالهى؟

۱ــ و عمل لله (الكافى).

باب صفة العلماء

و هو الباب السادس من كتاب العقل وفيه سبعة احاديث:

الحديث الاول
وهو الثالث والستون

«محمدبن يحيى العطارعن احمدبن محمدبن عيسى عن الحسن بن محبوب عن معوية بن وهب» البجلى ابوالحسن كوفى عربى صميم ثقة صحيح حسن الطريقة، روى عن ابى‌عبدالله و ابى‌الحسن عليهما السلام «صه» قاله النجاشى وفى الفهرست: لـه كتب منها فضائل الحج، روى عنه ابن ابى‌عمير و على‌بن الحكم «قال: سمعت ابـا عبدالله عليه‌السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتـواضعوا لمن تعلمونه وتواضعوا لمن طلبتم منهم[1] العلم، ولاتكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

الشرح

الحلم و الوقار متقاربان فى‌المعنى، و الحليم من اسماءالله و هوالذى لايستحقه شىء من‌عصيان‌العباد ولايستفزه[2] الغضب عليهم، وفى‌الحديث: اولوا الاحلام والنهى، اى ذووا الألباب والعقول، واحدها الحلم بالكسر و هوالاناة و التثبت فـى‌الامور، و ذلك من شعار العقلاء.

وقدمر فـى‌الحديث الرابع عشر: انه من جنود العقل وضده السفه، و هـومن توابع الجهل ومن شعب الانحراف عن طريق العلم، و كذلك الـوقار ضده الخفة و الطيش و العجلة من فعل‌الشيطان، و التواضع التذلل والانكسار.

امر عليه‌السلام بعدالامـر باكتساب العلم بتزيين النفس اى تكميلها بـالحلم و الوقار و التواضع للمعلم والمتعلم فضلا عن‌التواضع و التذلل لمن خلق‌العلم والتعلم والتعليم و اوجدالعالم و المعلم و المتعلم.

۱ـ منه (الكافى).

۲ـ اى يستخفه ـ استفزه: ازعجه ـ اخرجه من داره.

اما التواضع للمعلم فلكونه كالاب فى كونه وسيلة لحيوة المتعلم فى دار الباقية، فكما اوجب الشرع طاعة الابوين و الانقياد و التواضع وليس ذلك الالجعلها وسيلة لهذه الحيوة للولد، فكذلك اوجب العقل والشرع التواضع وحسن الانقياد للمعلم.

و اما التواضع للمتعلم فذلك لماله من المدخلية فى حصول الاجر و الثواب للمعلم، ولكونه باعثاً لمزيد العلم للاستاذ و تمرنه بالمذاكرة والتكرار معه. ثم نهى عليه‌السلام عماهو ضد التواضع و هوالتجبر و التكبر فقال: ولاتكونوا علماء جبارين.

ثم افاد بقوله عليه‌السلام: فيذهب باطلكم بحقكم، ان الجبارية و الكبر امر باطل فيماسوى الرب تعالى وانه ممحق للعلم مزيل له، لان كون العبد عالماً بالله ينافى كونه جباراً. فمتى كان الرجل متجبراً استحال كونه عالماً بالحقيقة، فمن ادعى العلم وتكبر على خلق‌الله فدل ذلك على ان علمه ليس بعلم حقيقى بل انما هو مجرد حفظ الافوال من غير بصيرة ، والله قاصم ظهر المتكبرين و مهلك الجبابرة و الفراعنة قال: أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين (الزمر ــ ۶۰). وفى الحديث الالهى: الكبرياء ردائى و العظمة ازارى فمن نازعنى فيها قصمت ظهره.

ثم ان قوله: ولاتكونوا علماء جبارين، دال على ان دفع هذا المرض المهلك وعلاجه مماهو واقع تحت اختيار العبد و الا لكان التكليف به تكليفاً بمالايطاق، و علاجه مذكور فى كتب الاخلاق مستفاد من الشرع وهوالمداومة على افعال المتواضعين و المواظبة على سننهم وطريقهم.

بل نقول: دواء هذا المرض الباطنى معجون مركب من اجزاء علمية وعملية:

اما العلمية: فان يعلم بالله وتوحيده فى الذات والصفات والافعال. وان كل وجود وكمال وجود من حيوة وعلم ومعرفة فهو لايكون الابفيض جوده و رحمته، و ان يعلم بان جميع ماسواه ليس لها فى ذاتها متفردة عن اثار فيضه وكرمه الا الليس الصرف و العدم الساذج، و ان لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم.

ويعلم بان النفس الادمية فى اول نشأتها، كانت من اذل الاشياء و ادونها و اضعفها و اخسها فخلقها الله و اوجدها بعدالعدم و خلقها من النطفة القذرة و دم الطمث

وصورها اولا بصورة العلقة، ثـم المضغة ثم العظام ثـم الجنين المشتمل على اللحم و العظم والرباط والعصب وسائر الاعضاء طوراً بعد طور ونشأة بعد نشأة الى ان استعد لصورة الانسانية القابلة للامر الـرباني والسر المودع الملكوتـي، ويعلم انه لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ولاموتاً و لاحيوة ولانشوراً.

ويعلم ايضاً ان السبب في استكمالات الاشياء و تـرقياتها سواء كانت طبيعية او ارادية كما يظهر عندالتفتيش و التحقيق ليس الا انكسار وضعف و عجـز لحقها اولا فصارت بهامتهيئة لقبول صورة اوصفة كمالية اخرى.

الاترى ان العناصر مالم ينكسر سورة كيفياتها الشديدة المتضادة لـم يتصور بصورة اخرى كمالية؟ وهكذا البذر و النواة المدفونة في الارض مالم يصر قـريبة من التعفن والفساد في صورته الجمادية لم يفض عليها صورة النباتية؟ و كذا القياس فـي صيرورة النبات حيواناً والحيوان ناطقا، وهكذا حال الانسان في التدرج على اطوارها الكونية ونشآتها، فمالم يمت عن نشأة اولى لم يحيى بحيوة اخرى.

فالعلم الذى به يكمل النفس الانسانية لايحصل الابعد رياضة شاقة وتذلل وتخضع لله ولرسوله صلى الله عليه واله والائمة من بعده عليهم السلام ولسائر المعلمين والمشايخ، الذين هم ايضا من الوسائط بين المبدأ الفياض للعلوم وبين النفس القابلة المستعدة لها، فاذا كـان الامر كما بينا فمن اين للعبد سيما العالم، التجبر و التكبر؟ فهذا هـو الدواء العلمى.

و اما الدواء العملى: فهو التواضع بالفعل لله تعالى و المواظبة على ما ذكـرنا اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه واله وسيرة الائمة الطاهرين عليهم السلام وغيرهم من العلماء الكاملين و الاخيار الصالحين، فان من احوال الرسول صلى الله عليه والـه كما هو المنقول انه يـأكل على الارض ويقول: انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد، و كـان صلى الله عليه واله يركب على الحمار مردوفاً مع اخر.

و روى ان علياً عليه السلام اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له احـد: انا احمل عنك ياامير المؤمنين فقال: لا، ابو العيال احق ان يحمل شيئاً الى عياله، وعوتب

عليه‌السلام فى ازار مرفوع فقال: يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب، وحال امير المؤمنين عليه‌السلام وتواضعه مع الناس سيما مع عبيده وخدمه مشهور لايحتاج الى البيان.

وكذا روى ان الحسن عليه‌السلام اجتاز بالمدينة فى طريق وهو راكب فرأى جماعة من المساكين وقد اخرجوا كسراً يابسته وهم يأكلونها فسلم عليهم فقالوا: هلم يابن رسول‌الله الى الغداءِ، فجلس معهم على الارض وشاركهم فى الاكل حتى فرغوا ثم قام، و روى انه عليه‌السلام مر يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون و كان عليه‌السلام صائماً فقالوا: هلم الى الغداء فقال: انى صائم، وخشى ان يكون قد حصل لهم كسر قلب بذلك فقال: تأتونى الليلة جميعا لافطر معكم، فاتوه عندالمساء و اكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم.

و ربما روى ذلك عن الامام زين العابدين عليه‌السلام و روى انه تكلم رجل فى زين العابدين عليه‌السلام و افترى عليه فقال عليه‌السلام له: ان كنت كما قلت فاستغفرالله و ان لم اكن كما قلت فغفرالله لك، فقام اليه الرجل و قبل رأسه وقال: جعلت فداك لست كما قلت فاغفرلى قال: غفرالله لك فقال الرجل: الله اعلم حيث يجعل رسالته (الانعام ـ ۱۲۴) ، و خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت اليه العبيد و الموالى فقال لهم عليه‌السلام مهلا عن الرجل، ثم اقبل عليه و قال: ماستر عنك من امرنا اكثر، الك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فالقى اليه خميصة[1] كانت عليه و امر بالف درهم؛ وقيل لسلمان رضى‌الله عنه لم لاتلبس ثوباً جديداً فقال: انما انا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست، اشار به الى العتق فى الاخرة.

قال الغزالى فى الاحياء: ولايتم التواضع بعدالمعرفة الابالعمل، ولذلك امر العرب الذين تكبروا على رسول‌الله[2] صلى‌الله عليه و اله بالايمان و الصلوة جميعا وقيل: الصلوة عمادالدين و فى الصلوة اسرار لاجلها كانت عماداً، ومن جملة ذلك مافيها من التواضع بالمثول بين يدى‌الله قائماً وبالركوع و السجود، وقدكانت العرب قديما

۱ــ ثوب خز او صوف ــ منه قدس سره.

۲ــ على‌الله و رسوله «الاحياء».

يأنفون مـن الانحناء فكان يسقط من الواحد سوط فـلاينحنى لاجله[1]، و ينقطع شراك نعله فلاينكس رأسه لاصلاحه، فلما كان السجود عندهم هومنتهى المذلة و الضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم و يزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم و به امر سائـر الخلق.

فان الركوع والسجود والمثول قائماً هوالعمل الذى يقتضيه التواضع، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل مايتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقاً، فان القلوب لاتتخلق بالاخلاق المحمودة الابـالعلم والعمل جميعا، و ذلك لعلاقة خفية ارتباطية بل اتحادية بين النفس و البدن، وسر الارتباط الـذى بين عالمى الملك و الملكوت والغيب والشهادة لايعرفه الا الكاملون فى المعرفة.

واعلم ان الذى يعرض للمتكبرين له اسباب سبعة ليس شىء منها بكمال حقيقى، انما الكمال بالحقيقة هوالعلم الحقيقى لانه باق لايزال والعمل الصالـح وسيلة اليه، و اما ماعداه ممايفنى بالموت فهو كمال وهمى، فمن هذا تعسر على المتصف بالعلم الظاهرى ان لايتكبر، وطريق العلاج فـى كل من تلك الاسباب السبعة بالعلم والعمل مذكور فى موضعه ولنذكر انموذجاً من ذلك.

السبب الأول النسب: فمن تكبر من جهته فليعالج قلبه بمعرفة امرين: احدهما: ان هذا جهل من حيث تعززبكمال غيره، ولذلك قيل:

ان افتخرت باباء ذوى شرف قلنا: صدقت ولكن بئس ماولدوا

فالمتكبر بالنسب اذا كان خسيساً فـى صفات نفسه فمن اين يجبر خسته بكمال غيره؟ بل لوكان الذى ينتسب اليه حياً لكان لـه ان يقول: الكمال والفضل لى ومـن انت؟ وانما انت دودة خلقت من بولى.

و الثانى ان يعرف نسبه الحقيقى فيعرف اباه وجده، فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب، وقد عرف الله نسبه فقال: و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (السجدة ـ ٧ و٨)، فمن كان هـذا اصله كيف يتكبر اذ يقال له:

١ـ سوطه فلاينحنى لاخذه «الاحياء».

يا اذل من التراب ويا انتن من الحمأ ويا اقذر من المضغة، فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول: افتخر بالقريب دون البعيد، فالنطفه و المضغة اقرب اليه من الاب فليفتخر[1] بها.

فهذا هو النسب الحقيقى للانسان الطبيعى ومن عرفه لم يتكبر بالنسب. و يكون مثاله بعد هذه المعرفة و انكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه انه هاشمى لما اخبره بذلك والده فكان ذانخوة للشرف، فبينما هو كذلك اذا اخبره عدول ثقاة لايشك فى قولهم، انه ابن هندى حجام يتعاطى القذر، و كشفوا له وجه التلبيس عليه بحيث لم يبق له شك فى صدقهم. أفترى يبقى من كبره و تشرفه بالنسب شىء؟ بل يصير عند نفسه احقر الناس و ارذلهم، فهكذا البصير اذا تفكر فى اصله.

السبب الثانى التكبر بالجمال وهو صفاء ورواء فى ظاهر البدن وتناسب فى الاشكال و الصور، فلو نظر المتكبر به نظر العقلاء الى باطنه ولا ينظر نظر البهائم الى الظاهر لرأى من الفضائح مايكدر عليه تعززه بجماله، فانه وكل به الاقذار فى جميع اعضائه والرجيع[2] فى امعائه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه والدم فى عروقه والصديد تحت بشرته والصنان[3] تحت ابطيه، يغسل الغائط كل يوم دفعتين ويتردد الى الخلاء مرتين يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه، الى غير ذلك من المستقذرات التى يصحبه مما يؤدى ذكره الى التطويل، مع ماكان عليه فى بداية امره من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة و دم الحيض و خروجه من مجرى القذر مرتين، و ما يؤدى اليه فى نهاية امره من الجيفة والقيح والصديد والرفات والتراب الذى تذروه الرياح.

فمن عرف حاله هكذا لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن.

۱ــ فليحقر «الاحياء».

۲ــ الرجيع هو العذرة والروث، لانه رجع عن حالته الاولى بعد ان كان طعاماً او علفا.

۳ــ جمع الصنة وهى رائحة البول و ذفر الابط ــ النتن عموماً.

السبب الثالث القوة والأيد و يمنعه من التفاخر بها ان يعلم ما سلط عليه من العلل و الامراض، فانه لو توجع بعرق واحد على بدنه لصار اعجز من كل عاجز و اذل من كل ذليل ، و ان سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه[1]، و ان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته، فمن لايقدر ان يدفع عن نفسه ذبابة ولايقاوم بقة و يعجزه شوكة دخلت فى رجله فلاينبغى ان يفتخر، ثم رأى الفيل والجمل والحمار والبقر اقوى منه.

السبب الرابع الغنى و كثرة المال.

والسبب الخامس كثرة الاتباع والانصار و ولاية السلاطين و قربهم والتمكن من جهتهم، والتكبر بهذين السببين اقبح انواع التكبر ، لانه بمعنى خارج عن ذات الانسان وصفاته كالجمال والقوة والعمل، فالمتكبر بفرسه و داره لومات فرسه و انهدم داره بقى ذليلا، والمتكبر بتمكين السلاطين وولايتهم بناء امره على قلب اشد غلياناً من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق.

و بالجملة فكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل فكيف المتكبر بالغنى والثروة والتجمل؟ فان هذه شرف يسبقه اليهود به وانه شرف يأخذه السارق فى لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلساً ذا وبال و نكال، فالتفاخر به غاية الجهل.

السبب السادس التفاخر بالعلم، و هذه الافة اعظم الافات و اشد الادواء ، لان قدر العلم عظيم عندالله و عندالخلائق و هو مع ذلك مشتبه به الجهل، و لهذا قيل: اذا زل العالم زل بزلته العالم ، فينبغى للعالم ان لايستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل، فان خطر العلم اكثر من خطر الجهل و حجةالله على اهل العلم اوكد، و انه تعالى يحتمل من الجاهل ما لايحتمل عشره من العالم، و انه من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذا لم يقض حق نعمةالله فى العلم ولذلك قال عيسى على نبينا واله و عليه السلام[2]

۱ــ لم يستنقذه منه «الاحياء».

۲ــ قال صلى الله عليه واله «الاحياء» حديث متفق عليه من حديث اسامة بن زيد بلفظ: يؤتى بالرجل.

يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه[1] فيدور به كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمراً بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه.

وقد مثل الله تعالى للعالم الذى لايعمل بعلمه او لايطابق ظاهره باطنه و لسانه قلبه تارة بالحمار: مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً (الجمعة ـ ۵)، اراد به علماء اليهود، و تارة بالكلب: و اتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان... الى قوله: فمثله كمثل الكلب (الاعراف ـ ۱۷۶)، اراد به بلعم بن باعور.

فالعالم و ان كان قدره اعظم من قدر الجاهل لكن خطره اعظم من خطر غيره، والجاهل اقرب الى السلامة من العالم لكثرة افاته و عظم اخطاره، نعم لوخلص من افاته و نجى يوم القيامة من العذاب كان نعيمه اعظم من نعيم الجاهل لكن ذلك غيرمعلوم، فكم من عالم يشتهى فى الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله[2]، فهذا الخطر يمنع عن التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر؟

فان قلت: فكيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق و للمبتدع، وكيف يرى نفسه دونهم و هو عالم عابد، وكيف يجهل فضل العلم والعبادة، ومعلوم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر و اعظم؟

قلت: هذا العالم ان كان عالماً حقيقيا ربانيا فهو مستغرق فى شهود الحق وغافل عن نفسه و عن علمه و عرفانه، والتكبر على الغير فرع على الالتفات بالنفس وبكمالها وعرفانها، والعارف بالحق المحب له لايعرف ولايحب غيره تعالى وان كان ذلك الغير نفسه او عرفانه.

ونعم ماقال صاحب الاشارات فى مقامات العارفين و احوالهم: من اثر العرفان

۱ـ الاندلاق هو الخروج بسرعة. الاقتاب واحدة القتب و هى الامعاء، اى خرجت امعائه بسرعة.

۲ـ بالله منه «الاحياء».

للعرفان فقد قال بالثانی ومن وجـد العرفان فكأنه ما وجده بل وجـد[1] المعروف بهفقد خاض لجة الوصول[2].

و ان لم يكن عالماً حقيقيا فليتفكر فی خطر العاقبة، بل لو نظر الی كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه، اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بـالايمان وحسن العاقبة ويضل هـذا العالم ويختم له بالكفرو سوء العاقبة، ثم ان المتكبر ممقوت عندالله معذب فی الاخرة، قال: اليس فی جهنم مثوی للمتكبرين (الزمر ـ ٦٠).

و الكلب و الخنزير احسن حالاً ممن هو عندالله من اهل النار وهو لايدری انه ناج من العذاب ام لا، فكم من مسلم نظر الی عظيم من عظماء الصحابة قبل اسلامه كابی ذر وحـذيفة ونحوهما رضی الله عنهم فاستحقره و ازدرأه وقد رزقه الاسلام وعظم منزلته وفاق علی اكثر الصحابة، فاذاً حق العالم ان لايتكبر علی احد بل ان نظر الی جاهل قال: انه عصی الله بجهل و انا عصيته بعلم فهو اقرب الی العذر منی ، و ان نظر الی عالم هو اعلم منه فيقول: انه يعلم مالم اعلم فكيف اكـون مثله؟ و ان نظر الی كبير هو اكبر منه قال: انه اطاع الله قبلی فكيف اكون مثله ؟ و ان نظر الـی صغير قال : انـی عصيت الله قبله فكيف اكـون مثله؟ و ان نظر الی مبتدع او كافر قال : ما يدرينی لعله يختم له بالاسلام و يختم لی بماهـو عليه[3]؟ فبملاحظة الخاتمة يقدر علی ان يدفع عن نفسه الكبر.

و كل ذلك بان يعلم ان الكمال فی سعادة الاخرة والقرب من الله لافيما يظهر فی الدنيا مما لابقاء له، ولعمری هذا الخطر مشترك بين المتكبر و المتكبر عليه، وحق كل منهما

١ـ كأنه لايجده، بل يجد المعروف به «الاشارات».

٢ـ قال نصيرالدين الطوسی قدس الله سره القدوسی فـی شرح هذه الفقرة: العرفان حالة للعارف بالقياس الی المعروف، فهی لامحالة غيرالمعروف، فمن كان غرضه من العرفان نفس العرفان فهو ليس من الموحدين، لانه يريد مع الحق شيئا غيره، و هـذه حال المتبجح بزينة ذاته، و ان كان بالحق، اما من عرف الحق و غاب عـن ذاته فهو غائب لامحالة عـن العرفان الذی هو حالة لذاته.

٣ـ عليه الان «الاحياء».

ان یکون مصروف الهم الی اصلاح نفسه و مشغول القلب بخوفه لعاقبته لاان یشتغل بخوف العاقبة لغیره.

السبب السابع التکبر بالورع و العبادة، و ذلک ایضاً فتنة عظیمة ومرض شدید قلما یقبل العلاج، لانه مع حسن العمل وجودة الظاهر وماورد فی الکتاب و السنة من مدائح اهل الورع والعبادة ربما یکون قسی القلب جامد القریحة خامد الفطنة و قد سمع ان المقصود من العلم هوالعمل لاغیر؛ سیما وقد رأی من بعض العلماء مایقبح عنده فیزدریهم وینظر الیهم بعین الحقاره، فهذا مما یمتنع علاجه و هو من الهالکین، ولکن اذا کان فی ذاته لطیف الجوهر زکی الطبع یمکن قبوله للعلاج بان یعلم ان من یتقدم علیه بالعلم لاینبغی ان یتکبر علیه کیف ماکان لما عرفت من فضیلة العلم وقدقال تعالی: هل یستوی الذین یعلمون والذین لایعلمون (الزمر ــ ۹).

وقال صلی‌الله علیه واله: فضل العالم علی العابد کفضلی علی ادنی رجل من اصحابی. الی غیر ذلک مماورد فی فضل العلم، فان قال العابد: ذلک العالم عامل بعلمه و هذا عالم فاجر فیقال له: اما عرفت؟ ان الحسنات یذهبن السیئات (هود ــ ۱۱۴)، و کما ان العلم یمکن ان یکون حجة علی العالم یمکن ان یکون وسیلة له و کفارة لذنوبه، وکل واحد منهما ممکن، و قدوردت الاخبار بمایشهد لذلک، و اذاکان هذا امراً غائباً عنه فلم یجز له ان یحتقر عالماً بل وجب علیه ان یتواضع له ویخدمه.

فهذا حال العابد مع العالم، فاما مع غیر العالم فهواما مستور الحال و امامکشوف الفسق، وعلی ای القسمین لاینبغی له التکبر علیه.

اما الاول[1] فلعله اقل ذنباً و اکثر عبادة منه و اشد حباًلله تعالی.

و اما الثانی[2] فلاینبغی للعابد ان یتکبرعلیه بظاهر حاله، اذ ذنوب القلوب من الکبر و الحسد و الریاء والغل و اعتقاد الباطل و الوسوسة فی صفات الله تعالی وتخیل الخطاء فیه کل ذلک شدیدعندالله، فربماجری علیک فی باطنک من خفایا الذنوب ماصرت

۱ــ ای مستور الحال.

۲ــ ای مکشوف الفسق.

به‌عندالله‌ممقوتاً‌مطروداً عن باب رحمته، وقدجری للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله و اخلاصه و الخوف عنه و التعظیم له و لملائکته و انبیائه و اولیائه علیهم السلام ما انت خال عنه وقدکفر ذلك سیئاته، فاذا انکشف الغطاء یوم القیامة فتراه ارفع منك بدرجات، فهذا ممکن، فاذا تفکرت فی هذا الخطر کان عندك شغل شاغل عن التکبر علی غیرك، فبهذا و امثاله یمکن دواء هذا المرض المهلك.

الحدیث الثانی
و هوالرابع و الستون

«علی‌بن ابراهیم عن محمدبن عیسی، عن یونس عن حمادبن عثمان عن الحرث[1] بن المغیرة النصری» بالنون و الصاد غیر المعجمة، روی الکشی عن محمدبن قولویه قال: حدثنا سعدبن عبدالله عن احمدبن محمدبن عیسی عن عبدالله بن محمد الحجال، عن یوسف‌بن یعقوب قال: کنا عند ابی‌عبدالله علیه‌السلام فقال: اما لکم من مفزع اما لکم‌مستراح تستریحون‌الیه مایمنعکم من الحرث بن‌المغیرة النصری؟ وروی ایضاً حدیثا فی‌طریقه سجادة[2]: انه من اهل‌الجنة.

وقال النجاشی: حارث‌بن المغیرة النصری من بنی نصربن معویة بصری‌روی عن ابی‌جعفر الباقر و الصادق و الکاظم علیهم‌السلام وعن زیدبن علی علیه‌السلام ثقة ثقة. «عن‌ابی‌عبدالله‌علیه‌السلام فی‌قول‌الله تعالی: انما یخشی‌الله من‌عباده‌العلماء (فاطر-۲۸)، قال: یعنی بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم یصدق فعله قوله فلیس بعالم».

الشرح

قد علمت ان العلم علمان: علم حقیقی هوالعلم بحقائق الاشیاء علی ماهی علیها کماهو مسئول النبی صلی‌الله علیه واله فی‌دعائه، وعلم غیر حقیقی هومعرفة الجزئیات

۱- الحارث «الکافی - کش - جش» الحرث «جامع‌الرواة - الفهرست».

۲- اسم مکان.

المتغيرة وما يتعلق بـالاعمال و الافعال و العلم بالحكايـات و الروايات، ولكل منهما خواص ولوازم يعرفها العارفون.

فمن لوازم الاول الخشية عـن‌الله والحياء فى‌الباطن لما يخطر علـى‌القلب من جلال‌الله و خوف‌القرب والرجاءِ لاخوف المعصية، و المحبةله تعالى و الشوق اليه و الى‌ملكوته الاعلى و الانزجـار عن‌الدنيا و الزهد فيها، وتمنى‌الموت لاجل لقاءالله و الصدق فى‌جميع الاقوال والاعمال والقناعة بالقليل والتواضع.

ومن خصائص الثانى الامن من مكـرالله والخوف من عذاب المعصية لامـن لااستحقاقية القرب، و الاستحياءِ من‌الخلق الظاهر لامن‌الذى يتجلى فى‌القلب و يطلع على‌الضمائر، و الذكر والنسك باللسان و الجوارح و الظواهـر لاالذكر بـالقلب و الضمائر فى‌السر، فالعالم الحقيقى يلزمـه الخشية لله و التقوى والورع عن محارمـه ظاهراً وباطناً، فلاجرم يصدق فعله قوله وظاهره باطنه وغيره فى‌الاغلب بخلاف ذلك.

الحديث الثالث
وهوالخامس والستون

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقى عن اسمعيل‌بن مهران عـن ابى سعيد القماط» هوخالدبن سعيد ابوسعيد كوفى ثقة روى عن‌الصادق عليه‌السلام، و فى كتاب الكشى قال‌حمدويه: اسم ابى‌خالدالقماط يزيد، وقال‌الشيخ الطوسى رحمه‌الله: خالدبن يزيد يكنى ابا خالد القماط قيل: انه ناظر زيدياً فظهر عليه فـاعجب الصادق عليه‌السلام ذلـك. «عن‌الحلبى عـن ابـى عبدالله عليه‌السلام قال: قـال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: الااخبركم‌بالفقيه حق الفقيه؟ من لايقنط[1] الناس من رحمة‌الله ولم يؤمنهم من عذاب‌الله ولم يرخص لهم فى معاصى‌الله ولم يترك القران رغبة عنه الـى غيره، الا لاخير فى علم ليس فيه تفهم، الا لاخير فى قرائة ليس فيها تدبر، الا لاخير فـى عبادة ليس فيها تفكر، وفى رواية اخرى: الا لاخير فى علم ليس فيه تفهم، الالاخير فى‌قرائة

۱ــ لم يقنط (الكافى).

ليس فيها تدبر، الا لا خير في عبادة لافقه فيها، الا لا خير فی نسك لاورع فيه.

الشرح

قدمر سابقا ان اسم الفقه كان فی اصل اللغة بمعنى الفهم مطلقا سواءكان فی امور الدين او فی امور الدنيا، يقال: فقه الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم و علم، وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيهاً عالماً، وقد جعله العرف السابق خاصاً بعلم حقائق الدين ومعارف الايمان وعلم طريق الاخرة و كيفية سلوك سبيلها ثم خص بعلم الفروع الشرعية فی عرف اللاحق، فيقال لمن عرف المسائل الفرعية من العبادات و المعاملات و الحدود وغيرها و ان لم يعرف اصول المعارف و احوال المبدأ و المعاد انه رجل فقيه.

و القنوط اشد اليأس من الشیء يقال: قنط يقنط وقنط يقنط[1] فهو قانط وقنوط و القنوط بالضم هو المصدر، وقوله عليه السلام: لايقنط الناس، من باب التفعيل للتعدية ای لايجعلهم قانطين من رحمة الله، وقوله: لايؤمنهم، ای لايجعلهم آمناً و «الا» حرف يفتتح به الكلام للتنبيه، تقول: الا ان زيداً ضارب.

ذكر سلام الله عليه للفقيه بالعرف المتقدم علامات اربع يعرف بها: الاولى ان لايقنط الناس من رحمة ربهم، و الثانية ان لايؤمنهم من عذابه، الثالثة ان لايرخص لهم فی شیء من معاصيه، و الرابعة ان لايترك القران من حيث تلاوته و التدبر فی اياته و سوره و استفادة العلوم كلها منه، رغبة عن القران الی غيره من الكتب سواء كانت سماوية اوغيرها. اذفيه علم الاولين و الاخرين لمن كان له فهم وفقه، فمن اعرض عن القران و حاول اكتساب العلم والعرفان من كتب الفلاسفة وغيرهم فهو ليس بفقيه ولاعالم.

ولعله عليه السلام انما اخبر الناس بالفقيه اوعن الفقيه بذكر هذه العلامات على الخصوص له دون غيرها، لان اكثر من يسمى عندالجمهور بهذا الاسم فی كل زمان يكون موصوفا باضدادهذه الصفات، ويؤيدما ذكرنا ان هذه المذكورات الاربعة كلها من باب السلوب، فدل على ان الغرض التعريض بحال العلماء السوء المتظاهرين

۱ــ ای بالفتح والكسر الثانی.

بالفقه، و التنبیه علی ان الفقیه بالحقیقة من الذی صفاته علی نقائض صفات هؤلاءِ المشهورین عندالخلق باسم الفقیه، وهذا من باب تعریف الشیء بضده.

تبصرة

قوله علیه‌السلام: ولایقنط الناس من رحمةالله، اشارة الی بطلان مذهب المعتزلة القائلة بایجاب الوعید وتخلید صاحب الکبیرة فی‌النار، وقوله: ولم یؤمنهم من عذاب الله، اشارة الی‌حال المرجئة ومن یجری مجراهم من‌المغترین بالشفاعة، وقوله: ولم یرخص لهم فی‌معاصی‌الله، اشارة الی‌حال‌الحنابلة ومن یشبههم کاکثر المتصوفة، و قوله: ولم یترك القران رغبة عنه الی غیره، اشارة الی‌حال‌الحنفیة لانهم‌عملوا بالقیاس و ترکوا القران مهجوراً، ففی‌کلامه اشارة الی ان الفقیه غیر هؤلاء و اشباههم، فتدبر وکن علی‌بصیرة فی‌دینك.

ثم اخذ علیه‌السلام فی‌التنبیه علی ان ظواهر هذه الصفات الحسنة المشهورة سواء کانت من باب‌العلم اومن‌العمل اذا کانت معراة عن‌الاحوال السنیة الباطنیة مما لاخیریة فیها ولاطائل تحتها بل ضررها فی‌الاخرة اکثر من نفعها و خسارتها اکبر من فائدتها کما نبه‌الله تعالی علیه بقوله: قل هل ننبئکم بالاخسرین اعمالا (الکهف ـ ۱۰۳)... الایة، وقوله تعالی مخاطباً لنبیه صلی‌الله علیه واله: و من‌الناس من یعجبك قوله فی‌الحیوة الدنیا (البقرة ـ۲۰۴)... الایة وبقوله: ومن‌الناس من یقول امنا بالله و بالیوم الاخر وماهم بمؤمنین (البقرة ـ۸) الایات...

و المراد من‌العلم الذی لیس فیه تفهم هو احدامرین: احدهما العلم التقلیدی او الظنی الذی لیس علیه برهان ولاحصل من دلیل قاطع، و الثانی العلوم النقلیة و الحکایات، فان حافظی القصص و الاخبار وناقلی الاحادیث و الروایات ربما ظنوا بانفسهم انهم من‌جملة العلماء وانهم‌کذلك عند اکثر الناس، والله یشهد انهم لکاذبون، وکذا القراءِ ومن‌یجری مجراهم اذا لم‌یکونوا من‌المتدبرین، فالعالم‌بلاتفهم والقاریء بلاتدبر لاینفکان غالباً عن ضرب من‌النفاق العلمی وهواشد قسمی النفاق، واشارعلیه‌ـ

السلام الى القسم الاخر وهو النفاق فى العمل بقوله: الا لاخير فى عبادة ليس فيها تفكر، و انما كانت تلك العبادة كذلك اى لاخير فيها، لان صاحبها لايخلوعن اعجاب بنفسه، و اعجاب المرء بنفسه من المهلكات كمامر.

وههنا نكتة لطيفة: وهى ان النفاق بالحقيقة عبارة عن ايثار الدنيا على الاخرة و اختيار الادنى الاخس على الارفع الاشرف، فكل من آثر العمل على العلم و اعمال الجوارح على الحركات الفكرية، واستعمال الحواس والمشاعر[1] الجزئية على استعمال العقل و المدارك الكلية العقلية و كذا العلوم و الصنائع الجزئية على العلوم الكلية و المعارف الحكمية فهو من اهل النفاق عندذوى البصائر. و اصل هذه النفاقات استيلاء القوة الوهيمة التى هى رئيس القوى الحيوانية و الشيطانية، و هى اعظم جنود الكفر و حزب الشيطان قبل ان اسلمت و اطاعت وخدمت للقوة العقلية التى هى رئيس القوى الملكية والقوى المسلمة المطيعة وهى اعظم جنود الحق وحزب الرحمن.

واما الرواية الاخيرة فلاتخالف ولاتزيد على هذه الرواية الابتبديل لفظة ليس فيها تفكر بلفظة لافقه فيها فى قوله: الا لاخير فى عبادة... الى اخره و بايراد القضية الاخيرة ههنا وهوقوله عليه السلام: الا لاخير فى نسك لاورع فيه، والنسك وان كان معناه معنى العبادة كما هو المذكور فى كتب اللغة ولكن يشبه ان يكون فيه زيادة تأكيد و كأنه عبادة مع زهد و هو الورع، فكان المراد انه لاخير فى عبادة لازهادة معها، فان الزهد الحقيقى منشاؤه العرفان فلايتحقق الامع العلم.

ولعل فائدة هذه الزيادة الواقعة فى الرواية الاخيرة التنبيه على ان العبادة لاتتم بدون الزهد فى الدنيا، و معلوم ان ذلك لايتحقق الا بالعلم بحقارة الدنيا و جلالة قدر الاخرة و ان ما عندالله خير و ابقى.

فثبت ان العلم هو الاصل فى كل عمل صالح فعلا كان كالعبادة او تركاً كالزهد.

١ــ المدارك ــ النسخة البدل فى الاصل للشارح.

الحديث الرابع
و هو السادس والستون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى ومحمدبن اسمعيل، عن الفضل بن شاذان النيشابورى جميعا عن صفوان بن يحيى»، هـو ابومحمد البجلى بياع السابرى كوفى، قال الشيخ الطوسى رحمه‌الله: انه اوثق زمانه عند اصحاب الحديث و غيرهم وكان يصلى كل يوم خمسين ومائة ركعة و يصوم فى السنة ثلاثة اشهر و يخرج زكوة ماله كل سنة ثلاث مرات، و ذلك انه اشترك هو و عبدالله ابن جندب و على بن النعمان فى بيت‌الله الحرام فتعاقدوا جميعا ان مات واحد منهم يصلى من بقى[1] صلوته ويصوم عنه و يزكـى عنه زكوته. فمات صاحباه و بقى صفوان بعدهما و كان يفى لهما فيصلى عنهما و يزكى عنهما ويصوم عنهما و يحج عنهما، وكل شىء من البر والصلاح يفعله لنفسه كذلك يفعله عن صاحبيه، وكان وكيل الرضا عليه‌السلام.

و قال ابوعمرو الكشى: اجمع اصحابنا على تصحيح ما يصح عـن صفوان بن يحيى والاقرار له بالفقه، و روى عن محمدبن قولويه عن سعد عن احمدبن محمد عن الحسين بن سعيد عن معمربن خلاد قال: قال ابـوالحسن عليه‌السلام: ما ذئبان ضاريان فى غنم غاب عنها رعاؤها باضر فى دين المسلم من حب الرئاسة ثم قال: لكن صفوان لايحب الرئاسة. و كانت له عندالرضا عليه‌السلام منزلة شريفة، و توكل للرضا و ابى جعفر عليهما‌السلام وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة «صه».

و قال النجاشى: انه ثقة ثقة عين روى ابـوه عـن الصادق عليه‌السلام، ذكـره الكشى فى رجال موسى عليه‌السلام وسلم مذهبه من الوقف، و جماعة من الواقفة بذلوا له مالاكثيراً وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وكان من الورع والعبادة على مالم يكن احد من طبقته.

و روى الكشى عن على بن محمد عن احمدبن محمد، عن على بن الحسين بن داود القمى قال: سمعت اباجعفر عليه‌السلام يذكـر صفوان بن يحيى و محمدبن سنان

١ــ بقى بعده «ست».

بخير و قال: رضی‌الله عنهما فما خالفانی و ما خالفا ابی‌علیه‌السلام قط بعد ماجاء فيهما ماقد سمعه غير واحد. و روی عن‌محمدبن قولويه عن‌سعد عن احمدبن محمدبن‌عيسی مثل ما تقدم الا ان فيه رضی‌الله عنهما برضائی[1] عنهما فما خالفانی قط.

و عـن ابی‌طالب عبدالله‌بن الصلت القمی قال: دخلت علی ابی‌جعفر الثانـی عليه‌السلام فی اخر عمره فسمعته يقول: جزی‌الله صفوان‌بن يحيی و محمدبـن سنان و زكريابن ادم عنی خيرا فقد مما اوصی[2] الی صفوان‌بن‌يحيی فقال: رحم‌الله اسمعيل‌بن خطاب و رحم‌الله صفوان فانهما من حزب ابائی و من كان من حزبنا ادخله‌الله الجنة. مات صفوان‌بـن يحيی فی سنة عشر و مائتين بالمدينة بعث اليه ابـوجعفر عليه‌السلام بحنوطه و كفنه و امر اسمعيل‌بن‌موسی بالصلوةعليه. «عن‌ابی‌الحسن الرضا عليه‌السلام قال: ان من علامات الفقه الحلم والصمت».

الشرح

قوله عليه‌السلام: من علامات الفقه، يدل علی ان كون الرجل فقيهاً امر مختف غامض لايمكن لاكثر الناس الاطلاع علی تحققه بكنهه فاحتيج فی‌معرفة الفقه الی‌هذه العلامات واللوازم، ولوكان المراد من‌الفقه معرفة الفتاوی الغريبة فـی‌الاحكام الفرعية والوقوف علی‌الاقـوال المختلفة فيها و حفظ المقالات المتعلقة بها لكان الموصوف به معروفا مشهوراً عندالناس ولم يحتج فی‌الاطلاع عليه الی مثل هذه‌العلامات العامة‌التی قد يوجد فی‌غيره، فعلم من هذا ان المراد به غير ماهو المشهور عند الجمهور.

و ذكر الغزالی فی‌كتاب الاحياء: انه سأل رجل عن الحسن البصری عن شیء فاجابه فقال: ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن: ثكلتك امك وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ انما الفقيه الزاهد فـی الدنيا الراغب فی الاخرة البصير بدينه، المداوم علی عبادة ربه

۱ــ برضای «كش».

۲ــ فقد وفوا الی «كش».

الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم[۱] ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى.

ولست اقول ان اسم الفقيه[۲] لم يكن متناولا للفتاوى فى الاحكام الظاهرة و لكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستبتاع وكان اطلاقهم على علم الاخرة اكثر فثار[۳] من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة و احكام القلب و وجدوا على ذلك معيناً من الطبع. فان علم الباطن غامض والعمل به عسر[۴] والتوصل به الى طلب القضاء والولاية والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان لتحسين ذلك فى القلوب مجالا بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع[۵] به.

الحديث الخامس
وهو السابع والستون

«احمدبن عبدالله»، هو اما ابن عيسى بن مصقلة بن سعد القمى الاشعرى ثقة لـه نسخة عن ابى جعفر عليه السلام؛ و امـا ابن احمدبن جلين[۶] بضم الجيم و تشديد اللام المكسورة ابوبكر الوراق، كان من اصحابنا ثقة فى حديثه مسكونا الى روايته، روى عنه الغضائرى. «عن احمدبن محمد البرقى عن بعض اصحابه رفعه قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: لايكون السفه والغرة فى قلب العالم».

۱ـ الناصح لجماعتهم «الاحياء».
۲ـ الفقه «الاحياء».
۳ـ فبان «الاحياء».
۴ـ عسير «الاحياء».
۵ـ فى الشرع «الاحياء».
۶ـ جلين الدورى «جش».

الشرح

السفه هــو الخفة والطيش، و سفه فلان رأيه اذا كان مضطرباً لا استقامة فيه، و لهذا وقع فی مقابلة الحلم فی حدیث جنود العقل والجهل، والسفيه الجاهل، وفی الحدیث: انما البغی من سفه الحق، ای من جهله وقد مر شرح معناه، والظاهر ان السفه لازم للجهل لانه نفس مفهومه، و تسمية احد المتلازمين بالاخر شائع؛ والغرة هی الغفلة عن لوازم الشیء، و قلة الفطنة للشر الذی تحته وترك البحث والتفتیش عنه.

اعلم انه يستفاد من هــذا الحديث ان اكثر الموصوفين بالعلم عندالناس ليسوا من العلماء و انما هم من الجهلة بالحقيقة، و ذلك لما شوهد من اكثرهــم ممن تعاطی افعال السفهاء والمغترين، و ذلك لركونهم الــی اهل الدنيا و سعيهم فــی طلب الجاه والشهرة و ميلهم الی الشهوات واللذات وتشوقهم الی تقرب السلاطين والتفوق علی الاقران والامثال وتهالكهم علی كثرة الاتباع والمريدين واظهار العداوة لمن لم يصدقهم او يرد عليهم او يناظرهــم ولو فی مسألة واحــدة، و ربما يتهجموا علی من ينكرهــم بالضرب والشتم والایذاء ان كانت لهم قدرة، او بالتكفير والطعن والافتراء ان لم يكن، و سائر ما يصدر عنهم مما يجری مجری هــذه الامور و جميع ذلك سفه و غرور كما لايخفی علی من له بصيرة قلبية.

فثبت ان العلم الممدوح عندالله و رسوله و اوليائه عليه و عليهم السلام نوع اخر من العلم يباين هذا الذی هو معروف عندالناس تبايناً بالحقيقه لالاجل الزيادة والنقصان او الشدة والضعف، فان هذا المشهــور كلما ازداد اكثر او وقع الامعان فيه اشد كــان صاحبه اكثر احتجابا عن المعبود و ازيد بعاداً عن الحق، و الی هذا اشار بقوله تعالی: و من الناس من يقول امنا بالله و باليوم الاخر و ماهم بمؤمنين (البقرة ــ ۸)، و قوله: و اذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا أنؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون (البقرة ــ ۱۳)، فی قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً (البقرة ــ ۱۰).

الحديث السادس
و هو الثامن والستون

«و بهذا الاسناد عن محمدبن خالد عن محمدبن سنان رفعه قال: قال عيسى بن مريم عليه‌السلام: يامعشر الحواريين لی اليكم حاجة اقضوها لی؟ قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فقبل[۱] اقدامهم فقالوا: كنا نحن احق بهذا يا روح‌الله، فقال: ان احق الناس بالخدمة العالم انما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدی فی الناس كتواضعی لكم ثم قال عيسى عليه‌السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر و كذلك فی السهل ينبت الزرع لافی الجبل».

الشرح

المراد بالحواريين اصحاب عيسى عليه‌السلام ای خلصائه و انصاره، و اصله من التحوير التبييض، قيل: انهم كانوا قصارين يحورون الثياب ای يبيضونها، ومنه الخبز الحواری الذی نخل مرة بعد مرة، قال الازهری: الحواريون خلصان الانبياء عليهم السلام وتأويله الذی اخلصوا ونقوا من كل عيب، قوله: قضيت بصيغة المجهول رعاية للادب وقعت بدل قضينا حاجتك، و فی بعض النسخ وقع فغسل اقدامهم بدل و قبل اقدامهم، السهل من الارض خلاف الحزن او الصعب.

الغرض من هذا الحديث، اثبات ان العالم يجب ان يكون متواضعاً لامتكبراً، و الاشارة الى لمية ذلك فذكر ان عيسى روح‌الله عليه‌السلام مع غاية رفعته وجلالته و علمه وشرافة ذاته تواضع لاصحابه غاية التواضع من وجوه: الاول حيث ارادتقبيل اقدامهم وهذا غاية مايصنع للتواضع، و الثانی انه عليه‌السلام استأذن فی ذلك عنهم اولا رعاية للادب، والثالث انه جعله مطلوباً له وسماه حاجة اليهم، و الرابع انه صنع ماصنع لمن هودونه وهم تابعوه وتلامذته و المستفيدون منه والمقتبسون عن مشكوة نوره.

۱ـ فغسل. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

ثم قال فی جواب قولهم: نحن احق بمثل هذا الصنع: ان احق الناس بالخدمة هو العالم ای و ان کان بالقیاس الی من دونه، ثم اخذ فی بیان فائدة مافعله وغایةماصنعه من التواضع و الخدمة وجعلها غایتین احدیهما متعدیة والاخری لازمة: اما التی یتعدی الی الغیر فهو تعلمهم ذلك منه و اقتداؤهم به علیه السلام و ذلك لکیلا ینتفعوا کما انتفع به ویستکملوا، و اما الثانیة وهی الغایة الذاتیة و السبب الاصلی فی فعل التواضع فما اشار الیه بقوله علیه السلام: بالتواضع تعمر الحکمة لا بالتکبر، و اکتفی فی بیان هذا الحکم بمثال کما هو عادة الانبیاء والرسل علیهم السلام حیث اتوا بالامثال و صوروا الحقائق الغامضة العقلیة بکسوة الأمثلة الحسیة.

و ذلك لان اکثر الناس یغلب علیهم الجهة الحسیة فلایمکنهم ادراك البراهین العقلیة ولاتجرید المعانی عن ملابس الصور، واما الذین صفت اذهانهم و کملت عقولهم وهم الافلون، فلفرط ذکائهم و قوة حالهم یتفطنون بالحقائق بواسطة الامثال المضروبة للناس کما قال سبحانه: و تلك الامثال نضربها للناس وما یعقلها الا العالمون (العنکبوت -٤٣).

و اما الوجه العقلی و السبب اللمی فی ذلك[1]: ان العلم الحقیقی کمال عقلی لا یحصل للانسان الا بحدوث فطرة ثانیة ونشأة اخرة له غیر الفطرة الاولی المشترکة بین الناس کلهم، ونسبة الاولی الی الثانیة کنسبة الجنس الی النوع ونسبة الحیوانیة الی الانسانیة العامیة، ولایمکن الترقی من نشأة الی نشأة اخری الا باستحالات و تبدلات من شأن الی شأن موجبة لهدم الاولی و زوالها و احکام الثانیة وبقائها.

فالتواضع و الخضوع، ولین الجانب وخفض الحال ورقة القلب وسائر ماهو من هذا القبیل مماله مدخلیة فی لطافة النفس و صفاتها و صیرورتها بمنزلة زجاجة لالون لها وصحیفة لانقش لها، فلاجل ذلك یقبل الهیئات العقلیة و العلوم الالهیة، فاذا امعن المرید للحق فی الریاضة و رفض الانانیة ومحو الصفات و الاثار استحدث لنفسه فطرة ثانیة، وصارقلبه کمرآة مجلوة یتراءی بها الحقائق کماهی، واما اذا اتصفت نفس

١- ای فی ان التواضع سبب لتعمیر الحکمة.

الانسان باضداد تلك الصفات ، فازدادت قساوة و فظاظة فانجمدت و تراكمت عليها الظلمة و الجهالة فتسفلت وبعدت عن قبول اثر الرحمة وفيض النور، فهذا هوبيان لمية قوله عليه‌السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لابالتكبر.

الحديث السابع
وهو التاسع والستون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن على بن معبد»، قال النجاشى: هو بغدادى من اصحاب الهادى عليه‌السلام له كتاب روى عنه ابراهيم بن هاشم، و فى الفهرست روى عنه موسى بن جعفر. «عمن ذكره عن معوية بن وهب عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: كان اميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: يا طالب العلم ان للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم والصمت، و للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصية و يظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة».

الشرح

لماكان كثيراً ما يقع للطلبة المريدين للعلم اشتباه بين العالم النحرير والمتكلف الجاهل النكير، فيتبعون لمن يضلهم عن الطريق و يغويهم عن سواء السبيل، فيبطل استعدادهم و يضطرب احوال معادهم. فاراد اميرالمؤمنين عليه‌السلام ترحماً عليهم و اشفاقاً بهم ان يعرفهم طريق معرفة الهداة المعلمين، والتميز بينهم و بين المدعين المضلين لئلا يضيع اوقاتهم فى طلب ما لايمكن الوصول لهم اليه ، ولا يتعطلوا عما خلقوا لاجله بسبب الانحراف عن منهج الهداية، والخوض فى مسلك الغواية، فضلوا ضلالا بعيداً و خسروا خسراناً مبيناً. فعين عليه‌السلام لهم علامات و اوصاف، يوصف بها العالم المحق المستبصر وعلامات و اوصاف يوصف بها الجاهل المتحير ليحصل لهم التميز بينهما ويرتفع عنهم الاشتباه بهما.

اما علامات العالم المذكورة هيهنا فثلاث: احديها وجود العلم، فان قلت: هذا

يرجع الى تعريف الشيء بنفسه وهو محال. قلنا: المطلوب معرفة العالم الحقيقى الذى يصلح الاقتداءِ بــه و[١]هتداء بهديــه، وله علامــات متعددة تحصل مــن مجموعها تلك المعرفة، ثم العلم الذى هو احدى العلامات ليس يجب ان يكون نفس العلم الذى هو بها عالم حقيقى، فان ذلك ملكة نفسانية ونور ربانى يقذفه الله فى قلب من يشاء و فضل الهى يختص به من يشاء من عباده، وهذا كرشحة صادرة من بحر ذلك النور، فيجوز ان يكون من جملة العلامات.

و ثانيتها الحلم وهو التمكين والوقار خلاف السفه والطيش.

و ثالثتها الصمت وهو السكوت الا عند الضرورة.

و اما علامــات الجاهل المموه بصورة العلم والمنافق المتكلف بــزى العلماء بحسب ماذكر ههنا فهى ايضاً ثلاث:

احديها ان من عادته و صنيعه انه ينازع من فوقه بالمعصية، و ذلك لان غــرضه الاصلى من المباحثة والمناظرة اظهار الفضيلة والعلم عند العوام والجهال، فاذا ناظــر من دونه لم يظهر له عندهم فضيلة، و اذا ناظر من فوقه فلايمكنه المعارضة معه بــوجه الحق فلابد ان ينازعه بوجه الغدر او المراوغة[٢] والافتراء او نحوها ليدلس على الناس انه الزم الفلانى الفاضل فى البحث، فيحصل مطلوبه وهو الجاه والقبول عند الخلق و ان كان عاصيا مردوداً عند الله.

والثانية انه يلزم من دونه بالغلبة، اى يفعل الزام من هو دونه فى القدر والاعتبار بسبب الغلبة بالمال والجاه او نحوهما لا بسبب قوة العلم.

والثالثة انه يظاهــر سلاطين الظلم و امــراء الجور و يعاونهــم على ظلمهم و يصدقهم فى كذبهم و جورهم، لانه بالتقرب اليهم يصل الى اغراضه الدنياوية من الجاه والمال والشهرة التى لاجلها اكتسب العلم ، ومعلوم ان التقرب اليهم والمنزلة عندهم لايمكن الا بمظاهرتهم و معاونتهم على ظلمهم و جورهم و كذبهم.

١ــ يصلح للاقتداء به و للاهتداء بهديه ــ نسخة البدل فى الاصل للشارح

٢ــ اى المخادعة والمماكرة.

و یحتمل ان یراد باللفظ[1] صیغة المصدر فقوله علیه‌السلام : یظاهر الظلمة، ای یعاون وینصر جانب الظلم والظلمة کما فی حدیث علی علیه‌السلام: انه بارز یوم بدر و ظاهر، ای نصر و اعان الحق والاسلام. واما فعل الجاهل المدعی للعلم فهو اعانة الظلم والجور، لانه عندظهور العدل واقامة الحق لم‌یبق له فضیلة ومنزلة عند احد بل ینکشف عواره و تدحض حجته ویزهق باطله و هکذا حال اعداءالله یوم‌الحساب، و لهذا قیل: یوم‌العدل اشد علی‌الظالم من یوم الجور علی‌المظلوم.

باب حق العالم

و هوالباب السابع من کتاب العقل و العلم وفیه حدیث واحد : هو الحدیث السبعون

«علی‌بن‌محمدبن عبدالله»، ابوالحسن القزوینی القاضی وجه‌من وجوه‌اصحابنا ثقة فی‌الحدیث، قدم بغداد سنة ست وخمسین وثلثمائة ومعه مـن کتب‌العیاشی قطعة و هواول من اوردها بغداد، و رواهـا عن ابی‌جعفر احمدبن عیسی‌الزاهد عـن‌العیاشی کذا فی «صه».

وفی کتاب النجاشی، وفیه اشکال وهو: ان هذا التاریخ بعد وفاة الکلینی رحمه الله، لان وفاته سنة ثمان وعشرین وثلثمائة، ویمکن التفصی عنه بانه یحتمل ان یکون ملاقاة الشیخ ایاه قبل قدومه بغداد بمدة هی ازید من‌اثنین وعشرین سنة «عن احمدبن محمدبن خالد[2] عن سلیمان‌بن جعفرالجعفری» بن‌ابراهیم‌بن‌محمدبن علی‌بن عبدالله‌بن جعفرالطیارابومحمدالطالبی‌الجعفری، روی‌عن‌الرضا علیه‌السلام و روی ابوه عن ابی عبدالله وابی‌الحسن علیهماالسلام وکانا ثقتین «صه» وفی‌الفهرست ابن جعفر الجعفری ثقة من اصحاب الرضا و الکاظم علیهماالسلام.

و روی الکشی عن‌الحسن‌بن علی‌عن سلیمان‌بن جعفر الجعفری، قال: قال‌العبد

۱ــ ای لفظ الظلمة.

۲ــ عن احمدبن محمد، عن محمدبن خالد «الکافی».

الصالح لسليمان بـن جعفر: يا سليمان ولـدك رسول الله صلى الله عليه و اله؟ قال نعم ، و ولدك على [ع] مرتين؟ قال نعم، قال وانت لجعفر رحمه الله عليه؟ قـال نعم، قال: و لولا التى انت عليها ما انتفعت[1]. قال النجاشي: له كتاب عبدالله بن محمد بن عيسى روى عنه. «عمن ذكره عن ابى عبدالله عليه السلام قـال: كان اميرالمؤمنين عليه السلام يقول: ان من حق العالم ان لاتكثر عليه السؤال ولاتأخذ بثوبـه، و اذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بـا لتحية دونهم و اجلس بين يديه ولاتجلس خلفه، ولاتغمز بعينك ولاتستر بيدك ولاتكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولاتضجر بطول صحبته فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء، و العالم اعظم اجراً من الصائم القائم الغازى فى سبيل الله تعالى».

الشرح

قوله عليه السلام: لاتغمز، من غمزت الشيء بعينى او بالحاجب من باب ضرب اذا اشار اليه فحذف المفعول وهو الضمير العائد الى العالم، و كذا فى قوله عليه السلام: ولاتشر بيدك، اى لاتغمزه بعينك ولاتشر اليه بيدك، ويحتمل ان يكون المراد ان النهى عن فعل الغمز بالعين و الاشارة باليد فى حضوره و ان كان بالقياس الى غيره، لان ذلك ينافى التعظيم و الحرمة ولذلك حذف المفعول، لان الغرض ترك اصـل الفعل مطلقاً و كذا الحال اذا كان المطلوب اتيان اصل الفعل كقولك: فلان يكتب و فلان يزرع، اذ المقصود اثبات اصل الكتابة او الزراعة، قوله عليه السلام: ولاتكثر من القول، اى لاتكثر من نقل قول الغير عنده مخالفاً لقوله، وقوله عليه السلام: لاتضجر، صيغة نهى من باب تفعل اى لاتتضجر فحذفت احـدى التائين كما هو القياس، و بـاقى الفاظ الحديث واضحة لاسترة فيها.

۱ــ و لولا الذى انت عليه ما انتفعت بهذا «كش» اى الخصلة التى انت عليها.

تذنيب

اعلم ان لكل من العالم فى تعليمه وللمتعلم فى تعلمه حقوقاً على الاخر و وظائف بالقياس اليه، اما حق المعلم على المتعلم فلايعرف قدره الاالله، لان حقه اعظم مـن حق الوالد لولده، و انما وقعت الاشارة فى هذا الحديث الى ماهـو الجلى المكشوف منه فى رعاية الاداب الظاهرة بالنسبة اليه، واما وظيفته بالقياس الى المتعلمين فامور:

الاول الشفقة عليهم وان يجرى بهم مجرى بنيه كما روى عنه صلى الله عليه واله انه قال: انما انا لكم مثل الوالد لولده، فيكون قصده انقاذه من نارالاخرة التى تطلع على الافئدة ولذا كان حقه اعظم من حق الوالدين. فان الوالد سبب الوجودالدنيوى المنقطع والحيوة الـدنية المنقطعة و انما المعلم هوالمفيد للحيوة الاخـروية الشريفة الدائمة، اعنى معلم العلوم الاخروية، ولولاتعليمه لانساق مـا حصل من جهةالاب الى الهلاك الدائم؛ و اما التعليم لعلوم الـدنيا لاعلى قصد الاخرة، فذلك هـلاك و اهلاك، نعوذ بالله منه.

الثانى ان يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه واله فلايطلب على افـادة العلم اجراً ولايقصد جزاء منهم ولاشكورا، بل يعلم لوجه الله وطلبا للزلفى لديه ولايرى لنفسه منة عليهم و ان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم، اذثوابك فى التعليم اكثر من ثوابهم فى التعلم عندالله تعالى ولولاالمتعلم مانلت هذاالثواب[1]، ومثاله فى المحسوس: كالـذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بهاتزيد على منفعة صـاحب الارض، فالمتعلم ايضا هذب ارض قلبه لان يتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها، وانتفاعك منها ازيد من انتفاعه فلاتطلب الاجر الامن الله فان الله قال لنبيه صلى الله عليه واله: قل لااسئلكم عليه اجراً (الانعام ـ ٩٠).

الثالث ان يقتصر بالمتعلم على قدرفهمه، فلايلقى اليه مالايبلغ عقله اياه فينفره اويخبط عليه عقله، اقتداءً بسيدالمعلمين عليه واله السلام حيث قال: نحن معاشرالانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم، ويقول المعلم الثانى اميرالمؤمنين عليه السلام

١ـ فالمتعلمون علة للمعلمين فى تحصيل الثواب.

واومى الى صدره الشريف: ان ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة، فـان قلوب الاحرارقبور الأسرار فلاينبغى ان يفشى المعلم كل مايعلمه الى كل احد[١].

وعن النبى صلى الله عليه واله: لاتعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير، فان الحكمة خيرمن الجوهرة ومن كـرهها فهو اشرمن الخنزير، وسأل بعض العلماء رحمهم الله عن مسألة فلم يجب فقال السائل: اما سمعت النبى صلى الله عليه واله حيث يقول: مـن كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار؟ فقال: اترك اللجام و اذهب، فان جائنى من ينفعه فكتمته فليلجمنى، وقول الله تعالى: ولاتؤتوا السفهاء امـوالكم (النساء ــ ٥)، تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى، وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق، و ما احسن ماقيل:

فمن منح الجهـال علماً اضـاعه و من منع المستوجبين فقد ظلم

الرابع ان يزجر المتعلم عن الاخلاق الرديئة بطريق التعريض ما امكن ولايصرح وبطريق المرحمة لابطريق التوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة و يورث الجرأة على الهجوم بالخلاف و يهيج الحرص على الاصرار، وعنه صلى الله عليه واله: لومنع الناس عن فت البعر لفتوه[٢] وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شيء.

ومما ينبه على هذا قصة ادم وحوا عليهما السلام وقصدهما الى مانهيا عن تناوله و هو ادون شيء مـن ثمار الجنة، و لأن التعريض بالشيء ايضا يميل النفوس الفاضلة و الأذهان الزكية الى استنباط معانيه، فيزيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العمل به ليعلم ان ذلك ممالم يعزب عن فطنته.

الخامس ان يكـون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لان العلم يـدرك بالبصائر والعمل بالابصار و ارباب الابصار اكثر، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول سماً و قال للناس: لاتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به و اتهموه و

١ــ كذا فى الاصل. والظاهر: كل واحد.

٢ــ الفتة: بعرة اوروثة مفتوتة توضع تحت الزند عند القدح.

زاد حرصهم علیه ویقولون: لولا انه اطیب الاشیاء والذها لما کان یستأثر به، قال‌تعالی: أتأمـرون الناس بالبر و تنسون انفسکم (البقرة ـ ۴۴)، و لذلک کان وزر العالم فـی المعاصی ازید لانه یزل بزلته عالم فیقتدون به.

فهذه خمس وظائف من جملة وظائف المعلم وهی کثیرة لکن معظمها وواجبها ما ذکرناه.

واما وظائف المتعلم و ادابه فهی ایضاً کثیرة نذکر منها ستة:

الوظیفة الاولی تقدیم طهارة النفس عـن رذائل الاخلاق و ذمائم الصفات، اذ النفس‌القابلة لتجلی‌الصور العلمیة بمنزلة‌المرآة القابلة لتجلی‌الصورالحسیة، والمرآة اذا تکدرت بالرین والغشاوة والطبع لم‌یقبل شیئا، وکـذا النفس اذا تلطخت بادناس الاخلاق الذمیمة و ارجاس‌الصفات البهیمیة والسبعیة والشیطانیة لم‌تقبل شیئاً من‌العلوم الحقة، فلابد من تهذیبها وتطهیرها اولا ثم الی تنویرها وتصویرها بالعلم ثانیاً، و ایضا العلم عبادة القلب وصلوة السر و قربة الباطن الی‌الله تعالی.

فکما لاتصح الصلوة التی هی وظیفة الجوارح الظاهرة الا بتطهیر الظاهر عن الاحداث والاخباث فکذلک لایصح عبادة الباطن و عمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث‌الاخلاق و انجاس الصفات و قال تعالی: انما المشرکون نجس (التوبة ـ ۲۸)، تنبیهاً للعقول علی ان الطهـارة والنجاسة غیر مقصورة علی الظواهر المدرکـة بالحس، فالمشرک قدیکون نظیف الثوب مغسول البدن ولکنه نجس‌الجوهر، ای‌باطنه ملطخ بـالخبائث، والنجاسة عبارة عن مایجتنب و یتنفر منه، و خبائث‌الباطـن اهـم بالاجتناب لانها مع خبثها فی‌الحال مهلکات فی المآل و لذلک قال صلی‌الله علیه و اله: لایدخل‌الملائکة بیتاً فیه کلب.

والقلب بیت هو منزل الملائکة و مهبط اثرهم، والصفات الردیئة مثل الغضب والشهـوة، والحقد والحسد والکبر والعجب و اخواتها کلاب نائحة و سباع ضاریة، فانی یدخله الملائکة وهو مشحون بالکلاب والسباع؟ و نور العلم لایقذفه‌الله فی‌القلب الا بواسطة الملائکة لقوله‌تعالی: وماکان لبشر ان‌یکلمه‌الله الا وحیاً اومن وراء حجاب

او يرسل رسولا (الشورى ـ ۵۱).... الاية، و هكـذا ما يرسل من رحمة العلوم الـى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون يالعلوم و هم اجل قدراً و اصفى جوهراً مـن الملائكة الموكلين بالاعمال، فهم المقدسون المطهرون المنزهون عن المذمومات رأساً فلا يلاحظون الا طيباً، ولايعمرون بما عندهم من خزائن رحمة‌الله الا طاهراً.

فان قلت: نحن نرى من الطلاب من هو رديء الاخلاق وقدحصل العلوم.

قلنا: هيهات! ما ابعدك عن معرفة العلم الحقيقى النافع فى الاخرة؟ والذى تظنه العلم ليس بعلم، و لهذا ورد: ان العلم نـور يقذفه‌الله فـى القلب، و ليس ذلك بكثرة الرواية و حفظ الاقوال ولا بقوة المباحثة والجدال. ولوكنت عـرفت مراتب العلم و عرفت علم الاخرة استبان لك ان اكثر مـن يعدون من العلماء الفحول والبارعين فـى الفروع والاصول الذى اشتغلوا به و سموه علم الدين، ليس بمغن عن الحق شيئا مـن حيث كـونه علماً، وانما الفائدة والغناء فيه مـن حيث العمل اذا كان القصد فيه التقرب الى‌الله والاخلاص له.

والحاصل ان هذه العلوم المشهورة عندالجمهور من باب الاعمال لانها متعلقةبها و ثوابها ثواب الاعمال و اجرهم فيها لايزيد على اجر الاعمال[1] لانها كالجزء منها. و امـا العلم المحض المطلق الذى يترتب عليه نيل رتبة العلماء مـن حيث كونهم علماء فذلك علم اخر غيرمتعلق بعمل ولابكيفية عمل ولاحاجة فيه الى نية التقرب زائدة عليه لانه نفس التقرب اليه تعالى.

الوظيفة الثانية ان يقلل علائقه مـن شواغل الدنيا كالاهل و الولد و الـوطن و المال و الجاه وغيرها، بل يجب ان يكون المريد الطالب بسيط المطلب احدى الهمة حتى لايشغله شيء عن سلوكه، و ذلك لان الذى لايشغله شأن عن شأن ويمكنه الجمع بين الحق و الخلق ولايلهيه تجارة ولابيع عن ذكرالله انما يمكن ذلـك ان يتحقق له بعد تحصيل الكمال، وحصول الملكة الراسخة فى العلم لاقبله سيما فى بداية السلوك و اوائـل الحال، اللهم الا ان يكون جوهر نفسه جوهراً قدسياً فى غـاية الانارة والصفاء

۱ـ العمل. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

يـكادزيتها يضىء ولـولم تمسسه نار (النور ـ ۳۵)، و هـذا يقع علـى سبيل الشذوذ كنفس النبى صلى‌الله عليه واله و الولى الكامل عليه‌السلام.

و امـا نفوس امثالنا فكما قال تعالـى: ماجعل‌الله لـرجل من قلبين فى جـوفه (الاحزاب ـ۴)، فمهما توزعت افكارنا فصرف عن ادراك الحقائق كماهى، و لذلك قيل: للعلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، والفكرة الموزعة على امور متفرقة كجدول يتفرق ماؤه فيجذب الارض بعضه ويخطف الهواء بعضه، فلايبلغ شىء منه الزرع.

الوظيفة الثالثة ان يلقى المتعلم المريد زمام امره بالكلية الى المعلم المرشد، و يذعن له فى كـل مايعين له من العلم المناسب لرتبته وحـاله حتى يجعل نفسه بين يديه كالمريض الجاهل بين يدى الطبيب الحاذق يداويه بمايشاء من الدواء، بـل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء، فيذعن لماينقله من علم الى علم.

الوظيفة الرابعة ان يتواضع له فى الظاهر ويخدمه كما يعتقده وينقادله فى الباطن فان الاعمال الظاهرة مؤكدات للاحوال القلبية، فيطلب الثواب بخدمته وطاعته ونيل الشرف الذى له بملازمته.

قال الشعبى: صلى زيدبن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضى‌الله‌عنه فاخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يابن عم رسول‌الله صلى عليه واله، فقال ابن عباس: وكذا امرنا ان نفعل بالعلماءِ والكبراء، فقبل زيدين ثابت يده وقال: هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى‌الله عليه وآله.

روى عنه صلى‌الله عليه واله: ليس من اخلاق المؤمن الملق[1] الا فى طلب العلم، ومن تكبر على العلم بان يستنكف من الاستفادة الامن المشهورين فهومن عين الحماقة، فان العلم سبب النجاة من الهلاك الدائم، فحاله كحال من يطلب مهرباً من سبع ضاريفترسه فيرشده رجل الى المهرب فلايقبل منه الارشاد لانه خامل غيرمشهور، فـالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفربها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائناً من كان.

الوظيفة الخامسة ان لايـدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة، ونـوعاً من

۱ـ رجل ملق: يعطى بلسانه ماليس فى قلبه.

الانواع الا و نظر فيه نظراً يطلع على مقصده و غايته و يقف على مجامع مفصلاته، وجمل مسائله فان ساعده العمر طلب التبحر فيه، و الا اشتغل بالعلم الذى هو الاهم فاستوفاه و اكتفى من البقية بطرف، و اياه و انكار شيء من العلوم المتعارفة فان ذلك منشاؤه الجهل به كما قيل: الناس اعداءٍ لماجهلوا، قال تعالى: و اذلم يهتدوا به فسيقولون هـذا افك قديم (الاحقاف ـ ۱۱)، قال الشاعر:

و مـن يـك ذا فـم مرمريض يجد مـراً بـه الماء الـزلالا

فالعلوم على درجاتها انوار متفاوتة بعضها فوق بعض، فهى اما مقربة للعبد الى الله او معينة له على سلوك طريق القرب نـوعاً من الاعانة و لكل منها رتبة و العبد بحسبه اجر فى الاخرة اذا قصد به وجه الله، و ذلك برعاية الترتيب فى تحصيلها زمـاناً و كمية و شرفاً و اهتماماً حتى لايصير بعضها حجابا عن بعض سيما الادنى عن الاعلى.

الوظيفة السادسة ان يعرف المتعلم السبب الذى به ينال شرف العلم، و يعلم ان اى العلوم اشرف و اجل، و ذلك قد خفى على اكثر الطلبة وغيرهم.

و اعلم ان ذلك يراد به ثلاثة امور: احدها شرف الثمرة و الثانى وثـاقة الدليل و الثالث نباهة الموضوع، فاذا قيس بين علم وعلم فانما يحكم بشرف احـدهما على الاخـر بواحد من الامور الثلاثه اوبـاكثر، و ربما كـان احمدهما اشرف من الاخـر بوجه و الاخر اشرف منه بوجـه اخر، و ذلك[۱] كعلم الشريعة وعلم الطب، فـان ثمرة احدهما سلامة العاقبة و ثمرة الاخر سلامة الدنيا فيكون علم الشريعة اشرف، اذلاتفاضل بينهما فى وثاقة الدليل لكون الدليل فى كل منهما ظنياً ولافى فضيلة الموضوع لكون الموضوعين متقاربين، لان موضوع احدهما بدن الانسان و موضـوع الاخر فعله، ومثل علم الحساب و علم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته، و اذا نسب الحساب الى الطب كـان الطب اشرف باعتبار الثمرة و الحساب باعتبار الادلة و مـلاحظة الثمرة اولى، ومثل علم الحيوان وعلم المعادن فان الاول اشرف باعتبار الموضوع، و اذا قيس علم الحيوان الى الحساب كان الاول اشرف باعتبار الموضوع و الثانى اشرف باعتبار

۱ـ اى اشرافة العلوم بعضها على بعض باحد من الامور الثلاثة.

الادلة.

وبما ذكرنا يتبين ان اشرف العلوم، العلم بالله وملائكته وكتبه و رسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم وهوعلم النفس.

اما من جهة الموضوع، فلاموضوع اجل و ارفع من ذات الله تعالى وبعده من جواهر الملائكة والقلم الاعلى و اللوح المحفوظ و الكتب المكرمة عن الادناس والرسل المطهرة عن الاثام والوسواس.

و اما من جهة الدليل: فبراهين هذا العلم لميات ضرورية دائمة غير مقيدة بزمان او وصف اوشرط.

و اما الثمرة: فلاثمرة اشرف من السعادة الحقيقية الاخروية اعنى لقاءالله تعالى ومجاورة المقدسين ومصاحبة المقربين، فاياك و ان ترغب الافيه وتحرص الاعليه، فكن حريضاً على معرفة هذا السر المكنون و الكنز المخزون الخارج من بضاعةالفقهاء و المتكلمين ومن صناعة المتفلسفة والطبيعيين، و انما يستنبط من النظر فى كتاب الله المبين و احاديث رسوله الامين و كلمات اهل بيته الطاهرين سلام الله عليه وعليهم اجمعين، وهو بحر لايدرك منتهى غوره و اقصى درجة البشرفيه رتبة الانبياء ثم الاولياء الذين يلوونهم.

وحكى انه رؤيت صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين فى مسجد، وفى يد احدهما رقعة وفيها: ان احسنت كل شيء، فلاتظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء، وفي يد الاخر: كنت قبل ان عرفت الله اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلاشرب.

فهذه ست وظائف من وظائف الطالب المتعلم خصصناها بالذكر، فان لكل من المعلم و المتعلم وظائف و ادابأ كثيرة، و انما اخترناواوردنا ماهواهم وادق واشرف، و اتركنا سائر الاداب الحسية والوظائف النقلية تعويلا على المذكور فى كتب الاخلاق وغيرها كرسالة اداب المتعلمين للمحقق الطوسى واخرى لزين الملة والدين رحمه الله.

و اعلم ان العلوم بالقياس الى سلوك الاخرة، وطلب المقصد الاعلى و الثمرة

العظمى على ثلاث درجات و اقسام:

قسم يجرى مجرى اعداد الزاد و الـراحلة فى السفر، و ذلك كعلم الفقه و علم الطب ومايتعلق بمصالح البدن فى الدنيا، لان البدن مركب النفس فى سفر الاخرة.

وقسم يجرى مجرى سلوك البوادى وقطع العقبات، وهوعلم تطهير الباطن عن كدورات الصفات وخبائث الملكات، وقطع تلك العقبات الشامخة و دفع مؤذياتها عن القلب هو سلوك طريق السعادة، ولابدفيه من علم متكفل لمعرفة جهات هذا الطريق ومنازله، وهوعلم تهذيب الاخلاق وعلم السياسات. و العلم بهذه الامورالتى هى الاعمال القلبية غير نفس العمل و المباشرة، ولكن لايتم العمل بدون العلم.

والقسم الثالث يجرى مجرى حضور اركان المنزل واعيان الموطن ومشاهدتها، و هوالعلم بالله وصفاته وملائكته و افعاله الاولية، وهذا العلم يقال له: علم المكاشفة، و القسمان الاولان يقال لهما: علم المعاملة.

و اعلـم ان النجاة غير و الفوز بالسعادة غير، فالنجاة والسلامة حـاصلة لكل سالك للطريق بنية صادقة، و اما الفوزبالسعادة: فلاينا له الا العارفون، اولئك المقربون المنعمون فلهم: روح و ريحان وجنة نعيم (الواقعة ـ۸۹) و اما السالكون الناجون فهم اصحاب اليمين، فسلام لك من اصحاب اليمين (الواقعة ـ۹۱)، واما الواقفون عن السلوك نحوالمقصد فهم من اصحاب الشمال، فنزل من حميم و تصلية جحيم. (الواقعه ـ ۹۳ و۹۴)

باب فقد العلماء

و هوالباب الثامن من كتاب العقل و العلم و فيه ستة احاديث:

الحديث الاول

و هوالواحد والسبعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خـالد، عن عثمان بن عيسى عن ابـى ايوب الخراز» بالخاء المعجمة والراء قبل الالف والزاء بعدها وقيل قبلها ايضاً، اسمه

ابراهیم‌بن عیسی وقیل: ابن عثمان، فی‌النجاشی من اصحاب الصادق علیه‌السلام، و فی «صه» ثقة کبیر المنزلة روی عن ابی‌عبدالله و ابی‌الحسن الـکاظم علیهماالسلام. و فی کتاب ابن داود قال محمد بن مسعود عن علی‌بن الحسین ابوایوب الخراز: کوفی اسمه ابراهیم‌بن عیسی، وقیل ابن عثمان ثم فیه ابراهیم‌بن عثمان الخزاز المکنی بابی ایوب «لم» «ست»[1] ثقة.

وعن الشهید الثانی رحمه‌الله: ظـاهر الحال ان ابن عثمان هذا هو زیاد الـذی فیه قولان: ابن عثمان و ابن عیسی، و هو الذی یقتضیه طبقته و کـلام غیره من علماء الفن. انتهی.

قال الفاضل الأسترابادی بعد ما نقل کلام الشهید: فلایخفی ان ما فیه من علامة «لم» سهو ایضا. «عن سلیمان ابن خالد» بن دهقان‌بن نافلة مولی‌عفیف ابوالربیع الأـ قطع خرج مع زید فقطعت اصبعه لم یخرج من[2] اصحاب ابی‌جعفر علیه‌السلام غیره، ثقة صاحب القران و قال البرقی: سلیمان‌بن خالد البجلی الاقطع کوفی کان خرج مع زیدبن‌علی فافلت. وفی کتاب سعد: انه خرج مع زید فافلت فمن‌الله علیه و تاب ورجع وکان فقیهاً وجهاً روی عن‌الصادق و الباقر علیهما السلام، وکان الذی قطع یده یوسف بن‌عمر بنفسه مات فی‌حیوة ابی‌عبدالله علیه‌السلام، و رویت فی‌معناه احادیث ذکرناها فی کتابنا الکبیر «صه».

و قال الشهید الثانی رحمه‌الله: سلیمان بن خالد لم یـوثقه النجاشی ولا الشیخ الطوسی ولکن روی الکشی عن حمدویه انه سأل ایوب‌بن نوح عنه أثقة هـو؟ فقال: کما یکون الثقة[3]، فالاصل فی توثیقه ایوب‌بن نوح و ناهیك به. انتهی.

و قال الکشی: محمدبن الحسن و عثمان بن خالد[4] قالا: حدثنا محمدبن داود[5]

۱ــ «لم» ای ولمن لم یرو عنهم علیه‌السلام و «ست» الفهرست للطوسی رحمه‌الله.

۲ــ لم یخرج معه من «جش».

۳ــ ای فهو متصف بصفات و حالات یکون الثقة علیها علی احسن وجه.

۴ــ حامد «کش ــ جامع‌الرواة».

۵ــ یزداد «کش ــ جامع‌الرواة».

عن محمدبن الحسين، عــن الحسن بن على بن فضال عــن مروان بن مسلم، عن عمار الساباطى قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيدبن على فقال له رجل: ونحن وقوف فى ناحية و زيد فى ناحية، ما تقول فى زيد هــو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت: والله ليوم من جعفر خير من ايام الدنيا من زيد[1]، قال: فحرك دابته و اتــى زيداً و قص عليه القصة قال: فمضيت نحوه فانتهيت الى زيد وهويقول: جعفر امامنا فى الحلال والحرام «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس مــن موت فقيه».

الشرح

معنى الفاظه واضح و دليله معلوم، لانه اذا كانت زلــة العالم زلة العالم كماسبق فكان موته موت العالم، فان حيوة المقلد بحيوة من قلده من القائدين.

الحديث الثانى
و هوالثانى و السبعون

«على بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابــى عمير، عن بعض اصحابنا[2] عن ابى عبدالله عليه السلام قال: اذا مات المؤمن الفقيه ثلم فى الاسلام ثلمة لايسدها شىء».

الشرح

الثلمة الخلل فى الحيطان وغيره، وثلم من باب علم فهواثلم بين الثلم وثلمته من باب ضرب ثلما فانثلم وتثلم فقديقال: ثلمته بالتشديد للتكثير، وفى السيف ثلم وفى الاناء ثلم اذا انكسر من شفته شىء، و فى الحديث نهى عن الشرب من ثلمة القدح اى موضع الكسر، قيل انما نهى عنه لانه لايتماسك عليها فم الشارب، و ربما انصب الماء على ثوبه

۱ــ من زيد ايام الدنيا «كش ــ جامع الرواة».
۲ــ اصحابه (الكافى).

وبدنه، وقيل. لان موضعها لايناله التنظيف التام اذا غسل الاناء. وقدجاء فی لفظ الحديث على بعض الرواية: انه مقعد الشيطان، ولعله ارادبه عدم النظافة.

واعلم ان قوله عليه السلام: ثلم فی الاسلام، استعارة بالكناية تشبيها للاسلام بحائط اوبيت و العالم بمنزلة مايسدبه من الخلل به، و هـذا كما روى ان رسول الله صلى الله عليه واله مثل النبوة بالحائط من اللبن وقـدكمل الاموضع لبنة واحدة وكان صلى الله عليه واله تلك اللبنة فختمت به النبوة.

و ههنا اشكال و هو انه اذامات فقيه يحتمل ان يوجد بدله فقيه واحـداو اكثر افضل منه يسدبه الخلل الواقع فی الاسلام، ويمكن دفعه بان المراد باللام فی المؤمن الفقيه الجنس، وقد ثبت ان ارتفاع الطبيعة برفع جميع افرادها فكذا حكـم الموت لانه عدم.

الحديث الثالث
وهوالثالث و السبعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد عن ابن محبوب، عن على بن ابـى حمزة قال: سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: اذا مـات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض التى كان يعبدالله عليها، و ابواب السماء التى كـان يصعد فيها باعماله، وثلم فی الاسلام ثلمة لايسدها شیء، لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن[1] سورالمدينة لها».

الشرح

اعلم ان العالم الحقيقى هوالذى يستحضر عنده صورالاشياء وحقائقها، والاشياء ضربان: ضرب منها ما صورة ذاته مخلوطة بالامور الغريبة والغواشى والعوارض التى اذا عرضت لشیء يجعلها جزئية قابلة للتجزى والانقسام والعدم والفساد، وضرب اخر

۱ـ كحصون. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

ما ليس كذلك بل صورة ذاته له لالشيء اخر، حقيقة ذاته مجردة عن اللبوسات الحسية و الغواشي المادية، فالقسم الاول كعالم الدنيا و كل مافيها والقسم الثاني عالم الاخرة وعالم الملكوت.

اذا تقرر هذا فنقول: شأن العالم الحكيم ان ينظر اولا في الموجودات التي في هذا العالم، ويعرف حقيقة كل نوع من الجمادات والنباتات واقسام الحيوانات، ويفرق بين ذاتياتها وعرضياتها ويجرد صورة ذاتها ولب حقيقتها عن مايلابسها من القشورات و الغواشي الغريبة. ثم ينظر في اسبابها وعللها وغاياتها ومنافعها فيعرف بها موجدها الحقيقي ومسبب اسبابها فيستكمل ذاته بتلك المعارف و الصور العقلية فيصير كأنها اجزاء ذاتها، ثم ينتقل منها ويترقى بذهنه الى عالم الربوبية مشاهداً هناك لتلك الحقائق الصافية عن الكدورات المطهرة عن الادناس و الظلمات، مسافراً من الخلق الى الحق.

فاذا كان الامر كذلك فلكل موجود مما في عالم الارض وبقاعها رابطة معنوية وحنو ذاتي و انجذاب طبيعي الى ذات العالم لما علمت من كون بواطنها و ارواحها متصلة به، اذ كل ما في هذا العالم له حقيقة روحانية بها يسبح لله تعالى ويحمده، فاذامات المؤمن العارف، اى صعد روحه الى العالم الاعلى بكت عليه الملائكة الارضية واهل البقاع الارضية، لان هوياتها الجزئية من جنس مايصحبه من الهويات الروحانية، و كذا ابواب السماء اى طبائعها ونفوسها التي يصعد اليها اعمال بنى آدم اى نتائج اعمالها و افعالها وغاية علومها و افكارها التى لايزيد على ذاتها وكمالات ذاتها.

و اما قوله عليه السلام: وثلم في الاسلام «آه»[1] فوجهه كمامرت سابقاً الاشارة اليه: ان الاسلام عبارة عن مجموع اعتقادات عقلية و قوانين كلية معلومة بالبراهين. و اهل الاسلام، اما عارفون بهذه الاعتقادات عرفانا عقليا او كشفيا، اومتلقفون تقليداً و رسماً، و الاعتقاد التقليدى قابل للانحلال و الزوال بادنى شبهة، فلولم يكن في هذا العالم ذوات كاملة نورية حاملة لهذه الاصول الاسلامية حافظة لها بالبراهين دافعة عنها شبه المنكرين و اوهام المضلين. لمابقيت قواعد الدين و عقائد المسلمين مستمرة

۱ـ اى: الى اخره.

محفوظة مصونة الى يوم الدين، بل ينثلم شيئا فشيئا الى ان يندرس ويضمحل بـالكلية، نعوذ بالله من ذلك.

فقد شبه الاسلام بمدينة هى مدينة السلام المحفوظة اهلها من جور الطغاة وعفاريت الجن ومردة الشياطين، والعلماء والفقهاء بمنزلة حصونها وحيطانها، وكل مؤمن عارف بمنزلة حصة من حصن اوجزء من حائط، فاذا مات ثلم ثلمة لايسدها شىء اخر الاخلف مثله فى المعرفة و اليقين.

الحديث الرابع
و هوالرابع و السبعون

«و عنه عن احمدبن محمد عن ابن محبوب، عن سليمان بن خالد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه».

الشرح

معنى الفاظه واضح، واما الـوجه فى سرور ابليس بموت الفقيه و هـو العالم بالمعارف الايمانية و كيفية السلوك على الصراط بالاعمال الصالحة الاعتدالية فلان شأنه وصنعه ضد ماهو شأن ابليس و صنعه، لان شأن العالم افادة العلم و تعليم الحق والارشاد الى سبيل الهداية والحث على طاعة الله والتقرب اليه، وشأن ابليس القاء الشك والوسوسة فى النفوس و ارائة الباطل فى صورة الحق واضلال الخلق و ازاغتهم[1] عن سبيل الصواب والحث على المعاصى.

فاذاكان العالم الربانى واقعاً على طرف الضد و غاية الخلاف من ابليس و هو ايضاً كذلك على ضده، والمتضادان متغالبان متفاسدان فى التغالب، فلاجـرم كل منهما يحب فقد صاحبه غاية المحبة، لانه بمنزلة حب الذات، و ليس مـوت سائر المؤمنين بهذه المنزلة، لان كلا منهم ان كان من شأنه استعداد هذه الدرجة فيكون كونه على طرف

١ــ زاغ زوغاً الشيء اماله، و زاغ البصر: انحرف و اضطرب.

الضد من حال ابليس امراً له بالقوة لابالفعل، وما بالقوة انقص من ما بالفعل، فاحباب ابليس موته اضعف و انقص من احبابه موت ما هو ضد له بالفعل على نسبة حال القوة والاستعداد الى حال الفعلية والحصول وان لم يكن من شأنه ذلك الاستعداد ايضا، فالحال فى ضعف السرور بموته اظهر.

الحديث الخامس
وهو الخامس والسبعون

«على بن محمد عن سهل بن زياد عن على بن اسباط»، قال الشيخ فى الفهرست: له اصل و روايات روى عنه محمدبن الحسين بن ابى الخطاب و موسى بن جعفر البغدادى، قال النجاشى : روى عنه محمدبن ايوب الدهقان و احمد بن هلال، و احمدبن يوسف بن حمزة بن زياد الجعفى. «عن عمه يعقوب بن سالم»، الاحمر الكوفى اخو اسباط بن سالم ثقة من اصحاب ابى عبدالله عليه السلام «عن داود بن فرقد»، مولى ال بنى السمال الاسدى النصرى بالنون، و فرقد يكنى ابايزيد الكوفى ثقة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام و اخوته يزيد وعبدالرحمن و عبدالحميد، قال ابن فضال: داود ثقة ثقة «صه».

قال الشهيد رحمه الله فى الحاشية: كذا فى كتاب النجاشى بنى السمال، وفى كتاب الشيخ و ابن داود: ال ابى السمال[1]، و اكثر نسخ الكتاب و جميع النسخ لغيره من الكتب السمال باللام وفى بعض نسخ الكتاب بالكاف.

و فى كتاب الكشى محمدبن مسعود قال: حدثنى عبدالله بن محمد قال: حدثنى

١ــ و فى كتاب نضد الايضاح للعلم الهدى رحمه الله: اقول: هذا موافق لاكثر كتب الرجال الا ان فى كتاب النجاشى والخلاصة هكذا: مولى ال بنى السمال، اثبته الاكثرون باللام و ضبطوه بتخفيف الميم، و منهم من شددها و بعضهم اثبته بالكاف مكان اللام، ثم اشتبه على بعض الاصحاب اسم ابيه فقال ابن مرقد بالميم وهو سهو، والصواب بالفاء كما اثبته العلامة.

الوشاء عن علی‌بن عقبة عن داود ابن فرقد، قال: قلت لابـی‌عبدالله علیه‌السلام: جعلت فداك کنت اصلی عندالقبر و اذاً رجل خلفی وهو یقول: أتریدون ان تهدوا من اضل‌الله والله ارکسهم بماکسبوا (النساء ـ ۸۸ ، وفی الایة تقدیم و تأخیر) قال: فالتفت الیه و قد تأول علی[1] هذه الایة و ما ادری من هو و انا اقول: وان الشیاطین لیوحـون الـی اولیائهم لیجادلـوکم و ان اطعتموهـم انکم لمشرکـون (الانعام ـ ۱۲۱)، فاذاً هـو هرون‌بن‌سعید[2]، قال: فضحك ابوعبدالله‌علیه‌السلام ثم قال: اصبت الجواب قبل‌الکلام باذن‌الله ثم قال: جعلت فداك لاجرم والله ما تکلم بکلمة، فقال ابوعبدالله علیه‌السلام: ما احد اجهل منهم ان فی المرجئة فتیا و علما[3] وفی الخوارج فتیا و علما وما احدا جهل منهم. «قال: قال ابوعبدالله علیه‌السلام: ان ابـی کان یقول: ان‌الله تعالی لایقبض العلم بعد ما یهبطه ولکن یموت العالم فیذهب بما یعلم فتلیهم الجفاة فیضلون ویضلون، ولا خیر فی شیء لیس له اصل».

الشرح

الجفاة جمع‌الجافی من‌الجفاء و هوالغلظ فی‌العشرة والخرق[4] فـی‌المعاملات وغیرها وترك الرفق و اللین، و المراد من الجفاة ههنا اهل النفوس الغلیظة و القلوب القاسیة الـذین لیس لهم استعداد اکتساب العلوم و المعارف. و المعنی: ان ذهـاب العلم من الـدنیا لیس‌کذهاب صفات الاجسام من الأجسام کـالطعوم و الروائح، لان العلم اذا حصل فی نفس العالـم یصیر صورة ذاته و نحو وجـود نفسه و به‌یصیر ذاته ذاتاً عقلیة غیرقابلة للموت والزوال، وهذا معنی‌قوله: ان‌الله لایقبض العلم بعد مایهبطه،

۱ـ ای تکرر و رجع الی.

۲ـ وفی الخلاصة: هرون‌بن سعد زیدی، و فی الکشی ابن‌سعید فی موضع وهو عند ذکر محمدبن‌سالم بیاع القصب، وابن‌سعد ایضاً فی‌هذاالموضع. منه قدس‌سره فی‌الحاشیة.

۳ـ الفتیا بالضم: الفتوی و فی بعض النسخ: فتیا وعلماء.

۴ـ خرق خرقاً اذا علم شیئا فلم یرفق فیه.

بل ذهاب العلم عن الدنيا انما يتحقق بموت العلماء و انقراضهم و ان يخلفهم و ينوبهم نفوس جافية غليظة يلوا امور الناس، فهم لقصور جوهرهم و سوء طريقهم يضلون عن طريق الحق ثم بادعائهم الفضل و استدعائهم استتباعهم للناس يضلونهم، و اذ لا يكون للمتبوع علم فكيف يحصل للتابع علم؟ فينعدم العلم و العدل عن العالم و ينتشر الجور و الظلم، و هذا معنى قوله عليه السلام: ولا خير في شيء ليس له اصل، كالولاية بدون العلم و العدل.

و يحتمل ان يكون المراد منه ان الخيرات كلها في هذا العالم تابعة للعلم، اذ العلم اصل العبادات و الاعمال الحسنة و هو الخير الكثير كما في قوله تعالى: و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً (البقرة ـ ۲۶۹) فاذا انفقد العلم انفقد الخير مطلقاً، و لا خير في عبادة ليس معها علم كما ورد في الحديث.

الحديث السادس
و هو السادس و السبعون

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن محمد بن علي عمن ذكره عن جابر بن يزيد» الجعفي ابو عبدالله تابعي اسند عنه[۱] روى عنهما عليهما السلام، و قيل: ابو محمد الجعفي عربي قديم لقي ابا جعفر و ابا عبدالله عليهما السلام و مات في ايامه سنة ثمان و عشرين و مائة، و قال يحيى بن معين: مات سنة اثنين و ثلاثين و مائة، قال العلامة في

۱ـ قيل معناه سمع عنه الحديث، و لعل المراد على سبيل الاستناد و الاعتماد و الا فكثير ممن سمع عنه ليس ممن اسند عنه. و قيل المراد روى عنه الشيوخ و اعتمدوا عليه هو كالتوثيق و لا شك ان هذا المدح احسن من لا بأس به، و لم اعثر على هذه الكلمة الا في كلام الشيخ و انما ذكره في رجاله دون الفهرست و في اصحاب الصادق عليه السلام دون غيره الا في اصحاب الباقر عليه السلام نـدرة غاية الندرة، و ربما يقال: ان الكلمة اسند بالمعلوم و الضمير للراوي، الا ان فاعل اسند ابن عقدة، لان الشيخ رحمه الله ذكر في اول رجاله ان ابن عقدة ذكر اصحاب الصادق عليه السلام و بلغ في ذلك الغاية، فيكون المراد اخبر عنه ابن عقدة. و قرء المحقق بالمعلوم و رد الضمير الى الامام الذي هو من اصحابه.

«صه» روى فيه الكشى مدحا عظيما و روى بعض الـذم والطريقان ضعيفان ذكرناهما فى الكتاب الكبير.

وقال السيد على بن احمد العقيقى العلوى: روى ابى عن عمار بن ابان عن الحسين بن ابى العلاء ان الصادق عليه السلام كان ترحم عليه[1] وقال: انه كان يصدق علينا، و قال ابن عقدة: روى محمدبن احمد البرا الصائغ عن احمد بن الفضل، عن حنان بن سدير عن زيادبن ابى الحلال عن الصادق عليه السلام ترحم على جابر، وقال: انه كان يصدق علينا ولعن المغيرة وقال: انه كان يكذب علينا و قـال ابن الغضائرى: جابربن يزيـد الجعفى الكوفى ثقة ولكن جل من روى عنه ضعيف، فممن اكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفى و مفضل بن صالح السكونى ومنخل بـن جميل الاسدى، وارى الترك لما روى هؤلاء عنه والتوقف فى الباقى الاما خرج شاهداً.

وقال النجاشى: جابربن يـزيد الجعفى لقى ابا جعفر و اباعبدالله عليهما السلام ومات فى ايامه سنة ثمان وعشرين و مـائة و روى عنه جماعة غمز فيهم وضعفوا، منهم عمروبن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب و كان فـى نفسه مختلطا، وكان شيخنا ابوعبدالله محمدبن محمدبن النعمان ينشدنا اشعاراً كثيرة فى معناه تدل على الاختلاف ليس هذا موضع ذكره.

قال العلامة: و الاقوى عندى التوقف فيما يرويه هؤلاء عنه كما قاله الشيخ ابن الغضائرى رحمه الله «اه».

وقال المحشى: لاوجه للتوقف فيما يـرويه هؤلاء عنه لشدة ضعفهم فـى انفسهم الموجب لرد روايتهم، و انما كان ينبغى التوقف فيما يـرويه الجابر نفسه لاختلاف الناس فى مدحه و ذمه و ان لم يرجح الجارح على كل حال فلاوجه لادراجه[2] فـى هذا القسم. انتهى. واقول: وايضا لامماثلة[3] بين ما قاله الشيخ ابن الغضائرى و بين مارآه

۱ــ اى قال فى حقه: رحمة الله عليه.

۲ــ اى مايرويه الجابر.

۳ــ لاموافقة. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

وقواه العلامة رحمه‌الله، فان الذى قاله ابن‌الغضائرى فى‌حق الجابر و رآه الترك لما روى‌هؤلاء عنه والتوقف فى‌الباقى لاالتوقف‌فيماروواه هؤلاء، فايراد لفظه كمافى كلامه[۱] ليس كما ينبغى. «عن‌ابى‌جعفر عليه‌السلام قال: كان على‌بن‌الحسين عليهما‌السلام‌يقول: انه يسخى نفسى فى‌سرعة الموت والقتل فينا قول‌الله عزوجل: الم يروا انانأتى الارض ننقصها من اطرافها (الرعد ـ ۴۱)، وهوذهاب العلماء».

الشرح

السخاء و السخاوة الجود، والطرف الناحية من النواحى و الطائفة من‌الشيء، وفلان‌كريم الطرفين يرادبه نسب ابويه، و اطـراف الشخص ابواه و اخوته و اعمامه و كل قريب له محرم و لايدرى اى طـرفيه‌اى ذكره ولسانه، و لايملك طرفيه‌اى فمه واسته اذا سكر، و الاطراف الاشراف.

وقوله عليه‌السلام: يسخى نفسى، من باب التفعيل ونفسى مفعوله وفاعله قـول الله، اى‌مفاد هذه الاية، يجعل‌نفسى‌سخية فى‌باب سرعة الموت اوالقتل فينا اهل‌البيت، يعنى تجود نفسى‌بهذه الحيوة اشتياقا الى لقاءالله تعالى‌ويرغب فى‌سرعة وقوع‌الموت او الشهادة الواقعة فينا، لان المراد من نقصان الارض من اطرافها وهى نهاياتها ذهاب العلماء.

واعلم ان الذى ذكره المفسرون فى‌هذه الاية وجهان: فعن ابن عباس فى تفسير هذه الاية: ان المراد من قـوله: انانأتى‌الارض ننقصها من‌اطـرافها مـوت اشرافها و كبرائها وعلمائها و ذهاب الصلحاء و الاخيار.

وقال الواحدى: وهذا القول و ان احتمله اللفظ الا ان اللائق بهذا الموضع‌هو المراد انانأتى‌الارض الكفرة وننقصها من‌اطرافها، لان المسلمين يستولون على‌اطراف مكة فيأخذونها من الكفرة قهراً وجبراً، و ذلك لانه تعالى لما وعد رسوله صلى‌الله‌عليه

۱ـ حيث قال: والاقـوى عندى التوقف فيما يرويه هؤلاء عنه‌كما قاله الشيخ بـن الغضائرى.

واله بان يريه بعض مـا وعده اويتوفيه قبل ذلك بين فی‌هذه‌الاية ان اثار تلك المواعيد قد ظهرت وعلاماتها قويت و هوقوله: انا نأتی الارض ننقصهامن اطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه و هوسريع‌الحساب (الرعد ـ ۴۱)، فانتقاص احوال الكفرة و ازديـاد قوة‌المسلمين من اقوی العلامات والامارات علی ان‌الله منجز ما وعده، و نظيره قـوله تعالی: أفلايرون انانأتی‌الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون (الانبياء ـ ۴۴).

وقال الفخرالرازی فی‌الكبير: ويمكن ان ذلك الوجه ايضاً لائق بهذا الموضع وتقريره‌ان يقال: اولم‌يروا ما يحدث فی‌الدنيا من‌الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد حيوة و ذل بعد عز و نقص بعدكمال، و اذا كانت التغيرات محسوسة مشاهدة فما الذی يؤمنهم ان يقلب‌الله الحال علی هـؤلاء الكفرة بان يجعلهم ذليلين بعد ان كانـوا عزيزين ومقهورين بعد ان‌كانوا قاهرين، وعلی هذا الوجه‌فانه يجوزاتصال هذا الكلام بما قبله، وقيل:ننقصهامن‌اطرافها بموت اهلها وتخريب‌ديارهم وبلادهم، فهؤلاءِالكفرة كيف امنوا من ان يحدث امثال‌هذه الوقائع؟ هذا غاية ماينتهی‌اليه افكارهم وآراؤهم.

فان قلت: فما تأويل هذه الاية ومعنی اتيانه تعالی الارض وما الوجه فی كونها سبباً لان يصيرالعالم الربانی سخيايجود بنفسه فی‌طلب سرعة الموت او القتل؟

قلت: للاية تأويلان: احدهما بحسب الافاق و الثانی بحسب‌الانفس، فـالاول ان الكفرة لماكانوا منكری المعاد ومعتقدين ان الدنيا باقية فاشار تعالی الـی انهم لو نظروا وتأملوا فی‌احوال‌الارض وتقلباتها واستحالاتها لرأوا انها يتلطف ويتصفی‌فيصير نباتا ثم حيوانـا ثم انساناً فيتبدل صورة فصورة، فكانت صورة كثيفة ارضية فتدرجت فی‌اللطافة فصارت طبيعة حافظة للتركيب و الكيفية الاعتدالية ثم نفساً فاعلة للجذب و التغذية والنمو و التوليد ثم نفساً ذات حس وارادة ثم صارت ذاتاً روحانية ذات‌توهم وفكر و روية، فاشتدت لطافة و روحانية الی ان خرجت من هذه النشأة الی‌نشأة اخر فنقصت ارضيتها من جهة اطرافها و انضافت الی‌عالم الروحانية.

و المراد من اطرافها هواواخر مراتبها اللطيفة التی بعدت عن غاية الكثافة و ـ الارضية وقربت فی‌التصفی و التزيد الی عالم الاخرة، و ذلك‌كله باتيان القوی‌الفعالة

باذن‌الله المتصرفة فی‌المواد الارضیة المحرکة لها الی غایاتها الکمالیة، و تلك‌القوی الملکوتیة الجاذبة و السائقة متفاوتة المراتب حسب مراتب الانواع الارضیة، فان فی النبات قوة تجذب‌المواد العنصریة وتلطفها و تصفیها عـن بعض‌الکدورات و یجعلها صاعدة الی درجة الصورة النباتیة.

و فی‌عامة الحیوان قـوة اخری اعلی منها درجـة شأنها تصفیة الصور الطبیعیة الواقعة فی‌الاوضاع و الامکنة و الجهات وتجریدها عن هذه الاغشیة و اللبوسات الی ان یجعلها صـورة محسوسة حیوانیة مجردة عن المادة والجهة و المکان، لکن بشرط حضور المادة الخارجیة.

و فی خواص الحیوان قـوة اخری اعلی و ارفع مـن‌الاولیین. تجرد الصورة الحسیة تجریداً اتم وتصفیها تصفیة اکثر من المادة، ومن‌النسبة الیها ایضا نسبة وضعیة فیسوقها من درجة الحس الی درجة التمثل و الصور المثالیة.

ولخواص البشر قوة الهیة تجرد صورة الادراکیة من‌التعینات الجزئیة‌الخیالیة ویجعلها کلیة عقلیة وینقلها من حد التخیل الی حدالتعقل بـاشراق نورالعقل علیها، و یجعل ذاتـه النفسانیة بنورالعلم ذاتاً علقیة من‌الله مبداها و الی‌الله منتهاها، و هذا اعلی ضروب الحیوة بعدالموت عن‌النشأة السابقة و هـومعنی قوله تعالی: او مـن کان میتا فاحییناه وجعلنا له نوراً (الانعام‌ـ ١٢٢).

و اذا علمت هذا فنقول: النفوس ثلاثة اقسام: النباتیة و الحیوانیة والانسانیة و لکل منها جاذب الی‌جهة الفوق باعمال یناسبه ومدرك محیط لماتحته بادراکات‌یناسبه، قال تعالی: وجاءت کل نفس‌معها سائق وشهید (ق‌ـ٢١)، اشارة الی قوتیه الادراکیة و التحریکیة او العلمیة و العملیة.

فکما ان هذه النفوس متفاوتة المراتب فکذا الملائکة الموکلة علیها المباشرة لافعالها باذن‌الله السائقة ایاها و الشاهدة علیها متخالفة الدرجات، وهوالقاهر فوق‌عباده (الانعام ـ ١٨)، فقوله: انانأتی الارض ننقصها من اطرافها، ای نأتی بملائکتنا عـالم الارض ونأخذکمالاتها وانوارها وصورها الشریفة علی‌التدریج الی ان نستوفیها فیبقی

ناقصة مظلمة لاخير فيها فيقوم الساعة، و اليه الاشارة فی‌قوله صلی‌الله علیه واله: لايقوم الساعة وفی وجه الارض من يقول: الله الله.

والتأويل الثانی بحسب الانفس الانسانية، و هو ان الانسان بکماله العقلی نشأة جامعة مشتملة علی جملة ما فی‌الکون مفصلا، فله فی ذاته درجات کمالية يرتحل من بعضها الی‌بعض طبعا وارادة، فکان اولا فی‌الرحم کجوهر نباتی يجذب الغذاء وينمو فی‌المقدار نماء ثم صارحيواناً ذاحس وحرکة وشهوة وغضب، ثم انتقل الی‌اخر درجة الحيوانية و اول درجة الانسانية وهواستعداد العقل و العلم بسبب النطق والفکر و الروية و فيه يشترك جميع افراد البشر، فان ساعدته العناية الالهية و الجذبة الربانية التی توازی عمل‌الثقلين و استکمل بنورالعلم و العرفان تصير ذاته ذاتاً اخری عقلية بعد ماکانت حيوانية.

وهذه المرتبة انما يحصل له بمحض افاضةالله اياه و اشراقه عليه بنورالهدی فيحييه حيوة طيبة عقلية بلاواسطة امر متوسط بينه تعالی وبين عبده من ملك او معلم بشری، فقوله تعالی: انانأتی الارض، ای ارض نفسه القابلة لما ينزل اليها من سماء العقل من‌الصور و الهيئات المشرقة بنور ربها، ننقصها من اطرافها ای نزيل عنها جهة النفسية والتغير و الانفعال فيجعلها عقلا صرفاً و جوهراً قدسياً محضاً و اصلا الی‌جوار رحمةالله ناجياً من عذاب القطيعة ونارالفرقة.

فاذا تقررت لك هذه المعانی فنقول لما دلت الاية علی ان‌الله تعالی‌هوالمتولی المباشر لتوفی نفوس العلماء الکاملين وقبض ارواحهم اليه تعالی، ولاشك ان الائمة المعصومين صلوات‌الله عليهم اجمعين بحسب ذواتهم الشريفة المقدسة النورانية من اعاظم العلماء الراسخين و ساداتهم و اشرافهم، فهی يرغبه عليه‌السلام فی‌لقاء الله و يشوقه الی حلول الاجل و ورود الموت او القتل سريعاً، و زهوق روحه الشريف من الدنيا وخلعه لباس البدن وغطاء النفس ايضاً، فيجود ويسخو نفسه بنفسه وروحه‌بروحه حتی لحق الی لقاءالله وشهود جماله وجلاله و ذلك هوالفوز الکبير.

باب مجالسة العلماء وصحبتهم

و هو الباب التاسع من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة احاديث

الحديث الاول
و هو السابع و السبعون

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس رفعه قال: قال لقمان لابنه: يا بنى اختر المجالس على عينك، فان رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فان تكن عالماً نفعك علمك و ان تكن جاهلا علموك، و لعل الله ان يظلهم برحمته فيعمك معهم، و اذا رأيت قوماً لايذكرون الله فلاتجلس معهم، فـان تكن عالماً لم ينفعك علمك و ان كنت جاهلا يزيدوك جهلا، ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فيعمك معهم».

الشرح

قولـه عليه السلام اختر المجالس، اى اطلب مختارها و اجتنب عما لايكـون كذلك، قوله عليه السلام: على عينك، اى بعينك او فـى عينك كما يقال: كان ذلك على عهد فلان اى فى عهده، وقـوله عليه السلام: يظلهم برحمته، اى يلقى عليهم ظل رحمته وستر ذنوبهم بغفرانه، يقال: اظلك كـذا اى سترك والقى ظله عليك، ويقال ايضا: اظل عليه، قوله عليه السلام: فان رأيت قوماً يذكرون الله، اى قوما يكونون من اهـل الذكر يعنى من اهل العلم كما فى قوله تعالى: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل- ٤٣)، او قوماً يتذاكرون بالفعل ويذكرون محامد الله و المعارف الالهية.

قوله عليه السلام: فان تكن عالما نفعك علمك، و ذلـك باحد وجهين: اما بان يتذاكر معهم فيحصل له التمرن فى علمه و القوة فى حفظه و الرسوخ فـى ملكته، و اما بان يعلمهم ويفيدهم مما عند نفسه، وباقى الفاظ الحديث ومعانيها واضحة.

الحديث الثانى
و هو الثامن والسبعون

«على بن ابـراهيم عن ابيه و محمد بـن يحيى عـن احمد بن محمد بن عيسى،

جميعا عن ابن محبوب عن درست بن ابى منصور، عن ابراهيم بن عبدالحميد»، قال العلامة طاب‌الله ثراه فى «صه» وثقه الشيخ فى‌الفهرست و قال ـ اى الشيخ فى كتاب الرجال ـ : انه واقفى من‌اصحاب الصادق‌عليه‌السلام، قال سعدبن عبدالله: ادرك‌الرضا عليه‌السلام ولم يسمع منه فتركت روايته لذلك، و قال الفضل‌بن شاذان: انه صالح. انتهى كلام العلامة.

قال المحشى الشهيد رحمه‌الله: لامنافاة بين حكم الشيخ بانه واقفى و كونه ثقة وكذلك قول الفضل انه صالح فلايعارض للقول بكونه واقفيا كما لايخفى[1].

وفى‌رجال الفاضل الاسترابادى: ابراهيم‌بن عبدالحميد فى‌الفهرست‌من‌اصحاب الرضا عليه‌السلام ثقة له اصل روى عنه ابن ابى‌عمير وصفوان، و فى‌النجاشى: البزاز الكوفى من اصحاب الصادق عليه‌السلام كوفى انماطى وهواخو محمد بن عبدالله‌بن زرارة لامه روى عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام و اخواه الصباح و اسمعيل ابنا عبدالحميد له‌كتاب نوادر يرويه جماعة‌كما فى‌النجاشى: من‌اصحاب ابى‌عبدالله عليه‌السلام ادرك الرضا عليه‌السلام ولم يسمع منه على‌قول سعدبن عبدالله واقفى له كتاب.

وهذا يبطل ما فى كتاب ابن داود عندى ان الثقة من رجال الصادق عليه‌السلام وهوالذى فى‌الفهرست و الواقفى من‌رجال الكاظم عليه‌السلام وليس بثقة وفى «ظم»[2] ابراهيم‌بن‌عبدالحميدله‌كتاب‌ثم فيه‌ايضاً ابراهيم‌بن‌عبدالحميد واقفى. انتهى. فكأنه‌كرر لنسبة الوقف اولتأمله فى‌كونه اياه لماقاله ابن‌داود وفى «ميم»[3] ابن عبدالحميد ثقة من اصحاب الكاظم عليه‌السلام الا انه واقفى له اصل وكتاب نوادر و هو ايضا صريح

١ـ حكم المحقق فى‌المعتبر بصحة الرواية التى فى‌طريقها محمدبن‌عيسى عن‌درست عن ابراهيم‌بن عبدالحميد، عن ابى‌الحسن عليه‌السلام فى‌الماء المسخن بالشمس، واعترضه فى المدارك بان درست و ابراهيم بن عبدالحميد واقفيان، و فى محمدبن عيسى العبدى كلام و منه يظهر انه بنى على اتحاد ابراهيم و وقفه لكاتبه. و لعل مراد المحقق بالصحة غير معناها المتداول بين المتأخرين «نقل من حاشية جامع‌الرواة».

٢ـ اى فى‌كتاب رجال الشيخ من اصحاب‌الكاظم عليه‌السلام.

٣ـ اى فى‌كتاب علامة محمدبن شهرآشوب.

فی خلافه. «عن ابی الحسن موسی بن جعفر علیهما السلام قال: محادثة العالم علی المزابل خیر من محادثة الجاهل علی الزرابی».

الشرح

الزبل السرجین و موضعه مزبلة، و الزرابی النمارق والنمرقة وسادة صغیرة، و ربما سموا الطنفسة التی فوق الرحل نمرقة ومعنی الحدیث واضح.

الحدیث الثالث
وهوالتاسع و السبعون

«عدة من علمائنا[1] عن احمدبن محمد البرقی عن شریف بن سابق» بالباء المنقطة تحتها نقطة قبل القاف، التفلیسی ابومحمد روی عن الفضل بن ابی قرة السهندی[2] عن ابی عبدالله، وهو ضعیف مضطرب الامر «صه» وفی الفهرست: روی عنه البرقی احمد وعن ابیه ایضاً، والنجاشی: اصله کوفی انتقل الی تفلیس صاحب الفضل بن ابی قرة «عن الفضل بن ابی قرة» التفلیسی من اصحاب الصادق علیه السلام التمیمی السهندی بلدمن بلاد آذربایجان[3] انتقل الی ارمنیة، ضعیف لم یکن بذاك «صه»[4] وقال النجاشی: له کتاب روی عنه شریف بن سابق. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله: قالت الحواریون لعیسی: یا روح الله من نجالس؟ قال: من یذکرکم الله رؤیته ویزید فی علمکم منطقه ویرغبکم فی الاخرة عمله».

الشرح

الحواریون اصحاب عیسی علیه السلام قیل: لانهم کانوا قصارین، و التحویر

١ـ اصحابنا (الکافی).

٢ـ السمندی «جامع الرواة ـ النسخة البدل فی الاصل للشارح».

٣ـ بلد من اذربیجان «جش».

۴ـ ای لم یکن بذلك الضعف، فیشعر علی نوع مدح.

التبییض واحور، ای ابیض ویقال: الحواری الناصر، وقیل للنساء الحواریات لبیاضهن، و الاحور کوکب و هـو المشتری، والحور شدة بیاض العین فی شدة سوادها و امـرأة حوراء، بینة الحور.

وقال ابوعمرو: الحـوران تسود العین کلها مثل اعین الظباء و البقر وقال: لیس فی بنی ادم حور و انما قیل للنساء حور العین لانهن شبهن بالظباء و البقر.

و الغرض من هذا الحدیث الحث و الترغیب فـی مجالسة العلماء ومصاحبتهم وقددل علیه، لان الصفات الثلاث المذکورة لایوجد الا فی العالم، اما کون رؤیته مذکراً لله تعالی لان سیماه وخضوعه وخشوعه یدل علی خوفه من الله وخشیته له تعالی، واما کون منطقه موجباً لزیادة العلم للجالس عنده لانـه لاینطق ولایتکلم حشواً من الکلام وقلما ینطق الا بذکر الله و احوال صفاته و افعاله و ذکر الاخرة و احوالها، و اما کون عمله مرغباً للاخرة فان عمله دائماً القناعة والزهد فی الدنیا و الانقطاع عن شهواتها. و ایضا فان غیر العالم لایعلم شرف الاخرة و دوامها وخسة الدنیا و دثورها وانصرامها.

الحدیث الرابع
و هو الثمانون

«محمدبن اسمعیل عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابی عمیر عن منصوربن حازم» بالحاء المهملة والـزاء بعد الالف ابو ایوب البجلی کوفی ثقة عین صـدوق من جلة اصحابنا وفقهائهم روی عن الصادق و الکاظم علیهما السلام «صه».

وفی الکشی عـن جعفربن محمدبن ایوب عن صفوان عن منصوربن حـازم ما یشهد بحسن عقیدته و استقامة طریقه[1]، و انه عرض ذلک[2] علـی الصادق علیه السلام و انه علیه السلام قال له مراراً: رحمک الله وضحک وقال له: سلنی عما شئت فـلا انکرک بعد الیوم. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه والـه: مجالسة

۱ـ طریقته «جامع الرواة».
۲ـ ای اعتقاده و طریقته.

اهل الدين شرف الدنيا والاخرة».

الشرح

الدين فی اللغة العادة و الشأن، و دانه ای اذله و استعبده یقال: دنته فدان و دانه دینا بالکسر ای جازاه یقال: کماتدین تدان، ای کما تجازی تجازی بفعلك و بحسب ما عملت وقوله: انا لمدینون ای مجزیون، ومنه الدیان فی صفات الله تعالی، و یوم الدین یوم الجزاء، والدین فی العرف هومذهب الاسلام وطریق الحق والمراد باهل الدین هم العلماء العارفون بارکانه و اصوله وقواعده وفروعه.

الحدیث الخامس
و هوالواحد و الثمانون

«علی بن ابراهیم عن ابیه عن القاسم بن محمد الاصبهانی، عن سلیمان بن داود المنقری عن سفیان بن عیینة»، بالعین المهلة المضمومة والیاء المنقطة تحتها نقطتین ثم الیاء المنقطة تحتها نقطتین و النون، بعدهما لیس من اصحابنا و لامن عدادنا «صه» النجاشی: ابن عیینة بن ابی عمران الهلالی مولاهم ابو محمد الکوفی اقام بمکة، کان جده ابوعمران عاملا من عمال الخالد القسری له نسخة عن جعفر بن محمد علیهما السلام روی عنه محمد بن ابی عبدالرحمن الکشی حمدویه، عن نصیر عن محمد بن عیسی، عن علی بن اسباط قال: قال سفیان بن عیینة لابی عبدالله علیه السلام: انه یروی ان علی بن ابی طالب علیه السلام کان یلبس الخشن من الثیاب وانت تلبس القوهی المروی[1]، قال: ویحك ان علیاً علیه السلام کان فی زمان ضیق فاذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولی به. «عن مسعر بن کدام» غیر مذکور فی کتب الرجال التی رأیناه[2]. «قال سمعت اباجعفر

١ــ القوهی: ثیاب بیض.

٢ــ مسعر بن کدام بکسر اوله وتخفیف ثانیه بن ظهیر الهلالی ابوسلمة الکوفی ثقة ثبت فاضل من السابقة، مات ستة او خمس و خمسین ای بعد المائة. کذا فی تقریب. منه عفی عنه.

علیه‌السلام یقول: لمجلس اجلسه الی من اثق به اوثق من[1] نفسی من عمل سنة».

الشرح

یعنی ای مجلس من المجالس اجلس فیه عند من اعتمد علیه فی علمه و حاله اوثق من نفسی فی اکتساب الخیر و الثواب وحسن العاقبة من عبادة سنة منها فی ذلك.

باب سؤال العالم و تذاکره

و هو الباب العاشر من کتاب العقل و العلم فی الحث علی السؤال عن الاشیاء المجهولة و التعلم من العالم بها و المذاکرة معه وفیه عشرة احادیث:

الحدیث الاول
و هو الثانی و الثمانون

«علی بن ابراهیم عن ابیه عن ابن ابی عمیر عن بعض اصحابه[2] عن ابی عبدالله علیه‌السلام قال: سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه فمات قال: قتلوه، الاسألوا؟ فان دواء العی السؤال».

الشرح

الجدری بفتحتین و بضم الجیم داء معروف و قد جدر فهو مجدر، والمجدور ما به الجدری، والجدر بفتح الجیم نبت واجدر المکان و ارض مجدرة ذات جدری، و الا مشدة کهلا حرف تحضیض، فمعناها اذا دخلت علی الماضی التوبیخ واللوم علی ترك الفعل کما فی هذه العبارة، و اذا دخلت علی المضارع الحض علی الفعل والطلب له فهی فی المضارع بمعنی الامر، ولایکون التحضیض فی الماضی الذی قدفات الاانه یستعمل فی لوم المخاطب علی انه ترك فی الماضی شیئا یمکن ان یتدارکه فی المستقبل،

۱ـ فی (الکافی).
۲ـ اصحابنا (الکافی).

فكأنها من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل مافات؛ والعى خلاف البيان، وقدعى في منطقه وعيى ايضاً فهو عيى على فعيل، وعى على فعل وعى بامره وعيى اذا لم يهتد لوجهه، والمراد ههنا الجهل وهو مرض يحتاج فيه الى الدواء والعلاج.

قوله: سألته عن مجدور اصابته جنابة فغسلوه، الغرض من هذا السؤال استعلام حكم المسألة فى هذا المقام و حكم مـن غسل المجدور عند مـا اصابته جنابة و ادى غسله الى الموت، فافاد عليه السلام ان الذين غسلوه قتلوه قتل الخطاء، لان حكم المريض اذا اجنب ولم يقدر على الغسل او انـه يتضرر به هو التيمم، فمن غسله او افتى بغسله فهو ضامن.

ثم و بخهم على ترك السؤال، اذ لو سألوا اولا عن كيفية الامر فى هذا المقام و بين لهم الحكم فى الجواب فما وقعوا فيما وقعوا من هلاك انفسهم فى الاخرة باهلاك غيرهم فى الدنيا، اللهم الا ان يتوبوا، ولم يكن منشأ ذلك الا الجهل، فاشار عليه السلام بقوله: فان دواء العى السؤال، الى ان الجهل داء عظيم ومرض فى القلب الانسانى الذى من شأنه ان يبقى بعد البدن فى النشأة الآخرة لكونه لطيفة روحانية، و اذا لـم يتداوى هذا المرض القلبى يهلك هلاكاً اخروياً دائماً كماقال تعالى: الا من اتى الله بقلب سليم (الشعراء ــ ٨٩)، و دواء هذا الداء العظيم والمرض المهلك السؤال.

فان كثيراً من المجهولات يعلم بالسؤال والتعلم من الخلق، وما لايستعلم من جهة الخلق من العلوم الالهية والاسرار فيحتاج فيها الى التضرع والابتهال الى الله والسؤال منه بلسان المقال على طبق لسان الحال.

الحديث الثانى
وهو الثالث والثمانون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن حمادبن عيسى عن حريز» ، بالراء قبل الياء المنقطة تحتها نقطتين والزاء اخيراً ابن عبدالله السجستانى ابومحمدـ

الازدی من اهل الکوفة، کثیر[۱] السفر و التجارة الی سجستان فعرف بها، وکانت تجارته فی السمن و الزیت. قیل روی عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام، و قال یونس: لم یسمع من ابی‌عبدالله علیه‌السلام الاحدیثین، و قیل روی عن ابی‌الحسن موسی علیه‌السلام. قال النجاشی: ولم یثبت ذلک، قال الشیخ الطوسی رحمه‌الله: ثقة.

و قال النجاشی: کان حریز ممن شهر السیف[۲] و حجبه فی قتال الخوارج بسجستان فی حیوة ابی‌عبدالله‌علیه‌السلام، و روی انه‌جفاه عنه، وهذاالقول من النجاشی لایوجب الطعن لعدم‌العلم بتعدیل الراوی للجفاء، وروی انابا‌عبدالله علیه‌السلام‌حجبه[۳] عنه، وفی طریقه رحمه‌الله محمدبن عیسی و فیه قول مع ان‌الحجب لایستلزم الجرح لعدم العلم بالسر فیه «صه» وقیل: یحتمل ان یکون‌المراد بالجفاء فی الروایة السابقة مجرد الحجب، ویکون عطف حجبه علی جفاه عطف تفسیر.

قال الکشی حمدویه ومحمد، عن‌محمدبن‌عیسی عن‌صفوان، عن‌عبدالرحمن‌بن الحجاج قال: سأل فضل‌البقباق لحریز الاذن علی ابی‌عبدالله علیه‌السلام فلم یأذن فعاوده[۴] فلم‌یأذن، فقال: ای‌شیء للرجل ان یبلغ فی‌عقوبة غلامه قال علی قدرجریرته[۵]، فقال: قد عاقبت والله حریزاً باعظم مما صنع، قال: و یحک انی فعلت ذلک ان حریزاً جرد السیف، ثم قال: اما لوکان حذیفةبن منصورما عاودنی فیه بعد انقلت لا. انتهی.

وقیل بعد ما ذکر ماقاله العلامة رحمه‌الله: انه و ان کان فی محمدبن عیسی قول لکنه قوی قبول روایته مع ان الروایة صریحة فی‌الجرح فیه[۶].

«عن زرارة»، بن‌اعین‌بن سنسن بضم السین‌المهملة واسکان النون و بعدهاسین مهملة شیخ من اصحابه فی زمانه و متقدمهم، وکان قارئاً فقیها متکلما شاعراً ادیباً قد

۱ـ اکثر «جش».

۲ـ ای: سل سیفه.

۳ـ ای: منعه.

۴ـ ای: تکرر الاستیذان.

۵ـ ذنوبه «کش».

۶ـ ای بقول العلامة: مع ان‌الحجب لایستلزم الجرح فیه.

اجتمعت فيه خلال[1] الفضل والدين ثقة صادقا فيما يرويه. و قد ذكر الكشي احاديث تدل على عدالته و عارضت تلك الاحاديث اخبار اخر تدل على القدح فيه قد ذكرنا في كتابنا الكبير وذكرنا وجه الخلاص عنها، والرجل عندی مقبول الرواية، مات رحمه‌الله سنة خمسين ومائة «صه».

قال الشهيد الثاني في الحاشية: حاصل ما ذكره الكشي في حق زرارة احاديث يزيد على العشرين يقتضي ذمه وكلها ضعيفة السند جداً وفي اكثرها محمدبن عيسى العبيدي، الاحديثا واحداً طريقه صحيح الا انه مرسل لان راويه محمدبن قولويه عن محمدبن ابي القاسم بن ماجيلويه، عن زيادبن ابي الجلال عن الصادق عليه السلام، وظاهر ان زياد الذي هو من رجال الباقر والصادق عليهما السلام لم يبق الى زمن ابن ماجيلويه المعاصر لابن بابويه ومن في طبقته، ونقلت الاخبار الواردة بمدحه خالية عن المعارض المعتبر، وفيها خبر صحيح السند يدل على ثقته وجلالته وقدتقدم متنه وسنده في باب الباء، هذا مايتعلق بكتاب الكشي الذي اشار اليه المصنف.

ووقفت في الكافي للكليني على اربعة اخبار اخر يقتضي القدح فيه: اثنان منها في كتاب الايمان وفي طريقهما محمدبن عيسى عن يونس، و الاخران في كتاب الميراث وطريقهما كذلك ايضا، ولكن احديهما بطريق اخر حسن ولكنه مرجوح عند معارضة الصحيح الذي ورد في مدحه. وبالجملة فقد ظهر اشتراك جميع الاقوال القادحة في اسنادها الى محمدبن عيسى و هو قرينة عظيمة على الميل والجزاف منه على زرارة مضافا الى ضعفه في نفسه.

و قال السيد جمال الدين طاوس ونعم ماقال: ولقد اكثر محمدبن عيسى من القول في زرارة حتى لو كان بمقام عدالة[2] كادت الظنون تسرع اليه بالتهمة، فكيف و

۱ــ والخلة مثل الخصلة وزناً و معنى والجمع خلال.

۲ــ عدالته «جامع الرواة».

هومقدوح. انتهی کلام المحشی رحمه‌الله[1].

وقال الکشی: اجمعت العصابة علی تصدیقه و الانقیاد بالفقه فی ستةهم افقه الاولین من اصحاب ابی‌جعفر و ابی‌عبدالله علیهماالسلام، قالوا وافقه الستة زرارة و ذکر احادیث کثیرة تدل‌علی‌علو رتبته وعظم منزلته وجلالة قدره یضیق‌المقام‌عن‌ایرادها و قد تقدم منها فی‌بریدة[2].

وعارض‌ذلک باخبار تدل علی‌القدح فیه و کفی جواباً عنها وعذراً فیها ما روی فی‌الصحیح ان اباعبدالله علیه‌السلام ارسل الیه انما اعیبک دفاعاً منی‌عنک، فان الناس والعدو یسارعون الی کل من قربناه، وحمدنا مکانه لادخال الاذی فیمن نحبه ونقربه، ویذمونه[3] لمحبتناله وقربه و دنوه منا، ویرون ادخال الاذی علیه وقتله ویحمدون کل من رغبناه[4]. فانما اعیبک‌لانک رجل اشتهرت بنا وبمیلک[5] الینا، وانت فی ذلک‌مذموم عندالناس فیکون ذلک دافع شرهم عنک.

یقول‌الله عزوجل: و اما السفینة فکانت لمساکین یعملون فی‌البحر فاردت ان اعیبها وکان ورائهم‌ملک یأخذکل سفینة غصباً (الکهف ـ ۷۹)، هذا التنزیل‌من عندالله

۱ـ قال ابنه الشیخ محمد العاملی رحمه‌الله: فی هذا الکلام نظر واضح، والوالد رحمه‌الله تبع فیه السید جمال بن طاووس و وجه‌النظر ان محمدبن ابی‌القاسم ماجیلویه لم یکن معاصراً لابی‌جعفربن بابویه و انما المعاصر له محمدبن علی‌بن ماجیلویه، والذی یظهر من‌کلام ابی‌جعفربن بابویه ان الاول عم‌الثانی، ذکر ذلک فی اسانید من لایحضره‌الفقیه ، و فی النجاشی ما یعطی انه جده لا عمه، و علی‌کل حال فاستبعاد لقائه لاصحاب الصادق علیه‌السلام مرفوع حینئذ، والاولی فی‌الجواب عن‌اخبار الطعن حملها علی التقیة، وقدظهر ذلک فی حدیث رواه الکشی وطریقه و ان لم‌یکن صحیحا لکنه منبه علی وجه اکمل‌مساعداً للاعتبار. «منه قدس سره فی‌الحاشیة».

۲ـ برید «جامع‌الرواة».

۳ـ یرمونه «کش».

۴ـ عیبناه «جامع‌الرواة» عبناه «کش».

۵ـ ولمیلک «کش».

صالحة هؤلاء[1] ما عابها الالكى تسلم من الملك، فـافهم المثل يرحمك الله فانك احـب الناس الى واحب اصحاب الى[2] حياً وميتا، فانك افضل[3] ذلك البحر القمقام و ان من ورائك ملكاً[4] ظلوماً غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها واهلها، فرحمة الله عليك حياً ورحمته و رضوانه عليك ميتاً، هذا مع ان اسنادها مقدوحة وبلوائح الكذب اكثرها مشحونة.

«ومحمدبن مسلم»، ابن رباح ابو جعفر الاوقص الطحان مولى ثقيف الاعور، وجه اصحابنا بالكوفة فقيه ورع صـاحب ابا جعفر وابا عبدالله عليهما السلام و روى عنهما وكان من اوثق الناس وقد مضى شرح حاله.

«وبريدالعجلى»، بضم الباء وفتح الراء ابن معوية ابو القاسم عربى، روى انه من حـوارى[5] الباقر والصادق عليهما السلام و روى عنهما و مـات فى حيوة ابـى عبدالله عليه السلام، و هو وجه من وجوه اصحابنا ثقة فقيه له محل عند الائمة عليهم السلام.

قال الكشى: انـه ممن اتفقت العصابة على تصديقه و ممن انقادوا له بـالفقه، و روى فى حديث صحيح عن جميل بن دراج قال: سمعت ابـا عبدالله عليه السلام يقول: بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلى، و ذكر اخرين ومات فى سنة مائة وخمسين «صه» الحديث هكذا: بشر المخبتين بالجنة: بريدبن معوية العجلى و ابوبصير ليث بن البخترى المرادى، ومحمدبن مسلم و زرارة اربعة نجباء امناء الله على حلاله وحرامه، لولاهؤلاء انقطعت اثار النبوة واندرست. «قالوا: قال ابوعبدالله عليه السلام لحمران بن اعين فى شيء سأله: انما يهلك الناس لانهم لايسألون».

۱ـ لا والله «كش ـ جامع الرواة».
۲ـ ابى «كش» ابى الى «جامع الرواة».
۳ـ افضل سفن «كش» فانك سفن «جامع الرواة».
۴ـ لملكا «كش».
۵ـ اى من انصاره.

الشرح

قدمر فى‌الحديث السابق ان الجهل داءٍ مهلك و دوائه السؤال، ولكن الجاهل اذا لم يشعر بجهله وظن بنفسه انه عالم يستنكف عن‌السؤال فبقى‌على جهله ابداً فيهلك هلاكاً سرمداً، و لهذا قالت الحكماءِ: ان صاحب الجهل المركب المشفوع بالعناد عذابه ابدى.

و وجه ذلك بان حيوة النشأة الاخرة انما يكون بالعلم و المعرفة، فصاحب الجهل‌المركب وهومن يعلم‌شيئا اواشياء على غيرماهى عليه، فعلمه مركب مع‌الجهل فحيوته‌الاخروية ممتزج بالموت كما قال‌تعالى: لايموت فيها ولايحيى (الاعلى ــ١٣)، فله غاية الاذى و الالم، اذكل الم وعذاب انماهو بادراك فقد مايلائمه او ضد ماله من الحالة الملائمة كتفرق الاتصال لعضو او حصول حرارة محرقة فيه اوبرودة شديدة فيه ونحوها، وهذه الاعدام و الاضداد الموجبة للالام الشديدة ههنا انما وقعت فى امور خارجة عن ذات المدرك كالاعضاء ونحوها، ولكن يصل‌اثرها الى النفس للعلاقة التى اليها للنفس.

فما ظنك بادراك العدم الحاصل فى‌نفس المدرك و ذاته؟ و اما اشد واعظم من الم وعذاب يكون بادراك هلاك النفس وفقدالذات وموت‌الهوية، و ذلك هو الخسران المبين نعوذ بالله من ذلك.

الحديث الثالث
و هوالرابع و الثمانون

«على‌بن محمد عن سهل‌بن زياد، عن جعفر ابن‌محمد الاشعرى، عن عبدالله‌بن ميمون القداح عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قال: ان هذا العلم عليه قفل و مفتاحه السؤال[1]».

١ــ المسألة (الكافى).

الشرح

اشار عليه‌السلام بقوله: هذا العلم، تنبيهاً على ان العلم الذى هومقفل مغلق هو مايوجدعندهم عليه‌السلام وعندمن ينهج على منهاجهم ويسلك سبيلهم ومفتاحه السؤال منهم اوممن اخذ منهم، لاالعلم‌الذى اكب عليه الاكثرون من علماء العامة ومن يجرى مجراهم من‌الصحفيين واهل‌الكتاب، فافه يمكن اخذه من‌الكتب والصحائف، فالعلوم الحقيقية انما ينزل من‌عندالله او من عند من ينزل عليه من عنده تعالى، ومفتاحه‌السؤال اما بلسان الحال اوبلسان المقال، مع ضرب من الاستئهال.

الحديث‌الرابع
و هوالخامس والثمانون

«على‌بن ابراهيم عن ابيه،عن النوفلى عن‌السكونى عن‌ابى‌عبدالله عليه‌السلام مثله».

الحديث الخامس
وهوالسادس والثمانون

«على‌بن ابراهيم عن محمدبن عيسى‌بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن ابى جعفر الاحول» محمدبن على بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق مولى بجيلة من اصحاب الكاظم‌عليه‌السلام ثقة وكان يلقب بالاحول، و المخالفون‌يلقبونه شيطان‌الطاق. وكان دكانه فى‌طاق‌المحامل بالكوفة يرجع‌اليه فى‌النقد فيخرج كماينقد فيقال: شيطان الطاق، وكان كثيرالعلم حسن‌الخاطر «صه».

وفى‌الكشى، حمدويه‌بن‌نصيرقال: حدثنا محمدبن‌الحسين‌بن ابى‌الخطاب، عن النضربن شعيب عن ابان‌بن عثمان، عن عمربن يزيد عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: زرارة وبريدبن معوية، و محمدبن مسلم و الاحول احب‌الناس الى احياء و امواتاً، ولكنهم يجيئونى فيقولون لى، فلا اجد بداً من ان اقول.

علی بن محمدبن الحسن قال: حدثنی محمدبن احمد عن یعقوب بن یزید، عن ابن ابی‌عمیر عن ابی‌العباس البقباق عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: اربعة احب‌الناس الی احیاء و امواتاً: بریدالعجلی و زرارة، ومحمدبن مسلم و الاحول.

حمدویه قال: حدثنا محمدبن عیسی عن ابی‌محمد القاسم بن عروة، عن ابی العباس قال ابوعبدالله علیه‌السلام: زرارةبن اعین و محمدبن مسلم، و بریدبن معویة والاحول احب الناس الی احیاءِ و امواتاً ولکن‌الناس یکثرون[1] فیهم فلااجدبداً من متابعتهم، قال: فلما کان من قابل قال: انت الذی تروی علی‌ماتروی فی‌زرارة و برید، ومحمدبن مسلم و الاحول ؟ قال: قلت: نعم فکذبت علیك، قال: انما ذلك اذا کانوا صالحین، قلت: هم صالحون.

حدثنی حمدویه عن‌یعقوب‌بن‌یزید، عن‌القاسم‌بن عروة، عن ابی‌العباس‌الفضل بن عبدالملك قال: سمعت ابا عبدالله علیه‌السلام یقول: احب‌الناس الی احیاء وامواتاً اربعة: بریدبن معویة العجلی وزرارة ومحمدبن مسلم والاحول: وهم احب‌الناس الی احیاء و امواتاً. و روایات اخر تدل علی‌حسن خاطره وجودة ذهنه وقوة مناظرته.

و روی فی‌ذمه عن محمدبن مسعود، عن علی‌بن‌محمد القمی قال: حدثنی‌احمد بن محمدبن عیسی عن علی‌بن الحکم عن فضل[2] بن عثمان عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام انه اشار بعد ان جری حدیث کون صاحب‌الطاق جدلا[3] الی‌انه ان قال‌له احد: اخبرنی عن کلامك، هذا من کلام امامك؟ فان قال: نعم، کذب علینا و ان قال لاقال‌له: کیف تتکلم بکلام لایتکلم به امامك، ثم قال: انهم یتکلمون بکلام ان انا اقررت به‌ورضیت اقمت علی‌الضلالة و ان برءت منهم شق علی، نحن قلیل وعدونا کثیر.

قلت: جعلت فداك، فابلغه عنك ذلك قال: اما انهم قد دخلوا فی امرمایمنعهم عن‌الرجوع عنه الا الحمیة، قال: فابلغت ذلك ابا جعفرالاحول فقال: صدق بابی وامی

۱ــ یکثرون علی فیه «کش ــ جامع‌الرواة».
۲ــ فضیل «کش ــ جامع‌الرواة».
۳ــ جدل «کش».

مايمنعنى من الرجوع الاالحمية على.

قال: حدثنا محمدبن احمد عن محمدبن عيسى، عن مردك[1] بن عبيد عن احمدبن النضر، عن المفضل بن عمر قال: قال لى ابوعبدالله عليه السلام: ائت الاحول فمره لايتكلم، فاتيته فى منزله فاشرف على فقلت له: يقول لك ابوعبدالله عليه السلام: لاتتكلم، قال: اخاف ان لااصبر.

و اجيب ان فى سند الاول على بن محمد القمى ويحتمل كونه ابن محمدبن يزيد كما فى روايات اخروهو غير معلوم الحال و لامذكور فى كتب الرجال.

قال احمدبن طاوس: ظاهر كلام الصادق عليه السلام راجع الى ايثار التقية فى ايثار ترك اصحابه للخوض فى الكلام، واما قوله: مايمنعهم من الرجوع عنه الاالحمية، فهواشارة الى ان الكلام المشار اليه لم يقارنه نية الاخلاص. وفى سند الثانى محمدبن عيسى والمفضل وفيها قول و بعد فمن الذى يأمن ان يخطىء هذا مع ما فى روايات المدح مايصير عذراً عن مثل ذلك فتنبه «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: لايسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم، ويسعهم ان يأخذوا بما يقول و ان كانت تقية».

الشرح

اى لايسع الناس ولايجوز لهم ان يقفوا على الجهل بالمعارف الدينية والمسائل العملية الفرعية، بل يجب عليهم الطلب والسؤال والتفقه فى الدين ومعرفة امام المسلمين حتى يسألوا منه لقوله تعالى: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (النحل ـ ٤٣)، و اذا عرفوا امامهم حق معرفته الواجبة عليهم من كونه معصوماً عن الخطاء يسعهم ان يأخذوا بقوله و يعملوا بمؤداه، و ان كانت الحالة تقية او و ان كانت فيما قاله تقية؛ فقوله: تقية اما منصوبة بالخبرية لكانت وهى ناقصة او مرفوعة بالفاعلية لها وهى تامة.

١ـ مروك «كش ـ جامع الرواة».

الحديث السادس
و هوالسابع و الثمانون

«على عن محمدبن عيسى عن يونس، عمن ذكره عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله: اف لرجل لايفرغ نفسه فى كل جمعة لامر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه، وفى رواية اخرى: لكل مسلم».

الشرح

اف بالتشديد كلمة تضجر يقال: افأله و افقله اى قذرأله، و التنوين للتنكير، و افة وتفة وقدافف تأفيفاً اذا قال: اف، وفيه‌ست لغات حركات الفاء منوناً وغيرمنون والهمزة مضمومة، قوله عليه‌السلام: فى كل جمعة، اى كل يوم جمعة اوفى كل‌اسبوع، والمراد الاول، لانه مجمع‌الناس.

يعنى يجب على كل رجل مسلم ان يفرغ نفسه فى كل يوم جمعة عن شواغل الدنيا ومكاسب المعيشة لاستعلام ماهومن امور دينه وحلاله وحرامه، فعليه ان يتعاهد يوم الجمعة ويتحفظه حتى لايفوت عنه حضور الجمعة ويسأل عن مسائل دينه ومايحل له ويحرم عليه.

الحديث السابع
و هوالثامن و الثمانون

على‌بن ابراهيم‌عن‌ابيه عن‌ابن ابى‌عمير، عن عبدالله‌بن سنان عن‌ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: ان‌الله عزوجل يقول: تذاكر العالم[1] بين عبادى مماتحيى عليه القلوب الميتة اذاهم انتهوا فيه الى امرى.

۱ــ العلم (الكافى).

الشرح

لما كـان هذا الباب متضمنا لمقصدين: احـدهما الحث علـى السؤال عماهو ضرورى فى امرالدين لكل مسلم، وثانيهما مذاكرة العالم، فالاحـاديث الستة الماضية كانت فى المقصد الاول وهذا الحديث و الثلاثة البواقى فى تذاكر العلوم المتعلقة بامر المبدأ و المعاد و اصول الاعتقاد، فالمعنى: ان تذاكر العالم علومه ومعارفه بين جماعة من عبادالله المستمعين لكلامه المستفيدين منه مماتحيى قلوبهم الميتة حيوة اخرى.

وقد سبقت الاشارة مراراً الـى ان العلوم الحقيقية والمعارف الالهية مما يتنور بها باطن الانسان و قلبه المعنوى و يحيى بها حيوة عقلية يصعد بها الى عالـم القدس و يصير ذاته من جوهر الملائكة المقربين والعقول المقدسين، و قـوله: اذاهم انتهوا فيه الى امرى، يعنى ان مذاكرة العلوم انما توجب حيوةالقلوب الميتة اذاكانت مؤدية الى المعارف الالهية والعلوم الربانية من احوال المبدأ وصفاته و افعاله و احوال النبوة والمعاد.

و يحتمل ان يكون هده التتمة من كلام النبى صلى الله عليه و اله، اى بشرط ان العلوم التى تتذاكر بها مقتبسة من مشكوة خاتم الانبياء صلوات الله و سلامه عليه و اله، فان العقول البشرية بمجرد حركاتهم الفكرية قاصرة عن البلوغ الى درك ماينكشف فى طور النبوة والولاية كعجز الحس والوهم عن البلوغ الى درك ما ينكشف فـى طور العقل، فان كثيراً مـن المعارف الايمانية التى شهدت بصحتها اعاظـم الاولياء و اماثل الكبراء مما احالته جمهور العقلاء.

منها هذه المسألة التى نحن فيها من صيرورة الانسان جـوهراً قدسيا و حيواناً عقلياً بعد ماكان جوهراً نفسانيا و حيواناً بشرياً حسياً، فان اكثر الفلاسفة كابن سينا ومن فى طبقته ينكرون هذه الحركة الجوهرية الواقعة فى حدود الانسانية ومنازلها ومقاماتها، و نحن بفضل الله الذى يؤتيه من يشاء اوضحنا بيانه و اقمنا برهانه مستمداً مـن بحار القران و ايات الرحمن مستضيئا بانوار التنزيل و اسرار التأويل.

الحديث الثامن
وهو التاسع والثمانون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد بن عيسى، عن محمدبن سنان عن ابى‌ـ الجارود»، زيادبن منذر الهمدانى بالدال المهملة الخارقى بالخاء المعجمة وبعدالالف راءِ مهملة و قاف، و قيل الحرقى بالحاء المضمومة والراء والقاف، و اختار ابن داود قولا ثالثا و هو انه الحوفى بالحاء المهملة و الفاء و حكى القولين المذكورين ههنا، الكوفى الاعمى تابعى زيدى المذهب و اليه ينسب الجارودية من الزيدية، وكان من اصحاب ابى جعفر عليه‌السلام و يروى عن الصادق عليه‌السلام و تغير لما خرج زيد رضى‌الله عنه و روى عن زيد.

و قال ابن الغضائرى: حديثه فى حديث اصحابنا اكثر منه فى الزيدية واصحابنا يكرهون ما رواه محمدبن سنان عنه و يعتمدون ما رواه محمدبن‌بكر الارحبى، و قال الكشى: زيادبن المنذر ابو الجارود الاعمى السرحوب، بالسين المهملة المضمومة والراءِ والحاء المهملة والباء المنقطة تحتها نقطة واحدة بعد الواو مذموم، لاشبهة فى ذمه و سمى سرحوبا باسم شيطان اعمى يسكن البحر. «قال سمعت اباجعفر عليه‌السلام يقول: رحم‌الله عبداً احيا العلم قال: قلت: وما احياؤه؟ قال: ان يذاكر به اهل الدين و اهل الورع».

الشرح

انما قيد اهل تذاكر العلم بان يكونوا من اهل الدين والورع حتى يكون فى تذاكرهم احياء للعلم لوجهين: احدهما مامر من كون العلم الحقيقى مايكون نوره مقتبساً من مشكوة النبوة، والثانى ان طهارة القلب بالورع والتقوى شرط حصول العلم كما قال تعالى: و اتقوا الله و يعلمكم (البقرة ـ ۲۸۲)، فان جلاء المرآة وصفاؤها عن الكدوراة شرط حلول الصور فيها، والتخلية قبل التحلية.

الحديث التاسع
و هو التسعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن عبدالله بن محمد الحجال»، بالحاء المهملة والجيم الاسدى مولاهم كوفي المزخرف ابومحمد، وقيل: انه مولى بنى تيم ثقة ثقة ثبت «صه» و فى النجاشى: قيل: انه من موالى بنى‌تميم[١]، قال الشيخ: مولى بنى تيم‌الله ثقة من اصحاب الرضا عليه‌السلام، وفى الفهرست روى على‌بن حسن‌بن على‌بن‌عبدالله‌بن المغيرة عن ابيه عنه بكتابه. «عن‌بعض اصحابه رفعه قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله: تذاكروا و تلاقوا وتحدثوا فان‌الحديث جلاء للقلوب، ان‌القلوب لترين كما يرين السيف وجلائها... الحديث».

الشرح

الرين الطبع والدنس، و ران على قلبه ذنبه، يرين ريناً و ريونا اى غلب عليه، وقيل: هوالذنب على‌الذنب حتى يسواد القلب، وقال ابوعبيد: كل ما غلبك فقدرانك و ران بك وران عليك، وقال ابوزيد: رين بالرجل اذا وقع فيما لايستطيع الخروج عنه ولاقبل له به، و ران النعاس فى‌العين و رانت الخمر عليه غلبته هكذا فى‌الصحاح وغيره، ولعل اصل معنى‌الرين هوالطبع والدنس كما ذكر اولا وهو مما يتفاوت شدة وضعفا، و اذا اشتد غلب على‌محله وسلب.

وقدمر ان‌القلوب كالمرائى والمعاصى والشهوات كالادناس والطبائع، فاذا تكررت وترادفت المعاصى تراكمت الادناس والظلمات عليها ففسدت ذاتها و بطلت فلم ينجع فيها نصيحة ولاتعليم، فقوله صلى‌الله عليه واله: ان القلوب لترين كمايرين السيف جلائها...الحديث، اشارة الى‌رين‌القلوب قبل‌ان‌يشتد ويستحكم وحينئذ ينفع الحديث و التذاكر، فاما اذا اشتد و استحكم فلاينفع الذكرى كما فى‌قوله: بل ران على‌قلوبهم ماكانوا يكسبون (المطففين-١۴)، وقوله: فطبع على‌قلوبهم فهم لايفقهون

١- بنى نهم «جش».

(المنافقون ـ۳).

الحدیث العاشر
و هوالواحد والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد عن ابیه، عن فضالةبن ایوب»، الازدی من اصحاب ابی ابـراهیم موسی‌الکاظـم علیه‌السلام سکن‌الاهواز ، روی عن الکاظم علیه‌السلام وکان ثقة فی‌حدیثه مستقیماً فی‌دینه «صه» الکشی قال بعض اصحابنا: انه ممن اجمع اصحابنا علی تصحیح عنهم وتصدیقهم واقروا لهم بالفقه والعلم. قیل: ابن ایوب روی عنه‌الحسین‌بن سعید وهوممن لم یرو، فتأمل فیه.

«عن عمربن ابان»، الکلبی ابوحفص مولی کـوفی ثقة روی عن ابـی عبدالله علیه‌السلام «صه» وفی‌النجاشی: له‌کتاب‌روی عنه‌جماعة منهم عباس‌بن عامرالقصبانی، و فی‌الفهرست عنه‌الحسن بن محمدبن سماعة. «عن منصورالصیقل»، بن الـولید من اصحاب‌الباقر علیه‌السلام یکنی‌ابا محمد روی عنهما: «قال سمعت ابا جعفرعلیه‌السلام یقول: تذاکر العلم دراسة و الدراسة صلوة حسنة».

الشرح

درست الکتاب درساً و دراسة و دراسته و تدارسته قرأته. وقال ابن الاثیر: فی الحدیث: تدارسوا القران، ای اقرأوه وتعهدوه لئلاتنسوه، و اصل الدراسة الـریاضة و التعهد للشیء، و منه حدیث الیهودی الزانی: فوضـع مدارسه[1] کفه علی اية الرجم، المدراس صاحب دراسة کتبهم ومفعل ومفعال من ابنیة المبالغة.

یعنی‌ان مذاکرة العلم بمنزلة دراسة القران فی‌الفضیلة والثواب ودراسة القران بمنزلة صلوة حسنة، لان فضل‌الصلوة علی‌غیرها من‌العبادات لاجل‌اشتمالها علی‌الذکر کما فی قـوله: اقم‌الصلوة لذکری (طه ـ ۱۴) وحقیقة الذکـرهی ما یتذکر به القلب

۱ـ وفی اللسان: مدارسها.

لامايتحرك به اللسان، والمصلى متى كان فى‌صلوته حاضر القلب بذكرالله وخضوعه و خشوعه كانت صلوته احسن، وبقدر غفلته ينقص ثوابه ويقل حسن صلوته، فمذاكرة العلم افضل و احسن من صلوة لاتذكر فيها.

قال ابن عبدالحكيم: كنت عند مالك اقرأ عليه‌العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلى فقال: يا هذا ما الذى اليه بافضل من‌الذى كنت فيه اذا صحت‌النية. و ليس غرضنا من هذا النقل الاعتضاد بكلام مالك فيما نحن فيه بل‌الاشعار بان هذاالامر ممالم‌يخف على‌مثله مع كونه من اهل الظاهرفكيف على‌من له قسط فى كشف‌المعانى و الاسرار؟

باب بذل العلم

و هوالباب الحادى عشر من‌كتاب العقل و العلم و فيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هوالثانى و التسعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن اسمعيل‌بن بزيع، عن منصوربن حازم عن طلحةبن زيد»، ابو الخزرج بالخاء المعجمة و الزاى ثم‌الراء ثم الجيم كما فى‌الايضاح، النهدى الشامى ويقال‌له: الحرزى[1] بالحاء المهملةوالراى ثم‌الزاء روى عن جعفرالصادق عليه‌السلام عامى‌المذهب، قال‌الشيخ الطوسى‌رحمه‌الله فى موضع: انه بترى وفى اخر: انه عامى المذهب الا ان كتابه يعتمد[2] «صه» النجاشى الحرزى[3] القرشى من‌اصحاب الصادق عليه‌السلام النهدى الشامى، وفى كتاب‌البرقى:

۱ـ و فى الايضاح و جامع‌الرواة و رجال الطوسى: الجزرى، و فى كتاب نضد الايضاح للعلم الهدى: و يقال : الحزرى بالحاء المهملة والزاء بعدها ثم الراء، عامى، و ربما يقال مكان الحزرى بالحاء المهملة الجرزى بالجيم والزاء ثم الراء.

۲ـ معتمد «ست ـ جامع‌الرواة».

۳ـ الخزرى «جش».

ابو الخزرج النهدى الشامى ابن الجرزى «عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قـرأت فى كتاب على عليه‌السلام: ان‌الله لم يأخذ على‌الجهال عهداً بطلب العلم حتى اخـذ على العلماء عهداً ببذل‌العلم للجهال، لان العلم كان قبل الجهل».

الشرح

العهد فى‌اللغة لمعان كثيرة: منها الامان، و منه لايقتل مسلم بكافرو لاذوعهد فى عهده، و منها الذمة و الحفاظ و الوصية، ويقال: عهدت‌اليه اوصيته، ومنه العهد الذى يكتب للولاة، و المعهود الذى عهد وعرف وعهدته بمكان كذا لقيته وعهدى به‌قريب و متى عهدك بفلان اى متى عهدته، ومنه متى عهدك بـالخف ونحوه‌اى متى لبسته، و التعهد التحفظ بالشىء.

و العهد المطريكون بعدالمطروالجمع العهاد و العهود، و المعاهد الـذمى، و قـرية عهيدة اى قديمة اتى عليها عهد طـويل، ومنها اليمين و هوالعقد الموثق قـوله تعالـى: الذين ينقضون عهدالله (البقرة ـ ۲۷)، و النقض فسخ التركيب و اصله فـى طاقات الحبل، و استعماله فـى‌ابطال العهد من حيث ان العهد يستعارله الحبل لما فيه من ربط احدالمتعاهدين[1] بالاخر، فان اطلق مـع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز و ان ذكر مع‌العهد فقط كان تخييلا و رمزاً الى‌ماهومن روادفه[2]، و هـو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين‌المتعاهدين كقولك: شجاع يفترس اقـرانه وعالم يغترف منه الناس، فان فيه تنبيهاً على انه اسد فى‌شجاعته بحر بالنظر الى افادته، و وضع‌العهد مطلقاً لما من شأنه ان يراعى ويتعهدكالوصية و الذمة و اليمين، ويقال للدار و القرية و نحوهما من حيث انها تراعى بالرجوع اليها و التاريخ لانه يحفظ.

و اما عهدالله فهوالذى جعل‌الله يوم‌الميثاق فى‌قوله: و اذ اخذ ربك من بنى ادم من‌ظهورهم (الاعراف ـ ۱۷۲)... الاية، وهو فى‌الحقيقة ماركز فى‌العقول وفطرذوات

۱ـ المتعاقدين. النسخة البدل فى‌الاصل للشارح.

۲ـ كما يقال: فلان نقض حبل عهدى. كذا فى‌الحاشية فى نسخة الاصل للشارح.

النفوس الادمية عليه من الحجة و الايات الدالة على توحيده و وجوب وجوده واتصافه بالصفات الكبرى و الاسماء الحسنى وبرائته عن النقائص و الشرور و رجوع الخلائق اليه فى العقبى، وعليه اول قوله تعالى: و اشهدهم على انفسهم (الاعراف ـ١٧٢)، فهذاهو العهد المأخوذ به العباد و كذلك المأخوذ به على امم الرسل والانبياء عليهم السلام، و هو انهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالبينات و المعجزات صد قوه و امنوا به و اتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشاربقوله: و اذ اخذالله ميثاق الذين اوتوا الكتاب (ال عمران ـ١٨٧)، ونظائره.

و اما المأخوذ به الرسل فهو التبليغ والتعليم و الهداية و التأديب كما فى مثل قوله: يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك، (المائدة ـ ٦٧) ونظائره.

و اذا انكشف لك حال عهدالله على الامم بالاتباع وعلى الرسل بالتبليغ فقس عليه حال عهده على الجاهل بطلب العلم و على العالم ببذله، ولهذا قيل عهودالله ثلاثة: عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته، وعهداخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولايتفرقوا فيه، وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولايكتمونه، وعن النبى صلى الله عليه واله: من علم علما فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار.

واما قوله: لان العلم كان قبل الجهل، فيحتمل ان يكون من تتمة كلام اميرالمؤمنين عليه السلام كماهو الظاهر او من كلام الصادق عليه السلام، وعلى اى الوجهين فلايخلو معناه عن خفاء وغموض اذفيه اشكال، و هوان كل واحد من افراد الناس يكون فى اول خلقه جاهلا ثم يكتسب العلم و يصير عالماً او يبقى على جهله، فما معنى كون العلم قبل الجهل؟

و الجواب من وجوه: احدها ان العلم كمال وخير والجهل نقصان و شر، و الكمال والخير هوغاية كل شىء فللعلم تقدم على الجهل تقدما بالغاية.

و الثانى ان النفوس الانسانية لها كينونة سابقة على البدن عند اخذ المثياق و كونهم فى ظهور ابائهم العقلية، وتلك الكونية ضرب من الوجود العقلى و الوجود العقلى لاينفك عن العلم بالذات و بمبدع الذات، فكان الانسان هناك عالماً فاذا نزل الى

الدنیا صار جاهلا ناسیاً، و الیه الاشارة بقوله: و لقد عهدنا الی ادم من قبل فنسی (طه ـ ۱۱۵)، ثم ان ساعده التوفیق یصیر عالما راجعاً الـی عالمه الذی نزل منه و الافیهوی فی الجحیم شقیاً فی غصة وعذاب الیم.

والثالث ان العلم اشرف من الجهل فله قبلیة بالشرف علیه.

و الرابع ان طبیعة العلم قبل طبیعة الجهل، لان وجـود الحق سبحانه و وجود الجواهر العقلیة و النفسیة قبل الاجسام و الاغشیة الظلمانیة التی یلزمها الاعدام والجهالات و الشرور.

و الخامس ان الجهل عدم ملکة العلم، و الاعدام انما یعرف بملکاتها، فـالجهل لایعرف الابـالعلم. و العلم یعرف بذاته لابالجهل فالعلم یتقدم علی الجهل بـالماهیة و الحقیقة و بالکمال و الغایة و بالشرف و بالرتبة و بالذات و بـالزمان ایضاً اذا اعتبر حال النوع، و ایضاً لو لاوجود العلماء لم یکن للجهال وجود لانها انما خلقت لاجلهم لقوله تعالی: وما خلقت الجن و الانس الا لیعبدون (الذاریات ـ ۵۶)، ای لیعرفون.

الحدیث الثانی
وهو الثالث والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد البرقی، عن ابیه عن عبداللهبن المغیرة»، بضم المیم و کسر الغین المعجمة قبل الیاء المنقطة تحتها نقطتین ابومحمد البجلی مولی جندب بن عبدالله بن سفیان العلقی، کـوفی ثقة ثقة لایعدل به احد من جلالته و دینه و ورعه روی عن ابی الحسن موسی علیه السلام.

قال الکشی: روی انه کان واقفیا ثم رجع ثم قال: انه ممن اجمعت العصابة علی تصحیح مایصح عنه و الاقرار له بالفقه «صه» و قـال النجاشی: قیل: انه صنف ثلاثین کتابا روی عنه ایوب بن نوح و الحسن بن علی بن عبدالله ابن ابیه[1] «ومحمدبن سنان عن

۱ـ عبدالله ابن ابنه «جامع الرواة» قال حدثنا الحسن بن علی بن عبدالله بن مغیرة عن جده «جش».

طلحةبن زيد عن ابىعبدالله عليهالسلام فىهذه الاية: ولاتصعر خـدك للناس (لقمان ـ ١٨)، قال: ليكن الناس عندك فىالعلم سواء».

الشرح

الصعر ميل فىالعنق و انقلاب فىالـوجه الىاحدالشقين، عن الليث، و يقال: داء اصاب البعيريلوى منه عنقه، وقد صعرخده وصاعر اى اماله تكبراً، ومنه الحديث: كل صعار ملعون، والصعار المتكبر لانه يميلبخده ويعرض عنالناس بخده[1]، ويروى بالقاف بدلالعين وبالضاد المعجمة والفاء والراى، وقوله تعالى: ولاتصعرخدكللناس (لقمان ـ ١٨)، اى لاتعرض عنهم تكبراً.

وهذا التأويل الذى ذكره عليهالسلام تأويل حسن، لان المعلم ينبغى ان يكون التفاته وتعليمه بالقياس الىجميع الناس على درجة واحدة، فانكان التفاته الى البعض دونالبعض او استنكف عـن تعليمالبعض اونصحه فكأنه مـال بوجهه عنه اوتكبر، و الدليل علىصحة هذا التأويل، ان هذا الخطاب وقع من مثل لقمان الحكيم الـى ابنه الجالس مجلسه و اصحابـه لايكونـون الاطلاب العلوم، فـكانت النصيحة منه لابنه التسوية بين الطلاب فىافادة العلم والهداية و الارشاد، والله اعلم بالصواب.

الحديث الثالث

و هوالرابع والتسعون

«وبهذا الاسناد عنابيه عناحمدبن النضر»، بالنونوالضاد المعجمة ابوالحسن الجعفى مولى كـوفى ثقة «صه» وفىالفهرست: لـهكتاب يروى عنه محمدبن خـالد البرقى ومحمدبن سالم: «عن عمروبن شمر»بن يزيد ابوعبدالله الجعفى الكوفى روى عن ابـىعبدالله وعن جابر ضعيف جداً، زيد احاديث فى كتب جـابر الجعفى ينسب

١ـ بوجهه «النهاية».

بعضها اليه و الامرملتبس فلااعتقد[۱] على شیء ممايرويه «صه» «عن جابر عن ابی عبدالله[۲] عليه السلام قال: زكوة العلم ان تعلمه عبادالله».

الشرح

كما ان للمال زكوة وزكوته الانفاق للمستحقين فكذلك للعلم زكوة و زكوته التعليم لمن هو اهله ومستحقه من عبادالله تعالى، و كما ان المال يزداد بالانفاق فكذا العلم يزداد ويشتد بالتعليم وفيه الاجر و الثواب للاخرة، وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال: لاحسد الافى اثنين: رجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها الناس و رجل اتاه الله مالا فسلطه على انفاقه فى الحق فهو ينفق سراً وجهراً.

الحديث الرابع
و هوالخامس و التسعون

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى[۳]، عن عبيد عن يونس بن عبدالرحمن عمن ذكره عن ابی عبدالله عليه السلام قال: قام عيسى[۴] خطيباً فى بنى اسرائيل فقال: يا بنى- اسرائيل لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم».

الشرح

ارادعليه السلام بماحكاه عن كلام عيسى عليه السلام و اهتمامه فى ذلك حيث ذكره حين قام خطيباً فى محتشد من بنى اسرائيل، التنبيه على ما ينبغى ان يفعله المعلم من ملاحظة احوال المتعلمين و النظر فى مراتب افهامهم وقابلياتهم بالقياس الى درجات

۱ــ فلا اعتمد «جامع الرواة».
۲ــ عن ابی جعفر (الكافی).
۳ــ عيسى بن عبيد (الكافی).
۴ــ عيسى بن مريم عليه السلام (الكافی).

العلوم، فرب متعلم يفهم مرتبة من العلم دون اخرى فوقها فضلا عمن لم يفهم شيئا.

و رب علم يفهمه بعض المتعلمين دون غيرهم فضلا عمالايدركه احد منهم، فلا ينبغى للمعلم ان يفشى ما يعلمه الى كل احد، هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولكن لم يكن من اهل الانتفاع به، فكيف فيمن لايفهمه او كيف فيمالايفهمه؟ بل ينبغى ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه وعلى قدرماينتفع به اذا فهمه، فلايلقى اليه مالايبلغه عقلة فينفره اويخبط عليه اقتداء بسيد الانبياء والمعلمين عليه واله الصلوة والسلام حيث قال: نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم، فنكلم الناس على قدر عقولهم، وليبث اليه الحكمة والحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمه.

وقد روى عنه صلى الله عليه واله انه قال: ما احد يحدث قوماً بحديث لايبلغه عقولهم الاكان فتنة على بعضهم، وقال على عليه السلام و اومى بيده الى صدره الشريف: ان ههنا لعلوماً جمة[1] لووجدت لها حملة، و صدق سلام الله عليه فان قلوب الابرار قبور الاسرار.

وعن رسول الله صلى الله عليه واله: لاتعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير، فان الحكمة خير من الجوهر الثمين و من كرهها فهو شر من الخنزير فيكون اعطاؤها اياه ظلماً فى حقها لانه وضع لها فى غير موضعها.

وسأل بعض العلماء رحمهم الله عن مسألة فلم يجب فقال السائل: اما سمعت النبى صلى الله عليه واله حيث يقول: من كتم علمانافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار؟ فقال: اترك اللجام و اذهب، فان جائنى من ينفعه فكتمته فيلجمنى، و قول الله: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم (النساء ـ ۵)، تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى.

ومما يؤيد مانحن فيه انه ذكر فى كتاب بصائر الدرجات لمحمدبن الحسن باسناده عن عبدالله بن سلمان قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى و هو يقول: ان الحسن البصرى يزعم ان الذين يكتمون العلم

۱ـ لعلما جما «نهج».

یؤذی ریح بطونهم اهل النار، فقال ابوجعفر علیه السلام: فهلك[1] مؤمن ال فرعون، و مازال العلم مکتوماً منذ بعث الله نوحا علیه السلام، فلیذهب الحسن یمیناً و شمالاً، فوالله لایوجد العلم الاههنا.

ثم انه لیس الظلم فی اعطاء غیر المستحق باقل من الظلم فی منع المستحق، بل الظلم فی الثانی اقل منه فی الاول، لانه ممایتدارك دون الاول، و ذلك لان الاول تفویت و الثانی تأخیر و التأخیر یتدارك دون التفویت، ونعم ماقیل نظماً:

فمن منح الجهال علماً اضاعه و من منع المستوجبین فقد ظلم

باب النهی عن القول بغیر علم

و هو الباب الثانی من کتاب العقل و العلم و فیه تسعة احادیث

الحدیث الاول

و هو السادس و التسعون

«محمدبن یحیی عن احمد وعبدالله ابنی محمدبن عیسی» و هو یلقب بنان[2]، صرح به الکشی «عن علی بن الحکم عن سیف بن عمیره، عن مفضل بن مزید[3]» کوفی من اصحاب الصادق علیه السلام و لیس اسمه فی الخلاصة[4] «قال: قال ابوعبدالله علیه السلام: انهاك عن خصلتین فیهما هلاك الرجال: انهاك ان تدین الله بالباطل، و تفتی الناس بمالاتعلم».

الشرح

النهی خلاف الامر و نهیته عن کذا فانتهی عنه، و تناهی ای کف و تناهوا عن المنکر

۱ــ فهلك اذن «بصائر الدرجات».

۲ــ عبدالله بن محمدبن عیسی الاسدی الملقب ببنان «کش».

۳ــ وفی رجال الشیخ: مفضل بن یزید، وهو کوفی و لکن مفضل بن مزید اخوشعیب الکاتب من اصحاب الباقر علیه السلام.

۴ــ لانه من اصحاب الباقر علیه السلام ، و قال العلامة فی الخلاصة: روی الکشی حدیثا یعطی انه کان شیعیا.

نهى بعضهم بعضا و انه لامور بالمعروف ونهو عن المنكر، فعول للمبالغة ويتعدى الى مفعوله الثانى بحرف عن.

فقوله عليه‌السلام: انهاك ان تدين الله، اى انهاك عن ان تدين الله بالباطل و عن ان تفتى الناس بمالاتعلم، فارادبالاول جميع الاعتقادات الفاسدة فى اصول الدين وبالثانى الاحكام الفرعية الاجتهادية، فالنهى فى الاول عن نفس التدين بهاى الاعتقاد وفى الثانى عن الفتيا[1] والحكومة بها، كأن فى الثانى لو اعتقد على حسب ظنه الفاسد ولم يفت به الناس لم يكن فيه كثير محذور، لانه من الفروع العملية، فاذا عمل به على ظنه و ان كان فاسداً ولم يتعد منه الى غيره فلايبعد ان لامؤاخذة به عليه فى الاخرة.

الحديث الثانى
و هو السابع والتسعون

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن عبدالرحمن بن الحجاج»، البجلى مولاهم ابوعبدالله الكوفى بياع السابرى سكن بغداد ورمى بالكيسانية، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام وبقى بعد ابى الحسن عليه السلام و رجع الى الحق و لقى الرضا عليه السلام وكان ثقة ثقة ثبتاً وجهاً وكان وكيلا لابى عبدالله عليه السلام ومات فى عصر الرضا عليه السلام على ولاية[2] «صه» وفى النجاشى: له كتب روى عنه جماعة منهم ابن ابى عمير.

وفى الكشى حمدويه عن محمدبن الحسين، عن عثمان بن عيسى عن حسن بن ناجية قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام و ذكر عبدالرحمن بن الحجاج فقال: انه لثقيل على الفؤاد، ابوالقاسم نصربن صباح قال: عبدالرحمن ابن الحجاج شهد له ابوالحسن عليه السلام بالجنة وكان ابوعبدالله يقول لعبدالرحمن: يا عبدالرحمن كلم

١ــ الفتوى «النسخة البدل فى الاصل للشارح» استفتى استفتاء العالم فى مسألة فافتانى، والاسم: الفتياء والفتوى.

٢ــ وعلى ولايته «جامع الرواة».

اهل المدينة، فانى احب ان يرى فى رجال الشيعة مثلك. انتهى.

و فى‌هذا الكتاب اعنى الكافى مايأتى فى‌يحيى‌بن حبيب من كونه[1] من اهل الجنة، وقيل: لايبعد ان يكون المراد من‌الحديث الاول ان هذا الاسم ثقيل على‌الفؤاد من‌حيث عبدالرحمن والحجاج مع احتمال المدح معنى. فليتدبر[2]. «قال: قال لى‌ابو- عبدالله عليه‌السلام: اياك وخصلتين ففيهما هلك من‌هلك: اياك ان تفتى‌الناس برأيك او تدين بمالاتعلم».

الشرح

فيه نهى عن‌الفتوى بمجردالقياس الفقهى، و هو اجراء الحكم الشرعى الوارد فى‌مادة على مادة اخرى لاشتراكها مع تلك‌المادة فى‌معنى يوجد فيهما، وله اقسام‌ليس ههنا موضع بيانها وقد ذكر بيان احواله و اقسامه فى كتب الاصول الفقهية.

الحديث الثالث
وهوالثامن و التسعون

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن‌الحسن‌بن‌محبوب عن‌على بن رياب»، الكوفى له‌اصل كبيروهو ثقة جليل‌القدر «صه» فى‌النجاشى: الطحان‌السعدى مولاهم‌كوفى من اصحاب الصادق عليه‌السلام، ابوالحسن مولى جرم بطن من قضاعة

۱ـ اى: عبدالرحمن.

۲ـ و فى الكافى: عدة من اصحابنا عن سهل‌بن زياد عن احمدبن محمدبن‌عيسى، عن محمدبن عمر الزيات عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: من مات فى‌المدينة بعثه‌الله فى الامنين يوم القيامة، منهم يحيى‌بن حبيب و ابوعبيدة الحذاء و عبدالرحمن‌بن الحجاج، وفى‌رجال ابوعلى: قوله عليه‌السلام: لثقيل على الفؤاد، يمكن ان يكون اراد به ثقل هاتين الكلمتين فان الحجاج عرف به من هو عدو اهل‌البيت، و عبدالرحمن اسم ابن الملجم، و ربما قيل: يمكن ان يراد به ان له موقف فى‌النفس والخاطر و انه ثقيل على فؤاد المخالفين، و قال جدى: اى موقر ومعظم فى‌القلوب اوفى قلبى، والظاهر انه مدح لا ذم كما توهم.

وقيل: مولى بنى سعدبن بكر طحان روى عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام، ذكره ابوالعباس وغيره و روى عن ابى‌الحسن عليه‌السلام له كتب.

و ذكر المسعودى فى‌مروج الذهب: ان على‌بن رياب‌كان من علية علماء الشيعة وكان اخوه اليمان‌بن رياب من علماء[1] الخوارج، وكانا يحتجان فى كل سنة ثلاثة ايام يتناظران فيها ثم يفترقان ولايسلم احدهما على‌الاخر ولايخاطبه. «عن ابى‌عبيدة‌الحذاء عن ابى‌جعفرعليه‌السلام قال: من افتى‌الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل‌بفتياه».

الشرح

ان من افتى بغيرعلم مستنبط من‌الكتاب والسنة استنباطاً صحيحاً وبغيرهدى والهام من‌الله‌كان غرضه حب‌الدنيا والثروة و الجاه والشهرة و الرياء وسائر الاغراض الفاسدة فهو من اسوء الناس عذاباً يوم القيامة وابعدهم عن‌الله، فطردته ملائكة‌الرحمة المتعلقة بطبقات الجنان والمدبرة لنفوس الاخيارللارتقاء الى‌مقاماتهم فى‌دارالحيوان، وملائكة العذاب المتعلقة بعالم الاكوان السائقة لنفوس الاشرار الى‌منازلهم فى‌دركات الجحيم والنيران.

وبالجملة لعنته ملائكة الاخرة و ملائكة الدنيا، لان فيماهو بصدده فساد الاخرة والدنيا جميعا، اما الاول فلاجل اعتقاداته الفاسدة واغراضه الباطلة، واما الثانى‌فلاجل احكامه وفتاويه التى قد يحلل‌ما حرم‌الله وقديحرم ما حلل‌الله فيؤدى الى‌فساد النظام فى الفروج و الدماءِ و اموال الناس وحقوق الايتام و ذوى‌الارحام و غير ذلك، فلاجرم اليه يعود وزر من عمل باحكامه وفتاويه الى‌يوم‌القيامة.

الحديث الرابع
و هوالتاسع والتسعون

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن الحسن‌بن على»بن زياد،

۱ــ من علية علماء «مروج».

«الوشاء»، بجلى كوفى يكنى بابى محمدالوشاء و هو ابن بنت الصيرفى خيزان[1] من اصحاب الرضا عليه‌السلام وكان من وجوه هذه الطائفة «صه» و قد سبق ذكر احواله، قيل: لفظ خيزان خزاز الا ان فى عامة نسخ الكشى هكذا وهو تصحيف.

«عن ابان الاحمر»، و هوابان‌بن عثمان الاحمر قال الكشى: قال محمدبن‌مسعود: حدثنى على‌بن الحسن قال: كان ابان‌بن عثمان من الناووسية وكان مولى لبجيلة وكان يسكن الكوفة ثم قال: ان العصابة اجمعت على تصحيح ما يصح عن ابان‌بن عثمان والاقرار له بالفقه، قال العلامة طاب ثراه : والاقرب عندى قبول روايته و ان كان فاسد المذهب للاجماع المذكور[2]. انتهى.

وقال فخرالمحققين قال: سألت والدى عنه فقال: الاقرب عدم قبول روايته لقوله تعالى: ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (الحجرات ـ ۶)، ولا فسق اعظم من عدم الايمان، و قد يقال: فذلك يقتضى عدم الحكم بكونه ناووسياً سيما مع الاجماع الثابت بنقل الكشى العدل. «عن زيادبن ابى‌رجاء»، بالجيم بعد الراء و اسم ابى رجاءٍ منذر كوفى ثقة صحيح «صه» وهو من اصحاب الباقر عليه‌السلام قال الكشى: قال محمدبن‌مسعود: سألت ابن‌فضال عن زيادبن ابى‌رجاء فقال: ثقة. «عن ابى‌جعفر عليه‌السلام قال: ماعلمتم فقولوا وما لم‌تعلموا فقولوا: الله اعلم، ان‌الرجل لينتزع الاية من‌القران يخر فيها ابعد ما بين‌السماءِ والارض».

الشرح

نزعت الشيء من مكانه نزعاً و انتزعته ايضا فانتزع اى قلعته فاقتلع، وقدجمع بين اللغتين فى‌قوله: نزع سن رجل فانتزع، المنزوعة سنه سن‌النازع ويجوزالمنزوع سنه، و خر يخر بالضم والكسر اذا سقط من علو، و خر الماء يخر بالكسر صوت و عين خرارة، وعن ابن‌عباس: من ادخل اصبعيه فى اذنيه سمع خرير الكوثر، و خرير

[1]ـ وهو ابن بنت الياس الصيرفى خزاز «جش ـ جامع‌الرواة».
[2]ـ اى قبول روايته للاجماع المذكور بقوله: اجمعت العصابة....

الماء صوته، اراد انه مثل صوت خرير الكوثر، وخر لله ساجداً خروراً ای‌سقط، وفی الحديث للوضوء: الاخرت خطاياه ای‌سقطت و ذهبت[١].

يعنى اذا سألكم سائل عن شیء فما علمتموه يقيناً فقولوا و اجيبوا عن‌مسألته و مالم‌تعلموه علماً يقينياً ان‌كانت المسألة اصولية ولاظناً راجحاً مستفاداً من‌الادلة الشرعية ان كانت فقهية فلاتفتوا بها ولا تجيبوا عنها بل قولوا: الله اعلم، ای اعلم العلماءِ من الملائكة والانبياء ومن والاهم فی‌العلم، و الا فلم يجز للجاهل ان يقول: الله اعلم‌منى، لان مقتضى صيغة التفضيل ان يكون للمفضل عليه شركة فی طبيعة مافيه الفضل و هو مبدأ الاشتقاق، وليست للجاهل‌العامی حصة من‌العلم اليقينى والمعرفة‌الحقيقة فلايجوز له ان يقول: الله اعلم،كما سيجیء فی‌الحديث التالی لهذا الحديث.

ولايخفى ان‌قوله: فقولوا، فی‌الاول ليس امر ايجاب بل امر اباحة او استحسان الا ان لايكون فی البلد من يعلم الجواب وكان الحكم ممايحتاج اليه، وكذا فی‌الثانی لجواز السكوت.

و قوله عليه‌السلام: ان الرجل لينتزع الاية ... الى اخره، ای يستخرج الرجل من‌القران اية للاستدلال بها على مقصوده من‌الحكم الذی يقضى به، والحال انه يسقط فی هذا الانتزاع للاية والاستدلال بها ويهوى الى مكان سحيق ابعد من التحقيق من ما بين السماء والارض، فضمير فيها راجع الى الاية على حذف مضاف ای فی انتزاعها، وفی بعض النسخ: يحرفها بدل يخر فيها وكأنه تصحيف.

الحديث الخامس
و هو المائة

«محمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن حمادبن عيسى عن ربعی ابن عبدالله ، عن محمدبن مسلم عن ابی‌عبدالله عليه‌السلام قال: للعالم اذا سأل عن شیء و هو لايعلمه ان يقول: الله اعلم، وليس لغير العالم ان يقول ذلك».

١ـ و يروى جرت بالجيم، ای جرت مع ماءالوضوء «النهاية».

الشرح

قد مضى وجه ذلك و انی بحمدالله تفطنت به و کتبته فی شرح الحدیث السابق قبل ان انظر الی هذا الحدیث، و الان الحقت بذلك قولی کما سیجیء فی الحدیث التالی.

فان قلت: حکم العالم فیما سأل عما لایعلمه کحکم الجاهل فکیف یصح له ان یقول: الله اعلم؟

قلت: یصح نظرا الی جنس العلم الموجود شیء منه فی العالم دون الجاهل. نعم، ینبغی ان یکون العالم عالماً ربانیا علومه من باب العقلیات والیقینیات الدائمة التی لایتبدل ولا یتغیر، لامن باب الظنیات والعملیات والتقلیدیات و سائر العلوم والادراکات المسلوبة عن الباری، جل مما یوجب تجسماً او تکثراً او تغیراً تعالی عنه علواً کبیراً، فاذن لیس لغیر العالم الربانی ان یقول: الله اعلم، موهماً انه اعلم منه، وانما یصح للعالم الربانی و ان کان علمه بالقیاس الی علم الله کنسبة القطرة، بل الرشحة الی بحر لانهایة لعمقه.

الحدیث السادس
و هو الواحد والمائة

«علی بن ابراهیم عن احمدبن محمدبن خالد، عن حمادبن عیسی عن حریزبن عبدالله، عن محمدبن مسلم عن ابی عبدالله علیه السلام قال: اذا سأل الرجل منکم عمالا یعلم فلیقل: لاادری، ولایقل: الله اعلم، فیوقع فی قلب صاحبه شکاً، و اذاقال المسئول: لا ادری، فلایتهمه السائل.

الشرح

اتهمه فهو متهم و ذاك متهم والتهمة فعلة من الوهم والتاء بدل من الواو وقدیفتح الهاء کذا فی النهایة، وقال الجوهری: الاسم التهمة بالتحریك.

نهى عليه‌السلام عن ان‌يقول المسئول عن شیء لايعلمه: الله‌اعلم، بدل: لاادری، وعلل ذلك بانه يوقع غالبا فى قلب‌السائل شكاً فيتهمه، اى بالعلم، و اذا قال: لاادرى، فلايتطرق اليه تهمة من جانب‌السائل ولاغيره.

قال ابوحامد الغزالى فى‌الاحياء فى باب افات العلم: ومنها ان لايكون متسرعاً الى الفتوى بل يكون متوقفا محترزاً ما وجد الـى الخلاص سبيلا، فان سأل عمايعلمه بتحقيق افتى و ان سأل عما شك[1] فيه قال: لاادرى، و انسأل عما يظنه باجتهادوتخمين احتاط و دفع عن نفسه و احال الى غيره انكان فى غيره غنية، هذا هوالحزم، لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم.

وفـى الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق و سنة قائمة ولا ادرى، و قال الشعبى: لا ادرى نصف‌العلم، ومن‌سكت حيث لايدرى‌لله فليس اقل اجراً ممن‌نطق، لان‌الاعتراف بالنقص اشد على‌النفس وهكذاكانت عادة الصحابة.

قال ابن‌مسعود: ان الذى يفتى‌الناس لمجنون، وكان يقول: تريدون ان‌تجعلونا جسراً تعبرون علينا الى جهنم، و قال: جنة العالم لا ادرى، قال ابراهيم‌بن ادهم: ليس شیء اشد على‌الشيطان من‌عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول: انظروا الى‌هذا سكوته اشد على من كلامه، و وصف بعضهم الابدال فقال: اكلهم فاقة و كلامهم ضرورة، اى لايتكلمون حتى يسألوا و اذا سألوا ووجد من يكفهم[2] سكتوا و ان اضطروا اجابـوا، وكانوا يعدون الابتداء قبل‌السؤال من‌الشهوة الخفية من‌الكلام.

ومر على عليه‌السلام و عبدالله‌بن مسعود برجل يتكلم على‌الناس فقالا: هذايقول اعرفونى، وكان ابراهيم التيمى اذا سأل عن مسألة بكى[3] ويقول: لم‌تجدوا غيرى‌حتى احتجتم الى، وكان من‌الفقهاء من يقول: لاادرى اكثر من ان يقول: ادرى، منهم‌سفيان

١ــ يشك«الاحياء».

٢ــ و وجدوا من يكفيهم «الاحياء».

٣ــ يبكى «الاحياء».

الثوری ومالك بن انس والفضیل بن عیاض و بشربن الحارث[1].

و قال عبدالرحمن بن ابی لیلی: ادرکت فی هذا المسجد مائة و عشرین من اصحاب رسول الله صلی الله علیه و اله ما منهم من احد یسأل عن حدیث اوفتوی الا ودان اخاه کفاه ذلك، وفی لفظ اخر کانت المسألة تعرض علی احدهم فیردها الی الاخر ویردها الاخر الی اخر حتی تعود الی الاول، وهکذا کانت عادة اصحاب الصفة فیما اهدی الی واحد منهم فاهداه الی الاخر فدار بینهم حتی رجع الی الاول. فانظر الان کیف انعکس امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا و المطلوب مهروبا[2]؟

الحدیث السابع
وهوالثانی و المائة

«الحسین بن محمد عن معلی بن محمد، عن علی بن اسباط عن جعفر»، بن محمد، «بن سماعة»، ثقة فی الحدیث واقفی «صه» فی النجاشی: ابوعبدالله اخو ابی محمد الحسن، و ابراهیم ابی محمد و جعفر اکبر اخوته[3]. «عن غیر واحد عن ابان» یحتمل رجلین کلاهما ثقتان جلیلا القدر، احدهما مامر ذکره و هوابن عثمان الاحمر، والثانی ابان بن تغلب بالتاء المنقوطة فوقها نقطتین المفتوحة والغین المعجمة الساکنة[4]، ابن رباح بن سعید[5] البکری الجریری بالجیم المضمومة والراء قبل الیاء المنقطة تحتها نقطتین وبعدها، مولی بنی جریر ثقة جلیل القدر عظیم المنزلة فی اصحابنا، لقی ابامحمد علی بن الحسین و اباجعفر و اباعبدالله علیهم السلام وقدم[6] و روی عنهم، و قال له الباقر

۱ــ الحرث «الاحیاء».

۲ــ مهروبا عنه «الاحیاء».

۳ــ وکان جعفر اکثر من اخوته ثقة فی حدیثه «جش».

۴ــ تغلب کتضرب ابوقبیلة، قال الجوهری والنسبة الیها تغلبی بفتح اللام استیحاشاً لتوالی الکسرتین مع یاء النسبة، و ربما قالوا بالکسر، لان فیه حرفین غیر مکسورتین. منه قدس سره فی الحاشیة.

۵ــ ابوسعید «جش».

۶ــ ای الی المدینة ــ منه قدس سره فی الحاشیة.

علیه السلام: اجلس فی مسجد المدينة وافت الناس فانی احب ان یری فی شیعتی مثلك، و مات فی حیوة ابی عبدالله علیه السلام فقال الصادق علیه السلام لما اتاه نعیه: اما والله لقد اوجع قلبی موت ابان، ومات فی سنة احدی واربعين ومائة، وروی ان الصادق علیه السلام قال له: یا ابان ناظر اهل المدينة، فانی احب ان یکون مثلك من رواتی و رجالی «صه».

و فی الفهرست والنجاشی: وکان قارئاً فقیهاً لغویاً و فی النجاشی ایضا: انه من وجوه القراء لغوی سمع من العرب وحکی عنهم وکان مقدماً فی کل فن من القران و الفقه والحديث والادب واللغة والنحو، وله کتب وله قرائة مفردة مشهورة عندالقراء، و روی انه دخل علی ابی عبدالله فلما بصر به امر بوسادة فالقیت له وصافحه و اعتنقه وسأله[1] و رحب به، و انه کان اذا قدم المدينة تقوضت[2] الیه الحلق واخليت له سارية[3] النبی صلی الله علیه واله. «عن زرارة بن اعين قال: سألت ابا جعفر علیه السلام ماحق الله علی العباد؟ قال: ان يقولوا مايعلمون ويقفوا عند مالايعلمون».

الشرح

فان قلت: حق الله علی العباد کثیر فما وجه اختصاص هذا بالذکر؟

قلنا: لیس المراد الانحصار و لعل المراد من العباد ههنا العلماء من اهل الکتب والفتاوی بقرينة حالية اومقالية تحققت عندالسؤال، وقد وقع فی القران کثیراً میثاق اهل الکتاب ان لایقولوا علی الله الا الحق ولایفتروا علی الله کذبا، و کل من افتی بغیر علم فهو ممن افتری علی الله کذبا وقال بغیر حق.

وظهران من حق الله الواجب علیهم ان لایقولوا الاماعلموه علماً حقیقیاً ولایفتوا فی المسائل الاما فیه نص صريح من کتاب اوخبر ثابت صحیح من سنة او انعقد علیه

۱ـ ای سأل احواله و صحته.

۲ـ تقوضت الحلق او الصفوف: انتقضت و تفرقت.

۳ـ السارية الاسطوانة. کناية عن جلوسه مجلس النبی صلی الله علیه و اله فی بیان المسائل والاحکام.

اجماع قطعى، و ان يسكتوا عند عدم العلم و ورود الشبهات، هكـذا كان دأب العلماءِ الزاهدين و الفقهاءِ المتورعين، و فى الخبر: اذا رأيتم الرجل قد اوتى صمتا و زهـداً فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة.

الحديث الثامن
و هو الثالث و المائة

«على بن ابـراهيم عن ابيه، عن ابن ابى عمير عن يونس، عن ابـى يعقوب و اسحق بن عبدالله»، بن سعد بن مالك الاشعرى قمى ثقة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام و ابنه احمد بـن اسحق مشهور. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان الله خص عباده بايتين من كتابه: ان لايقولوا حتى يعلموا ولايردوا ما لم يعلموا وقال تعالى: الم يؤخـذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولـوا على الله الا الحق (الاعراف ـ ۱۶۹)، و قال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (يونس ـ۳۹).

الشرح

يعنى ان الله خص عباده الذين من اهل الكتاب و الكلام، كأن من سواهم ليس مضافا اليه تعالى بالعبودية له بآيتين مـن كتابه: لان لايقولوا على الله اى على كتابه او شريعته الاما علموا انه الحق الثابت باليقين و البرهان، و ان لايردوا ايضا مالم يعلموا انه المردود، و الايتان هما اللتان ذكرهما، وفيه ان الايات المخصوص بها هؤلاءِ العباد كثيرة فوق اثنتين كقوله تعالى: ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لايفلح الظالمون (الانعام ـ۲۱)، وقوله: ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون (المائدة ـ ۴۴)، و قوله: فاولئك هم الظالمون (المائده ـ ۴۵)، و قوله: فاولئك هـم الفاسقون (المائده ـ ۴۷) الى غير ذلك من الايات.

ويحتمل ان يكون المراد بايتن هما بحسب الجنس اوجنسان من الايات و فيه بعد، ولايبعد ان يكـون لفظة بايتين تصحيفاً للفظة باثنين ، اى خصهم الله بامـرين من

امـور كتابه، اى حكمين من احكام الكتاب: احـدهما ان لايقولوا على‌الله الاالحق و الثانـى ان لايردوا مالم يعلموا حتى لايقعوا فى تحليل حرام او تحريم حلال كما فى قوله تعالى: ولاتقولوا لماتصف السنتكم الكذب هذا حـلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب (النحل ـ ١١٦).

ثم ذكر ايتين من جملة الايات الـدالة على النهى عن القول بغير علم والافتراء على‌الله، ومن هذا الباب قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثـم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا (البقرة ـ ٧٩).

الحديث التاسع
و هوالرابع والمائة

«على‌بن ابراهيم عن محمدبن عيسى، عن يونس عن داودبن فرقد، عمن حدثه عن ابن شبرمة»، اسمه عبدالله، وشبرمة بالشين المعجمة و بعدها باء منقطة تحتها نقطة والراء قبل الميم من اصحاب على بن الحسين عليهما السلام كان قاضياً لابى‌جعفر[1] على سواد الكوفة ومات سنة اربع واربعين ومائة «صه» ابن شبرمة الضبى الكوفى، ابوشبرمة و كان شاعراً. «قال ما ذكرت حديثا سمعته عـن جعفربن محمد عليهما السلام الا كـادان يتصدع قلبى، قال: حدثنى ابى عن جـدى عن رسول‌الله صلى‌الله عليه والـه، قال ابن شبرمة: و اقسم بالله ماكذب ابوه على جده ولاجده على رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله، قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: من عمل بالمقائيس فقد هلك و اهلك، و من افتى الناس بغير علم و هـو لايعلم الناسخ من المنسوخ و المحكم مـن المتشابه فقد هلك و اهلك».

الشرح

اعلم ان هذا القياس ليس المراد به ما اصطلحت عليه علماء الميزان وهوالقول

١ـ اى: ابوجعفر المنصور ـ الدوانيقى ـ .

المؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنه لذاته قول اخر، و هومنقسم الى اقسام خمسة: افضلها واشرفها البرهان المؤلف من اليقينيات، لانه المعطى لليقين الدائم الذى لايزول ابداً ولايزلزله الشكوك و الاوهام، وبعده الخطابة المؤلفة من المظنونات، و هى مما يفعل فعل البرهان ولكن فى الاذهان الصافية و القلوب اللطيفة، ثم الجدل المؤلف من المشهورات و المسلمات و هومماينفع النفوس العامية ويقع به كسر قوة الجاحدين للحق و قمع صولة انكارهم حتى يستعدوا لسماع الحق بالبرهان، ولايستنكفوا عما يخالف ماتلقفوه تقليداً من الاباء و الاسلاف، وليكن هذا هوالغرض من استعمالها عند المجادلة لامجرد الغلبة لتكون بالتى هى احسن.

والى هذه الثلاثة التى هى العمدة اشير فى الكتاب الالهى تعليماً من الله لنبيه صلى الله عليه واله لدعوة الخلق فى قوله تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن (النحل - ۱۲۵).

و اما القسمان الاخران فهما الشعر المؤلف من التخييلات والمغالطة المؤلفة من المشبهة باليقينيات او الجدليات وليست اياهما، ويقال للاول: القياس السفسطى و للثانى: المشاغبى، فاحدهما وهوالشعر لاينبغى للنبى صلى الله عليه واله لارتفاع منصب النبوة عما يشبه الهزل، انه لقول فصل وماهو بالهزل (الطارق - ۱۴)، وكذا الثانى وهوالمغالطة، لان فائدتها اما الحذر عن الغلط اوتغليط الخصم المجادل، ومرتبة النبى صلى الله عليه واله وكذا من ينوبه من اهل العصمة تنافى ان يغلط ويتعالى عن ان يغلط.

و الشعر و ان كان مفيداً سيما للعوام فان التخييل ربما يؤثر فى بعض الناس اقداماً و احجاما اكثر من التصديق، الا ان مداره على الاكاذيب فلايليق بالصادق المصدوق كماشهد به قوله تعالى: وما علمناه الشعر وما ينبغى له (يس - ۶۹).

بل المراد[1] به ماسماه الميزانيون التمثيل، وهو كما سبقت الاشارة اليه اثبات الحكم فى جزئى لثبوته فى جزئى اخر لمعنى مشترك بينهما كقول القائل: العالم مؤلف فيكون حادثا، قياساً على البيت وهواضعف الحجج غير مفيد ليقين، بل ولاظناً قوياً و

۱- اى: بالقياس.

يسمى القياس الفقهى، لان الفقهاء يسمونه قياساً، و كثير منهم كابى حنيفة و اصحابه يعولون عليها.

و الغزالى جعله باطلا وعد صورة هذا القياس من موازين الشيطان حيث قال: اما ميزان الرأى و القياس فحاش لله ان نعتصم به، ومن زعم من اصحابى ان ذلك ميزان المعرفة فاسأل الله ان يكفينى شره عن الدين فانه صديق جاهل و هو شر من عدو عاقل. انتهى كلامه. ويفوح منه رائحة التشيع.

ثم ان حدود هذا القياس اربعة: الاصل والفرع والعلة والحكم. فالاصل، هو الصورة التى الحكم فيها ثابت بالاتفاق كالبيت فى مثالنا هذا، والفرع، هو الصورة الاخرى التى يراد اثبات الحكم فيها كالعالم، والعلة، وهى المعنى المشترك بينهما الجامع كالتأليف، و الحكم وهو القول المترتب عليه و هو كقولنا: العالم حادث.

و انما قرر اصحاب الرأى والجدل هذا النمط بطريقين: احدهما و يسمى الطرد و العكس عند قدماء الجدليين و الدوران عند متأخريهم، هو ان المعنى الشامل حيث عهد كما فى البيت والسرير ونحوهما كان مقترناً بهذا الحكم و كذا بالعكس، اى وحيث انتفى المعنى الشامل، انتفى الحكم كالحدوث، فهما متلازمان وجوداً و عدماً، فيقترنان فى محل النزاع، وهم فى حيز الانقطاع و العجز عند مطالبة لمية عدم جواز انفكاكهما فى موضع لم يعهدوه، فاذاً جاز انفكاكهما فى موضع لايلزم تلازمها وجوداً وعدما.

والثانى و يسمى السبر[1] والتقسيم، و هو انهم يعدون صفات ما وجد فيه الحكم بالاتفاق الذى سموه الاصل او الشاهد، كقولهم: علة حدوث البيت اما التأليف او الامكان او الموجودية او الجوهرية او الجسمية، و هو ايضاً ليس بشىء لانالانسلم انحصار العلة فيما ذكروا الجواز وصف اخر وهو العلة و المناط، لان الترديد غير دائر بين النفى و الاثبات ليكون حصراً عقلياً، فاذن لاينقطع عنهم احتمال وجود وصف غفلوا عنه هو مناط الحكم و العلة، فرب حكم متعلق بشىء لايطلع عليه الا بعد حين.

١ـ سبر الامر: جربه و اختبره، والسبر: الاصل.

فهذا خلاصة البيان فى تقرير هذا القياس ومايرد عليه، فظهر انه ممالاتعويل عليه فى المقاصد العلمية و الدينية، ولهذا وقع الحكم فى هذا الحديث على هلاك من عمل به سيما فى اصول الاعتقاديات او فى مقابلة النص، وهلاك من اتبعه فى العمل بمثل عمله اوفى العمل بمايستخرجه بهذا العمل فهو هالك و مهلك لكونه ضالاً مضلا.

و اول من عمل بهذا القياس فى مقابلة النص هو الشيطان حيث امره الله بسجدة ادم فابى و عارض الامر بالقياس و هو قوله كما حكى الله عنه: خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ۱۲)، يعنى ان النار اشرف من الطين، فانالتكونى منها اشرف و افضل من ادم لتكونه من الطين، و الشريف كيف يسجد للخسيس و الفاضل كيف يخدم المفضول؟ فخبط اللعين وغلط وخلط اذقاس شرف الروح على شرف البدن وفضيلة السرعلى فضيلة العلن، فالغلط ههنا انما نشاء من باب اخذ ماليس بعلة علة، او اخذما بالقوة مكان ما بالفعل.

وقوله: و من افتى الناس... الى اخره اعلم: ان فى آيات القران اقساماً كثيرة متقابلة فيكون ناسخا ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً ومجملا ومبيناً ومنطوقا ومفهوما و ظاهراً ومأولا وعاماً وخاصاً ومطلقا ومقيداً وغير ذلك من الاقسام، وكذلك فى الحديث كمابين وفصل معانيها فى كتب الاصول الفقهية، والمفتى للناس لابدان يعلم هذه الاقسام و يتميز عنده بعضها عن بعض، و الافهلك ذاته و اهلك غيره ممن يتبعه فى الفتوى او العمل.

باب من عمل بغير علم

و هو الباب الثالث عشر من كتاب العقل و العلم وفيه ثلاثة احاديث

الحديث الاول

و هو الخامس و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن ابيه عن محمدبن سنان عن طلحةبن زيد قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: العامل على غير بصيرة كالسائر على

غیر الطریق لایزیده سرعة[1] السیر الابعداً».

الشرح

توضیح هذا المرام و تحقیق هذا المقام، بان تعلم اولا: ان الانسان یکون فی هذه النشأة الدنیاویة مرکباً من بدن طبیعی مظلم سفلی و من روح ملکوتی علوی، و لکل منهما خاصیة اخری غیر خاصیة صاحبه، فخاصیة الروح اذا کملت العلم والمعرفة وخاصیة البدن اذا قوی الحرکة والاستحالة، وایضاً خاصیة الروح البقاء و الدوام و خاصیة البدن الدثور والانصرام، ومع ذلک کل منهما یحتاج الی الاخر فی هذه النشأة التعلقیة.

وعلة تعلق النفس بهذا البدن الکثیف الظلمانی وهبوطها عن عالم النور ومعدن السرور، نقصها وقصورها، فیحتاج فی استکمالها وبلوغها من حدود النقص الی درجة الکمال الی سعی وعمل وحرکات علمیة وعملیة، و اعمال وطاعات بدنیة و قلبیة و کل ذلک لایمکن الا بالبدن. فهی محتاجة فی تحصیل الکمال الی البدن، و البدن ایضاً مادام بقاؤه وحیوته محتاج فی التغذیة و التکمیل وتولید المثل الی نفس مدبرة له، فکل منهما یفتقر الی الاخر وینتفع به.

و مثالهما معاًمثال المقعد[2] والاعمی، فالنفس کبصیر لاقدرة له علی المشی والبدن کماش لایبصر شیئا، فاذا اعان کل منهما صاحبه امکنهما سلوک طریق یؤدی الی المطلوب و الظفر بالمقصود، بان یرکب البصیر المقعد علی الاعمی الراجل، فیسیرا معاًفی بساتین العشرة ومناهل الشهوة ومراحل النعمة و اللذة فیتنعمان بالمشارب و المآکل والمناکح، فعلی هذا لو اراد الاعمی ان یمشی منفرداً من غیر ان یقوده البصیر فیوشک ان یقع فی بئر او هاویة او یفترسه سبع فیهلک، و فی الغالب یکون علی غیر سمت المطلوب فیزداد بعداً کلمایزداد سیراً وسرعة.

۱ـ کثرة. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

۲ـ الزمن. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

فهذا مثال ضرب للنفس والبدن فـى سلوك سبيل الله والمشى الـى دار المغفرة والرحمة والـرضوان و بساتين الجنان. فاذن حال العامل بلا علم والناسك بلا بصيرة كحال السائر الاعمى بلاقائد بصير حذو القذة بالقذة، وهذاامر محقق بالبرهان مكشوف عند ذوى العيان لا انه اكتفى فيه بمجرد المثال، اذقد مـر ان التمثيل مما لاتعويل عليه سيما فى مثل هذه المقاصد الاصولية، و لولا مخافة التطويل لا وردنا بياناً برهانياً على ان عبادة الجاهل لايزيده الا حجابا عن الحق و بعداً عن المعبود.

الحديث الثانى
وهو السادس والمائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن سنان عن ابن مسكان» هو عبدالله بن مسكان بالميم المضمومة والسين الساكنة المهملة ابـومحمد مولى عنزة ثقة عين روى عن ابى الحسن موسى عليه السلام، قيل: انه روى عن ابى عبدالله عليه السلام و ليس يثبت، و روى انه لم يسمع من الصادق عليه السلام الا حديث: من ادرك المشعر فقد ادرك الحج. و كان من اروى اصحاب ابـى عبدالله عليه السلام، و كان لايدخل على ابى عبدالله عليه السلام شفقة[1] ان لايوفيه حق اجلاله، وكان يسمع من اصحابه ويأبى ان يدخل عليه اجلالا و اعظاماً[2] «صه».

اقول: و لعله انما دخل على الكاظم عليه السلام مع امتناعه عن الدخول على ابيه عليه السلام لترقيه فى العلم والعمل حتى صار فى زمن الكاظم عليه السلام اهلا للدخول.

قال الكشى: وهو ممن اجتمعت العصابة على تصحيح مايصح عنهم و اقروا لهم بالفقه، قال النجاشى: مات فى ايام ابى الحسن عليه السلام قبل الحادثة. لـه كتب روى عنه محمدبن سنان والحسين بن هاشم «عن حسين الصيقل قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: لايقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل

۱ـ اى: خوفا.

۲ـ اعظاماً له عليه السلام «كش».

ومن لم‌يعمل فلا معرفة له، الا ان‌الايمان بعضه من بعض».

الشرح

قدمر ان الايمان و كل مقام من مقاماته‌كالصبر والشكر والتوكل وغيرها، ينتظم من‌المعارف والاحوال والاعمال، فكل معرفة تثمر حالا و كل‌حال تثمر عملا و بالعكس من هذا الترتيب بعينه، فان‌كل عمل يتأدى الى اثر او حال فـى‌النفس، و كل حـال و صفاء في‌النفس، يتأدى الى معرفة اخرى فيها، فكل من هذه الامور الثلاثة يكون اولا و اخراً فيتقدم على نفسه، لكن لاعلى سبيل الدور المستحيل، لان الذى فى الاول غير الذى في‌الاخر بالعدد، و كيفية التقدم والتأخر والعلية والمعلولية فى احد الترتيبين غير التى فـى عكسه. فـان تقدم المعرفة على الحال و بتوسطها على العمل، تقدم بالذات والطبع[1] كتقدم الفاعل على فعله، وتقدم العمل على‌الحال و بتوسطها على‌المعرفة تقدم بالزمان لابالذات كتقدم القابل و استعداده على المقبول الحادث بعده.

فظهر ان كلا من‌العلم والعمل له مدخلية فى‌حصول الاخر بوجه دون وجه، لكن العلم‌كالروح و هو الاصل والعمل‌كالبدن والفرع والالـة، فقوام العمل بالعلـم‌كقوام البدن بالروح، و لكن شرط دوام العلم و كماله و ازدياده مواظبة الاعمال، و مثالهما: كمن يمشى بالليل المظلم و بيده مصباح ، فكل خطوة منه لايحصل الا بوقوع الضوء على موضع قدم، فاذا قطع ذلك الموضع بالحركـة وقع الضوء على موضع اخـر، فلايزال‌كل حـركة يتوقف على ضوء يستضىء به مـوضع، و كل ضوء يحصل عقيب حركة يقطع بها موضع اخر، و هكـذا يترادف الاضواء و يتعاقب الحركات الـى ان يتأدى الماشى الى الغاية و معه المصباح و انتهت الحركة، فهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والطاعة حتى بلغ الغاية وخلص من‌التعب والمشقة و معه نوراليقين والمعرفة يتنعم به فـى الاخرة و يلتذ بمشاهدة الحضرة الالهية التى صورتها الجنة التى عرضها كعرض السماء والارض.

۱ــ والعلية. النسخة البدل فى‌الاصل للشارح.

اذا اتضحت هـذه المقدمات فلنرجع الـى شرح الحديث، فقوله عليه‌السلام: لايقبل‌الله عملا الا بمعرفة، لان قوام العمل يعنی العبادة كالصلوة والصوم بمعرفة‌الله و نية التقرب اليه، وقصد الطاعة والخضوع له والتشوق الی جنابه والوصول الی جنانه ورضوانه. فمن لامعرفة له بالله واليوم‌الاخر، فكيف يشتاقه و كيف ينوی ويقصدالتقرب اليه وهو لم‌يعرفه بعد؟ ولكن اذا عرفه يعلم انه مما يجب طاعته والتوسل اليه بطاعة و عبودية وهو معنی قوله عليه‌السلام: فمن عرف دلته المعرفة علی‌العمل.

فظهر ان المعرفـة والنية روح العمل و ان كـان العمل ايضا وسيلة اليه كالبدن للروح والبذر للثمرة كما نظمه بعض‌العرفاء:

الـروح للجسم والنيات للعمـل	يحيی بها كحيوةالارض بالمطر
فتصير الزهـر[1] للاشجار بارزة	وكل ما تخرج الاشجار من ثمر
كذلك تخرج من اعمالنا صور	لها روائح من نتن و مـن عطر

ثم لما كـان كمال المعرفة و ازديـاد نور القلب لايحصل الابتكرر الاعمال و ترادف الاحـوال، فمن لم يعمل عملا صالحا فـلايتم ولا تبقی له معرفة، و هـوقوله عليه‌السلام: ومن لم يعمل فلامعرفة له، فان العمل و العبادة والرياضة ممايصفی‌النفس ويرقق القلب ويطهره فيستعد بذلك لفيضان الصور العلمية عليه.

و اما قـوله عليه‌السلام: الا ان الايمان بعضه مـن بعض ، فيحتمل معنيين: لان الايمان اما ان يراد به‌نفس المعرفة والعلم بالله وكتبه و رسله واليوم الاخر اومجموع العلم و العمل والمعرفة والطاعة، فمعناه علی‌الاول: ان كل مـرتبة من مـراتب الايمان فی‌القوة و الكمال، يحصل من مرتبة اخری منه سابقة لاجل العمل بها وهی دونها فی القوة و الكمال، ثم يؤدی هذه المرتبة ايضا بوسيلة العمل الی مرتبة اخری لاحقة هی اشرف و اكمل من الاولیين وهكذا الی‌الغاية التی‌ليست بعدها غاية، وعلی‌الثانی كان المعنی: ان الايمان كل من جزئيه العلمی والعملی يحصل من‌الاخر، فعلمه يحصل‌من عمله وعمله يحصل من علمه علی‌الوجه الذی مربيانه وبالله التوفيق.

۱ـ الاثمار. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

الحديث الثالث
و هوالسابع والمائة

«عنه عن احمدبن محمد، عن ابن فضال عمن رواه، عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قـال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: من عمل على غير علم كـان مايفسد اكثر مما يصلح».

الشرح

قد علمت ان نفس العمل واصلاحه ليس من الخيرات الحقيقية، انما الفائدة فيه اصلاح القلب و تطهيره و تصفيته و تهـذيبه عـن الغواشى و الكـدورات و شوائب الدنيا وشواغل الخلق، و هذه الفائدة ايضاً ليست مقصودة بالذات لان هذه الاحـوال من التطهير والتصفية ونحوهما كالاعدام للملكات والعدم، لايكون مطلوباً الابالعرض. انما المطلوب، ان ينكشف له المعارف الحقيقية من جلال‌الله فى‌ذاته وصفاته وافعاله.

فمن اقتصر فى‌سلوكه على‌مجرد العمل و الرياضة و المجاهدة من غير بصيرة ولامعرفة، فالتصفية تصير وبـالا عليه، اذ يحرك النفس تحريكاً بالخواطر الـوهمية و يستولى عليه الوساوس النفسانية، فيشوش القلب حيث لم يتقدم رياضة النفس بحقائق العلوم والافكار الصحيحة فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة، اذشأنه عدم الثبات والسكون على‌حالة واحدة و الاطمئنان عليها كما روى عنه صلى‌الله عليه واله، انه قال:

قلب المؤمن، اشد تقلباً من القدر فى‌غليانه، وقال: قلب المؤمن بين اصبعين... الحديث، فحيث لـم يكن قلب العابد مهذبـاً بالعلوم الحقة، يخترع بفكـره الفاسد تصورات باطلة و اوهاماً كاذبة، و ربما يتخيل فى‌ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفرو الزندقة، وفى زعمه انها صحيحة حقة، نعوذبالله! ثم مع ذلك قل مايخلو عن اعجاب بنفسه وافتخاربعمله و اغترار بعبادته ونظر الـى سائرالناس بعين الحقارة و النقص والعيب.

و ربما يتشحن باطنه بامراض نفسانية وعلل قلبية وهوغافل عنها غيرملتفت الى

معالجة النفس و ازالتها عن القلب لجهله بذمائم الاخلاق عن محامدها فيزعم الرذائل فضائل. ويزعم مثلا، الخمود عفة وعـدم الغيرة حلماً و التهور شجاعة ونحو ذلك، و يبقى طول عمره في العمل و النسك الى ان يحل الاجل وهو على هذه الحالة زاعماً بنفسه انه على شيء، وهو كمال قال تعالى: قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف ـ ۱۰۳ و ۱۰۴).

وعن رسول الله صلى الله عليه و اله: قصم ظهرى رجلان: عالم متهتك و جـاهل متنسك، فهذا معنى قوله عليه السلام عن جده: من عمل على غير علم... الى اخره.

باب استعمال العلم

و هو الباب الرابع عشر من كتاب العقل و العلم و فيه سبعة احاديث:

الحديث الاول

و هو الثامن و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن حمادبن عيسى، عن عمربن» محمدبن عبدالـرحمن بن «اذينة»، بضم الهمزة و فتح الـذال المعجمة وسكون الياء المنقطة تحتها نقطتين و فتح النون، شيخ مـن اصحابنا البصريين و وجهم روى عن ابي عبدالله عليه السلام بمكاتبة، له كتاب الفرائض وكان ثقة صحيحا «صه».

قال الكشي: قال حمدويـه: سمعت اشياخي منهم العبيدى و غيره ان ابن اذينة كوفي، و كان هرب من المهدى، ومات باليمن فلذلـك لم يروعنه كثير، و يقال: اسمه محمدبن عمربن اذينة غلب عليه اسم ابيه و هو كوفي مولى لعبد القيس، و قال الشيخ في الفهرست له كتاب روى عنه ابن ابي عمير، وصفوان و الحسن بن محمدبن سماعة و احمدبن هيثم[1].

۱ـ احمدبن ميثم «ست» وفي الحاشية للشارح قدس سره: جعل ابن داود عمربن اذينة غير عمربن محمدبن اذينة هذا، والحق انهما واحد كما ذكـره العلامة، والموجب لتوهـم ابن داود، ان الشيخ فـي كتابيه ذكر عمربن اذينة لاغير وكذلك الكشي والنجاشي ذكـر عمروبن محمدبن عبدالرحمن بن اذينة فظنهما اثنين.

«عن ابان بن ابی عیاش»، بالعین غیر المعجمة والشین المعجمة و اسمه فیروز بالفاءِ المفتوحة والیاء المنقطة تحتها نقطتین الساکنة وبعدها راء وبعدالواو زاء، تابعی ضعیف روی عن انس بن مالك و روی عن علی بن الحسین علیهما السلام، لایلتفت الیه وینسب اصحابنا وضع کتاب سلیم بن قیس الیه، هکذا قاله ابن الغضائری.

وقال السید علی بن احمد العقیقی فی کتاب الرجال: ابان بن ابی عیاش کان سبب تعریفه[1] هذا الامر سلیم بن قیس الهلالی حیث طلبه الحجاج لیقتله، حیث هو من اصحاب امیرالمؤمنین صلوات الله علیه. فهرب الی ناحیة من ارض فارس و لجأ الی ابان بن ابی عیاش. فلما حضرته الوفاة قال لابن ابی عیاش: ان لك علی حقاً، وقدحضرنی الموت یا ابن اخی انه کان من الامر بعد رسول الله صلی الله علیه واله کیت وکیت و اعطاه کتابا. فلم یروعن سلیم بن قیس احد من الناس سوی ابان، و ذکر ابان فی حدیثه قال: کان شیخا متعبداً له نور یعلوه.

قال العلامة: والاقوی عندی التوقف فیما یرویه لشهادة ابن الغضائری علیه بالضعف، وکذا قال شیخنا الطوسی فی کتاب الرجال.

«عن سلیم بن قیس الهلالی» بضم السین روی الکشی احادیث تشهد بشکره[2] وصحة کتابه وفی الطریق قول «صه».

القول ما ذکره الشهید الثانی رحمه الله ان فی الطریق ابراهیم بن عمر الصنعانی وابان بن ابی عیاش، وقدطعن فیهما ابن الغضائری، وفی الفهرست: سلیم بن قیس الهلالی یکنی ابا صادق له کتاب اخبرنا به ابن ابی جنید[3] قال: حدثنا محمدبن الحسن بن الولید قال: حدثنا محمدبن ابی القاسم[4] ماجیلویه، عن محمدبن علی الصیرفی، عن حمادبن

۱ــ تعرفه «جامع الرواة».

۲ــ شکرت شکراً وشکوراً وشکراناً الرجل وله (باللام افصح): اثنی علیه لما اولاه من المعروف، الثناء الجمیل.

۳ــ ابی جید «ست».

۴ــ محمدبن القاسم «ست».

عیسی وعثمان‌بن عیسی عن ابان‌بن ابی عیاش، عن سلیم‌بن قیس قال حمادبن عیسی: وحدثناه ابراهیم‌بن عمر الیمانی عن سلیم بن قیس.

وقال السید علی‌بن احمد العقیقی: کان سلیم‌بن قیس من اصحاب امیرالمؤمنین علیه‌السلام، طلبه الحجاج لیقتله الی اخر الحکایة و هوقوله: له نوریعلوه، و قال ابن‌ـ الغضائری: سلیم‌بن قیس الهلالی العامری روی عن ابی‌عبدالله[1] و الحسن و الحسین و علی‌بن الحسین علیهم‌السلام وینسب الیه هذا الکتاب المشهور، و کان اصحابنا یقولون: ان سلیماً لایعرف ولا ذکر فی‌خبر[2]، وقد وجدت ذکره فی‌مواضع من غیر جهة کتابه ولامن روایة ابان‌بن ابی‌عیاش عنه.

وقد ذکرله ابن‌عقدة فی‌رجال امیرالمؤمنین علیه‌السلام احادیث عنه: والکتاب موضوع لامریة فیه، وعلی ذلک علامات فیه تدل علی ما ذکرناه، منها: ما ذکر ان محمدبن ابی‌بکر وعظ اباه عندالموت، ومنها: ان الائمة ثلاثة عشر وغیر ذلک، و اسانید هذا الکتاب یختلف تارة بروایة عمربن اذینة عن ابراهیم ابن عمر الصنعانی، عن ابان‌بن ابی‌عیاش عن سلیم، وتارة یروی عن عمرعن ابان بلاواسطة. فالوجه‌عندی الحکم بتعدیل المشارالیه و التوقف فی‌الفاسد[3] «صه».

قال الشهید الثانی رحمه‌الله: و انما کان الذی ذکر اولا من علامات وضعه لان محمدبن ابی‌بکر ولد فی حجة الوداع وکانت خلافة ابیه سنتین و اشهراً، فوعظه اباه غیر معقول.

وذکر بعض‌الفضلاء: ان ما وصل الینا من‌نسخة المذکور فیها انما هوعبدالله‌بن عمر وعظ اباه عندالموت، و ان‌الائمة ثلاثة عشر مع النبی صلی‌الله علیه و اله، و شیء من ذلک لایقتضی کون الکتاب موضوعاً. انتهی.

اقول: و مما یدل علی حسن حاله و عدالته و صحة کتابه و عقیدته وجلالة شأنه

۱ـ والمراد امیرالمؤمنین علیه‌السلام لانه من‌جملة کناه «للشارح قدس سره».

۲ـ فی حدیث «جامع‌الرواة».

۳ـ فی‌الفاسد من‌کتابه «جامع‌الرواة».

وصحبته لاميرالمؤمنين عليه السلام ما روى عنه محمد بن على بن بابويه فى كتاب الاعتقادات من حديث طويل فى باب الاعتقاد فى الحديثين المختلفين، انه قال: قلت لاميرالمؤمنين عليه السلام: انى سمعت من سلمان ومقداد و ابى ذرشيئاً من تفسيرالقران ومن الاحاديث عن نبى الله[1] صلى الله عليه واله غير مافى ايدى الناس، وسمعت منك تصديق ماسمعت منهم، و رأيت فى ايدى الناس اشياء كثيرة من تفسير القران ومن الاحاديث عن نبى الله[1] صلى الله عليه واله انتم تخالفونهم[2] فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل، افترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه واله متعمدين ويفسرون القران بارائهم؟

فقال على عليه السلام: قد سألت فافهم الجواب، ان فى ايدى الناس... الى اخره فى حديث طويل مشتمل على لب الاعتقاد الذى عليه اهل الحق، والنص على واحد واحد من الائمة عليهم السلام الى ان تم بمهدى هذه الامة عليه السلام، ثم قال: والله انى لاعرفه يا سليم حيث يبايع بين الركن و المقام و اعرف انصاره وقبائلهم[3].

قال سليم بن قيس: ثم لقيت الحسن والحسين عليهما السلام بالمدينة بعدما ملك معوية فحدثتها الحديث عن ابيهما قالا: صدقت قد حدثك اميرالمؤمنين بهذا الحديث، ونحن جلوس وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله كما حدثك فلم يزد فيه حرفا ولم ينقص منه حرفاً، قال سليم: ثم لقيت على بن الحسين عليهما السلام وعنده ابنه محمد الباقر عليه السلام فحدثته بماسمعت من ابيه ومن اميرالمؤمنين عليهما السلام فقال عليه السلام: قد اقرأنى اميرالمؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه واله و هومريض واناصبى، ثم قال ابوجعفر عليه السلام: واقرأنى عليه السلام من رسول الله[4] صلى الله عليه واله و اناصبى.

۱ـ عن النبى صلى الله عليه و اله «الاعتقادات».

۲ـ فخالفونا «الاعتقادات»

۳ـ و اعرف اسماء انصاره و اعرف قبائلهم «الاعتقادات».

۴ـ بما سمعته عن ابيه وما سمعت عن اميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه واله وهو مريض و انا صبى، ثم قال ابوجعفر عليه السلام: و اقرأنى جدى عن رسول الله «الاعتقادات».

قال ابان‌بن ابى‌عياش: فحدثت على بن الحسين كله[1] عن سليم‌بن قيس الهلالى فقال: صدق وقدجاء جابربن‌عبدالله الانصارى الى ابنى‌محمد وهويختلف الى الكتاب، فقبله و اقرأه السلام من رسول‌الله صلى‌الله‌عليه و اله، فقال ابان‌بن ابى‌عياش: فحججت بعدموت على‌بن الحسين عليهماالسلام و لقيت اباجعفر عليه‌السلام فحدثته بهذاالحديث كله عن سليم فاغرورقت عيناه و قال : صــدق سليم رحمةالله عليه و قد اتى بابى[2] بعد قتل جدى الحسين عليه‌السلام وانا عنده، فحدثه بهذا الحديث بعينه وقال‌له عليه‌السلام صدقت والله يا سليم قدحدثنى بهذا الحديث ابى‌عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام.

وهذا الحديث قدرواه ايضا محمدبن يعقوب الكلينى رحمه‌الله فى‌هذا الكتاب بسنده المتصل هكذا عن على‌بن ابراهيم، عن ابيه عن حمادبن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليمانى عــن ابان بــن ابــى‌عياش، عــن سليم‌بن قيس الا انــه اقتصر على بعض الحديث اكتفاء بموضع الحاجة، و القول بان‌الذى دل فيه على‌فضله وحسن حاله من باب الشهادة على‌نفسه، خــروج عن‌الانصاف. «قال: سمعت اميرالمؤمنين عليه‌السلام يحدث عن‌النبى صلى‌الله عليه واله انه قال فى كلام‌له: العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هــالك، وان اهل النار يتأذون عن ريح‌العالم التارك لعلمه، و ان اشد الناس ندامة وحسرة، رجل دعاعبداً الى‌الله، فاستجاب‌له وقبل منه، فاطاع‌الله فادخله‌الله الجنة، و ادخل الداعى الى النار بتركه علمه و اتباعه الهوى وطول الامل، اما اتباع‌الهوى فيصد عن‌الحق وطول‌الامل ينسى الاخرة».

الشرح

قوله‌عليه‌السلام: العلماء رجلان، اى قسمان من‌الرجال، و المراد من‌العلم‌الذى هوداخل فى‌المقسم هومطلق‌العلم، وما يسمى‌علماً اعم من ان يكون علماً حقيقياً اوعلماً عرفياً غير حقيقى. فان اكثر مــايسمون فى‌عرف‌الناس علماء ليسوا بالحقيقة علماء، و

۱ــ بهذا الحديث كله «الاعتقادات».

۲ــ الى ابى «الاعتقادات».

کان حاصل علومهم مجرد حفظ الاقوال المشهورة وضبط الاحادیث و الـروایات، او القدرة علی مجادلة الخصومات بایراد المقدمات الجدلیة و الابحاث الکلامیة. و کـل ذلك لیس بعلم حقیقی، انما العلم بالحقیقة نور یقذفه‌الله فی قلب المؤمن کماورد فی الخبر، و ذکر فـی مواضع من القران باسامی مختلفة من الحکمة و الهدی و الفضل و النور وغیر ذلك.

فالمقسم الصادق علی القسمین هو المعنی الاعم من الحقیقی و الرسمی، اوالمراد منه العلم المتعلق بالاعمال و کیفیتها و احوالها و هوالمشهور بین الناس، و العالم به، ان عمل بعلمه فهوناج و ان لم یعمل به، فهوهالك.

فالعلماء قسمان: علماء الاخرة وعلماء الدنیا، فالاول ناج والاخـر هالك، واما العالم الحقیقی والعارف الربانی فهوخارج عن القسمین ولایکون هالکاً ابداً ولایکون الاناجیاً، و انه بحیث اذا وقع منه زلة او ذنب یکون سریع التذکر و الاستغفار لـربه کثیر التضرع الیه شدیدالتشوق الی عالم الاخرة و الرجوع الی الحق تعالی.

و اما العالم الرسمی فهو ایضا ناج ان کان قصده من علمه منحصراً فـی طلب الاخرة و النشأة الباقیة و الزلفی عندالله ومجاورة الملائکة، و اما ان کـان قصده من العلم الدنیا ولذاتها و الجاه و الشهرة فهولایکون الاهالکاً، وسنشیر الی السبب العقلی و الوجه اللمی فی ذلك.

قوله علیه‌السلام: و ان اهل النار یتأذون عـن ریح العالم التارك لعلمه، اعلم انه قدوردت فی العلماء السوء اعنی علماء الدنیا تشدیدات عظیمة دلت علی انهم اشدالناس عذاباً یوم القیامة. فمن المهمات العظیمة معرفة العلامة الفارقة بین علماء الدنیا وعلماء الاخرة، اما التی وردت من الاخبار، فمنها ما فی طریق اصحابنا کهذا الحدیث و التی یتلوه فی هذا الباب والتی فی مواضع اخری من هذا الکتاب، ومنها ما ذکر فی الکتب المشهورة فقد روی فیها عـن النبی صلی‌الله علیه واله انه قال: اشد الناس عـذاباً یوم القیامة عالم لم ینفعه‌الله بعلمه و قال ایضاً: العلم علمان: علم علی اللسان، فـذلك حجة

الله على ابن آدم[1] وعلم فی القلب، فذلك العلم النافع.

وقال ايضا: يكون فی اخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق، وقال: من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعداً. وعن اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: يؤتى بالعالم فيلقى فی النار فيندلق اقتابه[2] فيدور بها كما يدور الحمار فی الرحى، فيطوف[3] به اهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه و انهى عن الشر و آتيه.

و اما الوجه العلمی اللمی فی كون عذاب العالم كثوابه مضاعفا، هو انه عصى عن علم، وان مزاولة العلوم الفكرية والرياضات الادبية، يحرك النفوس تحريكاً شديداً ويخرج ما كمن فی ذواتها من الصفات والافعال من حد القوة الى حد الفعل، سواء كانت من باب الخيرات اومن الشرور، والنفس اذا قويت و اشتدت وخرجت من القوة الى الفعل كان تألمها وتحسرها من فوات المألوفات اقوى، وتأذيها من ادراك المؤذيات ونيل المكروهات اشد، بخلاف النفوس الناقصة التی هی بعد بالقوة فی باب الشر و الخير كالبله والصبيان وغيرهما من ضعفاء النفوس وسائر العوام الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا.

فهؤلاء لقصور جواهرهم ونقصان غرائزهم اذا عذبوا ليس عذابهم شديداً و كذلك اذا اثيبوا ليس ثوابهم عظيما.

فهذه الاخبار تبين ان العالم الذی هو من ابناء الدنيا، اخس حالا و اشد عذاباً من الجاهل، و ان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة.

وللعالم الاخروی الربانی[4] علامات: فمنها ان لايطلب الدنيا بعلمه.

ومنها ان لايكون متسرعاً الى الفتوى بل يكون محترزاً ما وجد الى الخلاص

۱ــ على خلقه «المغنی».

۲ــ ای: خرجت امعائه.

۳ــ بالرحى فيطيف «المغنی».

۴ــ هم علماء الاخرة ولهم علامات. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

سبيلا، فان سأل عما شك فيه قال: لاادرى، وان سأل عما يظنه باجتهاد وتخمين، احتاط و دفع عن نفسه و احال على غيره ان كان فى غيره غنية. هذا هو الحزم والورع، فان خطر الاجتهاد عظيم كمامر.

ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسبيل الحق وجهة القدس.

ومنها ان يكون مؤثراً للخلوة والانقطاع عن الناس والجلوس مع الله فى الخلوة مع حضور القلب وصفاء الفكر، فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم و متوفر على عمل الباطن ومراقبة القلب فتح الله عليه من لطائف العلوم و المعارف ما يحارفيه عقول ذوى الالباب، وهذا معنى ما قاله رسول الله صلى الله عليه واله: من عمل بمايعلم[1] ورثه الله علم مالم يعلم.

وفى بعض الكتب: يا بنى اسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به[2]، ولا فى تخوم الارض من يصعدبه، ولامن وراء البحار من يعبرفيأتى به[3]، العلم محصول[4] فى قلوبكم تأدبوابين يدى بادب[5] الروحانيين و تخلقوا[6] باخلاق الصديقين اظهروا العلم من قلوبكم حتى يغطيكم.

ومنها ان يكون اكثر بحثه فى علم الاعمال عمايفسدها ويشوش القلب و يهيج الوسواس ويثير الشر، فان اصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه.

ومنها ان يكون اكثر بحثه فى العلوم النظرية عمايغيب عن المحسوسات و

١ـ بما علم «المغنى».

٢ـ به الى الارض «المغنى».

٣ـ يعبر به «المغنى».

٤ـ مجبول «المغنى».

٥ـ باداب «المغنى».

٦ـ تخلقوا الى «المغنى».

الجسمانیات، ویکون اکثر فکـره فی احوال الروحانیات وعالم الملکوت و احـوال الاخرة و مقاماتها.

واما علماءِ الدنیافانهم یتبعون غرائب التفریعات والاقضیة والحکومات و دقائق المجادلات، ویتعبون انفسهم فی وضع مسألة فقیهة غریبة لایتفق مثلها فی انقضاء الدهور، و ما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه الـلازم بمهم غیره النادر ایثاراً لقبول الخلق و التقرب الیهم علی قبول الحق والقرب من الله، وفرحاً وسروراً فی ان یسمیه البطالون من ابناء الدنیا فاضلا علامة بالدقائق؟

فجزاء من کانت حـاله هذه، ان لاینتفع فی الدنیا بقبول الخلق ثم یرد القیامـة مفلساً خاسراً متحسراً علی مایشاهد من ربح العلماء وفوز المقربین، و ذلك هو الخسران المبین.

ثم ان هذا العالم الطالب للدنیا المعرض عن الاخرة، ممن یزید حسرته وندامته فی ان یری مـن تلامذته ومستمعی کلامه و وعظه مـن عمل بما تعلم منه، و اتعظ بما سمعه منه و استجاب له فیما دعاه الیه، فحسن حاله یوم الاخرة و دخل الجنة بـروح و ریحان و سرور ونعیم لاجل قبوله دعوة الحق وطاعته، وهو فی النار بغصة وعـذاب الیم ونزل من زقوم وحمیم وتصلیة جحیم بترکه العمل بما علمه و اتباعه الهوی وطول الامل، و ذلك لان اتباع الهوی و الشهوات یصدالنفس عن طـریق الحق و یحجب القلب عن فهم المعارف، اذ الشهوة والعلم کانهما متضادان ، و کـل من غلبت شهوته نقص عقله ومن غلب عقله انکسرت شهوته.

فاعتبر بحال الملائکة و البهائم، فالمتجرد للعقل کـالملك و المتجرد للشهوة کالبهیمة، و ان طول الامل فی الدنیا یوجب نسیان الاخرة، اذ الدنیا و الاخره کـأنهما ضرتان متی ارضیت احداهما اسخطت الاخری: علی انا قد اشرنا سابقاً ان نشأة الاخرة نشأة الذکر و دار المعرفة، والمنسی معدوم من الناسی، فکل من نسی الاخرة یکون من الهالکین، و کـل من جحدها اوشیئا من مواقفها ومقاماتها الـواردة فی الشریعة یکون من المعذبین.

الحديث الثانی
و هوالتاسع و المائة

«محمدبن یحیی‌عن احمدبن محمد، عن‌محمدبن سنان، عن اسمعیل‌بن جابرعن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: العلم مقرون الـی العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، و العلم یهتف بالعمل فان اجابه و الا ارتحل عنه».

الشرح

الهتف، الصوت من‌باب ضرب وهتف به هتافاً، صاح به ودعاه ویقال: سمعت هاتفاً یهتف اذا کنت تسمع‌الصوت ولاتبصر احداً.

قد علمت ان العلم و العمل کالروح والجسد، یتصاحبان ویتکاملان معاً، و ان کل مرتبة من‌العلم یقتضی عملا بحسبه وکل عمل یتهیأ بهلضرب مـن‌الحال و العلم، کل‌ذلك اذاکانت النیة صحیحة و العمل‌خالصاً، فقوله علیه‌السلام: والعلم یهتف‌بالعمل فان‌اجابه والا ارتحل‌عنه، یعنی ان العلم اذا عمل‌بمایستدعیه ویقتضیه یتقوی بهویتکامل و اذا لم یعمل بمقتضاه ومؤداه، ینمحی وینسی ویزول بالکلیة.

الحدیث الثالث
و هوالعاشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خـالد، عن علی‌بن محمد القاسانی» اصبهانی من ولد زیاد مولی عبیدالله‌بن عباس من ولد خالدبن الازهر، ضعیف.

قال‌الشیخ: انه من اصحاب ابی‌جعفرالثانی‌الجواد علیه‌السلام، ثم قال: علی‌بن شیرة بـالشین المعجمة المکسورة والیاء الساکنة المنقطة تحتها نقطتین و الـراء، ثقة من‌اصحاب الجواد علیه‌السلام، والذی یظهر لنا انهما واحد لان‌النجاشی قال: علی‌بن محمدبن‌شیرةالقاسانی‌ابوالحسن کان فقیهاًمکثرا من‌الحدیث‌فاضلا غمز علیه احمدبن محمدبن‌عیسی ذکرانه سمع منه مذاهب منکرة ولیس‌فی‌کتبه مایدل علی ذلك «صه».

وقال الفاضل الاسترابادی رحمه‌الله: انی لم اجد قول الشیخ الا فی رجال الهادی علیه‌السلام هكذا: علی بن شیرة ثقة، علی بن محمد القاسانی ضعیف اصبهانی من ولد زیاد مولی عبیدالله بن عباس من آل خالد بن الازهر. «عمن ذكره عن عبدالله بن القاسم الجعفری» غیرمعروف[۱] «عن ابی عبدالله علیه‌السلام قال: ان العالم اذا لم یعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب كما یزل المطر عن الصفا».

الشرح

الزلل هو انتقال الجسم من مكان الی مكان، وزل ای زلق، وفی صفة الصراط: مدحضة، مزلة وهی مفعلة من زل یزل اذا زلق، ارید انه یزلق علیه الاقدام ولاتثبت، استعیر ههنا اعنی فی قوله علیه‌السلام: زلت موعظته، لعدم اثر الموعظة و ثباتها فی قلوب المستمعین.

والصفا صخرة ملساء و الجمع صفی واصفاءٍ، و الصفواءِ و الصفوان الحجارة و الواحدة صفوانة، و قوله علیه‌السلام: كما یزل المطر عن الصفا، كأنه شبه العلم و الموعظة بماء المطر وعدم تأثیره و ثباته فی القلوب بعدم استقرار المطر فی الحجر الاملس.

و السر فی عدم تأثیر الموعظة اذا صدر عمن لایوصف بمقتضاها ولا یعمل بمؤداها، ان الكلام من حیث یبتدی مصدره من القائل، یمكن ان ینتهی مورده الی مثل ذلك من السامع، فان كان ابتدائه نزوله من قلب المتكلم، كان انتهائه صعوده الی قلب السامع فیتأثر منه القلب، و ان كان الابتداءِ من اللسان دون مشاركة القلب، كان الانتهاء الی ظاهر السمع فیتأثر منه الصماخ بمقارعة الهواء دون القلب، فلاوقع لمثل هذا الكلام، فتأثیر الروحانی للروحانی و الجسمانی للجسمانی.

۱ـ وفی جامع الرواة: الظاهر ان من فی عمن ذكره هو علی بن اسباط بقرینة روایة علی بن محمد القاسانی عنه.

الحديث الرابع
و هو الحادى عشر و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم بن محمد عن المنقرى» و هو سليمان بن داود. ـ كمامر ذكره ـ . «عن على بن هاشم بن البريد ابوالحسن الزبيدى الخزاز مولاهم الكوفى من اصحاب الصادق عليه السلام. «عن ابيه» غير مذكور فى كتب الرجال «قال: جاء رجل الى على بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل فاجاب ثم عادليسأل عن مثلها فقال على بن الحسين عليهما السلام: مكتوب فى الانجيل: لاتطلبوا علم مالاتعلمون ولماتعملوا بما علمتم، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الاكفراً ولم يزدد من الله الابعداً».

الشرح

قوله: عن مثلها، اى عن مسائل اخرى هى مثلها فى نوع العلم وقوله عليه السلام: لاتطلبوا علم مالاتعلمون ولماتعملوا بما علمتم، الواو للحالية، اى لاتسألوا عن اشياء لاتعلمونها، و انتم لم تعملوا بشىء مما علمتم اوعلمتم الى الان.

واعلم، ان العلوم كمامر على قسمين: فمنها مايتعلق بالعمل ويقال له علم المعاملة وثمرتها وغايتها نفس العمل، و منها لايتعلق بعمل ولا المقصود منه شىء من الاعمال و المعاملات، و هو العلم المحض و المعرفة الخالصة ولا غاية له الا الجلايا القدسية كالعلم بذات الله و صفاته و افعاله، فهذا العلم كلمايزداد، يزداد صاحبه بصيرة و فى قلبه نوراً و بالحق استيناساً والى عالم الاخرة و دارالملكوت اشتياقاً وعن دارالدنيا استيحاشاً.

و اما العلم المتعلق بالاعمال و المعاملات فليس فى ازدياده و اشتداده فائدة الابقدرمايحتاج اليه لاجل العمل، ففائدته اذن انماهى نفس العمل بحسبه، فاذالم يعمل به كان وجوده فى النفس لكونه علماً جزئيا متعلقا بامور جزئية جسمانية متغيرة، حجاباً عن الحق و زيادته و الاستغراق فيه نسياناً للاخرة وسداً من الرجوع الى جانب القدس و

اشتغالا بماسواه طول العمر، ثم يتشعب منه اثار رديئة و ينبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب، فهذا هو المراد من قوله عليه‌السلام: فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الاكفراً، و المراد به انه اذا وقع الاهتمام به لاعلى قصد العمل و الاستغراق فيه.

الحديث الخامس
و هوالثانى عشر و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن‌سنان، عن المفضل بن عمر عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قلت له: بم‌يعرف‌الناجى؟ قال: من كان فعله لقوله موافقاً فاثبت‌له‌الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فانما ذلك مستودع».

الشرح

قوله: فاثبت، يحتمل ان‌يكون بصيغة الماضى‌المجهول اوبصيغةالامر المخاطب، وفى‌بعض النسخ فانماله الشهادة، والمعنى انه انما يعرف‌الناجى يوم‌القيامة من‌الهالك بان يكون قوله لفعله موافقاً اولايكون، فمن كان فعله لقوله موافقا وعمله لعلمه مطابقا فيكون ايمانه و شهادته ثابتاً مستقراً، ومن لم يكن كذلك كان ايمانه مستودعاً مستعاراً وعليه يحتمل قوله تعالى: فمستقر ومستودع (الانعام ــ ۹۸).

فالذى ايمانه بعلم ويقين وبصيرة فذلك اثبت فى قلبه من‌الجبال‌الرواسى فهو من اهل‌النجاة و الفوز بالدرجات بلاشك وريب و علامته ان يعمل بمقتضاه، و الذى ايمانه ليس عن بصيرة و يقين بل‌حصل‌له من افواه الرجال او من جهة التقليد او الاستحسان، فذلك لااعتماد عليه ويزول بادنى شبهة، فهو فى‌مشيئةالله ان شاء سلبه عنه و اهلكه و ان شاء تممه و انجاه من‌النار.

الحديث السادس
و هو الثالث عشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن خالد، عن ابيه رفعه قال: قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام فی کلام له خطب به علی المنبر: ايها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلکم تهتدون، ان العالم العامل بغيره کالجاهل الحائر الذی لايستفيق عن جهله، بل قد رأيت ان الحجة عليه اعظم والحسرة ادوم علی هذا العالم المنسلخ عن[1] علمه منها علی هذا الجاهل المتحير فی جهله، و کلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشکوا ولاتشکوا فتکفروا ولا ترخصوا لانفسکم فتدهنوا ولا تدهنوا فی‌الحق فتخسروا، و ان من الحق ان تفقهوا و من‌الفقه ان لاتغتروا وان انصحکم لنفسه اطوعکم لربه و اغشکم لنفسه اعصاکم لربه، ومن يطع‌الله يأمن و يستبشر ومن يعص‌الله يخب و يندم».

الشرح

المنبر مفعل من‌النبر وهو الرفع، استفاق من‌مرضه و سکره و يستفيق ای‌خاص و کذا افاق يفيق افاقة بمعناه.

فقوله‌عليه‌السلام: لايستفيق عن‌جهله، اشعاربان‌الجهل کالسکر والجاهل کالسکران المعنی.

اما قوله عليه‌السلام: اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلکم تهتدون، فالمراد ـ کما اشرنا اليه ـ ان العلم هو المبدأ والغاية، فالانسان اذا عمل بمقتضی علمه يؤدی عمله الی صفاء فی قلبه و استعد لعلم اخر فوق ما علمه اولا عدة وشدة، ثم اذا عمل‌بمقتضی العلم الحاصل بعد ذلك العلم الاول، يحصل له استعداد اخر و بحسبه علم و انکشاف اخر، وهکذا يتزائد العلم قوة و ضياء حسب تتابع الاعمال حتی ينتهی الی الاهتداء بهدی‌الله وهو نور اليقين والايمان الحقيقی، و ذلك النور غاية کل علم و عمل وحرکة وسعی يفعله الانسان الموفق.

۱ـ من (الکافی).

قوله علیه‌السلام: ان العالم العامل بغیره، ای بغیر علمه او بغیر ما یقتضیه علمه کالجاهل الذی لایتنبه بشیء من العلوم اصلا ولا یخرج من جهله الساذج البسیط وهذه المساواة، لان العلم الذی هو الکمال و الفضل هو العلم الحقیقی الثابت و النور العقلی المسمی فی القران بالهدی و الحکمة و الفضل، لا العلوم الجزئیة المتعلقة بالاعمال و الافعال، فهذه[1] اذا لم یعمل بها کان وجودها کعدمها، ولان مثل هذه العلوم لتغیرها و تجددها لاتدوم یوم القیامة فتمحو و تزول، فیکون حال مثل هذا العالم الذی لم یعمل بعلمه فی عدم العلم و انسلاخه عنه کحال الجاهل المتحیر الذی لم یتعلم اصلا و لم یفق عن جهله ابداً.

قوله علیه‌السلام : بل قد رأیت ان الحجة علیه اعظم والحسرة ادوم علی هذا العالم المنسلخ عن علمه منها علی هذا الجاهل المتحیر فی جهله، اما ان الحجة علیه اعظم فظاهر اذ لم یبق له مجال عذر فی ترکه العمل و الطاعة و اتیانه المعصیة، و اما ان الحسرة علیه ادوم فلوجهین:

احدهما انه یری منازل العلماء الذین لم ینسلخوا عن العلم فی الجنة ودرجاتهم فی القرب منه تعالی فتشتد حسرته و ندامته بادراك انه لو لم ینسلخ عن علمه بترك العمل لکان مثلهم فی النعیم و القرب، و هذا بخلاف حال الجاهل المحض الذی لم یذق رتبة العلم قط.

و الثانی ان النفس کلما کانت اقوی کان ادراکها للامور المؤلمة اشد، فان الحرکات الفکریة سواء کانت فی جانب الخیر بمقتضی العقل الصحیح او فی جانب الشر بمقتضی الوهم الغالط تخرج بها النفس من القوة الی الفعل.

واما النفوس العامیة فکأنها لم تخرج بعد من القوة الی الفعل فی شیء من طرفی الخیر و الشر، فلاجل ذلك یکون الحسرة و النکال علی اهل الغوایة و الضلال اشد و ادوم منها علی اهل الغباوة و الجهال.

قوله علیه‌السلام: و کلاهما حائر بائر، ای کلاهما مشترك فی الحیرة و الجهل، لان احدهما لم یکن عالماً قط و الثانی انسلخ عن علمه و نسیه فصار مثله فی البوار

۱ــ ای العلوم الجزئیة.

والهلاك يعنى موت الجهالة والنسيان، لان عالم الاخرة عالم الذكـر والعرفان، و فيها حيوة العلم والايمان، فالجاهل الناسى لايموت فيها ولايحيى لانه يدرك الالام الواصلة اليه التى هى من باب الشرور و اعدام الملكات الوجودية، ولايدرك الخيرات والملائمات الروحانية.

قوله عليه السلام: لا ترتابوا فتشكوا.... الى اخره، كلام مستأنف فيه خطابات علمية ومواعظ برهانية فى باب اكتساب العلم والعمل والاجتناب عن الارتياب والمداهنة والكسل، اى لا ترتابوا ولا تمكنوا الـريب والشك فى قلوبهم، بل ادفعوا عنكم لئلا يستقر فى قلوبكم و اعتادوا به فتصيروا من اهل الشك والوسواس فتكونوا كفاراً، فان من غلب عليه الشكوك والوساوس يصير من اهل الكفر، هذا فى باب العلم.

واما فى باب العمل فقوله عليه السلام: ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا، اى اعزموا على الطاعات و تـرك المعاصى والمحرمات، ولا تساهلوا بان ترخصوا لانفسكم فـى ارتكاب الشهوات والمنكرات فتقعوا فى المداهنة فى امر الدين والمساهلة فى باب الحق فتخسروا خسراناً مبيناً.

و ان من الحق اللازم عليكم اولا ان تفقهوا فى الدين، وتعلموا الحلال والحرام والخير والشر، ثم اعملوا بمافقهتم و افعلوا الخير و اجتنبوا عن الشر حسب ماعلمتم، ولاتغتروا بعلمكم ولابعملكم، فان الغرور مـن المهلكات والمغرور بالعلم والطاعة ادون حالا من الجاهل والعاصى.

و ان انصحكم لنفسه بتخليتها عـن المعاصى و الـرذائـل و تحليتها بـالعلوم والفضائل اطوعكم لربه، و ان اغشكم لنفسه باهمالها عـن الطهارة والعلم، و ارسالها فى مرعى الشهوات و مهوى الجهالات، لان الرب تعالى غنى عما سواه، وانما الغاية فى الامر بالطاعة والعبودية، اصلاح النفوس واكمالها وتخليصها عن النقائص والشرور والظلمات.

قوله عليه السلام: ومن يطع الله يأمن... الى اخره، لما اشار عليه السلام الى ان مدار الطاعة والعصيان على نصح النفس والغش لها، عقب ذلك بان من يطع الله بنصح

نفسه و تجريدها عن التعلقات و تطهيرها عن الرذائل و تنويرهـا بالفضائل، يأمن مـن العـذاب و يستبشر بـالمثوبات و المشاهـدات، و من يعص الله بغش نفسه و تلطيخها بالشهـوات و ارسالها فـي مهوى الجهالات، يخب بخسران نفسه و يندم على تفويت الفرصة و تضييع العمر فى اكتساب السيئات و اقتراف الخطيئات.

الحديث السابع
وهو الرابع عشر و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن ابيه، عمن ذكره عن محمد بن عبدالرحمن بن ابى ليلى» الانصارى القاضى الكوفى، مات سنة ثمان و اربعين و مائة من اصحاب الصادق عليه السلام، روى ابـن عقدة عن عبدالله بن ابراهيم بن قتيبة، عن ابن نمير وسأل عن ابى ليلى فقال: كان صدوقا مأموناً و لكنه سيىء الحفظ جداً، وهذه الرواية[1] لاتوجب تعديلا «صه».

«عن ابيه» عبدالرحمن بن ابى ليلى الانصارى مـن اصحاب اميرالمؤمنين على عليه السلام، شهد مع اميرالمؤمنين عليه السلام كوفى، ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه على سب اميرالمؤمنين على عليه السلام «صه».

و فى الكشى: يعقوب بن شيبة قال: حدثنا خالد بن ابى زيد العرنى قال: حدثنا ابن شهاب عن الاعمش، قال: رأيت عبدالرحمن بن ابى ليلى وقد ضربه الحجاج حتى اسود كتفاه، ثم اقامه للناس على سبب على (ع) والجلاوزة[2] معه يقولون: سب الكذابين! فجعل يقول: العن الكذابين على عليه السلام و ابن الزبير و المختار. قال ابن شهاب: اصحاب العربية يقولون سمعك[3] يعلم مايقول لقوله: على، اى ابتداء الكلام. «قال: سمعت ابا

۱ــ هذه الرواية من المرجحات لاتوجب تعديلا «جامع الرواة».

۲ــ جمع الجلواز بالكسر بمعنى الشرطى.

۳ــ بالنصب ، اى اجعل سمعك ميزاناً حتى تفهم بلحن الخطاب مـراد المتكلم، او بالرفع فيكون مبتداء، اى اذا سمعت الكلمة بخصوصيات الاعـراب و غيره تفهم المراد،←

جعفر عليه‌السلام يقول: اذا سمعتم العلم استعملوه ليتسع قلوبكم، فان العلم اذا كثر فى قلب رجل لايحتمله قدر الشيطان عليه، فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون فان كيدالشيطان كان ضعيفا، قلت : وما الذى نعرفه؟ قال: خاصموه بما ظهر لكم من قدرةالله[1]».

الشرح

قوله‌عليه‌السلام: اذاسمعتم العلم استعلموه اى‌اعملوا بماتعلمتم وليكن‌اهتمامكم بالعمل لابكثرة السماع و الحفظ، و قوله عليه‌السلام: وليتسع قلوبكم، اى ينبغى ان لاتكثروا من‌العلم على‌حد تضيق قلوبكم عن احتماله و تضعف عن‌الاحاطة، و هذا كما قاله اهل التصوف و اصحاب الاحوال لمريديهم: ولتكن‌انت متحكما على‌الحال لا الحال متحكما عليك، ونحن‌نرى‌كثيراً من‌مزاولى العلم يفوت منهم‌كثيراً من‌الفضائل والخيرات، ويضيق قلوبهم عن‌التخلق بسائرمحاسن الاخلاق لعدة مسائل تلقفوها و بحثوا عنها، فيجب ان يكون قلب الرجل العلمى متسع‌المجال، لايشغله‌كثرةالعلم عن فعل‌الخير وطاعة المعبود.

فان‌القلب اذا ضاق عن‌قبول الحق وضعف، يستولى عليه‌الشيطان بالوسواس والاغواء، واليه اشاربقوله عليه‌السلام: فان العلم اذا كثر فى قلب رجل، لايحتمله قدر الشيطان عليه.

ثم اذا كان لقائل ان يقول؟ فبماذاتخاصم الشيطان اذا كانت‌كثرة العلم سبب اقتدار الشيطان و استيلائه علينا؟ اشار الى‌الجواب بقوله عليه‌السلام: فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بماتعرفون، يعنى ادنى المعرفة يكفى لدفع كيدالشيطان لان كيده ضعيف، ثم اشار الى ادنى المعرفة التى يكفى لمخاصمة الشيطان، و دفع شره وكيده

← كما اذا سمعت علياً فى هذه الجملة مرفوعاً لامنصوباً تعلم انه ابتداء كلام. العن بصيغة المتكلم وعلى بالرفع لا بالنصب حتى يكون عطف بيان لكذابين.

۱ـ قدرةالله عزوجل (الكافى).

و هی معرفة ماظهر من قدرة الله علی کل الاشیاء، فیقدر علی انشاءِ النشأة الاخری فیثبت المطیع ویعاقب العاصی.

فهذا القدر مـن المعرفة کـاف اولا لان ینبعث بـه العبد علی فعل الطاعـات وترك السیئات، ثم کلما ازداد عملاً وسعیاً فـی طلب الاخرة، ازداد یقیناً و انکشافـاً و بصیرة.

فظهر ان العلم الممدوح فی الکتاب و السنة الذی هو غایة کل علم وعمل، لیس عبارة عن کثرة المسائل و الادراکات التصوریة و التصدیقیة، و انماهو نوروضیاء فی القلب یحصل عقیب الریاضات العملیة و الفکریة مع اخلاص النیة و صـدق العمل و قوة التقوی.

باب المستأکل بعلمه و المباهی به

و هو الباب الخامس عشر من کتاب العقل و العلم وفیه خمسة احادیث:

الحدیث الاول

و هوالخامس عشر و المائة

«محمدبن یحیی عن احمدبن محمدبن عیسی، وعلی بن ابراهیم عن ابیه، جمیعا عن حمادبن عیسی، عن عمربن اذینة عن ابان بن ابی عیاش، عـن سلیم بن قیس قال: سمعت امیرالمؤمنین علیه السلام یقول: قـال رسول الله صلـی الله علیه واله: منهومـان لایشبعان: طالب دنیا وطالب علم، فمن اقتصر مـن الدنیا علی ما احل الله له سلم، ومن تناولها من غیرحلها هلك الا ان یتوب اویراجع، ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا، ومن ارادبه الدنیا فهی حظه».

الشرح

النهمة بالفتح الشهوة و الحاجة، وقیل: النهمة بلوغ الهمة فی الامر، و قـدنهم بکذا فهو منهوم به ای مولـع به، ونهم نهیماً من باب ضرب زجر، ونهم من باب لبس

نهمأهو افراط الشهوة فى الطعام.

اعلم ان اهل الطلب من الناس صنفان: طالب الدنيا المزاولون لاعمالها كالتجار و الصناع و ارباب الحرف، وطالب العلم المزاولون لتحصيله المباشرون للبحث و التكرار و التعليم والتعلم، وكل منهما اما حريص فى شأنه كالمنهوم فى شهوة الطعام الذى لايشبع، و اما مقتصد فى امره قانع بما رزقه الله غير حريص، فاشار عليه السلام الى ان الحريص من كل منهما هالك و المقتصد ناج، فخرج من الجميع اقسام اربعة، اثنان سالمان و اثنان هالكان، و الفاظ الحديث واضحة غنية عن الشرح، وقدسبق ان العلم الذى الاكثار منه مذموم غير العلم الذى كلما ازدادكان افضل وانور.

الحديث الثانى
و هو السادس عشر والمائة

«الحسين بن محمدبن عامر»بن عمران، الظاهر انهذا بعينه الحسين بن محمدبن عمران بن ابى بكر الذى مر ذكره فى سندالحديث العشرين كمانبه عليه بعض علماء الرجال، وهوشيخ محمدبن يعقوب مصنف هذا الكتاب كما يفهم من كتاب النجاشى.

«عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء عن احمدبن عائذ، عن ابى خديجة»، اسمه سالم بن مكرم ومكرم يكنى ابا سلمة، قال الشيخ الطوسى رحمه الله: انه ضعيف وقال فى موضع اخر: انه ثقة.

و روى الكشى عن محمدبن مسعود قال: سألت اباالحسن على بن الحسن عن اسم ابى خديجة فقال: سالم بن مكرم، فقلت له: ثقة؟ فقال: صالح، وكان من اهل الكوفة وكان جمالا، ذكر انه حمل ابا عبدالله من مكة الى المدينة، قال: اخبرنا عبدالرحمن بن ابى هاشم عن ابى خديجة قال: قال ابوعبدالله: لاتكتن بابى خديجة، قلت: بم اكتنى؟ قال: بابى سلمة.

قال الكشى: وكان سالم من اصحاب ابى الخطاب، و قال النجاشى: انه ثقة ثقة روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام، و الوجه عندى التوقف فيمايرويه

لتعارض الاقوال فيه «صه».

وقال الکشی بعد قوله: وکان سالم من اصحاب ابی الخطاب: وکان فی المسجد يوم بعث عيسی بن موسی بن علی وکان عامل المنصور علی الکوفة الی ابی الخطاب، لما بلغه انهم قد اظهروا الاباحات و دعوا الناس الی نبوة ابی الخطاب. و انهم يجتمعون فی المسجد ولزموا الاساطين يرون[۱] الناس انهم قد لزموها للعبادة وبعث اليهم، فقتلهم جميعا لم يفلت منهم الارجل واحد، فسقط بين القتلی يعدفيهم. فلما جنه الليل خرج من بينهم فتخلص، و هو ابوسلمة بن سالم بن مکرم الجمال الملقب بابی خديجة، فذکر بعد ذلك: انه تاب وکان ممن يروی الحديث. «عن ابی عبدالله عليه السلام قال: من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يکن له فی الاخرة نصيب، و من اراد به خير الاخرة اعطاه الله خير الدنيا و الاخرة.

الشرح

اما وجه الاول فانه جعل الدين طريقا الی الدنيا و الدنيا غاية له ومقصوداً وطلب الدنيا بعمل الدين و استخدم عقله للشهوات، ومن کانت غاية سعيه وعمله ومنتهی قصده ونيته الدنيا و الشهوات و هی امور فانية باطلة، فلم يکن له فی الاخرة الا النار.

و اعلم ان هذا اسوء حالا من سائر طلبة الدنيا، لانهم طلبوا الدنيا بالدنيا و طلبوا الجسمانيات والمحسوسات بالاعضاء والحواس، وهذا الرجل الذی تعلم الحديث لمنفعة الدنيا، طلب هذه القشور الکثيفة الحسية بلب ذاته و لطيف جوهره و عقله، فهو ممن يجعل مادة عقله مصورة بصورة الشهوات الفانية والامانی الباطلة ، فيتعذب فی الاخرة عذاباً اليما بخلاف عامة اهل الدنيا، حيث لم يجمعوا بين المتضادين ولم يقعوا بين المتجاذبين المتفاسدين.

و اما وجه الثانی: فانه لما قصد الاخرة وسعی لها سعيها حصلت لنفسه ملکة فاضلة، و تصورت ذاته بصورة الاخرة و صورة العلم والعرفان، کان فی الاخرة سعيداً

۱ــ وفی الکشی: يورون: ای من التورية.

مقرباً وفی الدنیا عزیزاً مکرماً[1].

الحدیث الثالث
وهو السابع عشر والمائة

«علی بن ابراهیم عن ابیه، عن القاسم عن المنقری، عن حفص بن غیاث عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: اذا رأیتم العالم محباً لدنیاه فاتهموه علی دینکم، فان کل محب لشیء یحوط ما احب، وقال علیه‌السلام: اوحی‌الله الی‌داود علیه‌السلام: لاتجعل بینی و بینك عالما مفتونا بالدنیا فیصدك عن طریق محبتی، فان اولئك قطاع طریق عبادی المریدین، ان ادنی ما انا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتی من‌قلوبهم».

الشرح

اتهمت فلانا بکذا، ای توهمته کذا والاسم التهمة بالتحریك، والمراد بقوله علیه‌السلام: فاتهموه علی دینکم، ای اعتقدوه متهماً علی‌هذاالدین لیس علی حقیقةفیه، و ذلك لان حب‌الدین و حب‌الدنیا لایجتمعان فی قلب واحد ؛ و حاطه یحوطه حوطاً و حیاطة اذا حفظه وصانه وتوفر علی مصالحه، وفی حدیث‌العباس: قلت یا رسول‌الله: ما اغنیت عن عمك، یعنی اباطالب علیه‌السلام، فانه کان یحوطك و یغضب لك؛ والنجو السر بین‌اثنین، یقال: نجوته نجواً و ناجیته، ای ساررته و انتجیته ای‌خصصته بمناجاتك.

و حاصل الکلام: ان العالم المحب للدنیا، لیس بعالم بالحقیقة ولامتدین، بل جاهل غاو ضال و مغو مضل صاد عن طریق محبةالله و شوق‌الاخرة، و قد انتقم‌الله منه فی‌الدنیا و هو ادنی‌انتقامه حیث نزع عن قلبه لذیذ مکالماته العقلیة، وهی عبارة عن

۱ـ علی بن ابراهیم عن‌ابیه، عن‌القاسم بن‌محمد الاصبهانی عن المنقری، عن‌حفص بن غیاث عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: من اراد الحدیث لمنفعة الدنیا لم یکن فی الاخرة نصیب (سقط هذا الحدیث عن قلمه‌الشریف، والمعنی کما قال فی‌الحدیث السابق).

الاعلامات الحکمیة و الالهامات العلمیة التی کانت قابلة لها فی اوائل فطرتـه ومبادی حاله قبل ان تفسد قـریحته وطبع علی قلبه کما فی قوله تعالـی: و طبع علی قلـوبهم (التوبة ـ۸۷).

الحدیث الرابع
و هوالثامن عشر والمائة

«علی عن ابیه، عن النوفلی، عـن السکونی عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله: الفقهاء امناء الرسل مالم یدخلوا فی الدنیا، قیل: یا رسول الله وما دخولهم فی الدنیا؟ قال: اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلک فاحذروهم علی دینکم».

الشرح

قیل: العلماء ثلاثة: اما مسعد نفسه و غیره واما مهلك نفسه وغیره و امـا مهلك نفسه مسعد غیره.

اما الاول فهم الداعون الی الله المعرضون عن الدنیا ظاهراً وباطناً.

و اما الثانی فهم المصرحـون لطلب الدنیا والمقبلون علیها صریحاً وهـم اتباع السلاطین، لان الوصول الی الثروة و المال و الجاه و الترفع علی الامثال لایحصل الا باتباعهم والخلطة بهم.

و اما الثالث فهوالذی یدعوالناس الی الاخرة ونصب نفسه فی مقام الـوعظ و التذکیر و الامامة، وقد رفض الدنیا فی الظاهر وقصده فی الباطن قبول الخلق و اقـامة الجاه، و ربما مکن فی باطنه باعث الهوی فیماهو بصدده من دعوة الخلق وارشادهم، و هو بحیث لایدری ذلك وزعم ان باعثه الدین وداعیه ثواب الاخرة فی الارشاد والتعلیم، ومثله سخرة الشیطان فی تمام عمره وغایة امره ان یحرق نفسه ویضیئ غیره.

الحديث الخامس
وهو التاسع عشر والمائة

«محمدبن اسمعيل، عن الفضل بن شاذان عن حمادبن عيسى، عن ربعى بن عبدالله، عمن حدثه عن ابى جعفر عليه‌السلام قال: من طلب العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء، او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوء مقعده من النار، ان الرئاسة لا تصلح الا لاهلها».

الشرح

المباهاة، التفاخر وتباهوا تفاخروا، والمراء بالكسر الجدال والتمارى والممارة المجادلة، وفى الحديث: لاتماروا فى القران فان المراء فيه كفر، باء يبوء بوء اذا رجع، والبائة والمبائة و هى الموضع الذى تبوء اليه الابل ، هذا اصلها ثم جعلت عبارة عن المنزل مطلقا، و يتبوء من كذا اى يتخذه منزلا، و يقال: بوئه الله منزلا اى اسكنه اياه.

فقوله [ص]: فليتبوء مقعده من النار، اى لينزل منزله من النار، و مقعده منصوب بكونه مفعولا له لابكونه مفعولا به لان فعله لازم.

والمعنى: ان من طلب العلم لغرض من اغراض النفس و لمنفعة الدنيا فهو من اهل النار، و انما ذكر منها هذه الثلاثة لان علماء الدنيا، الذين يطلبون العلم لا للعمل به، ولا للكشف عن وجوه الحقائق تقربا اليه تعالى ، انما تدور اغراضهم حول احد الامور: اما المباهاة والافتخار بالعلم على العلماء والامثال، و اما المماراة والمجادلة مع السفهاء لاظهار القدرة والغلبة عليهم فى البحث عند العامة، ليقولوا فلان رجل منطيق فائق فى البحث و فى ذلك لذة نفسانية، و اما لطلب الرئاسة و صرف وجوه الناس اليه لما فى ذلك من نيل كل لذة دنيوية من الجاه والعزة والمال والثروة.

و لذلك نبه عليه‌السلام على خطر امر الرئاسة و عظم افتها بانها لاتصلح الا لاهلها، وهم الكاملون فى قوتى العلم والعمل، الجالسون فى حد المشترك بين العالمين، الجامعون بين الحق والخلق من النفوس القدسية التى لا يشغلهم شأن عن شأن كما فى

قوله تعالى: رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله (النور ـ ۳۶).

باب لزوم الحجة على العالم و تشديد الامر عليه

و هوالباب السادس عشر من كتاب العقل و العلم وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هوالعشرون والمائة

«على بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه، عن القاسم بن محمد المنقرى، عن حفص بن غياث عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد».

الشرح

قد سبق منشأ هذا الحكم، وليس الوجه كما زعمه اكثرالناس بقياسهم فعل الله فى المغفرة والعقوبة على فعل الناس القادرين على العقوبة لواحد والعفو عنه، فرأوا انهم لايؤاخذون للطفل و الغافل و الساهى على ذنوبهم وجرائمهم ويؤاخذون العقلاء على معاصيهم ، طلبا للتشفى و الانتقام و دفعاً لما يعتريهم من اشتغال الغضب بثوران دم القلب، وليس غضب الله من هذا الباب، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، و انما هى نتائج افعال و اقوال و تبعات قصود و نيات.

بل الوجه ـ كمامر ـ ان اللذات والالام من باب الادراكات، فكلما قوى الادراك لقوة النفس، كان الالم ومقابله بحسبه ومن نوعه، ومن النفوس ماهى بعد بالقوة كنفوس ضرب من العوام، ومنها ما حصلت له ملكة الشوق الى كمال ما نفسانى اخروى، فاذا زاع[1] عنه او اشتغل بماهوضده من الدواعى الحيوانية الباطلة كان له فى الاخرة عذاب اليم.

۱ــ زاع زوعا فلانا : دفعه الى قدام، و زاع الشيء: عطفه، و زاع اللحم: زال عن العصب.

الحديث الثانى
وهو الحادى والعشرون والمائة

«وبهذا الاسناد قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: قال عيسى بن مريم: ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار».

الشرح

اصله تتلظى حذفت احدى التائين للتخفيف، اى تتلهب وتضطرم، و هومن لظى اسم من اسماء النار لاينصرف للعلمية و التأنيث.

الحديث الثالث
وهو الثانى والعشرون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، ومحمد بن سمعيل عن الفضل بن شاذان، جميعا عن ابن ابى عمير، عن جميل بن دراج قال سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: اذا بلغت النفس الى[1] ههنا، واشار بيده الى حلقه، لم يكن للعالم توبة، ثم قرأ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» (النساء ـ ١٧).

الشرح

النفس بالتحريك واحد الانفاس وهو مايخرج من الحى حال التنفس، و كل ذى رية متنفس، و دواب الماء لانفس لها، وتنفس الصبح تبلج، واما قوله صلى الله عليه واله: انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن، فقيل: عنى به الانصار، لان الله نفس بهم الكرب عن المؤمنين وهم يمانون[2] لانهم من الازد، وهومستعار من نفس الهواء الذى يرده النفس الى الجوف فيبرد من حرارته ويعدلها، اومن نفس الريح الذى ينسمه

١ـ النفس ههنا (الكافى).

٢ـ و قوم يمانية و يمانون، مثل ثمانية و ثمانون.

فیستروح الیه، یقال: انت فی نفس من امرك اومن عمرك ای فی سعة.

و وقت بلوغ النفس الی الحلقوم هو عند مایغرغر النفس و هو اول وقت الاحتضار ومعاینة الغیب، وقبل حدالمعاینة و ان کان متصلابها یکون التوبة مقبولة لقوله صلی‌الله علیه واله: ان‌الله یقبل التوبة مالم یغرغر، و اما عندالمعاینة وبعدها فلاتأثیر للتوبة والندم.

فقوله علیه‌السلام: اذا بلغت النفس الی ههنا، المراد به الوقت القریب منه المتصل به.

والوجه فی صحة توبة الجاهل دون العالم: ان ذنوب العالم ذنوب باطنیة و صفات قبیلة وملکات ردیئة نفسانیة لایمکن محوها عن النفس دفعة او فی اقل زمان، بل لابد من مرور زمان یتبدل سیئاته الی الحسنات بخلاف معاصی الجهال الناقصین، فانها من الاعمال البدنیة و الاحوال النفسانیة الخارجة عن صمیم القلب وباطن الروح فیمکن محوها فی لحظة.

و قوله تعالی: انما التوبة علی‌الله، ای قبول التوبة کالامر المحتوم علی‌الله بمقتضی وعده، وهو من تاب علیه اذا قبل توبته، و هومبتداء وخبر، وقوله: للذین یعملون السوء بجهالة، حال عن الضمیر فی الظرف او الخبر للذین یعملون، وعلی‌الله حال من محذوف تقدیره: انما التوبة اذا کانت علی‌الله و العامل فی اذا للذین یعملون وکانت تامة وصاحب الحال ضمیر الفاعل، وهذا نحو قولك: هذا بسراً اطیب منه رطبا.

وقوله: بجهالة، اما فی موضع الحال ای یعملون السوء جاهلین، او منصوب المحل علی التمیز ای متلبس بهاسفهاً وجهالة، فان ارتکاب المعصیة[1] سفه وتجاهل، و لذا قیل: من عصی‌الله فهو جاهل حتی نزع من جهالته، وقوله تعالی: و لیست التوبة للذین یعملون السیئات (النساء ــ ۱۸)... الایة، المراد من هؤلاء هم البالغون فی المعصیة المتعمدون فیه، ولهذا سوی‌الله تعالی بین من سوف التوبة الی حضور الموت من الفسقة وبین من مات علی الکفر فی نفی التوبة، ولهذا قیل: المراد بالذین یعملون

۱ــ الذنب. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

السوء عصاة المسلمين، وبالذين يعملون السيئات المنافقون.

الحديث الرابع
و هو الثالث و العشرون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن الحسين بن سعيد» بن حمادبن مهران الاهوازى[١] مولى على بن الحسين عليهما السلام ثقة جليل[٢] القدر، روى عن الرضا وعن ابى جعفر الثانى و ابى الحسن الثالث عليهم السلام، اصله كوفى وانتقل مع اخيه الحسن الى الاهواز، ثم تحول الى قم فنزل على الحسن بن ابان و توفى بقم «صه»،

«عن النضربن سويد» الصيرفى من اصحاب الكاظم عليه السلام كوفى ثقة صحيح الحديث، انتقل الى بغداد له كتاب «صه» فى النجاشى: روى عنه عيسى بن عبيد[٣]، وفى الفهرست عنه ابوعبدالله البرقى والحسين بن سعيد.

«عن يحيى الحلبى عن ابى سعيد المكارى» اسمه هاشم بن حيان، واقفى روى عن ابى عبدالله عليه السلام له كتاب، عنه جماعة منهم القاسم بن اسمعيل. «عن ابى بصير عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل: فكبكبوا فيها هم والغاون (الشعراء ـ ٩٤)، قال: هم قوم وصفوا عدلا بالسنتهم ثم خالفوه الى غيره».

الشرح

كبه على وجهه صرعه فاكب هو على وجهه وهذا هو من النوادر ان يقال: افعلت انا وفعلت غيرى، وكب الله عدو المسلمين ولا يقال اكب، وكب الاناء قلبه من باب طلب، و كبكبه اى كبه والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى.

١ـ الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الاهوازى «ست».

٢ـ ثقة «ست» عين جليل القدر «صه».

٣ـ عن محمد بن عيسى بن سعيد «جش».

والغى الضلال و الخيبة ايضا، وقدغوى من باب ضرب غيا و غـواية فهوغاو والغاون جمعه، وقوله تعالى فكبكوا فيهاهم و الغاون، قـال اهل التفسير: اى الالهة و الكفار ويأباه ضمير جمع العقلاء بخلاف قوله تعالى: انكم وماتعبدون مـن دون الله حصب جهنم (الانبياء ـ ۹۸)، فيجوز كون ماتعبدون اصناماً الهة.

والذى ذكره عليه‌السلام اولى وانسب من كون المراد بضمير الجمع، العلماء السوء الذين لم يعملوا بعلمهم و وصفوا عدلا، اى عادلا اوصفة عدالة بالسنتهم، ثم لم يعملوا بموجب الوصف وخالفوه معرضاً عنه الى غيره، فضلت وغوت اتباعهم ومقلديهم بمارأوامنهم وصنيعهم هذا الصنيع، ويؤكد ذلك قوله تعالى: اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله (التوبة ـ ۳۱).

واعلم انه قدوردت فى العلماء السوء، اى علماء الدنيا الراغبين فى مالها وجاهها تشديدات عظيمة وشكايات كثيرة يتبين منها انهم اقبح حالا واشد عذابا يوم القيامة ـ و قد اشرنا الى لمية ذلك ـ وهؤلاء فى الحقيقه ليسوا بعلماء، انماهم ظاهريون متشبهون بالعلماء فـى حفظهم المنقولات ونقلهم الـروايات و الاحاديث و الحكايات ممايعده الجمهور علماً وحالا، و الافلا ينفك العلم عن مقتضاه.

قال عيسى عليه‌السلام: كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهـو مقبل على دنياه؟ وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبربه لاليعمل به؟ قال صالح بـن حميان[۱] البصرى: ادركت الشيوخ وهـم يتعوذون بالله مـن الفاجر العالم بالسنة.

ومماورد فى هذا الباب من غيرطريقة اصحابنا الاماميين، هوماروى ابوالدرداء انه صلى الله عليه واله قال: اوحى الله الى بعض الانبياء عليهم‌السلام: قل للذين يتفقهون لغيرالدين، ويتعلمون لغير العمل ويطليون الدنيا بعمل الاخـرة ويلبسون للناس مشوك الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امرمن الصبر، اياى

۱ـ صالح بن كيسان «احياء».

يخادعون وبی يستهزؤن؟ لامتحن لهم فتنة تذر الحكيم[1] حيرانا.

و روی الضحاك عن ابن عباس عن النبی صلی الله علیه و اله: قال: علماء هـذه الامـة رجلان: فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم يـأخذ عليه طمعاً ولم يشتربه ثمنا، فـذلك يصلی عليه طير السماء وحيتان الماء و دواب الارض و الكـرام الكاتبون، يقدم علی الله تعالی سيداً شريفاً حتی يرافق المرسلين، و رجل اتاه الله علماً فـی الدنيا فضن به علی عبادالله و اخذ عليه طمعاً و اشتری به ثمناً، فـذلك يأتی يوم القيامة ملجما بلجام من نار وينادی مناد علی رؤس الخلائق: هذا فلان بن فلان اتاه الله علماً فی الدنيا فضن به عن عبادالله و اخـذ عليه طمعاً و اشتری به ثمنا. يعذب[2] حتی يفرغ الله مـن حساب الخلق.

و اشد مـن هذا ما روی ان رجلا كان يخدم مـوسی عليه السلام فجعل يقول: حدثنی موسی عليه السلام[3] حدثنی موسی نجی الله حدثنی موسی كليم الله حتی اثری و كثر ماله، ففقده موسی عليه السلام، فجعل يسأل عنه فلايحس له اثراً حتی جاءه رجل ذات يوم وفـی يده خنزير و فـی عنقه حبل اسود، فقال له موسی عليه السلام: اتعرف فلاناً؟ قال: نعم هو هذا الخنزير، فقال مـوسی عليه السلام: يارب اسألك ان ترده الی حاله حتی اسأله فيم[4] اصابه هذا، فاوحی الله اليه لـو دعوتنی بالذی دعانا به ادم ومن دونه، ما اجبتك فيه ولكـن اخبرك لم صنعت به هذا، لانه كان يطلب الدنيا بالدين.

و اغلظ من هذا ماورد عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلی الله علیه و اله قال: من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع.

وفی الكلام تنميق و زيادة ولايـؤمن علی صاحبه الخطاء، و فی الصمت سلامة وعلم.

۱ـ الحليم «المغنی».

۲ـ فيعذب «المغنی».

۳ـ موسی صفی الله «المغنی».

۴ـ بم «المغنی».

ومن العلماء من يخزن علمه فلايحب ان يوجد فى غيره، فذلك فى الدرك الاول من النار، ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة سلطان، فان ردعليه شيء من علمه او يهون بشيء من علمه[1] غضب، فذلك في الدرك الثانى من النار، ومن العلماء من يجعل علمه و غرائب حديثه لاهل الشرف و اليسار ولايرى اهل الحاجة اهلا له، فذلك فى الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا ويفتي بالخطاء، والله يبغض المتكلفين، فذلك فى الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم كلام[2] اليهود والنصارى ليعزز به علمه، فذلك فى الدرك الخامس من النار، و من العلماء من يتخذ علمه مروة و نبلا و ذكراً فى الناس، فذلك فى الدرك السادس من النار، و من العلماء من يستفزه الزهو والعجب، فان وعظ عنف و ان وعظ انف، فذلك فى الدرك السابع من النار.

وفى الخبر: ان العبد لينشر له من الثناء مابين المشرق والمغرب ومايزن عندالله جناح بعوضة، وعنه صلى الله عليه واله: العلماء امناء الرسل على عبادالله مالم يخالطوا السلطان[3]، فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم، وقال صلى الله عليه واله: شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء، وعنه صلى الله عليه واله: سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن انكر فقد برىء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى و تابع ابعده الله، فقيل: أفلانقتلهم[4]؟ قال: لاماصلوا.

وقال حذيفة: اياكم ومواقف الفتن، قيل: وماهو؟ قال: ابواب الامراء، يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه، وقال سفيان: فى جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوار للملوك.

۱ـ حقه «الاحياء».

۲ـ بكلام «الاحياء»

۳ـ السلاطين «المغنى»

۴ـ افلا نقاتلهم «المغنى».

باب النوادر

و هو الباب السابع عشر من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة عشر حديثا:

الحديث الاول

و هو الرابع و العشرون و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابى عمير عن حفص بن البخترى» بالخاء المعجمة بعد الباء المنطقة تحتها نقطة، مولى بغدادى اصله كوفى، ثقة روى عن ابى‌عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ذكره ابو العباس، و انما كان بينه وبين ال اعين نبوة[1] فغمزوا[2] عليه بلعب الشطرنج. «رفعه قال: كان امير المؤمنين عليه السلام يقول: روحوا انفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما تكل الابدان».

الشرح

الروح والراحة من الاستراحة، و اراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء، و راحت يده هكذا اذا خفت له، والكلال الضعف و الثقل.

اعلم ان البدن فى عالم الطبيعة مثال للنفس فى عالمها، و كما ان البدن يحتاج الى اغذية و ادوية يناسبها، فكذا النفس يحتاج الى اغذية وادوية يناسبها من العلوم، و كما ان البدن قد يعتريه كلال وثقل، ثم يرجع الى قوته و راحته بتناول شىء من المقويات و المفرحات، فكذا النفس قد يعرض لها كسالة وقبض، ثم تتروح و تنتعش بسماع خبر اوحكاية لما فيه نفع اولذة.

اما النفوس العامية، فهى تستريح بامور فيها اغراض دنيوية و لذات حيوانية، ولكن النفوس الفاضلة التى من شأنها ادراك المقاصد العالية و المطالب العقلية، لايفرحون الا بذكر الله ولا يتلذذون الا بالمعارف الالهية، فهذا الخطاب منه سلام الله عليه كأنه انما وقع لخواص اصحابه و تلامذته مثل كميل بن زياد النخعى و ابن عباس ونحوهما، و

۱ــ اى: عداوة.

۲ــ المغموز: المتهم.

الافكثير من الناس من مزاولى الكتب و الكلام تراهــم تشمأز قلوبهم وتكل نفوسهم من استماع بدائع الحكم وطرائف العرفان.

الحديث الثانى
و هوالخامس و العشرون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد، عن نوح بن شعيب النيسابورى» الذى ذكرفى كتب الرجال نوح بن شعيب البغدادى من اصحاب ابى جعفر الثانى عليه السلام. ذكر الفضل بن شاذان: انه كان فقيهاً «صه» و فى رجال الشيخ عالماً صالحاً مــرضيا، و قيل: انه نوح بن صالح. «عن عبيدالله بن عبدالله الدهقان» الواسطى. «عن درست بن ابى منصور، عن عروة بن اخى شعيب العقرقوفى عن شعيب» العرقوفى ابــويعقوب بن اخت ابى بصير يحيى بن القاسم روى عــن ابى عبدالله و ابــى الحسن عليهما السلام عين ثقة، «عــن ابى بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: كان اميرالمومنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم، ان العلم ذوفضائل كثيرة، فرأسه التواضع وعينه البرائة من الحسد، و اذنه الفهم ولسانه الصدق، وحفظه الفحص وقلبه حسن النية، وعقله معرفــة الأشياء و الامور، ويده الرحمة و رجله زيارة العلماء، و همته السلامة وحكمته الورع، ومستقره النجاة و قائده العافية، و مركبه الوفاء و سلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضاء و قـوسه المداراة، وجيشه مجاورة[1] العلماء و مــاله الادب، و ذخيرته اجتناب الذنــوب و زاده المعروف و مأواه[2] الموادعة و دليله الهدى و رفيقه محبة الاخيار».

الشرح

كأنه عليه السلام حاول التنبيه لطلاب العلم على ان العلم، لايحصل الا لمن لــه هذه الفضائل والحسنات، فشبه العلم بشخص كامل روحانى له اعضاء وقوى كلها روحانية

۱ـ محاورة (الكافى).
۲ـ ماؤه (الكافى)

بعضها ظاهرة وبعضها باطنة، فالظاهرة كالرأس والعين والاذن واللسان واليد والرجل، والباطنة كالحفظ والقلب والعقل والهمة والحكمة، وله مستقر روحاني وقائد روحاني، و له مركب روحاني و سلاح و سيف و قوس و جيش و مال و ذخيرة و زاد و مأوى و دليل و رفيق كلها روحانية معنوية.

فاستعار بهذه الالفاظ الموضوعة في اللغة لهذه المحسوسات، لاجل تلك الفضائل ترشيحاً او تمثيلا كلا لما يشابهه او لما يناسبه من جهة او لما هو غاية له، فجعل الرأس الذى موضع الكبر والنخوة للتواضع، لان الاصل والمبدأ فى تحصيل العلم التواضع والمذلة و ترك العلو والافتخار، والعين التى هى الة التجسس وطلب المشتهيات للبرائة والتعفف، و جعل الاذن للفهم لانه غايتها، واللسان للصدق لانه غايته وكذلك القياس فى اكثر المذكورات.

فمن اجتمعت فى ذاته هذه الفضائل، فهو عالم ربانى بالحقيقة، و من اتصف باضدادها او باضداد اكثرها، فهو جاهل مردود الى دار الجحيم، و مابين المنزلتين منازل ومراتب لاتحصى، ومآل كل احد من المترددين الى ماهو الغالب عليه من المحاسن والمساوى والعلم عندالله. وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى ارض تموت (لقمان ـ ٣٤).

الحديث الثالث
و هو السادس و العشرون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمدبن عيسى، عن احمدبن محمدبن ابى نصر»، زيد مولى السكونى ابوجعفر و قيل: ابوعلى المعروف بالبزنطى كوفى لقى الرضا عليه السلام وكان عظيم المنزلة عنده ثقة جليل القدر «صه» و فيها ايضا و فى الكشى: و كان له اختصاص بابى الحسن الرضا و ابى جعفر عليهما السلام، اجمع اصحابنا على تصحيح مايصح عنه و اقروا له بالفقه.

وفى النجاشى: لقى الرضا والجواد عليهما السلام وكان عظيم المنزلة عندهما،

و فى الفهرست: روى عنه احمدبن محمدبن عيسى ومحمدبن الحسين بن ابى الخطاب و محمدبن عبدالحميد، و فى الخلاصة والنجاشى: انـه مات رحمه‌الله سنة احـدى و عشرين و مائتين بعد وفات حسن بن على بـن فضال، قيل و فيهما: ان حسن بـن فضال مـات سنة اربع و عشريـن و مائتين[۱]، و على هـذا فقبل وفات الحسن بثلاث سنين، والظاهر ان هـذا نسبة وفات ابن محبوب الـى وفات ابـن فضال او بالعكس. «عـن حمادبن عثمان عن ابـى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه و اله: نعم وزير الايمان العلم ونعم وزيـر العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق و نعم وزير الرفق العبرة، وفى نسخة: الصبر».

الشرح

نعم وبئس فعلان ماضيان لايتصرفان تصرف الافعال لانهما استعملا للحال بمعنى الماضى، فنعم مدح وبئس ذم و فيهما اربع لغات فتح العين و سكونها وكل منهما مع فتح الفاء وكسرها.

فاذا قلت: نعم الرجل زيد، فالرجل فاعل نعم و زيد اما مبتداء قدم عليه خبره او خبر مبتداء محذوف، تقديره: هو زيد.

و اذا قلت: نعم رجلا زيد، فاضمرت فـى نعم الرجل بالالف واللام و يـراد تعريف الجنس لاتعريف العهد او نكرة منصوبة، ولايليهما علم ولا غيره ولايتصل بهما الضمير، فلا تقول نعم زيد ولا الزيـدون نعموا و تقول: مثل نعم المـرأة هند و نعمت المرأة هند، وقد يحذف المخصوص بالمدح كما فى قوله تعالى: نعم العبد (ص ـ ۳۰) وفبئس المصير (المجادلة ـ ۸).

والوزير الموازر كالاكيل لانه يحمل عنه و زره اى ثقله، و قد استوزر فلان و هو يوازر الامير، و اطلق الوزير ههنا للمعين تسمية اللازم الاعم باسم الملزوم الاخص،

۱ـ و مات احمدبن محمد سنة احدى وعشرين و مائتين بعد وفات الحسن بن على بن فضال بثمانية اشهر، ذكر محمدبن عيسى بن عبيد انه سمع منه سنة عشرة ومائتين «جش».

او استعیر من باب التشبیه استعارة مصرحة تشبیهاً للایمان بالسلطان و العلم بوزیره و کذلك فی البواقی.

واعلم ان المراد بالایمان ههنا، هوالنور القلبی والعقل الاجمالی الذی به یدرك الحقائق ویفعل الخیرات، وبالعلم، الصور الادراکیة التفصیلیة التی بتکررها یشتد قوة الایمان، وباقی الحدیث غنی عن الشرح.

الحدیث الرابع
و هوالسابع و العشرون و المائة

«علی بن محمد، عن سهل بن زیاد عن جعفربن محمد الاشعری» هـو جعفربن محمدبن عبیدالله یروی عن ابن القداح کثیرا ـ کمامر ذکره ـ. «عن عبدالله بن میمون القداح عن ابی عبدالله علیه السلام عن ابائه علیهم السلام قال: جـاء رجل الی رسول الله صلی الله علیه و اله فقال: یا رسول ما العلم؟ فقال: الانصات، قال: ثم مه[۱]؟ قال: الاستماع، قال: ثم مه؟ قـال: الحفظ، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه یا رسول الله؟ قـال: نشره.

الشرح

عـرف صلی الله علیه واله العلم بهذه الامـور الخمسة من بـاب تعریف الشیء بعلامته اللازمة وباسبابه وغایاته، فعلامة حصول العلم فی احد کونه منصتاً، وسبب حدوثه الاستماع من المعلم، خارجیا کان او داخلیاً بالاذن الحسی اوالاذن العقلی کما للانبیاء و الاولیاء علیهم السلام، وسبب بقائه حفظه والعمل بموجبه و غایته المتفرعة علیه فی الدنیا نشره، و اما غایته الذاتیة فالتقرب الی الله وملکوته.

---

۱ ـ ای فماذا، للاستفهام، فابدل الالف هاء.

الحدیث الخامس
و هو الثامن و العشرون و المائة

«علی بن ابراهیم رفعه الی ابی عبدالله علیه السلام قال: طلبة العلم ثلاثة: فاعرفوهم[1] باعیانهم وصفاتهم، صنف یطلبه للجهل والمراء، وصنف یطلبه للاستطالة والختل و صنف یطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل و المراء، مؤذ ممار متعرض للمقال فی اندیة الرجال بتذاکر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع و تخلی من الورع فدق الله من هذا خیشومه وقطع منه حیزومه، وصاحب الاستطالة والختل، ذوخب وملق یستطیل علی مثله من اشباهه ویتواضع للاغنیاء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم ولدینه حاطم، فاعمی الله علی هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره، وصاحب الفقه والعقل، ذو کآبة وحزن وسهر، قد تحنک فی برنسه وقام اللیل فی حندسه، یعمل ویخشی وجلا داعیا مشفقاً مقبلا علی شأنه، عارفاً باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه، فشدالله من هذا ارکانه و اعطاه یوم القیامة امانه».

الشرح

انقسام طلاب العلم الی هذه الاقسام الثلاثة انما یعلم بالاستقراء، ولایبعد ان یقال الداعی لهم اما طلب الدنیا او طلب الاخرة، وطلب الدنیا امـا لغرض التفوق و الجاه اولغرض المال و الثروة، فبحسب کل واحد مـن الغایات یحصل قسم واحد، فیحصل اقسام ثلاثة بحسب الغایة.

اویقال: مبدأ الفعل و التحصیل اما مبدأ عقلی اومبدأ نفسانی حیوانی، و المبدأ النفسانی ینقسم الی ما الغالب علیه اما قوة غضبیة سبعیة اوقوة شهویة بهیمیة، فتحصل اقسام ثلاثة بحسب المبدأ، لکن قد یترکب بعض هذه الدواعی و الاغـراض ببعض، بحیث یعسر التمیز بینها فی الافراد الالمن کان له مکاشفة القلوب و البواطن، فیعلم فی کل واحد من الطلبة، منشأ ما یصدر منه الافعال و الاقوال وغرضه و داعیه.

۱ـ فاعرفهم (الکافی).

اذا تقرر هذا، فلنرجع الى معانى الالفاظ، قوله عليه‌السلام: فاعرفوهم باعيانهم وصفاتهم، اى بذواتهم الشخصية ونعوتهم الكلية، اذيمكن معرفة الاشخاص التى تحت كل صنف من حيث هى كذلك من جهة الاوصاف و العلامات التى لذلك الصنف.

قوله‌عليه‌السلام: صنف يطلبه للجهل، المراد به ليس عدم العلم مطلقا ليلزم تحصيل الحاصل، بل المراد مثل الانفة و الغضب و الشتم و نحوها الذى يصدر من اهل الجاهلية. وفى الحديث: ولكن استجهله الحمية، اى حملته على الجهل، وفيه[1]: ان من العلم لجهلا، قيل: هو ان يتكلف العالم القول فيما لايعلمه فيجهله ذلك، وفيه[1]: انك امرىء فيك جاهلية، قيل: وهى الحال التى كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله و رسوله وباليوم الاخر، و المفاخرة بالانساب و الكبر و التجبر.

قوله عليه‌السلام: للاستطالة والختل، طال عليه و استطال وتطاول اذا علاه و ترفع عليه، وختله اذا خدعه، ومنه قولهم: اختل من ذئب، و التخاتل التخادع، و قوله عليه‌السلام: للفقه و العقل، لعله اراد بالاول معرفة الاشياء كماهى، وبالثانى التخلق بالاخلاق الحسنة او العقل العملى اوملكة العلوم المتعلقة بالاعمال، او اراد بالاول العلوم الكلية التصورية و التصديقية، وبالثانى الملكة التامة العلمية التى يحصل عقيب التعقلات و الافكار الكثيرة التى يقال لها العقل الاجمالى والعقل البسيط عند طائفة.

قوله عليه‌السلام فصاحب الجهل مؤذممار، لخبث باطنه وسبعيته مع قدرته على التكلم فيؤذى الخلق بلسانه، كمايؤذى السباع و الحيات بالاطفار و الانياب، ويمارى مع امثاله من السفهاء.

قوله عليه‌السلام: متعرض للمقال فى اندية الرجال، لان غرضه اظهار التفوق و الغلبة فى البحث و الجدال و انما يحصل ذلك فى المجامع و الاندية، وهى جمع النادى وهومجلس القوم ومتحدثهم، ويقال له الندى على فعيل، والندوة و المنتدى ايضا مادامواينذون اليه، اى مجتمعون فاذا تفرقوا فليس بندى، ومنه سميت دار الندوة بمكة التى بناهاقصى، لان قريشا كان يجتمعون فيها للمشاورة، ثم صار مثلا لكل دار يرجع

۱ـ اى فى الحديث.

اليها ويجتمع فيها و قوله تعالى: فليدع ناديه (العلق ـ ۱۷)، يريد عشيرته و انماهم اهل النادى، كما يقال تقوض[1] المجلس.

قوله عليه‌السلام: بتذاكر العلم وصفة الحلم، الجارمتعلق بقوله للمقال، وقوله: قدتسربل بالخشوع وتخلامن الورع، تفعل من السربال وهو القميص، اى اظهر الخشوع بالتشبه بالخاشعين والتزيى بزيهم مع خلوه عنه لخلوه عن الورع اللازم له.

قوله عليه‌السلام: فدق‌الله من هذا خيشومه: دعاء عليه، والخيشوم اقصى الانف و كذا قوله: وقطع منه حيزومه، و الحيزوم و الحزيم وسط الصدر و مايضم عليه الحزام.

قوله عليه‌السلام: وصاحب الاستطالة والختل ذوخب وملق، الخب بكسر الخاء الخدعة والجربزة، و قد خببت خبا من باب علم، و خببه خدعه، والخب بفتح الخاء الخداع الجربز، وقد يكسر خاؤه واما المصدر فبالكسر لاغير، و الملق الود واللطف الشديد، و رجل ملق، يعطى بلسانه ماليس فى قلبه.

قوله: فهو لحلوائهم هاضم و لدينه حاطم، اى يأكل من مطعوماتهم اللذيذة و يعطيهم من دينه فوق ما يأخذ من مالهم فلاجرم يحطم دينه ويهدم ايمانه.

قوله عليه‌السلام: فاعمى‌الله على هذا خبره وقطع من اثار العلماء اثره، دعاء عليه بالاستئصال بحيث لم يبق عنه خبر ولااثر، عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر و هو ذهاب البصر، و عمى عليه الامر: التبس، و انما دعى عليه‌السلام على هذين الصنفين من طلبة العلم بالفناء والاستئصال، لان لافائدة فى وجودهم لهم ولالغيرهم، وضرهم على العلماء المحققين اكثر من ضر الكفار المتمردين.

قوله عليه‌السلام: وصاحب الفقه ذو كآبة، اى سوء حال وانكسار قلب من الحزن فهو كئيب حزين لكثرة خوفه من امر الاخرة وشدة خشيته‌لله، ولما يلحقه من المشقة و التعب و طول الفكر و السهر، ولمايرى من مقاساة الزمان وشدائد الدوران وجفاء الاقران ونفاق الاخوان الى غير ذلك من ترفع الجهلة و الارذال و رثاثة حال الافاضل

۱ـ تقوضت الحلق والصفوف: انتقضت و تفرقت.

و الامثال و سائر اسباب الحزن لمثله ممالايخلو الزمان عنها قط.

قوله عليه‌السلام: قدتحنك‌فی‌برنسه، التحنك التلحی وهوادارة العمامة ونحوها من‌تحت‌الحنك، وتحنيك الميت ادارة الخرقة تحت الحنك، والبرنس قلنسوةطويلة وكان النساك يلبسونها فی‌صدرالاسلام وقدتبرنس اذا لبسه.

قوله‌عليه‌السلام: وقام الليل‌فی‌حندسه، الليل منصوب بنزع الخافض والحندس الليل الشديد الظلمة و الاضافة الى الضمير الراجع الى الليل، اما بيانية اوبتقديرمن.

قوله عليه‌السلام: يعمل ويخشی، ای ربه علی ضدحال المغترين‌بالعلم من‌احدالصنفين حيث لايعملون ويرجون الفلاح امنين من مكرالله.

قوله عليه‌السلام وجـلا داعياً مشفقاً، ای خائفا من عذاب القيامة متضرعـاً اليه تعالی لطلب المغفرة حذراً عن سوء العاقبة، وكـل من الثلاثة[1] منصوب علی الحالية من ضمير الفاعل و الاول يحتمل المصدرية.

قوله عليه‌السلام: مقبلاعلی‌شأنه، لاصلاح‌نفسه وتهذيب باطنه لاكغيره من‌الذين يقبلون علی‌الناس بالوعظ والنصيحة، و قد اهملوا امر انفسهم و اصلاح بواطنهم وقد تلطحت بالرذائل و الاثام و اعتلت بالامراض المهلكة و الاسقام.

قوله عليه‌السلام: عـارفاً باهل زمانه، ای باحوال نفوسهم و اغـراض بواطنهم لماشاهد من افعالهم و اعمالهم الدالة علی اخلاقهم و اغراضهم.

قوله عليه‌السلام: مستوحشاً من اوثق اخوانه، لاجل ما ذكر من عرفانه باحوال نفوسهم فيعلم ان استيحاشه منهم خير من‌الخلطة معهم و الاستيناس بهم.

وقوله عليه‌السلام: فشدالله من هـذا اركانه و اعطاه يوم القيامة امانه، دعـاء له بالتثبت‌له علی‌العلم و اليقين و احكام اركان الايمان والدين و اعطاء الامن‌له والامـان يوم يقوم‌الناس لرب‌العالمين (المطففين ـ۶).

ولهذا الحديث طريق اخر للمصنف رحمه‌الله و هـوقوله: «حدثنی به‌محمدبن

۱ـ ای: و جلا و داعياً و مشفقا.

محمود ابوعبدالله القزوینی عن عدة من اصحابنا منهم جعفربن احمد[1] الصیقل بقزوین، عن احمدبن عیسی العلوی» العمری ثقة من اصحاب العیاشی «صه» قال ابن داود: العیاشی بالیاء المنقطة تحتها نقطتین و الشین المعجمة «عن عبادبن صهیب البصری» قال الکشی: انه بتری، وقال النجاشی: انه یکنی ابابکر التمیمی الکلیبی الیربوعی بصری، ثقة روی عن ابی عبدالله علیه السلام «صه».

وفی الایضاح جزم بانه ثقة وضبط الکلیبی بالیاء المثناة تحتها و الباء الموحدة، وفی اکثر نسخ «صه» الکلبی و فی الکشی ایضاً حیث قال: ابن صهیب المازنی الکلبی بصری من اصحاب الصادق علیه السلام عامی بتری والاصح الکلیبی کماصرح به فی الایضاح. «عن ابی عبدالله علیه السلام...».

الحدیث السادس

وهوالتاسع و العشرون و المائة

علی بن ابراهیم عن ابیه، عن محمدبن یحیی عن طلحةبن زید قال سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول: ان رواة الکتاب کثیر و ان رعاته قلیل، و کم من مستنصح للحدیث مستغش للکتاب ، فالعلماء یحزنهم ترك الرعایة و الجهلاء یحزنهم حفظ الروایة ، فراع یرعی حیوته وراع یرعی هلکته، فعند ذلك اختلف الراعیان وتغایر الفریقان».

الشرح

الرعاة جمع الراعی و الرعی فی الاصل مصدر رعت الماشیة، ویقال: الراعی الوالی والرعیة العامة، و فی الحدیث: کلکم راع و کلکم مسئول عن رعیته، و راعیت الامر: نظرت الی م یصیر، و راعیته لاحظته ، وراعیته من مراعاة الحقوق ، استنصحه عده نصیحاً وکل شیء خلص فقد نصح، و المستنصح للحدیث المهذب له عن الغلط

۱ــ فی بعض النسخ: جعفر بن محمد.

و التصحيف و اللحن وغيرها من عيوب اللفظ، وغشه غشاء فهو مغشوش اى مخلوط، ولبن مغشوش اى مخلوط بالماء، ودرهم مغشوش، واستغشه خلاف استنصحه، والحزن خلاف السرور و احزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه وكذا يحزنه و يحزنه بضم الياء وكسر الزاى اوبفتح الياء وضم الزاى بمعنى واحد.

يعنى ان رواة الكتاب وحملة الاسفار كثيرة، و ان رعاته ـ و هم المتأملون فى معناه ـ العاملون بمؤداه قليلة، والى مثله اشار تعالى فى قوله: مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً (الجمعة ـ ٥)، اى حملوا صورة الفاظها وما يتعلق بالالفاظ من نكات الفصاحة ودقائق البلاغة وصنائع فن الكلام ولم يحملوا حقائق معانيها وما لاجله غرض الانزال و التنزيل، فرب مستنصح للحديث، اى معتن بتصحيحه و تلخيصه عن السقم والغلط و هو مستغش لمعناه مخلط له بالباطل من عقائده وجهالاته، و وضع ههنا[1] المظهر موضع المضمر للاشعار بانه هذا شأنه بالنسبة الى الكتاب مطلقا، سواء كان من كتب الحديث اوغيره.

ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران، فان كثيراً من اهل الحديث رواية و حفظاً وتصحيحاً يهجرون القران ولا يرعونه حق رعايته، بل يتركونه مغشوشا وقد يفهمون من ظاهر الفاظ الحديث معانى و احكاماً خلاف ما فى القران لجهلهم بمعنى الايات القرانية وبالتوفيق بينهما.

قوله عليه السلام: فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية، لان هموهم وقصودهم فى تعلم الحديث مقصورة على التفهم متعلقة بالتفقه فى الدين وسلوك منهج اليقين و الوصول الى اقصى منازل القرب و التخلص من ورطة الهلاك وعذاب البعد و الجحيم، فلاجرم يحزنهم ترك الرعاية و يغمهم عدم الفهم وفقد العمل، ولا يحزنهم ترك الرواية ولا ترك ضبط الالفاظ وحفظ صورها، اذلا يهمهم ذلك الاتبعاً.

وقوله عليه السلام: والجهلاء يحزنهم حفظ الرواية، هكذا فى اكثر النسخ وفى بعضها: الرعاية بدل الرواية، ولعل المراد منه انه يهمهم حفظ الرواية ويحزنهم ما يتعلق

١ـ و هو الكتاب.

بها من ترك الحفظ ونحوه، اویکون علی حذف المضاف او یکون المعنی ان حفظ الروایة یؤدی الی حزنه فی العاقبة.

ویحتمل ان یکون یخزیهم بالخاء المعجمة والیاء المنقوطة تحتها نقطتین، ای الجهال اذا حفظوا الروایة دون الرعایة فذلك ممایوجب خزیهم و وبالهم یوم القیامة.

قوله علیه السلام: فراع یرعی حیوته، یعنی ان الراعی علی ضربین: احدهما راع یرعی حیوته الاخرویة فانه فی علومه و احواله و اقواله و افعاله یقصد الاخرة و یسلك سبیل الهدی ویحافظ علی التقوی، و الاخر راع یرعی هلکته ای مایوجب هلاکه و بعذابه فی الاخرة، لانه یقصد فیما یدرکه اویقوله اویفعله غرض الدنیا وهوی النفس و استجلاب الخلق ومراعاة العزة عندالناس وطلب الرئاسة والتقرب الی السلاطین والتشبه بهم فی الملابس و المراکب وغیر ذلك من المهلکات.

وقوله علیه السلام: فعند ذلك اختلف الراعیان وتغایر الفریقان، یعنی فی الاخرة التی یظهر المکامن وتبرز البواطن وتکشف الاغطیة ویرفع الحجب الحسیة یتخالف الذاتان و یتغایر النوعان لا فی الدنیا ، فانها داریتشابه فیها المتضادان و یتلابس فیها الخصمان.

و توضیح هذا المرام: ان الاختلاف بین الانواع المتخالفة الذوات قدیکون بامور حسیة کالاختلاف بین انواع الحیوان و النبات وغیرها من انواع الجواهر و الاعراض الجسمانیة، وقد یکون بامورمعنویة کالاختلاف بین انواع النفوس والعقول، و الانسان لماکانت ماهیته و ذاته مرکبة من ظاهر محسوس وباطن مستور فهوبحسب ظاهره ومحسوسه نوع واحد متماثل الافراد، واما بحسب باطنه الذی یکون فی اول الامر شیئا هیولانیا بالقوة ثم یخرج من القوة الی الفعل فی الاحوال والملکات النفسانیة فی جانبی الخیرات و الشرور فیصیر انواعاً متخالفة الذوات متضادة الصفات، لان تلك الاحوال اذا اشتدت وتأکدت وتجوهرت، تصیر فصولا ذاتیاً وصوراً اخرویة.

فاذا قامت القیامة وبعث من فی القبور وحصل ما فی الصدور یحشر الانسان انواعاً کثیرة متخالفة، منه ملك عقلی ومنه شیطان اوسبع اوبهیمة، فالانسان من حیث

ظاهره و وجوده الطبيعي نوع واحد ومن حيث باطنه انواع كثيرة.

اذا تقرر ما ذكرناه تبين ما رامه عليه‌السلام بقوله: و عند ذلك اختلف الراعيان و تغاير الفريقان، وفى القران ايات كثيرة مشيرة الى هذا المعنى كقوله تعالى: يـومئذ يتفرقون (الروم ـ ۱۴)، و قـوله : فهم يوزعـون (النمل ـ ۸۳)، و قـوله: حتى يميز الخبيث من الطيب (ال عمران ـ ۱۷۹)، و قوله: هذا يوم الفصل (الصافات ـ ۲۱)، و غير ذلك.

الحديث الـ‌ابع
و هوالثلاثون و المائة

«الحسين‌بن محمد الاشعرى عن معلى‌بن محمد عـن محمدبن جمهور» العمى عربى بصرى، غال ضعيف فـى‌الحديث فاسد المذهب، وقيل فيه اشياء، الله اعلم بها، روى عن‌الرضا عليه‌السلام له كتب عنه ابنه الحسن كذا فى‌النجاشى، و قال فـى «صه» ضعيف فى‌المذهب فاسد فى‌الرواية لايلتفت الى حديثه ولايعتمد على ما يرويه. «عـن عبدالرحمن‌بن ابى نجران، عمن ذكره عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال : من حفظ مـن احاديثنا اربعين‌حديثاً بعثه‌الله يوم‌القيامة عالماً فقيهاً».

الشرح

هـذا الحديث مشهور مستفيض بين‌الخاصة والعامة، بل قال بعضهم بتواتره، و قد رواه اصحابنا بطرق كثيرة مع اختلاف فى‌اللفظ.

فمنها ما رواه محمدبن على‌بن‌بابويه القمى اعلى‌الله درجته عن احمدبن‌محمد، عن ابيه عن على‌بن اسمعيل، عن عبيدالله‌بن عبدالله عن مـوسى بن ابراهيم المروزى عن الكاظم موسى‌بن جعفر عليهما‌السلام قل: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله : مـن حفظ على‌امتى اربعين حديثا ممايحتاجون اليه فى‌امر دينهم بعثه‌الله عزوجل يوم‌القيامة فقيهاً عالماً.

و منها ما رواه هو ايضاً مرفوعاً عن ابى الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من حفظ من امتى اربعين حديثا فيما يحتاجون فى امر دينهم بعثه الله عزوجل فقيهاً.

و منها ما رواه فى كتاب الخصال ايضا مرفوعا عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و اله انه قال: من حفظ من امتى اربعين حديثا من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة.

و منها ما رواه ابوجعفر محمدبن على بن بابويه ايضاً رفعه عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: من حفظ عنى من امتى اربعين حديثا فى امر دينه يريد به وجه الله عزوجل و الدار الاخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً.

و منها ما روى ايضاً رحمه الله عن حنان بن سدير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من حفظ عنا اربعين حديثاً من احاديثنا بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً و لم يعذبه.

و منها ما رواه ايضا محمدبن على بن بابويه قال: حدثنا على بن احمدبن موسى الدقاق و الحسين بن ابراهيم بن احمدبن هشام المكتب و محمدبن احمد السنانى رضى الله عنهم قالوا: حدثنا موسى بن عمران النخعى عن عمه الحسين بن يزيد، عن اسمعيل بن فضل الهاشمى و اسمعيل بن ابى زياد، جميعا عن جعفربن محمد عن ابيه محمدبن على، عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عليهم السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه و اله اوصى اميرالمؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام فيما كان اوصى به ان قال: ياعلى! من حفظ من امتى اربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عزوجل و الدار الاخرة حشره يوم القيامة مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا.

و لنرجع الى الشرح، قوله: من حفظ، قيل: الظاهر ان المراد منه الحفظ عن ظهر القلب، فانه هو المتعارف المعهود فى الصدر السالف، فان مدارهم كان على النقش فى الخواطر لاعلى الرسم فى الدفاتر، حتى منع بعضهم من الاحتجاج بما لم يحفظه الراوى عن ظهر القلب.

وقدقيل: ان تدوين الحديث من المستحدثات في المائة الثانية من الهجرة، ولا يبعد ان يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس ممايعم الحفظ عن ظهر القلب و الكتابه و النقل من الناس ولو من كتاب و امثال ذلك، و قديقال المراد بحفظ الحديث تحمله على احد الوجوه الستة المقررة في الاصول: اعني السماع من الشيخ والقرائة عليه و السماع حال قرائة الغير و الاجازة والمناولة[1] و الكتابة وبعده ظاهر.

اقول: ان للحفظ مراتب كثيرة و ان مجامعها ثلاثة: احدها حفظ صور الالفاظ على اقسامها المذكورة، سواء كانت في الخيال او في الكتابة، و ثانيها حفظ معانيها الاولية ومدلولاتها التي يصل اليها اكثر افهام الناس، و ثالثها حفظ معانيها العقلية و حقائقها العرفانية، ولكل من الحفظة استحقاق اجر وثواب على حسب مقامه في الحفظ.

اذا ثبت هذا فنقول: الظاهر عندمن له بصيرة قلبية ينظر الى الاشياء بنور تلك البصيرة ان المراد بحفظ الاحاديث ههنا الذي يستحق بها الانسان ان يبعثه الله تعالى يوم القيامة عالماً فقيهاً هو الحفظ بالمعنى الثالث، و اما غير ذلك من اقسام الحفظ فلايبعد ان يترتب عليه اجر وثواب ولكن ثوابه من قبيل ثواب الاعمال البدنية ونحوها ان كان مع قصد التقرب، سنزيدك ايضاحاً لهذا المطلب ان شاءالله.

وفي رواية: من حفظ على امتي، الظاهر ان على بمعنى اللام، اى حفظ لاجلهم كماقالوه في قوله تعالى: ولتكبروا الله على ماهديكم (البقرة –۱۸۵)، اى لاجل هدايته اياكم، ويحتمل ان يكون بمعنى من كماقيل في قوله تعالى: اذاكتالوا على الناس يستوفون (المطففين –۲)، ويؤيده ما في الروايات من حفظ من امتي.

قوله عليه السلام: من احاديثنا، اى الاحاديث التي اخذت منا اهل البيت، وفيه اشارة الى ان تلك الاحاديث ممافيه زيادة اختصاص وفضيلة ليس في غيرها ممارووته العامة.

ويؤيد هذا مارواه الصدوق عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال: حديثنا صعب

۱– اى مناولته اياه كتابا يروى عنه مافيه، كما قال الشارح قدس سره في الحديث السادس في باب رواية الكتب، الذي بعد هذا الباب.

مستصعب لایحتمله الاملك مقرب اونبیمرسل اوعبدامتحن الله قلبه للایمان، والحدیث فیاللغة یرادف الکلام، سمی به لانه یحدث شیئا فشیئا، وفیاصطلاح عامة المحدثین کلام خاص عنالنبی اوالامام او الصحابی او التابعی ومن یحذوحذوه یحکیقولهم اوفعلهم اوتقریرهم، وعند بعضالمحدثین لایطلق اسم الحدیث الاعلی ماکان عن المعصوم علیهالسلام.

قوله علیهالسلام: اربعین حدیثا، ربما تردد الذهن فی ان هذه الاحادیث من ای باب منالامور؟ فیحتمل عنده ان یکون مطلقا، سواء کانت فیالامور الدینیة کالاعتقادات و العبادات وفیالدنیویة کالتی وردت فیتوسعة الرزق و فیالاطعمة و الاشربة، لان الجمیع مشترکة فیانتسابها الی صاحبالشرع ولامکان التوسل بها الی تحصیلالاخرة، و الحق ان المراد ماتدعوا الیه الحاجة الدینیة لاالدنیویة لماوردفی بعضالروایات: ممایحتاجون الیه من امر دینهم ولمااشرنا الیه[۱].

ولعل الوجه فیتعیین عددالاربعین من جهة نورالاستبصار علی وجه التقریب لاعلی التعیین، لان ذلك غیرممکن الاباقتباس نورمن مشکوة النبوة والعصمة، هو ان الانسان متیتعلم و اکتسب منالمسائل الدینیة التیبعضها علمیة کالعلم بالله وتوحیده و ایاته وملائکته وکتبه و رسله وبالنبوة و الامامة و الشریعة وبالقیامة و القبر والبعث و الکتاب و الصراط و المیزان و الجنة ونعیمها، و النار وجحیمها و بعضها عملیة خلقیة کالعلم بمحاسن الاخلاق ومنجیاتها منالعلم و الحلم و التوکل والصبر والشکر والعفة و الرضا بقضاءالله والشوق الیالاخرة وغیر ذلك، وبمساویء الملکاتکالجهل و التکبر والغضب و التجبر و الرعونه و العجب و الریاء، و حبالدنیا و الیأس عن الاخرة والامن منمکرالله و اشباه ذلك، وکمسائل الصلوة والزکوة و الصیام والحج والجهاد و واجباتها ومندوباتها و اداب المعاشرة و المناکحة و المؤاخاة و المسافرة و المتاجرة و امثال هذه الامور نحوهذا العدد او مایقربه، و احتفظ بها فیذهنه وعمل بموجبها، فعند ذلك تحصل لنفسه لامحالة ملکة علمیة نورانیة ولقلبه قوة بصیرة کشفیة

۱ـ من ان المراد بالحفظ هوالحفظ بالمعنی الثالث.

باطنية يقتدربها على استحضار غيرها من المعلومات، فيبعث يوم القيامة فى زمرة العلماء الربانيين و الفقهاء العارفين.

ومما يؤيد ما ذكرناه ما فى تتمة الحديث المنقول انفاً بطريق اهل العصمة عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه و اله فيما اوصى به امير المؤمنين عليه السلام وهى بعد قوله صلى الله عليه و اله: وحسن اولئك رفيقا، بهذه العبارة: فقال على عليه السلام: يارسول الله ما هذه الاحاديث؟ فقال: ان تؤمن بالله وحده لاشريك له و تعبده ولاتعبدغيره، و تقم الصلوة بوضوء سابغ[1] فى مواقيتها ولاتؤخرها فان فى تأخيرها من غير علة غضب الرب عزوجل، وتؤدى الزكوة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت اذا كان لك مال و كنت مستطيعا، و ان لاتعق والديك ولاتأكل مال اليتيم ظلما ولاتأكل الربوا ولاتشرب الخمرولاشيئاً من الاشربة المسكرة، وان لاتزنى ولاتلوط ولاتمشى بالنميمة ولاتحلف بالله كاذبا ولاتسرق ولاتشهد شهادة الزور لاحد قريبا كان اوبعيداً.

و ان تقبل الحق ممن جاء به صغيراً كان اوكبيراً و ان لاتركن الى الظالم و ان كان حميما قريباً، وان لاتعمل بالهوى ولاتقذف المحصنة ولاترائى فان ايسر الرياء شرك بالله عزوجل، وان لاتقول لقصير يا قصير ولالطويل يا طويل تريد بذلك عيبه و ان لاتسخرمن خلق الله.

و ان تصبر على البلاء والمصيبة و ان تشكر نعم الله التى انعم بها عليك، و ان لاتأمن عقاب الله على ذنب تصيبه و ان لاتقنط من رحمته وان تتوب الى الله عزوجل من ذنوبك فان التائب من ذنوبه كمن لاذنب له، وان لاتصر على الذنوب مع الاستغفار فيكون كالمستهزىء بالله و اياته و رسله، و ان تعلم ان ما اصابك لم يكن لتخطيك و ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك، و ان لاتطلب سخط الخالق برضاء المخلوق، و ان لاتؤثر الدنيا على الاخرة و ان لاتؤثر الاخرة على الدنيا لان الدنيا فانية و الاخرة باقية.

و ان لاتبخل على اخوانك مما تقدر عليه و ان تكون سريرتك كعلانيتك ، و

۱ـ اسباغ الوضوء، اتمامه و اكماله، و منه اسبغوا الوضوء: اى ابلغوه مواضعه و اوفوا كل عضو حقه.

ان لاتکون علانیتك حسنة وسریرتك قبیحة فان فعلت ذلك كنت من المنافقین، و ان لاتکذب ولاتخالط الکذابین و ان لاتغضب اذا سمعت حقاً وان تؤدب نفسك واهلك و ولدك وجیرانك علی حسب الطاقة.

و ان تعمل بما علمت ولاتعاملن احداً من خلق الله عزوجل الا بالحق و ان تکون سهلا للقریب و البعید و ان لاتکون جباراً عنیداً، و ان تکثر من التسبیح و التهلیل و الدعاء و ذکر الموت و ما بعده من القیامة و الجنة و النار و ان تکثر من قرائة القران و تعمل بما فیه، و ان تستغنم البر و الکرامة بالمؤمنین و المؤمنات ولاتمل من فعل الخیر و ان تنظر الی مالاترضی فعله لنفسك فلاتفعله باحد من المؤمنین، ولاتثقل علی احد و ان لا تمن علی احد اذا انعمت علیه وان تکون الدنیا عندك سجنا حتی یجعل الله لك جنته.

فهذه اربعون حدیثا من استقام علیها وحفظها عنی من امتی دخل الجنة برحمة الله وکان من افضل الناس و احبهم الی الله عزوجل بعد النبیین والصدیقین و حشره الله یوم القیامة مع النبیین والصدیقین و الشهداء و الصالحین وحسن اولئك رفیقا.

قوله علیه السلام: بعثه الله یوم القیامة عالماً فقیهاً، قد علمت فیما سبق ان المراد بالفقیه عند الاوائل وفی الصدر الاول هوماذا ؟ و ان الذی یتعارف عند الناس الان من العلم بالاحکام الشرعیة العملیة عن ادلتها التفصیلیة اصطلاح مستحدث، وان الفقه اکثر مایأتی فی الحدیث بمعنی البصیرة فی امر الدین و ان الفقیه صاحب هذه البصیرة، سواء کانت موهبیة کما فی الانبیاء علیهم السلام و ضرب من الاولیاء، اوکسبیة کما فی غیرهم من ذوی البصائر و الیه الاشارة فی قوله صلی الله علیه وآله: لایفقه العبد[۱] کل الفقه حتی یمقت الناس فی ذات الله و حتی یری للقران وجوها کثیرة ثم یقبل علی نفسه فیکون لها اشد مقتاً.

فعلی هذا یظهر کل الظهور ان المراد بالحفظ المذکور فی هذا الحدیث لیس

۱ــ الرجل. النسخة ، لبدل فی الاصل للشارح.

مجرد حفظ اللفظ كما توهمه بعض الاعلام[1] حيث قال: الظاهر من قـوله صلى الله عليه واله: من حفظ، ترتب الاجر[2] على مجرد حفظ لفظ الحديث، وان معرفة معناه غير شرط فى حصول الثواب اعنى البعث يوم القيامة فقيهاً عالماً و هـو غير بعيد، فان حفظ الفاظ الحديث طاعة كحفظ الفاظ القران، وقد دعا (ص) لناقل الحديث و ان لم يكن عالماً بمعناه، كما يظهر من قوله صلى الله عليه واله: رحم الله امرىء سمع مقالتى فوعاها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه و رب حامل فقه الى من هو افقه منه، ولايبعد ان يندرج يوم القيامة بمجرد حفظ اللفظ فى زمـرة العلماء، فان من تشبه بقوم فهو منهم[3]. انتهى كلامه.

لانا نقول: ليس فيما نقله من الحديث دلالة الا على كون الحافظ للحديث مرحوماً لا على ان له فى القيامة درجة العلماء، والثانى[4] هو المبحوث عنه دون الاول، و اما قوله: حفظ الفاظ الحديث طاعة، فعلى تقدير تسليمه و ذلك عند سلامته عن الاغراض الدنيوية و الافات النفسانية كان اجره كاجر سائر الطاعات البدنية كما مر.

۱ــ وهو استاذ الشارح الشيخ بهاءالدين محمد عاملى قدس سرهما فى اربعينه.

۲ــ الجزاء «اربعين».

۳ــ و قد اعترض عليه شارح المازندرانى فى شرحه على اصول الكافى بان كـون حفظ الفاظ الحديث، طاعة يقتضى ان يكون للحافظ اجـر كاجر سائر الطاعات البدنية لا كاجـر الفقاهة التى هـى من الصفات القلبية والطاعات العقلية، و قـد اجاب عنه استاذى المرحوم علامة الشعرانى فـى تعليقه على شرح الاصول بهذه العبارة: كفى بالرجل فخراً ان يليق بالاستفادة من ذلك العلم اليعلم والبحر الخضم الذى حار دون ادراك فضله عقول اولى الهمم، و مع ذلك فلا ارى كثير فـرق بين كلام الشيخ بهاءالـدين و تلميذه الصدر قدس سرهما، اذ لايدل كلام الشيخ على تساوى المحدث والعالم من كل وجه، بل مراده التشابه بينهما فـى الجملة لانه استشهد بقول رسول الله صلى الله عليه و اله: رحـم الله امرىء سمع مقالتى.... الى اخره، و عـد المحدث من المتشبهين بالعلماء، فهو بمنزلة العطار و تاجـر العقاقير يجمعها للطبيب حتى يستعملها فيما يفيد، و على العطار ان يميز بين الـدواء الجيد والردىء.

۴ــ و هو كونه فى عداد العلماء وله درجة العلماء.

و اما قوله: من تشبه بقوم فهومنهم، فعلی تقدیر اجرائه فی کل نوع من التشبه فلانسلم ان التشبه ههنا متحقق، فان العلم و نحوه من الامور العقلیة الباطنیة، و انی تحصل التشبه بالعالم بمجرد حفظ الفاظ مسموعة؟

ثم انه تعالی قد ذم فی کتابه حملة الالفاظ دون المعانی وشبههم بالحمار الذی یحمل الأسفار فی قوله تعالی: مثل الذین حملوا التوریة (الجمعة ــ ۵)... الایة، وایضاً قال تعالی: من کان فی هذه اعمی فهو فی الاخرة اعمی واضل سبیلا (الاسراء ــ ۷۲)، و هو عمی القلب لاعمی العین، و ذلك العمی هو الجهل بالمعارف الدینیة وهو لایزول بمجرد حفظ صور الالفاظ و الاقوال دون ادراك المعانی و الاحوال، وبالله التوفیق.

الحدیث الثامن
و هو الحادی و الثلاثون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد عن ابیه، عمن ذکره عن زید الشحام عن ابی جعفر علیه السلام فی قول الله تعالی: فلینظر الانسان الی طعامه (عبس ــ ۲۴)، قال: قلت ما طعامه؟ قال: علمه الذی یأخذه عمن یأخذه».

الشرح

لما علمت ان الانسان مرکب من جوهرین: احدهما ظاهر محسوس هو بدنه الذی به یشارك سائر الحیوانات فیأکل ویشرب و یناکح ویحیی ویموت کسائر انواع الحیوان، و الاخر باطن مستور عن الحواس ثابت بالعقل و القیاس، و هو نفسه الناطقة التی هی لطیفة نورانیة به یمتاز عن غیره من انواع جنسه فیعقل و یفکر و یروی فی العاقبة، من شأنه ان یبقی بعد البدن ولایموت بموته اما سعیداً اوشقیاً.

فاعلم انه کما ان للبدن صحة ومرضاً وغذاء یتقوت به ویتقوی و یزید جثته فکذلك للنفس الناطقة المسماة بالقلب بلسان الشریعة صحة ومرض کما قال تعالی: الامن اتی الله بقلب سلیم (الشعراء ــ ۸۹)، و قال: فی قلوبهم مرض (البقرة ــ ۱۰)، وموت هو موت

الجهل وحيوة هي حيوة العلم ونور المعرفة كما اشار اليه بقوله تعالى: او من كان ميتا فاحييناه (الانعام ـ ١٢٢)... الاية، وقوله تعالى: فانك لاتسمع الموتى (الروم ـ٥٢)، وغير ذلك من الايات.

ولها ايضا غذاء يتغذى به فيقوى به ذاتها وتكمل وتخرج من القوة الى الفعل و من الضعف و النقص الى القوة و الكمال، و غذاء كل شيء مايكون من جنسه وكل غذاء يشبه المغتذى به، فغذاء الجسم بالجسم وغذاء العقل بالعقل وهو المعقول بذاته.

ولما كانت انسانية الانسان وما بحقيقة ذاته هو جوهره العقلي الذي هو في اول الامر عقل بالقوة ويقال له العقل الهيولاني، لانه جوهر ناقص في باب العقل و المعقول كما ان الجنين جوهر حيواني ناقص في باب الحيوانية، و انما يصير حيواناً بالفعل تام الخلقة في الحيوانية بورود الاغذية الصالحة حتى يزيد في قدره اللائق و يكمل في ذاته، كذلك العقل بالقوة يخرج من حد النقص الى حد الكمال العقلي بورود اغذية عقلية و اطعمة صالحة مناسبة له شبيهة به، و انما هي العلوم الحقيقية و التصورات العقلية.

فاذا تقرر هذا فيكون معنى قوله: فلينظر الانسان الى طعامه، ما ذكره[1] عليه السلام، اذ الانسان من حيث هو انسان شيء غير الحيوان بما هو حيوان و غير الانسان من حيث هو حيوان، فاذا اطلق وقيل: الانسان نظر الى كذا وفعل كذا، فالاصل والظاهر ان يكون المراد به ذاته المخصوصة على وجه المخصوص لا على الوجه الاعم الا لمانع من جهة ماينسب اليه من الفعل او الصفة اوغيرهما.

كما يقال: الانسان ماش او اسود، وههنا ليس كذلك، لان الطعام مايتغذى به وهو اعم من الجسماني و الروحاني كما في قوله صلى الله عليه واله: ابيت عند ربي يطعمني و يسقيني، ومعلوم ان طعامه صلى الله عليه واله عند الرب الذي يطعمه الرب ليس من جنس طعام الحيوانات اللحمية ولاشرابه من هذه الاشربة، وانما المراد بها طعام العلم وشراب المحبة.

١ـ وهو العلم.

فاذن الانسان بماهو جوهر عاقل لیس غذاؤه وطعامه الا العلم و المعرفة، و اذا کان کذلک فصح ان یکون معنی الایة فلینظر الانسان الی طعامه فلیلاحظ علمه الذی یأخذه عمن یأخذه، ای ینبغی انیأخذ علمه من النبی و الامام علیهماالسلام، لانه بمنزلة الصبی فی اوان اکتسابه للعلم الذی هوغذاء روحه وهما بمنزلة الابوین، فکما لایجوز للولدان یأخذ رزقه من غیر ابویه بالتکدی و نحوه ، فکذلک لایجوز للمسلم الشیعة ان یأخذ علمه من غیر کتاب‌الله و العترة کما فی قوله صلی‌الله علیه واله: انی تارک فیکم الثقلین کتاب‌الله وعترتی.

الحدیث التاسع
و هوالثانی و الثلاثون والمائة

«محمدبن یحیی عن احمدبن محمدبن عیسی ، عن علی‌بن النعمان» الاعلم النخعی ابوالحسن مولاهم کوفی، روی عن الرضا علیه‌السلام، و اخوه داود اعلی منه وابنه الحسن‌بن علی وابنه احمد رویا الحدیث وکان علی ثقة وجهاً ثبتاً صحیحاً واضح الطریقة «صه» قال النجاشی: له‌کتاب عنه ابن ابی‌الخطاب. «عن عبدالله‌بن مسکان، عن داود بن فرقد عن ابی‌سعید الزهری» مجهول. «عن ابی جعفر علیه‌السلام قال: الوقوف عندالشبهة خیرمن‌الاقتحام فی‌الهلکة، وترکک حدیثاً لم تروه خیرمن‌روایتک حدیثاً لم تحصه».

الشرح

اقتحم الانسان الامر العظیم وتقحمه اذارمی نفسه فیه من غیر رویة وتثبت، و فی الحدیث: انی اخذ بحجزکم[1] عن النار و انتم تقتحمون فیها، ای تقعون فیها ، لم تحصه من‌الاحصاء و هوالعد و الحفظ، ومن اسماءالله تعالی المحصی، وهوالذی احصی کل‌شیء بعلمه و احاط به‌فلایفوته دقیق منها ولاجلیل، ومنه: انالله تسعة وتسعین

۱ــ الحجزة. ج. حجز وحجزات: موضع التکة من‌السراویل ــ مقعد الازار.

اسماً من احصاها دخل الجنة، اى من احصاها علماً بها و ايماناً، وقيل احصاها اى حفظها على قلبه.

و فى الحديث: اكل القران احصيت؟ اى حفظت، و قوله للمرأة: احصيها حتى نرجع، اى احفظيها، ومعنى الحديث ظاهر غنى عن الشرح.

وفى وصايا امير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: ودع القول فيما لاتعرف و الخطاب فيما لاتكلف، وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عندحيرة الضلال خير من ركوب الاهوال.

وقال ايضاً عليه السلام فيها: وترك كل شائبة اولجتك فى شبهة او اسلمتك الى ضلال[1]، فاذا ايقنت ان قدصفى قلبك فخشع وتم رأيك واجتمع[2] وكان همك فى ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرت لك، وان انت لم يجتمع لك ماتجب[3] من نفسك وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء، وليس طالب الدين من خبط و لامن خلط[4] و الامساك عن ذلك امثل، فتفهم يا بنى.

الحديث العاشر
و هو الثالث و الثلاثون و المائة

«محمد عن احمد عن ابن فضال، عن ابن بكير» مجهول. «عن حمزة بن الطيار» روى الكشى عن حمدويه و ابراهيم عن محمدبن عيسى عن ابن ابى عمير، عن هشام بن الحكم عن ابى عبدالله عليه السلام الترحم[5] عليه بعد موته و الدعاء له بالنضرة و السرور و انه كان شديد الخصومة عن اهل البيت عليهم السلام.

١ــ ضلالة «نهج».
٢ــ فاجتمع «نهج».
٣ــ تحب «نهج».
٤ــ او خلط «نهج».
٥ــ اى: قال عليه السلام: رحمة الله عليه.

ومحمدبن عیسی و ان کان فیه قول ولکن الارجح عندی قبول روایته «صه» ثم الدی قاله الکشی، حمدویه و ابراهیم عن محمدبن عیسی، عن یونس عن ابی‌جعفر[1] عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: ما فعل ابن‌الطیار؟ فقلت: توفی، فقال: رحمه‌الله ادخل الله علیه‌الرحمة ونضرة فانه یخاصم عنا اهل البیت.

فضالةبن جعفر عن ابان، عن حمزةبن الطیار: ان ابا عبدالله علیه‌السلام اخـذ بیدی ثم عدالائمة اماماً اماماً حتی انتهی الی ابی‌جعفر فکف فقلت: جعلت فداك[2] لو ـ فلقت رمانة فاحللت بعضها وحرمت بعضها لشهدت انما حرمت حرام وما احللت حلال، فقال: حسبك ان تقول بقوله، و ما انا الامثلهم، لی‌مالهم وعلی ما علیهم، فان اردت ان تحیی[3] یوم‌القیامةمع الذین قال‌الله تعالی: یوم‌ندعوا کل اناس بامامهم (الاسراء ـ ۷۱) فقل بقوله «انه عرض علی ابی‌عبدالله علیه‌السلام بعض خطب ابیه حتی اذا بلغ‌موضعاً منها قال‌له: کف و اسکت، ثم قال ابوعبدالله علیه‌السلام: لایسعکم فیما ینزل بکم مما لاتعلمون الاالکف عنه و التثبت و الرد الی‌ائمة الهدی حتی یحملوکم فیه علی‌القصد ویجلوا عنکم فیه العمی ویعرفوکم فیه الحق ، قال‌الله تعالی: فأسألوا اهل الـذکر ان کنتم لاتعلمون (النحل ـ ۴۳)».

الشرح

القصد من الامور المعتدل الذی لایمیل الی احد طرفی التفریط و الافـراط و فیه[4] القصد، القصدتبلغوا ای علیکم‌بالقصد من‌الامور فی‌القول والفعل وهوالوسط بین الطرفین، وهومنصوب علی‌المصدر المؤکد وتکراره للتأکید.

وجلی‌لی‌الشیء وتجلی، ای وضح وانکشف‌وجلوته‌انا کشفته، والجلاء بالفتح

۱ـ ای ابی‌جعفر الاحول.

۲ـ جعلنی‌الله فداك «کش».

۳ـ تجیء «کش».

۴ـ ای فی‌الحدیث.

و القصر الاثمد لانه يجلو البصر، وقيل بالكسر و المداوبالفتح ضرب من الكحل، و الجلاء الامر الجلى وجلوت السيف جلاء صقلته.

اعلم انه كما ان القران منه ماهو محكم ومنه ماهو متشابه مأول لايعلم تأويله الاالله والراسخون في العلم، كذلك في احاديث النبي و الائمة عليه وعليهم السلام و خطبهم و رسائلهم قدتوجد الفاظ متشابهة مأولة ليس لجمهور الناس ان يتكلموا فيها ولالهم رخصة ان يحكموا فيها وعليها بحكم من عند انفسهم الامن خصه الله بعلم من لدنه وهو على بينة من ربه، وانما شأنهم الكف عن الخوض فيها والسكوت عن الكلام على غير بصيرة و الرد في علمها على ائمة الهدى المعصومين عن الزيغ و الخطاء حتى يحملوهم من بعض وجوهها مايطيقون حملها ويسع اذهانهم فهمها على وجه الاقتصاد في الاعتقاد ويلجموهم عن الوقوع في الشبهات و التورط في الهلكات و التخبط خبط عشوات ويجلوا عن عيون قلوبهم عمى الجهالة وكمه الضلالة ويعرفوهم فيما وجه الحق الذى يحتملونه وجهة الصدق التي يطيقونها.

و المراد باهل الذكر الذين وقع الامر في هذه الاية بسؤالهم في المجهولات المعضلات هم اصحاب المكاشفات الذين يمكنهم استفاضة العلم من عالم الذكر الحكيم، اعنى اللوح المحفوظ اما بالاستقلال كالنبي صلى الله عليه واله او بمتابعته كاهل بيته عليهم السلام.

الحديث الحادي عشر
و هو الرابع و الثلاثون و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن القاسم بن محمد عن المنقرى» و هو سليمان بن داود المنقرى وقدمر ذكره. «عن سفيان بن عيينة قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: وجدت علم الناس كله في اربع: اولها ان تعرف ربك والثاني ان تعرف ماصنع ربك والثالث ان تعرف ما ارادبك و الرابع ان تعرف مايخرجك عن دينك».

الشرح

الوجه فی‌هذا الانحصار: ان العلوم الحقیقیة التی لایتغیر بتغیر الازمنة واتفقت الادیان علیها و لاخلاف لاحد من اهل الحق فیها، اما الغایة فیها مجرد العلم او العمل بموجبه، والاول اما متعلق باحوال المبدأ اوباحوال المعاد، و الثانی اما المطلوب فیه اقتناء فضیلة او اجتناب رذیلة، فهذه اربعة اقسام.

فقوله علیه‌السلام: اولها ان تعرف ربک، اشارة الی اول[1] قسمی الحکمة النظریة من العلوم العقلیة ویندرج فیه البحث عن معرفة ذات‌الله و وحدانیته ومعرفة صفاته العلیاء و اسمائه الحسنی ومعرفة اثاره و افعاله وقضائه وقدره.

وقوله علیه‌السلام: و الثانی ان تعرف ماصنع بک، اشارة الی ثانی[2] قسمی الحکمة النظریة منها ویندرج فیه معرفة النفس و احوالها ومقاماتها ومعرفة ماتعود الیه وتنشأ منها، وکیفیة نشوالاخرة من‌الدنیا ومعرفة القبر والبعث و الصراط و الحساب و المیزان و الثواب والعقاب والجنة والنار. فان جمیع‌هذه الامور مما صنعه‌الله‌تعالی بالنفس الانسانیة وفیها ومنها، ولیس شیء منها خارج عن ذات النفس.

وقوله علیه‌السلام: والثالث‌ان‌تعرف ما ارادبک، اشارة الی اول قسمی الحکمة العملیة‌منها ویندرج‌فیها معرفة‌جمیع‌الفضائل‌النفسانیة لیمکن‌اکتسابها، و هی‌المنجیات من الاخلاق والملکات کالعلم والکرم و الجود والشجاعة و العفة و التوبة والصبر و الشکر و التوکل و الرضاء ومایجری مجراه.

وقوله علیه‌السلام : و الرابع ان تعرف مایخرجک عن دینک، اشارة الی ثانی قسمی‌الحکمة العملیة ویندرج فیه معرفة الرذائل النفسانیة لیمکن التبری عنها، وهی اما اعدام تلک الفضائل او اضدادها، فالاولی کالجهل البسیط والخمول و البلاهة و الجبن ونحوها، و الثانیة کالجهل المرکب و الفجور و المکر والتهور و الحرص و العصبیة و العناد والکبر والعجب والحسد وغیر ذلک، ومن اجتمعت فیه هذه‌الفضائل

۱ــ ای علم المبدأ.

۲ــ ای علم‌المعاد.

وطهرت نفسه عن تلك الرذائل صار ملكاً فی صــورة بشر، بل کادان یصیر انسانا الهیا تحل طاعته بعد طاعةالله.

الحدیث الثانی عشر
و هوالخامس والثلاثون و المائة

«علی‌بن ابراهیم عن ابیه، عن ابن ابی‌عمیر، عن هشام‌بن‌سالم قال قلت لابی‌ـ عبدالله‌علیه‌السلام: ما حق‌الله علی‌خلقه؟ فقال؛ ان‌یقولوا مایعلمون و یکفوا عمالایعلمون، فان فعلوا ذلك فقد ادوا الی‌الله حقه».

الشرح

لعل‌المراد من حق‌الله میثاقه تعالی علی‌اهل العلم والکتاب ان لایقولوا علی‌الله الا الحق.

الحدیث الثالث عشر
وهوالسادس والثلاثون والمائة

«محمدبن حسن عن سهل‌بن زیاد، عن ابن سنان عن محمدبن مروان العجلی، عن‌علی‌بن حنظلة» العجلی الکوفی من اصحاب الباقر و الصادق علیهما‌السلام اخــو عمر من اصحاب الصادق علیه‌السلام. «قال‌سمعت ابا عبدالله علیه‌السلام یقول: اعرفوا منازل الناس علی قدر روایتهم[1] عنا».

الحدیث‌الرابع عشر
و هوالسابع و الثلاثون و المائة

«الحسین‌بن‌الحسن»الظاهر انه‌الحسنی الاسودفاضل‌یکنی اباعبدالله. رازی[2]«عن

۱ـ روایاتهم. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

۲ـ ابوعبدالله‌الرازی «جامع‌الرواة».

محمدبن زكرياء الغلابى» مولى بنى غلاب بالغين المعجمة و اللام المخففة و الباء المنقطة تحتها نقطة، ابوعبدالله بن زكرياءبن دينار، وبنوغلاب قبيلة بالبصرة من بنى نضربن معوية، قيل: ليس فى غير البصرة[1] منهم احد، وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه اصحابنا بالبصرة وكان اخبارياً واسع العلم وصنف كتباً كثيرة ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

«عن ابى عايشة البصرى رفعه ان اميرالمؤمنين عليه السلام قال فى بعض خطبه: ايها الناس اعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولابحكيم من رضى بثناء الجاهل عليه، الناس ابناء مايحسنون وقدر كل امرىء مايحسن، فتكلموا فى العلم تبين اقداركم».

الشرح

ازعجه، اى اقلعه وقلعه من مكانه وانزعج بنفسه ولم يستقر، وفى رواية انس رأيت عمر يزعج ابابكر ازعاجا يوم السقيفة، اى يقيمه ولايدعه يستقر حتى بائعه، و الزور الكذب و الباطل و التهمة وكل شىء يتخذربــاً من دون الله، وشهادة الزور هى من الكبائر، وفى الحديث: عدلت شهادة الزور الشرك بالله، و انما عادلته لقوله تعالى: والذين لايدعون مع الله الها اخر (الفرقان ــ ۶۸)، ثم قال بعده: والذين لايشهدون الزور (الفرقان ــ ۷۲).

والمعنى: ان العاقل من لايزعجه قول الزور ولايحزنه افتراء المفترين فى حقه، و ان الحكيم من لايرضى نفسه بثناء الجاهل عليه، اذ العاقل الحكيم يعلم ان الاول لاينقص من كماله ان كان شيئا، ولايقدح فى فضله بشىء، و الثانى لايزيد عليه كمالا لم يكن ولايفيده شرفاً وكرامة لم يحصل، بل الكريم من اكرمه الله و الذليل من اذله الله.

و قوله عليه السلام: الناس ابناء مايحسنون، يعنى ان الانسان لايصير سعيداً و لاشقياً الابمايكسبه اويكتسبه نفسه لنفسه، فالناس كأنهم اولاد انفسهم بحسب مايصنعون ويعدونه حسناً، وقدر كل امرىء مايحسن، اى قدره مايجعله حسنا و ليس ذلك الافضيلة

[1]ــ وقيل: انه ليس بغير البصرة منهم احد «جش».

العلم، وقيمته فى الواقع بحسب همته وحاله مايعده كمالا وفضيلة.

وقوله عليه السلام: فتكلموا فى العلم تبين اقداركم، اى لما ظهر ان ذم الذامين لاينقص من قدر احدكم ولامدح المادحين يزيد فى قدره، وظهر ايضاً ان لاشرف الا بالعلم، فان اردتم ان يتبين اقداركم فتكلموا فى العلم ان كنتم من اهله، اذلامنقبة ولا فضيلة فوقه وليس يمكن لاحد انكارفضله وشرفه، و ان لم تكونوا من اهله فالسكوت اولى بالجاهل، اذ لا منقصة فوق الجهل وكل عيب وآفة يرجع اليه.

الحديث الخامس عشر
و هو الثامن و الثلاثون و المائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الوشاءِ عن ابان بن عثمان ، عن عبدالله بن سليمان» الصيرفى مولى كوفى، روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام له اصل عنه جعفر بن على كما فى النجاشى وقيل لعله عبدالله بن سليمان العبسى الكوفى يعرف بالصيرفى. «قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول و عنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى وهو يقول: ان الحسن البصرى يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذى ريح بطونهم اهل النار، فقال ابوجعفر عليه السلام: فهلك اذن مؤمن ال فرعون، مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً ، فليذهب الحسن يمينا و شمالا، فوالله مايوجد العلم الاههنا».

الشرح

اعلم ان من ليس له قدم راسخ فى فتح الانوار و اخذ العلوم من منابعها الالهية ويريد ان يأخذ علمه من ظواهر الاحاديث او اخبار الرجال فالغالب عليه فى اكثر الامر الخبط و الخطاء والزلل و العمى ويقع عليه امور متناقضة لايمكنه التفصى عنها.

فكل من سلك سبيل الظاهريين و الفقهاءِ المترسمين اذا نظر الى ظاهر الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه واله مثل مابلغ الى الحسن، وكما روى عنه صلى الله

علیه واله: من علم علما فکتمه الجمه یوم‌القیامة بلجام من‌النار، ونحو ذلك ذهب الی ظاهره و اعتقده کذلك، و ربما اغتربان لاعلم الامابلغه من‌المنقولات وما قرع سمعه و وصل‌الیه فهمه وعقله، ولم یدرانه لیس المراد بالنهی عن‌الکتمان فی کل علم وفی کل زمان وبالقیاس الی کل متعلم.

کیف ولوحمل الحدیث علی ظاهر عمومه وحکم علی طبقه لناقض احادیث اخری وردت فی‌خلافه فتناقضت احادیث من‌لاینطق عن‌الهوی ان هوالاوحی یوحی.

وقدروی عنه صلی‌الله واله: لاتؤتوا الحکمة غیر اهلها فتظلموها، وروی ایضاً عنه صلی‌الله علیه واله: لاتعلقوا الجواهر فی‌اعناق الخنازیر، وعنه صلی‌الله علیه واله: نحن معاشر الانبیاء امرنا ان ننزل‌الناس منازلهم فنکلم الناس علی‌قدرعقولهم، وعنه صلی‌الله علیه واله: ما احد یحدث قوماً بحدیث لایبلغه عقولهم الاکان فتنة علی‌بعضهم وعن امیرالمؤمنین علیه‌السلام: ان هاهنا لعلوماً جمة لووجدت حملة[1]، وعن علی‌بن الحسین علیهماالسلام ابیات مشهورة فی کتمان علمه اولها:

انی لاکتم من علمی جواهره ... کیلایری الحق ذوجهل فیفتتنا

و امثال ذلك فی طریق الخاصة والعامة کثیرة و قدمر الکلام فی‌هذا الباب مستقصی.

و ایضاً قد لزم هذا الرجل من اهل الظاهر ــ وهم‌الحشویة و الحنابلة و کل‌من یجری مجراهم من‌اصحاب الحدیث و ارباب الروایة دون‌الدرایة ــ ان یکون مؤمن ال فرعون ومثله من یکتم ایمانه من‌الهالکین الذین یؤذی ریح بطونهم اهل النار و من‌الذین یلجمهم‌الله بلجام من‌النار، لان حقیقة الایمان لیست الاباباً من‌العلم، بل‌عمدة ابواب العلم هی الایمان بالله و ملائکته و کتبه و رسله، و اللازم باطل بالاتفاق فکذا الملزوم.

و اما قوله علیه‌السلام: فلیذهب الحسن یمیناً وشمالاً... الی‌اخره، فالمراد ان الحسن و امثاله من‌الوعاظ و الحکویین و اصحاب النقول و الروایات ممن سماهم

۱ــ لعلماً جما لو اصبت له حملة «نهج».

اشباه الناس علماء لكثرة محفوظاتهم و وفور رواياتهم، سيما اذا انضم اليها ما في مقدرتهم من تحسين الكلام و ترويج المعنى[1] وتبليغ العبارات و الاستعارات، كثيراً مايغترون بعلمهم وحالهم ويزعمون ان لاعلم الاما وصل اليهم بالنقل عن الصحابة و التابعين وليس سوى ذلك علم من علوم الدين، بل لايكون ماسواه الامن بدع المبتدعين وضلالات المتفلسفين، وهذا سفه وغرور اغتربه اكثر علماء الرسوم ووقعوا بهذا الحبل في مهوى المعطلين ومهبط الجاحدين ومثوى المتكبرين.

فنبه عليه السلام امثاله بان الذهاب يميناً و شمالا و الخروج الى البلدان و الاطراف لطلب الحديث وتحرى الاسانيد العالية و جمع الروايات الكثيرة و رؤية الشيوخ ممالافائدة فيها الامجرد تحمل الفاظ الاخبار كحملة الاسفار، وليس في ذلك من النفع ازيد من وجدان نسخة صحيحة، فيكون غاية هذا السعي يميناً وشمالا وثمرة هذا التطواف في الاطراف و التدوار في الاقطار حصول كتاب لاحصول علم الكتاب.

و اما الكتاب فلايحصل الامن عندالله العزيز الوهاب اوعند من اخذ من لدنه علماً من اوليائه الذين عندهم علم الكتاب، فان الذين اوتوا الكتاب ليسوا كالذين اوتوا العلم، يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (المجادلة ـ ۱۱)، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيراً (البقرة ـ ۲۶۹).

باب رواية الكتب[2] وفضل الكتابة و التمسك بالكتب

وهو الباب الثامن عشر من كتاب العقل و العلم وفيه خمسة عشر حديثا:

الحديث الاول

وهو التاسع والثلاثون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابى عمير عن منصور بن يونس» بزرج بضم الباء المنقطة تحتها نقطة وضم الزاى واسكان الراء والجيم اخيراً ابو يحيى و قيل

۱ـ القول. النسخة البدل في الاصل للشارح.

۲ـ الكتب والحديث (الكافى).

ابوسعید[۱] من اصحاب الکاظم علیه السلام، قال الشیخ: انه واقفی وقال النجاشی: انه ثقة روی عن ابی عبدالله علیه السلام[۲]، و الوجه عندی التوقف فیمایرویه و الرد لقوله لوصف الشیخ له بالوقف.

وقال الکشی عن حمدویه عن الحسن بن موسی، عن محمدبن الاصبغ عن ابراهیم، عن عثمان بن القاسم بن منصور بن یونس بزرج جحدالنص علی الرضا علیه السلام لاموال کانت فی یده. «عن ابی بصیر قال قلت لابی عبدالله علیه السلام قول الله جل ثناؤه: الذین یستمعون القول فیتبعون احسنه (الزمر- ۱۸)، قال: هوالرجل یسمع الحدیث فیحدث به کما سمعه لایزید فیه ولاینقص.

الشرح

هذه الذی ذکره علیه السلام احد وجوه معانی هذه الایة ولیس اذا اخذ معنی من ایة یکون شرطه ان لایکون لها معنی سواه، نعم! یجب ان لایکون لها معنی یضاده اویناقضه، والاقرب ایة یکون لهامعان کثیرة غیرمحصورة کلها صحیحة حسب درجات الافهام.

قال بعض العلماء: لکل ایة ستون الف فهم ومابقی من فهمها اکثر، وقال اخر: القران نحو من سبعة وسبعین الف الف علم ومأتی علم و قال ابن مسعود: من اراد علم الاولین فلیثور[۳] القران.

الحدیث الثانی
و هوالاربعون و المائة

«محمدبن یحیی عن محمدبن الحسین، عن ابن ابی عمیر، عن ابن اذینة عن

۱- کوفی «جش».
۲- روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام «جش».
۳- ای یبحث عن علمه و یفکر فی معانیه و تفسیره و قرائته.

محمدبن مسلم قال قلت لابیعبدالله علیه‌السلام اسمع الحدیث منك وازید و انقص قال ان کنت ترید معانیه فلابأس».

الشرح

انما وقع التقیید بهذا الشرط فیعدم البأس، اذ ربما کان لخصوصیة اللفظ مدخل فیالمقصود من روایة الحدیث، فعند تبدیله بلفظ اخر ربما فات‌المقصود او حصل الالتباس.

و اعلم انه قد وقع الاختلاف فیجواز نقل‌الحدیث بالمعنی، و النزاع فیمن هوعارف بمواقع الفاظ، و اما غیره فلایجوز منه اتفاقاً، و المختار جوازه کما یستفاد من هذا الحدیث و الذی یتلوه، مع ان الاولی نقله بصورته مهاامکن.

وقیل: انما یجوز بلفظ مرادف ای بتبدیل لفظه بما یرادفها.

و روی عن ابن سیرین و ابیبکر الرازی منعه و وجوب نقله بصورته.

وروی عن بعض‌ائمة العامة انه‌کان یشدد فی‌الباء والتاء مثل بالله تالله فلایجوز احدهما مکان الاخر مع ترادفهما وتوازنهما، ولك ان تستدل علی‌الجواز بوجوه:

الاول: بانا نقطع انهم نقلوا عنه صلی‌الله علیه واله احادیث فی وقائع متحدة بالفاظ مختلفة، و الذی قاله صلی‌الله علیه واله واحد قطعاً والبواقی‌نقل بالمعنی وتکرر ذلك وشاع و ذاع ولم ینکره احد، فذلك یدل علی‌جوازه قطعا.

والثانی‌انه روی عن‌ابن‌عباس وغیره انهم قالوا قال‌رسول‌الله صلی‌الله علیه واله کذا او نحوه، و ذلك تصریح بعدم تذکر اللفظ بعینه و ان المروی هوالمعنی فکان جائزاً، و الالوقع الانکار علی ذلك لکثرة وقوعه عنهم شائعاً ذائعاً.

والثالث انه اجمع علی‌جوازتفسیره بالعجمیة، فتفسیره بالعربیة اولی‌بالجواز، لانه اقرب نظماً و اوفی بمقصود تلك اللغة من لغة اخری.

و الرابع انانعلم ان المقصود فی‌الحدیث و التخاطب انما هوالمعنی ولاعبرة باللفظ.

فان‌قلت: تجویز ذلک‌یؤدی الی‌الاخلال بمقصود الحدیث، فانا نجزم‌باختلاف العلماءِ فی‌معانی الالفاظ و تفاوت افهامهم فی‌التنبه علی‌المعانی، فـربما یتنبه بعضهم علی مالایتنبه الاخر، فاذا قدر النقل بالمعنی مرتین وثلثا و وقـع فی کل مرة ادنی تغیر، حصل بالتکرار تغیرکثیر و انهدام المقصود بالکلیة.

فالجواب: ان فرض‌تغیر ما فی کل‌مرة مما لایتصور فی‌محل النزاع، فان‌الکلام فیمن نقل بالمعنی سواء من غیر تغیر فیه اصلا، والا لم یجز بالاتفاق.

واستدل ایضاً النافی لنقل الحدیث بالمعنی‌بانه قال صلی‌الله علیه واله: نضرالله امریءِ سمـع مقالتی‌فوعاها فاداها کما سمعها.

الجواب : ان ذلك لایدل علی‌مطلوبکم، فانه دعا لمن نقلها بصورته لانه اولی ولم‌یمنـع فیه النقل بالمعنی، بل یمکن‌ان یقال‌ایضا بالموجب، فان من نقل‌المعنی‌اداه کماسمعه ولذلك یقول المترجم: ادیته‌کما سمعته.

الحدیث‌الثالث
وهوالواحد والاربعون والمائة

«وعنه عن محمدبن‌الحسین عن‌ابن‌سنان، عن داودبن‌فرقد قال قلت لابی‌عبدالله علیه‌السلام: انی‌اسمـع‌الکلام‌منك‌فارید ان ارویه‌کما سمعته منك فلایجیء، قال:فتتعمد ذلك؟ قال: لا، فقال: ترید المعانی؟ قلت: نعم، قال: لابأس».

الحدیث‌الرابع
و هوالثانی و الاربعون و المائة

«وعنه عن احمدبن محمدبن عیسی، عن‌الحسین‌بن سعید عن‌القاسم‌بن محمد، عن علی‌بن ابی‌حمزة، عن ابی‌بصیرقال: قلت لابی عبدالله علیه‌السلام: الحدیث اسمعه منك‌اورویه عـن ابیك او اسمعه من ابیك اورویه عنك، قال: سواء الا انك تروی[1] عن

۱ـ ترویه (الکافی).

ابی‌احب الی، وقال ابوعبدالله علیه‌السلام لجمیل: ماسمعت منی فاروه عن ابی».

الشرح

اما قوله علیه‌السلام: سواء، فالوجه فیه ان علومهم کلها من معدن واحد وعین واحدة کما ان ذواتهم علیهم السلام من نور واحدة.

واما قوله علیه‌السلام: تروی عن ابی احب الی، فلعل الوجه فیه ان علوالسند وقرب الاسناد من‌الرسول صلی‌الله علیه واله مماله رجحان عندالناس فی قبول الروایة وخصوصاً فیما یختلف فیه من‌الامة من‌الاحکام.

وفیه وجه اخروهو: ان من‌الواقفیة من توقف علی‌الاب فلایکون قول الابن حجة علیه فیما یناقض رأیه بخلاف العکس، اذالقائل بامامة الابن قائل بامامة الاب دون‌العکس کلیا.

الحدیث الخامس
وهوالثالث والاربعون والمائة

«وعنه عن احمدبن محمد، ومحمدبن الحسین عن‌ابی‌محبوب، عن عبدالله‌بن‌سنان قال: قلت لابی عبدالله علیه‌السلام: یجیئنی القوم فیسمعون[1] منی حدیثکم‌فاضجر ولااقوی؟ قال: فاقرأ من اوله حدیثا ومن وسطه حدیثاً و من اخره حدیثا».

الشرح

الضجر القلق من‌الغم وضیق نفس مع کلام، وقد ضجر من کذا وتضجر منه فهو ضجر وضجور و اضجرنی فهومضجر.

غرضه الاستعلام عن‌الحکم فیما یعرضه شیئا من‌العجز و الضعف عند قرائة الحدیث علی قومه و اهل مذهبه، فاجازه علیه‌السلام و رخصه ان یقرأ بعض‌الحدیث

۱ـ فیستمعون (الکافی).

اذا کان طویلا علی هذه الکیفیة، وهــی ان یقرأ علیهم من اوله حدیثا ای کــلاما مفیداً بالاستقلال، وکذا من وسطه و اخره، و هذا اذ اشتمل الحدیث الواحد علی احکام و جمل متعددة فلاشبهة فی صحته، ای صحة الاقتصار علی البعض فــی القرائة و الروایة اذا لم یکن متعلقا بالباقی.

ونقل العلامة الحلی طاب ثراه الاتفاق[1] علی ذلک کقول النبی صلی الله علیه واله: من فرج عن اخیه کربة من کرب الدنیا، فرج الله عنه کربة مــن کرب یوم القیامة، ومن کان فی حاجة اخیه کان الله فی حاجته، ومن ستر علی اخیه، ستر الله علیه فی الدنیا والاخرة والله تعالی فی عون العبد ما کان العبد فی عون اخیه.

فهذا حدیث واحد مشتمل علی جمل اربع کــل منها بانفراده کلام مستقل فی الحکم الذی فیه یجوز الاقتصار علی نقله وعده حدیثا ولاینافی ذلک کونه جزء حدیث اخر مشتمل علیه وعلی غیره.

واما امره علیه السلام بقرائته حدیثا من اوله وحدیثا من وسطه وحدیثا من اخره فهو امر استحسان لاامر حتم، ولعل وجه حسنه: ان الجمل المتقاربة تکون فی اکثر الامر من نوع واحد فلیست الفائدة فیها کما التی یکون فی الجمل المتباعدة، اذ الکلام فیها انتقل من نوع الی نوع یباینه فالفائدة فیها لامحألة اکثر لاحتوائها علی فنون مختلفة من الاحکام کل منها نوع اخر برأسه، و اما اجزاءِ الحدیث الواحد التی یرتبط بعضها ببعض فلایجوز الاقتصار علی نقل البعض کالاقتصار علی قوله صلی الله علیه واله: من نزل علی قوم فلایصوم من تطوعاً ، من دون ان یضیف الیه الا باذنهم، و کالاقتصار علی قوله صلی الله علیه واله : لاسبق الافی نصل، من دون ان یضاف الیه اوخف اوحافر.

الحدیث السادس
و هو الرابع والاربعون والمائة

«عنه باسناده عن احمدبن عمر الحلال» بالحاءِ غیر المعجمة و اللام المشددة

۱ـ الاجماع. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

كان يبيع الحل وهو الشيرج[1]، ثقة، قاله الشيخ رحمه‌الله وقال: انه كان رديء الأصل فعندى فى قبول روايته لقوله هذا، وكان كوفيا انماطيا من اصحاب الرضا عليه‌السلام «صه» و يرد عليه ان ردائة الاصل لايدفع صحة روايته وقبولها مع ثبوت ثقته.

قال زين المجتهدين رحمه‌الله فى الحاشية: ما ذكره وجهاً للتوقف غير جيد بعد شهادة الشيخ له بالتوثيق، لان ردائة الاصل لاتنا فى الثقة، وابن داود ضبطه بالخاء المعجمةو ذكران الحلال بالحاء المهلة، رجل اخر لم يروعن الائمة، نقل ذلك عن الشيخ الطوسى رحمه‌الله فى رجاله، انتهى كلام المحشى.

وقال النجاشى: روى عن الرضا عليه‌السلام و له عنه مسائل، عنه عبدالله بن محمد، وفى الفهرست: روى عنه محمد بن على الكوفى. «قال قلت لابى الحسن الرضا عليه‌السلام: الرجل من اصحابنا يعطينى الكتاب ولايقول: اروه عنى، يجوز لى ان ارويه عنه؟ قال: فقال: اذا علمت ان الكتاب له فاروه عنه».

الشرح

معناه واضح وهذا الذى اجازه عليه‌السلام يقال له المناولة فى عرف المحدثين، وهى احد وجوه تحمل الحديث و روايته من الوجوه الستة المقررة فى الاصول: اعنى السماع من الشيخ و القرائة عليه و السماع حال قرائة الغير عليه و اجازة الشيخ له ان يروى عنه، ومناولته اياه كتاباً يروى عنه ما فيه اوكتابته اليه بما يرويه عنه.

و هذه الستة متفاوتة المراتب: فالاول هو قرائة الشيخ عليه اعلى المراتب على الاصح دون قرائته على الشيخ وتصديقه، واما قرائته على الشيخ من غيران ينكر الشيخ عليه ولاوجود امر يوجب السكوت عنه من اكراه او تقية اوذهول اوغيرها من الامور المفروضة المانعة عن الانكار، فقداختلف فى انه هل يعمل به ام لا؟ فمنعه بعض الظاهرية و الصحيح انه معمول، لانه يفهم عرفاً تقريره و انه تصديق و لان فى سكوته ايهام الصحة و ذلك بعيد من العدل عند عدم الصحة، و اما قرائة غيره على الشيخ بحضوره

١ـ وهو دهن السمسم.

بالشروط المذکورة فهو کقرائته علیه.

و اما الاجازة وهو ان یقول اجزت لك ان تروی عنی کذا او ماصح عندك انه من مسموعـاتی اولك و لغیرك فلان وفلان الموجودین، فالاکثر علی جوازها وقدمنـع بعض الروایه بالاجازة کابی حنیفة و ابی یوسف.

واما الاجازة لجمیع الامة الموجودین لالقوم معینین: فالظاهر الحاقها بالاجازة للموجودین المعینین، اذالعام بمثابة تعدادالافراد ولافرق بینهما الابالاختصار والتطویل، ولامدخل لاختلاف العبارة فی مثل هذا المقام.

واما الاجازة فی نسل فلان، اومن یوجد فی بنی فلان: ففی صحتها خلاف واضح وهواولی بالمنع مماقبله، فان اجازة غیرالموجود ابعدمن الموجود غیرالمعین والمختار صحتها، فان العدالة شرط فی الروایة، و الظاهـر ان العدل لایروی الابعدالعلم او الظن بروایته و عدالته، وقد اذن له فوجب ان یصح کغیره.

و ایضاً فان النبی صلی الله علیه و اله کان یـرسل کتبه مع الاحاد، ولم یعلموا ما فیها لیعمل مـن رآها بموجبها و مـا ذلك الا الاجازة ، و اما المناولة و الکتابة فمثل الاجازة دلیلا.

الحدیث السابع
و هوالخامس و الاربعون والمائة

«علی بن ابراهیم عن ابیه، وعن احمدبن محمدبن خالد عن النوفلی، عن السکونی عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال امیرالمؤمنین علیه السلام: اذا حدثتم بحدیث فاسندوه الی الذی حدثکم، فان کان حقاً فلکم و ان کان کذبا فعلیه».

الحدیث الثامن
و هوالسادس و الاربعون و المائة

«علی بن محمدبن عبدالله، عن احمدبن محمدعن ابی ایوب المدنی»هذاالاسم مشترك

بين رجلين: احدهما الانبارى المدنى تحول الى بغداد له كتاب روى عنه احمدبن ابى عبدالله كما فى الفهرست و النجاشى. و الثانى المدنى روى عنه على بن ماجيلويه[۱] بكتابه قاله النجاشى. «عن ابن ابى عمير عن حسين الاحمسى» هو ابن عثمان الثقة روى عنه ابن ابى عمير. «عن ابى عبدالله عليه السلام قال: القلب يتكل على الكتابة».

الشرح

الاتكال الاعتماد و تتكل عليه اى تعتمد عليه، و فيه دليل صحة العمل بالكتابة سواء كتبها هو او غيره ممن يعتمد عليه و يثق بعدالته، ولايشترط فى الاول كونه عدلا اذ كل احد عالم بحال نفسه فى صدقه و كذبه، فاذا علم من نفسه انه الذى كتب هذه الكتابة و اعتقد مدلولها فله ان يعمل بها.

وهل يشترط فى العمل بمكتوبه كونه ضابطاً اى لايكون سهوه اكثر من ذكره ولا مساوياً له؟ فالظاهر اشتراطه، اذ ربما يسهو عن كون مكتوبه غير صحيح فيزعمه صحيحاً، و كذلك الحال عند كونه عدلا، الا ان يعلم من نفسه انه لم يكتب الاصحيحاً اذ كان وقت الكتابة ايضاً عدلا.

الحديث التاسع
و هو السابع و الاربعون و المائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن عاصم بن حميد» بضم الحاء الحناط بالنون، الحنفى، ابو الفضل كوفى ثقة عين صدوق، روى عن ابى عبدالله عليه السلام «صه» و فى الكشى: الكوفى الحنفى مولاهم من اصحاب الصادق عليه السلام مولى بنى حنيفة مات بالكوفة، فى النجاشى: له كتاب روى عنه محمدبن عبدالحميد، و فى الفهرست: و السندى بن محمدبن عبدالرحمن ابى نجران. «عن ابى بصير قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: اكتبوا فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا».

۱ــ عنه على بن محمد ماجيلويه بكتابه، و كأنه الانبارى «جامع الرواة».

الشرح

معناه واضح، ای اکتبوا ماسمعتم من الاحادیث، فانکم لستم ممن لاتنسی ولا تسهوفلم یبق ماسمعتم محفوظا لکم حتی تکتبوا، فاذا کتبتموه یبقی محفوظاً والا فیمکن زواله.

الحدیث العاشر
وهوالثامن و الاربعون والمائة

«محمدبن یحیی عن احمدبن محمدبن عیسی، عن الحسن بن علی الفضال عن ابن بکیر، عن عبیدبن زرارة» ابن اعین الشیبانی، روی عن ابی عبدالله علیه السلام ثقة ثقة عین، لالبس فیه ولاشك وکان احول «صه» فی النجاشی: له کتاب یرویه جماعة منهم حمادبن عثمان. «قال: قال ابوعبدالله علیه السلام: احفظوا بکتبکم فانکم سوف تحتاجون الیها».

الحدیث الحادی عشر
و هوالتاسع و الاربعون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد البرقی، عن بعض اصحابه عن ابی سعید الخیبری» مجهول «عن المفضل بن عمرقال: قال لی ابوعبدالله علیه السلام: اکتب وبث علمك فی اخوانك، فان مت فاورث کتبك بنیك، فانه یأتی علی الناس زمان هرج لایأنسون فیه الابکتبهم».

الشرح

بث الخبر وابثه ای نشره، و الهرج الفتنة و الاختلاط، وقدهرج الناس یهرجون اذا اختلطوا و قد تکرر فی الحدیث، و اصل الهرج الکثرة فی الشیء و الاتساع.

امر علیه السلام بکتابة العلم وبنشره فی الاخوان، ویحتمل ان یکون المراد:

كتب علمك ليكون مبثوثا فی اخوانك بواسطة الكتاب، فيكون الثانی فائدة الاول لامطلوبا برأسه.

وقوله: فان‌مت فاورث كتبك بنيك، ای اوص عند مشارفة الموت ابنائك بكتبك لتبقی الكتب عليهم محفوظة.

وقوله عليه‌السلام: يأتی علی‌الناس... الی‌اخره، تعليل للامر بصيانة الكتب و ابقائها علی الاولاد بمجیء زمان هرج علی‌الناس لايأنسون الابكتبهم لفقدهم اهل‌العلم ومن يؤنس به‌لتسلط امراء الجور وتشبه الجهلة و الارذال بصورة العلماء و الاكياس فی‌الزی و اللباس، وهذاهو معنی‌الهرج ههنا.

وقد يتحقق مع كون الزمان معموراً و الناس مع سعة وخصب وعيش و دعة، لكن من جهة كونهم حيوانا ذاحس وحركة وشهوة و ارادة لامن جهة كونهم انساناً ذافكر وعقل و ايمان وحكمة، فالهرج والفتنة من جهة لاينافی الامن و السلامة من جهة اخری.

الحديث الثانی عشر
و هوالخمسون و المائة

«وبهذا الاسناد عن محمدبن علی رفعه قال: قال ابوعبدالله عليه‌السلام: اياكم والكذب المفترع، قيل: وما الكذب المفترع؟ قال: ان يحدثك الرجل بالحديث فتترکه وترويه عن‌الذی حدثك عنه.

الشرح

هذا ضرب من‌الكذب، و هو ان يسند الراوی حديثه الذی سمعه من رجل لا الی ذلك الرجل، بل الی من روی عنه ليوهم علوالسند، كما اذا حدثه ابن عباس بحديث عن‌رسول‌الله صلی‌الله‌عليه‌واله فاذا ارادان يروی الحديث يقول: قال‌رسول‌الله صلی‌الله عليه واله كذا، فيتوهم انه سمع‌الحديث منه صلی‌الله‌عليه‌واله، ولم يسمع منه،

فیکون مدلساً کاذبا فی‌هذا الایهام.

و اما اذا قال عندالروایة: حـدثنی رسول‌الله صلی‌الله علیه واله او اخبرنـی او سمعت منه فذلك كذب صريح، و كذا اذا اجازه الشيخ وقال: اجزت لـك ان تروی عنی کذا اوماصح عندك انه من مسموعاتی او مقرواتی، فینبغی ان لایقول عندالروایة حدثنی فلان و اخبرنی مطلقا، بل ولامقيدا ايضاً بان يقول حدثنی اجازة، اذلم يحدثه، ولكن يقول اجازنی، ويجوز ايضاً ان يقول انبأنی بالاتفاق لانه يقال فی‌مثله عرفاً انبائه و ان‌کان هوالاخبار لغة، ويقال للاعلام و الايذان: انباءٍ، كما قال الشاعر:

زعـم الـغـراب منبیء الانباء　　　و بذاك نبأنـی الغراب الاسود[1]

ويقال: هذا الفعل ينبیء عن العداوة اوالمحبة، وقيل: ينبئك العينان بماهو كاتمه، و اما تسمية ذلك بالكذب المفترع، فلعله مأخوذ من الفرع بمعنى العلو.

قال ابن اثيرفی‌النهاية: وفرع كل شیء اعلاه، ومنه حديث قيام رمضان: فماكنا ننصرف الا مع[2] فروع الفجر.

وفی‌حدیث علی علیه‌السلام ان لهم فراعها[3]، الفراع ما علامن‌الارض وارتفع، فكأن هذا المحدث يريد ان يجعل حديثه مفترعا، ای مرتفعاً بهذه الحيلة.

الحديث الثالث عشر
و هوالواحد والخمسون والمائة

«محمدبن‌یحیی عن احمدبن عیسی، عن‌احمدبن محمدبن ابی‌نصر، عن جمیل بن دراج قال قال ابوعبدالله علیه‌السلام: اعربوا حدیثنا فانا قوم فصحاء».

۱ــ وكل واحد من هذا المصراعين يكون جزء من بيت علی حده ولايكون احدهما منتقلا بالاخر، والمقصود ان‌لفظ‌الانباء فی‌کل من‌المصراعين يستعمل بمعنى‌الايذان والاعلام، فلاتغفل.

۲ــ فی «النهاية».

۳ــ ومنه حديث ابن ذی‌المشعار: علی ان لهم فراعها «النهاية».

الشرح

الاعراب في اللغة الايضاح يقال اعربه اى اوضحه، وفى عرف النحاة الحركة او الحرف التى يختلف اخر المعرب اسماً كان اوفعلابها، و انما سميت تلك الحركة او الحرف اعراباً اذبها يوضح المعانى المتواردة على كلمة واحدة و يتميزبعضها عن بعض فلايشتبه، كالفاعلية والمفعولية وغيرهما، ويحتمل احتمالا بعيداً ان يكون مأخوذاً من عربت معدته بالكسرعرباً، اى فسدت على ان يكون الهمزة للسلب، فيكون بمعنى ازالة الفساد سمى به اخر المعرب لانه يزيل فساد التباس المعانى بعضها ببعض، و الفصيح في اللغة المنطلق اللسان فى القول الذى يعرف جيدالكلام من رديئه، يقال: رجل فصيح ولسان فصيح وقدفصح فصاحة وافصح عن الشيء افصاحاً اذا بينه و كشفه، وكل ناطق فصيح ولاينطق فهو اعجم، وفلان تفصح فى كلامه و تفاصح تكلف الفصاحة.

فقوله: اعربوا احديثنا، اى لاتلحنوا فى اعراب الكلمات، واعطوا الكلمة اعرابها فانا قوم فصحاء وكلامنا فصيح، فاذا الحنتم فيه او اهملتم فى اعرابه، اختلت فصاحته وفات المقصود من رعايته فيكون ظلماً فيه وتفويتا لحقه.

الحديث الرابع عشر
و هوالثانى و الخمسون و المائة

«على بن محمد عن سهل بن زياد، عن احمدبن محمد عن عمربن عبدالعزيز» ابوحفض بن بشار[1] المعروف بالزحل بالزاى و الحاء المهملة، و قال الكشى : و قال محمدبن مسعود: حدثنى عبدالله بن حمدويه البيهقى، قال: سمعت الفضل بن شاذان يقول: زحل ابوحفض يروى المناكير وليس بغال، وقال النجاشى: انه عربى بصرى مخلط له كتاب روى عنه محمدبن عيسى[2]. «عن هشام بن سالم وحمادبن عثمان و غيره قالوا: سمعنا ابا عبدالله عليه السلام يقول: حديثى حديث ابى و حديث ابى

١ــ عمر بن عبدالعزيز بن ابى بشار «كش»

٢ــ عنه احمد بن محمد بن عيسى «جش».

حديث جدى وحديث جدى حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث اميرالمؤمنين وحديث اميرالمؤمنين حديث رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌واله و حديث رسول‌الله صلى‌الله عليه واله قول‌الله عزوجل».

الشرح

ليس المراد بهذا الاتحاد، ان حديث كل من الائمة عليهم‌السلام حديث من سبقه من حيث جوهر اللفظ وخصوصيته مثلا اونوعاً، بل من جهة العلم المندرج فيه، فان علومهم كلهم لدنية مأخوذ من عندالله ـ وسيأتى تحقيق هذا المقام فى مستأنف الكلام عند بيان: كونهم عليهم‌السلام مكلمين محدثين ـ والله ولى الفضل والانعام.

الحديث الخامس عشر
و هوالثالث و الخمسون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن‌محمد، عن محمدبن الحسن‌بن ابى‌خالدشينولة» مجهول «قال: قلت لابى جعفرالثانى عليه‌السلام: جعلت فداك، ان مشايخنارووا عن ابى‌جعفر و ابى‌عبدالله عليهماالسلام وكانت التقية شديدة، فكتموا كتبهم فلم تروعنهم فلما ماتوا صارت الكتب الينا، فقال: حدثوابها فانها حق».

الشرح

معناه واضح وفيه ايضا دليل على صحة الاعتماد على‌الكتب و العمل بما فيها من‌الاحكام ان‌كانت صحيحة[1].

۱ـ قال استاذنا الشعرانى تغمده‌الله برحمته الربانى فى حواشيه على‌كتاب الوافى بهذه العبارة: ربما يظن من هذه الاحاديث انه يجوز العمل بالاخبار المدونة فى كتب الاحاديث و نقلها مطلقا و هو خلاف الاجماع، و مجمل البيان هنا ان الكتاب اما متواتر نظيرالكافى والتهذيب، لان النسخ الموجودة فى‌كل زمان من عهد مؤلفهما الى الان كانت←

باب التقليد

و هو الباب التاسع عشر من كتاب العقل و العلم وفيه ثلاثة احاديث :

الحديث الاول
و هو الرابع و الخمسون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالد، عن عبداللهبن يحيى» يحتمل ان يكون الكاهلی ابومحمد اخو اسحق رويا عن ابیعبدالله و ابی الحسن عليهماالسلام، وكان عبدالله وجيهاً عند ابیالحسن عليهالسلام و وصى بهعلیبن يقطينفقالله: اضمن لـی الكاهلی و عياله اضمن لك الجنة ، فلم يـزل علیبن يقطين يجری لهـم الطعام والدراهم والنفقات حتى مات الكاهلی، ولم اجد ماينافی مدحه «صه» و فـی النجاشی والفهرست: لـهكتاب روی عنه احمدبن محمدبن ابینصر و ابن ابیعمير. «عن ابن مسكان عن ابی بصير عن ابیعبدالله عليهالسلام قال: قلتله: اتخذوا احبارهم و رهبانهم ارباباً من دونالله (التوبة ـ ٣١) ، فقال : اما والله مادعـوهم الى عبادة انفسهم، ولـو

← فیالكثرة بحيث لايتجرء على دس فيها او نقص وتصحيف، وكانت بحيث لوغير شیء منها لعلم بمقابلة سائر النسخ، و كانت العناية شديدة بنقلها و ضبطها، فمثل هـذه الكتب متواترة الا فی كلمات قليلة يختلف النسخ فيها ولايحتاج فيها الیاتصال الاسناد بيننا وبينمؤلفيهما الا تيمناً وتبركا، واما غير المتواتر نظير بعضالنسخ القديمة التی قد يوجد فی المكتبات مثل كتاب سليم بـن قيس و اصل زيـد الـزراد وكتاب تحف العقول والاشعثيات، فان علم بالقرائن انها بخط المصنف او قرأت عليه بالوسائط، جازالعمل بماكان منها جامعا لشرائط العمل، ولايجوز الرواية عنه بلفظ اخبرنی و حدثنی، و يجـوز بلفظ وجدت بخطه او فـی كتابه، و يسمى هذا فی عرف المحدثين بالوجادة، وان لم يعلم يقيناً انـه بخط مصنفه ولا قرأ عليه بلوجد نسخة مخطوطة منسوبة الیبعضالاصحاب فلايعتمد عليه قطعا ولا فیالعمل ولا فیالرواية.

و قال قدس سره فی حواشيه على شرح اصول الكافی: و على هذا فاذا وجدنا حديثاً فی كتاب الكافی مثلا منقولا من كتاب سليم بنقيس ثم وجدنا ذلك الحديث بعينه فـی اصل كتاب سليم بتغيير ما، فالاعتماد علىالكافی لا على النسخة من كتاب سليم، لان الكافی متواتر محفوظ منالتصحيف من عهد مؤلفه الی الان دون نسخة كتاب سليم. انتهى كلامه.

دعوهم ما اجابوهم، ولکن احلوالهم حراماً وحرموا علیهم حلالا فعبدوهم من حیث لایشعرون».

الشرح

یعنی ان ابابصیر سأله(ع) عن معنی قوله تعالی: اتخذوا احبارهم... الآیة فقال علیه السلام: معنی اتخاذهم احبارهم ورهبانهم: ان القوم اطاعوا علمائهم فی احکام تکلیفیة علیهم اخترعوها خلاف احکام الله تعالی علیهم، و من اطاع احداً فیما یأمره به خلاف ما امر الله تعالی له فقد اتخذه رباً وعبده من حیث لایشعر، فهم فی اتباعهم احبارهم و رهبانهم فیما احلوا من حرام و حرموا من حلال افتراءً علی الله، قد اتخذوهم اربابا وعبدوهم من حیث لایشعرون.

وکذلک حال المقلدین و الاتباع لغیر من اخذ علمه من الله بنور الالهام من الاولیاء الکاملین الذین کلامهم قول الله وحکمهم حکم الله.

الحدیث الثانی
و هو الخامس و الخمسون و المائة

«علی بن محمد عن سهل بن زیاد، عن ابراهیم بن محمد الهمدانی» وکیل الناحیة[۱] کان حج اربعین حجة، و روی الکشی فی سند عن ابی محمد الرازی قال: کنت انا و احمد بن ابی عبدالله البرقی بالعسکر فورد علینا رسول من الرجل فقال لنا العامل[۲] ثقة، و ایوب بن نوح و ابراهیم بن محمد الهمدانی ابن حمزة و احمد بن اسحق ثقات

۱ـ الناحیة واحدة النواحی و هی الجانب، و منه ناحیة المسجد و ناحیة السلطان، وقد یعبر عن القائم علیه السلام، ومنه قول بعضهم: کان علی للناحیة خمس مائة دینار.

۲ـ فقال لنا الغائب العلیل ثقة ... الی اخره «کش» والمراد من الرجل ابومحمد الحسن العسکری علیه السلام. و قال الشارح قدس سره فی الحاشیة: و فی بعض النسخ: العامل، بدل العلیل، وفی تعلیقات الشهید الثانی: بخط السید جمال الدین طاووس: العلیل، صریحا، وقال بعض الافاضل: المراد بالعلیل علی بن جعفر الهمانی کأنه کان علیلا.

جميعا «صه». «عن محمدبن ابی‌عبید[1] قال: قال لی ابو الحسن علیه‌السلام: یامحمد انتم اشد تقلیداً ام المرجئة‌قال: قلت: قلدنا وقلدوا، فقال(ع): لم اسألك عن هذا، فلم یکن عندی جواب اکثر من الجواب الاول فقال ابو الحسن علیه‌السلام: ان المرجئة نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه و انتم نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه، فهم اشد منکم تقلیداً».

الشرح

الارجاء علی معنیین: احدهما التأخیر، قالوا ارجه و اخاه (الاعراف ـ ۱۱۱) ای امهله[2]، و الثانی اعطاء الرجاء، و المرجئة هم فرقة من فرق الاسلام یعتقدون ان لایضر مع‌الایمان معصیة کمالا ینفع مع‌الکفر طاعة، و اما تسمیتهم باسم المرجئة باعتبار المعنی الاول فصحیح لانهم کانوا یؤخرون العمل عن‌النیة و الاعتقاد[3]، و اما باعتبار المعنی الثانی فظاهر، فانهم‌کانوا یقولون: لایضر مع‌الایمان معصیة کمالاینفع مع‌ضده ضده[4].

وقیل: الارجاء تأخیرحکم صاحب الکبیرة الی‌یوم القیامة فلایقضی علیهم[5] بحکم ما فی‌الدنیا من کونه من اهل‌الجنة اومن‌اهل‌النار، فعلی‌هذا المرجئة والوعیدیة فرقتان متقابلتان.

وقیل: الارجاء تأخیر علی علیه‌السلام عن الدرجة الاولی الی الرابعة، فعلی هذا المرجئة والشیعة فرقتان متقابلتان.

قال محمدبن عبدالکریم‌الشهرستانی فی کتاب الملل و النحل: المرجئة علی

۱ـ محمد بن عبیدة (الکافی).

۲ـ امهله و اخره «الملل والنحل».

۳ـ القصد «الملل والنحل»

۴ـ لاینفع مع الکفر طاعة «الملل».

۵ـ علیه «الملل».

اصناف اربعة: مرجئة الخوارج ومرجئةالقدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة، ثم شرع فى‌عدالمرجئة الخالصة وعد اصنافها.

قال: ومن ذلك‌اليونسية اصحاب يونس‌النميرى[1] زعموا ان الايمان هوالمعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك الاستكبارعليه و المحبة بالقلب، فمن اجتمعت‌له[2] هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى المعرفة من‌الطاعة فليس من‌الايمان ولايضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك.

قال: ومن ذلك العبيدية، حكى عنهم انهم قالوا: مادون‌الشرك مغفور لامحالة، و ان العبد اذا مات على‌توحيده لم يضره ما اقترف من المعاصى و الاثام و اجترح من‌السيئات. وقالوا ان علم‌الله لم يزل شىء غيره، و ان كلامه لم يزل شىء غيره، و كذلك[3] دين الله لم يزل غيره[4]، وزعموا ان‌الله على‌صورة انسان وحملوا عليه قوله صلى‌الله عليه واله: ان‌الله خلق ادم على‌صورة الرحمن.

ومنها الغسانية اصحاب غسان الكوفى ، زعم ان الايمان هوالمعرفة بالله تعالى و رسوله والاقرار بما انزل‌الله[5] مماجاء به‌الرسول صلى‌الله عليه واله فى‌الجملة دون التفسير[6].

فلوقال قائل: اعلم ان‌الله قدحرم اكل‌الخنزير ولا ادرى هل‌الخنزير المحرم هذه[7] الشاة ام غيرها كان مؤمنا، ولو قال اعلم: ان‌الله تعالى فرض‌الحج الى الكعبة غيرانى‌لاادرى اين الكعبة ولعلهاكانت بالهند كان‌مؤمنا، ومقصوده ان هذه[8] الاعتقادات

۱ــ يونس‌بن السمرى «الملل»
۲ــ فيه «الملل».
۳ــ كذلك «الملل».
۴ــ شىء غيره «الملل»
۵ــ انزل‌الله به «الملل».
۶ــ التفصيل «الملل».
۷ــ هل الخنزير الذى حرمه هذه «الملل».
۸ــ ان امثال هذه «الملل»

امور وراء الایمان لانه کان شاکاً فی‌هذه الامور، ومن‌العجب ان غسان کـان یحکی عن ابی‌حنیفة مثل مذهبه ویعده من‌المرجئة. انتهی کلام الشهرستانی.

و انما نقلنا کیفیة مذهبهم و ارائهم الباطلة لیظهراتم ظهور صدق کلامه علیه ـ السلام: ان‌المرجئة اشد تقلیداً لائمتهم من‌الشیعة لائمتهم‌علیهم‌السلام، لانهم‌قلدوا من‌لم یفرض علیهم تقلیده وقلدوه فی‌اعتقادات فاسدة، وانهم قلدوه علی‌الجد من غیراهمال، بخلاف قوم لهم امام مفترض الطاعة یأمرهم باحکام یـوافق احکام‌الله یجب تقلیده فیها ثم لم یقلدوا احیاناً، فاولئك اشد تقلیداً من هؤلاء.

لکن السبب فـی‌ذلك ان ائمة المرجئة یدعون‌الناس بالدعة و الـراحة و ائمة الحق یدعونهم بالتکلیف والمشقة، فتقلیدهم اهون علی طباع‌الناس، فلهذا کان مقلدوا ائمة الضلال اشد تقلیداً من مقلدی ائمة الحق علیهم‌السلام.

الحدیث الثالث
و هوالسادس و الخمسون و المائة

«محمدبن اسمعیل عن‌الفضل‌بن شاذان، عن[1] ربعی‌بن عبدالله، عن‌ابی‌بصیرعن ابی‌عبدالله علیه‌السلام فی‌قول‌الله عزوجل: اتخذوا احبارهـم و رهبانهم ارباباً من دون الله، فقال: والله ماصاموالهم ولاصلوالهم ولکن احلوالهم حراماً وحرموا علیهم حلالا فاتبعوهم».

الشرح

معناه‌کمامر و قـوله علیه‌السلام: ماصاموالهم ولاصلوا لهم، ای مـاصاموا ولا صلوا قصداً لعبادتهم و عبودیتهم وطاعتهم، لکن اتبعوهم فـی‌خلاف امرالله تعالی به واطاعوهم فی مالم یحکم به‌الله عزوجل، فهم قد عبدوا دون‌الله من‌حیث لایشعرون.

۱ـ عن حمادبن عیسی عن ربعی... (الکافی).

باب البدع و الرأى و المقائيس

و هو الباب العشرون من كتاب العقل والعلم وفيه اثنا وعشرون حديثا:

الحديث الاول

و هو السابع و الخمسون و المائة

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على بن الوشاء وعدة من اصحابنا، عن احمدبن محمد عن ابن فضال جميعا عن عاصم بن حميد، عن محمدبن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام قال: خطب امير المؤمنين عليه السلام فقال: ايها الناس انما بدأ وقوع الفتن اهواء تتبع و احكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله، يتولى[۱] فيها رجال رجالا، فلو ان الباطل خلص[۲] لم يخف على ذى حجى، ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهناك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

الشرح

الفتن جمع الفتنة وهى فى الاصل الامتحان و الاختبار، ويستعمل بمعنى البلاء و المصيبة و بمعنى الضلال ايضا، وقدكثرت الاستعاذة من فتنة الدجال و فتنة القبر و فتنة المحيا والممات، والفاتن المضل وفتان بالفتح هو الشيطان، لانه يفتن الناس عن الدين وهو من ابنية المبالغة فى الفتنة وقوله تعالى: ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات (البروج ـ ۱۰)، قال الحسن: فتنوهم بالنار، اى امتحنوهم وعذبوهم.

و الاهواء جمع الهوى و هو مصدر هوى بالكسر يهوى اذا احب و اشتهاه، ثم سمى به المهوى المشتهى محموداً كان او مذموماً ثم غلب على غير المحمود فقيل:

۱ـ و يتولى «نهج».

۲ـ خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان، فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجوا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. «نهج»

فلان اتبع هواه اذا اريد بهذمه، وفی التنزيل: ولاتتبع ، الهوی (ص -۲۶)، ولاتتبعوا اهواء قوم(المائدة - ۷۷)، ومنه فلان من اهل الاهواء، وهومن زاغ عن الطريقة المثلی من اهل القبلة کالحشوية و الجبرية و النواصب و الغلاة و غيرها ، و المراد ههنا مـن الاهواء الاراء الزائغة.

و البدعة الحدث في الدين بعد الاکمال، هی اسم من ابتدع الامر اذا ابتدأه و احدثه کالرفعة من الارتفاع ثم غلبت علی ماهو زيادة فی الدين او نقصان منه، و اکثر مايستعمل المبتدع فی العرف فی الذم، و منه کل محدثة بدعة ای ماخالف اصول الشريعة ولايوافق السنة.

و التولی من الولی و هو القرب والدنو، وتولی عنه ای اعرض عنه وتـولاه ای تبعه واحبه، والحجی العقل وفلان ذی حجی وحجی بذلک، والضغث قبضة من الحشيش والشماريخ[1] وفی التنزيل: خذبيدک ضغثا (ص -۴۴)، قيل انـه کان حزمة[2] من الاسل و هو[3] نبات له اغصان دقاق و لاورق لها؛ والحوذ السوق السريع وقدحذت الابل احوذها حوذاً و استحوذ عليه الشيطان غلب.

ذکر عليه السلام اولا ان مبدأ کل فتنة وقعت فی الاسلام اوفی سائر الاديان هوی متبع و بـدعة يخالف فيها کتاب الله وسنة نبيه يتبع فيها جماعة من الجهال رجـلا او رجالا، وذلک لان المقصود من بعثة الرسل و وضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق فی امر معاشهم ومعادهم، فکان کل رأی ابتدع اوهوی اتبع خارجاً عن کتاب الله وسنة رسوله سبباً لوقوع الفتنة وتفرق النظام فی هذا العالم، وذلک کاهواء البغاة و الخوارج ونحوها.

ثم بين ان کل باطل و کذب مالم يکن فيه شبه حق وصدق لم يقبله ذوعقل، کما

۱- الشمروخ: ج- شماريخ: العذق عليه بسر اوعنب - غصن دقيق رخص ينبت فی اعلی الغصن الغليظ.

۲- الحزمة من الحطب و غيره.

۳- ای: الاسل.

ان كل مزيف كاسد مالم يكن مغشوشاً بنقد رائج لم يصر رائجا فى سوق ذوى الابصار، لان الباطل الصرف لاحظ له فى الوجود ولايقع فى توهم ذى حجى الا اذا اقترن بشبه الحق، ولاالكذب المحض مما يصدق به ذوعقل الا اذا امتزج بالصدق، فلوخاص الباطل عن لبس الحق لم يشتبه على عاقل، ولو تجرد الحق عن مخالطة الباطل اذعنه الكل ولم يوجد فيه اختلاف بين الناس ولم يكن للشيطان سبيل.

لكن الدنيا دار اشتباك بين النور و الظلمة و امتزاج بين الحق و الباطل، وكذا فى الاقوال والاراء من الاولياء والبعداء، فاذا اخذ من اقوال الانبياء و الاولياء الناهجين للهدى عليهم السلام ضغثاً، ومن اقوال البعداء المضلين المتبعين للهوى ضغثاً، فيتمزجان و يتشابكان فيجيئان معاً فعند ذلك يقع للشيطان بهواجسه و وساوسه فرصة ومجال، و يستحوذ على اوليائه بالاغواء و الاضلال فيقع فى شبكته ممن حق عليهم القول بانهم لايؤمنون وهم فى النار خالدون، ونجا الذين سبقت لهم العناية بالحسنى وهم عنها مبعدون.

الحديث الثانى

و هوالثامن والخمسون و المائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمدبن جمهور العمى يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: اذا ظهرت البدع فى امتى فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

الشرح

هذا حديث متفق عليه ومعناه واضح.

الحديث الثالث

و هوالتاسع و الخمسون و المائة

«وبهذا الاسناد عن محمدبن جمهور رفعه قال: من اتى ذا بدعة فعظمه فانما

يسعى فى‌هدم الاسلام».

الشرح

لان الاسلام انما يقوم بالعقائد الحقة الثابتة فى‌نفوس المؤمنين العارفين بالله و اياته و احكامه، و الذى يقوله المبتدع من عند نفسه وهواه من العقائد الباطلة و الاراء الفاسدة التى يناقض عقائد الاسلام، و المناقض للشیء هادم له، فهذا المبتدع ببدعه و اهوائه يريدهدم قواعـد الاسلام ونقض ابنية الـدين المتين، فمن اتاه وعظمه و وقره فقد سعى فى‌خراب الدين وهدم الاسلام و ان لم يشعر بذلك لجهله بحقيقةالامر.

الحديث الرابع
و هوالستون و المائة

«وبهذا الاسناد عن‌محمدبن جمهور رفعه‌قال: قال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: ابى‌الله لصاحب البدعة بـالتوبة، قيل: يا رسول‌الله وكيف ذلك؟ قـال: قد اشرب قلبه حبها».

الشرح

اشرب فـى‌قلبه حب كـذا بصيغة المجهول اى خـالطه ومنه قـولـه تعالـى: و اشربوا فى قلوبهم العجل (البقرة ـ ٩٣)، يعنى ان‌الله تعالى لايوفق صاحب البدعة للتوبة، ولماسأل صلى‌الله عليه واله عن كيفية ذلـك ومنشأه قال: لان قلب المبتدع مما خالطه حب البدعة وزين الشيطان الاستبداد بالـرأى فى نظره، سيما اذا اتبعه جمع و صدقوة ببدعته فلايمكنه الـرجوع عنها و الانخراط فى سلك سائر الناس من احـاد المسلمين، اذ لايبقى عند ذلك رئاسة و تميز عن‌الاشباه و الامثال ولاتفوق عليهم، وقد اعتاد بذلك فقد صعب عليه ترك البدعة، اذ العادة الراسخة طبيعة ثانية.

الحديث الخامس
و هو الواحد والستون والمائة

«محمدبن يحيى، عن احمدبن محمد[1] عن الحسن بن محبوب، عن معوية بن وهب قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: ان عند كل بدعة تكون مـن بعدى يكادبها الايمان ولياً من اهل بيتى مـوكلا به يذب عنه، ينطق بالهام من الله ويعلن بـه الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عـن الضعفاء، فاعتبروا يا اولى الابصار و توكلوا على الله».

الشرح

قوله صلى الله عليه واله: يكادبها الايمان، على صيغة المجهول من الكيد وهو المكر والجملة صفة بعد صفة لبدعة اى بدعة يمكر بها الايمان، ويحتمل ان يكون حالا للمستكن فى تكون، و وليا اسم ان قـدم عليه خبره للظرفية، وقوله صلى الله عليه واله: مـن اهل بيتى، صفة لـولياً وكذا موكـلا به صفة اخرى و كـذا الجمل الفعلية الخبرية صفات متعاقبة له.

اعلم انه كان من دأب الرحمة الالهية والعناية الربانية ان لايهمل امراً ضـروريا فى باب الدين، و ان لايعطل حكماً من احكام سياسة الخلق اجمعين، كيف وقد كونهم اولا فى دار الدنيا وهى دار الظلمة والدثور و الشرور و الفناء لانسياقهم الى دار الرحمة و السناء و النور و الخير و البقاء، فـلابد من هدايتهم الى سبيل الهدى وردعهم عن طريق الضلالة و الردى، ولاجل ذلك بعث الانبياء المؤيدين بالـوحى و المعجزات صلواته عليهم لتمهيد قواعد الدين وتشييد اركان عقائد المسلمين و المجاهدة والمحاربة مع الجحدة الكافرين المجاهرين بالكفر و الجحود و العصيان وقطع دبـر الظالمين المعلنين بـالظلم والعدوان، فقطع دابـر القوم الذين ظلموا و الحمدلله رب العالمين (الانعام ـ ۴۵).

---

[1] ـ محمد بن عيسى (الكافى).

و كذلك نصب الاولياء المؤيدين بالالهام و الكرامات لدفع حيل المنافقين ورد كيد الكائدين، و الذب عن الايمان بحل عقدهم الفاسدة و ازالة شبههم المضلة، و قمع اهوائهم المغوية وتنوير قلوب المؤمنين باعلان الحق و اعلام الصدق، و كشف حقائق الدين و اسرار اليقين و كشف الغطاء عن منهج المتقين.

ولذلك كان قتال المشركين الى النبى صلى الله عليه و اله وقتال المنافقين الى على عليه السلام، وعن هذا شبهه بعيسى عليه السلام وقال: لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا، وقال صلى الله عليه و اله: فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل، فعلم التأويل وقتال المنافقين و مكالمة الجن ظهر منه عليه السلام دون الرسول صلى الله عليه و اله، اذ حكمة الرسالة اقتضت ذلك.

وقوله صلى الله عليه و اله: يعبر عن الضعفاء ، كلام مستأنف للتنبيه على ان ذلك الولى لقوة علمه و برهانه يدحض حجج المبتدعين المضلين نيابة عن الضعفاء، لانه فى الحقيقة لسانهم المعبر عنهم بمايحتاجون اليه من الكلام فى دفع البدعة عنهم، والا وهم لايقدرون على ذلك لقصور حالهم وضعف حجتهم ومقالهم.

و اما قوله عليه السلام: فاعتبروا يا اولى الابصار وتوكلوا على الله، ففيه امر لاهل البصيرة بالاعتبار وهو العبور من الظاهر الى الباطن، و الاستدلال بالشهادة على الغيب لينكشف عليهم الحال، ويدفع بذلك عنهم بدع اهل الضلال، ولايمكن ذلك الابافاضة نور من الله على قلوبهم فلذلك وقع الامر بالتوكل عليه تعالى بعد الامر بالاعتبار، فان مجرد الفكر و النظر لايجدى نفعا الابهدى من الله وهو نور من انوار الله به يرى الاشياء كماهى.

و يحتمل ان يكون هذه العبارة من كلام الصادق عليه السلام فوقع الامر منه عليه السلام لشيعته و اصحابه بالاعتبار و التوكل ليعلموا حقيقة ما قاله النبى صلى الله عليه و اله فى حال ولى كل زمان ليعرفوا ولى زمانهم ويتكلوا عليه فيماهداهم به وامرهم ومانهاهم عنه و زجرهم، اذ التوكل على ولى الله توكل على الله.

الحدیث السادس
وهوالثانی والستون والمائة

«محمدبن یحیی عن بعض اصحابه، وعلی‌بن ابراهیم [عن ابیه] عن هارون بن مسلم» کوفی ثقة، له‌کتاب روی عنه علی‌بن‌یعقوب الهاشمی کما فی‌النجاشی، وحسن بن علی‌بن فضال کما فی‌الفهرست[1]. «عن مسعدةبن صدقة» قـال الشیخ رحمه‌الله: انه عامی وقال‌بتری، وفی‌الفهرست: له‌کتاب روی‌عنه هرون‌بن مسلم، وفی‌النجاشی: ابن صدقةالعبدی ابومحمد قاله ابن فضال، وقیل ابوبشر روی عن ابی‌عبدالله وابی‌الحسن علیهماالسلام لـه‌کتب روی عنه هرون‌بن مسلم. «عن ابـی‌عبدالله علیه‌السلام وعلی‌بن ابـراهیم عن ابیه، عن ابن محبوب رفعه عـن امیرالمؤمنین علیه‌السلام انه قـال: ان ابغض‌الخلق الی‌الله عزوجل لرجلین رجل وکله‌الله الی نفسه فهوجائر عن‌قصدالسبیل، مشغوف[2] بکلام بدعة، قدلهج بالصوم والصلوة، فهوفتنة لمن افتتن به‌ضال عن هـدی من‌کان قبله، مضل‌لمن‌اقتدی به فی‌حیوته وبعد موته حمال خطایا غیره رهن‌بخطیئته، و رجل قمش جهلا فی‌جهال الناس‌عان باغباش الفتنة قدسماه اشباه‌الناس عالماً[3]، ولم

۱ــ هذا بیان‌حال مروان‌بن مسلم کما فی‌الفهرست والنجاشی، واما بیان حال‌هارون‌ـ بن مسلم فی‌النجاشی: هوهارون‌بن مسلم بن سعدان الکاتب السرمن رائی، کان نزلها واصله الانبار یکنی اباالقاسم ثقة وجه وکان‌له مذهب فی‌الجبر والتشبیه لقی ابامحمد واباالحسن علیهماالسلام، له‌کتب ومسائل لابی‌الحسن الثالث علیه‌السلام، اخبرنـا الحسین‌بن عبیدالله قال حدثنا احمد بن محمد قال حـدثنا اسعد عـن هارون بها. و قال الشیخ فی‌الفهرست: هارون‌بن مسلم، له روایات عن رجال‌الصادق علیه‌السلام، ذکرذالك ابن بطة عن ابی‌عبدالله محمدبن ابی‌القاسم عنه واخبرنا ابن ابی‌جید عن‌ابن‌الولید، عن عبدالله بن جعفر الحمیری عنه. وعده الشیخ فی رجاله من اصحاب العسکری علیه‌السلام، ثم قال الاصل‌کوفی تحول الی‌البصرة ثم الی بغداد ومات بها.

۲ــ مشعوف (الکافی).

۳ــ والفرق بین‌الرجلین قیل: اما الرجل‌الاول فهو الضال فی‌اصول‌العقائدکالمشبهة و المجبرة ونحوهما، و اما الرجل الثانی فهوالمتفقه فی‌فروغ الشرعیات و لیس‌باهل‌لذالك کفقهاء السوء.

يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ماقل منه خير مما كثر، حتى اذا ارتوى من اجن و اكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ماضياً[1] ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، و ان خالف قاضياً سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتی بعده كفعله بمن كان قبله، و ان نزلت احدى المبهات المعضلات هيألها حشواً من رأيه ثم قطع[2] فهو من لبس الشبهاب فی مثل غزل العنكبوت لايدرى اصاب ام اخطأ، لايحسب العلم فی شیءٍ مما انكر ولايرى ان وراء مابلغ فيه مذهباً، ان قاس شيئا بشیء لم يكذب نظره و ان اظلم عليه امرا كتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكی لايقال له لايعلم ثم جسر فقضی، فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات، لايعتذر ممالايعلم فيسلم ولايعض فی العلم بضرس قاطع فيغنم، يذری الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكی منه المواريث و تصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لاملیءٍ باصدار ما عليه وردولاهو اهل لمامنه فرط من ادعائه علم الحق»[3].

الشرح

قوله عليه السلام: ان من ابغض الخلق الی الله عزوجل لرجلين، من للتبعيض ای من جملة من ابغضهم الله تعالی رجلان، و المراد بهما صنفان من الناس لاشخصان بعينهما، احدهما المفتی فی دين الله بغير حق والثانی القاضی بين الناس علی غير هدی وكلاهما من اهل النار، و انما صارا من ابغض الخلائق عنده تعالی لان شرهما متعد لكونهما من اصناف العلماء، شرهما من باب العقائد الباطلة والبدع و الاهواءِ.

ولايوجد من افراد البشر من يكون ابغض الخلق اليه تعالی الامن كان شره من باب البدع و الأراء و الاهواء، لانه فساد فی العلم والدين فهو اكثر و اقوی شراً من غيره من الكفار والفجار، لان شر كل ظالم شر فی الدنيا وشرهذا شر فی الدين.

۱ـ قاضيا ضامنا (الكافی)
۲ـ قطع به (الكافی).
۳ـ نهج البلاغة: الخطبة ۱۶ مع اختلاف.

و ايضاً شر كل ظالم و ان تعدى الى غيره لم يتعد الاالى الموجودين فى زمانه، وشرور امثال هؤلاء من اهل البدع و الاهواء قدتسرى الى يوم القيامة كرؤساء النواصب و الخوارج و المجبرة و غيرهم من المبتدعة، فقد انتشرت ظلمات اهوائهم وشرور بدعهم و كفرهم فى نفوس طائفة وبقيت على وجه الارض الى الان.

قوله عليه السلام: رجل وكله الله الى نفسه، اى جعل توكله عليها دونه لكونه ممن اتخذ الهه هواه واضله الله على علم، وقال فى امثاله: اعملوا ماشئتم (فصلت ـ ۴۰)، و ذلك لسبق افعالهم القبيحة و نياتهم السيئة وجزاء بماكانوا يكسبون من الاستبداد بالرأى والعمل بالمقائيس الفقهية وترك اتباع اهل الحق.

قوله عليه السلام: فهو جائر عن قصدالسبيل، اى مائل عن صراط الحق وطريق العدل المتوسط بين الافراط والتفريط، لكونه فى جانب الافراط بالجربزة والمكر مع الله.

مشغوف، بالغين المعجمة، بكلام بدعة، اى شغفه حب كلام البدعة اى بلغ شغافه وهوغلاف القلب وهوجلده كالحجاب، ومنه قوله تعالى: قدشغفها حبا (يوسف ـ ۳۰) قال ابن عباس: دخل حبه تحت الشغاف، و بغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهو عند معلق النياط[1].

قدلهج بالصوم والصلوة، ليقال انه من اهل الدين و الجملة يحتمل ان يكون صفة لكلام بدعة باضمار عائد اليه، واللهج بالشىء الولوع به من باب لبس، و هو ان يغرى به فيثابر[2] عليه.

فهو فتنة لمن افتتن به، اى مضل لمن اقتدى به بذهاب عقله و دينه، ضال عن هدى من كان قبله، لانه لاغتراره بنفسه لايقنع بتقليد من سبقه من المشايخ والمعلمين و يريد ان يستقل بفكره ويستبد برأيه مع غاية قصوره وجهله و قلة عقله وسفاهته، كما حكى الله من امثاله بقوله تعالى: و اذا قيل لهم امنوا كما امن الناس (البقرة ـ ۱۳)... الاية.

۱ـ النياط عرق علق به القلب من الوتين، فاذا قطع مات صاحبه.

۲ـ المثابرة على الامر: المواظبة عليه.

مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعدموته، وهذا ما ذكرناه من قبل ان شر مثله مما يتعدى الى الذى بعده، و لاجل ذلك يحمل وزرمن كان بعده ايضاً و اليه اشاربقوله عليه السلام: حمال خطايا غيره، اى وبالها وعقابها فى القيامة، رهن بخطيئته، اى مرهون مقيد بتبعات خطيئته وجهله من حجب الملكات الرديئة واغشية الهيئات النفسانية.

تكملة استبصارية

اعلم انه عليه السلام قد ذكر لكل من هذين الرجلين اوصافا عديدة ناشئة عن باطنه، فذكر من خصائل هذا الرجل ثمانية امور.

الاول انه وكله الله الى نفسه، والتوكل مأخوذ من الوكالة، يقال: فلان وكل امره الى فلان اذا فوضه اليه و اعتمد عليه، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده.

اذا عرفت ذلك فنقول : كل من اعتقد بان نفسه اواحداً دون الله ممن له تأثير و قدرة و تمكن من الفعل و انه تام القدرة فى تحصيل مراده، فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض من الله على قلبه صورة الاعتماد على المتوكل عليه و المعتقد له وذلك معنى قوله عليه السلام: وكله الله الى نفسه، وكذلك معنى الوكول الى الدنيا و ذلك بحسب اعتقاد الانسان الى المال والقنيات الدنيوية وافية بمطالبه مغنية له عما ورائها، فبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون شدة حجابه عن الله و بغضه تعالى اياه ورقة حجابه ومحبته تعالى له.

وعن رسول الله صلى الله عليه واله: من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها.

وصورة التوكل عليه تعالى: ان يثبت فى نفسك بكشف اوبرهان ان استناد جميع الاسباب و المسببات اليه سبحانه و انه الفاعل المطلق والغنى الحق تام القوة والقدرة و الرحمة والعطوفة والعناية و الرأفة بخلقه، ولم يقع فى نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك، فان لم تجد من نفسك هذه الحال فلضعف ايمانك ويقينك او

غلبة الوهم على النفس فى معارضة ذلك اليقين، وبحسب ضعف ذلـك الاعتقاد وقوته يكون تفاوت درجات التوكل عليه وبحسبها منازل القرب و البعد منه.

الثانى كونه جائراً عن قصد السبيل، و هو لازم من الاول، لان من وثق على نفسه ومن شأن النفس الخطاء و الوقوع فى الهوى، فيضل عن الطريق.

الثالث كونه مشغوفا بكلام بـدعة، اى معجبا بما يخطر له و يبتدعه مـن الكلام الذى لااصل له فى الدين ويدعو الناس الى الضلالة والجور عن القصد، وهذا لازم عما قبله، فان من ضل عـن الطريق وجار فهو يعتقدانه على سواء السبيل فيكون مشعوفا بما يبتدعه ويخترعه فهو كما قال الله تعالى : قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الكهف ـ ۱۰۴ـ۱۰۳).

الرابع كونه فتنة لمن افتتن به، وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث، لان محبة القول الباطل و الدعوة اليه سبب لكونه فتنة لمن اتبعه.

الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله، وهذا الوصف كالثانى، فان الضال عن الهدى جـائرعن قصد السبيل، الا ان ههنا زيادة خصوصية، اذ الجائر عـن القصد يتصور ان لايكون له هدى يتبعه، والموصوف ههنا جائـر وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه، و هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والـه و اعـلام الهداة الحاملون لدينه الناطقون عن مشكوة النبوة.

السادس كونه مضلا لمن اقتدى به فى حيوته وبعد وفاته، وهذا الوصف مسبب عما قبله. اذ ضلال الانسان سبب لاضلاله غيره، ويفهم منه مايفهم من الرابع مع زيادة، فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اقتدى به، و اما الزيادة فكون ذلـك الاضلال فى حيوته وبعد موته لبقاء الاعتقادات الباطلة المكتسبة عنه فهى سبب ضلال الضالين بعده.

السابع كونه حمال خطايا غيره، وهو لازم عـن السادس، فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله اياهم.

الثامن كـونه رهنا بخطيئته، اى موثوق بها عن الصعود الى عـالم الملكوت و الجنان وحضرة جلال الله الرحمن، والى هذين الوصفين اشار القران الكريـم بقوله:

لیحملوا اوزارهم کاملة یوم القیامة ومن اوزار الذین یضلونهم بغیرعلم، الاساء مایزرون (النحل ـ ۲۵)، ـ و قـد مـر فی الحدیث الستین مـا فی هذا المقام مـن التحقیق و التبیین ـ .

واما الرجل الثانی فعدمن خصاله السیئة وعاداته القبیحة نحواً من ستة وعشرین وصفاً ومیزه بها:

اولها قوله علیه السلام: و رجل قمش جهلا، و القمش و التقمیش جمع الشیء المتفرق من ههنا وههنا ویقال للمجموع قماش، وقماش البیت متاعه، اشارة الـی ان ما تلقفه من الجهالات اخذه من افواه الناس من هذا شیئا ومن هذا شیئا.

وثانیها کونه فی جهال الناس وعبارة نهج البلاغة مـوضعها فی جهال الامة، ای مطرح من جملة الارذال لیس من اشراف الناس.

وثالثها انه عان باغباش الفتنة، ای اسیربظلمات الفتنة، فان الاغباش جمع غبش بالتحریك البقیة من اللیل ویقال ظلمة اخر اللیل، وفی روایة نهج البلاغة غارای غـافل فی ظلمات الخصومات، وفی اخری عادای ساع فی الظلمات.

و رابعها انه قدسماه اشباه الناس عالماً، انما اراد باشباه الناس العوام والجهال لما حققناه فی کتبنا العقلیة مـن ان نفوس اکثر الناس لیست نـاطقة مجردة عقلیة، بل نفوسهم نفوس خیالیة من شأنها ان تصیر عقلا ومعقولا باکتساب العلوم النظریة العقلیة، و الانسان الحقیقی من له جوهر عاقل بالفعل، ونفوس سائرالناس کالهیولی بالنسبة الی ذلك الجوهر العقلی الصوری، وهو نوریفیض من الله علیها اعنی الروح الاضافی الذی هومن امر الله، لکن تلك النفوس الخیالیة ایضاً مع ذلك غیر قائمة بـالبدن بل مجردة عن عالم الطبیعة، و لهذا تصیر محشورة فی المعاد، والتحقیق فی ذلك مما یؤدی الی الاطناب ولیس ههنا موضع بیانه

فان قلت: ای ذنب له فی ان یسمیه العوام عالما؟

قلنا: کل الذنب والشقاء قد انبعث له من هذا، فانه شبه نفسه بالعلماء فی اللباس و الهیئة و الزی و التکلم بکلامهم لیقال انه عالـم مـع افلاسه عن حقیقة العلم، فصار

فتنة لنفسه ولغيره.

و خامسها انه ولم يغن فيه يوما سالما، هوبالغين المعجمة، قال ابن الاثير فـی النهاية: وفی‌حديث علی علیه‌السلام: سماه[1] الناس عالماً ولم يغن فی‌العلم يوماً سالماً، ای لم يلبث فی‌العلم[2] يوماً تاماً من قولك: غنيت بالمكان اغنی، اذا اقمت‌به.

وسادسها انه بكرفاستكثر مـن جمع ماقل منه خير مماكثر، معناه انه و ان لم يصرف يـوماً فی‌طلب‌العلم ولكن خرج من اول‌الصباح فـی‌كسب الدنيا، يقال بكر بالصلوةای‌صلاها فی‌اول وقتها، ويحتمل[3] ان‌يكون قوله بكر وقع صفة موضحة لقوله سالماً مرتبطا بما قبله، و المراد انه لم يصرف فی‌طلب‌العلم يوماً بتمامه بـان يبكر فی طلبه لاشتغاله بسائر امور الدنيا وشهواتها فاستكثر ماقل منه خير مماكثر، ای جمع و استكثر من اسباب الدنيا و متاعها ماقليل منه خير من‌كثيره، و الكلام يحتاج فيه الی اضمار، ای‌استكثر الذی ماقل منه خير مماكثر، وذلك علی‌فرض ان لوجمعه من وجه الحل، فكيف اذا استكثر من‌الحرام‌كالرشوة ومال اليتيم وغيرهما؟ و يحتمل ان‌يكون المراد منه علمه الذی جمعه و استكثر منه و هوالانسب بمابعده.

و سابعها كونه ممن ارتوی من اجن، كما فی‌قوله: حتی اذا ارتوی من اجن يقال: رويت من‌الماء وارتويت وترويت كلها بمعنی واحد، و الاجن من اجـن‌الماء اذا تغير طعمه ولونه، وقيل: تغيرت رائحته من‌العدم، و قيل: غشيه الطحلب[4] والورق فهواجن، شبه علیه‌السلام‌علمه الباطل‌بالماء المتعفن كما يشبه‌العلم الحق بالماء الطهور استعارة بالكناية و الاستكثار منه بالارتواء من ذلك‌الماء العفن تـرشيحاً، ولايخفی ما فی‌هذه الاستعارة من‌الحسن عنداهل البصيرة.

۱ــ رجلا سماه‌الناس «النهاية».

۲ــ فی‌اخذالعلم «النهاية».

۳ــ احتمالا بعيدا. كذا فی‌الاصل فی‌الحاشية.

۴ــ الطحلب خضرة تعلوالماء المزمن، و قيل هــوالــذی يكون علی‌الماء كأنه نسج العنكبوت .

وثامنها انه اكثر من غير طائل، النسخ ههنا مختلفة: ففي‌بعضها اكتنز على‌وزن افتعل من‌الكنز، يقال: كنز المال اى جمعه و اكتنزالشيء اجتمع، و فـي‌بعضها اكثر من‌الكثرة و هو المطابق لما فى رواية نهج‌البلاغة، وفي‌بعضها اكنز مـن‌الكنز و هذا لايوافق اللغة، و الاول يقدر فيه الفاعل والعائد اى اكتنزله مال من غير غنى ومـزية، يقال هذا الامر لاطائل فيه اذا لم يكن فيه غنى ومزية، ويحتمل ان يكون كلامه عليهـ السلام واقعاً على طريقة لف ونشربان يكون قوله: قمش جهلا الى قوله سالماً، اشارة الى علم هذا الرجل، وقوله: بكر فاستكثر ماقل منه خير مماكثر، اشارة الـى ماله، و يكون قوله: حتى اذا ارتوى من‌اجن، ناظراً الى الاول، وقوله: و اكثر من غيرطائل، ناظراً الى الثانى.

و تاسعها: جلس بين‌الناس، جواب لاذا، قاضياً ماضياً، اى حاكما نافذاً حكمه ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، لما الـزم على‌نفسه من عدم السكوت فى جواب مسألة ولا الاعتراف بالقصور والجهل لمضادته لماتوهمه من‌المنصب الجليل والجاه الرفيع.

وعاشرها كونه: ان‌نزلت به‌احدى المبهمات، من‌المسائل والوقائع المعضلات اى المشكلات كقسمة المواريث و المناسخات و غيرهـا، هيألها، اى اعـدلبيانها و التفصى عن اعضالها، حشواً من رأيه، وفى رواية حشواً رثاً من رأيه يقال: عنده متاع رث، اى خلق بال، ثم قطع، اى جزم فيما قاله من حشورأيه ولايبالى.

وحادى‌عشرها انه: من لبس‌الشبهات فى‌مثل غزل‌العنكبوت، اى انه من وقوعه فى‌الشبهات الملتبسة الـواردة عليه كوقوع الذباب و نحوه فـى‌مثل نسج العنكبوت لايمكنه التخلص عنها.

وثانى عشرها انه: لايدرى اصاب ام اخطأ فيما حكم وقضى.

وثالث عشرها انه: لايحسب العلم فـى شيء مما انكر، ولـم يعرفه لزعمه ان المجهول عنده مجهول لغيره ايضاً، ولايـرى ان وراء مابلـغ فيه بفهمه الناقص و ذهنه القاصر مذهباً صحيحا.

و رابع عشرها کونه: ان قاس شیئا بشیء، بقیاسه الفاسد، لم یکذب نظره، بل اصرعلیه ولایرجع عنه و ان نبهه احد علی خطائه خوفاً عن ظهور جهله علی الناس، و لذلک عقب بقوله علیه السلام.

وخامس عشرها انه: ان اظلم علیه امـرا کتتم به، ای اخفاه عن غیره ولم یسأل احد حتی یستفید منه وجه الصواب فی ذلک الامر لما یعلم من جهل نفسه وقصور طبعه عن فهم المرام حین افاده غیره له لکی لایقال له لایعلم شیئا و ان کان واضحا فی نفسه اومستوضحا.

و سادس عشرها کـونه جاسراً فی الـدین اوحاسراً و هوقوله: ثـم جسر، ای تجاسر مع ذلک فی امر القضاء فقضی، وفی بعض النسخ حسر بالحاء المهملة ای کل بصره و انقطع نظره عن الاصابة فی الحکم ثم یقضی مع ذلک.

وسابع عشرها ماقـال: فهو مفتاح عشوات، ای باعثها ومنشأهـا، و العشوات الظلمات تشبیهاً للشبهة بالظلمة، وفی بعض الروایات: خباط عشوات، و هو باضمار فی، ای یخبط فی ظلام الشبهات و الالتباسات کالذی یمشی فـی اللیل بلامصباح فیتحیر و یضل و ربما یردی فی بئر اوسقط علی سبع، قال ابن الاثیر فیه[1]: احمدوا الله الذی رفع عنکم العشوة ، یرید ظلمة الکفروهی بالضم و الکسر و الفتح الامـر الملتبس، و ان یرکب امریء الجهل[2] لایعرف وجهه مأخوذ من عشوة اللیل وهوظلمته و یجمع علی عشوات.

وثامن عشرها انه: رکاب شبهات، من قولهم: فلان یـرکب الجهل، اذارکب امراً بجهالة.

وتاسع عشرها انه: خباط جهالات، الخبط الضرب علی غیر استواءٍ و قدخبط البعیر الارض بیده خبطاً ضربها و خبطت الشجر خبطاً ضربتها بالعصا لیسقط ورقها و منه خبط عشواء، و فی الدعاءِ: و اعوذبک ان یتخبطنی الشیطان، ای یصرعنی و یلعب

۱ــ ای فی الحدیث.

۲ــ کلما رکب الانسان امراً بجهل لایبصر وجهه «النهایة».

بى ومنه لاتخبطوا خبط الجمل، و هو كقولهم: يخبط فلان فى عمياء.

عشرينها انه: لايعتذر ممالايعلم فليسلم، فان الاعتراف بالجهل سلامة الدنيا و الاخرة وهواحدالعلمين و لهذا قيل: لاادرى نصف العلم، وفى الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة قائمة ولاادرى.

و الواحدو العشرون : لايعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم ، كناية عن قصور حظه فى باب العلم تشبيهاً للعلم بالطعام لانه غذاء الروح ولكلال القوة النظرية للرجل وقصورها عن درك المعقولات بضرس[1] غير قاطع للغذاء، والحاصل من الفقرتين انه لايعترف بالجهل ليسلم عن الافة ولاله بضاعة فى العلم ليكون على بصيرة فيماهو بصدده.

و الثانى والعشرون انه يذرى الروايات، ذروالريح الهشيم، ذرته الريح واذرته تذروه و تذريه اذا طارت به، ومنه ان رجلا قال لاولاده: اذا مت فاحرقونى ثم ذرونى فى الريح، والهشيم من النبات اليابس المنكسر قال تعالى: هشيما تذروه الرياح (الكهف ـ ٤٥)، اى يسرد الروايات كماتنسف الريح هشيم النبت، اى ينقلها من غير اتساق ونظام وعلى غير مواقعها.

و الثالث و العشرون انه تبكى منه المواريث، اى اهل المواريث للجور الذى وقع منه فى قسمتها، ويحتمل المجاز العقلى فى نسبة البكاء الى الميراث مبالغة على سبيل التمثيل والتخييل كما وقع فى جانب النفى قوله تعالى: فما بكت عليهم السماء و الارض (الدخان ـ ٢٩)، وكذلك مايروى عن ابن عباس : اذامات المؤمن بكى عليه مصلاه و اثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء، وعلى هذا القياس قوله عليه السلام: ويصرح منه الدماء، فى الاحتمالين المذكورين.

و الرابع والعشرون انه: يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال، اما لخطائه فى الفتوى وجهله اولسهوه فى موضع الحكم لعدم تيقظه واحتياطه اولوقوع ذلك منه عمداً لرشوة اومراعاة سلطان اوغير ذلك.

والخامس والعشرون ما اشاراليه بقوله: لاملىء باصدار ما عليه ورد، ملاء الاناء

١ـ اى تشبيها .

مایملاءه ویسعه، وفی الدعاء: الحمدلله مـلاءالسموات والارض، هذا تمثیل لان الکلام لایسع الاماکن و المراد کثرة عدده، یعنی لوقدران یکون کلمات الحمداجساما لبلغت من کثرتها ان تملاءِ، و الملیء بالهمزة الثقة الغنی، ای لیس له من العلم و الثقة قدر ما یمکنه ان یصدر عنه انحلال ماورد علیه من الاشکالات و الشبهات.

و السادس والعشرون ما اشار بقوله علیه السلام: و لاهو اهل لما منه فـرط من ادعائه علم الحق، ای لیس هومن اهل العلم بالحقیقة کما یدعیه لمافرط منه.

واعلم ان المروی منه علیه السلام فی کتاب نهج البلاغة انه بعدان خص الرجلین المذکورین باوصافهما اردف ذلک بالتنفرعنهما علی الاجمال بمایعمها وغیرهما من سائر الجهال و الضلال من التشکی الی الله و البرائة عنهم و ذلک قـوله: الی الله اشکو من معشر یعیشون جهالا و یموتـون ضلالا، لیس فیهم سلعة ابورمن الکتاب اذاتلی حـق تلاوته[1]، ولاانفق سلعة واغلی ثمناً من الکتاب اذاحرف عن مواضعه، ولاعندهم انکرمن المعروف ولااعرف من المنکر. انتهی کلامه علیه السلام.

ای: اذافسر الکتاب و حمل علی المعنی الذی هوحقیقة معناه وعلی الوجه الذی اعتقدوه فاسداً واطرحوه بجهلم عن درجة الاعتبار، و اذا صرف عن مواضعه ومقاصده الاصلیة علی وفق اغراضهم وحسب مقاصدهم شروه باغلی ثمن واعلی قیمة وکان من انفق السلع بینهم، و وجه المشابهة فی استعارة لفظ السلعة و غیرهـا ظاهر، ومنشأ کل ذلک و اصله هوالجهل ، و کذلک لیس عندهم انکر من المعروف لمخالفة اغراضهم ودواعیهم ولااعرف من المنکر لموافقته ایاها، وکل میسر لما خلق له، و من الله العصمة والتوفیق.

الحدیث السابع
و هوالثالث والستون والمائة

«الحسین بن محمد عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی الوشاءِ، عن ابان بن

۱ــ ولا سلعة انفق بیعاً ولا اغلی ثمناً «نهج».

عثمان عن ابى‌شيبة الخراسانى»، مجهول. «قال سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول: ان اصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم يزدهم المقائيس من الحق الا بعداً، و ان دين‌الله لايصاب بالمقائيس».

الشرح

العلم عبارة عن معرفة الحقائق الكلية اما بطريق المشاهدة العقلية كماهو مسلك الانبياء و الاولياء صلوات‌الله عليهم، اوبطريق الحدود و البراهين كماهو منهج الحكماء و النظار، و هذا القياس كماسبق عبارة عن معرفة جزئى من الجزئيات بمعرفة جـزئى لجامع مشترك بينهما، فهوليس بعلم فى‌عـرف الاولياء والحكماء، وانما يسمى علماً باصطلاح اخر اعنى مطلق‌الصورة الذهنية، وانما يوجب الاشتغال‌بهذه المقائيس بعداً عن الحق، لان صاحبه محتجب بها عن درك الحق مشغول القلب فيها بمايخالف منهج الدين معدول به عن‌مسلك اليقين، ولذا قال: دين‌الله لايصاب بالمقائيس.

هذا مع مايلزمه مـن‌العيوب الباطنية و الافات النفسانية التى قل من ينفك عنه من‌الخائضين فى‌استعمال الاقيسة الفقهية، و استنباط الفروع الدقيقة و الفتاوى الغريبة بهامن محبة الجاه و المباهاة و المفاخرة، والعجب و الكبر وطلب التفوق على‌الاقران بالمجادلة و المناظرة و الميل‌الى‌الشهرة و الجاه وتقرب السلاطين، وليست هذه‌الافات فى‌العلوم الحقيقية الباطنية لعدم اطلاع الناس عليها، ولافـى‌العلوم النقلية الصرفة من حفظ الاحاديث و الروايات، اذ لايحصل بمجرده قـوة المناظرة و ملكة المجادلات الكلامية و المراوغات البحثية ليظهربها التفوق بالعلم عندالعامة.

و بالجملة الافة كل الافة و الشركل الشر فـى رجل جاهل القلب عليم اللسان لاستعماله المقائيس الفقهية و المجادلات الكلامية، و لهذا وقـع‌المنع الشديد مـن استعمالها فى‌هذه الاحـاديث المتوالية المروية عن اهـل بيت العصمة سلام‌الله عليهم اجمعين.

الحديث الثامن
و هوالرابع والستون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، ومحمدبن اسمعيل عن الفضل بن شاذان رفعه عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليهما السلام قال كل بدعة ضلالة و كل ضلالة سبيلها الى النار».

الشرح

معناه واضح كماسبق.

الحديث التاسع
و هوالخامس و الستون و المائة

«على بن ابراهيم عن[1] ابن ابى عمير، عن محمدبن حكيم قال: قلت لابى الحسن موسى عليه السلام جعلت فداك، فقهنا فى الدين و اغنانا الله بكم عن الناس، حتى ان الجماعة منا لتكون فى المجلس مايسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله علينا بكم، فربما ورد علينا الشىء لم يأتنا فيه عنك ولاعن ابائك شىء، فنظرنا الى احسن ما يحضرنا و اوفق الاشياء لماجاءنا عنكم فنأخذ به، فقال: هيهات هيهات فى ذلك، والله هلك من هلك يابن حكيم، قال: ثم قال: لعن الله ابا حنيفة كان يقول: قال على وقلت، قال محمدبن حكيم لهشام بن الحكم: والله ما اردت الا ان يرخص لى فى القياس».

الشرح

قوله، فقهنا فى الدين، اى صرنا فقهاء فى الدين وهو اما بصيغة الماضى المعلوم من الثلاثى اوبصيغة المجهول من باب التفعيل وفى دعاء رسول الله صلى الله عليه واله فى حق على عليه السلام: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل، اى فهمه، والفقه فى الاصل

۱ــ عن ابيه (الكافى).

الفهم يقال: فقه الرجل بالكسر يفقه فقهاً اذا فهم و علم وفقه يفقه بالضم اذا صار فقيها عالماً، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة ثم خصصها بعلم الفروع منها.

وقوله: حتى ان الجماعة منا لتكون في المجلس مايسأل رجل صاحبه، يحتمل ان يكون قوله لتكون في المجلس خبر «ان» وقوله: يسأل رجل صاحبه صفة للمجلس باضمار عائداليه مثل كلمة فيه، اويكون جملة حالية عن المستكن في تكون ومازائدة اوموصولة.

وقوله: تحضره المسألة و جوابها خبر مبتدأ محذوف اى واحد من الجماعة[1]، وحاصل المعنى: انه اذا اتفق ان يكون احدنا واقعاً في مجلس يسأل احد صاحبه مسألة فانه يحضر عنده اصل تلك المسألة وجوابها لقوة فقاهته و استحضاره لكل مسألة يتداول بين الناس.

وقوله: فربما ورد علينا الشيء، هذا ابتداء كلامه في غرضه الذى هو الرخصة في القياس.

و قوله: فنظرنا الى احسن مايحضرنا واوفق الاشياء لماجاءنا فنأخذبه، هذا اشارة الى استعمال القياس، اى قديورد علينا شيء ليس فيه نص من كتاب ولاسنة مما جاء ناعنكم حتى نأخذبه، ولكن نجد ما هو موافق لماجاء ناعنكم اشد موافقه و احسنه فنأخذ به، و هذا عين القياس الفقهي.

و قوله: احسن ما يحضرنا و اوفق، اشارة الى ان جهة الاشتراك وهي الجامع بين الاصل وما يتفرع عليه، امر مناسب لهما متقرر، لاكاشتراك في اللفظ اوفي معنى عام يعمها وسائر الاشياء اوفي عرض عام لنوعهما وغير نوعهما او في جنس بعيد لهما.

ولما استشعر عليه انه يريدالرخصة في القياس قال: هيهات هيهات، تأكيداً للمنع عنه بايراد كلمة التبعيد مكرراً، و هيهات مبنية على الفتح ، وناس يكسرونها، وقد تبدل الهاء الاولى همزة فيقال: ايهات، ومن فتح وقف بالتاء ومن كسر وقف بالهاء.

قوله: في ذلك، اى في استعمال القياس والله هلك من هلك يابن حكيم، جعل النهي عنه مؤكداً بهذا الخبر، وما اكتفى في صدقه مع كونه صادراً عن الذى لايحتمل

---

[1] - اى واحد من الجماعة تحضره المسألة و يحضره جوابها .

فی‌حقه الکذب لعصمته عن الخطاء، حتی جعله مقرونا بالقسم زیادة فی التأکید.

ومنه یستفاد ان اهل العذاب الدائم منحصر فی هذا الصنف من المنتسبین الی العلم، لان ابلیس الذی هو رئیس الضالین المضلین ماصنع شیئا الا القیاس والاستکبار، و هؤلاءِ اتبعوه فی الامرین، فان صاحب البدعة یلزمه الافتخار و الاستکبار کمالایخفی علی من له بصیرة.

وقد ظهر ایضاً مماسبق من الکلام. وقول ابی‌حنیفة لعنه‌الله قال علی (ع) وقلت، معناه انه جعل قول امیر المؤمنین علیه‌السلام فی‌حکم من الاحکام اصلا وقاس علیه‌حکماً اخر یوافقه اویناسبه وبذلك استحق البعد عن‌الله وعن دار رحمته و کرامته.

الحدیث العاشر
و هوالسادس و الستون والمائة

«محمدبن ابی‌عبدالله رفعه عن یونس‌بن‌عبدالرحمن قال: قلت لابی‌الحسن الاول علیه‌السلام بما اوحـدالله[1]؟ فقال: یا یونس لاتکونن مبتدعاً من نظر بـرأیه هلك، ومن ترك اهل‌بیت نبیه صلی‌الله علیه واله ضل ومن ترك کتاب الله وقول نبیه کفر».

الشرح

قوله: بما اوحد؟ ای بما استدل علی توحیدالله و مایستحقه من النعوت الالهیة، لعل یونس اراد ان یترخص فی القیاس فنهاه علیه‌السلام عن ذلك علی الخصوص، ثم ذکر الحکم الکلی العام فقال: من نظر برأیه فقد هلك... الی اخره، ای من استعمل القیاس فی معرفةالله ونظر فی احکام‌الله برأیه فهومن الهالکین، ومن ترك اهل النبوة علیهم السلام بالاخذ منهم و الاستفادة من اقوالهم و اثارهم فهومن الضالین، ومن ترك کتاب الله فهو من الکافرین.

والفرق بین الهالك و الکافر ههنا ان المراد بالاول ماهوبحسب الباطن و بالثانی

1ـ الله عزوجل. النسخة البدل فی الاصل للشارح.

ماهو فی‌ظاهر الامر، فان من ترك كتاب الله مهجوراً كما فی‌قوله تعالی حكاية عن نبيه صلی‌الله عليه واله: يارب ان قومی اتخذوا هـذا القران مهجوراً (الفرقان_ ۳۰)، فهو معدود من الكفار.

الحديث الحادی عشر
وهوالسابع و الستون و المائة

«محمدبن يحيی عن احمدبن محمد، عن الوشاء عن مثنی‌الحناط، عن‌ابی‌بصير قال: قلت لابـی عبدالله عليه‌السلام تـرد علينا اشياء ليس[1] نعرفها فی كتاب‌الله ولاسنة فننظر فيها؟ قال: لا، اما انك ان اصبت لم‌توجر وان اخطأت كذبت علی‌الله[2]».

الشرح

قوله فننظر فيها، الضمير فی فيها راجع الی‌الاشياء الواردة التی‌ليست‌مذكورة فـی كتاب الله ولاسنة، و الفاء للتفريع، ای لمالم نعرف لها دليل من‌الكتاب و السنة فهل يجوز لنا ان ننظر فی‌تلك‌الاشياءِ بان نقيسها علی‌حكم اخر مذكور فی‌احدهما؟

وقوله عليه‌السلام: ان اصبت لم توجر، لايخلو عن اشكال بحسب الظاهر، فان المعلوم من كلامهم عليهم‌السلام غـاية التشديد فی‌امر القياس و الزجـر عنه و المذمة لصاحبه وتوجيه اللعن عليه، لكن‌الوجه فيه انه لوفرض انساناً استعمل دليلا غير تام و اصاب به‌مطلوبا دينياً يمكن ان يوجر عليه و ان اختل بعض مقدمات دليله اوكلها.

واما عنداستعمال‌القياس واصابة المطلوب‌الشرعی به‌فلااثم‌لازم لنفس‌الاستعمال والاجر غير ثابت فـی‌تلك الاصابة ولومن جهة نفس‌الاصابة لحصولها بسبب‌القياس، ففی‌الصورة الاولی‌الاجـر ثابت لاصابـة المطلوب من حيث نفس الاصـابة بخلاف الصورة الثانية التی ليست فيها جهة من‌الثواب اصلا، لان صاحب هذه الاصابة‌لايعلم

۱_ لانعرفها. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

۲_ علی‌الله عزوجل (الكافی).

من جهة القياس انه مصيب ام لا؟ و ليس له ان يعمل بموجبه.

اذ القياس ليس بدليل حتى يصح العمل بمؤداه، فلا يوجر صاحبه اصلا بوجه من الوجوه وعليه وزر استعمال القياس سواء اصاب او اخطأ، فاذا أخطأ كان له وزران: وزر الكذب على الله و وزر استعمال القياس.

الحديث الثانی عشر
و هو الثامن والستون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى، عن علی بن الحكم عن عمر بن ابان الكلبی، عن عبدالرحيم القصير» كأنه ابن روح من اصحاب الباقر عليه السلام، و ربما يأتی فی طريق الاحاديث عبدالرحيم بن عتيك القصير يروی عن الصادق عليه السلام. فتدبر. «عن ابی عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلی الله عليه و اله: كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فی النار».

الشرح

قدمر مثله ولكن المذكور هناك: وكل ضلالة سبيلها الی النار، و المذكور ههنا: و كل ضلالة فی النار، ولعل النكتة ههنا الاشارة الی ان النار التی ستبرز يوم القيامة وتطلع على الافئدة موجودة الان لكنها كامنة خابية، فكل ضلالة وانحراف عن الصراط المستقيم الذی قيل انه على متن جهنم يوجب الوقوع فی الحميم كما فی قوله تعالی: ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون (المؤمنون ـ ۷۴)، يسحبون فی الحميم ثم فی النار يسجرون (غافر ـ۷۱ و۷۲).

الحديث الثالث عشر
و هو التاسع والستون والمائة

«علی بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبدالرحمن عن

سماعة بن مهران» عبدالرحمن الحضرمی مولی عبدبن وابل[1] بن حجر الحضرمی یکنی ابا ناشرة وقیل ابامحمد، روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام مات بالمدینة ثقة ثقة، وکان واقفیا «صه».

وقال النجاشی: ذکر محمد[2] بن الحسین رحمه الله: انه وجد فی بعض الکتب انه مات سنة خمس و اربعین ومائة فی حیوة ابی عبدالله علیه السلام، و ذلك ان ابا عبدالله علیه السلام قال له: ان رجعت لم ترجع الینا، فاقام عنده فمات فی تلك السنة وکان عمره نحوابن[3] ستین سنة، ولست اعلم کیف هذه الحکایة؟ لان سماعة روی عن ابی الحسن وهذه الحکایة تتضمن انه مات فی حیوة ابی عبدالله علیه السلام، له کتاب روی عنه عثمان بن عیسی. «عن ابی الحسن موسی علیه السلام قال: قلت اصلحك الله انا نجتمع فنتذاکر ماعندنا فلایرد علینا شیء الا وعندنا فیه شیء مسطر، و ذلك مما انعم الله به علینا بکم، ثم یردعلینا الشیء الصغیر لیس عندنا فیه شیء فننظر[4] بعضنا الی بعض وعندنا مایشبهه فنقیس علی احسنه، فقال: وما لکم والقیاس[5]، انما هلك من هلك من قبلکم بالقیاس ثم قال: اذا جاءکم ما تعلمون فقولوا به و ان جاءکم ما لاتعلمون فها ــ و اهوی بیده الی فیه ــ ثم قال: لعن الله ابا حنیفة کان یقول: قال علی وقلت انا و قالت الصحابة وقلت، ثم قال: اکنت تجلس الیه؟ فقلت: لا، ولکن هذا کلامه، فقلت: اصلحك الله اتی رسول الله[6] بما یکتفون به فی عهده؟ قال: نعم وما یحتاجون الیه الی یوم القیامة، فقلت: فضاع من ذلك شیء؟ فقال: لا هو عند اهله».

۱ــ وائل «جش ــ جامع الرواة».
۲ــ احمدبن حسین «جش ــ جامع الرواة».
۳ــ نحواً من «جش ــ جامع الرواة».
۴ــ فینظر (الکافی).
۵ــ وللقیاس (الکافی).
۶ــ رسول الله صلی الله علیه واله الناس (الکافی).

الشرح

قوله: اصلحك‌الله ، دعاء له عليه‌السلام فى صلاح حاله فى امر دنياه و امامته و ارشاده المخلق، و قوله: فلا يرد علينا شىء اى من‌الامور العظيمة والاحكام الجليلة التى هى‌العمدة بدليل قوله: ثم يرد علينا الشىء الصغير.

وقوله: الا و عندنا شىء مسطر، اى مكتوب فى‌الصحف عندنا، اى كلما سمعنا منكم كتبناه و ضبطناه، ويحتمل ان يكون المراد منه استثباته فى لوح‌الضمير وصحيفة الخاطر.

و قوله: ثم يرد علينا الشىء الصغير ليس عندنا فيه شىء ، اى ليس عندنـا فيه نص من القران والحديث.

وقوله: وعندنا ما يشبهه، اى ما يشبهه هذا الامرالذى عندنا فيه شىء من‌الكتاب والسنة، يعنى ان‌الامرالجامع بين‌الاصل الموجودالثابت بالنص وبين‌الذى ليس‌بثابت بنص هوالشباهة.

و قوله: فنقيس على احسنه، اى على احسن ما عندنا من‌الامـور و اشبهها بهذا الفرع، اى المقاس عليه اشبه الامور بهذا الامر المقيس الذى قسناه عليه .

وقوله عليه‌السلام: و ما لكم والقياس، استفهام على سبيل الانكار، اى وما الذى جمعكم والقياس و حملكم على فعل القياس؟

وقوله عليه‌السلام: انما هلك‌من هلك‌من قبلكم بالقياس، يحتمل ان‌يكون اشارة الى ابليس فانه اول من قاس و انما هلك بسببه.

وقوله اذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به... الى اخره ، اى اذا ورد عليكم شىء مما تسئلون عنه وتستفتون فيه فان علمتموه فقولوا به وافتوا كما علمتموه وان‌لم‌تعلموه فاسئلوا عنى لقوله تعالى: فاسئلوا اهل‌الذكر ان‌كنتم لاتعلمون (النحل ـ ۴۳)، و الى هذا المعنى اشار بقوله: فها، مهوياً بيده الى فيه، و «ها» حرف تنبيه و اشارة، والمنبه بها المشاراليه قديكون امراً ملفوظاً كما تقول: هاانتم هؤلاء، وقد يكون امراً موجوداً يشاراليه بنحو حـركة او فعل عندالتلفظ بحرف التنبيه كما فعله عليه‌السلام ههنا حيث

حرك يده الى فيه، يقال: اهوى بيده الى الشيء ليأخذه، اى مدها نحوه و امالها اليه ، و باقى الفاظ الحديث واضحة لاخفاء فيها.

الحديث الرابع عشر
و هو السبعون والمائة

«عنه عن محمد عن يونس عن ابان عن ابى‌شيبة» الفزارى من اصحاب الصادق عليه‌السلام[١] «قال : سمعت اباعبدالله عليه‌السلام يقول: ضل علم ابن شبرمة عندالجامعة املاء رسول‌الله صلى‌الله عليه واله وخط على‌عليه‌السلام بيده، ان‌الجامعة لم تدع لاحد كلاماً، فيها علم‌الحلال والحرام ، ان اصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من‌الحق الا بعداً[٢] و ان دين‌الله لايصاب بالقياس».

الشرح

قوله: ضل علم ابن شبرمة، اى‌ضاع وهلك، يقال: قد تضل‌البراة[٣] عنه، اى‌يضل المكتوب، وابن شبرمة الضبى‌الكوفى كان قاضياً على سواد الكوفة لابى جعفر[٤] ولعله يعمل بالقياس، اى هلك و بطل علمه و اضمحل فى جنب كتاب الجامعة.

ثم وصف ذلك الكتاب باوصاف ثلاثة: الاول انه املاء رسول‌الله صلى‌الله عليه واله، والثانى انه كتابة على عليه‌السلام وخطه، الثالث انه مشتمل على جميع‌الاحكام الشرعية الفرعية و فيها علم‌الحلال والحرام الذى وقع او سيقع الى يوم‌القيامة فلم يدع لاحد كلاماً الا ويكون مثبتاً فيه، و سيجىء فى الاحاديث الاتية ذكر كتابى الجفر والجامعة.

١ـ ابوشيبة الفزارى من اصحاب الباقر عليه‌السلام «رجال الشيخ».

٢ـ ان دين‌الله (الكافى)

٣ـ البرائة تحرير ذمة شخص قبلك فى دعوى اوعين.

٤ـ اى: المنصور الدوانيقى.

وماروى ابوبصير عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام انه قال: عندنا الجامعة[1] قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول‌الله صلى‌الله عليه واله و املائه من فلق[2] فيه و خط على بيمينه، فيها كل حلال و حرام و كل شىء يحتاج اليه[3] حتى الارش فى‌الخدش، وباقى الفاظ الحديث قد مر بيانه.

الحديث الخامس عشر
و هوالواحد والسبعون والمائة

«محمدبن اسمعيل عن‌الفضل‌بن شاذان، عن‌صفوان‌بن يحيى عن‌عبدالرحمن‌بن الحجاج، عن ابان بن تغلب عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال : ان‌السنة لاتقاس، الا ترى ان المرأة تقضى صومها ولا تقضى صلوتها؟ يا ابان ان‌السنة اذا قيست محق‌الدين».

الشرح

محقه محقاً ابطله و محاه، والمحق النقصان و ذهاب البركة، و قيل: ان يذهب الشىءكله حتى لايرى منه اثر، و منه قوله تعالى: يمحق‌الله الربا (البقرة ــ ۲۷۶)، اى يستأصله، افاد عليه‌السلام ان‌السنة لاتقاس، اى الاحكام الشرعية لاتعلم بالقياس ، و نبه عليه‌السلام بان القياس لوكان صحيحاً فى باب السنة والشريعة لاقتضى ان تقضى‌المرأة صلوتها كما تقضى صومها، فان‌العقول البشرية لاتجد الفرق بينهما فى وجوب القضاءِ و عدمه.

ثم افاد ان السنة اذا قيست اى استعمل فيها القياس لادى ذلك الى انمحاق نورالدين و استئصال بناءالشريعة، لان‌كل احد يرى بعقله او بهواه مناسبة و شبهاً بين الشىء و ما يقيس عليه فيحكم عليه بحكمه، وهكذا يحكم على‌كل شىء باحكام شىء

۱ــ وما يدريهم ما الجامعة؟ (الكافى).
۲ــ هو بالكسر والفتح، اى: من شق فيه.
۳ــ يحتاج‌الناس اليه (الكافى).

اخرفيبطل الدين بالكلية، اذ ما من شيء من الممكنات الا وبينه وبين شيء اخرمجانسة او مشاركة فی کم او کیف او نسبة، فاذا قيس بعض منها الى بعض فی الاحكام الشرعية صار الحلال حراما والحرام حلالا لم يبق شيء من الدين .

الحديث السادس عشر
و هو الثانی و السبعون و المائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمد عن عثمان بن عیسی قال: سألت اباالحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال: ما لكم والقياس ان الله لايسأل كيف احل وكيف حرم».

الشرح

يعنی ان الله تعالی قد احل لعباده اشياء وحرم عليهم اشياء حسب مايراها بمقتضى علمه وعنايته مصلحة لهم، والعقول البشرية قبل ان تكتحل بنور الولاية والمعرفة عاجزة عن البلوغ الى درك اللمية و معرفة الكيفية فيما احل او حرم ، فليس لهم الا السمع والطاعة والانقياد والتسليم دون السؤال عن كيفية احلال ما احل الله او تحريم ما حرم ، كما ليس لاحد ان يسأله تعالى عما يفعل لقوله تعالى: لايسأل عما يفعل وهم يسألون (الانبياء ــ ٢٣).

فظهر ان القياس فی احكام الله تعالى باطل كما فی افعاله، وليس يلزم من ذلك ان لاداعی ولا مرجح فی الاحكام والافعال كما زعمه الاشاعرة و من يحذوحذوهم من المتكلمين، بل ما من ممكن فعلا كان او قولا اوحكماً الاوله غاية وحكمة، نعم! الفعل المطلق اوالذی لاواسطة بينه و بين الفاعل الاول الحق لا غاية له غير ذاته تعالى لانه لاغاية له اصلا، فذاته تعالى كما انه مبدأ كل شيء مجعول فكذلك غاية كل شيء مصنوع.

الحديث السابع عشر
و هو الثالث والسبعون و المائة

«علی بن ابراهيم عن هرون بن مسلم» بن سعدان الاصل کوفی تحول الی البصرة ثم تحول الی بغداد ومات بها، من اصحاب العسکری عليه السلام والکاتب السر من ـ رأی کان ينزلها، واصله الانبار و يکنی ابا القاسم، ثقة وجه و کان لـه مذهب فی الجبر والتشبيه لقی ابامحمد وابا الحسن عليهما السلام. «عن مسعدة بن صدقة قال: حدثنی جعفر عن ابيه ان عليا عليه السلام قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره فی التباس، و من دان الله بالرأی لم يزل دهره فی ارتماس، قال: وقال ابو جعفر عليه السلام: من افتی الناس برأيـه فقد دان الله بما لايعلم، ومن دان الله بما لايعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لايعلم».

الشرح

نصب الشیء اقامته و رفعه، والدهر هو الزمان کله او الزمـان الطويـل والمراد ههنا مدة عمر الانسان، والارتماس فی الماء ونحوه کالانغماس، و منه انه کره للصائم ان يرتمس، و قيل: الارتماس ان لايطيل اللبث فی الماء والاغتماس ان يطيل اللبث فيه، و منه ما روی عن الشعبی: يکتحل الصائم و يرتمس ولا يغتمس.

يعنی ان من اقام نفسه لان يحکم بالقياس کان جميع عمره فی التباس، لماعلمت ان القياس لايفيد علماً فمن افتی بالقياس کان يلتبس عليه کل حکم استخرجـه بالقياس بما هو يخالفه او يضاده، ثم من دان الله بالرأی، ای عمل بما ادی اليه الرأی والقياس کان تمام عمره فی ارتماس فی الهوی و انغماس فی الشهوات، فالاول و هـو الالتباس بين الحق والباطل، حاله بحسب العلم، والثانی وهو الارتماس فی بحر الظلمات والانغماس فی مهوی الشهوات والتباعد عن الحق ودار الحيوة، حاله بحسب العمل به.

و اما قول ابی جعفر عليه السلام فهو قياس مرکب من موجبتين کليتين علی هيئة الضرب الاول من الشکل [الاول] ينتج موجبة کلية هی مفاد قولنا: کل من افتی الناس

برأيه فقد ضادالله، فاذا جعل هذا القول صغری وضم اليه قولنا: وكل من ضادالله كافر ملعون، ينتج: كل من افتى الناس برأيه فهو كافر ملعون.

اما بيان صغرى القياس الاول و هى قوله عليه السلام : من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لايعلم، لما علمت مراراً ان القياس ليس مما يفيد علماً ولاظناً قوياً فمن دان به دان الله بما لايعلم.

واما بيان كبراه و هى قوله عليه السلام: ومن دان الله بما لايعلم فقد ضادالله، فهو ما اشار عليه السلام بقوله: حيث احل وحرم فيما لايعلم، يعنى ان من دان بما لايعلم لم يدن بدين الله بل دان بهوى نفسه، لانه احل اشياء وحرم اشياء ولا يعلم ان حلاله حلال احله الله ولا ان حرامه حرام حرمه الله، فاذا دان به فلاشك انه اتبع هوى نفسه ولم يتبع امر الله و رسوله، وكل من لم يتبع الله ولا رسوله واتبع هواه فقد ضادالله .

الحديث الثامن عشر
و هو الرابع و السبعون و المائة

«محمدبن يحيى عن احمدبن محمد، عن الحسن بن على بن يقطين، عن الحسين بن مياح» المدائنى روى عن ابيه قال ابن الغضائرى: انه ضعيف غـال «صه» «عن ابيه عن ابى عبدالله عليه السلام قال: ان ابليس قاس نفسه بادم فقال: خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ ۱۲) ، ولوقاس الجوهر الذى خلق الله منه ادم بـالنار كان ذلـك اكثر نوراً وضياء من النار».

الشرح

اعلم ان الانسان مركب من جوهرين: احدهما ظاهره وعلنه والاخر باطنه وسره، اما ظاهره فهو هذا البدن المحلول المركب من عناصر متضادة الصفات والاحوال المتخالفة الطبائع والاحياز متداعية الذوات الى الانفكاك، لكن الغالب منها فيه هى الارض والماء اعنى الطين و هو جوهر مظلم اخس الجواهر المظلمة، و اما باطنه فهو جوهر نورانى

علوى من عالم الامر فائض على هذا البدن بامر الله وقوله: كن فيكون (البقرة ـ ۱۱۷)، و هو مستور عن الحواس غير متدنس بالارجاس و الادناس و انكره اكثر الناس وهم النازلون فى مهوى الحيوانات و منزل الدواب و لم يحصل لهم هذا الجوهر العقلى ولم يجعل الله لهم هذا النور، فهم بعد فى ظلمة الوهم مترددون لما بينا فى كتبنا البرهانية: ان جمهور الناس نفوسهم حيوانية خيالية ، و هذا الجوهر الربانى والنور العقلى انما يوجد فى اهل الكمال العلمى من الذين خرجت نفوسهم بالعلم والعمل من حد القوة الى الفعل و من حدود النفوس الى حد العقل و من الظلمات الى النور.

فاذا علمت هذه المقدمات فاعلم: انه عليه السلام اراد ان يشير الى ان ابليس لكونه لم يتجاوز درجة نفسه من حد الوهم المشوب بالحس الى حد العقل الخالص ، ولم يرمن حقيقة ادم الا البدن المظلم المخلوق من الطين، فقاس نفسه النارية المخلوقة من النار فقال اللعين: انا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين (الاعراف ـ ۱۲) ، والنار خير من الطين، فانا خير من ادم، هذا نتيجة قياسه المغالطى الفاسد، ومنشأ غلطه وجوه :

احدها انه عليه اللعنة اخذ ما بالقوة مكان ما بالفعل، فان الانسان انسان بما به موجود بالفعل لا بما به موجود بالقوة، فالبدن المخلوق من الطين هو انسان بالقوة لانه حامل القوة الاستعدادية لحدوث ما به يصير انسانا بالفعل.

و ثانيها انه اخذ مادة الشىء مكان صورته، فالانسان انسان بصورته لا بمادته وكذا كل موجود مركب من مادة وصورة، فالسرير سرير بصورته السريرية لا بمادته الخشبية، والسيف سيف بحدته الموجبة للقطع لا بحديده، وعلى هذا القياس.

و ثالثها انه اخذ ما ليس بعلة علة، فان علة كرامة ادم و استحقاقه لمسجودية الملائكة ليست لاجل جسده المخلوق من الطين بل انما هما لاجل روحه الذى هو سر من اسرار الله ونور من انواره، او لاجل جامعيته لجميع ما هو متفرق فى عالمى الملك والملكوت ومظهريته لجميع الاسماء الالهية و هى المشار اليها بقوله تعالى: وعلم ادم الاسماء كلها (البقرة ـ ۳۱).

فقوله عليه‌السلام: فلوقاس الجوهر الذى خلق... الى اخره، اشارة الى ان ابليس مع كونه خالف امرالله المنصوص عليه بالقياس وذلك غيرجائز بوجه من الوجوه كما علمت غير مرة، فقد غلط وخبط فيما صنعه من قياسه حيث لم يستعمله فى موقعه، لانه قاس نفسه بجسد ادم وجسد ادم ليس بادم فقاس نفسه بغير ما هومأمور بسجدته، فليس قياسه واقعا فى مقابلة مادل عليه النص فلا يصلح للمعارضة به، فلو قاس الجوهر القدسى الذى خلق الله منه ادم ـ لان صورته التمامية وغايته الكمالية بالجوهر النارى الذى هو نفسه الخسيسة الشريرة ـ ظهر عليه انذلك الجوهر اكثر نوراً اواتم ضياء من كل نار، بل لانسبة بين النور العقلى المعنوى وغيره من انوار الحسية كنور الشمس والقمر و غيرهما من الكواكب فضلا من نور النار الذى يضمحل فى ضوء النهار.

الحديث التاسع عشر
و هو الخامس و السبعون و المائة

«على بن ابراهيم عن محمدبن عيسى بن عبيد، عن يونس عن حريز، عن زرارة قال: سألت اباعبدالله عليه‌السلام عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد حلال ابداً الى يوم القيامة و حرامه حرام ابداً الى يوم القيامة، لايكون غيره ولا يجىء غيره، و قال: قال على عليه‌السلام: ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنة».

الشرح

هذا بحسب الظاهر يدل على ان لانسخ فى الحديث.

والجواب: ان المراد ان الذى بقى عنه صلى‌الله عليه واله من غير نسخ منه مستمر الى يوم القيامة لايعارضه شىء ولا يبطله قياس.

وقوله عليه‌السلام: لايجىء غيره، معناه ان كل مايحتاج اليه الناس الى يوم القيامة فهو ثابت فى الكتاب والسنة فلا يحدث شىء من الاحكام لم يكن فى احدهما.

فظهر مما ذكره ان القياس باطل لانه ان كان مطابقا لما فى السنة فوجوده لغو اذ

هو کعدمه، و ان کان مخالفا للسنة فهو باطل بالضرورة فالقیاس باطل، وبهذا یعلم‌حقیقة ما قاله امیرالمؤمنین علیه‌السلام: ما احد ابتدع بدعة الا ترک بها سنة، اذ لو لم تکن مخالفة للسنة لم تکن بدعة، و حیث کانت مخالفة مناقضة لها کان یلزم من اتیانها ترک سنة هی فی مقابلها.

الحدیث العشرون
و هو السادس والسبعون و المائة

«علی‌بن ابراهیم عن ابیه، عن احمدبن عبدالله العقیلی، عن عیسی‌بن عبدالله القرشی قال: دخل ابوحنیفة علی ابی‌عبدالله علیه‌السلام فقال‌له : یا اباحنیفة بلغنی انک تقیس؟ قال: نعم، قال: لاتقس فان اول من قاس ابلیس حین‌قال: خلقتنی من‌نار وخلقته من طین (الاعراف ـ ۱۲)، فقاس مابین‌النار والطین، ولوقاس نوریة ادم بنوریة النار عرف فضل مابین‌النورین وصفاء احدهما علی‌الاخر».

الشرح

معناه کما مر، واعلم ان ابلیس انما لم یقس نوریة ادم علیه‌السلام بنوریة ناره، ای نفسه التی [هی] شرر من نار قهرالله و غضبه التی تسعر بهاالجحیم، لانه لم یعرف حقیقته التی هی‌امر من امرالله وکلمة من‌کلماته التامات التی‌کتبها بیده وانشأها بقوله وروح اضافها الی نفسه حیث قال: وکلمته القاها الی مریم وروح منه (النساء ـ ۱۷۱).

وانی لابلیس بقوته الوهمیة ان یعرف حقیقة النفس الادمیة و روحه التی من عرفها فقد عرف الرب؟ ولوکان‌الشیطان عارفا بالله لم یکن مطروداً عن بابه بعیداً عن رحمته، وانما شأنه المغالطة والوسوسة وتلقی‌الشبهات الغارة وابداء الوهمیات الکاذبة والمقدمات السفسطیةالتی توقع شکاً وغروراً ووعداً بالشر وتخویفاً وابعاداً من‌الخیر کما فی قوله تعالی: یعدهم و یمنیهم و ما یعدهم‌الشیطان الا غروراً (النساء ـ ۱۲۰).

الحديث الواحد والعشرون
وهوالسابع و السبعون والمائة

«على عن محمدبن عيسى، عن يونس عن قتيبة قال: سأل رجل اباعبدالله عليه السلام عن مسألة فاجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت ان كان كذا و كذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه، ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه و اله، لسنا من «ارأيت» فى شيء».

الشرح

مه اسم مبنى على السكون سمى به الفعل معناه اكفف لانه زجر، يعنى الذى اجبتك به فيما سألت عنه من المسألة ليس صادراً عن الرأى والقياس حتى تقول: ارأيت ان كان كذا فما القول فيها؟ بل انما اجبت فيما اجبت لما بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه و اله اخذاً عن ابائى عليهم السلام منتهياً الى رسول الله صلى الله عليه و اله الى جبرئيل الى الله سبحانه فلسنا من ارأيت فى شيء، اى لسنا بحيث يسع لاحد اويصح له ان يقول لنا ارأيت، لان ارأيت سؤال واستفهام عن الرأى ومايتأدى اليه ونحن لانقول بالرأى فى شيء اصلا.

تبصرة

اعلم انه ليس معنى ماذكره عليه السلام: مااجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه و اله، ما يفهمه الظاهريون من الناس من ان شأنهم حفظ الاقوال خلفاً عن خلف حتى يكون فضلهم على سائر الناس فى قوة الحفظ للمسموعات او بكثرة المحفوظات، بل المراد ان نفوسهم القدسية استكملت بنور العلم و قوة العرفان بسبب اتباع الرسول عليه وعليهم الصلوة و السلام بالمجاهدة والرياضة مع زيادة استعداد اصلى وصفاء وطهارة فى الغريزة فصارت كمرآة مجلوة يحاذى بهاشطر الحق بواسطة مرآة اخرى او بغير وساطة.

الاترى ان المرآة المتعددة المتحاذية والمحاذية لمرآة اخرى هي بحذاء الشمس تنعكس ضوء الشمس الى الجميع؟ فهكذا حال من اتبع الرسول صلى الله عليه واله حق المتابعة يصير محبوب الحق تعالى كما في قوله تعالى: ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (آل‌عمران ـ ۳۱)، ومن يحبه الله افاض عليه من الانوار الالهية كما افاض على حبيبه صلى الله عليه واله، لكن الفرق ثابت بين المتبوع والتابع.

وبالجملة يجب ان يعلم: ان علوم الائمة عليهم السلام ليست اجتهادية ولاسمعية من طرق الحواس، بل علومهم كشفية لدنية يفيض على قلوبهم انوار العلم والعرفان عن الله سبحانه لابواسطة امر مبائن من سماع او كتابة محسوسة او رواية او شيء من هذا القبيل.

ومما يدل على مابيناه واوضحناه قول اميرالمؤمنين عليه السلام: علمني رسول الله صلى الله عليه واله الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب، وقول الرسول صلى الله عليه واله: اعطيت جوامع الكلم واعطى على جوامع العلم.

و معنى تعليم الرسول صلى الله عليه واله له عليه السلام هو اعداد نفسه الشريفة القابلة لانوار الهداية على طول الصحبة و دوام الملازمة بتعليمه و ارشاده له الى كيفية السلوك الى الله بتطويع النفس الحيوانية وقواها لما امرها و استخدمها الروح العقلي الالهي واشارته صلى الله عليه واله الى اسباب التطويع والرياضة حتى استعد عليه السلام للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عن المغيبات، وليس التعليم البشري سواء كان المعلم رسولا ام غيره هو ايجاد العلم، و ان كان امراً يلزمه الايجاد والافاضة من الله.

وفي قوله صلى الله عليه واله اعطى بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطى لعلي جوامع العلم ليس هو النبي صلى الله عليه واله بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلى الله عليه واله جوامع الكلم و هو الحق سبحانه، فافهم هذا المقام فانه من مزال الاقدام.

الحديث الثانى والعشرون
و هوالثامن والسبعون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمدبن محمدبن خالدمرسلا قال: قال ابوجعفر عليه السلام: لاتتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين، وان كل سبب و نسب وقرابة ووليجة و بدعة و شبهة منقطع الا ما اثبته القران».

الشرح

ولج يلج اى دخل، والولوج الدخول، و قال ابن الأثير: و فى حديث على عليه السلام: اقر بالبيعة و ادعى الوليجة، وليجة الرجل بطانته و دخلاؤه و خاصته، و فى القاموس: الوليجة الدخيلة وخاصتك من الرجال او من تتخذه معتمداً عليه من غير اهله و هو وليجتهم اى لصيق بهم.

والمعنى: لاتتخذوا من دون الله معتمداً تعتمدون عليه فلم يكونوا حينئذ مؤمنين بالله واياته، اذالمؤمن الحقيقى من لااعتماد ولا توكل له الاعلى الله ولا استعانة له الا به، و من استعان بغير الله ذل.

وقوله عليه السلام: فان كل سبب... الى اخره، ان جميع هذه الامور المذكورة لما كانت من الامور العرضية الاضافية فهى منقطعة الا ما اثبته القران لانه البرهان، و كل ما اثبته البرهان العقلى فهو لازم غير منقطع، وكل ما هو لازم ضرورى من العلوم والاعتقادات المتعلقة بالامور الدائمة كالعلم بالله و صفاته و ملائكته و افعاله و كتبه و رسله، فذلك من قبل الله وافاضته وجوده ولذلك لاينقطع، وكل ماليس كذلك: كالسبب والنسب الحسيين و كالقرابة البدنية والوليجة وكذا كل بدعة و شبهة، فان كلها منقطع لانها من الدنيا و اسبابها الاتفاقية، وكل ماهو من الدنيا و مايتعلق بها من النفوس و ادراكها الوهمية والخيالية فهى امور داثرة زائلة منقطعة، فمن اتخذها واعتمد عليها فليس هو بمؤمن بالله وكلماته التامات و قدخالف قوله تعالى: ولم يتخذوا من دون الله و لارسوله و لاالمؤمنين وليجة (التوبة ــ ١٦).

وتحقيق هذا المقام يحتاج الـى تمهيد مقدمات : احديها ان العلل و الاسباب للاشياء و ذوات العلل على ضربين :

الضرب الاول هى العلل الذاتية وهى التى لاتنفك عن المعلول و لايمكن وجوده الامتقوما بها موجوداً بوجودها ، وهـى كالفاعل و الغاية وكالمادة و الصورة ان كان مركبا منهما.

الضرب الثانى العلل العرضية و هى كالمعدات والحركات و سائر الامور الاتفاقية العرضية قد لايوجد عند وجود المعلول، فبعضها ممالايوجد وجود المعلول الابعد عدمها، و بعضها مما لايشترط وجـودها و لاعدمها عند حصول المعلول لكونه شرط حدوثها لاشرط[۱]، فالاول كالنطفة للانسان والثانى كالابوين له.

والثانية ان الانسان وان كان وجوده فى هذا العالم مشروطاً بمادة بدنية لكن من شأنه ان يتجرد روحه من هذا البدن الظمانى المركب من الاضداد المعرض للمحن و الافات والفساد الى عالم الاخرة ، بل سعادته ان يستكمل بذاتـه و يتجرد عن الدنيا و مافيها غيرمتعلق بشىء من هذا العالم، و انمايمكن له ذلك بطهارة النفس عن الرذائل و تحليتها بالعلوم و الفضائل.

الثالثة ان عالم الاخرة ليس كعالم الدنيا ، دار الاتفاقات والاستعدادات العرضية و الاسباب الخارجة ، و ليس هناك من الاسباب الا ماهـو مـن الجهات الفاعلية دون الانفعالات المادية ، لان ذلك العالم عالم صورى و دارحيوانية ليس فيه امـر مادى ، سواءكانت الصورة من العقليات الصرفة وهو دارالمقربين اومن التعليميات المقدارية و هو داراصحاب اليمين.

و بالجملة: الموجودات التى تكون فى دارالاخرة كالجنة و اصحابها و جميع احوالها و افعالها و جناتها وانهارها و حـورها و غلمانها و قصورها وغرفاتها، وكذا النيران و من فيها من الامور التى تفيض من الله تعالى على الارواح و النفوس المنتقلة

۱ـ كذا فى الاصل، وفى المطبوع : لكونه شرط حدوثه لاشرط حصوله، ويمكن سقط من قلمه الشريف لفظة حصولها. والله اعلم.

من هذه الدارالى الاخرة، و جميع هذه الصورالملذة الجنانية ومقابلاتها هى من نتائج الاعمال الصالحة اوالسيئة لتلك الارواح و النفوس بمنزلة الاضواء و الظلال اللازمة اياهامن غيرمشاركة سبب خارجى اومدخلية امر اتفاقى ، وقداوضحنا ذلك فى مباحث المعاد من كتبنا، وهذامعنى قوله تعالى: الملك يومئذ لله (الحج ـ ٥۶)، و قوله: لاظلم اليوم (غافر ـ ١٧)، وغيرذلك من الايات الكثيرة المشيرة الى هذا المعنى.

فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول : ان معنى المؤمن كما يستفاد من اطلاقات لسان الشريعة هوالعارف بالله و رسله و كلماته واياته ويكون مرجعه الى الله و ملكوته، و هذاالمعنى لايتحقق الاباستكمال ذاته بالعلوم الحقيقية الدائمة التى لايتغير ولاينقطع، والعلوم الدائمة لايمكن ان يحصل الا بالاسباب الدائمة، اذسبب الشيء لايمكن ان يكون انقص وجوداً من ذلك الشيء، وكل سبب لايدوم بدوامه الشيء فهوسبب عرضى غيرحقيقى.

فالسبب للعلوم الدائمة لابدان يكون من الامورالالهية والبراهين الدائمة و ذلك لايمكن الابافاضة الله امابذاته اوبتوسط ماهومن ذاته دائما بدوام ذاته، فكل ماليس كذلك، فلاتعويل للمؤمن عليه و يكون حكمه حكم وليجة دون الله من رواية اوسماع اوقياس او بدعة او تقليد او اجازة او كتابة او مناولة كتاب، ولكن الذى اثبته القران او افاده الرسول صلى الله عليه واله ليس بمنقطع لانها امور برهانية جاءت من قبل الله وكلماته، قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفدالبحر قبل ان تنفدكلمات ربى و لوجئنا بمثله مدداً (الكهف ـ ١٠٩) .

باب الرد الی الکتاب و السنة و انه لیس شیء من الحلال و الحرام، وجمیع مایحتاج الناس الیه الا و قد جاء فیه کتاب او سنة

و هو الباب العشرون من کتاب العقل والعلم وفیه عشرة احادیث

الحدیث الاول
وهوالتاسع والسبعون و المائة

«محمد بن یحیی عن احمد بن محمد بن عیسی، عن علی بن حدید عن مرازم» بضم المیم و الراء قبل الالف و الزای بعده، ابن حکیم الازدی المدائنی مولـی ثقة ، واخوه محمد بن حکیم وحدید بن حکیم یکنی ابا محمد روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن علیهما السلام و مات فی ایام الرضا علیه السلام «صه» قال النجاشی : و هو احد من بلی باستدعاء الرشید[1] واخوه، احضرهما الرشید مع عبدالحمید بن عواض فقتله و سلما، ولهم حدیث لیس هذا موضعه، له کتاب روی عنه جماعة منهم علی بن حدید. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال: ان الله تبارك و تعالی انزل فی القران تبیان کل شیء ، حتی و الله ماترك الله شیئاً یحتاج الیه العباد حتی لایستطیع عبد یقول : لوکان هذا انزل فی القران الا وقد انزله الله فیه» .

الشرح

یعنی ان القران مجتمع علوم الاولین و الاخرین ، و قد انزل فیه تبیان کل شیء وبرهان کل علم ونور کل هدی و سبیل کل غایة و شاهد کل غائب ومهیمن کل کتاب و جامع کل خطاب، مامن علم الا وفیه اصله و دلیله و مامن حکم الا و منه بیانه وسبیله، حتی و الله مافات القران الامـور الجزئیة و ماترك الله منه شیئاً یحتاج الیه العباد من الوقائـع النادرة الواقعة فی شیء من الازمنة و الاوقات فضلا عـن معظمات الامور و الکلیات من القواعد والاعتقادات، حتی انه لایسع لاحد ولایستطیع عبد ان یقول متمنیاً: لوکان هذا الحکم الجزئی والمسألة الفرعیة فی القران، اذلایعزب عن علم القران شیء

۱ـ الرشید له «جش».

فی الارض ولا فی السماء الا و قدانزله الله فیه.

و قوله علیه السلام : الا و قد انزله الله فیه، یحتمل ان یکـون استثناء منقطعا او استینافاً لتأکید ماسبق، وعلی الاول یکـون «الا» حرف الاستثناء مشدده اللام مکسورة الهمزة بمعنی لکن و علی الثانی یکون حرف التنبیه مفتوحة الهمزة مخففة اللام.

نقل کلام لتوضیح مرام

قال بعض المفسرین[1]: اعلم انه مرعلی لسانی فی بعض الاوقات: ان هذه السورة یعنی فاتحة الکتاب یمکن ان یستنبط مـن فوائدها و نفائسها عشرة الاف مسألة، فاستبعد هذا بعض من الحساد وقوم من اهل الجهل و العناد وجعلوا ذلك علی ماالفوه من الکلمات[2] الفارغة عن المعانی و الاقوال الخالیة عن تحقیق المعاقد و المبانی، فلما شرعت فـی تصنیف هذا الکتاب قدمت بهذه[3] المقدمة لیصیر کالتنبیه علـی ان ماذکرناه امرممکن الحصول قریب الوصول.

فنقول: قولنا: اعوذبالله من الشیطان الرجیم، لاشك ان المراد منه الاستعاذة بالله عن جمیع الشرور و المنهیات و المحظورات ، و لاشك انها اما ان تکـون من باب الاعتقادات او من[4] اعمال الجوارح، اما الاعتقادات فقد جاء فـی الخبر المشهور قوله صلی الله علیه و اله: ستفرق امتی علی نیف و سبعین فرقة[5] کلهم فی النار الافرقة واحدة، وهذایدل علی ان الاثنین والسبعین موصوفون بالعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة.

ثم[6] ضلال کل فرقة من اولئك الفرق غیرمختص بمسألة واحدة هوبل حاصل فی مسائل کثیرة من المباحثات المتعلقة بـذات الله تعالی و صفاته و احکامه و بافعاله و اسمائه و

۱ــ هوالخطیب الرازی فی تفسیرالمعروف بـ «التفسیر الکبیر».

۲ــ من التعلقات «التفسیرالکبیر».

۳ــ هذه «التفسیرالکبیر».

۴ــ من باب «التفسیرالکبیر»

۵ــ ستفترق امتی علی ثلاث و سبعین فرقة «التفسیرالکبیر».

۶ــ ثم ان «التفسیرالکبیر».

بمسائل الجبر والقدر والتعديل والتجويز والثواب والعقاب و المعاد و الوعد والوعيد والاسماء والاحكام والامامة، و اذا وزعنا عددالفرق الضالة و هوالاثنان و السبعون الى هـذه المسائل الكثيرة بلـغ العـدد الحاصل مبلغاً عظيماً ، و كـذلك انواع الضلالات الموجودة فى فرق الامة فى جميع المسائل العقلية المتعلقة بالالهية و التوحيد[1] والمتعلقة باحكام الذات و الصفات يبلغ المجموع مبلغا عظيماً فى العدد.

و لاشك ان قولنا : اعـوذ بالله، يتناول الاستعاذة بهعن جميع تلك الانواع، و الاستعاذة عن الشىء لايكون الابعد معرفة المستعاذ منه ومعرفة كونه قبيحاً باطلا[2]، فظهر بهذا الطريق قولنا[3]: اعوذ بالله، مشتمل على الالوف من المسائل الحقيقية اليقينية.

واما الاعمال الباطلة فهى عبارة عن كل ماورد النهى عنه اما فى القران اوالاخبار المتواترة او فى اخبار الاحـاد او فى اجماع الامة او فى القياسات، و لاشك ان تلك المنهيات تزيد على الالوف و قولنا : اعوذ بالله، متناول لجميعها و جملتها، فثبت بهذا الطريق ان قولنا: اعوذ بالله، مشتمل على عشرة الاف مسألة او ازيد او اقل من المسائل المعتبرة المهمة. انتهى كلامه.

اقـول: ان جميع ماشاراليه هذا الرجل الفاضل المشهور بالامامة و العلم عند الجمهورليس من علم القران فى شىء ولا هوبمعرفتها قدصارمن اهل القران وخاصةالله كما ورد: اهل القران اهل الله و خاصته ، بل كل ماذكره و اشاراليه من المسائل الجمة الكثيرة التى شحن بهاكتب الكلامية و الفقهية.

اما مأخوذة من السماع من افواه الرجال.

و اما تقليدات صرفة كاكثر مسائل المعاد و بعض مسائل المبدأ.

و اما اراء كلامية و قواعـد متزلزلة لاتعويل عليها فـى تحصيل اليقين، و انما يتدرع بها طالب المباهاة و انما يحسن استعمالها عندالخصومات والمجادلات و لهذا

۱ــ المتعلقة بالالهيات «التفسيرالكبير».

۲ــ المستعاذ منه، و الابعد معرفة كون ذلك الشىء باطلا وقبيحا «التفسيرالكبير».

۳ــ ان قولنا «التفسيرالكبير».

وضعت اول وضعها في الاسلام.

او مسائل اجتهادية اخذها كما ذكر بعضها من الاخبار و بعضها من القياسات التى نحن الان فى ذمها و ابطالها.

و بالجملة ليس شيء من هذه المسائل الكثيرة التى تبجح[١] بها من علـوم اهل القران و اهل الله فى شيء، و انما ذلك شيء الهمه الله و نـور عقلى اجمالى افاضه الله على قلب من يشاء من عباده به يرى الاشياء كماهى، و تلك الملكة النورانية المعبر عنها عند جماعة بالعقل البسيط او الاجمالى او العقل بالفعل و علـى لسان القران بالهدى و النور و الحكمة و الفضل و غير ذلك و انما تحصل بالمواظبة على تـدبر الايات و طول الرياضة و المجاهدة مع النفس و الهوى و العمل بما علم، فان من عمل بمايعلم افاده الله علم مالم يعلم، و هكذا الى ان ينكشف له العلم بحقائق الاشياء و كلياتها من العلم بذات الاول تعالـى و صفاته العليا و اسمائه الحسنى و افعاله الكبرى، ثم يعرف من الكليات الجزئيات و من الحقائق دقائقها و من الاسماء مظاهرها و مجاليها، و هكـذا يعرف من الاوائل الثوانى و من البدايات النهايات و من العلل المعلولات و من الاسباب المسببات كما هـو طريقة الصديقين على عكس طريقة النظار المستدلين بالاثار على المؤثرات، و عند ذلك يظهر ان مامن شيء من العلوم الكلية و الجزئية و الاصول و الفروع الا و يوجد فى القران اصله و فرعه و مأخذه و غايته.

ثم ان الـذى ذكره ان قولنا: نعوذ بالله، متوقف على العلم بجميع المذاهب و الاراء الفاسدة و الاعمال القبيحة، ليس كذلك، فان من عرف طريق الحق يعلم بالاجمال ان غيره طريق الباطل و من علم بالخير يعلم ان ما سواه شر، فله ان يستعيذ بالله من كل شر و آفة و ضر و ان لم يعلم جميع الشرور و الافات على التفصيل.

و هل هذا الذى ذكره الا مثل ان يقول احد: لايمكن لى طلب الصحة من الله كما فى الادعية المأثورة الا بعد ان اعرف جيمع الامراض و العلل و اسبابها، فجعل يشتغل طـول عمره بمطالعة كتب الطب و يتصفح كل مرض مرض و آفة آفة حتى يجوز لـه

١ــ اى: تفاخر و فرح بها.

طلب الصحة منها فی الدعاء من الله؟ فربما مات فی اثناء المطالعة و تتبع الامراض و لم یدع ربه.

وایضا ان الذی ذکره من تلك المسائل لم یستفده من قول اعوذ بالله بل استفادها من الخارج، و کان الکلام منه اولا فی استنباط العلوم الکثیرة کعشرة الاف و نحوها من فاتحة الکتاب و مثل الذی ذکره لوکان هو بمعنی الاستنباط لامکن ذلك النحو منه فی غیر کلام الله بل من کلام اکثر الناس، و بالجملة لیس معنی کون القران تبیان کل شیء ماتصوره وفصله، بل شیء اجل و ارفع من ذلك ـ کمامرت الاشارة الیه ـ.

الحدیث الثانی
و هو الثمانون و المائة

«علی بن ابراهیم عن محمد بن عیسی، عن یونس عن حسین بن المنذر»، بن ابی ـ طریفة البجلی کوفی من اصحاب الصادق علیه السلام، ثم ابن المنذر اخو ابی حسان و ذکر: ان الحسن و الحسین ابنا منذر من اصحاب الباقر علیه السلام، و ذکر فی اسم منذر ـ بن ابی طریفة: ابنه الحسین روی عنهما، وقال النجاشی: انه روی عن علی بن الحسین و ابی جعفر و ابی عبدالله علیهم السلام، و لایبعد ان یکون الحسن معروفا بابی حسان فیحتمل اتحاد[1].

و فی الکشی: حمدویه عن محمد بن الحسین عن محمد بن سنان عن الحسین بن المنذر قال: کنت عند ابی عبدالله علیه السلام جالساً فقال لی معتب: خفف عن ابی ـ عبدالله علیه السلام فقال ابو عبدالله علیه السلام: دعه فانه من فراخ الشیعة. «عن عمر بن قیس»، الماصر ویقال عمرو بالواو بعد الراء وهو من اصحاب الباقر علیه السلام، بتری. «عن ابی جعفر علیه السلام قال: سمعته یقول: ان الله تبارك و تعالی لم یدع شیئا یحتاج الیه الامة الا انزله فی کتابه و بینه لرسوله صلی الله علیه واله، جعل لکل شیء حداً و جعل علیه دلیلا یدل علیه، وجعل علی من تعدی ذلك الحد حداً».

۱ـ اتحاد الجمیع «جامع الرواة».

الشرح

افاد عليه‌السلام فی هذا الحدیث خمسة احکام :

الاول ان‌الله تعالی انزل فی کتابه یعنی القران المجید جمیع مایحتاج الیه هذه الامة المرحومة، فلم یدع و لم یترك شیئا من ذلك حتی الامور الجزئیة و الوقائع النادرة.

والثانی انه بین و اوضح الجمیع لرسوله محمد صلی‌الله علیه واله بحیث لایخفی علیه شیء من ذلك.

والثالث انه جعل لکل شیء من الحقائق العلمیة و الاحکام حداً، ای معرفاً تاماً یوجب تصوره بکنهه او بوجه یمتاز به عماسواه.

والرابع انه جعل علیه دلیلا وهو البرهان و نحوه یوجب التصدیق بوجوده فی نفسه، فالحد ومایجری مجراه فی التصورات والدلیل ومایجری مجراه فی التصدیقات.

والخامس انه تعالی جعل علی من تعدی ذلك الحد الی غیره حداً من العقوبة او جعل علی المتعدی عن حدودالله حداً اخر غیر الانسانیة، اذیخرج الانسان بسبب مخالفة امرالله من حدود الانسانیة الی حدود البهیمیة والسبعیة و غیرهما.

الحدیث الثالث

وهوالواحد و الثمانون والمائة

«علی عن محمد عن یونس، عن ابان عن سلیمان بن‌هرون»، هذا الاسم مشترك بین ثلاثة رجال کلهم من اصحاب الصادق علیه‌السلام: احدهم الازدی الکوفی، و الثانی العجلی من اصحاب الباقر علیه‌السلام ایضاً، و الثالث النخعی ابو داود و قال العلامة فی «صه» یقال له: کذاب النخع، روی عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام ضعیف جداً قاله ابن‌الغضائری.

وقال فی کتابه الاخر: سلیمان بن‌عمر ابوداود النخعی یروی عن ابی عبد الله علیه السلام، حدثنی احمد بن محمد بن موسی قال: حدثنا احمد بن محمد بن‌سعید قال: کان ابو داود النخعی یلقبه المحدثون کذاب النخع ثم قال فی هذا الکتاب: حدثنی

محمد بن الحسین بن الفضل قال: حدثنی عبدالله بن جعفر بن درستویه قال: قال یعقوب بن سفیان: کان سلیمان بن یعقوب النخعی یکـذب علی الوقف. انتهی. «قال : سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول : ماخلق الله حلالا و لاحراماً الا و له حد کحد الدار، فماکان من الطریق فهو من الطریق و ماکان من الدار فهو من الدار، حتی ارش الخدش فما سواه والجلدة و نصف الجلدة».

الشرح

یعنی ان کل ماجعله الله حلالا او جعله حراماً فانما له حداً خاصا کحدالدار وجعل لـه طریقا خاصاً کطریق الدار لیس لاحد التعدی عنه ، لاعن حده فی باب التحدیـد و التصویر ولاعن طریقه فی باب السبیل والدلیل.

و بالجملة لیس لاحد ان یتصرف بعقله فی شیء منها من جهة قیاس او ترجیح او استحسان او غیرذلک، فمااشتهر بین علماء العامة ان حکم الله تابع لرأی المجتهد و ظنه، باطل، و کذاماذکروامن ان المتناقضات التی ادت الیها اراءالمجتهدین کلهاحکم الله یجب العمل بکل منها لمن اجتهد فیه و لمقلدیه وان لیس لله ان ینصب عـلی کل حکم دلیلا، کل ذلک اوهام باطلة و اراء فاسدة، بل الحلال حلال دائماً و الحرام حرام ابداً ولکل منهما حد معین و دلیل معین ابداً، وماکان من الطریق لشیء فهو من طریقه ابداً و ماکان من حده فهو من حده ابداً، فلیس لاحد تغییر الحد ولاالدخول الیه الامن طریقه کمافی قوله تعالی: فأتوا البیوت من ابوابها (البقرة ــ ۱۸۹)... الایة.

و فی ایراد لفظ خلق فی قوله علیه السلام: ماخلق الله حلالا، دون جعل و نحـوه اشعار بان حسن الافعال وقبحها امر ذاتی لهالیس بجعل جاعل، فالحلال حلال بالذات و له حد ذاتی والحرام حرام بالذات وله حد ذاتی ، وانما صنع الباری سبحانه ایجاد الاشیاء و افاضتها دون صیرورتها ایاهـا، اذالذاتی للشیء لایعلل.

ثم ذکر علیه السلام من احکام الله تعالی امثلة جزئیة حقیرة استظهاراً و تأکیداً لما

هو بصدده من كون كل حكم له حد واليه طريق فقال : حتى ارش[1] الخدش، و هوقشر الجلد بعود ونحوه يقال : خدشه يخدشه خدشاً، و ارش: مايأخده المشترى من البائع اذا اطلع علـى عيب فى المبيع، و اروش الجنايات الجراحات من ذلك لانها جائزة[2] عما حصل فيها من النقص.

وقولة: فماسواه، عطف على الخدش، اى اروش ماسواه مماهومثله او دونه فى الحقارة كمايدل عليه الفاء.

وقوله: والجلدة ونصف الجلدة ، عطف على ارش الخدش وهى الضربة بالسوط ونصفها، وهو يتحقق اما بكون السوط الذى يضرب به الجانى نصف السياط المتعارفة اويضرب على وجه يكون ايلامه نصف ايلام الجلدة الواحدة. والامام يعلم بنور القران والالهام درجة كل جناية ومايوجبه من الحدود.

الحديث الرابع

و هو الثانى والثمانون و المائة

«على عن محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من شىء الا وفيه كتاب اوسنة».

الحديث الخامس

و هو الثالث والثمانون والمائة

«على بن ابراهيم عن[3] محمد بن عيسى، عن يونس عن حماد، عن عبدالله بن سنان عن ابى الجارود قال: قال ابوجعفر عليه السلام: اذاحدثتكم بشىء فاسألونى من كتاب الله ثم قال فى بعض حديثه: ان رسول الله صلى الله عليه واله نهى عن القيل والقال وفساد المال

۱ـ ارش الجناية ديتها، والجمع: اروش، مثل فلس وفلوس، واصله الفساد.
۲ـ وفى المجمع البحرين: لانها جابرة المنقص. وفى لسان العرب كمافى المتن.
۳ـ عن ابيه عن محمد بن عيسى (الكافى).

وكثرة السؤال، فقيل له: يابن رسول الله اين هذا من كتاب الله؟ قال: ان الله عزوجل يقول: لاخير فى كثير من نجويهم الامن امر بصدقة اومعروف او اصلاح بين الناس (النساء ـ ١١۴)، وقال: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما (النساء ـ ٥) ، وقال: ولاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم (المائدة ـ ١٠١)».

الشرح

النجوى من ناجاه يناجيه فهو مناج و قد تناجيا مناجاة، والمناجى المخاطب الانسان والمحدث له ومنه حديث على عليه السلام دعاه رسول الله صلى الله عليه واله يوم الطائف فانتجاه ، فقال الناس : لقد طال نجواه فقال صلى الله عليه واله: ما انتجيته ولكن الله انتجاه.

يعنى اذا حدثتكم بشىء فاردتم منى دليله فاسألونى عن الدليل عليه من كتاب الله حتى اشير لكم الى دليله من الكتاب، اى لاتعولوا على شىء اخر من اجماع او قياس اواستحسان و اياكم القيل والقال، فان رسول الله صلى الله عليه واله نهى عن ثلاثة اشياء: احدها القيل و القال وهو المناظرة فى العلم و المماراة والجدال فى البحث ، والثانى فعل مايوجب فساد المال، والثالث كثرة السؤال.

ثم لما ظهر من كلامه عليه السلام حيث قال: اذا حدثتكم بشىء فاسألونى من كتاب الله، ان جميع الاحكام مأخوذة من القران فاسألوا منه عن مدارك هذه الامور الثلاثة التى نقلها وحدثهم بها عن رسول الله صلى الله عليه واله و مواضعها من القران فتلى الايات المذكورة، فالاية الاولى وهى قوله: لاخيرفى كثير من نجويهم، دالة على النهى عن القيل والقال وآفات المناظرة والجدال.

واعلم ان آفات المناظرة ومايتولد منها من مهلكات الاخلاق و مرديات الذنوب والسيئات كثيرة، فان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة واظهار الفضل وقصد المباهاة منبت النفاق ومنبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله.

وقال بعض المحققين: ان نسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والحسد والعجب

والافتخار وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزناء والقتل والسرقة وغيرها، وكما ان الذى خير بين شرب الخمر وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة.

و اما الاية الثانية وهى قوله: ولاتؤتوا السفهاء اموالكم... الاية، فصريحة فى النهى عن فساد المال وفساده معلوم انه قبيح منهى عنه عقلا وشرعاً، اذ المال انما خلقه الله و اعطاه لاجل ان يصرف فى منافع الخلق و سد حاجاتهم و يبذل فى وجوه الخير وابواب البر فمن اضاعه وافسده كان كمن ضاد الحق و عاداه.

واما الاية الثالثة وهى قوله تعالى: ولاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم، فهى للنهى عن كثرة السؤال خصوصاً من العوام والجهال، ومن لم يبلغ فهمه الى درك الحقيقة فهى افسد شىء لدينهم وعقلهم.

ومن الافات العظيمة سؤال العوام ومن يحذو حذوهم عن صفات الله وعن كلامه وعن كيفية رؤيته وعن الحروف، انها حادثة اوقديمة وعن سر القدر وعن الجبر والقدر، الا ان الامساك عن السؤال ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب. والعامى يفرح بان يخوض فى العلم، اذ الشيطان يخيل له انك من العلماء واهل الفضل، فلايزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر ولايدرى، وكل كبيرة يرتكبها العامى فهو اسلم من ان يتكلم فى العلم لاسيما فيما يتعلق بالله و صفاته.

وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادة، والايمان بماورد به القران والتسليم لماجاء به الرسول من غير بحث، وسؤالهم عن غير مايتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يتعرضون به لحظر الكفر و سخط الرب تعالى، و هو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة، وكل من سأل عن علم غامض لم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى.

ولذلك روى انه قال رسول الله صلى الله عليه واله: ذرونى ماتركتكم فانماهلك

من قبلکم بسؤالهم و اختلافهم علی انبیائهم، مانهیتکم عنه فاجتنبوه ومـا امرتکم بهـ فأتوا منه ما استطعتم.

وعــن انس :انه سأل رسول‌الله صلی‌الله علیه واله حتی اکثروا علیه و اغضبوه فصعدالمنبر فقال: سلونی ، فلاتسألونــی عن شیء الا انبأتکم به، فقام الیه رجل فقال: یارسول‌الله أفی‌الجنة انا او فی‌النار؟ قال : بل فی‌النار، وقام الیه شابان اخـوان فقالا: یارسول‌الله من ابونا؟ فقال : ابوکماالذی تدعیان الیه ، و قام الیه رجل فقال: من ابی؟ فقال: ابـوك حذافة وکان یدعی لغیره، فلما رأی الناس غضب رسول‌الله صلی‌الله علیه واله امسکوافنزلت الایة: لاتسألوا عن اشیاء ان تبدلکم تسؤکم.

و روی عن رسول‌الله صلی‌الله علیه واله قال: یوشك الناس یسألون نبیهم حتی یقولوا: هذاخلق‌الله الخلق فمن خلق‌الله؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا: الله احد حتی تختموا السورة، ثم‌لیتفل[1] احدکم عن‌یساره ثلثاً ولیستعذ بالله من‌الشیطان، وقال جابر: مانزلت ایة التلاعن الالکثرة السؤال.

وفی‌قصة موسی والخضر تنبیه علی‌المنع من‌السؤال قبل اوان استحقاقه اذقال: فان‌اتبعتنی فلاتسألنی عن‌شیء حتی احـدث لك منه ذکراً (الکهف ـ ۷۰)، فلما سأل عن السفینة انکرعلیه حتی اعتذر و قال : لاتـؤاخذنی بمانسیت و لاترهقنی من امری عسراً (الکهف ـ ۷۳)، فلم یصبر حتی سأل ثلثاً، قال: هذا فراق بینی و بینك (الکهف ـ ۷۸) ، و فارقه.

فسؤال العوام عن غوامض‌الـدین من اعظم‌الافات و هـو من‌المثیرات للفتن العظیمة، فیجب ذمهم ومنعهم من‌ذلك، وخوضهم فی‌حروف‌القران یضاهی اشتغال من کتب‌الیه الملك کتاباً ورسم فیه اموراً فلم یشتغل بشیء منها وضیع زمانه فی‌ان‌قرطاس الکتاب عتیق ام حدیث فاستحق بذلك للعقوبة لامحالة، فکذلك تضییع‌العامی حدود القران و اوامره ونواهیه واشتغاله بحروفه أقدیمة ام حادثة وکذا اشتغاله بسائر صفات الله، وکذاك حکم اکثرالمتکلمین الذین یخوضون فی‌البحث عن صفات‌الله وافعالـه

۱ـ ای: بصق وطرح‌التفل.

و اياته و كلماته من غيربصيرة و كشف قلب.

فمن اراد ان يعرف غوامض اسرارالمبدأ والمعاد بهذهالصنعةالمشهورةالمسماة بعلمالكلام فقد استسمن ذا ورم و هو فیخطر عظيم، فان طريق معرفة الله والسبيل الى فهم عجائب ملكوته و اسرار كتبه و رسله شيء اخـر ليست صنعةالكلام ولا المتكلم بهذه الصنعة منه فیشیء، بل انما هوبها فیحجاب كثيف منه و حظر[1] شديد.

الحديث السادس
وهوالرابع والثمانون و المائة

«محمدبن يحيىعن احمد بن محمد، عن ابن فضال عن ثعلبةبن ميمون»، مولی بنی اسد ثم مولى بنى سلامة[2]، كان وجهاً فیاصحابنا قارئاً فقيهاً نحوياً لغوياً راوية، وكان حسنالعمل كثيرة العبادة و الزهد روى عنالصادق والكاظم عليهماالسلام و كان فاضلا متقدما معدوداً فیالعلماء والفقهاء الأجلة فیهذه العصابة، سمعه هرونالرشيد يدعو فى الوترفاعجبه «صه» قالالكشى: ذكر حمدويه عنمحمد بنعيسى انثعلبة بنميمونمولی محمد بنقيسالانصارى. و هو ثقة خير فاضل مقدم معلوم فـیالعلماء و الفقهاء الأجلة فیهذه العصابة ويقال له: ابواسحقالفقيه، وفى رجالالشيخ: روى عنهما عليهماالسلام «عن[3]المعلى بنخنيس قال: قال ابوعبدالله عليهالسلام: مامن امر يختلف فيه الاثنان الا وله اصل فی كتابالله[4] ولكن لاتبلغه عقولالرجال».

الشرح

تحقيق هـذاالكلام و تبيين هذاالمرام: ان اشياء الكلية والجزئية كلها مسببة عنالعلل

۱ـ يمكن فیالاصل للشارح ان يكون «خطر»

۲ـ بنى سلامة «جش» بنیسلام «جامعالرواة».

۳ـ عمن حدثه (الكافی).

۴ـ عزوجل (الكافی).

والاوائل، وهى كلهامسببة عن السبب الاول جل اسمه الذى يتسبب منه كل موجود ممكن و يتشعب منه كل عين واثر وينتشىء منه كل علم وخبر، وكل ماعرف سببه مـن حيث مايقتضيه و يوجبه فلابد وان يعرف ذلك الشىء علماً ضروريا دائما ، و مامن شىء الا وينتهى فى سلسلة الحاجات اليه تعالى والى الاوائل الصادرة عنه، و اذا رتبت الاسباب والمسببات انتهت اوائلها الى مسبب الاسباب وانتهت اواخرها الى الجزئيات الشخصية، فكل كلى وجزئى ظاهر عن ظاهريته الاولى.

وقد تحقق فى العلوم الحقيقية بالبرهان اليقينى: ان العلم بسبب الشىء يوجب العلم به، فمن عرف ذاته تعالى باوصافه الكمالية، ونعوته الجلالية وعرف الاوائل والغايات من العقول القادسة ومنها الثوانــى والمدبرات النفسانية والمحركات السماوية للاشواق الالهية و الاغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب واعياء فى الدؤوب، الموجبة لان يترشح عنها صور الكائنات، فيحيط علمه بكل الامور واحوالها ولـواحقها علماً بريئا عن التغير والشك والغلط، فيعلم من الاوائل الثوانى ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها ، و هـذه طريقة الصديقين فـى معرفة الأشياء المشار اليها فى قوله تعالى: اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد (فصلت ــ ۵۳)، فانهم عرفوا الله اولا و عرفوا صفاته ومن صفاته اوائل افعاله و من الاوائل الثوانى وهكذا حتى علموا الكليات ومن الكليات الجزئيات ومن البسائط المركبات، فعلموا حقيقة الانسان واحوال النفس الانسانية و مايزكيها ويكملها و يسعدها و يصعدها الى عالم القدس والربوبية و منزل الابرار و المقربين ومايـدسها و يرديها و يشقيها و يهويها الـى اسفل السافلين و منزل الفجار و الشياطين علماً ثابتاً غير قابل للتغير ولامحتملا لتطرق الريب.

فهذه حال علوم الانبياء والاولياء و من يسلك منهاجهم كمافـى قـوله تعالى : قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى (يوسف ــ ۱۰۸)، وكل علم لم يحصل على هذه السبيل بل حصل من تقليد اوسماع اوظن او قياس فليس من الحق فى شىء، ان الظن لايغنى من الحق شيئا (يونس ــ ۳۶).

فاذا تقرر ماذكرناه فنقول: ان القران كتاب نازل من عندالله على رسوله صلى الله

عليه و اله وهو مشتمل على اصول المعارف وعلوم الحقائق كلها، فما من حكم كلي و لاجزئي الاوفيه اصله ومبدئه و غايته ومنتهاه، ففيه جميع علوم الاولين والاخرين، الا ان اكثر العقول البشرية عاجزة عن البلوغ الى دركها من الكتاب، فالقصور من جانب العقول الضعيفة لقلة نورها لامن جانب القران لان اياتها ظاهرة و انوارها ساطعة و دلائلها واضحة و حججها قاطعة.

الاترى مايلحق الخفافيش اذا نظرت الى عين الشمس من الافة والكلال ؟ فعلى هذا المثال مايلحق عقول الجماهير من النظر في ايات القران و اشعة انوارها فعمدوا الى التأويلات البعيدة و حملوها على المعاني المناسبة لانظارهم القشرية و ارائهم الوهمية الظلمانية، وانتفاع اكثر النفوس من القران كانتفاع الخفافيش من بقايا عكوس انوار الشمس وظلالها.

فلذلك درج ابناء الحكمة والمعرفة الى هذا المطلوب وراضوا انفسهم بالرياضات وعالجوها بالعلاجات حتى زالت عن عيون عقولهم وبصائرهم العمش والغشاوة والافة حتى امكنهم ان يلحظوا الايات القرانية ويستضيئوا بانوارها، فيروا بنور القران جميع المقامات الدينية والاحوال الاخروية والاحكام الايمانية والعلوم الالهية والاداب الخلقية والسياسات والحدود الشرعية، و هي الحكمة الممنون بها على اهلها المضنون بها على غير اهلها ، و هي الخير الكثير والفوز الكبير و الفضل العظيم والمن الجسيم و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ـ ۴).

الحديث السابع

و هو الخامس والثمانون و المائة

محمد بن يحيى عن بعض اصحابه، عن هرون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: ايها الناس ان الله تبارك و تعالى ارسل اليكم الرسول صلى الله عليه واله وانزل اليه الكتاب بالحق، و انتم اميون عن الكتاب و من انزله وعن الرسول و من ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة

من الامم و انبساط من الجهل و اعتراض من الفتنة و انتقاض من المبرم وعمى عـن الحق و اعتساف من الجور وامتحاق من الـدين و تلظى من الحروب على حين اصفرار من رياض جنات الـدنيا ويبس من اغصانها وانتثار من ورقها و يأس من ثمرها و اغورار من مائها، قد درست اعلام الهدى وظهرت اعلام الردى، فالدنيا متهجمة فى وجوه اهلها مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف و دثارها السيف مزقتم كل ممزق، و قداعمت عيون اهلها و اظلمت عليها ايامها، قـد قطعوا ارحامهم و سفكوا دمائهم و دفنوا فى التراب الموؤدة بينهم من اولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهية خفوض الدنيا لايرجون من الله ثوابا و لايخافون والله منه عقابا، حيهم اعمى نجس وميتهم فى النار مبلس، فجاء هم بنسخة مافى الصحف الاولى وتصديق الذى بين يديه و تفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القران فاستنطقوه ولن ينطق لكم، اخبركم عنه ان فيه علم مامضى وعلم مايأتى الى يـوم القيامة و حكم مابينكم وبيان مااصبحتم فيه تختلفون، فلوسألتمونى عنه لعلمتكم.

الشرح

الامى فى اللغة منسوب الـى امة العرب و هى لم تكن تكتب ولاتقرأ. فاستعير لكل مـن لايعرف الكتابة ولاالقرائة و منه قـوله تعالى : بعث فى الاميين رسولا منهم (الجمعة ـ۲)، و قيل: منسوب الى الام وفى الحديث: انا امة امية لانكتب ولانحسب، اراد انهم على اصل ولادة امهم لم يتعلموا الكتاب والحساب فهم على جبلتهم الاولى.

والفترة الزمان بين الرسولين من رسل الله عليهم السلام الذى انقطعت فيه الرسالة، ومنه فترة مابين عيسى و محمد عليهما واله السلام.

و الهجعة والهجوع النوم ليلا، و الانتقاض الانهدام و الانفصام من نقض البناء والحبل والعهد نقضا، والمبرم من ابرمت الشىء اذا احكمته، والاعتساف افتعال من العسف وهو الظلم والعسوف الظلوم، والامتحاق من المحق وهو المحو والابطال.

وتلظى من الحروب اى تلهب من التهاب نارها وهـو تفعل من اللظى وهـى اسم

من اسماء النار، مكفهرة من اكفهر الرجل فهو مكفهر الوجه اذا عبس ، و مكفهر اللون اذا ضرب لونه الى الغبرة مع الغلظ.

والممزق مصدر مثل التمزيق بمعنى الخرق ومنه قوله تعالى: ومزقناهم كل ممزق (سباء ـ١٩) ، والمزق القطع من الثوب الممزوق والقطعة منها مزقة ، و الموؤدة المدفونة فى التراب حية من البنات والمبلس اسم فاعل من ابلس من رحمة الله اى يئس ومنه ابليس.

و غرضه عليه السلام من هذه الخطبة الشريفة بيان حاجة الناس فى امور دينهم و دنياهم وعقائدهم واحكامهم ومنهاج عبوديتهم وسبيل طاعتهم الى كتاب الله، وان لاحجة الا به ولاطريق الاطريقه و لاميزان قسط الاميزانه، فذكر اولا انه من عندالله بلاشك، لان الله ارسل رسوله و انزل اليه الكتاب متلبساً بالحق و بعثه فى الاميين الذين لم يقرؤا ولم يكتبوا ولم يعلموا ماالكتاب لئلا يتوهم متوهم انه درس الكتاب او تعلم من الاحبار.

ثم اردفه بذكر الاحوال المذمومة التى كان الناس عليهما زمان البعثة من جهة الدين والدنيا ليتحقق ويظهر انه فى مثل ذلك الوقت الذى كان فيه الناس احوج ماكانوا الى ما[1] يهديهم الى الصراط المستقيم، و من يدعوهم الى الدين القويم لابدان يرحم الله على عباده بماينقذهم من ورطة الردى و الهلكات وربقة العمى والجهلات وينجيهم من اسر الهوى والشهوات، و ماهو رحمة للعالمين والكتاب الذى انزل اليه هدى للناس اجمعين، واما تلك الاحوال المذمومة بعضها بحسب الدنيا و بعضها بحسب العقبى فهى هذه الامور:

الاول: الفترة، وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه يستلزم وجود الشرور ووقوع الفتن والهرج والمرج ، فيلحق ذلك الزمان من الذم بمقدار مايلحق زمانا فيه رسول من المدح.

الثانى: طول هجعة من الامم، و كنى عليه السلام بالهجعة عن غفلتهم فى امر الاخرة ورقودهم فى مراقد الطبيعة ومضاجع الابدان فى مدة طويلة هى زمان الفترة.

١ـ من. النسخة البدل فى اصل الشارح.

الثالث: انبساط الجهل، و كنى بانبساط بشموله للجميع فى جميع الامور الدينية التى ينبغى ان يعلم.

الرابع: الاعتراض من الفتنة، و هو من اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضاً من غير قصد، وهو اشارة الى ان الفتن لماكان وقوعها لاجل كون الاوضاع و الاحوال غير واقعة على قانون شرعى ولانظام حكمى مصلحى، لاجرم الخلق اعترضوا الطريق كالبهائم و انحرفوا عن قصد السبيل بسبب الفتنة، ففى الكلام اما تجوز فى نسبة الاعتراض الى الفتنة لعلاقة السببية و اما تشبيه للفتنة لاجل وقوعها فى نفسها على غير قانون بالمعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامة، فاستعير لها لفظ الاعتراض.

والخامس: الانتقاض من المبرم، اشارة الى زوال ماكان الخلق عليه من نظام احوالهم بسبب الشرائع السابقة و الأديان الماضية و انبرام امورهم بوجودها وفساد ذلك النظام بتغير تلك الشرائع و انقطاعها عنهم.

السادس: العمى عن الحق، عبارة عن بطلان بصيرتهم الباطنية بزوال استعدادها لادراك الحق بالطبع و الرين الحاصل فى قلوبهم بارتكاب الشهوات و اقتراف الخطيئات فعموا عن رؤية الحق.

السابع: الاعتساف من الجور، لاستيلاء الظلمة و الفظاظة على النفوس و كثرة حجب الجهالة و الضلالة على القلوب.

الثامن: امتحاق الدين، حيث كان الناس غير مقيدين بدين و لاملتزمين بشريعة، فالعرب على عبادة الاوثان وؤد البنات والفرس على تعظيم النيران و وطىء الامهات، و الهند على عبادة البقر و سجود الحجر و الشجر و اليهود على كون عزير بن الله و على مالها من التعسف و الجحود، والنصارى عبدة عيسى اذليس بوالد ولامولود، والترك على تخريب البلاد و تعذيب العباد و هكذا سائر الفرق فى اودية الضلال و مهاوى النكال.

التاسع: التلظى من الحروب وهو اشتعال نيران الخصومة والعداوة بين الناس اذمنشأ الحرب الغضب ومنشائه استيلاء كيفية نفسانية توجب و تثير ناراً فى القلب هى نار الغضب،

واذاثارت ثوراناً يغلى بهدم القلب وينتشر فى العروق الى ظواهر البدن ويرتفع الى اعاليه كما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فينصب الدم الى الوجه فيحمر الوجه والعين و البشرة طلباً للحرب والانتقام.

فلايزال فى الالتهاب والاشتعال ويقوم بها الحرب والقتال الى ان ينطفىء اما بالظفر والانتقام واما بضده كالخوف والانهزام ونحوهما مما توجب انقباض الدم من ظاهر الجسد الى باطنه بخمود الحرارة و لهذا يصفر اللون، و اما بغير ذلك من الاسباب كالوعظ والنصيحة والتفطن لما فيه مصلحة و حكمة و مايجرى هذه الامور. والحاصل ان منشأ الحروب اشتعال نار الغضب، فحسن استناد التلظى اليها.

العاشر كونه مرسلا على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا ويبس من اغصانها وانتثار من ورقها و يأس من ثمرها واغورار من مائها، شبه عليه السلام الدنيا و بلدانها العامرة ونعيمها برياض الجنات، لانها بشهواتها الحيوانية و تمتعاتها البهيمية جنات الانعام ورياض النفوس البهيمية، واستعار لفظ الاغصان والورق والثمر والماء لمتاعها و زينتها و اسباب حصول لذاتها و مواد تمتعاتها، ولفظ الاصفرار واليبس والانتثار و اليأس لتغير صور تلك اللذات والتمتعات و زوال اسبابها و بطلان موادها لتغير اوضاع الزمان فى ذلك الوقت و تبدل الاحوال سيما على العرب وعدم انتظام امورهم و سوء معيشتهم و خشونة ملابسهم وجشوبة[1] مطاعمهم، كما يذهب حسن الشجرة و رونقها و بهائها باصفرار ورقها ويبس اغصانها و ذهاب مائها.

وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها، ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من قلة المكاسب والتجارات و عدم الانتفاع من الاملاك و الاراضى، كل ذلك لعدم النظام العدلى والقانون الملى بين الامم و ارتفاع الدين والصلاح من العالم وانقطاع الوحى والنبوة عن وجه الارض.

۱ـ وفى الحديث: كان رسول الله صلى الله عليه واله يأكل الجشب، اى الغليظ الخشن، ويقال: طعام جشب، الذى ليس معه ادام، وكل بشيع الطعم جشب، وهو بفتح الجيم وسكون الشين.

فهذه کلها استعارات بالکنایة او ترشیحات، و وجه استعارة الاغصان والاوراق انه کما ان قوة الشجرة وقوامها بالاغصان وزینتها وحسنها بالاوراق کذلک قوة الحیوة الدنیا وقـوام لذات النفوس و رعوناتها بمتاع الدنیا و طیباتها، و وجه استعارة الثمرة ان الثمر کما انه مقصود الشجر غالبا کذلک التمتع و التلذذ من مشتهیات الدنیا من المطعم الشهی والمشرب الهنی والمنکح البهی والمسکن السنی مقصود النفس الحیوانیة، واما وجـه استعارة الماء فهو ان الماء کما انـه مادة الشجر و به اصل حیوتها و مادة بقائها کذلک مـواد تلک اللذات و هی المکاسب والتجارات و الاقتدار علی اقتناء الاموال و العروض بالصناعات، و وجوه باقی الترشیحات والتخییلات ظاهرة یطول بذکرها.

الحادی عشر دروس اعلام الهدی، و کنی باعلام الهدی عن ائمة الدین و کتب الله المنزلة فی معارف الحق و الیقین التی بها یهتدی الناس لسلوک سبیل الله و بدروسها عن موت اولئک الحجج الماضین و زوال کتبهم الالهیة من بین الخلق سیما العرب.

الثانی عشر ظهور اعلام الردی، وهم ائمة الضلال الداعین الی النار.

الثالث عشر کون الدنیا متهجمة فی وجـوه اهلها مکفهرة، و فـی روایة متهجمة لاهلها عابسة فی وجوه طلابها، و کنی بذلک عن عـدم صفائها لهم فان طیب العیش فی الدنیا انما یکون مع الامنیة بوجود نظام العدل والنصفة بین اهلها وعدم التظالم والتعاند، و ذلک فی زمان الفترة کان مفقوداً بین العرب، وهـو استعارة بالکنایة و وجـه المشابهة ما یستلزم المستعار عنه والمستعار له من عدم تحصیل المطلوب وفقد الانجاح معهما.

الرابع عشر کون الدنیا مدبرة غیر مقبلة، و وجه ذلک مامر من عدم اثار الدین و اندراس الکتب والشرائع والقوانین و وقوع الهرج والمرج فی ذلک الحین.

الخامس عشر کون ثمرها الفتنة، ای غایة سعیهم فیها علی خبط فی ظلمات الجهل والهوی، انما یکون الفتنة ای الضلال عن سبیل الحق والوقوع فی مهوی الحیرة والنکال والظلمة والوبال وغایة کل شیء هی المقصود منه، فتشبه الثمرة التی هی مقصود الشجرة، فلذلک [عین] لها لفظ الثمرة

السادس عشر کون طعامها الجیفة، یحتمل ان یکـون الجیفة استعیر ههنا لطعام

الدنيا و لذاتها، و وجه المشابهة انـه لماكانت الجيفة عبارة عما انتن و تغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث مأكله ونفر الطبع عنه، كـذلك طعام الدنيا و لذاتها فى زمان الفترة اكثر مايكون من النهب والغارة والسرقة و امثالها ممايخبث تناولـه شرعاً ويتنفر العقل عنه ويأباه كرائم الاخلاق، فاشبه مايحصل من متاعها الجيفة فى خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبثين عقليا والاخر حسياً فاستعير لفظها له.

ويحتمل ان يكنى بالجيفة عماكانوا يأكلونه فى الجاهلية من الحيوان غير مزكى و هوما حرمه القران الكريم من ذلك فى قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير و ماأهل لغيرالله بـه والمخنقة والموقوذة (المائدة ـ ٣)، اى المضروبة بالخشبة حتى تموت و يبقى الدم فيهافيكون الـذ واطيب عند المجوس، والمتردية (المائـدة ـ ٣)، اى التى تردت من علو فماتت، فان كل ذلك اذامات فكثيراً مايتعفن و يؤكل، فصدق ان طعامهم كان الجيف.

السابع عشر كون شعارها الخوف.

الثامن عشر دثارها السيف ، وهما على حـذف المضاف اى شعار اهلها و دثار اهلها، استعار عليه السلام لفظى الشعار والـدثار الخوف والسيف ، و وجـه الاستعارة الاولى: ان الخوف و ان كان من العوارض الا انـه كثيراً مايستتبع اضطراب البدن و اصفرار لونه و انفعاله بالرعـدة لاعضائه فيكـون شاملا لـه شمول مايتخذه الانسان شعاراً، و وجه الثانية: ان الدثار و السيف يشتركان فى مباشرة المدثر والمضروب و الالتصاق بهما.

و التاسع عشر كونهم ممزقا كل ممزق، يحتمل ان يكون المراد تمزق ابدانهم بالسيوف والقتال وتقطع ارحامهم بالفسوق والفجور ، او الخصومة بينهم والجدال و تباعد اقربائهم فى الأطراف النائية والبلدان القاصية ، او تفرق ارائهم و تشتت اهوائهم كمافى قوله تعالى: فتقطعوا امرهم بينهم زبراً (المؤمنون ـ ٥٣).

العشرون كـونها قـداعمت عيون اهلها، لغلبة الظلمة والجهالة علـى قلوبهم و استيلاء غشاوة الطبيعة و درن المعصية على بصائرهم.

الواحد والعشرون کونها قد اظلمت علیها ایامها لکثرة الفتن و الجور و الظلم فیها .

الثانی والعشرون قطع ارحامهم بعضهم عن بعض.

الثالث والعشرون سفك دمائهم بعضهم لبعض، فان الزمان اذا خلی عن قانون عدل وسلطان عادل قاهر علی الناس بتأیید من عندالله یخضعه الخلائق کلهم، یری کل احد حظ نفسه و ان یکون الامر له لاعلیه، فیغلب علی من یقوی علیه فیأخذ مافی یده وان ابی یسفك دمه، وکذا من یغلب علی هذا فیقع الفساد والهرج فی العالم.

الرابع والعشرون دفنهم فی التراب الموؤدة بینهم من اولادهم ، کان اذا ولد لاحدهم فی الجاهلیة بنت دفنها فی التراب وهی حیة.

الخامس والعشرون کونهم علی حالة یجتاز دونهم طیب العیش و رفاهیة خفوض الدنیا، ای یزول عنهم طیب العیش و الرفاهیة، و الخفوض جمع الخفض و هوالدعة والراحة والسکون، و فی نسخة یختار بالخاء المعجمة ای یراد و فی اخری طلب العیش بدل طیب العیش و فی بعضها حفوظ من الحفظ.

السادس و العشرون کونهم لا یرجون من الله ثوابا و لایخافون والله منه عقابا، لکون رجاء الثواب و خوف العقاب منه تعالی فرع الایمان به و بالیوم اخر و حیث لم یکن لهم فیه احدهما فلارجاء لثواب و لاخوف لعقاب، و قوله علیه السلام: والله ، قسم وقع اعتراضا لزیادة التأکید.

السابع و العشرون کون حیهم اعمی نجس و میتهم فی النار مبلس، وهذا کالفذلکة و النتیجة للاوصاف المذکورة والاحوال المعدودة للدنیا و ابنائها فی ذلك الزمان ، فان الزمان اذا خلا عن اعلام الهدی و ظهرت اعلام الردی و ارتفع منه انوار العلم و الایمان و انتشرت فیه ظلمات الجهل و الظلم و الطغیان و سائر ماسبق من المذکورات کانت حال ابناء هکذا، من کون الاحیاء عماة عن درك المعارف اشقیاء نجسین والاموات فی النار معذبین مبلیسن من رحمة رب العالمین.

و لفظ نجس اختلف النسخ فیه ففی بعضها بالجیم و هو من النجاسة فیکون

كناية عن الكفر لقوله تعالى: انما المشركون نجس (التوبة ـ ٢٨)، وفي بعضها بالحاء غير المعجمة وهو من النحوسة اى الشقاوة وفي بعضها بكسر النون وسكون الجيم بمعنى الناقص و الاول اولى.

ثم لما فرغ عليه السلام من عد مذمائم الاحوال التى كان الناس عليها فى اوان البعثة و بين غاية حاجتهم الى النبى المبعوث والكتاب فرع عليه قوله عليه السلام: فجائهم بنسخة مافى الصحف الاولى، ارادبها التورية والانجيل وصحف ابراهيم عليه السلام وغيرها من الصحف النازلة على الانبياء عليهم السلام وهى كثيرة بل مائة صحيفة.

كمارواه الصدوق فى كتاب الخصال عن ابى ذر رحمه الله انه قال: قلت: يا رسول الله كم انزل الله من كتاب؟ قال مائة كتاب واربعة كتب، انزل الله على شيث خمسين صحيفة و على ادريس ثلاثين صحيفة و على ابراهيم عشرين صحيفة و انزل التورية والانجيل والزبور والفرقان.

ويحتمل ان يكون المراد منها الصحف الالهية المكتوبة بالقلم الالهى فى الالواح القضائية، فان القران نسخة من اللوح المحفوظ جعل للقران اوصافا ثلاثة: اولها انها نسخة لمافى الصحف الاولى، وثانيها انه تصدين الذى بين يديه يعنى به التورية والانجيل كماقال تعالى: ومصدقا لما بين يديه من التورية (المائدة ـ ٤٦)، وكل امر تقدم امرا منتظراً قريباً منه يقال انه جاء بين يديه، و ثالثها انه تفصيل الحلال من ريب الحرام، اى يتبين فيه الاحكام وينفصل به الحلال الطلق من شبهة الحرام فضلا عن صريحه.

فالوصفان الاولان للدلالة على انه كتاب مبين تنزيل من رب العالمين والوصف الاخير لكونه فيه تفصيل كل شىء، فدلت الاوصاف الثلاثة بعد ماثبت من المذكورات قبلها حاجة الناس الى الشريعة والكتاب على ان هذا القران ممايحتاج اليه فى جميع الاحكام وفيه علوم الاولين والاخرين كما سينبه عليه، وليس فى شىء مماسواه غنى عنه من كتاب اوسماع اوقياس او غيرذلك، اذ كل ماهو غير القران اوماينتمى اليه من السنة فهو بدعة وسفه وهذيان.

ولاجل هذا قال: ذلك القران ـ مشيراً اليه ثم امرباستنطاقه بقوله ـ فاستنطقوه،

وعنى به‌استعلام‌الاخبار والاحكام عنه، ثم‌اشارالى ان‌ليس‌كل احدممن ينطق له‌القران، اذالايفهم لسانه الااهل الله خاصة ولذلك قـال: ولن ينطق لكم، لعدم السمع الباطنى والاذن القلبى فيكم.

ثم بين انه عليه‌السلام لسان الله الناطق عنه‌كتبه للخلق المخبر عن اسرارالقران ومكنوناته فقال: اخبركم، وفى رواية نهج‌البلاغة: ولكـن اخبركم عنه، ونبه على ان فى‌نفسه القدسية علـم‌الاولين واخبارالقرون الماضين وعلم مايأتى من‌الفتن والملاحم واشراط‌الساعة واحوال يوم‌القيامة، وحكم مابين‌الناس من‌الحلال والحرام والدعاوى والخصام والمناكحات والمواريث والحدود و سائرالاحكام ، و بيان مـااصبح الناس مختلفين فيه من مسائل الاعتقاديات و سائر مااشتمل عليه‌القران‌الكريم، ثم قال : فلـو سألتمونى عنه لعلمتكم، واشار بايراد كلمة «لو» دون «اذا» ونحوها الى عدم من‌يسأله عن غوامض مقاصدالقران و اسرار علومه‌كمادل عليه قوله عليه‌السلام : ان هنهالعلوماً جمة[1] لو وجدت لهاحملة.

الحديث الثامن
و هوالسادس والثمانون والمائة

«محمدبن‌يحيى عن‌محمد بن‌عبدالجبار» قمى ثقة من‌اصحاب‌الهادى‌عليه‌السلام، ابن‌ابى‌الصهبان روى‌عنه سعد وغيره و هوممن لم يرو، كذا فى‌فهرست‌الشيخ[2]، و قال الكشى روى عن ابى‌بكير. «عن ابن‌فضال عن حماد بن‌عثمان عن‌عبدالاعلى بن‌اعين»، العجلى مولاهم الكوفى من اصحاب الصادق عليه‌السلام. «قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: قدولدنى رسول‌الله صلى‌الله عليه واله وانا اعلم‌كتاب‌الله و فيه بدأ الخلق

۱ــ لعلماً جما «نهج».

۲ــ و فى‌الفهرست: محمد بن‌ابى‌الصهبان واسم ابى‌الصهبان عبدالجبار، له روايات، اخبرنا بها ابن ابى‌جيد عن ابن الوليد عن سعد والحميرى و محمد بن يحيى و احمد بن ادريس عنه.

وماهو كائن الى يوم القيامة، وفيه خبر السماء و خبر الارض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ماكان و ماهو كائن، اعلم ذلك كما انظر الى كفى، ان الله يقول فيه: تبيان كل شيء».

الشرح

قوله عليه السلام: قدولدنى رسول الله صلى الله عليه و اله، يعنى بذلك انه وارث علم الرسول صلى الله عليه واله وان الولد سرابيه و ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً انما ميراثهم العلم.

ثم ان الولادة على ضربين : صورية و معنوية، اما الولادة الصورية فظاهرة، و اما المعنوية فهى ولادة العلم والعالم بماهو عالم، فانمايصير العالم عالماً حقيقيا بحصول نشأة اخروية فى ذاته تغاير هذه النشأة الدنيوية، ونسبة المعلم والشيخ الى المتعلم والمريد نسبة الاب الى الولد فى هذه الولادة الروحانية، وربما اجتمع الضربان من الولادة اى الصورية والمعنوية لاحد بالنسبة الى شخص واحد بان يكون والده معلمه.

اذا تحقق هذا فنقول: نسبة الائمة الطاهرين عليهم السلام الى النبى صلى الله عليه واله جامعة لكلتا الولادتين، فهم اولاده الروحانية والجسمانية و اجتمع فى كل واحد منهم النسبتان فيكون نوراً على نور.

فاذا ثبت انه عليه السلام ولد الرسول صلى الله عليه واله بكلتا الودتين فيكون له ميراث علم الرسول وكل من كان وارث علم النبى صلى الله عليه واله كان عالماً بكتاب الله ، لان علم النبى فيه ، اذنزل اليه من عندالله ، فاذن صح قوله: وانا اعلم كتاب الله.

ثم اراد ان يتبين انه عالم بكل الامور عارف بجميع الاحكام لانها كلها فى الكتاب فقال: وفيه بدأ الخلق الى قوله: و ماهو كائن، اشار الى مجامع اقسام العلوم كلها، لانها اما علم باحوال المبدأ و مايتعلق به واما باحوال الكون والحدوث و مايتعلق به و اما باحوال المعاد و مايتعلق به، والى هذه الثلاثة اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله: رحم الله امرىء اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من اين وفى اين والى اين.

یعنی ان المعتبر من کمال القوة العملیة فعل مابه‌نظام المعاش و نجاة المعاد، و من کمال‌القوة النظریة العلم بالمبدأ والمعاد و مابینهما [من] جهة النظر والاعتبار.

فقوله: وفیه بدأ الخلق، اشارة الی‌العلم بالله وصفاته العلیا و اسمائه الحسنی و افعاله‌العظمی و ملائکته الکبری.

وقوله: وماهو کائن الی یوم القیامة اشارة الی‌العلم بالامورالکائنة‌الفاسدة التی وقع الانسان فیها فی‌اوسط احواله‌الثلاثة بین ماکان اولا وهو کینونته السابقة فی‌مراتب البدو وفی مکامن علم‌الله و عالم قضائه و قدره وبین ماسیصیراخیراً فی‌منازل العود فی القبر والبرزخ والمحشر والجنة او النار.

ولماکانت هذه الکائنات الی‌یوم القیامة متکونة من اصول ثابتة الی یوم القیامة هی‌اسبابها‌الفاعلة والمنفعلة کالابوین اشارالیها بقوله: وفیه‌خبرالسماء والارض، وقوله: وفیه خبرالجنة وخبرالنار، ثم‌اجمل فی‌البیان بعدالتفصیل ایضاحاً وتأکیداً فقال: وخبر ماکان وماهو کائن، ثم اشار بقوله: اعلم ذلک کما انظر الی کفی، الی‌ان‌علمه بالجمیع اقوی مراتب‌العلم و اوضحها وهوالعلم‌الشهودی الکشفی ثم‌اضاح البیان وانارالبرهان علی ان جمیع‌العلوم فی‌القران بقوله: فیه تبیان کل‌شیء.

الحدیث التاسع

و هوالسابع والثمانون والمائة

«عدة من اصحابنا عن‌احمد بن‌محمد بن‌عیسی، عن‌علی بن‌النعمان، عن‌اسمعیل بن‌جابر عن ابی عبدالله علیه‌السلام قال: کتاب‌الله فیه نبأماقبلکم وخبرمابعدکم و فصل مـابینکم و نحن نعلمه».

الشرح

لماعلمت ان‌العلوم التی یجب ان‌یستکمل بهاالنفس الانسانیة قسمان: احدهما مایتعلق بامور لنا ان نعلمها و لیس لنا ان نتصرف فیها، والثانی مایتعلق بامـور لنا ان

نعلمها لنعملها و نتصرف فيها، فالغاية في الاول حصول نفس العلم و المعرفة وفي الثاني حصول العمل، والاول قسمان هما ثمرتا سائر ابوابه و فصوله: احـدهما معرفة احوال المبدأ والثاني معرفة المعاد، والقران مشتمل على هـذه الاقسام الثلاثة الحكمية علـى اكمل وجه.

فلايبعد ان يكون مراده عليه السلام من قـوله: فيه نبأ ماقبلكم، الى القسم الاول من الحكمة النظرية وقوله: خبر مابعدكم، الى ثاني قسميها، و قـوله: وفصل مابينكم، اشارة الى الحكمة العملية، وحمل القبلية والبعدية على الذاتيتين اومايعمهما والزمانيتين اولى من حملها على الزمانيتين فقط ليكون الدلالة مقصورة على حكايات القرون الماضية و اللاحقة ، و الضمير في قوله: ونحن نعلمه، راجع الى كتاب الله اوالى المذكورات الثلاثة بتأويل الجميع ونحوه.

الحديث العاشر
وهوالثامن و الثمانون والمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن اسمعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن ابي المغرا» اسمه حميد بن زياد من اهل نينوى، قرية الى جانب الحائر على ساكنه السلام ثقة عالم جليل واسع العلم كثير التصانيف قاله الطوسي رحمه الله ، و قال النجاشي: حميد بن زياد بن حماد بن زياد الدهقان ابوالقاسم كوفي، سكن سوراً و انتقل الى نينوى قرية على العلقمي الى جانب الحائر على صاحبه السلام كان ثقة واقفاوجهاً فيهم، مات سنة عشروثلاث مائة، فالوجه عندي ان روايته مقبولة اذاخلت عن المعارض «صه». «عن سماعة عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: اكل شيء في كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه واله او تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه واله».

الشرح

لماكان اشتمال القران والسنة على كل شيء امرا غامضاً دقيقاً لايتيسر لكل احد ان يعلم ذلك و يصدق به، لهذا كرر سماعة الاستفهام شبه الانكار فاكد عليه‌السلام في الجواب تحقيقا لما استفهم عنه.

وانت ياحبيبي اناردت انتعرف حقيقة هذا الامر وانكشف لك سره على وجه الاجمال فاعلم: ان العلم بالاشياء الجزئية علـى وجهين: احـدهما ان تعلم الاشياء من الاشياء بحس او تجربة او سماع خبراو شهادة او اجتهاد، و مثل هـذا العلم لايكون الامتغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، فانه يلزم ان يعلم في زمان وجـودها علماً وقبل وجودها علما اخر ثم بعده علما اخر.

فاذاسأل العالم بهذا العلمعنحادث ماكالكسوف مثلاحينوجوده يجيببجواب فيقول مثلا : انكسف الشمس، و اذا سأل عنه قبل حدوثه يجيب بجواب اخر فيقول : سيكون الكسوف، ثم اذا سأل بعده فيقول: قدكان الكسوف، فعلمه بشيء واحد تارة كان و تارة كائن و تارة سيكون فيتغير علمه، ومثل هذاالعلم الانفعالي متغير فاسد ليس بيقين، اذ العلم اليقيني مالايتغير اصلا.

وثانيهما: ان لايعلم الاشياء من الاشياءبل بمباديها و اسبابها، فيعلم اوائل الوجود وثوانيهاوهكذاالىانينتهي الى الجزئياتعلما واحداً وعقلا بسيطاًمحيطاً بكليات الاشياء وجزئياتها على وجه عقلي غيرمتغير.

فمن عرف المبدأ الاول بصفاته اللازمة وعرف انه مبدأكل وجـود و فاعلكل فيض وجـود ، عرف اوائل الموجـودات عنه ومايتولد عنها على الترتيب السببي و المسببي كمايتولد مراتب العدد منالواحد علىالترتيب، ومامن شيء منالاشياء يوجد الا و قد صارمن جهة مايكون واجبا بسببه وسبب سببه الى انينتهي اليه تعالى، فيكون هذه الاسباب بمصادماتها تتأدى الىانيوجد عنها الامور الجزئية.

و هـذا النحو منالعلم انما يحصل لانسان فارقت نفسه الاوطان و المـواد و التعلقات و هـاجر الىالله تعالـى كماقال عيسى عليه السلام : اني مهاجر الـى ربي

سيهديني[١]، فاذا ارتقى الى عالم الربوبية وافاض عليه من نوره صار عقله للاشياء عقلا بسيطاً يعقل الاشياء بعلم الله الفائض عليه، فيكون مدركاً للامور الجزئية من حيث هى دائمة كلية و من حيث لاكثرة و لاتغير فيه، ونسبة علمه بالاشياء الى سائر العلوم كنسبة القوة الباصرة الى ادراك اجزاء المبصرات بابصار واحد ، فما وقع عليه سهم الشعاع البصرى يكون اولا وبالذات وهو اصدق رؤية ثم مايليه ومايلى يليه وهكذا الى الاطراف.

فهكذا حال علم الانبياء و الاولياء عليهم السلام باشياء، فان العالم كله كشخص متصل اجزائه بعضها ببعض وعلمهم بها كشعور النفوس بجميع اجزاء بدنها علما[٢] واحداً متفاوتا على ترتيب الاقرب فالاقرب والالطف فالالطف، فانها شاعرة بذاتها اولا ، و بواسطة شعورها بذاتها تشعر مايقرب ذاتها من القوى و الارواح الكامنة فى القلب الذى هومثال العرش والدماغ الذى هومثال الكرسى ثم بوساطتها الاعضاء اللطيفة والبسيطة ثم المركبة على ترتيب الالطف فالالطف حتى ينتهى الى الجلد والشعر و الاظفار كل ذلك بعلم واحد بسيط، ولو اردنا بيان تفصيل ذلك الشعور و العلم الذى لها باجزاء بدنها وقواها و مشاعرها لمايسع له المجلدات بل لادى ذلك الى غير متناه من العلوم.

وبالجملة من عرف كيفية علم الله تعالى وعلم مقربيه من الملائكة بالاشياء الجزئية الكائنة الفاسدة المتعاقبة فى الكون علماً كليا ثابتاً دائماً من غير تغير و زوال ولااستحالة وانتقال، وان كانت المعلومات جزئية كائنة مستحيلة زمانية متجددة فى انفسها و بقياس بعضها الى بعض، امكنه ان يعلم حينئذ كيفية علم الانبياء والاولياء الكاملين عليهم السلام باحوال الموجودات الماضية والمستقبلة و علم ماسيكون الى يوم القيامة علما كليا ثابتاً غير متجدد بتجدد المعلومات و لامتكثر بتكثرها، وعند ذلك يعرف معنى قوله تعالى وفيه تبيان كل شىء ويصدق بان جميع العلوم والمعانى فى القران الكريم عرفانا حقيقياً و تصديقاً يقينياً على بصيرة لاعلى وجه تقليد او سماع او مايجرى مجراهما.

اذما من امر من الامور الا وهو مذكور فى كتاب اما بنفسه او بمقوماته و اسبابه

١ــ نقل الشارح كلامه عليه السلام بمعناه.

٢ــ شعورا. النسخة البدل فى الاصل للشارح.

و مباديه و غاياته، وقد علمت ان العلم بسبب الشيء يوجب العلم به، بل العلم الحقيقى بالمعلول ذى السبب لايحصل الا من جهة العلـم بسببه، ولهذا ليس الاحساس بالشيء ولا التجربة او يجرى مجراهما علما حقيقيا بذلك الشيء ، و اكثر الناس لمالم يعرفوا المبدأ الاول تعالـى حق معرفته ولا اوائل الموجودات والمبادى الكلية والغايات ولا عرفوا العقول ولا النفوس ولا الطبائع الكلية واغراضها و اشواقها فى دؤبها وحركاتها الدورية تقربا الى الله و طاعته ومايترشح عنها من الخيرات ونعم الله على الكائنات حتى انهم لايعرفـوا نفوسهم التى هى اقرب شيء اليهم، فلاجرم لايمكنهم فهم ايات القران وعجائبه و اسراره و مايلزمها من الاحكام والعلـوم التى لايتناهى ولايعد ولايحصى، و لو كان البحر مداداً والاشجار اقلاماً و الافلاك بصفائحها صحائفا وكتباً و اوراقاً.

ولاجل ذلك صار الانسان يتعجب من كـون القران مع صغر حجمه و وجازة نظمه فيه جميع العلوم والاخبار، ولايؤمن بالقران واياته الا القليل من الناس وهم الذين خصهم الله بنوره ونور قلوبهم باياته و اتاهم الحكمة و فصل الخطاب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ــ ۴).

باب اختلاف الحديث

وهو الباب الواحد والعشرون من كتاب العقل والعلم وفيه عشرة احاديث:

الحديث الاول

و هو التاسع والثمانون و المائة

«علـى بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه ، عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليمانى» الصنعانى قال النجاشى: شيخ من اصحابنا ثقة روى عن ابى جعفر و ابى عبدالله عليه السلام، ذكر ذلك ابـو العباس وغيره، وقال ابن الغضائرى: انه ضعيف جدا روى عن ابـى جعفر و ابى عبدالله عليه السلام وله كتاب ويكنى اباسحق ، وقـال العلامة: و-الارجح عندى قبول روايته وان حصل بعض الشك بالطعن فيه.

واعترض عليه المحشي رحمه الله في هذا الترجيح بوجهين: احدهما ان الجرح والتعديل متعارضان فيه فيكون الترجيح مع الجرح كما تقرر عندهم، والثاني ان النجاشي نقل توثيقه عن ابي العباس وغيره كما يظهر من كلامه والمراد بابي العباس هذا اما احمد بن عقدة وهو زيدي المذهب لايعتمد على توثيقه او ابن نوح، ومع الاشتباه لايفيد و غيره مبهم لايفيد فائدة يعتمد عليها. «عن ابان بن ابي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لامير المؤمنين عليه السلام: اني سمعت من سلمان والمقداد و ابي ذر شيئاً من تفسير القران و احاديث عن نبي الله صلى الله عليه و اله غير ما في ايدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، و رأيت في ايدي الناس اشياء كثيرة من تفسير القران ومن الاحاديث عن نبي الله صلى الله عليه و اله انتم تخالفونهم فيها و تزعمون ان ذلك كله باطل، افترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه واله متعمدين و يفسرون القران بارائهم؟ قال: فاقبل علي فقال: قد سألت فافهم الجواب، ان في ايدي الناس حقاً و باطلا و صدقاً وكذباً ناسخاً و منسوخاً و عاماً وخاصاً و محكماً و متشابهاً و حفظاً و وهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه واله على عهده حتى قام خطيباً فقال: ايها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده و انما اتاكم الحديث من اربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لايتأثم ولايتحرج ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه واله متعمداً، فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه واله و رآه و سمع منه فاخذوا عنه و هم لايعرفون حاله، وقد اخبره الله عن المنافقين بما اخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزوجل: اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم (المنافقون ـ ٣)، ثم بقوا بعده فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والكذب و البهتان فولوهم الاعمال وحملوهم على رقاب الناس و اكلوا بهم الدنيا و انما الناس مع الملوك و الدنيا الا من عصم الله، فهذا احد الاربعة، و رجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله[1] على وجهه و

١ــ لم يحفظه. النسخة البدل في الاصل للشارح.

وهم فیه و لـم یتعمد کذبا و هـو فی یده یقول به ویعمل ویرویه فیقول: انا سمعته من رسول‌الله صلی‌الله علیه واله، فلو علم المسلمون انه وهم لم یقبلوه ولوعلم هو انه وهم لرفضه، و رجل ثالث سمع من رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله شیئاً امر به ثم نهی عنه و هولایعلم اوسمعه ینهی عن‌شیء ثم‌امربه وهولایعلم، فحفظ منسوخه ولم یحفظ‌الناسخ. فلو[1] علم انه‌منسوخ لرفضه ولوعلم المسلمون اذسمعوه منه انه منسوخ لرفضوه، واخر رابع لم یکذب علی رسول‌الله صلی‌الله علیه واله مبغض للکذب خوفاً من‌الله و تعظیماً لرسوله[2] لم ینسه بل حفظ ماسمع علی وجهه فجاء به‌کما سمع لم یزد فیه ولم ینقص منه، وعلم‌الناسخ من‌المنسوخ فعمل[3] بالناسخ ورفض‌المنسوخ، فان امرالنبی صلی‌الله علیه واله مثل القران ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محکم و متشابه، قدکان یکون من رسول‌الله صلی‌الله علیه واله الکلام له وجهان: وکلام عام وکلام خاص مثل‌القران وقال‌الله عزوجل فی کتابه: ماا‌تیکم الرسول فخذوه ومانهیکم عنه فانتهوا (الحشر-۷)، فیشتبه علی من لم یعرف ولم یـدر ما عنی‌الله به ورسوله صلی‌الله علیه واله و لیس کل اصحاب رسول‌الله (ص) کان یسأله عن‌الشیء فیفهم، وکان منهم من لایسأله ولایستفهمه حتی ان‌کانوا لیحبون ان یجیء الاعرابی والطاریء فیسأل رسول‌الله صلی‌الله علیه واله حتی یسمعوا، وقدکنت ادخل علی رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله‌کل یوم وکل‌لیلة دخلة فیخلینی فیها ادور معه حیث دار، قد علم اصحاب رسول‌الله صلی‌الله علیه واله انـه لم یصنع ذلک باحد من‌الناس غیری، فربماکان فـی بیتی یأتینی رسول‌الله صلی‌الله علیه واله اکثر[4] ذلک فی بیتی، وکنت اذا دخلت علیه بعض منازله اخلا بی[5] و اقـام عنی نسائه فلایبقی عنده غیری، فاذا اتانی للخلوة معی فی منزل لم تقم عنی فاطمة ولااحد

۱ـ ولو (الکافی).

۲ـ لرسول‌الله صلی‌الله علیه واله (الکافی).

۳ـ وعمل. النسخة البدل فی‌الاصل للشارح.

۴ـ اکثرمن. النسخة البدل فی‌الاصل الشارح.

۵ـ اخلانی (الکافی).

من بني، وكنت اذا سألته اجابني و اذاسكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول‌الله صلى‌الله عليه واله اية من‌القران الا اقرأنيها واملاءها على فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها و محكمها ومتشابها و خاصها وعامها و دعاالله ان يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت اية من كتاب‌الله ولاعلما املاءه على وكتبته منذدعاالله لي بمادعا، وماترك شيئاعلمه‌الله من‌حلال اوحرام ولاامر ولانهى كان اويكون ولاكتاب منزل على‌احد قبله من‌طاعة اومعصية الاعلمنيه وحفظته ولاانس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري و دعاالله لي ان‌يملاء قلبي علما وفهماً و حكماً ونوراً فقلت: يا نبي‌الله بابي انت وامي منذ دعوت‌الله لي بما دعـوت لم انس شيئاً ولم يفتني شيء لم‌اكتبه، افتتخوف على‌النسيان فيمابعد؟ فقال لالست اتخوف عليك‌النسيان والجهل».

الشرح

تبوء مقعده نزله و استقر فيه، و وهم بالكسر غلط و بالفتح ذهب و همه الـى شيء وهو يريـد غيره، و املاء الكتاب املاء انشأ الفاظه و معانيه، و امللته واستمليته الكتاب سألته ان يمليه على.

واعلم ان‌الغرض من ايراد هذا الحديث، بيان السبب فـى اختلاف الناس بعد رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه واله واختلافهم في‌تفسير الكتاب و مايترتب على‌ذلك من‌اختلاف المذاهب والاراء و تشتت الاقوال و حـدوث البدع والا هواء، فانه لماسأل سليم بن قيس‌امير المؤمنين عليه‌السلام عن‌ذلك بقوله: اني‌سمعت من‌سلمان الى‌قوله: ويفسرون القران بارائهم، فاقبل على‌عليه‌السلام عليه و اجابـه عماسأله و فك عقدة قلبه وحل له شبهة ضميره بما اجاب.

فقوله عليه‌السلام: ان في ايـدى الناس الى قوله: و حفظاً و وهماً، شروع في تمهيد الجواب وبيان السبب في‌الاختلاف و هوتعديد انواع الكلام الواقع في ايدى الانام من فرق الاسلام نقلا عن رسول‌الله صلى‌الله عليه والـه، والصدق والكذب من خواص الخبر، والحق والباطل اعم منهما لصدقهما علـى الافعال ايضا، و يقال للخبر

باعتبار مطابقته لمافى الواقع صدقا وباعتبار مطابقة مافى المواقع له حقاً ، وكذا القياس في اتصافه بالكاذب و الباطل باعتبارين، والنسخ عبارة عن الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم علـى وجـه لـولاه لكان ثابتاً ، فيقال للاحق ناسخاً وللمتقدم منسوخاً.

والعام: قيل: هواللفظ المستغرق لما يصلح له بوضع واحد.

وقال الغزالى: العام اللفظ الواحد الدال من جهة واحدة على شيئين فصاعداً و يقابلـه الخاص ، و المحكم هـوالخطاب الدال علـى معنى لايحتمل غيره و المتشابه بخلافه.

واما الحفظ، فالمراد به ههنا ماحفظ عن الرسول صلى الله عليه واله كما هو، و- الوهم ماغلط فيه فتوهم مثلا انه عام وهو خاص او بالعكس او توهم انه ثابت و هـو منسوخ او بالعكس الى غيرذلك من وجوه الأشتباه بين المتقابلات.

وقـوله: قدكذب على رسول الله فى عهده الى قوله: النار، تأكيد لما ذكره من كون مافى ايدى الناس ليس كله حديثاً صحيحاً حقاً عن رسول الله (ص) بل بعضه كاذب كذب عليه صلى الله عليه واله بوقوع الكذب عليه فـى عهده و زمانه و بانه اخبر نفسه صلى الله عليه واله عن ذلك فقام خطيباً علـى المنبر ايذانابه على الناس ليعلموا ذلك و يحتاطوا فى قبول الحديث فلايقبلوا الا عن عدل حفوظ غير واهم.

فذلك الكذب مثل ماروى ان رجلا سرق رداء النبى صلى الله عليه واله و خرج الـى قـوم وقال: هذا رداء محمد اعطانيه لتمكنونى من تلك المرأة، فاستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلى الله عليه والـه عن ذلك، فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات، وكان النبى صلى الله عليه و الـه حين سمع بتلك الحال قـال لعلى عليه السلام: خذالسيف وانطلق فان وجدته وقدكفيت فاحرقه بالنار، فجاء باحراقه وكان ذلك سبب الخبر المذكور.

واعلم ان العلماء ذكروا فى بيان انه لابد ان يكذب عليه دليلا فقالوا: قد نقل عنه صلى الله عليه واله انه قال: سيكذب على، فان كان ذلك الخبر صدقاً فلابد ان يكذب عليه

وان کان کذبا فقد کذب علیه.

ثم شرع علیه‌السلام فی قسمة رجال الحدیث و قسمهم اربعة اقسام، و وجه الحصر فی الاقسام الاربعة ان الناقلین للحدیث عنه صلی‌الله علیه‌واله المتسمین بالاسلام امامنافق اولا، والثانی اما ان یکون قد وهم فیه اولا، والثانی اما ان لایکون قد عرف مایتعلق به من شرائط الروایة اویکون، فالاول وهو المنافق ینقل کما اراد، سواء کان اصل الحدیث کذبا اوان له اصلا حرفه او زاد فیه او نقص بحسب هواه فهو ضال مضل تعمداً وقصداً، والثانی یرویه کمافهم و وهم فهوضال مضل سهواً، والثالث یروی ماسمع فضلاله و اضلاله عرضی، و الرابع یؤدیه کما سمعه و کما هو علیه فهو هادی و مهدی.

فاشار علیه‌السلام الی القسم الاول بقوله: رجل منافق الی قوله : فهذا احد الاربعة، و ذکر من صفات المنافق: انه مظهر للایمان ، ای مظهر لکلمة التوحید والنبوة بلسانه ولیس کما یظهره، اویقول : انی مؤمن کماقالت الاعراب امنا و قلبه مشحون بالکفر.

و انه متصنع بالاسلام، ای متکلف بشعار المسلمین متزی بزیهم.

و انه لایتأثم ، ای لایعتقد الاثم اثماً و لایری لزوم العقاب علیه فی الدار الاخرة.

ولا یتحرج، ای‌لایحذر منه وانه یکذب علی رسول‌الله صلی‌الله علیه واله‌متعمداً علی حسب ماهواه فی‌امر دنیاه لعدم ایمانه بالیوم الاخر، و وجه دخول الشبهة فی‌قبول حدیثه و الاخذ بقوله‌کونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول صلی‌الله علیه واله و سماع الحدیث منه، فلو علم‌الناس نفاقه وکذبه لم‌یقبلوا منه الحدیث والروایة.

ثم اشار علیه‌السلام الی ما اخبرالله رسوله عن‌المنافقین بما اخبره و وصفهم له بما وصفهم لیعلموا ان استقامة الظاهر فی‌الاقوال والافعال و حسن‌الشمائل لاینافی‌فساد الباطن وتلطخه بالکفر ولاالکذب علی‌الله و رسوله‌صلی‌الله علیه‌واله فتلی قوله تعالی: و اذا رأیتهم تعجبک اجسامهم و ان یقولوا تسمع لقولهم (المنافقون ـ ۴).

فقوله تعالی: تعجبك اجسامهم، اشارة الـی مایکـون علیه اکثر المنافقین من صباحة الوجه والتزی بزی العدول والصلحاء، وقوله: وان یقولوا تسمع لقولهم، الی فصاحة لسانهم و طلاقة بیانهم وما حفظوا من الاحادیث والحکایات.

کماروی انه کان عبدالله بن ابی وهورأس المنافقین فی زمانه صلی الله علیه واله رجلا جسیماً صبیحاً فصیحا ذلق اللسان و قوم من المنافقین فـی مثل صفته وهم رؤساء المدینة وکانوا یحضرون مجلس رسول الله صلی الله علیه واله فیستندون فیه ولهم جهارة المناظر و فصاحة الألسن، فکان النبی صلی الله علیه واله حضر عنده یعجبون بهیاکلهم ویسمعون کلامهم وماهم الاجرام خالیة عن العلم و الایمان و ابدان فارغة عـن الخیر و الاحسان ، و لـذلك شبههم الله تعالی بماشبههم فـی قـوله : کأنهم خشب مسندة (المنافقون ـ ۴).

قال الزمخشری: لان الخشب اذا انتفع به کان فی سقف او جـدار او غیرهما من مظان الانتفاع و مادام متروکاً فارغا غیر منتفع به اسند الـی الحائط، فشبهوا بـه فی عدم الانتفاع.

وقوله علیه السلام: ثم بقوا بعده، ای بقی المنافقون بعد الرسول صلی الله علیه واله متقربین الـی ائمة الضلال والدعاة الی النار وهم بنوامیة، و دعاؤهم الـی النار دعوة اتباعهم واصحابهم بمایؤدی لهم الی النار من مخالفة امرالله ورسوله، والزور والکذب والبهتان اشارة الـی ماکانوا یتقربون به الی بنی امیة من وضـع الاخبار عن الرسول صلی الله علیه واله فی فضلهم او فیما یوافق اهوائهم واخذهم علی ذلك الاجر من اولئك الائمة و تولیتهم الاعمال والامرة علی الناس.

و یحتمل ان یکـون المراد من قوله: فولوهم الاعمال و حملوهم علی رقاب الناس: ان هؤلاءِ المنافقین بوضعهم الاحادیث جعلوا ائمة الضلال متولین للاعمال و حملوهم علی رقاب الناس، وکذلك قوله: و اکلوا بهم الدنیا یحتمل الوجهین.

وقوله: انما الناس مع الملوك، اشارة الی علة فعل المنافقین لمایفعلون، وظاهر ان حب الدنیا و لـذاتها هوالغالب علی الناس مـن المنافق و غیره لقرب طباعهم من

المحسوس و جهلم بالاخرة ونعيمها و لذاتها، فانجذبوا الى الاستغراق فى بحرالدنيا الامن عصمه‌الله و هداه بالجذب فى‌طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة ، و فيه ايماء الى قلة المؤمنين و ابناء الاخرة كماقال تعالـى: و مايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركـون (يوسف ـ ۱۰۶)، و قـوله : الا الذين امنوا و عملوا الصالحات و قليل ماهم (ص ـ ۲۴).

و انما قال: ثم بقوا بعده صلى‌الله عليه واله، ثم حكى حالهم مع ائمة الضلال وان‌كانت الائمة المشاراليهم لم يوجدوابعد، اما تنزيلا لما لابد منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع او اشارة الى من بقى منهم بعدالرسول صلى‌الله عليه واله الى معوية، لانه اذ ذاك امام ضلالة و داع الى‌النار.

ثم اشار الى القسم الثانى بقوله: و رجل سمع من رسول‌الله صلى‌الله عليه واله شيئاً ، اى سمع منه كلاماً فيتصور منه معنى غير مايريده الرسول ثم يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته الدالة على ماتصوره من‌المعنى بوهمه فلايكون قدحفظه و تصوره على وجهه المقصود للرسول صلى‌الله عليه واله، فوهم فيه‌ولم يتعمدكذبا لوهمه، فهوفى‌يده يرويه ويعمل به على وفق ماتصوره ويسنده الى‌الرسول‌صلى‌الله عليه واله، وعلة دخول الشبهة على‌المسلمين فيه هى عدم علمهم بوهمه، و علة دخولها عليه فى‌الرواية و العمل هى وهمه حين‌السماع حتى لوعلم ذلك لترك روايته والعمل به.

واشار الى‌القسم‌الثالث بقوله: رجل سمع الى قوله: لرفضه، وعلة دخول‌الشبهة على‌الراوى وعلى‌المسلمين فى‌هذا القسم من‌الخبر عدم علمهم انه منسوخ.

و اشار الى‌القسم الرابع بقوله: و اخر رابع الى قوله: و رفض المنسوخ، و ذكراوصافه ونعوته من كـونه: مبغضاللكذب خائفا من‌الله معظما لرسوله صلى‌الله عليه واله حافظاً غيرساه ولاناس جائياً بماسمعه‌كماسمعه من غير ان يزيد فيه او ينقص عنه عالماً بالناسخ من‌المنسوخ عاملا بالناسخ رافضاً بالمنسوخ.

ثم اشار بقوله: فان امر النبى صلى‌الله عليه واله الـى قوله: مثل‌القران، الـى المشاركة والمماثلة بين امر النبى صلى‌الله عليه والـه و امرالله فى‌القران فى الاشتمال

على الاقسام من ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محكم و متشابه.

و قوله: قدكان يكون من رسول‌الله صلى‌الله عليه واله، تنبيه علـى صحة القسم الثالث و دخول الشبهة فيه، فان‌منهم من كان يسمع الكلام ذى‌الوجهين منه خاص ومنه عام فلايعرف ان احـدهما مخصص للاخر ، او يسمع العام دون الخاص فينقل العام و يوجهه على غيرمعرفة بمعناه ، او انه خرج على سبب خاص فهو مقصور عليه ولاينقل سببه فيعتقده عاماً، او انـه عام فيعتقده مقصوراً على السبب فلايعمل به فيما عدا صورة السبب فيتبعه الناس فى ذلك كله سيما من يعتقد وجوب العمل بمذهب الراوى.

ثم اشار بقوله و قال‌الله عزوجل فى كتابه: مااتيكم الرسول فخذوه و مانهيكم عنه فانتهوا (الحشر ـ٧)، الى‌وجوب الاخذ بقول الرسول صلى‌الله عليه واله ووجوب طاعته بعد طاعة الله فيما امر به ونهى عنه فيؤخذ بما امر به وينتهى عما نهى عنه، فرتب على ذلك اشتباه الناس فيما يعتقدونه ويعملون به لاشتباههم و عدم معرفتهم بما عنى‌الله والرسول‌الله صلى‌الله عليه واله بما ورد فى‌الكتاب والسنة.

وقوله: وليس كل اصحاب رسول‌الله صلى‌الله عليه‌واله الى قوله: حتى يسمعوا، جواب سؤال مقدر كأن يقال: فكيف يقع الاشتباه على اصحاب الرسول صلى‌الله عليه واله فى قوله : مع كثرتهم والتفاته بهم و تـواضعه لهم؟، و لماذا لايسألونه فيمايشتبه عليهم؟ فاجاب عليه‌السلام: انهم ليسوا باسرهم كانوا يسألونه لاحترامهم له و اجلالهم اياه لغاية عظمته فـى قلوبهم، و انما كان يسأله احادهم حتى كانـوا يحبون ان يجىء الاعرابى فيسأله حتى يسمعوا و ينفتح لهم باب‌السؤال.

ثم نبه على غاية قربه من‌الرسول صلى‌الله عليه و اله ونهاية اختصاصه وملازمته الدائمة له و دورانه معه حيث ما دار، وانه كان يستقصى فى سؤاله صلى‌الله عليه والـه عن كل مايشتبه عليه ويحفظ جوابه و نبه على غاية محبة الرسول له واشفاقه عليه حتى انه‌عليه‌السلام كان اذا سكت عن‌السؤال وفنيت مسائله‌ابتدأ صلى‌الله‌عليه واله فى‌الكلام، فما نزلت عليه صلى‌الله عليه واله من‌الله اية من‌القران الااقرأها على اميرالمؤمنين عليه السلام واملاءها عليه فكتبها بخطه و علمه رسول‌الله صلى‌الله عليه واله تأويلها وتفسيرها

وبين له اقسام الايات من ناسخها ومنسوخها ومحكمها و متشابهها و غيرها كلها و دعا الله ان يعطيه فهمها و حفظها.

و ذكر عليه‌السلام سائر ماكان لــه وثبت فى حقه من خصائص ما فعل الرسول صلى‌الله عليه واله بــه عليه‌السلام ممايتعلق بالعلم والحفظ والــدراية والاحاطة بجميع مافى الكتب الالهية النازلة على سائر الانبياء وغير ذلك من الفضائل العلمية والحكمية وماينوط بها الى اخر كلامه ليرجع الناس الى امور دينهم اليه عليه‌السلام ويقتبسوا من مشكوة علمه ويستضيئوا بانوار كلامه و يهتدوا بهداه، ومن الله العصمة والهداية وبه التوفيق.

الحديث الثانى
و هو التسعون و المائة

«عــدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى عن ابــى ايــوب الخزاز، عن محمد بن مسلم عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: قلت له: مابال اقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله صلى الله عليه واله لايتهمون بالكذب فيجىء منكم خلافه؟ قال: ان الحديث ينسخ كماينسخ القران».

الشرح

معناه واضح بمامر و دخــول الشبهة فيما يروون اولئك الاقــوام من جهة كون الراوى من القسم الثالث من الاقسام الاربعة المذكورة فى كلام امير المؤمنين عليه‌السلام.

الحديث الثالث
وهو الواحد والتسعون والمائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن ابى نجران عن عاصم بن حميد ، عن منصور بن حازم قــال: قلت لابى عبدالله عليه‌السلام: مابالــى اسألك عن المسألة فتجبنى فيها بالجواب ثم يجيئك غيرى فتجيبه فيها بجواب اخر؟ فقال: انا نجيب الناس على الزيادة

والنقصان، قال: قلت: فاخبرنى عن اصحاب رسول‌الله صلى‌الله عليه واله صدقوا على محمد ام كذبوا ؟ قال: بل صدقوا ، قال: قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: اما تعلم ان الرجل كان يأتى رسول‌الله صلى‌الله عليه واله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ثم يجيبه بعد ذلك ماينسخ ذلك الجواب؟ ، فنسخت الاحاديث بعضها بعضا».

الشرح

كان لمنصور سؤالان سأله عليه‌السلام عنهما وطلب وجه‌التفصى عن مااشكل عليه ، احدهما اختلاف جوابه عن مسألة واحدة لرجلين و ثانيهما اختلاف اصحاب رسول‌الله صلى‌الله عليه واله فيما نقلوا عنه، فاجاب عن الاول بانهم عليهم‌السلام يجيبون الناس على الزيادة والنقصان فى‌القول حسب تفاوت حالهم فى‌الفهم والاحتمال القول، وعن‌الناس[1] بان اختلافهم ليس لكذبهم على رسول‌الله صلى‌الله عليه واله بل لدخول الشبهة عليهم لاجل عدم تميز بعضهم بين ناسخ الحديث و منسوخه ، و باقى‌الفاظ الكلام واضح.

الحديث‌الرابع
و هوالثانى والتسعون و المائة

«على بن‌محمد عن سهل بن‌زياد، عن ابن‌محبوب عن على بن‌رئاب، عن ابى‌ـ عبيدة‌عن‌ابى‌جعفر‌عليه‌السلام‌قال: قال‌لى: يا زياد ماتقول‌لو افتينارجلا ممن‌يتولانابشىء من‌التقية؟قال: قلت: انت‌اعلم‌جعلت فداك، قال: ان‌اخذ به‌فهوخير له واعظم اجراً، وفى رواية اخرى: ان اخذ به او جر وان تركه‌والله اثم».

الشرح

لما كان‌العمل بالتقية كبيراً على‌اكثرالناس لجمود قرائحهم الامن خصه‌الله بنور

۱ــ كذا فى‌الاصل، والظاهر: وعن‌الثانى.

من المعرفة وهداه الى طريق الفلاح، استكشف عليه السلام عن باطن الرجل واستفهم عن قوله: لو افتى رجلا من الشيعة بشيء من التقية، ثم لما اظهر الرجل الطاعة والانقياد في كل ما افتى و امر قال حق القول فيها وهو وجوب العمل بالتقية وحصول الخير وعظم الاجر في الاخذ بها و لزوم الاثم بتركها».

الحديث الخامس
و هو الثالث والتسعون والمائة

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبدالجبار، عن الحسن بن علي عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة بن اعين عن ابي جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فاجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فاجابه بخلاف ما اجابني ثم جاء اخر[1] فاجابه بخلاف ما اجابني و اجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت : يـابن رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قـدما يسألان فاجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على امر واحـد لصدقكم الناس علينا ولكان اقل لبقائنا وبقائكم، قال: ثـم قلت لابي عبدالله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم علـى الاسنة او على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ فاجابني بمثل جواب ابيه».

الشرح

عللا عليهما السلام اختلاف الاجوبة عن مسألة واحدة لشيعتهم بانهم عليهم السلام كانوا مريدين للخمول معرضين عن الدنيا و شواغلها، فلم يريـدوا اتفاق الشيعة على امر واحد لئلا يصدقهم الناس ويذعنونهم على متابعة الائمة عليهم السلام خوفاً من الشهرة الموجبة للفتنة والهلاك.

ولابد لك ان تعلم تلك الاجوبة مع اختلافها وكونها في مسألة واحدة كلها حق و صواب لعصمتهم عن الخطاء، و ذلك لان الامر الواحد قد يكون له جهات وحيثيات

١ــ رجل اخر (الكافي)

و له بكل جهة وحيثية حكم اخر مخالف للحكم الذى له بجهة وحيثية اخرى.

مثال ذلك: الانسان الواحد كزيد مثلا يصدق عليه المقولات العشر التى هى اجناس عالية متباينة اجتمعت كلها فيه وصدقت عليه باعتبارات و جهات مختلفة، فهومن حيث كونه حيوانا جوهر و من حيث كونه طويلا كم و من حيث كونه ذالون كيف و من كونه ابا مضاف ومن حيث كونه كاتبا فاعل ومن حيث كونه متحركا منفعل، وهكذا فى سائر المقولات العرضية، فهومن حيث كونه جوهراً ليس بكم ولاكيف و غيرهما ومن حيث كونه كماً ليس بجوهر ولا كيف ولاغيرهما، بل الانسان ليس من حيث هو انسان الا انسان دون غيره من العوارض اللازمة او المفارقة.

فاذا سأل هل زيد كاتب اوليس بكاتب او واحد اوكثير يمكن الجواب بطرفى النقيض، فعلى هذا السبيل يجب ان يعلم هذا المقام.

الحديث السادس
و هوالرابع والتسعون و المائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن النصر[1] الخثعمى قال: سمت اباعبدالله عليه السلام يقول: من عرف انا لانقول الا حقاً فليكتف بما يعلم منا، فان سمع منا خلاف مايعلم فليعلم ان ذلك دفاع منا عنه»،

الشرح

يعنى ان الطائفة الفائزة العارفين بانهم عليهم السلام على الحق ولايقولون الاحقاً و صواباً، يجب عليهم ان يكتفوا فى الاصول و الفروع بما علموا منهم اخذاً باليقين، فان سمعوا منهم عليهم السلام خلاف ما اعتقدوه و علموه فيجب عليهم ان يحملوا ذلك على التقية صيانة لشيعهتم و دفاعاً منهم عليهم السلام للفتنة والضرر عنها.

۱ــ عن نصر (الكافى).

الحديث السابع
و هو الخامس و التسعون و المائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن عثمان بن عيسى والحسن بن محبوب ، جميعا عن سماعة عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه فى امر كلاهما يرويه، احدهما يأمر باخذه والاخر ينهاه عنه كيف يصنع؟ قال: يرجئه حتى يلقى من يخبره، فهو فى سعة حتى يلقاه، و فى رواية اخرى: بايهما اخذت من باب التسليم وسعك».

الشرح

يرجئه اى يؤخره من ارجأت الامر اخرته، و منه المرجئة مثال المرجعة وهم الذين لايقطعون على اهل الكبائر بشىء من عفو و لاعقوبة بل يرجئون الحكم فى ذلك اى يؤخرونه الى يوم القيامة، منهم مقاتل بن سليمان.

وقد تفرد مقاتل من هؤلاء بان الله سبحانه لايدخل احداً النار بارتكاب الكبائر وانه يغفر مادون الكفر لامحالة، و ان المؤمن العاصى ربه يعذب يوم القيامة على متن الصراط على جهنم يصيبه نفخ النار و لهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة، ويقال رجل مرجئى كمرجع والنسبة اليه مرجئى كمرجعى، هذا اذا اهمزت فاذا لم تهمز قلت رجل مرج كمعط و مرجى بياء مشددة فقط وهم المرجية، لان بعض العرب يقول: ارجيت و اخطيت و توضيت فلايهمز.

والضمير المنصوب راجع الى الصنع المضمر فى يصنع اى يؤخر العمل فلايعمل باحدهما حتى يلقى من يخبره بما يعين له احدهما، لكن هذا يشكل بما اذا كان الخبران متناقضين كالامر والنهى فى شىء واحد، ولهذ وردت الرواية الاخيرة، فالرواية الاولى لمايمكن الارجاء والتأخير فيه والثانية لما لايمكن، و فى المقام كلام ليس ههنا موضع تحقيقه سنشير اليه فيما سيأتى.

الحدیث الثامن
و هوالسادس و التسعون و المائة

«علی بن ابراهیم عـن ابیه ، عـن عثمان بن عیسی عـن الحسین بن المختار» القلانسی من اصحاب ابی‌الحسن موسی علیه‌السلام واقفی، و قال ابن عقدة عن علی بن‌الحسن: انه کوفی ثقة، والاعتماد عندی علی‌الاول «صه» و قال‌النجاشی: ابوعبدالله کوفی مولی احمس من بجیلة و اخوه الحسن یکنی ابا محمد ذکرا فیمن روی عن ابی عبدالله و ابی‌الحسن علهیماالسلام له‌کتاب یرویه عنه حماد بن‌عیسی. انتهی.

و فی‌ارشاد المفید رحمه‌الله فی‌باب النص علی‌الرضا علیه‌السلام: انه من خاصة الکاظم علیه‌السلام و ثقاته و اهل الورع و العلم والفقه من شیعته.

وقال‌الفاضل‌الاسترابادی: انه‌فی‌الکافی ـ وهوهذاالکتاب ـ قال‌الحسین‌بن‌مختار: قال لی الصادق علیه‌السلام: رحمك الله، و قـد روی جماعة من الثقات عنه نصاً علی الرضا علیه‌السلام، و فی سند الفقیه الحسین بن‌المختار بیاع الاکفان روی عن‌میمون بن‌مهران‌من‌اصحاب امیرالمؤمنین‌علیه‌السلام‌فربما کان غیره، فتدبر. «عن بعض‌اصحابنا عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: ارأیتك لوحـدثتك بحدیث العام ثـم جئتنی من قابل فحدثتك بخلافه بایهما کنت تأخذ؟ قال: کنت اخذ بالاخیر، فقال[1] رحمك‌الله».

الحدیث‌التاسع
و هوالسابع والتسعون والمائة

«و عنه عن‌ابیه، عن اسمعیل بن‌مرار» روی عن‌یونس بن‌عبدالرحمن روی عنه ابراهیم بن‌هاشم لـم یرو، کذا فی رجال الفاضل الاسترابادی. «عن یونس عن داود بن‌فرقد، عن‌معلی بن‌خنیس» بضم الخاء المعجمة وفتح النون والسین المهملة بعدالیاء المنقوطة تحتها نقطتین، ابوعبدالله مولی الصادق جعفر بن‌محمد علیهماالسلام، و من قبله‌کان مولی بنی‌اسد، کوفی. قال النجاشی: انـه بزاز بالزای قبل الالف وبعدها و

۱ـ فقال لی (الکافی).

هو ضعيف جدا، وقال ابن الغضائری: انه كان اول امر مغيريا ثم دعا الی محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية، وفی هذه الظنة اخذه داود بن علی فقتله، والغلاة يضيفون اليه كثيراً، قال ولااری الاعتماد علی شیء من حديثه، و روی فيه احاديث تقتضی الذم واخری تقتضی المدح.

و قال الشيخ ابوجعفر الطوسی رحمه‌الله تعالی فی كتاب الغيبة بغير اسناد: انه كان من قوام ابی عبدالله عليه‌السلام و كان محموداً عنده ومضی علی منهاجه، وهذا يقتضی وصفه بالعدالة «صه» و قال الكشی: حمدويه بن نصير قال: حدثنی العبيدی عن ابن ابی عمير عن عبدالرحمن بن حجاج، عن اسماعيل بن جابر: ان اباعبدالله عليه‌السلام لما اخبر بقتل المعلی بن خنيس قال: اما والله لقد دخل الجنة. عن ابن ابی نجران عن حماد الناب عن المسمعی قال: لما اخذ داود بن علی المعلی بن خنيس حبسه فاراد قتله ، فقال له المعلی، اخرجنی الی الناس فان لی دينا كثيرا ومالاحتی اشهد بذلك، فاخرجه الی السوق، فلما اجتمع الناس قال: ايها الناس انا معلی بن خنيس، فمن عرفنی فقد عرفنی، اشهدوا ان ماتركت من مالی عين او دين او امة او عبيد او دار او قليل او كثير فهو لجعفر بن محمد عليهما السلام، قال: فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله، فلما بلغ ذلك ابا عبدالله عليه‌السلام خرج يجرذيله حتی دخل علی داود بن علی و اسمعيل ابنه خلفه، فقال: يا داود قتلت مولای واخذت مالی؟ فقال: ما انا قتلته ولا اخذت مالك، فقال: والله لادعون الله علی من قتل مولای و اخذ مالی، قال ماقتلته ولكن قتله صاحب شرطتی، فقال، باذنك او بغير اذنك؟ فقال: بغير اذنی، فقال: يا اسماعيل شأنك به، فخرج اسماعيل و السيف معه حتی قتله فی مجلسه، قال حماد: فاخبرنی المسمعی عن معتب قال: فلم يزل ابوعبدالله عليه‌السلام ليلته ساجداً و قائماً، قال: فسمعته فی اخر الليل و هوساجد يقول: اللهم انی اسألك بقوتك القوية و محالك الشديد و بعزتك التی جل خلقك لها ذليل ان تصلی علی محمد و ال محمد و ان تأخذه الساعة، قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتی سمعنا الصائحة فقالوا: مات داود بن علی ، فقال

ابوعبدالله عليه‌السلام: انى دعوت الله بدعوة فبعث[1] الله اليه ملكا فضرب رأسه بمرزية انشقت مثانته.

احمد بن‌منصور عن احمد بن‌الفضل، عن محمد بن‌زياد عن عبدالرحمن بن الحجاج عن اسمعيل بن‌جابر: قال: دخلت على ابى‌عبدالله عليه‌السلام فقال لى: يا اسمعيل قتل المعلى؟ قلت: نعم، قال: اما والله لقد دخل‌الجنة، وجدت بخط جبرئيل بن‌احمد قال: حدثنى محمد بن‌عبدالله بن‌مهران قال: حدثنى محمد بن‌على الصيرفى عن‌الحسن عن‌الحسين بن ابى‌العلاء[2] وابى‌المغرا عن ابى‌بصير قال: سمعت اباعبدالله عليه‌السلام وجرى ذكر معلى بن‌خنيس: يا ابامحمد: اكتم على مااقول لك فى‌المعلى، قلت: افعل، فقال: اما انه ماكان ينال درجتنا الا بماينال منه داود بن‌على، قلت: وما الذى يصيبه من داود، قال: يدعوبه فيأمر به‌فيضرب عنقه ويصلبه، قلت: انالله وانااليه راجعون، قال: ذلك قابل، فلماكان قابل ولى المدنية فقصد قصدالمعلى فدعاه و سأله شيعة ابى‌عبدالله عليه‌السلام وان يكتبهم له فقال: مااعرف من‌اصحاب ابى‌عبدالله عليه‌السلام احداً وانما انا رجل اختلف فى‌حوائجه ولااعرف له‌صاحبا، قال: تكتمنى؟ اما انك ان‌كتمتنى قتلتك، فقال له‌المعلى: بالقتل تهددنى؟ والله لوكانوا تحت قدمى ما رفعت قدمى عنهم، وان انت قتلتنى لتسعدنى واشقيك، فكان‌كما قال ابوعبدالله عليه‌السلام لم يغادرمنه قليلا ولاكثيرا.

ابوعلى احمد بن‌على‌السلولى‌المعروف بشقران قال: حدثناالحسن بن‌عبدالله القمى[3] عن‌محمدبن‌اورمة عن يعقوب بن‌يزيد، عن‌سيف بن‌عميرة عن المفضل بن‌عمر الجعفى قال: دخلت على ابى‌عبدالله عليه‌السلام يوم صلب فيه‌المعلى فقلت له: يابن رسول‌الله الاترى هذاالخطب الجليل الذى نزل بالشيعة فى‌هذا اليوم؟ قال: وماهو؟

۱ـ بعث «جامع الرواة».

۲ـ عن ابى‌العلاء. النسخة البدل فى‌الاصل للشارح.

۳ـ الحسين بن‌عبدالله «جامع الرواة» الحسن بن‌عبدالله [د] بن‌عبيدالله [صه] القمى يرمى بالغلو [صه ـ د] وفى [دى] الحسين.

قال: قلت: قتل المعلى بن خنيس، قال: رحم الله المعلى قد كنت اتوقع ذلك، لانه اذاع سرنا وليس الناصب لنا حربا باعظم مؤنة علينا من المذيع علينا سرنا، فمن اذاع سرنا الى غير اهله لم يفارق الدنيا حتى يعضه السلاح او يموت بخبل.

ابراهيم بن محمد بن العباس الختلى قال: حدثنى احمد بن ادريس القمى المعلم قال: حدثنى محمد بن احمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن القاسم عن حفص الابيض التمار قال: دخلت على ابى عبدالله عليه السلام ايام طلب المعلى بن خنيس فقال لى: يا حفص انى امرت المعلى فخالفنى فابتلى بالحديد، انى نظرت اليه يوما وهو كئيب حزين، فقلت له: يامعلى كأنك ذكرت اهلك و عيالك؟ قال: اجل، قلت: ادن منى، فدنامنى فمسحت وجهه فقلت: اين تراك؟ فقال: ارانى فى اهل بيتى وهو ذى زوجتى وهذا ولدى، قال: فتركته حتى تملاء منهم، حتى نال ماينال الرجل من اهله، ثم قلت: ادن منى، فدنا فمسحت وجهه فقلت: اين تراك؟ فقال: ارانى معك فى المدينة، قال: قلت: يا معلى: ان لنا حديثا من حفظه علينا حفظه الله على دينه و دنياه، يامعلى لاتكونوا اسراء فى ايدى الناس بحديثنا ان شاؤا امنوا عليكم وان شاؤا قتلوكم، يامعلى: انه من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه و زوده القوة فى الناس و من اذاع الصعب من حديثنا لم يمت حتى يعضه السلاح او يموت بخبل. يا معلى انت مقتول فاستعد هذا.

هذه ونحوها هى الاحاديث التى ذكر العلامة انها مذكورة فى كتابه الكبير. قيل: ولايخفى ان فى هذين الحديثين من الذنب[1] ليس الامن جهة تقصيره فى التقية، وترحم الصادق عليه السلام فى الاول منهما يدل على ان ذلك التقصير وان لم يكن مرضيا لهم مستحسنا، لكن لم يكن ايضا موجبا لعدم رضاهم عليهم السلام عنه ومخرجا له من اهل[2] الجنة واستحقاقه لها، بل الظاهر ان ذكر ذلك منه عليه السلام عن شفقة و تأسف لترتب القتل وانه على درجته وعظم قدره بقتله وكان كفارة لذلك ايضا، اما اعتقاد خلاف الحق

١ـ الذم «جامع الرواة».

٢ـ اهلية «جامع الرواة».

فشىء ينفيه سياق هذه الروايات جميعا.

و بالجملة: الذى يظهر لى انـه من اهل‌الجنة كماقال السيد احمد بن طاووس، اما ما رواه الكشى فى‌ترجمة عبدالله بن ابى‌يعفور عن محمد بن‌الحسن[1] عـن‌الحجال عن ابى‌مالك الحضرمى عن‌ابى‌العباس البقباق قال: تذاكرا ابن ابى‌يعفور و معلى بن‌خنيس فقال ابن ابى‌يعفور: الاوصياء علماء ابرار اتقياء، و قـال ابن‌خنيس: الاوصياء انبياء، قال: فدخلا على ابى‌عبدالله عليه‌السلام، قال: فلما استقر مجلسهما قال: فبدأهما[2] ابوعبدالله عليه‌السلام فقال: يا عبدالله انى ابرأ ممن قال انا انبياء.

فمحمد بن‌زياد فى‌طريقه معلوم‌الحال ولامذكور فى‌الرجال و مـع ذلك مناف لماتقدم من‌الروايات، فان‌كان ولابدفليكن محمولا على اول امره كماتقدم عن على بن الغضائرى. والله اعلم. انتهى.

اقول: الذى دل عليه روايات المدح انه‌كان حسن‌العاقبة من‌اهات (كـذا) ولم يدل على كـونه ثقة يعتمد عليه فيما يرويه «قال: قلت لابى‌عبدالله عليه‌السلام: اذا جاء حديث عن اولكم وحديث عن اخركم بايهما نأخذ؟ فقال: خـذوابه حتى يبلغكم عن الحى، فان بلغكم عن‌الحى فخذوا بقوله، قال: ثـم قال ابوعبدالله عليه‌السلام: انا والله لاندخلكم الافيما يسعكم و فى‌حديث اخر: خذوا بالاحدث».

الشرح

دل قوله عليه‌السلام: اناوالله لاندخلكم الا فيما يسعكم، بقرينة قوله فى‌الحديث السابق: بايهما اخذت من باب التسليم وسعك، انه جاز الاخذ والعمل بكل واحد من حديثى السابق منهم و اللاحق، فعلى هذايكون قوله: خـذوا بالاحدث، امر استحباب لاامر ايجاب.

ثم لابدان يعلم ان هـذه الاختلافات الواقعة فى‌الاحاديث المروية عن اصحاب

۱ــ الحسين «كش».

۲ــ فتبتدأهما «جامع‌الرواة».

العصمة عليهم السلام اكثرها فى الامور العملية الفرعية لافى الاصول الاعتقادية ومايجرى مجراها من الامور العظيمة المهمة ، و الاختلاف فى القسم الاول ليس اختلافا لايسع الانسان ان يأخذ بايهما كان، بعد ان يكون كلاهما ثابتاً عن اهل بيت النبوة عليهم السلام او مستنداً اليهم.

و الناس لجمود قرائحهم وعدم فرقهم فى المسائل العلمية والاصولية والعملية الفروعية صعب عليهم الامر فى مثل هذا الحديث و استشكلوه، حتى جزموا بالقدح فى احدى الروايتين اما من جهة الراوى وجرحه واما من جهة المتن وحمله على التقية.

الحديث العاشر
و هو الثامن والتسعون والمائة

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى، عن داود بن الحصين» الاسدى مولاهم كوفى ، روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام، قال الشيخ الطوسى رحمه الله: انه واقفى، وكذا قال ابن عقدة وقال النجاشى: انه ثقة، و الاولى عندى التوقف فى روايته «صه» وفى النجاشى ايضا: انه كان يصحب اباالعباس البقباق، له كتاب روى عنه العباس بن عامر، و فى الفهرست: والقاسم بن اسمعيل «عن عمر بن حنظلة» العجلى البكرى الكوفى ويكنى اباصخر من اصحاب الباقر عليه السلام، و قد وثقه الشهيد الثانى و فى التهذيب فى اوقات الصلوة محمد بن يعقوب عن على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن يزيد بن خليفة قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام ان عمر بن حنظلة اتانا عنك بوقت فقال ابوعبدالله عليه السلام: اذاً لايكذب علينا الحديث. «قال : سألت اباعبدالله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة فى دين او ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة ايحل ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم فى حق اوباطل فانما تحاكم الى الطاغوت ومايحكم له فانما يأخذ سحتا وان كان حقاً ثابتاً له، لانه اخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله ان يكفر به قال الله[1]

١ــ قال الله تعالى (الكافى).

یریدون ان یتحاکموا الی الطاغوت وقد امروا ان یکفرو به (النساء ـ ۶۰)، قلت: فکیف یصنعان؟ قال: ینظران من کان منکم ممن قد روی حدیثنا و نظر فی حلالنا و حرامنا و عرف احکامنا فلیرضوا به حکماً، فانی قد جعلته علیکم حاکماً، فاذا حکم بحکمنا فلم یقبل منه فانما استخف بحکم الله، وعلینا رد، والراد علینا الراد علی الله وهو علی حد الشرك بالله، قلت: فان کان کل رجل اختار رجلا من اصحابنا فرضیا ان یکونا الناظرین فی حقهما واختلفا فیما حکما و کلاهما اختلفا فی حدیثکم، قال: الحکم ماحکم به اعدلهما وافقههما واصدقهما فی الحدیث و اورعهما ولایلتفت الی مایحکم به الاخر، قال: قلت: فانهما عدلان مرضیان عند اصحابنا لایفضل واحد منهما علی الاخر، قال: فقال: ینظر الی ماکان من روایتهم عنا فی ذلك الذی حکما به المجمع علیه من اصحابك فیؤخذ به من حکمنا ویترك الشاذ الذی لیس بمشهور عند اصحابك، فان المجمع علیه لاریب فیه و انما الامور ثلاثة: امر بین رشده فیتبع، و امر بین غیه فیجتنب، و امر مشکل یرد علمه الی الله والی رسوله، قال رسول الله صلی الله علیه واله: حلال بین وحرام بین وشبهات بین ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن اخذ بالشبهات ارتکب المحرمات وهلك من حیث لایعلم، قلت: فان کان الخبران عنکما مشهورین قد رواهما الثقات عنکم، قال: ینظر فما وافق حکمه حکم الکتاب والسنة و خالف العامة فیؤخذ به ویترك ماخالف حکمه حکم الکتاب والسنة و وافق العامة، قلت: جعلت فداك ارأیت ان کان الفقیهان عرفا حکمه من الکتاب و السنة و وجدنا احد الخبرین موافقا للعامة و الاخری مخالفا لهم بای الخبرین یؤخذ؟ قال: ماخالف العامة ففیه الرشاد، فقلت: جعلت فداك فان وافقها الخبران جمیعا؟ قال: ینظر الی ماهم الیه امیل حکامهم وقضاتهم فیترك و یؤخذ بالاخر، قلت: فان وافق حکامهم الخبرین جمیعا؟ قال: اذا کان ذلك فارجه حتی تلقی امامك، فان الوقوف عندالشبهات خیر من الاقتحام فی الهلکات».

الشرح

قوله: فى‌دين، بفتح الدال وقـد مر معنى الطاغوت، والسحت الحرام، وقوله: الخبران عنكما، لعل المراد الصادق و الكاظم او الباقـر عليهم‌السلام او كانت التثنية فى‌الخطاب باعتبار تثنية الخبر، و فى نسخة اخرى عنهما: وقوله: فارجه، اى فاخره، ابدلت همزته ياء و حـذفت بالجزم و الهاءِ ضمير راجع الى‌العمل او الاخـذ بقرينة المقام، والافتحام من قحم فى‌الامـر رمى بنفسه فيه من غير روية، و معنى باقى الفاظه ظاهر لاسترة فيه.

باب الاخذ بالسنة و شواهد الكتاب

وهوالباب الثانى والعشرون من ابواب كتاب العقل والعلم وفيه اثنى عشر حديثا:

الحديث الاول

و هوالتاسع والتسعون و المائة

«على بن‌ابراهيم عن ابيه عن النوفلى، عن السكونى عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: قال‌رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌واله: إن‌على كل حق‌حقيقة وعلى كل‌صواب نوراً فماوافق كتاب‌الله فخذوه وما خالف كتاب‌الله فدعوه».

الشرح

تحقيق هذا الحديث على وجهه يستدعى تمهيد مقدمات:

الاولى ان حقيقة كل حق هو وجوده الثابت له فى‌نفس[1]، والوجود للشىء اما لذاته اولغيره، والاول هوالاول تعالى والثانى هـو ماسواه، فهوالحق بحقيقة هى عين ذاته وكل واحد مماسواه حق بحقيقة حاصلة من غيره، فهو فى حد نفسه بنفسه باطل و بغيره حق، فجميع الاشياء الممكنة هالكات الذوات بالقياس الى انفسها وهى حقائق

۱ــ كذا فى‌اصل، والظاهر: فى‌نفس الامر.

ثابتة من جهة غيرها الـذى هـوسبب وجـودها و حقيقتها ، و لابدان ينتهى اسباب وجودها ومبادى حقيقتها الى سبب لاسبب له ومبدأ لامبدأ قبله دفعاً للتسلسل والدور.

الثانية ان العلم والخبر الصادق هوالوجود الادركى المطابق للامر الخارجى، فمافى الخارج ان كان معلولا متعلقابغيره، فالعلم بهاوالخبر عنه لايحصل الا من طريق العلم بسببه ومقوم وجوده والالم يكن العلم علماً بهولاالخبر خبراً عنه على الوجه الذى هو عليه، ولذلك قالت الحكماء: ان العلم اليقينى بذى السبب لايحصل الامن جهة العلم بسببه، وان مالاسبب له لايمكن العلم الحقيقى بشىء بهالابصريح مشاهدة ذاته، فالعلم بسبب الشىء هـو البرهان عليه و مالاسبب لـه لابرهان عليه، والموجـود الـذى لاسبب له هوالاول جل و علا، فهو البرهان على كل شىء اما بذاته بلاواسطة او بواسطة ماهـو ايضاً من ذاته.

المقدمة الثالثة ان كتاب الله هـو النازل من عندالله على قلب محمد صلى الله عليه واله من طرين الوحى فى الباطن، فبرز من الغيب الـى الشهادة ومن السر الى العلانية، وكل كتاب نزل هكذا فهو كتاب الله والمنزل عليه كان نبياً من انبيائه عليهم السلام، واما سائر الكتب فليس حصولها كـذلك من عندالله بل بواسطة اسباب خارجة من سماع او قرائـة او درس و بحث ومـا يشبهها، فيتطرق عليها الخطاء و السهو و الخـلل و القصور.

فاذا تمهدت هذه المقدمات نقول: معنى قوله صلى الله عليه والـه: على كل حق حقيقة، ان كل موجود فى الخارج وجوده زائد على ذاته فله اصل ينشأمنه وجـوده و هوحقيقته الاصلية، اذهو بهموجود وهو بذاته اذا قطع النظر عن ذلك الاصل الى ذاته من حيث ذاته بذاته يكـون باطلا، فهو بـذلك الاصل ذاحقيقة فـذلك الاصل حقيقته، وانما اتـى بكلمة « علـى » لـدلالتها على الاحاطـة و الاستعلاء التى للعلة بالقياس الى معلولها.

وقوله : و على كل صواب نـوراً، اشارة الى ان لكل علم حقيقى بشىء وكل خبر صادق عن ثبوته اوعن حال من احوال وجوده برهاناً، وسمى البرهان نوراً اذبه يظهر

وجود مايبرهن بهاحواله.

وقوله: فما وافق كتاب‌الله خذوه، اشارة الى ان كتاب‌الله ميزان قسط لايحيف عن‌الحق لسانه ونور هدى لايطفيء برهانه، فينبغى ان يوزن به‌العلوم والاخبار ويستضاء به‌الافكار والانظار، وهو نسخة منتخبة من‌اللوح المحفوظ الذى فيه صور حقائق الاشياء كلها و اصول دقائق الامور و جلائلها، فما وافق كتاب‌الله فهو حق وصواب و هدى ونوريجب اخذه والعمل بموجبه و مؤداه، وماخالف كتاب‌الله فهو باطل و خطاء وزيغ وزوريجب تركه والاجتناب عنه، والله ولى الهداية والتوفيق و بيده ازمة العلم والتحقيق.

الحديث الثانى
و هو المائتان

«محمد بن‌يحيى عن عبدالله بن‌محمد، عن على بن‌الحكم عن ابان بن‌عثمان عن عبدالله بن ابى‌يعفور» بالياء المنقطة تحتها نقطتين والعين المهملة الساكنة والفاء والراء بعدالواو، واسم ابى‌يعفور واقد بالقاف وقيل: وقدان، يكنى ابا محمد ثقة ثقة جليل فى‌اصحابنا كريم على ابى‌عبدالله عليه‌السلام، ومات فى‌ايامه وكان قارئاً يقرأ فى‌مسجد الكوفة، وقدسبق ذكر طرف من‌احواله. «قال: وحدثنى حسين بن‌ابى‌العلاء» الخفاف قال النجاشى: من اصحاب الباقر عليه‌السلام، ابوعلى الكوفى العامرى مولاهم اعور، من اصحاب الصادق عليه‌السلام، ابوعلى الاعور مولى بنى اسد، ذكر ذلك ابن عقدة، و قال احمد بن‌الحسين: هومولى بنى‌عامر و اخواه على وعبدالحميد روى الجميع عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام وكان الحسين اوجههم، و فى‌الفهرست: له كتاب يعدفى‌الاصول روى عنه ابن ابى‌عمير، وقال الكشى: قال حمدويه: هو ازدى و هوالحسين بن‌خالد بن‌طهمان‌الخفاف وكنية‌خالدابوالعلاء. اخوه عبدالله بن‌ابى‌العلاء. «انه حضر ابن‌ابى‌يعفور فى‌هذا المجلس قال: سألت اباعبدالله عليه‌السلام عن‌اختلاف

الحدیث یرویه من نثق به و منهم من لانثق[1]، قال: اذا ورد علیکم حدیث فوجـدتم له شاهداً من کتاب‌الله او من قـول رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله والا فالـذی جاءکم به اولی به».

الشرح

جزاء الشرط اول محـذوف لظهوره، تقدیره: فخـذوه اونحو ذلك، و جزاء الشرط الثانی المدلول علیه بکلمة الاهو، قوله: فالذی جاءکم به اولی به، اوهوا ولی باخذه والعمل به دونکم، والغرض التأکید فی‌ترك العمل بماخالف کتاب‌الله و قـول الرسول صلی‌الله علیه واله.

الحدیث الثالث

و هوالواحد و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن‌خالد، عن ابیه عن‌النضر بن‌سویـد عن یحیی الحلبی عن ایـوب بن‌الحر» مجهول. «قال: سمعت اباعبدالله علیه السلام یقول: کل‌شیء مردود الی‌الکتاب‌والسنة و کل حدیث لایوافق کتاب‌الله فهو زخرف».

الحدیث الرابع

و هوالواحد والمائتان

«محمد بن‌یحیی عن احمد بن‌محمد بن‌عیسی، عن ابن‌فضال عن علی بن‌عقبة» بضم‌العین‌المهملة ابن‌خالد الاسدی ابوالحسن مولی کوفی ثقة ثقة روی عن‌ابی‌عبدالله علیه‌السلام. «عن ایـوب بن‌راشد» البزاز الکوفی من اصحاب الصادق علیه‌السلام. «عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: مالم یوافق من‌الحدیث القران فهو زخرف».

۱ــ لانثق به (الکافی).

الشرح

معنى هذين الحديثين واضح بعد ماعلمت بالبرهان العقلى كون القران العظيم اصل جميع العلوم الاصولية والفروعية، والزخرف كل مموه مزور وهواستعارة حسنة تشبيه للمعقول بالمحسوس، و وجه‌الشبه فيهما ترويج الامر الفاسد الكاسد بايهام الامر الرائج الحق، وهو ههنا نسبة الحديث الى السنة.

الحديث الخامس
و هوالثالث و المائتان

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابى‌عمير، عن هشام بن الحكم وغيره عن ابى‌عبدالله عليه‌السلام قال: خطب النبى صلى‌الله عليه واله بمنى فقال: ايها الناس ماجاءكم عنى يوافق كتاب‌الله فانا قلته و ماجاءكم يخالف كتاب‌الله فلم اقله».

الشرح

قد علمت ان القران اصل جميع العلوم الثابتة والاقوال الحقة، فكل قول ثابت حق فهو قول‌الله وقول‌الله قول رسوله صلى‌الله عليه واله، حتى انه لوادعى احد ان الحكم بان النفى والاثبات لايجتمعان والقول بان الواحد نصف الاثنين وكذا العالم حادث ونحوه من العلوم الثابتة و الاقوال الحقة كلها قول‌الله وقول رسوله صلى الله عليه واله لصدق فى دعواه ــ ان جرد النظر من خصوصية القائل والمحل وخصوصية اللفظ ــ.

الحديث السادس
وهوالرابع والمائتان

«وبهذا الاسناد عن ابن ابى‌عمير عن بعض اصحابه قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من خالف كتاب‌الله وسنة محمد صلى‌الله عليه واله فقدكفر».

الشرح

يعنى به اذا كانت المخالفة عمداً او فى اصول العقائد الدينية.

الحديث السابع
و هو الخامس والمائتان

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس رفعه قال: قال على بن الحسين عليهما السلام: ان افضل الاعمال عندالله ماعمل بالسنة و ان قل».

الشرح

معنى الالفاظ ظاهر والسبب فيه ان الاعمال البدنية ليس لها كثير فضل الابالنيات القلبية والاعتقادات اليقينية، والعمل بالسنة منطو فيه قصد طاعة الشرع وامتثال الامر وانقياد الرسول صلى الله عليه واله، فهو لاشتماله على معنى الطاعة و هيئة التسليم والخضوع يكون لامحالة ثوابه اكثر وان قل عدده واجره اعظم وان صغر مقداره من العمل المجرد عن هذه الهيئات وان كثر وعظم.

و الى هذا المعنى اشار بقوله تعالى: لن ينال الله لحومها و لادماؤها ولكن يناله التقوى منكم (الحج ـ ۳۷)، نبه تعالى على ان الاعمال الجسمانية و موضوعاتها لايوجب نيل القرب والمنزلة عنده تعالى ولكن التقوى لكونه عملا قلبياً وقصداً عقليا يوجب ذلك، و فى هذا المقام تحقيقات علمية يضيق المجال عن بيانها.

الحديث الثامن
و هو السادس و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد، عن اسمعيل بن مهران، عن ابى سعيد القماط و صالح بن سعيد» ابو سعيد القماط كوفى، قال النجاشى: مولى بنى الاسد كوفى روى عن ابى عبدالله عليه السلام ذكره ابوالعباس، له كتاب روى عنه

جماعة منهم عبيس بن‌هشام. «عن ابان بن‌تغلب عن ابی‌جعفر عليه‌السلام انه سأل عن مسألة فاجاب فيها، قال: فقال الرجل: ان الفقهاء لايقولون هـذا، فقال: ياويحك فهل[1] رأيت فقيها قط؟ ان الفقيه حق الفقيه الزاهد فی‌الدنيا الراغب فی‌الاخرة المتمسك بسنة النبی صلی‌الله عليه واله».

الشرح

الذی ذكره عليه‌السلام فی‌صفة الفقيه الحقيقی من كونه زاهـداً فی الدنيا راغباً فی‌الاخرة كأنه اشارة الـی ثمرة الفقه، فان اصله هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخرعلما يقينياً، ولذلك قد ورد عنه صلی‌الله عليه واله: لايفقه الرجل كل‌الفقه حتی يمقت‌الناس فی‌ذات‌الله وحتی يری للقران وجوهاً كثيرة.

وعن بعضی التابعين فـی وصف الفقيه: البصير بدينه المداوم علی‌عبادة ربـه، الورع الكاف[2] عن اعراض‌الناس، العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم، ولم يذكر احـد ممن يوثق بكلامه من السابقين فی‌جملة اوصاف الفقيه: الحافظ لفروع الفتاوی والمستحضر لاحـكام الـدعاوی والمعاملات، ولسنا نقول ان اسم الفقه ليس متناولا للفتاوی فی‌الاحكام العملية الظاهرة، بلی! ولكن علی سبيل الاستتباع وبطريق العموم والشمول، وكان اكثر اطلاقهم علی علم الاخرة والمكاشفات القلبية.

فان مثل هـذا التخصيص الـذی شاع بين‌الناس بعدالقرون السابقة ضرب من التلبيس الذی بعث الناس علـی التجرد له والاعراض عن علم الاخرة و احكام القلب واحوال النفس سيما وقد وجدوا علی ذلك معيناً من‌الطبع.

فان علم الباطن غامض دقيق والعمل به‌عسير ولخفائه و بطونه لايمكن التوصل به الی الجاه والمال واستجلاب‌القلوب وتحصيل الولاية والقضاء فوجدالشيطان مجالا لتحسين ذلك فی‌القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذی هواسم محمود فی الشرع

١ــ وهل (الكافی).

٢ــ الكاف نفسه «الاحياء».

بهذا القسم کتخصیص اسم الحکمة بالطب الـذی هـومن فروع ادنی اقسامها اعنی الطبیعی، فیقال الطبیب الطرقی[1] انه حکیم، فهکذا نسبة الفقه الذی هوحفظ الفتاوی الی اصل الفقه الذی کان معروفا عندالائمة الهادین علیهم السلام ومن علی سیرتهم من الذین سبقونا بالایمان والتابعین لهم باحسان.

واعلم انه ذکر ابوحامدالغزالی فی کتابه الاحیاء فی مبدأنشو علم الفتاوی والاحکام وسبب تدوینه وتدوین علم الکلام: ان الخلافة بعد رسول الله صلی الله علیه واله تولاها الخلفاء وکانوا عالمین بالاحکام الدینیة مشتغلین بالفتاوی فی الاقضیة، وکانوا لایستعینون بالفقهاء الا نادراً فی وقائـع لایستغنی فیها عن المشاورة، فتفرغ العلماء بعلم الاخرة و تجردوالها وکانـوا یتدافعون الفتاوی ومایتعلق باحکام الخلق من امرالدنیا و اقبلوا علی الله بکنه اجتهادهم کمانقل من سیرهم، فلما افضت الخلافة بعدهم الی اقوام تولوا بغیر استحقاق و استیهال و استقلال بعلـم الفتاوی و الاحکام اضطروا الـی الاستعانة بالفقهاء والـی استصحابهم فـی جمیع احـوالهم لاستفتائهم فـی جمیع مجاری احکامهم.

وکان قدبقی من علماء التابعین من هومستمر علی الطرز[2] الاول ومواظب علی سمت علماء السلف ، فکانوا اذا طبلوهم هربـوا و اعرضوا، واضطروا الخلفاء الـی الالحاح فـی طلبهم لتولیة القضاء و الحکومات، فرأی اهل تلک الاعصار عزالعلماء و اقبال الولاة و الحکام علیهم مـع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الی نیل العز و درک الجاه من قبل الولاة، فاکبوا علی علم الفتاوی و عرضوا انفسهم علی الولاة و تعرفوا الیهم وطلبوا الـولایات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من انجح، و المنجح لم یخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال.

فاصبح الفقهاء ـ بعد ان کانوا مطلوبین ـ طالبین، وبعد ان کانوا اعزة بالاعراض

۱ـ ای: الذی جلس علی شوارع الطرق و یتداوی الناس، اوالذی یدحرج القرعة علی اکف السوادیة فی شوارع الطرق.

۲ـ الطراز «الاحیاء».

عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله فى كل عصر من علماء دينه.

ثم ظهر بعدهم من الصدور و الامراء من سمع مقالات الناس فى قواعد العقائد و مالت نفسه الى سماع الحجج فيها، فعلمت رغبته الى المناظرة و المجادلة فى الكلام، فانكب[۱] الناس علـى علـم الكلام و اكثروا فيها التصانيف و رتبوا فيها طـرق المجادلات واستخرجـوا فنون المناقضات فى المقالات و زعموا ان غرضنا[۲] الذب عن دين الله و النضال[۳] عن السنة وقمع البدعة[۴].

ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لـم يستغرب[۵] الخوض فـى الكلام و فتح باب المناظرة فيه لما تولد من فتح بابه التبغضات[۶] و الخصومات الناشئة من اللداد المفضية الى تخريب البلاد و مالت نفسه الى المناظرة فى الفقه و بيان الاولى من مذهب المجتهدين، فترك الناس الكلام و فنون العلم و اقبلـوا علـى المسائل الخلافية و زعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع و تقريـر علل المذاهب و تمهيد اصول الفتاوى، و اكثروا فيها التصانيف و الاستنباطات و رتبوا فيها انواع المجادلات وهم مستمرون عليه الى الان، وليس يدرى ما الذى قدر الله فيما بعدنا من الاعصار؟

فهذا هـو الباعث على الاكباب على هـذا العلم و المناظرة، ولـو مالت نفوس ارباب الدنيا الى علم اخر من العلوم لمالوا ايضا اليه[۷] و لم يسكنوا عن التعلل و اعتذار بان ما اشتغلوا به[۸] علم الدين و ان لامطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين!

۱ــ فاكب «الاحياء».

۲ــ غرضهم «الاحياء».

۳ــ النضال: الدفاع.

۴ــ المبتدعة «الاحياء»

۵ــ لم يستصوب «الاحياء».

۶ــ التعصبات «الاحياء»

۷ــ معهم «الاحياء».

۸ــ به هو «الاحياء»

الحديث التاسع
و هوالسابع و المائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه، عن ابى اسمعيل ابراهيم بن اسحق الازدى، عن ابى عثمان العبدى عن جعفر عن ابائه عليهم السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: لاقول الا بعمل ولاقول ولاعمل الا بنية ولاقول ولاعمل ولانية الا باصابة السنة».

الشرح

اى لايتم قول الايمان الا بعمل الاركان، ولم يقم عمل الاركان الا بنية الجنان لقوله صلى الله عليه واله: انما الاعمال بالنيات، وقوله: لكل امرء مانوى، ولم يصح نية و لااعتقاد الا باصابة نورالهدى و البرهان و معرفة الحكمة الالهية والكتاب والفرقان، فان السنة عبارة عن طريق الحق و اصابتها هى بادراك اصول المعارف الحقيقية و شعب الايمان والعمل بموجبها.

الحديث العاشر
و هوالثامن و المائتان

«على بن ابراهيم عن ابيه عن احمد بن النضر، عن عمرو بن شمر عن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال: قال: مامن احد الا وله شره[1] و فترة، فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى».

الشرح

الشره غلبة الحرص على الشىء والفتور كضده وهوالضعف والانكسار والمعنى: ان كل واحد من افراد الناس له قوة و سورة فى وقت كوقت الصحة والسلامة واليقظة

۱ــ شرة (الكافى).

والحركة، وله فترة وضعف فى وقت كوقت المرض والنوم والدعة والسكون، فمن كان فتوره الى سنة، اى استعداداً للنهوض اليها والعمل بمقتضاها فقد اهتدى ومن كان فتوره وكلاله لطلب البدعة والسعى فى تحصيلها فقدضل وغوى.

ويحتمل ان يكون المراد من قوله: فمن كانت فترته الى سنة، ان يكون منشأ فترته راجعاً الى السنة، اى تحمل المشاق الدينية والطاعات الشرعية صار سبب فتوره وضعفه، والمراد من قوله: ومن كانت فترته الى بدعة، ان يكون منشأ فترته مستنداً الى بدعة كنسك الجاهلين و رهبانية المتصوفين المبتدعين.

الحديث الحادى عشر
و هو التاسع والمائتان

«على بن محمد عن احمد بن محمد البرقى عن على بن حسان» هو اثنان: احدهما الواسطى ابوالحسين القصير المعروف بالمنمس بالنون والسين المهلة، عمره اكثر من مائة سنة وكان لابأس به، روى عن ابى عبدالله عليه السلام؛ وثانيهما الهاشمى مولى هم ابن حسان بن كثير مولى ابى جعفر عليه السلام ابوالحسن يروى عن عمه عبدالرحمن. غال ضعيف.

قال الكشى: قال محمد بن مسعود: سألت على بن الحسن بن فضال عن على بن حسان قال: عن ايهما سألت؟ اما الواسطى فهو ثقة، واما الذى عندنا نشير[1] الى على بن حسان الهاشمى يروى عن عمه عبدالرحمن بن كثير فهو كذاب، وهو واقفى ايضالم يدرك اباالحسن [موسى] عليه السلام.

وقال ابن الغضائرى بعد تضعيف على بن حسان بن كثير: و من اصحابنا على بن حسان الواسطى ثقة ثقة.

و ذكر ابن بابويه رحمه الله فى اسناده الى عبدالرحمن بن كثير الهاشمى روايته عن محمد بن الحسن عن على بن حسان الواسطى عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمى

١ــ يشير «كش ــ جامع الرواة».

وهو يعطى ان الواسطى هو ابن اخى عبدالرحمن واظنه سهواً من قلم الشيخ ابن بابويه او الناسخ «صه».

وقال ابن الغضائری: رأيت له كتابا سماه تفسير الباطن لايتعلق من الاسلام بسبب ولايروی الاعن عمه.

و فی النجاشی: مولی عباس بن محمد بن علی بن عبدالله بن عباس ضعيف جداً، ذكره بعض اصحابنا فی الغلاة فاسد الاعتقاد. «ومحمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب»، ابوالفضل البراوستانی و براوستان قرية من قری قم، الازدورقانی قرية من سواد الری، كان ضعيفا فی حديثه كذا قال النجاشی، وقال ابن الغضائری: انه يكنی ابامحمد وضعفه. «عن علی بن حسان عن موسی بن بكر» الواسطی اصله كوفی واقفی له كتاب روی عن ابی عبدالله و ابی الحسن عليهما السلام.

قال الكشی حدثنی حمدويه بن نصير قال: حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمد بن سنان عن موسی بن بكر الواسطی قال: ارسل الی ابوالحسن عليه السلام فاتيته فقال لی: مااراك مصفرا؟ وقال: الم آمرك باكل اللحم؟ فقلت: ما اكلت غيره منذ امرتنی، فقال: كيف تأكله؟ قلت: طبيخا، قال: كله كباباً، فاكلت الی بعد جمعة فاذاً الدم قدعاد فی وجهی فقال لی: نعم، ثم قال لی: يخف عليك ان نبعثك فی بعض حوائجنا؟ فقلت: اناعبدك فمرنی بم شئت، فوجهنی فی بعض حوائجه الی الشام. «عن زرارة بن اعين عن ابی جعفر عليه السلام قال: كل من تعدی السنة رد الی السنة».

الشرح

معناه واضح.

الحديث الثانی عشر
و هوالعاشر و المائتان

«علی بن ابراهيم عن ابيه، عن النوفلی عن السكونی عن ابی عبدالله عليه السلام

عن ابائه عليهم السلام عن امير المؤمنين عليه السلام: السنة سنتان: سنة في فريضة الاخذ بها هدى وتركه ضلالة، و سنة في غير فريضة الاخذ بها فضيلة و تركها الى غير خطيئة».

الشرح

السنة في الاصل الطريقة، و في حديث المجوس: سنوا بهم سنة اهل الكتاب، اي خذوهم على طريقهم واجروهم في قبول الجزية مجراهم، ثم خص استعمالها بطريقة الحق التي وضعها الله للناس وجاء بها الرسول صلى الله عليه واله، ثم يقال لكل مايعطى سلوك هذه الطريقة التي هي الصراط المستقيم من العبد الى الرب من الفرائض والنوافل، فكل عمل شرعي واعتقاد حق هو من السنة، اذ به يتقرب العبد الى الله تعالى.

وفي الحديث القدسي: ماتقرب العبد الى بشيء مثل ماافترضته عليه، ولايزال يتقرب الى بالنوافل حتى احببته... الحديث. فالسنة اسم عام ومعنى مشترك بين السنتين:

احديهما الفريضة وهي ماالاخذ بها هدى يوجب الثواب وتركها ضلالة توجب العقاب، اذ الاخذ بها هو ملازمة الصراط والمرور عليه فيوجب القرب منه تعالى، و كل من قرب منه فهو في جنة ونعيم وثواب وتركها هو السقوط عن الصراط والانحراف عنه فيوجب البعد عنه تعالى، وكلمابعد عن الله و عن دار رحمته فهو في نار جحيم و عذاب اليم.

وثانيهما النفل وهو ماالاخذ به فضيلة زائدة، اذ بدونها يمكن سلوك طريق الهدى و الوصول الى منزل النجاة في العقبى، وتركه ليس الى خطيئة توجب العذاب في الدار الاخروى.

واعلم ان اطلاق السنة على النفل من باب تسمية الشيء باسم جنسه الاعم كتسمية مقابل التصديق باسم التصور لان هناك وضعا اخر، لكن المتأخرين اذا اطلقوا

السنة ارادو به مايقابل الفرض و هوعرف طار[1] منشاؤه كثرة استعمال لفظها فى‌المعنى الاخص، فالواجب مقابل السنة فى‌العرف الجديد و هـو سنة فى‌ذلك العرف، ولهذا ورد فى حديث غسل‌الجمعة: انه‌سنة واجبة.

تم كتاب العقل والعلم والحمدلله رب‌العالمين.

اقول: وله الحمد والشكر على توفيقه لاتمام شرح هذاالكتاب والهامه المعانى والرموز التى هى‌انوارالخطاب، والصلوة والسلام على محمد واله خزنة انوارالوحى والتنزيل وحفظة اسرارالعلم و التأويل، حمداً لاحدله ولامنتهى صلوة لاتعدولاتحصى.

وكتب المؤلف الشارح بيده الجانية و الته الفانية فى‌شهور اربـع و اربعين سنة بعدالالف حامـداً لله مصلياً مستغفراً: محمد بن‌ابراهيم المشتهر بصدر الشيرازى، اوتى كتابهما بيمينهما بحق محمد واله الطاهرين.

۱ـ اى: الغريب ـ خلاف الاصلى.

كتاب الحجة

بسم‌الله الرحمن الرحيم

«مقدمة الشارح»

و هو الكتاب الثالث من‌الكتب الكافی للشيخ الجليل قدوة المحدثين محمد بن يعقوب الكلينی رحمه‌الله

الحمدلله الـذی اجتبی من صفوة عباده اصابـة اهل الحق و اليقين المقتبسين انوارالكحمة والدين من مشكوة النبوة و الولاية، وخصهم من بين سائرالفرق بمزايا اللطف و المنة، و افاض عليهم من نـور هدايته ماكشف لهم به‌حقائق الملة و الشريعة و اسرارالكتاب و السنة ، و اتبعوا بـه سبيل حججالله الناطقة و بـراهينه الساطعة من الذوات المقدسة و النفوس المطهرة الذين طهرهم‌الله به عن نزغات الشياطين تطهيراً، و نور بواطنهم بانوار الولاية والقرب تنويراً، فهم[1] باقتفاءِ هذه الحجج و البراهين و اهل بيت النبوة التی اتی بهاسيد الاولين و الاخرين وخاتم الانبياء والمرسلين محمد المصطفی صلی‌الله عليه والـه اهتدوا الی اسرار العلم واليقين، وادركوا ببصائـرهم انوارالكتاب المستبين والاخبار الاولياء المعصومين، واطلعو بضمائـرهم علی طرق التلفيق بين‌مقتضی الشرائع وموجباب العقول، وتحققوا ان‌لامعاندة بين‌الشرع‌المنقول

١ــ لهم ـ م

والحق المعقول، وعرفوا ان من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد و اتباع الظواهر ماآتوا الامن ضعف العقول وقلة البصائر، وان من تغلغل من المتفلسفة و غلاة المعتزلة فى تصرف العقل حتى صادموا بقواطع الشرع ماآتوا الاخبث الضمائر، فميل اولئك الى التفريط و ميل هؤلاء الى الافراط وكلاهما بعيدان عن الحزم و الاحتياط، بل الواجب المحتوم فى قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد و الاستبداد[1] على صراط المستقيم وكلا طرفى قصد الامور ذميم، وانى يصيب الرشاد من يقنع بتقليد الاثر والخبر وينكر مناهج البحث والنظر، اولا يعلم انه لامستند للشرع الاقول سيد البشر، والبرهان العقلى هو الذى عرف صدقه فيما اخبر، وكيف يهتدى الى الصواب من اقتفى محض العقل واقتصرو مااستضاء بنور الشرع ولااستبصر.

فليت شعرى كيف يفزع الى العقل حين يعتريه العى والحصر، او لايعلم ان حظى[2] العقل قبل ان يهتدى بنور الشريعة قاصرة وان مجاله ضيق مختصر، هيهات هيهات! خاب على القطع والبتات[3]، و تعلق باديان[4] الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات، فمثال البصر[5] السليم عن الافات والادواء و مثال القران الشمس المنتشرة الضياء، فاخلق بان يكون طالب الاهتداء المستغنى باحدهما عن الاخرفى غمار الاغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القران و الخبر مثاله المعترض لنور الشمس والقمر مغمضا للاجفان فلافرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور والملاحظة بالعين العوراء لاحدهما على الخصوص متبدل بجهل الغرور، و قداتضح لك ايها المتشوق الى الاطلاع على اسرار قواعد الملة والدين المقترح تحقيق قوانين الشرع المبين واركان عقائد المؤمنين بقواطع الحجج والبراهين ممالوحنا

١ـ والاستقامة والاستبداد ـ م.

٢ـ رجل حظى، اذا كان ذاحظوة ومنزلة. خطوة ـ م.

٣ـ البتة: اسم المرة من بت و بتة وبتاتاً: قطعا و بدون رجعة ولاعود.

٤ـ باذيال ـ م.

٥ـ البصر خبرقوله: فمثال.

اليه ونبهناك عليه مماذكرناه فى‌شرحنا لاحاديث الكتابين‌السابقين انه لم يتيسربالتوفيق للجمع بين الشرع والتحقيق فريق سوى هـذا الفريق لاقتباسهم انوار العلم والحكمة من مشكوة النبوة والـولاية و اتباعهم مناهـج الائمة واصحاب العصمة، فـاشكرالله سبحانه على اقتفائك لاثارهم و اهتدائك بانوارهم و انخراطك فى مسلكهم و غمارهم و اختلاطك بفرقتهم فعساك تحشر فى زمرتهم.

واعلم ان‌لله حجتين: حجة ظاهرة مكشوفة وحجة باطنة مستورة، فالظاهرة على ابدان الناس و اهل الحواس والباطنة للخواص و اهل‌العقول الزكية، فـان المعجزة المحسوسة يؤثر فى‌نفوس العوام مالايؤثر فيها الف من‌الحجج والبراهين، و البرهان العقل الواحد يفعل فى‌الخواص ويفيدلهم فى‌باب الاعتقاد بالله والايمان مالايفعل الف معجزة مثل قلب العصاء الثعبان، والايمان‌المنعقدة بالمعجزة دين‌العوام واللئام، واكثر من‌امن‌بموسى عليه‌السلام بسبب المعجزة انحلت عقيدته بماصنعه‌السامرى من‌الشعبذة، وقدمر فى‌الحديث العشرين من‌كتاب‌العقل ممايفيد ما ادعيناه.

فاذن الانبياء و الاولياء بمعجزاتهم وكراماتهم حجج الله علـى خلقه و شهدائه عليهم، ولكن البراهين‌العقلية والانوار الالهية حجج‌الله على ذواتهم و بواطنهم كماقال تعالى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء. ان ربك حكيم عليم (الانعام ـ ٨٣)، وتلك الحجة النورية هى‌المسماة بالهدى فى‌قوله تعالى: اولئك الذين هـدى‌الله فبهديهم اقتدة (الانعام ـ ٩٠)، واليه الاشارة بقولـه : قل هذه سبيلى ادعـوا الى الله علـى بصيرة انا و من اتبعنى (يـوسف ـ ١٠٨)، و اتباع الانبياء و مصدقـوهم قسمان: منهم من تبعهم وصدقهم من طريق الحكمة و البرهان و منهم من تبعهم وصدقهم من‌طريق المجادلة بالسيف والسنان، قال تعالـى: ادع الـى‌سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هـى‌احسن (النحل ـ ١٢٥) ، فالحكمة والموعظة لقوم والمجادلة لقوم اخرين، ومن‌ينتفع ويذعن بالمجادلة لاينتفع ولايذعن بالحكمة وبالعكس.

فهذاكتاب الحجة والمقصود فيه اثبات ان الناس مضطرون الـى الحجة و ان

الارض لاتخلو من حجة و ان الانبياء الذين هم حججالله على طبقات و ان الفرق بين الرسول و المحدث بماذا؟ و ان الائمة عليهمالسلام خلفاء الله فیارضه و ابوابه التی يؤتی منه، وهمانوارالله و ولاة الامر واركان الارض واهلالذكر والراسخون فیالعلم والمصطفون و فیسائر نعوتهم و مناقبهم المشتركة بينهم، ثم فیاثبات حجية واحد واحد منهم وذكر خصائصه وكراماته وسائر احواله. فهاانا اذاً نشرع فيما نحنبصدده من شرح احاديث هذا الكتاب مستعين بميفض العلم و ملهم الحق و معطی الحجة فی جميع الابواب.

باب الاضطرار الى الحجة

و فيه خمسة احاديث :

الحديث الاول

وهو السابع والعشرون واربعمائة

«قال ابوجعفر محمد بنيعقوب الكلينی مصنف هذا الكتاب رحمة الله عليه: حدثنا علیبنابراهيم عن ابيه عنالعباس بنعمرالفقيمی، عن هشام بنالحكم عن ابی-عبدالله عليهالسلام انه قال للزنديق الذی سأله من اين اثبت الانبياء و الرسل، قال: انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعاليا عنا و عن جميع ماخلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز ان يشاهده خلقه ولايلامسوه فيباشرهم ويباشرونه[1] و يحاجهم و يحاجونه، ثبت ان له سفراء فی خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ومابه بقائهم وفیتركه فنائهم، فثبت الامرون والناهون عنالحكيم العليم فی خلقه والمعبرون عنه جل و عز، وهمالانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين[2] بالحكمة مبعوثين بها غيرمشاركين للناس على مشاركتهم لهم فیالخلق و

۱ــ يباشروه (الكافی).

۲ــ مؤدين من (الكافی).

الترکیب فی شیء من احوالهم مؤیدین عندالحکیم العلیم بالحکمة، ثم ثبت ذلك فی کل دهر و زمان مما اتت به الرسل و الانبیاء من الدلائل والبراهین لکیلا تخلو ارض الله من حجة یکون معه علم یدل علی صدق مقالته و جواز عدالته».

الشرح

هذاالحدیث مشتمل علی برهان عقلی قاطع علی اثبات الانبیاء والرسل مبنی علی عدة مقدمات عقلیة:

احدها ان لنا خالقاً صانعاً قادراً علی کل شیء.

والثانیة ان الصانع الخالق جل اسمه متعال عن التجسیم والتعلق بالمواد و الاجسام وعن ان یکون مبصراً او محسوساً باحدی الحواس خلافاً للکرامیة و من یحذو حذ وهم.

والثالثة انه تعالی حکیم عالم بوجوه الخیر و المنفعة فی النظام وسبیل المصلحة للخلائق فی المعیشة والقوام و البقاء والدوام.

والرابعة ان له تعالی وسائط فی الایجاد والتأثیر والخلق و التدبیر لامتناع مباشرة الافعال بمزاولة المواد و الکثرات علی الواحد الحق المقدس المتبریء کل تقدس والبرائة عن صفات الخلائق و الاجسام، خلافاً للاشاعرة النافین للعلة والمعلول المثبتین للارادة الجزافیة المنکرین لترتیب الوجود القائلین بخلق الاعمال وسائر الامور الجزئیة منه تعالی بلاوسط و ترتیب، فینسد علی طریقتهم اثبات النبوة وافتقار الخلق الی النبی سیما علی تجویزهم رؤیة الخلق له تعالی.

والخامسة ان الناس محتاجون فی معاشهم و معادهم الی من یدبر امورهم و یعلمهم طریق المعیشة فی الدنیا و النجاة من العذاب بالعقبی.

و ذلك لانه من المعلوم ان الانسان لایتمشی معیشة لوانفرد وحده شخصا واحداً کغیره من انواع الحیوان یتولی امره من غیرشریك یعاونه علی ضرورات حاجاته، وانه لابد من ان یکون مستعینا باخر من نوعه یکون ذلك الاخر ایضا مستعینا مکفیا به

وبنظيره، فيكون هذايزرع لهذا وهذايطحن لذلك وذاك يخبزللاخر واخير يخيطلغيره و هذا يبنى و هـذا يتخذ الحديد وهذا يتجر، و على هذاالقياس حتى اذا اجتمعواكان امرهم مكفيا، و لهذا اضطروا الـى عقدالمدن والاجتماعات للمعاملات والمناكحات وسائر المعاونات والمشاركات.

و بالجمله لابـد فى وجود الانسان و بقائه من المشاركـة ولايتم المشاركة الا بالمعاملة و لابد بالمعاملة[1] من سنة و قانون عدل ولابد للسنة والعدل من سان و معدل، ولايجوز ان يترك الناس و ارائهم و اهوائهم فى ذلك فيختلفون فيرى كل واحد منهم ماله عـدلا و ما عليه ظلماً وجـوراً ، ولابـد ان يكـون هـذا المعدل والسان بشراً لاملكا، لان الملك لايراه الناس مالـم يتجسم لانه روحانـى الذات لايتمثل بشرا سويا الامن طريق الباطن لاهل النبوة والكشوف ، فان القوة البشريـة لاتقوى علـى رؤيـة الملك فىصورة الملكية و انما رآهم الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية، ثـم لوفرض ان يتجسم بحيث يراهسائرالخلق كجبرئيل فى صورة دحية لهمكان ملتبساً عليهم كالبشر كماقال تعالى: ولـوجعلناه ملكالجعلناه رجلا و للبسنا عليهم مايلبسون (الانعام ـ ۹)، فلابد ان يكـون السان له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه امراً لايوجدلهم فيتميز به منهم فيكون له المعجزات التى اخبرنابها.

والحاجة الى هـذاالانسان فى ان يبقى نوع البشر ويتحصل وجـوده اشد من كثير من المنافـع التى لاضرورة فيها للبقاء، بل اكثر مالها ان يقع الانتفاع لفضيلة من الوجـود و البقاء كانبات الشعر على الحاجبين و تقعير الاخمص للقدمين و مايجرى مجريهما من منافع الاعضاء التى بعضها للزينة وبعضها للسهولة فى الافعال والحركات كمايظهر من علم التشريح.

و وجود هذاالانسانالصالح لان يسنويشرع ممكن وتأييدهبالاياتوالمعجزات الموجبة لاذعان الخلق له ممكن، فلايجوز ان يكون العناية الاوليقتضى تلك المنافع ولاهذه التى هى اصلها وعمدتها، ولا ان يكون المبدأ الصانع تعالى و الملائكة بعده

---

[1] ـ فى المعاملة ـ م.

يعلم تلك ولايعلم هذه، ولا ان الذى يعلمه فى نظام الخير، الممكن وجوده، الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لايوجد، لان علمه تعالى فعلى كلما يعلمه خيرا يوجده و كيف لايوجد؟ وماهو متعلق وجوده عليه من المبادى و العلل موجودة.

فاذا تمهدت هذه المقدمات فثبت و تبين انه واجب ان يوجد نبى و واجب ان يكون انساناً و واجب ان يكون له خصوصية ليست لسائر الناس و هى امور الخارقة للعادات اعنى المعجزات، ويجب ان يسن للناس سنناً باذن الله و امره و وحيه وانزاله الروح القدس عليه، ويكون الاصل الاول فيما يسنه تعريفه اياهم ان لهم صانعاً قادراً واحداً لاشريك له و ان النبى عبده و رسوله و انه عالم بالسر والعلانية و انه من حقه ان يطاع امره و انه قداعدلمن اطاعه المعاد المسعد ولمن عصاه المعاد المشقى حتى يتلقى الجمهور احكامه المنزلة على لسانه من الله و الملائكة بالسمع والطاعة، فهذا هو الكلام المجمل فى اثبات النبوة و كيفية دعوته للخلق المستفاد مقدماته من هذا الحديث تصريحا و تلويحاً.

فقوله عليه‌السلام : ان لنا خالقاً صانعاً متعاليا عنا وعن جميع ماخلق اشارة الى المقدمة الاولى، وقوله: وكان الصانع حكيما الى الثالثة، و قوله: متعاليالم يجزان يشاهده خلقه ولايلامسوه فيباشرهم و يباشرونه ويحاجهم و يحاجونه اشارة الى الثانية، لان كل جسم و جسمانى من شأنه ان يشاهده الخلق ويلامسوه حتى النفوس من حيث تركيبها مع الابدان و صيرورة المجموع واحدا طبيعيا موصوفة بصفاتها من لونها مشهودة ملموسة.

و قوله : فثبت ان له سفراء فى خلقه يعبرون عنه الى خلقه و عباده اشارة الى الرابعة و هى اثبات الوسائط بينه تعالى و بين خلقه الافعال مطلقا سواءكانت ملائكة او عبادا غيرهم.

وقوله : ويدلونهم على مصالحهم و منافعهم وما به بقائهم و فى تركه فنائهم اشارة مجملة الى ماذكرناه فى المقدمة الخامسة.

وقولة: فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه اشارة الى اثبات

جزء من اجزاء المطلوب الذى هو وجـود الانبياء عليهم السلام و هـو على ثلاثة اجزاء :

احدها هـو وجـود الامر والناهى واسطة بين الله الحكيم العليم فى خلقه و بين عباده.

و ثانيها كونه بشراً وهوالمشاراليه بقوله: والمعبرون عنه جل وعز وهم الانبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها.

و ثالثها كونه مع البشرية متميزا عـن سائرالناس بامور قدسية وكرامات الهية فيكون ذا وجهين وجه الـى التقدس والالوهية و وجه الى التجسم و البشرية، فيكون انسانا ربانياً او رباً انسانياً تكادتحل عبادته بعد طاعةالله وهوخليفةالله فىالعالم الارضى واليه الاشارة بقوله: غيرمشاركين للناس على مشاركتهم لهم فىالخلق والتركيب فى شىء من احوالهم مؤيدين عندالحكيم العليم بالحكمة.

و قوله: فى شىء من احوالهم متعلق بغير مشاركين للناس فىالخلقة البشرية و التركيب من الاجزاء المادية و الصورية و من الاعضاء والقوى والالات الحيوانية غيرمشاركين لهم فـى كثير من الاحـوال و الاخلاق النفسانية لصفاء نفوسهم و طهارة قلوبهم عن رذائل الصفات ونقائص الملكات وكونهم مؤيدين بالقرب من الله الحكيم العليم بنورالحكمة والعرفان، فالاول اشارة الى كمال القوة العملية و الثانى الى كمال القوة النظرية وكمال الانسان بهما جميعاً.

و قـوله : ثم ثبت ذلك فى كل دهـر و زمان مما اتت به الرسل والانبياء مـن الدلائل و البراهين، يعنى انـه ثبت وجـود النبى فى كل وقت من جهة ما اتوا به من المعجزات و خوارق العادات.

كأن قائلا يقول: ان الـذى ذكرته من البرهان قد دل على حاجة الناس فى كل زمان بوجـود النبى و انه يجب من الله بعثة الرسل والانبياء و ارسالهم، ولكن من اى سبيل يعلم الناس النبى ويصدق بنبوته و رسالته؟

فاجيب: بانه ثبت ذلك عليهم بمشاهدة ما اتت به الرسل و النبيون من الدلائل

والبراهين يعنى المعجزات الظاهرة منهم، وهى المراد هيهنا بالدلائل والبراهين، اذ الناس لايذعنون الا بمايشاهدونه.

وقوله: لكيلا يخلوارض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته تعليل متعلق بقوله: ثم ثبت ذلك فى كل دهر، و وجه التعليل: ان مادامت الارض باقية والناس موجودون فيها فلابدلهم من حجة لله عليهم يقوم بامرهم ويهديهم الى سبيل الرشاد و حسن المعاد و هوالحجة الظاهرة، ولابدان يكون معه علم بالله واياته تدل على صدق مقالته و دعوته للناس وعلى جريان حكمه عليهم و جواز عدالته فيهم وهوالحجة الباطنة، والله يقول الحق و هو يهدى السبيل.

الحديث الثانى
و هوالثامن والعشرون و اربعمائة

«محمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن-حازم قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: ان الله اجل واكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله، قال: صدقت، قلت من عرف ان له ربا فقد ينبغى له ان يعرف ان لذلك الرب رضا وسخطا وانه لايعرف رضاه وسخطه الابوحى او رسول فمن لم يأته الوحى فقد ينبغى له ان يطلب الرسل فاذالقيهم عرف انهم الحجة و ان لهم الطاعة المفترضة وقلت للناس تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه واله كان هو الحجة من الله على خلقه، قالوا بلى قلت فحين مضى رسول الله صلى الله عليه واله من كان الحجة على خلقه، فقالوا القران فنظرت بالقران فاذا هو يخاصم به المرجىء والقدرى والزنديق الذى لايؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته فعرفت ان القران لايكون حجة الابقيم فماقال فيه من شىء كان حقا فقلت لهم من قيم القران، فقالوا ابن مسعود قدكان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت كله قالوا الافلم اجد احداً يقال انه تعرف ذلك كله الاعليا صلوات الله عليه و اذا كان الشىء بين القوم فقال هذا الادرى وقال هذا الادرى وقال هذا الادرى وقال هذا انا ادرى

فاشهدان علياً عليه‌السلام كان قيم القران و كانت طاعته مفروضة[1] و كان الحجة علـى الناس بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و اله و ان ماقال فى القران فهو حق فقال: رحمك‌الله».

الشرح

قوله: الابقيم، المراد بقيم القران العالم بتفسير محكماته و تأويل متشابهاتـه و الحافظ لاسرار اياته وانوار بيناته، وقوله: قلت كله اى قلت لهم يعلم هؤلاء كل القران وقوله: قالوا: لا، اى قال الناس فى الجواب: لا، اى لايعلم احد من هؤلاء كل القران.

و اعلم ان المقصود من هذاالحديث اثبات ان علياً كان هوالحجة بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و الـه على الخلق وكانت طاعته مفترضة عليهم، و اثبات ذلك مـؤسس على اصول:

احدها ان الله تعالـى لعظمة ذاته و ارتفاع مكانه و تقدس وجوده وبساطته اجل من ان يعرف ذاته من جهة خلقه، وقد ثبت فى الحكمة ان مالا سبب له فلاحد لذاته و لابرهان عليه من غيره بل هـوالبرهان على كل شىء من خلقه، لان العلم بـذى السبب لايحصل الامن جهة العلم بسببه، و هـو سبب كل شىء ومسبب الاسباب من غيرسبب فلايعرف ذاته الا بذاتـه ولايعرف غيره على الحقيقة الابـه كماقال اميرالمؤمنين عليه السلام: ماعرفت شيئاً الا وقد عرفت الله قبله، وقال بعض العرفاء: عرفت ربى بربى و لولا ربى ما عرفت ربى، فاذن قد ثبت انه تعالى اجل و اكرم من ان يعرف بخلقه بل الخلق يعرفوق بالله.

وثانيها ان من عرف ربه فلابدان يعرف صفاته وان يعرف ان لربه رضاً وسخطا على مايليق بذاته و ان رضوانـه يوجب القرب والسعادة والجنان وان سخطه يوجب البعد والشقاوة والنيران.

و ثالثها ان هذه المعارف الالهية لايمكن ان يحصل الابطريق الوحى والالهام، فالعارفـون باحـوال المبدأ والمعاد اولا هم الانبياء و الاولياء عليهم السلام، وحياً او

۱ـ مفترضة (الكافى).

الهاماً، وستعلم من ذى قبل ان شاءالله الفرق بينهما، وثانياً غيرهم بالاخذ منهم، فمن لم يأته الوحى و الالهام فيجب عليه ان يطلب الرسل عليهم‌السلام، لانهم المعلمون للناس باذن الله والمبلغون لهم من الله، فاذالقيهم عرف انهم الحجة من الله وان لهم الطاعة المفترضة لظهور ايات و معجزات عليه منهم.

وقد ثبت فى‌الحديث السابق وجوب بعثة الانبياء و ارسال الرسل منه تعالى، و ذلك لان اهم الامور لكافة الخلق نيل سعادة الابدية والاجتناب عن الشقاوة الدائمة، وقد وردت الانبياء عليهم‌السلام و اخبروا الخلق بان لله سبحانه على عباده حقوقاً و وظائف فى‌افعالهم و اقوالهم واعتقاداتهم، وان من لم ينطق بالصدق لسانه و لم ينطق على الحق ضميره ولم يتزين بالعدل جوارحه فمصيره الى النار وعاقبته البوار .

ثم لم يقتصروا على مجرد الاخبار بل استشهدوا على صدقهم بامور غريبة و افعال عجيبة خارقة للعادات، فمن شاهدها او سمع احوالها بالاخبار المتواترة سبق الى عقله امكان صدقهم بل غلب على ظنه ذلك باول السماع، و هذاالظن البديهى او التجويز الضرورى يسلب الطمأنينة عن القلب ويحشوه بالاستشعار والخوف ويهيجه للبحث والافتكار وينزع عنه‌الدعة والقرار والتساهل والاهمال وتقرر عنده ان الموت ضرورى آت لامحالة وان مابعد الموت مطوى عن ابصار الخلق وان ما اخبر به هؤلاء غيرخارج عن حد الامكان فانجزم بترك التوانى فى‌الكشف عن‌حقيقة هذاالامر.

فما هؤلاء مع‌العجائب التى اظهروها من امكان صدقهم باقل من شخص يخبرنا عند خروجنا من دارنا ان سبعاً اوحية دخل دارك فخذ حذرك واحترز منه، فانا بمجرد السماع اذا رأينا امكان صدقه لانقدم على الدخول بل نحترز كل الاحتراز، والموت هوالدخول الى المستقر والوطن قطعا فكيف لايكون الاحتراز لما بعده مهماً؟ فاذن اهم المطالب ان يبحث عن مايقوله النبى صلى‌الله عليه واله اهو حق لاشك فيه ام باطل؟ و ان قوله: و ان لكم رباً كلفكم و ان لكم حقوقا تركها يوجب سخطه و عقابه و فعلها يوجب رضاه و ثوابه فيلزمنالامحالة ان نطيع له فيما يأمر وينهى

طاعة مفترضة.

و رابعها ان يعلم ان محمداً صلی الله عليه واله رسول الله و انه الحجة على خلقه و في اثبات معجزاته طريقان: الاول التمسك بالقران، فانا نقول: لامعنى للمعجزة الا ما يقترن بتحدى النبی صلی الله عليه و اله عند استشهاده على صدقه على وجه يعجز الخلق عن معارضته و تحديه على العرب مع شعفهم بالفصاحة و اغراقهم فيها متواتر و عدم معارضتهم معلوم، اذ لو كان لظهر، فان ارذال الشعراء لما تحدوا بشعرهم و عورضوا ظهرت المعارضات و المناقضات الجارية بينهم.

فاذن لايمكن انكار تحدى الرسول صلی الله عليه و اله بالقران ولايمكن انكار اقتدار العرب على طرق الفصاحة و لايمكن انكار حرصهم على دفع نبوته بكل ممكن حماية لدينهم و دمائهم و اموالهم و تخلصاً من سطوة المسلمين وقهرهم، ولايمكن انكار عجزهم لانهم لو قدروا لفعلوا ولو فعلوا لظهر ذلك ونقل، فهذه مقدمات علم بعضها بالتواتر و بعضها بمجارى العادات وكل ذلك مما يورث اليقين فلاحاجة الى التطويل.

فان قيل: ما وجه اعجاز القران؟ قلنا: الجزالة[1] والفصاحة مع النظم العجيب و المنهاج الخارج عن منهاج كلام العرب فى خطبهم و اشعارهم و سائر صنوف كلامهم، والجمع بين هذا النظم وهذه الجزالة معجزة خارجة عن مقدور البشر، نعم ربما يرى للعرب اشعار وخطب يحكم فيها بالجزالة و ربما ينقل عن بعض من قصد المعارضة مراعات هذا النظم بعد تعلمه من القران ولكن من غير جزالة بل مع ركاكة كما يحكى من ترهات مسيلمة الكذاب انه قال: الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل[2] وخرطوم طويل، فهذا وامثاله ربما يقدر عليه مع ركاكة يستبشعها[3] الفصحاء ويستهزؤن بها.

و اما جزالة القران فقد قضى كافة العرب منها العجب و لم ينقل عن واحد منهم

۱ــ الجزالة ضد الركيك من الكلام.

۲ــ الحبل من الليف.

۳ــ بشع، اى: عكس حسن وطيب.

تشبيب بطعن فی فصاحته، فهو اذن معجز خارج عــن مقدور البشر من هذين الوجهين، اعنی من اجتماع هذين الوصفين.

فان قيل: لعل العرب اشتغلت بالمحاربة و القتال فلم تعرج علی معارضة القران ولو قصدت لقدرت عليه ولكن منعها العوائق عن الاشتغال به.

فالجواب: ان ما ذكروه هوس، فان دفــع تحدی المتحدی بنظم الكلام اهون من الدفع بالسيف مع ماجری علی العرب من المسلمين بالامر من النهب و القتل و السبی، ثم ماذكروه غير رافع[1] غرضنا، فان انصرافهم عن المعارضة لم يكن الا بصرف من الله، والصرف عن المقدور و المعتاد من اعظم انواع اظهار المعجزات، فلــو قال النبی: ان اية صدقی انی احرك اصبعی هــذا اليوم فلايقدر احد من البشر علی معارضتی ، فلـم يعارضه احد فی ذلك اليوم ثبت صدقه، اذ كان فقد قــدرتهم علی الحركة مــع سلامة الاعضاء من اعظم المعجزات ــ فان فرض وجر[2] القدرة ــ ففقد داعيتهم عن المعارضة من اعظم المعجزات مهما كانت حاجتهم ماسة علی الدفــع باستيلاء النبی صلی الله عليه واله علــی رقابهم و امــوالهم و ذلك كله معلوم علی الضرورة، فهــذا طريق تقرير نبوته بالقران.

الطريق الثانــی ان يثبت نبوته بجملة من الافعال الخارق للعادات التی ظهرت عليه، كانشقاق القمر ونطــق العجماء و تفجر الماء مــن بين اصابعه و تسبيح الحصاة فی كفه و تكثير الطعام القليل و غير ذلك من خوارق العوائــد وكل ذلك دليل علــی صدق نبوته.

فان قيل: احاد هذه الوقائع لم يبلغ نقلها مبلغ التواتر.

قلنا: ذلك وان سلم ايضاً فلايقدح فی الغرض مهما كان القدر المشترك بالغاً مبلغ التواتر، وهــذا كما ان شجاعة علی عليه السلام معلوم علی القطع وان كان او فرض احاد تلك الوقائع لم يثبت بالتواتر، فكذلك هذه الاحوال العجيبة جملتها بالغة مبلغ التواتر

١ــ دافع ــ م.

٢ــ وجر يجر وجراً: وجر فلاناً ــ جعله فی فيه، و وجره الرمح: طعنه به فی فيه.

لايستريب فيها مسلم.

و خامسها انه لايخلو الارض بعد رسول‌الله صلى‌الله عليه واله من حجة لله على خلقه، اذالحاجة من الخلق ماسة دائماً الـى وجـود من يقربهم الى الله ويهديهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظةالحسنة ويزكيهم ويعلمهم الكتاب‌الذى جاء به الرسول والحكمة التى اوتيها واتى بها من قبل‌الله، فلابـدان يكـون لله حججاً على خلقه بعد- الرسول عندهم علم‌الكتاب والحكمة.

فان قال قائل: ان القران هوالحجة فليكتف به الخلق.

قلنا: ليس القران كتاباً يقوم بعلمه عامة اهل النظر من‌الفضلاء فضلا عن غيرهم، كيف و اكثر اربـاب النظر و اصحاب الفكر يعجزون عـن مطالعة كتب الاوائـل كارسطو وافلاطن بل يقصر اذهانهم عن فهم كلام مثل ابى‌على و ابى‌نصر فكيف امكنهم ان يعلموا القران؟

وهو كتاب الهى وكلام ربانى جاء من عندالله و نزل على قلب رسوله، ونسبته الى سائرالكتب كنسبة الرب الى مصنفى تلك الكتب، وفيه رموز و بطون ومحكمات و متشابهات و مؤلات ظواهـره متناقضات و بواطنه اسرار و انوار غامضات، فكيف يهتدى بنوره وهداه، الامن له البصيرة المنورة بنورالله وسمع عقلى يسمع من عندالله وملائكته وان لم يرصورة الملك ولم يسمع صـوت الكلام منه بهاتين الحاستين كما رأى وسمع النبى صلى‌الله عليه واله، لان ذلك من خـواص الـرسول و به‌الفرق بين الرسول والمحدث كماسيجيىء.

فاذا كان‌الامر كذلك فهل يسع لاحد بعدالرسول ان يدعى انه قيم‌القران الاعلى- بن ابى طالب عليه‌السلام كابن مسعود او زيد بن‌ثابت او حذيفة او عمر بن‌الخطاب؟ فان ادعوا ذلك كان وقاحة منهم، على انهم لم‌يدع احد من هؤلاء انه يعرف القران كله.

ونقل عن ابن عباس وهوا علم هؤلاء بالتفسير انه كان ليلة من الليالى عند امير- المؤمنين عليه‌السلام و هو يفسر فاتحة الكتاب، فرأى نفسه عند على عليه‌السلام كجرة عند بحر عظيم، و هو عليه‌السلام قد ادعى ذلك كماهو منقول منه فى كثير من‌الروايات

بلغت جملتها حد التواتر قال: لوشئت لاوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ايضاً: لوثنيت[1] لی و سادة لحكمت بين اهـل التورية بتوراتهم... الخبر وقـال مشيراً الی صدره المنور : ان هيهنالعلوما جمة، لووجدت حملة[2] دل كلمة «لو» علی ان عنده من العلوم الالهية و الاسرار الربانية مالم يحتمله ولم يطق حمله احد فی زمانه.

و قال فی كلام طويل: فمانزلت اية من القران علی رسول الله صلی الله عليه واله الا اقـرأنيها و املاءها علـی فكتبتها بخطی و علمنی تأويلها و تفسيرهـا و ناسخها و منسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعی الله ان يعطينی فهمها وحفظها، فما نسيت اية من كتاب الله ولاعلما املاءه علی منذ دعاالله لی، قال : ثـم وضـع يده علی صدری و دعالی ان يملاء قلبی علماً و فهماً وحكماً و نوراً... الحديث بطوله.

فـاذا تمت هذه المقدمات الخمس ثبت و تبين ان علياً عليه السلام كان حجة علی الخلق بعد رسول الله صلی الله عليه والـه ، لكونه قيم القران و امام هدی للناس و كانت طاعته مفترضة، و ان ماقال فـی القران فهوالحق الذی لاريب فيه . فهذا شرح ماذكره منصور بن حازم و عرضه علـی الصادق عليه السلام فصدقه و دعـاله برحمة الله عليه.

الحديث الثالث

و هوالتاسع و العشرون واربع مائة

«علی بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن ابراهيم، عن يونس بن يعقوب» بن قيس ابوعلی الجلاب الجبلی الدهنی، اختلف اصحابنا فيه فقال الشيخ الطوسی: ثقة مولی شهد له عدله فی وعدة مواضع وقال النجاشی: انه اختص بابی عبدالله وابی الحسن عليهما

۱ــ ثنيت: «سفينة» ثنی الوسادة كناية عن التمكن فی الامر، لان الناس يثنون الوسائـد للامراء والسلاطين ليجلسوا عليها.

۲ــ لعلماً جماً لو اصبت له حملة «نهج».

السلام و کان یتوکل لابی‌الحسن علیه‌السلام ومات بالمدینة قریباً[1] من‌الرضا علیه‌السلام فتولی امره و کان خطیباً عندهم موثقاً و کان قدقال بعبدالله ثم رجع، وقال ابوجعفربن‌بابویه: انه فطحی هوواخوه یوسف.

و قال الکشی: حدثنی حمدویه عن بعض اصحابه ان یونس بن‌یعقوب فطحی کوفی، مات بالمدینة وکفنه الرضا علیه‌السلام، و روی الکشی احادیث حسنة تدل علی‌صحة عقیدة هذاالرجل والذی اعتمد علیه قبول روایته «صه».

وقال الکشی ایضاً: قال محمد بن‌مسعود: جماعة من‌الفطحیة هم فقهاء اصحابنا، وعد عدة من اجلة الفقهاء والعلماء منهم یونس بن‌یعقوب، وقال الشهیدالثانی رحمه‌الله فی‌الحاشیة «صه»: اورد الکشی فی ذمه نحو عشرة احادیث، و حاصل الجواب عنها یرجع الی ضعف سندها وجهالة بعض رواتها والله اعلم، انتهی. قیل: ولقد اورد فی مدحه نحواً من عشرین حدیثا بعضها صحیح السند. «قال: کان عند ابی‌عبدالله علیه‌السلام جماعة من اصحابه منهم حمران بن‌اعین و محمد بن‌النعمان وهشام بن‌سالم و الطیار و جماعة فیهم هشام بن‌الحکم و هوشاب فقال ابوعبدالله یا هشام الاتخبرنی کیف‌صنعت بعمروبن‌عبید وکیف سألته قال‌هشام یابن رسول‌الله انی‌اجلك واستحییك ولایعمل لسانی بین یدیك.

فقال ابوعبدالله علیه‌السلام: اذا امرتکم بشیء فافعلوا، قال هشام: بلغنی ماکان فیه عمرو بن‌عبید و جلوسه فی مسجد البصرة فعظم ذلك علی فخرجت الیه و دخلت البصرة یوم الجمعة فاتیت مسجدالبصرة فاذا انا بحلقة‌کبیرة فیها عمرو بن‌عبید وعلیه شملة سوداء متزربها من صوف و شملة مرتد بها والناس یسألونه، فاستفرجت الناس فافرجوالی، ثم قعدت فی آخرالقوم علی رکبتی، ثم قلت: ایهاالعالم انی رجل غریب، تأذن لی فی مسألة؟ فقال لی، نعم!».

«فقلت له: الك عین؟ فقال لی یابنی ای شیء هذا من‌السؤال و شیء تراه کیف تسأل‌عنه. فقلت: هکذامسألتی. فقال، یابنی سل‌وان‌کانت مسألتك‌حمقاء، قلت: اجبنی

۱ــ فی ایام الرضا «جش ــ جامع الرواة».

فيها قال لى سل، قلت. الك عين؟ قال نعم! قلت: فما تصنع بها؟ قال، ارى بها الالوان والاشخاص، قلت: فلك انف؟ قال نعم. قلت: فما تضع به؟ قال: اشم به‌الرائحة. قلت: الك فـم؟ قال نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال اذوق به‌الطعم. قلت: فلك اذن؟ قال نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال اسمع بهاالصوت.

«قلت: الك قلب؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال اميز به‌كلماورد على هذه الجوارح والحواس. قلت: اوليس فى‌هـذه الجوارح غنى عن‌القلب؟ فقال لا. قلت: وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة؟ قـال ، بابنى ان‌الجوارح اذا شكت فى‌شىء شمته اورأته او ذاقته او سمعته ردته الـى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك. قـال هشام: فقلت له، فانما اقام‌الله القلب لشك الجوارح؟ قال نعم. قلت: لابـد من القلب والا لم تستيقن الجوارح؟ قال نعم. فقلت له : يا ابـا مروان، فالله تبارك و تعالـى لـم يترك جوارحك حتى جعل لها اماماً يصح لك الصحيح ويتيقن به ماشككت[1] فيه ويترك هذا الخلق كلهم فى‌حيرتهم وشكهم واختلافهم لايقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد اليه حيرتك و شكك؟ قال: فسكت و لم يقل لى شيئا، ثم التفت الى فقال لى: انت هشام بن‌الحكم؟ فقلت: لا. فقال: امن جلسائه؟ قلت: لا. قال: فمن اين انت؟ قـال قلت: من اهل الكوفة. قال: فانت اذا هـو، ثم ضمنى اليه واقعدنى فـى مجلسه و زال عن مجلسه ومانطق حتى قمت، قـال فضحك ابـوعبدالله عليه‌السلام فقال ياهشام، من علمك هذا قلت: شىء اخذته منك والفته، فقال، هذا والله مكتوب فى‌صحف ابراهيم و موسى».

الشرح

الشملة كساء يشتمل به، وقد اشتريت شملة تشملنى وثوب شماليل اى شماطيط وهو اذا تشقق، قوله: متزربها و فى‌نسخة مؤتزر من‌الازار و موضعه من الحقوين، و مرتد من‌الرداء وهـوالذى يلبس و تثنيته رداءان و ان شئت ردايان ، لان اصله رداى

۱ـ شك (الكافى).

الا ان العرب یهمز الواو و الیاء اذا جائتا بعد الالف؛ وشکت بتشدید الکاف مقابلة الیقین.

ومعنی شك الحواس او غلطها، ان العقل اوالوهم المشوب بالحس لیشك او یغلط بسبب من الاسباب ثم یعلم النفس بقوة العقل ماهوالحق لتیقن، کمایری البصر العظیم صغیراً لبعده والصغیر کبیراً لقربه ، والواحد اثنین لحول فی العین، والشجرة التی فی طرف الحوض منکوسة لانعکاس شعاع البصر من الماء الیها، والسمع یسمع الصوت الواحد عندالجبل ونحوه ممافیه صلابة او صقالة صوتین لمثل العلة المذکورة من انعکاس الهواء المتموج المسموع الی الصماخ تارة اخری، و یقال للصوت الثانی الصداء .

وکما تجد الذائقة الحلو مراً لغلبة المرة الصفراء علی جرم اللسان ، وکذا تشمئز الشامة من الروائح الطیبة بالزکام، فهذا وامثالها اغلاط حسیة تعرف القلب حقیقة الامر فیها، والمراد منه کما علمت هواللطیفة النورانیة المتعلقة اول تعلقها بهذا القلب الصنوبری و نسبته الی اعضاء الحس و الحرکة کنسبة النفس الی قوی الحس والحرکة فی انه ینبعث منه الدم والروح البخاری الی سائر الاعضاء، فالنفس رئیس القوی وامامها والقلب و هو مستقرها و عرش استواها باذن الله رئیس سائر الاعضاء و امامها .

والغرض من هذا الحدیث اثبات ان الله کما جعل لسائر الاعضاء الا دراکیة اماماً قائما وحکما عدلا یرجع الیه و یمیز حقها من باطلها فی ادراکات جزئیة، فبان جعل فی هذا العالم الکبیر اماماً قائماً بالقسط حاکماً بالعدل بین الناس یرجعون الیه فی شکوکهم و جهالاتهم و وقائعهم و اعتقاداتهم الکلیة خلافة من الله لکان اولی و اوجب.

و قد علمت سابقاً ان کلما یعلمه سبحانه من خیر وصلاح فی نظام العالم یجب منه تعالی صدوره، لان علمه بوجوه الخیر و النظام سبب للایجاب والایجاد.

فاذن یجب من الله نصب الامام فی کل زمان ، و هذا من الاحکام العقلیة التی

لایختلف باختلاف الشرائع والادیان فهو مکتوب فی‌الکتب الالهیة و الزبر السماویة والصحف الاولی صحف ابراهیم و موسی.

و اعلم ان هیهنا مقامین: احدهما انه هل یجب من‌الله ان لایخلو الارض من حجة و امام ام لایجب؟ وثانیهما انه هل یجب فی اثباته ان یقع نص من‌الله او رسوله فی تعیین الامام ام لایجب؟ بل یثبت ذلك ببیعة او اجماع؟ و قد وقع الاختلاف من الامة فی کل منهما.

فالذی ذکر فی هذاالحدیث انما یثبت ماهوالمطلب الحق فی‌المقام الاول دون الثانی، لکن مما ینفع ویعین معونة شدیدة فیما هو المطلب فی‌الثانی، فان النبی صلی‌الله علیه واله لم یقصر فی‌التبلیغ من‌الله والاخبار عنه فی جزئیات الاحکام التی لیس فیها من‌الحاجة مالم یجزاهماله‌من الاداب و المستحبات فکیف اهمل التبلیغ فی‌هذا الامر العظیم و الحظرالجسیم؟

و مماینبه[1] علی ذلك ویؤید ما ذکره الهشام ان الله خلق النخاع خلیفة للدماغ فی کونه ینبت منه اعصاب الحس والحرکة، فینبت من‌النخاع وهوالجرم اللین الشبیه بالدماغ النافذ فی‌جوف عظام العنق و فقرات الظهر تتمة الاعصاب، فاذا قضی‌الله بحسن عنایته وتقدیره المدماغ خلیفة ینوب عنه فی حاجةقوی البدن واعضائه فکیف لم یقض لحاجة الامة بعدالرسول صلی‌الله علیه واله بوجود خلیفة یقوم بامرهم بعده؟

الحدیث الرابع

و هوالثلاثون و اربع مائة

«علی بن‌ابراهیم عن‌ابیه عمن ذکره، عن یونس بن‌یعقوب قال: کنت عند ابی‌-عبدالله علیه‌السلام فورد علیه رجل من اهل الشام فقال: انی رجل صاحب کلام و فقه و فرائض و قد جئت لمناظرة اصحابك فقال له ابوعبدالله علیه‌السلام: کلامك من کلام رسول‌الله صلی‌الله علیه واله او من عندك؟ فقال: من کلام رسول‌الله صلی الله علیه‌-

---

۱- یبینه ــ م.

واله و من عندى، فقال ابـوعبدالله عليه‌السلام: فانت اذن شريك رسول‌الله؟ قال: لا. قال: فسمعت الوحى عن‌الله عزوجل يخبرك؟ قـال: لا. قال: فتجب طاعتك كماتجب طاعة رسول‌الله صلى‌الله عليه واله؟ قال: لا. فالتفت ابـوعبدالله عليه‌السلام الى فقال: يا يونس بن‌يعقوب هذا قد خصم نفسه قبل ان يتكلم».

الشرح

ادعى هذالرجل انه صاحب ثلاثة علـوم: الكلام والفقه و علم‌الفرائض، وانما جعل علم الفرائض قسيماً للفقه لان المراد بالفقه هـوعلم الخلافيات، وكان الاوائـل افردوه عن‌الفرائض والاجماعيات وسموه علم‌الخلاف.

واما علم‌الكلام: وهوالبحث عن ذات الله وصفاته و افعاله و عن احوال المعاد بادلة ممزوجة من‌العقل والشرع بمقدمات مقبولـة عندالجمهور او مسلمة عندالخصم، وكان المقصود منه حـراسة المعتقدات التى نقلها اهل الشرع عـن اراء المبتدعين و اوهام المضلين ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع او مخاصمة مفسد مضل و دفـع افساده و قمع اضلاله باى وجه حصل ولو بالخدع كمافى الحرب، لان بناء الكلام على‌الجدل، والخوض فيه زيادة على مابه يدفع الخصوم فرضا على‌الكفاية مذموم غاية الذم.

اذليس الكلام ممايكتسب به العلم بحقائق الاشياء كالحكمة الالهية، بل الفائدة فى وضعه دفـع المفسدين وازاحة صولـة المنكرين مـع مايلزم من الخوض فيه من عادات رديئة و امراض قلبية مزمنة لايمكن ازالتها بل يزيـد المرض يوماً فيوماً حتى يهلك صاحبه كما فـى قـوله تعالـى : فى قلوبهم مرض فزادهم الله مـرضاً و لهم عذاب اليم (البقرة ـ ۱۰) .

ولما رأى عليه‌السلام من‌الرجل الشامى ان غرضه الجدال و الغلبة فى المناظرة والبحث تكلم معه بمايعجزه و يفضحه وان كان بمقدمـات جـدلية ، فان الذى الزمه عليه‌السلام على قوله: من كلام رسوله صلى‌الله عليه واله و من عندى من ادعاء الشركة فى‌الرسالة كان لـه ان يقول: لانسلم ذلك ، فان مـرادى مماقلته ان اصول اعتقاداتـى

مأخوذة من کلام رسول‌الله صلی‌الله علیه واله و لکنی استنبطت منها علوما اخری بقوة الفکر و النظر، هذا هو المقصود من قوله و من عندی.

وهذا لایستلزم الشرکة فی النبوة و لاسماع الوحی ولااستیجاب الطاعة، لکن اسکته‌الله تعالی وبهته تأییداً له علیه‌السلام کما بهت نمرود من محاجة الخلیل بالحجة الثانیة دون‌الاولی مع کون الاولی اقوی من‌الثانیة، اذکان ممکناً له ان‌یقول: لایلزمنی اتیان الشمس من المغرب بقولك لما فی ذلك من اختلال النظام و المفاسد التی انا عالم بها و لایلزمنی ان ابین لك کیفیتها، لکن افحمه الله تأییداً للخلیل علیه‌السلام.

«ثم قال: یا یونس لو کنت تحسن الکلام کلمته. قال یونس: فیالها من حسرة، فقلت: جعلت فداك، انی‌سمعتك تنهی عن الکلام وتقول ویل لاصحاب الکلام یقولون هذا ینقاد، و هذا لاینقاد، و هذا ینساق و هذا لاینساق و هذا نعقله و هذا لانعقله، فقال ابو عبدالله علیه السلام: انما قلت فویل لهم ان ترکوا ما اقول و ذهبوا الی مایریدون».

الشرح

قد علمت ان الخوض فی علم‌الکلام مذموم، لان بنائه علی الجدل ولکن القدر الضروری منه من فروض الکفایة، و لاجل ذلك قال علیه‌السلام ویل لاصحاب‌الکلام، وهم‌الخائضون فیه الذین بناء اعتقاداتهم علیه، ولهذا علل کونهم من اهل النار بانهم یقولون: هذا ینقاد و هذا لاینقاد.

و المراد انهم یوزنون ماورد فی‌الکتاب و السنة بمیزان عقولهم و قواعدهم الکلامیة فیؤمنون بالبعض ویکفرون بما ورائه و هوالحق، فانهم کثیراً مایترکون ظواهرالکتاب والسنة لمناقضة ارائهم ایاها، وهذا معنی ماحکی من قولهم: هذا ینقاد لموافقة ارائهم و هذا لاینقاد لمناقضته ایاها، وهذا ینساق، ای ینجر الی امر کذا من محال او تناقض او دور او تسلسل، وهذا لاینساق، ای لاینجر الیه، فالاول غیرصحیح

والثانی صحیح، وکذاقولهم: هذا نعقله و هذا لانعقله، لانهم یولـون علی عقولهم فی اکثر الاحکام الالهیة التی عجزت عقولهم عـن ادراکهـا و لایقنعون بتقلید الشارع فیقعون فی بدع واهواء یضلون بها ویضلون.

ثم اشار علیه‌السلام بقوله: انما قلت ویل... الی اخره، الی ان علم‌الکلام قـد یجوز استعماله و ذلك اذالم یؤد الی اهمال سنة او ترك قـول معصوم، بل ربما یجب کما سبق وجهه.

«ثم قال لـی : اخرج الی الباب فانظر من تـری من‌المتکلین فادخله . قال: فادخلت حمران بن‌اعین و کان یحسن‌الکلام وادخلت الاحول وکان یحسن‌الکلام، و ادخلت هشام بن‌سالم وکان یحسن الکلام، و ادخلت قیس بن‌الماصـر و کان عندی احسنهم کلاما وکان قد تعلم الکلام من‌علی بن‌الحسین صلوات‌الله علیهما، فلمااستقربنا المجلس وکان ابوعبدالله علیه‌السلام قبل‌الحج یستقر ایاماً فی‌جبل فی‌طرف الحرم فی فازة له مضروبة، قال: فاخرج ابوعبدالله علیه‌السلام رأسه من فازته فاذا هوببعیریخب، فقال: هشام ورب الکعبة، قال: فظننا ان هشاماً رجل من ولدعقیل‌کان شدید المحبة له، قال فورد هشام بن‌الحکم وهو اول ما اختطت لحیته ولیس فینا الامن هواکبر سنأمنه، قال فوسع له ابوعبدالله علیه‌السلام وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ویده».

الشرح

قـوله: فی فازة له مضروبة، الفازة مظلة بعمودین، وقوله: فاذا هو ببعیر یخب، الخب ضرب من‌العدویقال: خب‌الفرس یخب بالضم‌خباوخبباًوخبیبا اذا راوح‌بین یدیه و رجلیه و اخبه صاحبه یقال: جاؤامخبین.

کأنه علیه‌السلام حین مالاقاه الرجل الشامی وامـر یونس باحضار جماعة من متکلمی اصحابه‌کان فی منزل اخر بعید عن منزل الفازة، فدخل الی تلك الفازة لشغله من عبادة او صحبته مـع اهله حتی اذا حضرت الجماعة و استقر بهم المجلس خرج علیه‌السلام من الفازة راکباً بعیره جائیاً الیهم مخبا، فقال هشام: و رب‌الکعبة، ای‌اقسم

بالله ان الذى يجيىء هوهو.

وقـوله: فظننا ان هشاماً رجل من ولـد عقيل اى لشدة محبته عليه‌السلام اياه، فعلل ذلك الظن بقولـه: كان شديد المحبة له اى كما يحب قرابته من اولاد عقيل بن-ابـى‌طالب، و المراد منه هشام بن‌سالم دون بن‌الحكم، لان وروده بعـد ذلك و كلا الهشامين كانا محبوبين له وجيهين عنده عليه‌السلام بل الثانى احب اليه و اوجه عنده لماظهر من صنيعه عليه‌السلام لاجله من‌التوسيع لـه فى‌المجلس والقـول بانه ناصرنا بقلبه و لسانه ويـده، لانه كان مـع صغر سنه متكلماً ذكيا بحاثاً محجاجا قوى البحث نشيط الذهن شديدالذب عن ائمة الهداة عليهم‌السلام.

«ثم قال: ياحمران كلم الرجل، فكلمه فظهر عليه حمران، ثم قال: يا طاقى كلمه، فكلمه فظهر عليه الاحول، ثم قال: يا هشام بن‌سالم كلمه فتعارقا: ثم قال ابوعبدالله عليه-السلام لقيس الماصر كلمه، فكلمه فاقبل ابوعبدالله يضحك من كلامهما مما قـد اصاب الشامى،فقال‌للشامى: كلم هذاالغلام،يعنى‌هشام بن‌الحكم. فقال: نعم! فقال‌لهشام: ياغلام سلنى‌فى‌امامةهذا، فغضب‌هشام حتى ارتعدثم قال‌للشامى: ياهذا أربك‌انظر لخلقه ام خلقه لانفسهم؟ فقال لشامى: بل‌ربى‌انظر لخلقه، قال: ففعل‌بنظره‌لهم ماذا؟ قال: اقام‌لهم حجة ودليلاكيلا يتشتتوا و يختلفوا و يتألفهم ويقيم اودهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال: فمن هو؟قال‌رسول‌الله صلى‌الله‌عليه واله. قال: فبعدرسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌واله من؟ قال‌الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فى‌رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامى: نعم! قال: فلم‌اختلفت انا وانت وصرت الينا من‌الشام فى مخالفتنا اياك؟ قال: فسكت الشامى، فقال ابوعبدالله عليه‌السلام للشامى: مالك لاتتكلم؟ قال الشامى ان قلت له لم نختلف كذبت وان قلت ان الكتاب والسنة يرفعان عناالاختلاف ابطلت لانهمايحتملان الوجوه، وان قلت قد اختلفنا و كل واحد منا يدعى الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة الا ان لى عليه هذه الحجة، فقال ابـوعبدالله عليه‌السلام: سله تجده ملياً، فقال الشامى: يا هـذا من انظرللخلق اربهم او انفسهم؟ قـال هشام: ربهم انظر لهم منهم لانفسهم، قال الشامى: فهل اقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم اودهـم و يخبرهم بحقهم من

باطلهم؟ قال[1] هشام: فـی وقت رسوالله صلی‌الله علیه واله او الساعة؟ قال الشامی: فی وقت رسول‌الله صلی‌الله علیه واله والساعة من؟ فقال هشام: هـذا القاعد الذی تشدالیه الرحال و یخبرنا باخبار السماء و الارض وراثة عن اب عن جد، قال الشامی: فکیف لی ان اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدالك، قال‌الشامی: قطعت عذری فعلی‌السؤال، فقال ابوعبدالله علیه‌السلام: یا شامی اخبرك کیف کان سفرك و کیف کان طریقك، کان کـذا وکان کـذا[2]، فاقبل الشامی ویقـول: صدقت اسلمت‌لله الساعة، فقال ابوعبدالله علیه‌السلام: بل آمنت بالله الساعة، ان الاسلام قبل الایمان وعلیه یتوارثون ویتناکحون والایمان علیه یثابـون، فقال الشامی : صـدقت فانا الساعة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول‌الله صلی‌الله علیه واله وانك وصی الاوصیاء».

الشرح

قوله: انظر لخلقه‌ای ارحم واشفق علیهم، قوله: یقیم او دهم ، الاود الاعوجاج من بـاب علـم والتأو دالتعوج، و اودالشیء یـأوداوداًای اعـوج کی لایتشتتوا ای لایتفرقوا، وارتعد من‌الرعدة وهی‌الاضطراب.

لما استقر المجلس بالجماعة للمناظرة والمباحثة امر علیه‌السلام اولا لحمر ان بن اعین یناظر الشامی ففعل وغلب علیه ثم امر المؤمن الطاق فغلب هوایضاً علیه، امر ثالثا لهشام بـن سالم فتعارقـا ای سال العـرق من کل منهما لطـول البحث وکثرة الکلام بینهما ، و نسخة: فتفارقـا ای انقطعا مـن‌البحث عـن غیر ظهور لاحـدهما علی الاخر.

ثم امـر علیه‌السلام رابعاً لقیس بن الماصر فتکلما، فاقبل، ای توجـه الیهما ضاحکا من کلام کل منهما لما فیه من‌الغلط واشتباه و مماقد اصاب الشامی ای اصاب منه لا انـه اصاب فی‌القول فکأنه غلب علی قیس، ثم امر علیه‌السلام الشامی ان یکلم

۱ــ فقال (الکافی).

۲ــ کان کذا وکذا (الکافی).

هشام بن الحكم فجرى بينهما ماجرى من هذه الابحاث حتى انتهى الى ما انتهى من ايمان الرجل المتكلم الشامى، و الفاظ الحديث غنية عن الشرح.

وقد ظهر من كلامه عليه السلام الفرق بين الاسلام والايمان وان الاسلام قبل الايمان فى الحدوث، فان الانسان مالم يسلم لم يؤمن وان الاسلام مايبنى عليه ثبوت المواريث و صحة المناكحات والمعاملات و به يحقن الدماء والامـوال والذرارى عن السفك والنهب والاسرو انه يجامع النفاق.

وبالجملة كل من قال: لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله فيجرى عليه احكام المسلمين الاان يترك ضروريا من ضروريات الدين بلاعذر او يعلن بعداوة الائمة المعصومين صلوات الله عليهم.

فما نقل عن سيد المرتضى انـه حكم بكفر ماسوى الشيعة الاثنا عشريـة ليس بذاك الا ان يأول كلامه بانـه اراد بالكفر كفر الباطن او منشأ الخلـود فى النار ، و اما الايمان فهو نور من انوار الله المعنوية كما ذكرناه مراراً و هو قابل للشدة والضعف و بحسب قوته وضعفه يكون نيل الدرجات والمثوبات فى الاخرة.

«ثـم التفت ابوعبدالله عليه السلام الـى حمران فقال : تجرى الكلام على الاثر فتصيب والتفت الى هشام بن سالم، فقال: تريد الاثر و لاتعرفه ثم التفت الى الاحول فقال: قياس رواغ تكسر باطلا بباطل الا ان باطلك اظهر، ثم التفت الى قيس الماصر فقال: تتكلم و اقرب ماتكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه واله ابعد ماتكـون منه، تمزج الحق مع الباطل و قليل الحق يكفى عن كثير الباطل، انت والاحول قفازان حاذقان، قال يـونس: فظننت والله انـه يقول لهشام الحكم قريبا مما قال لهما، ثم قال: يا هشام لاتكاد تقع تلـوى رجليك اذا هممت بالارض طرت مثلك فليكلم الناس فـاتق الزلة والشفاعة من ورائها انشاء الله تعالى».

الشرح

لما فرغوا من المناظرة والمكالمة التفت عليه السلام الى واحـد منهم و نبه على

كيفية حاله واسلوب مقاله و بيان خصاله فی البحث والكلام، فالذی خاطب به‌حمران انه‌كان يتكلم على وفق الحديث فيقع له الاصابة، والذی خاطب به‌هشام بن سالم انه كان يريد الاستدلال بالخبر فلايجده ، والذی ذكره فی حق الاحوال مخاطباً اياه انه قياس ، ای كثير العمل بالقياس الفقهی او سريع الوضع و التأليف للقياس المنطقی.

وقوله: قياس خبرمبتداء محذوف، ای انت قياس وكذا قوله، رواغ ای خداع فی‌البحث بالغين المعجمة من‌الروغ والروغان و هوفی‌الاصل مايفعله الثعلب و هوان يذهب هكذا و هكذا مكراً و خديعة، وقوله: تكسر باطلا بباطل الا ان باطلك اظهر ، ای كنت تدفع باطل الخصم بباطلك لكن باطلك اقوی و اقهرللخصم، وليس المراد ان باطله‌كان اظهر فساداً و اوضح بطلانا من باطل خصمه لمنافاة قوله يكسر باطلا بباطل، والذی خاطب به قيس الماصر انه‌كان‌يتكلم واقرب مايكون فی كلامه على ظنه من‌السنة ابعد مايكون منها فی‌الحقيقة ، و انه‌كان يمزج ويخلط الحق بالباطل وكأنه كان يدعی امراً حقاً ولكن كان يستدل عليه بدلائل واهية باطلة، فنبهه عليه‌السلام ان الاكتفاء بقليل من كلام‌الحق خير من‌الاكثار فی‌الكلام من‌الباطل.

و الظاهر انه كان الغالب على الاولين اعنی حمران و هشاماً الاستدلال بالسمعيات، والغالب على الاخيرين اعنی قيس والمؤمن صنعة الكلام و استعمال القياسات الجدلية، ولهذا خاطبهما بقوله: انت والاحول قفازان حاذقان، و القفاز من القفيز و هو المكيال و كأنه اراد علم الميزان و انهما كانا حاذقين فی فن الميزان .

ولما سمع يونس ماقاله عليه‌السلام لهؤلاء الاربعةومابين من‌احوال‌الاخيرين و اطوارهما من قدح و قصور ظن انه سيقول لهشام بن‌الحكم شبه ماقال للاخيرين، اذ الغالب عليه صنعة الكلام كما الغالب عليهما، الا انه قال له من‌التحسين والتصويب وانه لايميل بتدمه عن طريق الصواب وانه فی‌الذكاء وسرعة‌الفكر كالطير وانه اذاهم بفكره نحو مقصد يصل اليه فی‌اقل زمان، ثم‌اذن‌له فی‌اباحة المناظرة والتكلم مع‌الناس

بقوله: و مثلك فليكلم الناس، ثم امره باتقاء الزلة لما علم من آفات الكلام والمباحثة، فان التجاوز فيه عن حد الضرورة يؤدى الى مفاسد شتى كما اشير اليه ثم وعدبالشفاعة منهم عليهم السلام لشيعتهم ومتابعيهم.

الحديث الخامس
وهوالحادى والثلاثون واربعمائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن‌محمد بن‌عيسى، عن على بن‌الحكم عن ابان، قال: اخبرنى الاحول ان زيد بن‌على بن‌الحسين عليهماالسلام بعث اليه وهومستخف، قال: فاتيته، فقال لى : يا ابا جعفر ماتقول ان طرقك طارق منا اتخرج معه؟ قال، فقلت له: ان‌كان اباك او اخاك خرجت معه، قال، فقال لى: فانا اريدان اخرج اجاهد هؤلاء القوم، فاخرج معى؟ قال، قلت: لا، ما افعل جعلت فداك. قال، فقال لى: اترغب بنفسك عنى؟ قال، فقلت[1] له : انما هى نفس واحدة فان‌كان لله فى الارض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك وان لايكن لله حجة فى‌الارض و المتخلف عنك والخارج معك سواء. قال، فقال لى يا ابا جعفر كنت اجلس مع ابى‌على‌الخوان فيلقمنى البضعة السمينة ويبردلى اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة على ولم يشفق على من حرالنار اذاً اخبرك[2] بالدين ولم يخبرنى به. فقلت له: جعلت فداك، من شفقته عليك من حرالنار لم يخبرك خاف عليك ان لاتقبله، فتدخل النار و اخبرنى انا فان قبلت نجوت وان‌لم اقبل‌لم يبال ان‌ادخل النار، ثم‌قلت له: جعلت فداك، انتم‌افضل أم‌الانبياء؟ قال: بل الانبياء. قال، قلت: يقول يعقوب ليوسف يا بنى لاتقصص رؤياك على‌اخوتك فيكيد والك كيداً (يوسف ــ ٥)، لم لم يخبرهم حتى كانوا لايكيدونه ولكن كتمهم ذلك، فكذا ابوك كتمك لانه خاف عليك. قال، فقال : اما والله لئن قلت ذلك لقد حدثنى صاحبك بالمدينة انى اقتل و اصلب بالكناسة وان عنده لصحيفة فيها قتلى و

١ــ قلت (الكافى).
٢ــ اذاً اخبرك (الكافى).

صلبی. فحججت، فحدثت اباعبدالله علیه‌السلام بمقالة زیـد و ماقلت لـه، فقال لـی: اخذته من بین یـدیه و من خلفه وعـن یمینه وعن شماله ومن فوق رأسه و من تحت قدمیه ولم تترك له مسلكاً یسلكه».

الشرح

ان زیـد بن‌علی بن‌الحسین علیهما‌السلام حین اراد الخروج وکان مستخفیا، بعث الـی ابی‌جعفر الاحول مؤمن الطاق لیتبعه فی‌الخروج، فلما احضره استفسر منه اولا علی وجه الاجمال انـه ان قرعه قارع من اهل البیت للخروج معه ایجیب دعوته ام لا؟ فاجاب الاحول بالتفصیل، فلما سمع منه زید ذلك و انه بحیث یطیع امر ابیه و اخیه یعنی‌السجاد والباقر علیهما‌السلام صرح بالدعوة له بالخروج معه، فاجابه بالانکار الصریح، ولما اعترض زید علیه بانـه‌کان یرغب بنفسه عنه ای الی غیره و اراد جعفر بن‌محمد الصادق علیه‌السلام، فاجا بـه بان نفسه واحـدة اذ هلکت لم تنج ابداً یعنی بحسب الاخرة، فان زیداً مماکان یلیق ان یجودله احد بنفسه فی‌الدنیا ولکن بشرط ان لایهلك فی‌الاخره.

ثم اعتذر عن الخروج معه محتجاً بان الذی شك زید فی‌حجیته وامامته لایخلو اما ان یکـون حجة مفترض الطاعة ام لا، فان‌کان لله حجة فی‌الارض فوجبت طاعته و هو قد نهی عن الخروج، فالمتخلف عن‌الخارج ناج والتابع‌له فی‌الخروج هالك، و ان لـم یکن لله حجة فیها فالخارج مـع غیرالامام و المتخلف عنه سیان، وفی هـذا القول نظر کمالایخفی.

وقوله: یا اباجعفر کنت اجلس مع ابی الی قوله: ولم یخبرنی به، استدلال منه بصحة الخروج، ای ان ابی مع هـذه المحبة المفرطة والشفقة علی‌الـی غایة یجنبنی عن‌حر لقمة الم یجنبنی عن حرنارالجحیم ولم یخبرنی بترك‌الخروج مع مافیه بزعمك من‌الهلاك عند ماخبرك؟

فاجاب صاحب الطاق بان ابـاك من غایة شفقته وخوفه علیك من حرالنار لـم

یخبرك بالنهی عن الخروج حیث خاف علیك العقوق و مخالفة امـر الاب و خصوصاً الامام المفروض الطاعة، واما انا فاخبرنـی بـذاك غیرمعین[۱] بشأنـی ولا مبال بامری مبالاته بامرك، فان قبلت فنجوت والا فهلكت.

ثم ذکر له وجهاً اخر من الکلام فیه ضرب من الملاطفة و المرافقة مع ماتضمنه من التخویف له عن الخروج، و هوان اباه علیه‌السلام فعل فیه مافعله یعقوب فی امرابنه یوسف علی نبینا واله وعلیهما السلام من کتمان مرتبته وقدره واستحقاقه لمنصب النبوة کیلایکیدونه کیداً ویقتلونه حسداً.

فکـذلك لما رأی ابـوه علیه‌السلام فیه من الجاه والشوکة والداعیة للامامة و الخروج بالسیف کتم امره حتی عن نفسه ولم ینص فیه بشیء خوفا علی نفسه من القتل، ولما سمع زیـد منه هـذا لکلام فقال: اما والله لئن قلت ذلك لقد حـدثنی صاحبك بالمدینة اراد بـه الباقر والصادق علیهما السلام انـی اقتل واصلب بالکناسة وان عنده صحیفة فیها قتلی و صلبی، والکناسة موضـع قریب من کـوفة قتل فیه زید بن‌علی و والصحیفة هی الجفر او الجامعة.

وقوله: فحججت یحتمل ان یکون من تتمة کلام زید، ولعله و ان مع من سمع من اخیه او ابـن اخیه علیهما السلام ان الصحیفة دلت علـی قتله وصلبه و علـم انهما صادقان فیما یقولانه، الا انه لغایة میله بالخروج وما رأی من ظلم الاعداء وجورهم کان یرجو من الله ان یمحو ذلك من الکتاب بالبداء والنسخ لقوله: یمحوالله مایشاء و یثبت وعنده ام الکتاب (الرعد ـ ۳۹).

و هذاکما روی المتوکل بن‌هرون عن ابیه یحیی بن زید حیث قال: انی لقیت یحیی بن‌زید بن‌علی بعد قتل ابیه وهو متوجه الی خراسان، فسألنی عن اهله وبنی‌عمه بالمدینة واخفی[۲] السؤال عن جعفر بن‌محمد علیه‌السلام فاخبرتـه بخبره وخبرهـم و وحزنهم علی ابیه زید بن‌علی.

۱ــ معتن ــ م.

۲ــ احفی «الصحیفة».

فقال لی: قدكان عمی محمد بن‌علی اشار الی ابی بترك الخروج وعرفه ان هو خرج بالمدينة وفارق المدينة مايكون اليه مصير امره ، فهل لقيت ابن عمی جعفر بن‌محمد عليه‌السلام؟ قلت: نعم، قال: بم‌ذكرنی؟ خبری، قلت: جعلت فداك ما احب ان استقبلك بما سمعته منه؟

فقال: ابالموت تخوفنی؟ هات ماسمعته، قلت: سمعته يقول: انك تقتل وتصلب كماقتل ابوك وصلب، فتغير وجهه وقال: يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب (الرعد ـ ۳۹)، يا متوكل ان الله عزوجل ايد هذا الامر بنا، وجعل لنا العلم والسيف فجمعالنا وخص بنوعمنا بالعلم وحده.

فقلت: جعلت فداك، انی رأيت الناس الی ابن عمك جعفراميل منهم اليك و الی ابيك، فقال: ان عمی محمد بن‌علی وابنه جعفراً عليهماالسلام دعوا الناس الی الحيوة و نحن دعونا هم الی‌الموت، فقلت : يابن رسول اهم اعلم ام انتم؟ فاطرق الی الارض ملياً ثم رفع رأسه فقال: كلنا له علم غيرانهم يعلمون كل مانعلم ولانعلم كل مايعلمون. انتهی.

و الغرض من نقل هذه الحكاية ان اقدام زيد بالخروج مع ما سمع من اخيه و ابن‌اخيه عليهماالسلام‌من دلالة الصحيفة علی‌قتله وصلبه ممالا وجه له‌ظاهراً الاماذكرناه كما دلت عليه حكاية يحيی ابنه.

ثم لماحدث ابوجعفر الاحول اباعبدالله عليه‌السلام بمقالة زيد ومقالته‌كماجری بينهما فقال له: اخذته من بين يديه... الی اخره، اشارة الی حسن مكالمته لزيد و احتجاجه عليه بجميع وجوه مايمكن من‌الاحتجاج وسد مسالك دعوی الامامة و ارادة الخروج عليه.

باب طبقات الانبیاء و الرسل و الائمة علیهم السلام

و هو الباب الثانی من کتاب الحجة وفیه اربعة احادیث:

الحدیث الاول

و هو الثانی و الثلاثون واربع مائة

«محمد بن‌یحیی عن احمد بن‌محمد، عن ابی یحیی الواسطی» اسمه سهیل بن‌زیاد لقی ابا محمد العسکری علیه‌السلام، قال النجاشی: انه شیخنا المتکلم رحمه‌الله، قال: وقال بعض اصحابنا: لم‌یکن سهیل بکل الثبت فی‌الحدیث، وقال الغضائری: امه بنت محمد بن‌النعمان مؤمن‌الطاق، حدیثه یعرفه‌تارة وینکره[1] اخری ویجوز ان یخرج شاهداً» عن‌هشام بن سالم و درست بن ابی منصور عنه قال، قال ابوعبدالله علیه‌السلام الانبیاء والمرسلون علی اربع طبقات، فنبی منبیء فی‌نفسه لایعد وغیرها، ونبی یری فی‌النوم ویسمع الصوت ولایعاینه فی‌الیقظة ولم یبعث الی احد و علیه امام مثل ماکان ابراهیم علی لوط، ونبی یری فی‌منامه ویسمع الصوت ویعاین الملك وقد ارسل الی طائفة قلوا او کثروا کیونس علیه‌السلام قال‌الله لیونس علیه‌السلام: و ارسلناه الی مائة الف او یزیدون (الصافات ـ ۱۴۷)، قال یزیدون ثلاثین الفا و علیه امام، والذی یری فی نومه ویسمع الصوت ویعاین فی‌الیقظة وهو امام مثل اولی‌العزم، وقدکان ابراهیم علیه‌السلام نبیا ولیس بامام‌حتی قال‌الله تعالی: انی‌جاعلك للناس اماماً،قال: ومن ذریتی « فقال الله » لاینال عهدی الظالمین (البقرة ـ ۱۲۴) ، من عبد صنما او وثنا لایکون اماما».

الشرح

النبی‌فعیل بمعنی فاعل وهومشتق من‌النبأ وهوالخبر، ونبأ ونبأ وانبأ کلهابمعنی اخبر، والنبی مخبر عن‌الله، و ترکوا فیه الهمزة کما فی‌الذریة و البریة و الخائبة،

---

[1] ـ نعرفه تارة وننکره «جامع الرواة».

و اهل مکة یهمزون هذه الاحرف علی الاصل ، هذا تفسیر معنی اللغوی للفظ النبی.

واما بیان حقیقة النبی و النبوة و نبوته و اقسام الانبیاء فذلک لایمکن الابیان کیفیة القاء العلوم من الله علی القلب وانحاء الالقاء فنقول:

اولا یجب انیعلم ان قلب الانسان بغریزته مستعدلقبول حقائق المعلومات، ولکن العلوم التی یتجلی فیه من حجب الغیب ینقسم الی عقلیة وشرعیة.

اما الشرعیة فهی المأخوذة بطریق التقلید عن الانبیاء. واما العقلیة فالمراد بها ما تقتضیه غریزة العقل من غیر ان یؤخذ بالتقلید والسماع، وهی منقسمة الی ضروریة لاتدری من این حصلت وکیف حصلت ، کعلم الانسان بان الکل اعظم من جزئه و ان الشخص لایکون فی مکانین فی آن واحد وان النفی والاثبات لایصدقان علی شیء ولایکذبان علیه.

فان هذه علوم یجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورة علیها و لایدری متی حصلت له ومن أین حصلت، اعنی انه لایدری فیه سبباً قریباً، والا فلایخفی ان الله هو المبدأ الاول لافاضة کل خیر وعلم والاغیر ضروریة، ویقال لها المکتسبة وهی المستفادة بالتعلم والاکتساب، وکلاالقسمین قدیسمی بالعقل کما فیقول امیرالمؤمنین علیه‌السلام:

رأیت العقل عقلین: فمطبوع ومکسوب و لاینفع مکسوب، اذالم یک مطبوع
کما لاینفع الشمس وضوء العین ممنوع[1]

و الاول هو المراد من قول النبی صلی‌الله علیه واله لعلی علیه‌السلام کما روی عنه: ماخلق‌الله تعالی خلقاً هواکرم علیه من العقل، والثانی هو المراد بقوله لعلی علیه‌السلام: اذا تقرب الناس الی الله عزوجل بانواع البر تقرب انت بعقلک، اذ لایمکن للانسان التقرب الیه تعالی بالغریزة الفطریة ولا بالعلوم الضروریة بل ولا بالمکتسبة،

۱ــ العلم علمان: مطبوع و مسموع، ولاینفع المسموع اذا لم یکن المطبوع «نهج‌البلاغة المختار من حکم ۳۳۸».

ولكن مثل على عليه‌السلام بين الصحابة هو الذى يقدر ان يتقرب اليه تعالى باستعمال العقل فى‌اقتناص العلوم التى ينال بهاالقرب من رب‌العالمين.

و نقول ايضاً: القلب جـار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قـوة البصر فى‌العين، وقوة الابصار لطيفة يفقد بالعمى يوجد فى‌البصير وان‌كان قـد غمض العين اوكان فى‌ظلمة الليل والعلم الحاصل فيه جارمجرى قـوة البصر و رؤيته لاعيان الاشياء ، و تأخر العلوم عن عين العقل فى مـدة الصبا الـى التميز او البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على‌المبصرات.

والملك المسمى بالقلم الذى يكتب‌الله به على صحائف القلوب يجرى مجرى قرص، و انما لـم يحصل فى قلب الصبى قبل التميز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم و صورته، والقلم عبارة عن جوهر قدسى نورانى هو سبب متوسط بين‌الله وبين‌الخلق فى حصول العلم فى‌قلوبهم، كماان القلم واسطة بين فاعـل الكتابة و قابله كاللوح او القرطاس فى‌حصول النقوش الكتابية فيه.

و بالجملة نسبة نور العقل الذى هو غريزة القلب الى المعلومات الكلية كنسبة نورالبصر و هوغريزة فى العين الى المبصرات او الموازنة متحققة بين بصيرة الباطن وبصرالظاهر وقد سماه الله تعالى باسما الرؤية فى قوله: وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض (الانعام ـ ۷۵)، ولم يرد به الرؤية الظاهرة، وكـذلك قال فى حق النبى الخاتم صلى‌الله عليه واله: ماكـذب الفؤاد ما رأى (النجم ـ ۱۱)، سمى ادراك الفؤاد رؤية، ولذلك سمى ضد الادراك عمى فقال: انها لاتعمى الابصار ولكـن تعمى القلوب التى فى‌الصدور (الحج ـ ۴۶).

ثم نقول: ان‌العلوم‌التى ليست ضرورية انما تحصل فى‌القلب فى‌بعض الاحوال ويختلف الحال فى حصولها، فتارة يهجم على القلب كأنما القى فيه من حيث لايدرى و تارة يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم، فالـذى يحصل لابطريق الاكتساب و حيلة الاستدلال يسمى الهاماً والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً.

ثم الواقع فی‌القلب بغیر حیلة و تمحل[1] واجتهاد من‌العبد ینقسم الی مالایدری العبد انه کیف حصل و من أین حصل و الـی مایطلع معه علی‌السبب الذی منه استفید ذلك العلم، و مراتب الاطلاع متفاوتة کشفاً وظهوراً، وغایـة الظهور مشاهـدة الملك الملقی فی‌الیقظة مشاهدة مثل رؤیة العین و سماع الکلام العقلی منه فی کسوة الالفاظ المسموعة، و دونه فی الظهور سماع الکلام دون مشاهدة الملك بعین الباطن، و دون هذا وقوع المشاهدة والسماع فی‌المنام.

فالاول من اقسام الواقع فی‌القلب بغیر حیلة الاکتساب وهوالذی لایدری العبد سببه الملقی تسمی الهاماً و نفثاً فی‌الروع، والثانی باقسامه تسمی وحیاً، و هذا یختص به الانبیاء صلوات الله علیهم والاول یختص به الاولیاء والاوصیاء[2] علیهم‌السلام والذی قبله وهوالمکتسب بطریق الاستدلال یختص به‌الحکماء وعلماء النظار.

و حقیقة القول فیه: ان القلب من شأنه ان یتجلی فیه الحضرة الربوبیة و حقیقة الحق فی‌الاشیاء کلها، و انما حیل بینه و بینها بالاسباب الخمسة التی ذکرناها و مثلنا فیها بحجب المرایا فی شرح الکتاب الاول، فهی کالحجاب الحائل بین مراة القلب و بین‌اللوح المحفوظ الـذی هومنقوش بجمیع ماقضی الله تعالی به الی یوم القیامة، و تجلی حقائق العلوم من مـراة اللوح المحفوظ فی مـراة القلب یضاهـی انطباع صورة من مراة فی مراة تقابلها، والحجاب بین‌المراتین تارة یزال بالید واخری یزول بهبوب ریح یحرکه.

فکـذلك قـد یهب ریاح الالطاف الالهیة فیکشف الحجب عـن عین القلب فتجلی[3] فیها بعض ماهومسطور فی‌اللوح المحفوظ، ویکون ذلك تارة عندالمنام فیظهر به ماسیکون فی‌المستقبل، وتمام ارتفاع الحجاب بالموت و به ینکشف الغطاء، و فی‌ الیقظة ایضاً قد ینقشع الحجاب بلطف خفی من‌الله عزوجل فیلمع فی‌القلب من وراء

۱ـ تعلم «الاحیاء».

۲ـ و الاصفیاء «الاحیاء».

۳ـ فینجلی «الاحیاء»

سترالغیب شیء من غرائب العلم تارة کالبرق الخاطف و اخری علی التوالی الی حدما، و دوامه فی غایة الندرة، فلم یفارق الالهام الاکتساب فی نفس العلم ولا فی محله ولا فی سببه ولکن یفارقه من جهة زوال الحجاب و ان ذلك لیس باختیار العبد.

و کذالم یفارق الوحی الالهام فی شیء من ذلك بل فی مشاهدة الملك المفید للعلم، فان العلوم انما یحصل فی قلوبنا من الله بواسطة الملائکة و الیه اشار بقوله: و ما کان لبشر ان یکلمه الله الا وحیاً او من وراء حجاب او یرسل رسولا فیوحی باذنه مایشاء انه علی حکیم (الشوری ـ ۵۱).

و اعلم ان اهل التصوف مالوا الی العلوم الالهامیة دون الاستدلالیة و التعلیمیة، فلذلك لم یحرسوا علی دراسة العلم و تحصیل ما صنفه المصنفون، لانهم قالوا الطریق تقدیم المجاهدة کماقال تعالی: والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا (العنکبوت ـ ۶۹)، و ذلك برفع العوائق ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق کلها و الاقبال بکنه الهمة علی الله تعالی.

ومهماحصل ذلك کان الله هو المتولی لقلب عبده و المتکفل لتنویره بانوار العلم، و اذا تولی الله امر القلب فاضت[1] الرحمة و اشرق النور فی القلب و انشرح الصدر و انکشف له سر الملکوت و تلاءلاءت فیه حقائق الامور الالهیة، فلیس علی المرید الا الاستعداد بالتصفیة المجردة و احضار الهمة مع الارادة الصادقة و التعطش التام و الترصد و التعرض لنفحات الله و الانتظار لمایفتحه الله تعالی من الرحمة.

اذ الانبیاء و کذا الاولیاء علیهم السلام انکشف لهم الامور وفاض علی صدورهم النور لامن جهة التعلم و الدراسة للکتب بل بالزهد فی الدنیا و التبریء عن علائقها والاقبال علی الله تعالی بکنه الهمة، من کان لله کان الله له ، و زعموا ان الطریق فی ذلك ان یقطع اولا العلائق کلها فیفرغ القلب عنها بالکلیة من الاهل و المال و الوطن وعن العلم و الولایة و الجاه.

---

۱ ـ فاضت علیه «الاحیاء».

ثـم لايخلو[۱] بنفسه فى زاوية مـع الاقتصار على الفرائض و الرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب، ولاينزع[۲] فكره بقرائة القران و درسه ولا بالتأمل فى تفسيره ولابكتب حديث و حفظه بل يجتهدان لايخطر بباله شىء سوى ذكر الله قائلا بلسانـه: الله الله على الـدوام مع حضور القلب الى ان ينتهى الى حالة يترك فيها تحريك اللسان و يرى كأن الكلمة جارية على اللسان، ثم يصير الى ان ينمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مداوماً على الذكر، ثم يواظب الى ان ينمحى عن القلب صـورة اللفظ و حروفه و تبقى معنى الكلمة جارياً مجرداً فى قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لايفارقه، وله اختيار الى ان ينتهى الى هذه الحالة[۳] واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار فـى استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قـد تعرض لنفحات الرحمة فلايبقى لـه الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة فتحها[۴] علـى اوليائه و انبيائـه عليهم السلام .

و عند ذلك اذا صدقت ارادته و ذكيت فطرته وقويت همته ولم يجاذبه شهواته فيلمع لوامع الحق فى قلبه، فتكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لايثبت ثم يعود و قـد يتأخر وان عاد فقد ثبت وقديكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقـد لايطول و قد يتظاهر امثاله على التلاحق و قـد يقتصر على فن واحـد ومنازل اولياء الله تعالـى فيه لاتحصى، وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانب العبد وتصفية وجلاء ثم استعداد و انتظار فقط.

و اما النظار و ذووالاعتبار فلم ينكروا وجود هـذه الطريقة وامكانه و افضائها الى المقصد على الندور ، فانـه اكثر احـوال الانبياء و الاولياء عليهم السلام ، لكن استوعروها واستبطاؤا ثمرتها واستبعدوا اجتماع شروطها وزعموا ان محو العلائق الى

۱ــ يخلو «الاحياء».

۲ــ فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق «الاحياء».

۳ــ الحد «الاحياء».

۴ــ من الرحمة كمافتحها «الاحياء».

ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حالة فثباته ابعد منه اذادنى وسواس وخاطريشوش القلب، و قال صلى‌الله عليه واله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن.

و فى اثناء هـذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل و يمرض البدن، و اذالم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليهامدة طويلة الـى ان تزول والعمر ينقضى دون النجاح فيه، فكم من صوفى بقى فى خيال واحد ثلاثين سنة و نحوه؟ ولوكان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الالتباس فى اسرع زمان.

فالاشتغال بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض فقالوا: لابد اولا من تحصيل ماحصله العلماء رحمهم الله و فهم ماقالـوه ثم بعد ذلك بالانتظار لمالـم ينكشف لهم فعساه بالمجاهدة بعد ذلك.

هذا ماذكره الشيخ الغزالى فى كتاب الاحياء بادنـى تلخيص و تغير، والاليق ان يمزج السالك الى الله بين الطريقين فلم يكـن تصفيته خالية عن التفكر و لاتفكره خالياً عن التصفية بل يكـون طريقه برزخا جامعاً بين الطريقين كما هو منهج الحكماء الاشراقيين اذلا منافاة بينهما.

فاذا تقررت هـذه المقدمات فلنرجع الـى الشرح فنقول : ان الانبياء والرسل عليهم الصلـوة والسلام على تفاوت درجاتهم التى لاتحصى وكثرة طبقاتهم فى منازل القرب من‌الله تعالى والبعد من‌الدنيا على اربـع طبقات و درجات:

الاولى درجة نبى منبىء فى نفسه ، اى جائته النبوة اى الاعلام والالهام من‌الله عزوجل لايعدوغيرها، اى لايتجاوز غير درجـة النبوة كالرسالة ونحوها او لايتجاوز نبوته غيرنفسه فلايكون مرسلا الى غيره.

و هذه درجة الاولياء عليهم السلام فى تقسيم الذى ذكرناه اولا من كون العلوم النظرية حاصلة فى‌القلب بغيراكتساب ولااطلاع على‌السبب الموقع لها فى‌القلب اعنى الملك، الا ان اسم الولى لـم يكن مطلقا على احـد من الاولياء عليهم‌السلام قبل بعثة نبينا محمد صلى‌الله عليه واله بل كانوا يسمون بالانبياء ، اذ لافـرق بين النبوة التى لا

رسالة و لاتشريع معهاو بين الولاية الا فى اطلاق الاسم دون المعنى فكان قبل البعثة كل ولى نبياً فى الاسم.

و هذا مما ذكره الشيخ الفاضل سعدالدين الحموى رحمه الله فى كتاب له بلغة الفرس وهكذا ينبغى ان يكون الامر، فان الاستعدادات كانت من زمن ادم عليه السلام الى اخرالزمان فى الترقى، فيجب ان يكون امة نبينا صلى الله عليه واله خيراًمن الامم الماضية كمادل عليه قوله تعالى: كنتم خير امة اخرجت للناس (ال عمران ـ ۱۱۰)... الاية و قوله: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (البقرة ـ ۱۴۳)، و لذلك بهم قامت القيامة وتمت الدائرة.

فلاجرم ينبغى انيكون فيهم الذين درجتهم درجة النبيين. وفيما روى عن النبى صلى الله عليه واله: ان لله عباداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون، اى ليسوا بانبياء تشريع، وكذا معنى كونه صلى الله عليه واله خاتم الانبياء لانبى بعده، اى انقطعت الرسالة اليه وانتهت به نبوة التشريع وانما بقيت الالهامات والمنامات الصادقة والا نذارات.

الدرجة الثانية درجة نبى يرى مع الالهام و الاعلام السبب الملقى اليه العلوم ويسمع كلامه، ولكن ذلك فى المنام لافى اليقظة، كماهوحال نبينا صلى الله عليه واله قبل البعثة بستة اشهر فلم يكن يعاين الملك الموحى اليه ولم يبعث الى احد فكان نبيا ولم يكن رسولا، وكان عليه امام مثل ماكان ابراهيم على لوط عليهما السلام فكانت الشريعة والامامة لابراهيم عليه السلام وكان لوط من اتباعه.

والدرجة الثالثة درجة نبى يجمع هذه المراتب اعنى الالهام بالحقائق و رؤية السبب الملقى لها عليه فى المنام وسماع صوته و معاينة الملك فى اليقظة وكونه مرسلا الى طائفة قلوا او كثرواكيونس النبى صلى الله عليه واله قال الله تعالى فى حقه: و ارسلناه الى مائة الف او يزيدون (الصافات ـ ۱۴۷)، و قال اى الصادق عليه السلام: يزيدون ثلاثين الفا، اى المرسل اليهم.

وهيهنا اشكال: وهو ان ظاهر قوله تعالى: او يزيدون، يوجب الشك و ذلك على الله محال، و نظيره قوله: عذراً او نذراً (المرسلات ـ ۶)، و قوله: لعله يتذكر او

یخشی (طه ـ ۴۴)، و قوله: لعلهم یتقون اویحدث لهم ذکرا (طـه ـ ۱۱۳)، و قوله: وما امـر الساعة الاکلمح البصر او هـو اقرب (النحل ـ ۷۷)، فکان قاب قوسین او ادنی (النجم ـ ۹).

واجابوا عن ذلك بوجوه کثیرة: اجودها و اصحها ان المعنی او یزیـدون فی-تقدیر «کم» بمعنی انهم اذا رآهم الرائی منکم قال هؤلاء مائة الف اویزیدون الی المائة الف، هذا هوالجواب عن کل مایشبه هذا.

ثـم ان یـونس علیه السلام مع کونه مرسلا الی تلك الکثرة من الامة کان علیه امام، لانه کان تابعاً لشریعة موسی علیه السلام کانبیاء بنی اسرائیل.

الدرجة الرابعة وهی الذی کان له مع تلك المراتب السابقة امامة الخلق و کونه صاحب شریعة و دین مستقل غیر تابع لدین نبی اخر کاولی العزم من الرسل و کانوا خمسة: نـوح و ابراهیم و موسی و عیسی و محمد صلی الله علیه واله خاتمهم و افضلهم علیه-واله وعلیهم الصلوة والسلام وعلی جمیع الانبیاء المرسلین ، وهـذه المراتب السنیة ربماکانت تحصل علی التراخی والتدریج.

وقدکان ابراهیم علیه السلام اولانبیا فی نفسه ولم یکن اماما حتی استعد لذلك بفضل قوة فی قلبه ورسوخ فی امره فقال الله عزوجل: انی جاعلك للناس اماما قال: ومن ذریتی قال: لاینال عهدی الظالمین (البقرة ـ ۱۲۴) ، و هـذه الایـة دلت علی عصمة الانبیاء و الائمة علیهم السلام عن الظلم و الفسق سیما عن الشرك الذی هواعظم مراتب الظلم کماقال الله تعالی: ان الشرك لظلم عظیم (لقمان ـ ۱۳).

وقوله علیه السلام: من عبد صنما او وثنالایکـون اماماً، اشارة الی ما احتجت به الشیعة فی هـذه الایـة علی نفی امامة احد من الصحابة غیرعلی علیه السلام، و ذلك بوجوه ثلاثة ذکره الفخر الرازی فی تفسیره لهذه الایة:

احدها ان ابابکر وعمر کاناکافرین، فیقال[1]: کانا حال کفرهما ظالمین، فوجب ان یصدق علیهما فی تلك الحالة انهما لاینالان الامامـة البتة و لافی شیء من الاوقات،

۱ـ فقد کانا «التفسیر الکبیر».

فثبت انهما لايصلحان للامامة.

الثانى ان من كان مذنبا فى الباطن كان من الظالمين، فاذن مالم يعرف انهما كانا من الظالمين المذنبين ظاهراً و باطناً وجب ان لايحكم بامامتهما ، و ذلك انما يثبت فى من[1] يثبت عصمته، ولما لم يكونا معصومين بالاتفاق وجب ان لايتحقق امامتهما البتة.

الثالث انهم كانوا[2] مشركين وكل مشرك ظالم و الظالم لاينال عهد الامامة، فوجب ان لاينالوا[3] عهد الامامة ، اما الاول فبالاتفاق واما الثانى فلقوله تعالى : ان الشرك لظلم عظيم واما الثالث فبهذه الاية.

لايقال انهما كانا ظالمين حال كفرهما فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم ، لانانقول: الظالم من وجد منه الظلم[4] اعم من ان وجد منه الظلم فى الماضى او فى الحال، بدليل ان هذا المفهوم يمكن تقسيمه الى هذين القسمين ومورد القسمة شامل للاقسام، والذى يدل عليه نظرا الى الدلائل الشرعية ان النائم يسمى مؤمنا والايمان هو التصديق والتصديق غيرحاصل حال كونه نائماً، فدل على انه يسمى مؤمنا لايمان كان حاصلا من قبل، وايضاً لو كان دوام حصول المشتق منه شرطا فى صدق المشتق لوجب ان لايكون المتكلم[5] و الماشى وامثالهما حقيقة فى شىء اصلا ، لان اجزاء التكلم و المشى لاتوجد معالكن اللازم باطل بالاتفاق وكذا الملزوم.

ثم اجاب عنهما بان كل ماذكرتموه معارض بما انه لوحلف احد ان لايسلم على كافر فسلم على مؤمن فى الحال وكان[6] كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لايحنث، فدل على ماقلناه ولان التائب من الكفر لايسمى كافرا و التائب من المعصية لايسمى عاصيا و

۱ـ حق من «التفسير الكبير».

۲ـ قالوا كانا «التفسير الكبير».

۳ـ ينالهما «التفسير الكبير».

۴ـ وقولنا وجد منه الظلم اعم «التفسير الكبير».

۵ـ شرطاً فى الاسم المشتق حقيقة، وجب ان لايكون اسم المتكلم «التفسير الكبير».

۶ـ الا انه «التفسير الكبير».

كذاالقول فی‌نظائره، ثم‌قال: على انا بينا ان‌المراد من الامامة فی‌هذه الاية النبوة، فمن كفر بالله طرفة عين فانه لايصلح للنبوة.

اقول: قد علمت ان الارض لايخلو عن حجة من‌الله عنده الحجج و البينات و العلوم اللدنية، وان المراد بالنبوة مايعم الرسالة و قد يكون بدونها، و ان الامامة قد يكون مع الرسالة و قدلايكون، فعليهذا ينفسخ كلاالجوابين منه.

اما الاول فبان نقول: هب ان الذى تاب من‌الكفر لم يطلق عليه اسم الكافر فی عرف الشريعة فهل يمكن ان ينال بمجرد ذلك منصب الامامة؟

واما الثانی فنقول: كماان الكفر بالله طرفة عين ينافی درجة النبوة كما اعترفتم، فالامامة التی عندناقد تجامع النبوة و الرسالة و قد تجامع الرسالة التی لاولی‌العزم هی تالية رتبة الرسالة التی اتی بها سيدالرسل صلی‌الله عليه واله ، كيف لاينافيه الكفر وان كان فی سابق الزمان؟

نعم! الخلاف بين الفريقين فی معنى الامامة و قدر رتبة[1] الامام، هل هی عبارة عما ذكرناه ام هی مجرد حكومة فی‌الظاهر و امارة الجيش فی‌الحروب وتعيين الولاة و القضاة فی‌البلاد و نحو ذلك؟ بشرط حسن الايالة[2] والعقل والعدالة ومعرفة الاحكام الشرعية وان كانت بالاستعانة الى من هواعلم واتقى واكرم عندالله، وانت ممن‌لايشتبه عليه الامر ان كنت ذا ادنى بصيرة مع الانصاف.

ثم قال: واحتج الجمهور على ان الفاسق لايصلح لان يعقد له الامامة بهذه الاية والاستدلال بهامن وجهين:

الاول مابيناه من‌ان قوله: لاينال عهدی‌الظالمين جواب‌لقوله‌تعالى: ومن ذريتی، وقوله: ومن ذريتی طلب للامامة، فوجب ان يكون المراد بهذا العهد هوالامامة ليكون الجواب‌مطابقاللسؤال، فتصيرالاية كأنه‌تعالى‌قال: لاينال‌الامامةالظالمين، و كل‌فاسق[3] فانه

۱ــ مرتبة ــ م.

۲ــ الايالة ــ ج ــ ايالات: السياسة، البلاد المحدودة تحت ولاية وال.

۳ــ عاص «التفسير الكبير».

ظالم لنفسه، فکانت الایة دلت علی ماقلناه.

فان قیل : ظاهر الایة یقتضی انتفاء کونهم ظالمین ظاهراو باطنا ولایصح ذلک فی‌الائمة والقضاة؟

قلنا: اما الشیعة فانهم یستدلون علی[1] صحة قولهم فی وجوب العصمة ظاهراو باطنا و اما نحن فنقول: مقتضی الایـة ذلک، الا انـا ترکنا اعتبار الباطن فتبقی العدالة الظاهرة معتبرة.

فان قیل: الیس یونس علیه‌السلام قال: سبحانک انی کنت من الظالمین (الانبیاء ـ ۸۷)، وقال ادم علیه‌السلام: ربنا ظلمنا انفسنا (الاعراف ۲۳)؟

قلنا: المذکور فی‌الایة هـوالظلم المطلق[2] وهذا غیرموجود فی ادم و یـونس علیهما‌السلام.

الوجه الثانی ان‌العهد کان قدیستعمل بمعنی الامر، قال‌الله تعالی: الم اعهدالیکم یا بنی‌ادم ان لاتعبدوا الشیطان (یس ـ ۶۱)،یعنی الم امرکم[3]؟ وقال: قالوا ان‌الله عهد الینا (ال عمران ۱۸۳)، بمعنی امرنا، ومنه عهود الخلفاء الی امرائهم وقضاتهم.

اذا ثبت ان عهدالله هوامره فنقول: لایخلو قوله تعالی: لاینال عهدی الظالمین، من ان یرید ان‌الظالمین غیرمأمورین، وان الظالمین لایجوز ان یکونوا بمحل من‌یقبل منهم اوامرالله ، ولما بطل الوجه الاول لاتفاق المسلمین علی ان اوامرالله تعالی لازمة للظالمین کلزومها لغیرهم ثبت الوجه الاخر و هـو انهم غیر مؤتمنین علی اوامرالله و غیرمعتدین[4] بهم فلایکونون ائمة.

۱ـ بهذه الایة علی صحة «التفسیر الکبیر»

۲ـ الظلم المطلق هو الظلم الحق لاالظلم الاضافی کما ان السواد المطلق هوالسواد الحق لاالسواد الاضافی والاسود الحق هو السواد المطلق و ظلمهما علیهماالسلام انما هو من قبیل حسنات الابرار سیئات المقربین و هـو لیس بظلم حقیقة، فافهم فانه مع وضوحه دقیق «نوری».

۳ـ آمرکم بهذا «التفسیر الکبیر».

۴ـ غیر مقتدی بهم فیها «التفسیر الکبیر».

فثبت بحسب دلالة الاية بطلان امامة الفاسق. قال صلی الله علیه واله: لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق، ولان الفاسق لایکون حاکما وان احکامه لاینفذ اذا ولی الحکم، و کذلك لایقبل شهادته ولاخبره اذا اخبر عن النبی صلی الله علیه واله ولافتیاه اذا افتی و لایقدم للصلوة وان کان بحیث لو اقتدی به لایفسد الصلوة.

قال ابوبکر الرازی: و من الناس من ظن ان مذهب ابی حنیفة انه یجوز کون الفاسق قاضیاً[1]، قال: وهذا خطاء ولم یفرق ابوحنیفة بین الخلیفة والحاکم فی ان شرط کل منهما العدالة.

فکیف یکون خلیفة و روایته غیر مقبولة و احکامه غیر نافذة؟ وکیف یجوز ان یدعی ذلك ابوحنیفة وقد اکرهه ابن هبیرة فی ایام بنی امیة علی القضاء وضربه فامتنع من[2] ذلك فحبس، فلح ابن هبیرة وجعل یضربه کل یوم اسواطا، فلما خیف علیه قال له الفقهاء: تقبل له شیئاً من عمله ای شیء کان حتی یزول عنك الضرب، فتولی له عد احمال اللبن[3] التی تدخل فخلاه، ثم دعاه المنصور الی مثل ذلك حتی عدله اللبن الذی کان یضرب لسور المدینة، وذلك انه کان یقول فی المنصور واشباحه: لو ارادوا بناء مسجد و ارادونی علی عد آجرة لما فعلت.

و قصته فی امر زید بن علی علیه السلام مشهورة و فی حمل المال الیه وفی فتیاه الناس سراً فی وجوب نصرته والقتال معه وکذلك امره مع محمد و ابراهیم ابنی عبدالله ابن الحسن علیه السلام.

ثم قال: وانما غلط فی هذه الروایة ان قول ابی حنیفة: ان القاضی اذا کان عدلا فی نفسه وتولی القضاء من امام جائر فان احکامه نافذة والصلوة خلفه جائزة، لان

۱ـ کون الفاسق اماماً وخلیفة ولایجوز کون الفاسق قاضیاً «التفسیر الکبیر»

۲ـ قال الغزالی فی الاحیاء: و روی انه دعی الی ولایة القضاء فقال: انا لا اصلح لهذا، فقیل له: لم؟ فقال: ان کنت صادقا فما اصلح لها وان کنت کاذبا فالکاذب لایصلح للقضاء

۳ـ التبن «التفسیر الکبیر».

القاضى اذا كان عـدلا فى نفسه ويمكنه تنفيذ الاحكام كانت احكامه نافـذة، والاعتبار فى ذلك بمن ولاه بمنزلة[1] سائر اعوانـه وليس من شرط اعوان القاضى ان يكونـوا عدولا.

الاترى اناهل بلد لاسلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضاء بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا اعوانا له على من امتنـع من قبول احكامه، لكان قضائه نافـذاً و ان لم يكن له ولاية من جهة امام ولاسلطان. انتهى ماذكره.

الحديث الثانى
و هوالثالث والثلاثون واربع مائة

«محمد بن الحسن، عمن ذكره، عن محمد بن خالد، عـن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: سمعت اباعبدالله عليه السلام يقول: ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبياً و ان الله اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا و ان الله اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا و ان الله اتخذه خليلا قبل ان يجعله اماماً فلماجمع له الاشياء قال: «انى جاعلك للناس اماماً، قال: فمن عظمها فى عين ابراهيم قـال: و من ذريتى ، قال لاينال عهدى الظالمين قال: لايكون السفيه امام التقى».

الشرح

قد علمت ان هذه درجات متفاضلة بعضها افضل من بعض وان الانسان لكونـه مخلوقا من طبيعة العنصر يترقى فى سفره المعنوى و سيره الاستكمالى الى الله تعالى من انقص المنازل الى اعلى المراتب والمقامات، والمسافر الى غايـة مالم يقطع ادنى المنازل من مستقره لم ينحط باقربها الى غايتها.

فكـذا الانسان الصاعد الى ربـه لابد ان يقطع له المرور بكل منزلة رفيعة بعد المرور بما هو ادنى منها ، فما لـم يصر عبداً صالحاً مطلقا لم يصر وليا من اولياء الله

---
۱ ــ ولاه، لان الذى ولاه بمنزلة «التفسير الكبير».

ومالم يصر وليا مطلقا لم يصر رسولا منه تعالى الى خلقه.

لان الرسول من يسع قلبه الجانبين ولايحجب بشهود الحق عن الخلق، فهو اكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه وعن مظاهر اسمائه وتجلياته، ثم مالم يصر رسولا لم يصر صاحب شريعة و دين كامل و عـزم و رياسة على كافة الخلق اجمعين و قمع اعـداء الله الكافرين و الظالمين ، و انما وقع كلامه فى ابـراهيم عليه السلام لكونـه مستجمعا لهذه المقامات كلها وكان غرضه ايضاً ان منصب الامامـة اجل المناصب و المقامات.

فذكر ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه السلام نال رتبة الامامـة للناس فى اخر مقاماته فاتخـذه الله تعالى اولا عبداً لقوله: و اذكر عبادنا ابراهيم و اسحق و يعقوب (ص ـ ۴۵)، ثم نبياً لقوله: انـه كان صديقاً نبيا (مريم ـ ۴۱)، ثـم رسولا لقوله: ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين اذقال لابيه وقومه (الانبياء ـ ۵۱)، الاية...، ثم خليلا لقوله: و اتخذالله ابراهيم خليلا (النساء ـ ۱۲۵)، ثم جعله اماما بعد ان جمع له هذه الأشياء يعنى مقام العبودية و الطاعة ومقام النبوة والولاية ومقام الرسالة والدعوة ومقام الخلة والمحبة قال: انى جاعلك للناس اماما (البقرة ـ ۱۲۴)، فدل على ان مقام الامامة اعلى المقامات و اعظمها.

ثـم قال الصادق عليه السلام: فمن عظمها فى عين ابراهيم طلبها لذريته و عقبه حيث قال : و من ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين (البقرة ۱۲۴)، اى لايكفى لارث الامامة مجرد النسب و النبوة بل لابد فيه التبرى عن الظلم والفسق.

قال الصادق عليه السلام: لايكون السفيه امام التقى، فان كل فاسق سفيه، اذ من ظلم على نفسه باتلاف ماله الذى يعيش به فى الدنيا يعد سفيهاً، فمن ظلم على نفسه فى خسرانه لما يعيش به فى الاخرة اولى بان يعد سفيها، فالفاسق لايصلح للامامة بهذه الاية، و لان الامام من وجبت طاعته على الامة والاقتداء به، فلـو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به و ذلك يؤدى الى كون الفعل الواحـد ممنوعاً منه ومندوبا اليه وهـو محال، فدلت الاية على وجوب العصمة فى الامام وعلى ابطال امامة غير المعصوم كما

سبق شرحه.

الحديث الثالث
و هوالرابع والثلاثون واربع مائة

«عدة من اصحابنا ، عن احمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخثعمى، عن هشام، عن ابن ابى يعفور قال : سمعت ابـا عبدالله عليه السلام يقول: سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم اولـوا العزم من الرسل و عليهم دارت الرحى: نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه و اله وعلى جميع الانبياء».

الشرح

السادة جمع السيد من ساد قومه يسودهم سيادة وسودداً وسيدودة فهو سيد، وهم سادة، وتقدير سيد فعيل لانه يجمع على سيائد بالهمزة كتبيع وتبائع وقيل تقديره فيعل وسوده قومه.

والعزم هو الارادة الجازمة من القاصد لفعل التى لايتخلف عنها الفعل الالمانع[1]، و اولـوا العزم من الرسل[2] سموا بذلك لما فيهم من العزم التام على دعـوة الخلق الى طريق الحق والمجاهدة مع اعداء الله و ثبات القدم فى الحروب و الصبر على الشدائد والمكاره و احتمال الاذى من القوم.

۱ـ اى لوجود مانع فى المقابل، فافهم «نورى».

۲ـ قال المؤيد الدين الجندى فى شرحه للفصوص: اولوا العزم هم الذين امروا ان يبلغوا الى الامم رسالة الله، فان لـم يجيبوا بالمعجزة قاتلوهم، وصنف ماعليهم الا البلاغ فان امنوا امنوا من العذاب . انتهى.

قال الصدر الدين القونوى فى الفكوك فى النص الهارونى: كل رسول بعث بالسيف فهو خليفة من خلفاء الحق وانه من اولى العزم، فان كثيراً من الناس لم يعرفوا معنى اولى العزم وهم الذين يبلغون رسالات ربهم ويلزمون من ارسلوا اليهم بالايمان، فان ابوا قاتلوهم بخلاف الرسول. انتهى.

قال تعالى لحبيبه: فاصبر كماصبر اولوا العزم من الرسل ولاتستعجل لهم (الاحقاف ـ ۳۵)، اى اصبر كماصبروا على اذى قومهم وعلى الشدائد، فان نوح عليه السلام صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وابراهيم على النار و ذبح الولد، وموسى قال له قومه: انالمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين (الشعراء ـ ۶۱ و ۶۲)، وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال: انها معبرة فاعبروها ولاتعمروها، و قال فى حق ادم: ولم نجدله عزما (طه ـ ۱۱۵)، وفى يونس: ولاتكن كصاحب الحوت (القلم ـ ۴۸).

قيل: ان النبى صلى الله عليه واله ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل العذاب بمن ابى من قومه، فامر بالصبر و ترك الاستعجال لهم بالعذاب.

وقوله عليه السلام: و عليهم دارت الرحى، اى رحى الرسالة استعارة بالكناية تشبيها لهم فى امر الرساله بقطب الرحى الذى دارت عليه اجزاء الرحى ، فكان هؤلاءهم الاصل القائم بالرسالة وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام يتبعهم ويقوم بهم و يدور حولهم ويقتدى بهداهم، سواء سبقوا بالزمان[1] ام لا.

فعلى هذا كان خاتم الرسل صلى الله عليه و آله لكونه افضل الكل وسيد السادات و قطب الاقطاب وخاتمة الكتاب يدور عليه الكل سابقاً ولاحقافهو كواسطة القلادة، و كل ولى من الاولياء بعده بحذاء نبى من الانبياء قبله، ولهذا كان اميرالمؤمنين عليه السلام و هو اقرب الاولياء منه شبيهاً بعيسى عليه السلام وهو اقرب الانبياء اليه، ومن جملة المضاهاة بينهما انه اتخذكل منهما لجماعة بالربوبية ذاك للنصارى وهذا للغلاة.

الحديث الرابع
و هوالخامس والثلاثون واربع مائة

«على بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن اسحاق بن-

---

۱ـ فالترتب والتقدم و التأخر انما هوبحسب الباطن وكون الشخص قطباً فيه هو المعنى المقصود من الامامة التى هى فوق الخلة، والمقدم فى الامامة هوالولى القيم للمتأخر المقوم له والمتأخر متقوم به تابع له كتبعية الفعل للفاعل والظل لذت الظل، فافهم «نورى».

عبدالعزيز ابى السفاتج» بالتاءالمنقطة فوقها نفطتين بعدالالف والجيم بعدها، روى عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال ابن الغضائرى: يعرف حديثه تارة و ينكره اخرى و يجوز ان يخرج شاهداً «صه»، «عن جابر، عن ابى عبدالله عليه‌السلام قال سمعته يقول: ان‌الله اتخذ ابراهيم عليه‌السلام عبداً قبل ان يتخذه نبياً و اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا و اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا و اتخذه خليلا قبل ان يتخذه اماماً فلما جمع له هذه الاشياء و قبض يده قال له: يا ابراهيم انى جاعلك للناس اماماً، فمن عظمها فى‌عين ابراهيم عليه‌السلام قال: يارب ومن ذريتى، قال: لاينال عهدى الظالمين».

الشرح

قدمضى شرحه، قوله‌عليه‌السلام: قبض يده، فيه‌اضمار اى قبض‌ابراهيم‌عليه‌السلام هذه‌الاشياء بيده او قبض المجموع فى‌يده، ومما يجب ان يعلم ان احد اوان كان مالم يصر نبيا لم يصر رسولا لكن ليس يجب منه ان يكون كل رسول افضل من كل نبى، بل رب نبى لم يكن رسولا هوافضل واقرب من كثير من‌المرسلين، الاترى ان خضر عليه‌السلام كان نبيا غيررسول وقدتعلم‌منه‌موسى عليه‌السلام وكان من‌اعاظم‌الرسل ومن اولى‌العزم‌منهم؟ بل‌جهةالنبوة فى‌الرسول‌افضل‌من‌جهة رسالته، لان‌الاولى‌من كمال‌العقل النظرى والثانية كمال‌العقل العملى ولان الرسالة منقطعة و النبوة وهى الولاية والقرب من‌الله باقية الى‌يوم القيامة.

باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث

وهو الباب الثالث من‌كتاب الحجة وفيه اربعة احاديث :

الحديث الاول

و هوالسادس و الثلاثون واربع مائة

«عدة من‌اصحابنا، عن‌احمد بن‌محمد، عن احمد بن‌محمد بن‌ابى‌نصر، عن‌ثعلبة

بن میمون عن زرارة قال: سألت اباجعفر علیه‌السلام عن‌قول‌الله عزوجل: و کان رسولا نبیاً، ماالرسول و ماالنبی؟ قال: النبی الـذی یری فی منامه و یسمع الصوت ولایعاین الملك و الرسول الذی یسمع الصوت ویری فی‌المنام و یعاین الملك. قلت: الامام ما منزلته؟ قال: یسمع‌الصوت ولایری ولایعاین الملك، ثـم تلاهذه الایة : ومارسلنا من قبلك من رسول ولانبی (الحج ـ ۵۲) ولامحدث».

الشرح

اعلم ان الدنیا عالم الشهادة والملك والاخرة عالم الغیب والملکوت والانسان مرکب من‌جزئین: احدهما من هذاالعالم وهوبدنه العنصری‌المستحیل الکائن الفاسد، وکذلك حال الدنیا وکل مافیها فانها مستحیلة کائنة فاسده کل حین. و ثانیهما من عالم الاخرة وهو روحه الثابت الباقی وکذلك‌کل مافیها باقی دائم لایزول ابـداً، وللاخرة درجـات‌کثیرة متفاضلة لقولـه تعالـی : وللاخـرة اکبر درجـات و اکبر تفضیلا (الاسراء ـ ۲۱).

و اول درجات الاخرة حالة المنام ثم حالة الموت وتمامه بالبعث، فالنوم بعض حرکة الرجوع الی الاخرة، والنبی بما هـونبی کالمبعوث یوم‌القیامة فیری من‌الصور والحقائق والاحوال مالایراه الناس کما قال‌النبی صلی‌الله علیه‌واله: انی اری مالاترون، فیعبر عمایراه ویسمعه فی‌ذلك‌العالم‌فیحکیه لاهل هذه العالم‌الذین هم بالحقیقة‌کالنائمین لقوله (ص): الناس نیام، بکسوة الالفاظ وضرب الامثال‌کمال قال تعالی: وتلك‌الامثال نضربها للناس ومایعقلها الاالعالمون (العنکبوت ـ ۴۳).

وان‌اردت توضیح ذلك و بیان معنی النبوة والرسالة والتحدیث‌فاعلم اولا:

ان سبب‌الرؤیا انعکاس‌الروح‌الحیوانی‌الذی‌هومستوی‌الروح‌العلوی من‌الظاهر الی‌الباطن، وهذه‌الروح‌عبارة عن‌جرم‌لطیف متکون من‌بخارالاخلاط فی‌تجویف‌القلب ومرکبه‌الدم‌الصافی‌وهومرکب‌للقوی‌النفسانیة والحیوانیة وبهاینتشرالحیوة فی‌کل‌البدن ویتصل القوی‌المدرکة والمحرکة‌الی آلاتها واعضاءالحس‌والحرکة، ولذلك اذاوقعت

سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة، وكذلك اذا سديد الانسان سداً محكماً احس بخدر فى رأس اليد فيبطل فى الحال حسه الى ان يخلى فيعود بعد زمان.

وهذا الروح بواسطة عروق الضوارب ينتشر الى ظاهر البدن وقد يحبس فى الباطن باسباب مثل طلب الاستراحة عن كثرة الحركة و لهذا يغلب النوم عند امتلاء المعدة ومثل ان يكون الروح قليلا ناقصا فلايفى بالظاهر والباطن جميعا، ولنقصانه و زيادته اسباب طبية، والاعياء معناه نقصان الروح بالتحليل بسبب الحركة ومثل الرطوبة والبلة[1] التى تمكنت فيه بسبب انحباس الروح الحاملة لقوة الحس عنها والثقل[2] الذى يغلب عليه فيمنعه عن سرعة الحركة كما يغلب فى الحمام وبعد الخروج منه وبعد تناول الشراب المرطب للدماغ.

فاذا ركدت الحواس بسبب هذه الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لاتزال مشغولة بالتفكر فيما يورده الحواس عليها، فاذا وجدت فرصة الفراغ و ارتفعت عنها الموانع استعدت للاتصال بالجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها جميع نقوش الموجودات كلها المعبربها فى لسان الشرع باللوح المحفوظ، اعنى[3] صور مافى تلك الجواهر العقلية من الاشياء لاسيما مايناسب اغراض النفس ويكون مهمالها.

فيكون انطباع تلك الصورة فى النفس منها[4] عند الاتصال كانطباع صورة مراة فى مراة اخرى تقابلها عند ارتفاع الحجاب بينهما، فكل مايكون فى احدى المراتين يظهر فى الاخرى بقدرها.

فان كانت تلك الصورة جزئية وقعت من النفس فى قوة الخيال و حفظها الحافظة

۱ــ الندوة ــ الماء.

۲ــ والعقل ــ م.

۳ــ و انطبعت فيها النقوش اعنى ــ م.

۴ــ منها فى الفس ــ م .

على وجهها و لـم يتصرف فيها القوة المتخيلة المحاكية للاشياء بتمثلها فيصدق هـذه الرؤيا ولايحتاج الى التعبير.

و ان كانت المتخيلة غالبة او ادراك النفس للصـورة ضعيفا صـارت المتخيلة بطبعها الى تبديل مارأته النفس بمثال كتبديل الـرجل بشجرة و تبديل العدو بحية و تبديله بمايشبهه او يناسبه مناسبة ما.

وقد يكون بمضادة كمن رأى انه ولدله ابن فتولدت لـه بنت و بالعكس فهذه الرؤيا يحتاج الى التعبير، وربما لم يكن انتقالات الخيالات مضبوطة بنوع مخصوص فانشعب وجوه التعبير و صار مختلفا بالاشخاص والاحوال والصناعات و فصول السنة و صحة النائم و مرضه، وصاحب التعبير لاينال الا بضرب من الحـدس ويغلط فيه و يغلب فيه الالتباس.

واما اضغاث الاحلام فهي المنامات التي لااصل لها منشأها حركة القوة المتخيلة واضطرابها فانها في اكثر الاحوال لايفتر عن المحاكاة والانتقالات ولايفتر ايضاً في حال النوم و في اكثر الاحوال، فمهما كانت النفس ضعيفة و تبقى مشغولـة بمحاكاتها كما تبقى في اليقظة مشغولة بالحواس ولاتستعد للاتصال بالجـواهر الروحانية، و المتخيلة باضطرابها اذا كانت قوية بسبب من الاسباب، لاتزال تحاكي و تخترع صـوراً[1] لا- وجود لها وتبقى في الحافظة الى ان يستيقظ فيذكر مارآه في المنام، فيكون لمحاكاتها ايضاً اسباب من احوال البدن ومزاجه.

فان كان غلب على مزاجه الصفراء حاكاها بالاشياء الصفر وان كان فيه الحرارة

۱ـ لايذهب عليك ان المراد باختراع المتخيلة ليس مايترااى من ظاهر هذا البيان بانه لم يكن مسبوقاً بقضاء و قدر منه تعالى، فان حدوث كل حادث في عالمنا هذا انما هو بقضاء منهسبحانه وقدر، بل المراد انه ليس له مطابق في المادة العنصرية الخارجية في احـد من الازمنة وان كان مسبوقا بوجوده في المبادى العالية المرتبة في المراتب الاربـع: مرتبة الاسماء ومرتبة القلم الاعلى و مرتبة اللوح المحفوظ ومرتبة لوح القدر. فافهم هذا و اعلم: ان المراد من عدم اتصال النفس حينئذ بالمبادى العقلية هو عدم استفاضتها منها بلاواسطة، كمايكون الحال عنداشتغال النفس بمايورده الحواس. فتفطن كل ذلك فانه عميق «نورى».

حاكاها بالنار والحمام الحاروان غلب عليه الرطوبة حاكاها بالثلج والشتاء وان غلب السوداء حاكاها بالاشياء السود و الامور الهائلة، و انما حصلت صورة النار مثلا فى التخيل عندغلبة الحرارة، لان الحرارة التى فى موضع، تتعدى الى المجاورلها، كمايتعدى نورالشمس الى الاجسام، بمعنى انه يكون سبباً لحدوثه، اذخلقت الاشياء موجودة وجودا فائضا بامثاله على غيره، والقوة المتخيلة منطبعة او متعلقة فى الجسم الحار فيتأثر به تأثيراً يليق بطبعها و عالمها ، فهى ليست بجسم حتى تقبل نفس الحرارة فتقبل من الحرارة مافى طبعها للقبول لها وهو قبول صورتها ومثالها.

وهكذا يكون تأثر النفس عن البدن والبدن عن النفس، فان كلا منهما يتأثر عن صاحبه بنحو من الوجود يناسبه ، الاترى انه اذا غلب على النفس الغضب وهو هيئة نفسانية يتأثر منها البدن باحمرار وتسخن وهيئات بدنية؟ وهكذا افاعيل البدن واوصافه يؤثر فى النفس هيئات نفسانية تناسبها.

واما سبب معرفة الغيب و رؤية مالاوجود له فى الخارج فى اليقظة فهو ماأقول: من ان سبب الحاجة الى النوم و وقوعه ممايكون غالباً من ضعف النفس و كون الحواس شاغلة لها حتى اذا ركدت الحواس اتصلت بالجواهر العقلية و استعدت بالقبول منها، ويمكن ان يكون ذلك لبعض النفوس فى اليقظة من وجهين.

احدهما ان تقوى النفس قوة لايشغلها بالحواس بحيث يستغرقها و يمنعها، بل تسع قوتها بضبط الجانبين والنظر الى الجهتين : جهة العلو وجهة السفل جميعاً فلا يشغلها شأن عن شأن كما تقوى بعض النفوس فيجمع فى حالة واحدة بين ان يكتب و يتكلم ويسمع ويرى، فمثل هذه النفوس يجوز ان يفتر عنها فى بعض الاحوال شغل الحواس ويطلع على عالم الغيب فيظهر لها منه بعض الامور و هذا نوع من النبوة، ثم ان ضعفت المتخيلة و قوى عين الحس الباطن بقى ماانكشف له من الغيب فى حفظه وكان وحيا صريحاً، وان قويت المتخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة فيكون هذاالوحى

مفتقر الى التأويل[1] كما يفتقر الرؤيا الى التعبير.

السبب الثانـى ان يغلب على المزاج اليبوسة و الحـرارة حتي يصرفـه لغلبة السوداء عن موارد الحواس، فيكون مع فتح العين كالمبهوت الغافل الغائب عن مايرى ويسمع، و ذلك لضعف خروج الروح الى الظاهر، فهذا ايضاً لايستحيل ان ينكشف لنفسه شيء من الغيب ممايناسبه فيحدث به ويجرى على لسانه فكأنه ايضاً غافل عما يحدث به، وهذا يوجد في المجانين والمصروعين و بعض الكهنة من الهند والعرب فيحدثون بمايكون موافقا لما سيكون، وهذا نوع نقصان والذى يـراه من الغيب[2] الجزئي الذى في بعض البرازخ السفلية، و السبب الاول نوع كمال والذى يراه ربما كان من صـور الملكوت الاعلى.

واما السبب في رؤية الانسان في اليقظة امـوراً لا وجود لها حقيقة فهو بان تعلم اولا ان الابصار وكذا كل احساس وادراك في الحقيقة ليس عبارة عن شهود نفس صورة التي في المادة الخارجية، فان تلك الصورة ليست محسوسة ولاحاصلة للنفس الدراكة، بل المحسوس بالذات هي الصور التي تراها النفس بعين الحس المشترك، و اما التي في الخارج فهي سبب لظهوره صـورة يماثلها للحس المشترك، فالمحسوس بالحقيقة هو ذلك المتمثل المتصور والخارج يسمى محسوساً بمعنى الاخر، ثم لافرق في وقوع الصورة المتمثلة بين يدى الحس المشترك بين ان يقع من جهة الخارج و يرتقى اليه باستعمال الات الحواس لادرك الخارجات وبين ان يقـع من جهة الباطن و ينزل اليه باستعمال المتخيلة لاستحضار مافي الخزانة من المدركات العقلية اوغيرها، بل كلما وقع عند الحس المشترك يكون مشاهدا.

۱ــ الرؤية التي يحوج الى التأويل هو المتشابه، فالقسم الاول محكم والثانى متشابه، و على السر المتشابه تصرف المتخيلة وتبديلها، فتدبر فيه «نورى».

۲ــ و السرفيه عدم كـون المكاشف ذافضيلة علمية و حكمة بالغة وسيرة عادلة، لعدم كونه مقيداً بالدين القويم و سالكا للصراط المستقيم فيصير من جنس الشيطان الـرجيم و متعلماً منه و محلا لتصرفه وعكسه على العكس كما لايخفى «نورى».

اذا تقرر هذا فنقول: ان النفس قد يدرك ادراكا من الغيب فيبقى عين ما ادركته في الحفظ وقد يقبله قبولا ضعيفاً يستولى عليه المتخيلة فيحاكيه بصورة محسوسة، فاذا قويت تلك الصورة فى المتخيلة استثبته عين الحس المشترك و تمثلت عنده فرائتها النفس بعين الحس مشاهدة وان كانت الاجفان مغمضة و كان فى ظلمة شديدة ايضاً.

والذى يتخيله الانسان فى اليقظة انما لايرى بعين الحس المشترك حتى يصير مبصراً، لان الحس المشترك مشغول بمايؤدى اليه الحواس الظاهرة و هو اغلب، ولان العقل يكسر من المتخيلة اختراعها ويكذبها ولاتقوى تصورها فى اليقظة، فمهما ضعف العقل عن الرد والتكذيب بسبب مرض من الامراض اوخوف شديد لم يمنع ان ينطبع فى الحس المشترك كماعليه الجمهور اويحضره عنده كما نحن عليه، فيرى المريض صوراً لاوجود لها.

وكذا اذا غلب الخوف واشتد الوهم وضعف العقل المكذب تمثل صورة المخوف للحس حتى يشاهدها ويبصرما[1] يخافه، ولهذا قديرى الجبان الخائف صوراً هائلة لاوجود لها والغول الذى يبصر فى الصحارى ويسمع كلامه هذا سببه، وقد يشتد شهوة هذا العليل لضعف ما، فيشاهد مايشتهيه و يمديده اليه ويرجع كأنه يأكل ويرى اشخاصاً و اشياء لاوجود لها.

فاذا تمهدت هذه المعلومات فنقول: اصول المعجزات والكرامات ثلاثة امور: لان الانسان الكامل ذواجزاء ثلاثة : طبيعة و نفس و عقل و يقال له الروح ايضاً، وكل منها من عالم اخر و لكل منها كمال و نقص، و قل من الانسان ما يكون كاملا فى الجميع.

فكمال الروح وهو العقل النظرى بالعلم بالحقائق والامور الالهية.

وكمال النفس وهى القوة الخيالية باستثبات الصور الجزئية.

وكمال الطبيعة هو التصرف فى المواد بالاحاطة والقلب والتحريك.

والنبى هو الشخص الكامل فى الجزء النظرى من جهة الالهام من الله، فاذا حصلت

۱ــ ويبصرها مايخافه ــ م.

لـه الرسالة ايضاً فقد كمل فی القوة النفسانية ايضاً، و اذا كان صاحب شريعة وعزم فقد صار جامعاً للكمالات كلها فكأنه رب انسانی تجب طاعته بعد طاعة[1] الله، ففی الانسان الكامل الجامع للكمالات الانسية ثلاث معجزات:

الاولی: خاصية فی قـوة النفس العملية وهی ان يـؤثر فی هيولی العالم بازالة صورة و ايجاد صـورة، و بان يؤثر فی استحالة الهواء الی الغيم و يحدث مطراً مثل الطوفان اوبقدر حاجة الاستسقاء، او بان يؤثر فی استحالة النار برداً وسلاماً اومايجری مجری هذين الامرين وهذا امر ممكن.

اذ قد ثبت فی العلوم الالهية ان المواد خاضعة للنفوس ، والطبائـع متأثرة بها، وان هـذه الصور المتعاقبة علی الهيولی من اثار النفوس الكلية الفلكية و ان النفوس الانسانی من جـوهر تلك النفوس[2] و شديدة الشبه بها، لان نسبتها اليها نسبة السراج الـی الشمس ، و ذلك لايمنع فی كـون السراج مؤثـراً فی التسخين و الاضائـة كالشمس.

وكذلك نفس الانسان تؤثر فی هيولی العالم ولكن الغالب ان لايتعدی تأثيرها عن عالمه الخاص وهو بدنه فيقتصر تأثيرها عليه، ولذلك اذا حصلت فی النفس صورة مكروهة استحال مزاج البدن وحدثت رطوبة العرق، و اذا حصلت فيها صـورة الغلبة بالغضب حمی مزاج البدن و احمر الوجـه، و اذا وقعت فيها صـورة مشتهاة حصلت فی اوعية المنی حرارة مسخنة منفخة حتی يمتلی به عروق آلة الوقاع، فهذه الحرارة و الرطوبة والبرودة حصلت فی البدن عن مجرد التصور و التوهم.

وقد يتعدی اثر بعض النفوس الی بدن اخر، و ذلك لقوة فيها وان كانت خبيثة حتی يفسد الروح بالتوهم وتقتل الانسان و يعبر عن ذلك باصابة العين ، و لـذلك قال

۱ــ الطاعة طاعتان: تشريعية وتكوينية، والتشريعية يجب وجوباً بالنسبة الی صاحب الشريعة، والتكوينية يجب وجـوباً بالنسبة الی صاحب الامامة التی هـی فوق الخلة كما مضی «نوری».

۲ــ الولد سرابيه «نوری».

(ص): العين حق[1]. و قال: العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر، و اذا كان هـذا ممكن سيما فى النفوس الخبيثة فلم لايكون لبعض النفوس العالية الشريفة تأثير اقوى واكثر من هذا على الندور؟ و مثل ذلك يعبر عنه بالمعجزة والكرامة

الثانية ما بحسب القوة الخيالية و هـو: ان تقوى النفس الخيالية للانسان قوة تتصل فى اليقظة عالم الغيب الصورى، فان كان ذا فضيلة علمية يرى معلوماته فى كسوة الفاظ مسموعة او مكتوبة ويرى مبدأها الملقى اياها له اعنى الملك فى صـورة شخص انسانى، فربما كانت الصورة المحاكية للجوهر الشريف العقلى الالهى فى غاية الحسن والبهاء على اكمل هيئة واجملها فيناجيه بالغيب، او يرتسم صورة الامر الغيبى مشاهدة او يسطر على سبيل كتابة او على طريق نداء هاتف غيبى يسمع ندائه ولايعاين شخصه او على سبيل غلبة ظن بالامر الغيبى فيطلع.

فما بقى من الكلام محفوظا فان كان فى النوم فهو رؤيا صادقـة غيرمحتاج الى التعبير كمامر، وان كان فى اليقظة فهو وحى صريح غيرمحتاج الى التأويل ومابطل هو، وبقيت محاكياته فهو وحى محتاج الى تأويل اوحلم مفتقر الى تعبير، و اما اذا قويت القوة الخيالية و لـم يكن الشخص ذا فضيلة علمية او سيرة عادلـة فربمايرى ما يلقى الشيطان فتنة له و لغيره فى اليقظة او فى النوم، وهذا حال اكثر الكهنة والموسوسين و ضرب من المتصوفة واهل الخلوة من البطالين.

الثالثة وهى اعلى الخواص النبوية و اشرفها، وهو كمال القوة النظرية و العقل النظرى بان يصفو الجوهر العقلى صفاء يكـون شديد الاتصال بالعقل الفعال المسمى بالقلم الاعلى والمعلم الشديد القوى وهو المفيض للعلوم باذن الله على الواح النفوس العقلية فيستفيض منه العلوم والمعارف بلاواسطة معلم بشرى فى زمان يسير، وهذا ممكن ايضاً، فان النفوس البشرية منقسمة الى مايحتاج الى التعلم والى المستغنى عنه:

والمحتاج الى التعلم له مراتب متفاوتة: فمهنم قد لايؤثر فيه التعليم وان طال طلبه

۱ــ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك... (القلم ــ ۵۱) الاية، ولكن ليس لهم سلطان علــى الذين امنوا، فافهم «نورى».

وكثر جده و تعبه ومنهم من يتعلم على قرب، وكم من شخص يستنبط الشيء من نفسه من غير تعليم؟ بل العلوم كلها اذا تأملت فيها فهى من مستنبط النفوس، فان كل معلم لو تعلم من غيره لذهب الامر الى مالانهاية و هـو محال، بل يرتقى الـى من عرف من نفسه بحدس او فكر بان يحظر بباله النتيجة فيتنبه للحد الاوسط كأنه القى فى نفسه من حيث لايدرى او يتنبه للحد الاوسط فيختر النتيجة.

ويتفاضل النفوس فى قوة الحدس و شدة الذكاء و سرعة الفهم الى حد و تبلغ الى حد[1] ينتقل ذهنه من معلوم الى معلوم وهكذا الى اخر المعلومات فى زمان قصير من غير تعلم بشرى، فيقال له انه نبى او ولى، وان ذلك معجزة او كرامة و هو افضل اجزاء النبوة والرسالة وهذا ممكن ليس بمحال، لانه اذا جاز ان ينزل القصور الى حـد من البلادة يمنع عن الفهم من المتعلم يجوز ان يترقى الكمال الى حـد يغنى عن التعلم ، كيف لايمكن هذا و نحن رأينا كم من متعلمين مـدة واحدة سبق احدهما الى الاخر بحقائق العلوم التى خرجت عن حد اكثر الافهام؟ مع ان اجتهاد الاخر اشد وسعيه اكثر، ولكن لشدة الحدس وقوة الذكاء فيه والزيادة على هذا كماً وكيفا من الممكنات.

فهذه الاحـوال الثلاثة من المعجزات و الكرامات التى توجـد لطبقات الانبياء عليهم السلام، وقد يوجد بعضها لغير النبى و قد لايوجد بعضها للنبى، الا ان النبى بما هو نبى او ولى لاينفك عن الخاصية الاخيرة اعنى العلم بالله و آياته و كلماته و باليوم الاخر بطريق الالهام من الله بتوسط الملك، وهذا بالحقيقة تكليم من قبل الله له بالعلوم والايات واستماع له منه اياها وان لم ير المتكلم معاينة.

وهذا معنى ما روى عنه (ص) انه قال: ان فى امتى مكلمين محدثين، لكن هذا التكلم و التحديث علـى ضربين: ضرب لايتعدى من نشأة العلم و العقل ولاينزل الى معدن التخيل والتمثل الحسى وهو الاكثر، وضرب يكـون معه سماع حسى باطنى او فى الخارج بان يتعدى صورة الكلام من الحس المشترك الى الصماخ ثم الى الهواء الراكد فيه فيزعم انه سمع من الخارج.

١ــ وسرعة الانتقال الى حد ــ م.

ولنرجع الى المتن فقوله عليه‌السلام: النبى الذى يرى فى المنام ويسمع الصوت ولايعاين الملك، اراد بالرؤية الرؤية العقلية العلمية وبالسماع ايضاً السمع العقلى وبالمنام النشأة الباطنة وبالصوت الكلام العقلى، و ذلك لاجل التفهيم والتعليم، فان اكثر الناس يعجزون عن ادراك الامور العقلية الا بصفة الامور الحسية، ويحتمل ان يكون مراده ماهو الظاهر من كلامه، فيكون النبى يرى فى منامه صورة ماالهمه الله تعالى من العلوم و المعانى فى كسوة الالفاظ والاصوات والحروف ويسمعها، فحينئذ لايكون هذه الخاصية من الخواص الشاملة للجميع، وقوله: لايعاين الملك، اى فى اليقظة.

وقوله: والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك، اى فى اليقظة و اذا عاين الملك فى اليقظة فكان سماع الصوت والكلام منه ايضاً فى اليقظة، و وقوع ذلك ليس من جهة اسباب خارجية طبيعية بل هو بروز من مكامن الغيب الى عالم الشهادة، فان الذى يرى بعين الخيال اذا قوى واشتد تمثله انفعل منه الحس الظاهر وتعدى الى الخارج من غير ان يكون فى مادة طبيعية، وكذا مايسمع بسمع الباطن اذا قوى ينفعل منه الاذن ويتعدى صورته الى الكلام الظاهر كمامر.

و هيهنا مرتبة اخرى وهى ان يسمع الكلام فى اليقظة ولايعاين المتكلم، وهذه كلها منشائها قوة التخيل والحس الباطن وهى من خواص الرسل عليهم‌السلام بشرط ان يكون من قبل الله ويكون وحيا بالعلوم الحقة وبما فيه مصالح العباد فى المعاش و المعاد، والا فالكهنة والرهابين وبعض كفرة الهند قد تلقى اليهم بالمغيبات ويسمعون الكلام يوحى اليهم الشياطين زخرف القول غرورا.

وقوله عليه‌السلام فى باب الامام: يسمع الصوت ولايرى ولايعاين الملك، اراد بسماع الصوت قبول الالهامات والتعليمات من الله بسمع عقلى من غير رؤية شىء فى المنام و لامعاينة ملك فى اليقظة، وليس كلام الله وحديثه بالحقيقة الااعلام الحقائق و الهام الحق والصدق لتنزهه عن الالفاظ المسموعة والاصوات المحسوسة، ثم تلى الاية وكان فى مصحفهم عليهم‌السلام هكذا بزيادة «ولامحدث».

الحديث الثانى
و هوالسابع والثلاثون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن ابيه، عن‌اسماعيل بن‌مرار قال: كتب الحسن بن‌العباس المعروفى»، مجهول. «الى الرضا عليه‌السلام: جعلت‌فداك اخبرنى ماالفرق بين‌الرسول والنبى والامام؟ قال: فكتب اوقال: الفرق بين‌الرسول والنبى والامام ان الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه‌الوحى وربما رأى فى‌منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه‌السلام والنبى ربما يسمع[1] الكلام و ربما رأى‌الشخص ولم يسمع‌والامام هوالذى سمع الكلام ولايرى الشخص».

الشرح

قوله: الرسول الـذى ينزل عليه جبرئيل، وهوالمسمى بروح القدس و المعلم شديد القوى والمؤيد بالقاء الوحى الى الانبياء والهام الحق للاولياء والرؤيا الصادقة للاتقياء، و هـوالروح الامين والرسول الكريم المعدود خصاله العميم نواله فى قوله تعالى: انه‌لقول رسول كريم ذى‌قوة‌عند ذى‌العرش مكين‌مطاع ثم‌امين (التكوير ـ ۱۹ و ۲۱)، وهوجبرئيل على لغة السريانيين معناه عبدالله.

لان ايل اوال بلغتهم الالـه وهـوجوهر روحانى عقلى كما دل عليه بعض هـذه النعوت ككونه عندذى‌العرش مكين، فان ذى‌العرش هوالبارى‌جل ذكره وهومنزه عن المكان والجسمية فكذا من‌عنده، وككونه مطاعاً فى‌عالم الملكوت.

وايضاً البرهان قائم على ان معلم العلوم و هى صورة العقلية لابد ان يكون عقلا بالفعل لكونه مخرج النفوس من‌القوة الى الفعل فى‌باب العقل والمعقول، ومفيدالعقل اولى بان يكول عقلا بالفعل ومعقولا و عاقلا بالفعل، ومعنى نزولـه على‌الرسول تمثله بصورة البشر كما فـى قولـه تعالى: فتمثل لها بشرا سويا (مريم ـ ۱۷)، اى فى‌اكمل

۱ـ سمع (الكافى).

صورة واجملها وكذامعنى نزول الوحى عليه كما فى قوله عليه السلام: وينزل عليه الوحى، بمثل العلوم الملقاة عليه بصورة الحروف والالفاظ المسموعة وهى كلام الله.

واعلم ان كثيراً من اهل العلوم و المنتسبين الى الحكمة من الحكماء الاسلاميين زعموا ان هذه الصور المرئية والمثل المسموعة امور مرتسمة فى لوح الحس المشترك الذى هو ايضاً عندهم قوة قائمة فى الجزء المقدم للدماغ او فى الروح البخارى المصبوب فى ذلك الجزء ارتساماً كارتسام الاعراض فى موضوعاتها، اويكون المرتسم من صورة الجوهر عندهم عرضا خارجيا جوهراً ذهنيا.

وهذا كله لقصور المعرفة بعالم الملكوت وضعف الايمان بالملائكة و صورة الوحى والكتاب، فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لافى محل و هى اقوى فى الموجودية من هذه الاكوان الخارجية، الا ان نشأة وجوداتها نشأة اخرى و عالمها عالم اخر ولايمكن ادراكها بهذه الحواس الداثرة.

وقوة الخيال منا ايضاً بحسها المشترك فهى قوة قائمة بذاتها و بذات مبدأها العقلى وليست متعلقة بالدماغ تعلق الحلول ولا الصور الخيالية بل الحسية مرتسمة فى لوح الروح الدماغى، بل ذلك كالمراة مظهر من مظاهرها، ونحن قدبينا جميع ذلك بالبراهين والشواهد.

وقوله عليه السلام: وربما رآى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام، اى لاينافى الرسالة الرؤية فى المنام كماوقع لابراهيم عليه السلام وكان رسولا وكل رسول نبى دون العكس، و قوله: والنبى ربما سمع الكلام، اى سماعاً عقليا[1] دون ان يرى الشخص المتكلم رؤية حسية كماهو حال الامام، و ربما رأى الشخص رؤية حسية باطنية و لم يسمع اى الكلام منه فيكون الرؤية الحسية من جهة كونه رسولا ايضاً، اذا النبى اعم واكثر افراداً من الرسول.

وقوله: والامام هو الذى يسمع الكلام ولايرى الشخص، اى يسمع كلام الله

۱ــ يعنى ان الرؤية الحسية غير معتبرة فى النبوة بماهى نبوة و هكذا فى الامامة، و ليس المراد ان الرؤية الحسية منافية للنبوة او الامامة، فافهم «نورى».

بواسطة الروح القدسی سماعا فی الیقظة لکن لابصورة الالفاظ ولایری الواسطة متمثلا شخصیا لافی الیقظة ولافی النوم ایضاً کمادل علیه الحدیث الاتی.

الحدیث الثالث

وهوالثامن والثلاثون و اربع مائة

«محمد بن یحیی، عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب، عن الاحول قال: سألت ابا جعفر علیه السلام، عن الرسول و النبی و المحدث، قال: الرسول هو الذی[1] یاتیه جبرئیل علیه السلام قبلا فیراه و یکلمه فهذا الرسول و اما النبی فهو الذی یری فی منامه نحو رؤیا ابراهیم علیه السلام ونحو ماکان رأی رسول الله صلی الله علیه واله من اسباب النبوة قبل الوحی حتی اتاه جبرئیل علیه السلام من عندالله بالرسالة و کان محمد صلی الله علیه واله حین جمع له النبوة و جائته الرسالة من عندالله یجیئه بها جبرئیل علیه السلام و یکلمه بها قبلا ومن الانبیاء من جمع له النبوة ویری فی منامه و یأتیه الروح ویکلمه و یحدثه، من غیر ان یکون یری فی الیقظة و اما المحدث فهو الذی یحدث فیسمع ولایعاین ولایری فی منامه».

الشرح

رأیته قبلا بفتحتین و قبلا بضمتین کصرد وعنب وقبالا وقبیلا کامیرای مقابلة و عیانا.

قدعلمت ان الرسول بماهو رسول هوالذی قویت قوته النفسانیة الخیالیة فتمثل له الصور العقلیة و مبدأها المفیض علیه بصور حسیة فیسمع کلاماً ویری متکلما بسمعه وبصره الحسیین الباطنیین، فالکلام کلام الله والمتکلم هو ملك مقرب رسول واسطة بین الله وعبده، فالملك رسول من الله الی الرسول، والرسول رسول منه الی الخلق.

لانا قد ذکرنا فیما سبق ان القلب المعنوی من الانسان وهو نفسه له وجهان: وجه

۱ـ قال الرسول الذی (الکافی).

الی عالم‌الغیب وهو مدخل الالهام والوحی و وجه الی عالم‌الحس والشهادة، والذی یظهر منه فی‌الوجـه الذی یلی جانب الشهادة و من ابـوابها الحسیة لایکون الاصور متخیلة، لان عالم الشهادة کلها متخیلات وهمیات، لان الخیال کمامـر تارة یحصل من النظر الی ظاهر عالم الشهادة بالاحساس فیجوز ان لایکون الصورة علی وفق المعنی، حتی یـری شخص جمیل الصـورة خبیث الباطن قبیح السر لان عالـم الشهادة کثیر التلبیس.

اما الصورة التی تحصل فی‌الخیال من‌النظر الی عالم الغیب ومن اشراق عالم الملکوت العلوی علی باطن سرالقلب فلایکون الا محاکیاً للامـور الالهیة و ماینبعث من جهة القدس و یکون الصورة موافقة للمعنی، لان الصورة فی عالم الملکوت تابعة للمعنی‌والصفة، فلاجرم یری‌المعنی‌الحسن کالملك فی‌صورة جمیلة حسنة ویری‌المعنی القبیح کالشیطان فی‌صـورة قبیحة کالحیة و الکلب و الخنزیر، ویکـون تلك الصور عنوان المعانی، ولذلك یدل القرد والخنزیر فی‌المنام علی انسان خبیث الباطن ویدل الشاة علی انسان سلیم الجانب وهکذا جمیع ابـواب التعبیر والتأویل، وهیهنا اسرار عجیبة تضیق المقام عن کشفها والافهام عن وصفها ، قل هونبأ عظیم انتم عنه معرضون (ص - ۶۸ و ۶۷).

فقولـه: یأتیه جبرئیل قبلا، ای معاینة مشاهـدة فیراه و یکلمه وهو علیه‌السلام یسمع کلامه بسمعه الحسی ، فان المعرفة العقلیة اذا قویت او اشتدت تصورت بصورة مطابقة لها و ربما تعدت من معدن الخیال الی مظهر خارجی کالهواء الصافی فیکـون الهواء کالمراة.

وقوله علیه‌السلام: واماالنبی فهوالذی یری فی‌منامه، هذا مما یقع للنبی ولکن لیس من‌الخواص الشاملة التی لایتحقق النبوة الا به، حتی لوفرض ان احداًکان عالما بالعلوم الالهیة و الاسرار الربانیة بحیث لم یکن احد مثله وکان اعلم الخلائق ولکن لم یتفق ان یـری فی‌المنام فمثله لایکـون نبیا ویکـون تابعا سیما و قـد یجیء فـی بعض احـادیث هـذا الکتاب : ان الناس فیما قـدم من الزمان لم یکن لهم رؤیا فی

مناماتهم.

وقوله: وكان محمد صلى‌الله عليه واله حين‌جمع له النبوة الى‌قوله: قبلا، خبر، كذلك قـوله : يجيئه بها جبرئيل عليه‌السلام الى اخره، يعنى انـه صلى‌الله عليه واله اتصفت ذاته بصفة النبوة وجائته الرسالة من عندالله باطناً و سراً[1] قبل ان يتصف بصفة الرسالة وينزل عليه جبرئيل معاينا محسوساً بالكلام‌المنزل‌المسموع من‌عندالله عزوجل، وانما جائه[2] جبرئيل منه تعالى بالرسالة حين جمع‌له من اسباب النبوة ماجمع للانبياء الكاملين كابراهيم عليه‌السلام من الرؤيا الصادقة و الاعلامات المتتالية بحقائق العلـوم والايحات بالمغيبات.

والحاصل انه صلى‌الله عليه واله استكمل باطنه وسره قبل ان يتعدى صفةالباطن منه الى الظاهر و اتصف القالب بصفة القلب محاكياله، والاول نهاية السفر الى الله و الثانى نهاية السفر من‌الحق بالحق الى الخلق.

وقوله عليه‌السلام: ومن‌الانبياء من‌جمع‌له النبوة ويرى فى‌منامه ويأتيه الروح و يكلمه و يحدثه من غير ان يـرى فى‌اليقظة، هذا الجار الأخير متعلق بمجموع و يأتيه الروح ويكلمه و يحدثه من غير ان يرى، والمراد بهذاالتكليم والتحديث مايكون فى باطن السر والعقل كلاماً عقليا و حديثا روحانيا، ولهذا عبرعن جبرئيل بالروح و هـو روح القدس لانه فى‌ذاته جوهر قدسى مالم ينزل عن سماء تجرده وقربه، فاذا نزل عن مقام قربه تمثل و تصور بصورة تناسب المنزل عليه ، وايضاً لم يعبر عن اتيانه بالنزول بل قال: ويأتيه الروح.

فعلم ان التكلم والتحديث ليسا الا مجرد اعلام الحق والهام الصدق وهذا بعينه

۱ـ حاصله: ان رسولنا صلى‌الله عليه واله كان رسولا فـى الازمنة السالفة سراً و كان سائر الانبياء كل فـى زمانه رسولا جهراً، ومحصله: انهم عليهم‌السلام كانـوا حقيقة مظاهر رسالته وهوالرسول المطلق وله الرسالة المطلقة؛ و هومن الغوامض المستغرقة فى الغموض والدقة «نورى».

۲ـ جاء به ـ م.

حال المحدثين ايضاً كما فیقـوله صلی‌الله عليه واله : ان فی امتی مكلمين محدثين، والاول وهوقوله: جمع له النبوة فيرى فی‌منامه، حال‌الانبياء، وكذاقوله: واماالمحدث فهوالذی يحدث فيسمع و لايعاين ولايرى فی منامه، اراد بالتحديث التعليم الباطنی و بالسماع السماع‌العقلی.

فاعلم ان هـذه الاحوال السنية ماخلا الرسالة و رؤيـة جبرئيل عيانا و سماع الكلام منه صريحاً مما يقع فيه الاشتراك بين الانبياء و الـرسل والمحدثين من هـذه الامة،بل ماخلا الارض عن النبوة الباطنية الانبوة التشريع واطلاق الاسم، ومانقطعت الرسالة والوحی الامن وجه خاص و بقيت الانذارات والمبشرات.

قال بعض العرفاء ممن لايجازف فی‌الكلام فی‌باب‌الخامس والخمسين والمائة من كتابه: ان النبوة والرسالة قـد انقطعت كما قاله رسول الله صلی‌الله عليه واله، وما انقطعت‌الامن وجه‌خاص‌انقطع منها[1] مسمی‌النبی والرسول، فلهذا قال: فلارسول بعدی ولانبی، ثم ابقی منها المبشرات وابقی منها حكم المجتهدين‌وازال عنهم الاسم وبقی[2] الحكم و امرمن لاعلم لـه بالحكم الالهی ان يسأل اهل الـذكر، فيفتونه بما ادی اليه اجتهادهم و ان اختلفوا كما اختلفت الشرائـع قال : لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا (المائدة ـ ۴۸) وكذلك كل[3] مجتهد جعل‌له شرعة من‌دليله و منهاجاً وهوماعين[4] دليله فی‌اثبات الحكم و يحرم عليه العدول عنه، وقررالشرع‌الالهی ذلك كله.

وقال: فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها ما انقطعت وما نسخت، و انما انقطع‌الوحی الخاص بالرسول والنبی من نزول الملك علی اذنـه وقلبه وتحجير اسم النبی والرسول، فلايقال فی‌المجتهد انه نبی ولارسول كما حجر الاجتهاد الانبياء فيما تشرعه، وهذا اللفظ خاص بالانبياء والرسل.

۱ــ وانما انقطع «الفتوحات».

۲ــ ابقی «الفتوحات».

۳ــ لكل «الفتوحات».

۴ــ وهو عين«الفتوحات».

ثم قال: و اما الأولياء فلهم فی‌هذالنبوة مشرب عظیم کما ذکرنا ولاسيما والنبی قدقال فیمن حفظ القران: ان النبوة قد ادرجت بین جنبیه، فانها لـه غیب و هی للنبی شهادة، فهذاهوالفرقان بین‌النبی والولی فی‌النبوة فیقال فیه‌نبی ویقال فی‌الولی وارث، و الوراثة نعت الهی فانه قال عن نفسه انه: خیرالوارثین (الانبیاء ـ ۸۹).

فالولی لایأخذ النبوة من‌النبی الأبعد ان یرثها الحق منهم ثم یلقیها الی الولی، الی اخر هذا الکلام وقد نقلنا الشمة فیماسبق من کلامنا فی‌شرح الکتاب الاول.

الحدیث‌الرابع

و هوالتاسع والثلاثون واربع مائة

«علی بن محمد[۱] ومحمد بن یحیی ، عن محمد بن‌الحسین عن علی بن حسان، عن ابن‌فضال عن علی بن یعقوب الهاشمی»، روی عن مروان بن‌مسلم وغیره، و روی عنه احمد بن‌الحسین بن علی بن‌فضال و احمد بن هلال و محمد بن‌احمد، عن‌الحسن العلوانی[۲]. «عن مروان بن مسلم عن برید، عن ابی جعفر و ابـی عبدالله علیهماالسلام فی‌قوله عزوجل: ومـاارسلناك قبلك من رسول ولانبی ولامحدث، قلت: جعلت فداك لیست هـذه قرائتنا فما الرسول و النبی و المحدث ؟ قال: الرسول الـذی یظهر له الملك فیکلمه والنبی هوالذی یری فی منامه و ربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحـد والمحدث الذی یسمع الصوت ولایـری الصورة. قال، قلت: اصحلك الله کیف یعلم ان الذی رأی فی‌النوم حق وانه من‌الملك؟ قال: یـوفق لذلك حتی یعرفه، لقد ختم‌الله بکتابکم‌الکتب‌وختم بنبیکم الانبیاء».

الشرح

اما شرح معنی النبی والرسول والمحدث فقد مضی بمایسع الـوقت‌کشفه، و

۱ـ احمد بن محمد (الکافی).

۲ـ احمد بن‌الحسن القطوانی «جامع الرواة».

هذه علوم كشفية و ذوقية ظفر بها علماء الاخرة و حرم ذلك على علماء الدنيا الراغبين فى جاهها و مالها، ولايكاد نظرمن لاذوق له وان كان معدوداً من اهل الذكاء و الفطنة[1] ان يصل اليها، اذالعلم بهاكالعلم بكيفية حلاوةالسكر لايحصل بالوصف ممن ذاقه لمن لم يذقه.

و مما ينبئك عن شرف علوم اهل المعرفة وعلماء الاخرة ان العلوم كلها لايتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق الاخلاص والتقوى، بل ربما كان محبةالدنيا عونا على تحصيلها واكتسابها، لاطلاع الجمهور على نتائجها وثمراتها التى بهامصالح الخلق ونظام معشيتها الدنيوية ، فيتحملون المشاق وسهرالليلل والصبر على الغربة و الاسفار لطلب الحديث و الأسناد العالية لاستشعارهم حصول الجاه و الرفعة بحصول العلم.

و اما علوم هؤلاء القوم فلايحصل مع محبة الدنيا ولاينكشف الابمجانبةالهوى والتوحش عن صحبة ابناء الزمان وعاداتهم الرديئة و اخلاقهم السيئة وملازمةالتقوى، قال الله تعالى: واتقوا الله ويعلمكم الله (البقرة ـ ۲۸۲)، جعل العلم ميراث التقوى، و غيرعلوم هؤلاء ميسر من غير ذلك بلاشك، فعلم من ذلك فضل علوم علماء الاخرة على علوم غيرهم.

و اما قول القائل: كيف يعلم ان الذى رأى فى النوم حق وانه من الملك؟ فهذا مما ذكره الصوفية فى كتبهم و بحثوا عن التميز بين الخواطر والمنامات و الفرق بين ماهو من قبل الله والملك و بين ماهو من قبل الشيطان والنفس.

وما اجاب عليه السلام بقوله: يوفق لذلك حتى يعرفه، اشارة الى ان من له اهلية ان يرى الملك فى المنام كان له من التوفيق الالهى والهداية الربانية ان يعرف به التميز بين الهام الملك و وسوسة الشيطان لانه كان على بينة من ربه، هذاالذى ذكره عليه السلام اصل الكلام فى هذا المقام.

لكن العرفاء واصحاب الرياضات والمكاشفات بعدما بينوا اقسام المكاشفة و المشاهدة

۱ـ الفتنة ـ م ـ ط.

قد قرروا للفرق بين الخواطر علامات و شواهد يعرفون بها صحة مناماتهم و مكاشفاتهم.

قالوا اولا فی مراتب الكشف وانواعها على الاجمال: ان الكشف منه معنوی ومنه صوری، وعینوا بالصوری مایحصل فی عالم المثال من طريق الحواس الخمس، و ذلك اما على طريق المشاهدة كرؤية المكاشف صور الارواح المتجسدة و الانوار الروحانية واما على طريق السماع، كسماع النبی صلى الله عليه واله الوحی النازل عليه كلاما منظوما اومثل صلصلة الجرس و دوى النحل كماجاء فی الرواية فانه صلى الله عليه واله كان يسمع ذلك و يفهم المراد منه، او على سبيل الاستنشاق وهو التنسم بالنفحات الالهية والتنشق بالروائح[1] الربوبية حيث روى انه قال: ان لله فی ايام دهركم نفحات الافتعرضوا لها، وقال: انی لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن.

اوعلى سبيل الملامسة وهی بالاتصال بين النورين اوبين الجسدين المثالين[2] كماروى ابن عباس[3] انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: رأيت ربی فی احسن صورة فقال: فبم تختصم الملاء الاعلى يامحمد؟ قلت: انت اعلم ای ربی مرتين، قال: فوضع الله كفه* بين كتفی فوجدت بردها بين ثديی فعلمت مافی السموات و الارض[4]، ثم تلى هذه الاية: و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين (الانعام ـ ۷۵).

۱ـ لفوحات «شرح الفصوص للقيصری».

۲ـ المثاليين «شرح الفصوص».

۳ـ عبدالرحمن بن عايش «الشرح».

۴ـ ومافی الارض «الشرح».

* لعل موضع الكف فی هذا المقام هو الاشارة الى ان اختصام الملاء الاعلى انما هو فيه، اذ الملاء الاعلى منهم جمالی و منهم جلالی، و اما الجماليون فهو الموكلون القائمون بالامر التشبيهی، واما الجلاليون فهوالموكلون القائمون بالامر التنزيهی، فوضع الكف بين الكتفين هوالاشارة الى كون الكمال فی باب المعرفة وتمامها هوالقيام بالامر بين الامرين بان يحصل التنزيه فی عين التشبيه والتشبيه فی عين التنزيه كماهو مقتضی المشرب الجامع اعنی مشرب جامع الجوامع كما قال صلى الله عليه واله: اوتيت جوامع الكلم «نوری».

اوعلى طريق الذوق كمن يشاهد انواعاً من الاطعمة فاذاذاق منها و اكل اطلع على معان غيبية، قال النبى صلى الله عايه واله، رأيت انى اشرب اللبن حتى خرج الرى[۱] من اظفارى فاولت ذلك بالعلم.

وانواع الكشف الصورى اما ان يتعلق بالحوادث الدنيوية ام لا ، فان كانت متعلقة بها تسمى رهبانية، و اهل السلوك لعدم وقوف هممهم العالية فى الامور الدنيوية لايلفتون[۲] الى هذه القسم من الكشف لصرفها فى الامور الاخروية و احوالها و يعدونه من قبيل الاستدراج[۳] والمكر بالعبد، بل كثير منهم لايلتفتون الى القسم الاخروى ايضاً، وهم الذين جعلوا غاية مقصدهم الفناء فى الله والبقاء بالله[۴]، وان لم يكن متعلقة بها فهى مطلوبة معتبرة.

وهذه المكاشفات قل ماتقع مجردة عن الاطلاع بالمعانى الغيبية بل اكثرها يتضمن المكاشفات المعنوية ويكون اعلى مرتبة واكثر يقينا لجمعها بين الصورة والمعنى، ومنبع هذه المكاشفات هو القلب الانسانى[۵] بذاته وعقله المنور العملى المستعمل لحواسه الروحانية، فان للقلب عينا و سمعاً وغيرذلك من الحواس ؛ و فى الاحاديث المشهورة مايؤيد ذلك كثيرة وتلك الحواس الروحانية اصل هذه[۶] الحواس الجسمانية، فاذا ارتفع الحجاب بينها و بين الخارجية يتحد الاصل مع الفرع و يشاهد بهذه الحواس مايشاهد بها، والروح يشاهد جميع ذلك بذاته، لان الحقائق تتحد فى مرتبته، كمامر ان الحقائق

۱ــ الرو: الخصب، واصله روى فقلبوا الياء واواً، الروى الماء الغزير، الرى: اسم من ارتوى الشجر.

۲ــ لا يلتفتون «الشرح».

۳ الاستدراج هو اظهار الايات وخوارق العادات على يد السالك مع سوء الادب و مخالفة اداب الطريقة، ولعله ادخلها فى المعجزة و نحوها مجازاً «نورى».

۴ــ به «الشرح».

۵ــ والمراد من العقل ههنا هو القلب الذى ملهم بالمعانى ويكشف له الحقائق و الارواح كما سنشير اليه بعيد هذا «نورى».

۶ــ اتصل بهذه «الشرح».

كلها فى العقل الاول متحدة.

واما الكشف المعنوى المجرد من صور الحقائق الحاصل من تجليات اسم العليم والحكيم وهو ظهور المعانى العقلية و الحقائق الغيبية[1] فله ايضاً مراتب: ظهور[2] المعانى فى القوة المفكرة من غير استعمال المقدمات وتركيب القياسات، بل بان ينتقل الذهن من المطالب الى مباديها ويسمى بالحدس.

ثم فى القوة العاقلة المستعملة للمفكرة و يسمى بالنور القدسى، و الحدس من لوامع انواره فهى ادنى مراتب الكشف المعنوى، ثم فى مرتبة القلب و يسمى بالالهام ان كان المكشوف معنى من المعانى[3]، وان كان حقيقة من الحقائق او روحاً من الارواح يسمى مشاهدة قلبية[4]، ثم فى مرتبة الروح فيسمى بالشهود الروحى، فهو بذاته اخذ من الله العليم و يفيض على ماتحته من القلب و قوة الروحانية والجسمانية، ثم فى مرتبة السر ثم فى مرتبة الخفى بحسب [5] مقاميهما[6] ولايمكن اليه الاشارة ولايقدر على اعرابهما[7]

۱ـ ظهور المعانى الغيبية والحقائق العينية «الشرح».

۲ـ اولها ظهور «الشرح».

۳ـ والفرق بين المعنى والحقيقة كالفرق بين العرض والجوهر، وبعبارة اخرى: كالفرق بين الماهية والوجود، والفرق بين القلب و الروح كالفرق بين الفرقان والقران وكالكتاب والحكمة، و محصله و مرجعه هوالتفصيل و الاجمال، والروح مظهر الاسم والاسم مظهر الذات كمايومىء اليه السر والخفى بوجه خفى «نورى».

۴ـ ان كان الظاهر معنى من المعانى الغيبية لاحقيقة من الحقائق و لاروحاً من الاواح وان كان روحاً من الارواح المجردة اوعيناً من الاعيان الثابتة فيسمى مشاهدة قلبية «الشرح».

۵ـ قال الشيخ العارف المحقق كمال الدين عبدالرزاق القاسانى فى كتاب الاصطلاحات فى المقامات الثلاثة: اى السر و الخفى والاخفى: هى مقام قاب قوسين و مقام او ادنى ومقام البقاء بعد الفناء، قال: مقام الاول هوالترقى الى عين الجمع و الحضرة الاحدية و هو مقام قاب قوسين مابقيت الاثنينية، فاذا ارتفعت فهومقام او ادنى و نهاية الولاية، والثالث السير بالله عن الله المتكميل وهومقام البقاء بعدالفناء وهوالفرق بعدالجمع.

۶ـ مقاميه «النسخة البدل فى الشرح».

۷ـ اعرابها «الشرح»

العبارة .

فهذا خلاصة ماذكره بعض الشارحين لكتبهم مثل فصوص الحكم و غيره.

وقالوا ايضا فى الفرق بين الالهام و الوحى: ان الالهام قديحصل من الحق تعالى من غير واسطة الملك و الوحى يحصل بواسطته، ولـذلك لايسمى الاحاديث القدسية بالوحى والقران و ان كانت كلاماً[۱]، وايضاً قد مر ان الوحى قـد يحصل بشهود الملك وسماع كلامه فهومن الكشف الصورى المتضمن للكشف المعنوى، والالهام من المعنوى فقط، و ايضاً الـوحى من خواص الرسالة و متعلق بالظواهر[۲] و الالهام من خـواص الـولاية، و ايضاً هـومشروط بالتبليغ كما قال : يا ايها الرسول بلـغ ما انزل اليك (المائدة ـ ۶۷)... الاية دون الالهام.

واما معرفـة الخواطر و تفصيلها والتميز بين اقسامها فقـد تعرضوالها وبسطوا القول فيها فى كتبهم ورووا عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال: للشيطان لمة بابن ادم و للملك لمة، و امالمة الشيطان فايعاد بالشر و تكـذيب بالحق و امـالمة الملك فايعاد بالخير و تصديق بالحق ، فمن وجـد ذلك فليعلم انـه من الله وليحمدالله[۳] و من وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء (البقرة ۲۶۸).

قالوا: و من الخواطر ماهو رسل الله الى العبد كما قال بعضهم: ان لـى قلبا[۴] ان عصيته عصيت الله، وهذا حال عبد استقام قلبه.

و قد ورد فى الخبر: ان الشيطان جاثم[۵] على قلب ابن ادم فـاذا ذكر الله خنس[۶]

۱ـ كلام الله تعالى «الشرح».

۲ـ من خواص النبوة لتعلقه بالظاهر « الشرح » .

۳ـ فليحمدالله « الاحياء » .

۴ـ قال لى قلب « الاحياء ».

۵ـ اى: لاصق.

۶ـ تولى وخنس « الاحياء » الخناس الشيطان لانه يخنس اذا ذكرالله، اى يذهب ويستتر، و فى التفسير له رأس كرأس الحية... الحديث فيقال: خنس يخنس اذا تأخر.

و اذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه، وقد قال سبحانه: ومن يعش عن ذكرالرحمن نقيض له شيطانا فهو لـه قرين (الزخرف ـ ۳۶)، فالذكرلله من احدى العلامات التى يعرف بها ان الخاطر شيطانى ام روحانى.

وقالوا ايضاً: الفرق بين الواردات يتعلق بميزان السالك المكاشف؛ وهذا قريب مما ذكره عليه السلام، و معذلك نومیء بشیء يسير مما ذكره فی التميز وهو:

ان كل مايكون سبباللخير بحيث يكون مأمون الغائلة فی العاقبة ولايكون سريع الانتقال الى غيره ويحصل بعد توجه تام الى الحق ولذة مرغبة فی الطاعة والعبادة فهو ملكی او روحانـی، والذی بالعكس شيطانی او نفسانی، ومايقال من ان[1] مايظهر من اليمين او القدام اكثره ملكی ومـا يظهر من اليسار والخلف اكثره شيطانـی ليس من الضوابط، اذالشيطان يأتـی من الجهات كلها كما نطق به القران الكريم: ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم و عن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين[2].

و ايضاً كل مـايتعلق بالامـور الدنيويـة و الحظوظ النفسانية من الكشوف و المشاهدات الجزئية مثل احضار الاشياء الغائبة عن المكاشف فی الحال كاحضار الفواكه الصيفية فی الشتاء مثلا والاخبار عن قـدوم زيد غداً وامثال ذلك ممايعـده العامة كرامة فهو من الجن، وطی الزمـان والمكان والنفوذ من الجدران من غير الانثلام و الانشقاق ايضاً من خواصهم وخواص الملائكة التی فوقهم، وان لم يتعلق بها و تعلق بالاخرة او كان من قبيل الاطلاع على الضمائر وكشف القلوب والخواطر اوكشف القبور ومايقع فيها ملكی وكذا مايتعلق بانكشاف العلوم الحقيقية، لان الجن والشياطين لايقدرون على ذلك.

والحق ان المكاشفات الصورية ان وقعت من غير الكاملين فی العلم واليقين فهی من باب الاستدراج والمكر و من اسباب الشقاوة والبعد والطرد عن باب الله الى باب

۱ـ ومايقال ان «الشرح».

۲ـ الاعراف ـ۱۷، هذه العبارات مذكورة فی الفصل السابع فی مقدمة شرح القيصری على الفصوص مع ادنی تغيير وتوضيح واسقاط بعض العبارات، و نبذة منها من احياء العلوم للغزالی التی استطرد فيها.

الشيطان، و اما مايكون للمتصرفين فى‌الوجود[1] و اصحاب المقامات كالاحياء والاماتة واخراج المحبوسين فى‌البرازخ من‌الحبس وقلب الحقائق العنصرية كقلب الماء هواء و بالعكس فذلك رحمانـى من قبل الله، لان امثال هذه التصرفات من خواص المرتبة الالهية القائم بها الكل من الرسل و الاقطاب كخاتم الانبياء والرسل و المهدى عليهم‌السلام فى‌اخر الزمان.

واما قوله عليه‌السلام: لقد ختم‌الله بكتابكم الكتب و ختم بنبيكم الانبياء، فوجه ذلك مع‌مادل عليه من‌الشواهد السمعية والايات القرانية: ان النفوس والغرائز من‌زمن نزول ادم و ابتداء خلق العالم فى‌الترقى دائماً بحسب قابلياتها و استعداداتها والارتقاء من حضيض النقص الى ذروة الكمال والارتفاع من مهوى البعد وارض السفالة الـى بقاع الرفعة وسماء القرب من‌المبدأ المتعال.

و ذلك ببعثة الانبياء ونـزول الملائكـة بالكتب والصحف المنزلـة عليهم من ملكوت‌السماء لتعليم‌الامم وهدايتهم وتخليصهم عن‌القيود و التعلقات وتكميل نفوسهم بانوارالعلوم والمعارف والايات، وكلمازادوا فى‌الاستعداد و صفت اذهانهم بالتلطيف والتأديب استعدوا واستحقوا لشريعة جديدة واحكام اخرى ناسخة لماسبق من‌الاحكام، و هكذا الى ان‌انتهت الشرائع و الاديان الى شريعة لااكمل منها و دين لااتم منه وهو الاسلام لقوله تعالى: اليوم اكملت لكم دينكم (المائدة ـ ۳)... الاية، وبلغت‌الكتب المنزلة الى كتاب هو كلام الله النازل بالحق على قلب عبده كماقال: نزل عليك‌الكتاب بالحق (ال عمران ـ ۳)، وقال: نزله على قلبك (البقرة ـ ۹۷)، اى نزل حقائق القران وانوار الكتاب على قلبك بالحقيقة متجلية بسرك و روحك لاصورة الفاظ مكتوبة على الواح احجار مقروئة كل قار سريانية او عبرانية وكما قال: و بالحق انزلناه و بالحق نزل (الاسراء ۱۰۵)، يعنى نزل بالحقيقة لابالصورة فقط.

۱ـ السرفيه هوان النفس بماهى نفس متعلق بالبدن لايؤثر ايجاباً بل يؤثر اعـداداً، فانها تفعل و تؤثر بالبدن و بوصفه فهى انما يكون مبدأ للحركة لامبدأ للوجود، والتصرف بالايجاد شأن العقل الكلى لاالنفس بماهى نفس، فافهم «نورى».

ثم اخبر عن حقيقة الكتاب الذی[1] كلام الحق بقوله: ولكن جعلناه نورانهدی به من نشاء من عبادنا (الشوری ـ ۵۲)، اشارة الـی ان تعليم القران بان يتجلی نـور الكلام[2] الذی هوحقيقة القران علی قلب من يشاء من عباده.

و من علمه الرحمن القران[3] بهذا التعليم يكون عليه من الله فضلا عظيما كما قال بعد امتنانه علی عباده ببعثة الرسول و تعليمه اياهم الكتاب والحكمة: وان كانوا من قبل لفی ضلال مبين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ـ ۲ و ۳)، كما قال لحبيبه بعد تعليمه: و علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (النساء ـ ۱۱۳)، فمن ذلك الفضل العظيم فی حقه ان نزل علی قلبه حقيقة القران قبل ان نزل صورة الكتاب والكلام علی سمعه وصورة المتكلم وهو الملك علی بصره وقال: وانزل التوريـة والانجيل من قبل هـدی للناس (ال عمران ـ ۴)، يعنی لاتظنن يا محمد ان انزال الكتب الاخـری علی الانبياء كان كتنزيل القران بالحق و الحقيقة علـی قلبك، فيكاشف عند تجلی انواره و حقائق اسراره التی بينی وبينك فی مقام او ادنـی حيث لايطلع عليه ملك مقرب ولانبی مرسل.

وانما انزلت الكتب علی الانبياء عليهم السلام بالصورة علی ظواهرهم مكتوبة فی صحائف و الواح يقرأها كل قارىء ويستوی فی هداها الانبياء و الامم لقوله: هدی للناس، عمهم فيه، لان معظم مافی التورية الاحكام الظاهرة وكنت مخصوصاً بالهداية و اهل بيت نبوتك عند تجلی انوار القران علی قلبك فينعكس منه علی قلوبهم للقرابة والمناسبة المعنوية و الصورية دون الصورية فقط كما قال: ولكن جعلناه نـورانهدی به من نشاء

۱ـ هو كلام ـ م.

۲ـ مرتبة الكلام مرتبة الصنع والصنع صفة الصانع، ومرتبة الكتاب مرتبة المصنوع و المصنوع لايكون صفة للصانع، ان الله لا يوصف بخلقه، فافهم «نوری».

۳ـ فيه قال تعالی: الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان فان الانسان الكامل الختمی صلی الله عليه واله خلق و يخلق بالقران والقران هوالبيان لانه بيان كل شیء و فی الاية النشر علی ترتيب اللف فيه سر عظيم فتلطف لئلايفوت عنك سرسيرة كريمة وماتری فی خلق الرحمن من تفاوت «نوری».

من عبادنا (الشورى ـ ۵۲).

ثم قال مؤكداً لمعناه ومؤيداً لفحواه: و انزل الفرقان (ال عمران ـ ۴)، سماه الفرقان كما سماه القران كل منهما من جهة اخرى ، فـالقران للمقام الجمعى و العلـم الاجمالى وهوالمسمى عندالحكماء الالهيين بالعقل البسيط والفرقان لمقام الفرق والعلم التفصيلى المسمى عندهـم بـالعقل النفسانـى المنبعث مـن الـعقل البسيط انبعاث القـدر من القضاء و القضاء من العنايـة ، لان العقل القرانـى كل الاشياء كما مـرت الاشارة اليه.

و ايضا سمى القران فرقانا لحصول الفرق بين تنزيله على قلب رسول الامى و بين انزال الكتب على ظاهر الانبياء اونفوسهم، وكذاالفرق متحقق بين تعلمه القران و بين تعلمهم الكتب، فانهم كانوا يتدارسون الكتب والنبى صلى الله عليه واله كان يتخلق بالقران، فان افادلهم الحكمة فقد افادله ان اوتى جوامع الكلم و بـه فضل على سائر الانبياء وبخمس خصال اخرى لقوله: فضلت على الانبياء بست، وعدمن جملتها بقوله اوتيت جوامع الكلم[1]، فانكانت الكتب يتصرف فيهم، بان يكون الكتاب مع احدهم نورا من الله يجىء به الى قومه ليكون هدى لهم كما قال تعالى: قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى (الانعام ـ ۹۱).

فان تصرف نـور القران على قلبه جعله نوراً من الله يجىء به الى الامة و معه القران كماقال: قدجائكم من الله نور، وهو محمد صلى الله عليه واله، وكتاب مبين، وهو

۱ـ وهو تحليل الغنائم و طهارة الارض و اتخاذها مسجداً، و نصرالمعروف و هـو الرعب، و اوتى جـوامع الكلم و اوتى مفاتيح خزائن الارض وختم النبوة ـ هذا حاصل ماقال الشيخ الاكبر الشيخ محى الدين فى الباب الثانى عشر من الفتوحات: ان هـذه الست مما اوحى به فى السموات من قوله تعالى: و اوحى فى كل سماء امرها ، و عين اياً من هذه هذه من اى سماء « نورى » .

القران، فشتان بين نبيين رسولين: نبى يجىء ويكون هو بذاته نوراً[1] ومعه كتاب ونبى يجىء ومعه نورمن الكتاب، وفرق ايضاً بين ماشرف به من اكرام الحق وبين ماشرفوا به، فقال تشريفا لموسى عليه السلام كليمه: وكتبنا لـه فى الالواح من كل شىء موعظة (الاعراف ـ ١٤٥)، وقال تشريفا لحبيبه: فاوحى الى عبده ما اوحى[2]، وقال تشريفا لامته: اولئك كتب فى قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه (المجادلة ـ ٢٢) ، فشتان بين نبى تشرف بكتابة الموعظة لـه فى الالواح و بين نبى تشرف امته بكتابـة الايمان لهـم فى قلوبهم.

والايمان عبارة عن العلم بالله و مـلائكته و كتبه و رسله واليوم الاخر، فما اعظم واشرف قدرهم فضلا عن قـدر نبيهم؟ و له الخلافة الكبرى و مظهرية الاسم الجامع الالهى وهوالاسم الله الجامـع لجميع الاسماء الذى منه الفيض والاستمداد عليها ، و كذا حال مربوبه ومظهره وهو حقيقة المحمدية التى ترب صور العالم ومعانيها، فبصورتها التى هى مظهر الاسم الظاهر يرب صور العالم وبباطنها يرب باطن العالم، لانه صاحب الاسم الاعظم و له الربوبية المطلقة على الاسماء كلها و لهذا قال تعالى: هوالذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله (التوبة ـ ٣٣).

و روى انـه قاله صلى الله عليه واله : خصصت بفاتحة الكتاب ، وهى مصدرة بقوله تعالى: الحمدلله رب العالمين (الفاتحة ـ ١)، فجمع عوالم الاجسام والارواح كلها، وهذه الربوبية من جهة حقيقته لامن جهة بشريته، فانها من تلك الجهة فهى عبد مربوب محتاج كما نبه عليه بقوله تعالى: قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى (الكهف ـ ١١٠) ، و نبه

١ـ فالنور الحقيقى القرانى صار فى حقه صلى الله عليه واله جوهريا والنور الكتابى صار فى حقهم عرضا وعرضيا، وهذا كالفرق بين النيرين الشمس والقمر والانوار التفصيلية يقوم بقلبه قيام صدور وبقلبهم قيام عروض «نورى».

٢ـ النجم ـ ١٠، مرتبة اوحى ما اوحى درجة الحكمة التى هى نور ينكشف به حقائق الاشياء كماهى واثر المواعظ كما قرر فى محله انما هو عقد القلب على العمل بدين الحق و لا يوجب نور الايمان ولا يلزم منه اليقين بخلاف الحكمة، قال الله تعالى: ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظه الحسنة... الاية «نورى».

بالجهة الاخری[۱] بقولـه : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (الانفال ـ ۱۷)، فاسند رميه الى الله وهذا المعنى لايمكن الا بالقدرة التامة والصفات الالهية، فله كل الاسماء يتصرف بها فی العالم حسب استعدادهم.

ولماكانت هذه الحقيقة مشتمله على الجهتين الالهية و العبودية لايصح لها ذلك باصالة بل بالتبعية وهی الخلافة، فلها الاحياء والاماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات ليتصرف فی العالم و فی نفسها و بشريتها ايضاً لانها من العالم، و بكائه وضجره وضيق صدره لاينافی ما ذكرناه فانه بعض مقتضيات ذاته وصفاته.

والحاصل ان ربوبيته وتصرفه فی العالم بالصفات الالهية التی له من حيث مرتبته وقربه، وعجزه ومسكنته وجميع مايلزمه من النقائص الامكانية من حيث بشريته الحاصلة من التقيد و التنزل الى العالم السفلی ليحيط بظاهره خواص العالم الجسمانی و بباطنه خواص العالم الروحانی فيصير مجمع البحرين[۲] و مظهر العالمين، فنزوله ايضاً كماله كما ان عروجه الى مقامه الاصلی كمالـه ، يعرف ذلك من تنور قلبه بالنور العرفانی، فهذا ماقصدنا ايراده فی هذا المرام والله ولی الفضل والانعام.

۱ـ الاولی فی الاستشهاد للجهة الاخری قوله تعالى: ليس كمثله شیء، فانه صريح فی الخلافة الكلية فی الربوبية المطلقة، فتلطف فافهم ان شاء الله «نوری».

۲ـ اقول: ومن هنا ينكشف حقيقة حال مافی اسئولة رأس الجالوت عن علی بن موسی- الرضا عليهما السلام و روحی لهما الفداء حيث قال: ما الواحد المتكثر و المتكثر المتوحد و الموحد الموجد والجاری المنجمد والناقص الزائد؟ و قد صـدر عن معدن العصمة و مصـدر الحكمة عليه السلام ما صـدر فی مقام الجواب عن تلك الاسئولة الغامضة ، وساق الكلام عليه السلام فی مقام الى ان قال: ونص بـه القران حيث قال: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان فبای الاء ربكما تكذبان، و تعلم قولنا: من كان فـی سنخ الانسان ... الى الاخره، وهو البرزخ، هو الحضرة الختمية صلى الله عليه واله، فافهم ان شاء الله «نوری».

باب ان الحجة لايقوم لله على خلقه الا بالامام

وهو باب الرابع من كتاب الحجة وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

و هوالاربعون واربع مائة

«محمد بن يحيى العطار، عن احمد بن محمد بن عيسى؛ عن ابن ابى عمير، عن الحسن بن محبوب، عن داود الرقى، عن العبدالصالح عليه السلام قال: ان الحجة لاتقوم لله على خلقه الا بامام حتى يعرف».

الشرح

قد علمت ان الحجة حجتان: حجة باطنة وحجة ظاهرة، اما الحجة الباطنة فهى النور البارق القدسى و البرهان النير العرشى الـذى اشرق من الافق الاعلى فيتنور به عين القلب وينكشف له احوال المبدأ والمعاد فيهتدى الى طريق الحق وسلوك الاخرة والنجاة عن العذاب يوم القيامة و يعرف حكمة الرسالة و البعثة فهو رسول من داخل، فيذعن لذلك النور النفس و قواها المحجوبة عن عالم الاخرة و الغيب ، المكبوبـة الى اغراض الدنيا و دواعيها المقيدة بسلاسل التعلقات والشهوات، فينزعج عن مستقرها ويرتقى بمشايعة الروح الى منازل القرب و الرحمة و الراحة و الرضوان و ينجوعن عذاب القطيعة والحرمان والام السيئات والعصيان.

واما الحجة الخارجة فهى الانبياء بمعجزاتهم الظاهرة والائمة بكراماتهم الباهرة، وانت تعلم ان الذى يرى فى باطنه وقلبه نوراً من الله وحجة منه اليه، وجـود مثله يقع فى قليل من الناس اقل من الكبريت الاحمر ، ونعم ماقيل: جل جناب الحق ان يكـون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحداً بعد واحد.

فالخلق كلهم الاواحـداً او شاذاً محتاجون الى حجة ظاهرة اما رسولا او نائباً

منه اماماً، فثبت ان لایقوم الحجة[1] لله بعد رسوله علی خلقه الا بامام حتی یعرف الخلق بتعریف الامام و تعلیمه ایاهم و ارشادهم معبودهم[2] وخالقهم و طریق عبادته وطاعته و سبیل التقرب الیه و التخلیص من عذاب یوم القیامة.

و قد سبق ان کتاب الله لاشتمال ایاته علی محکمات و متشابهات و ظواهر و مأولات و نواسخ ومنسوخات لایکفی بمجرده لان یکون حجة لله علی عباده، و لا ایضاً الذین یعدون انفسهم من العلماء و الناس یزعمون بهم انهم من اهل العلم و اصحاب المعرفة ممن لهم اطلاع علی اسرار الایات و رموز القران، بل کما اخبر سبحانه عن امثالهم ونظرائهم من علماء الدنیا بقوله: یعلمون ظاهراً من الحیوة الدنیا وهم عن الاخرة هم غافلون (الروم ــ ۷).

فالقران لایکون حجة من الله علی الخلق الا مع امام من اهل بیت النبوة والحکمة علیهم السلام، وهم شقیق القران الحکیم وشریکه، وانهما کما قیل ترکتا[3] رسول الله فی امته وهما الثقلان اللذان لم یضل من تمسك بهما ابداً ولایهتدی من اتخذ من دونهما ملتحداً کما دل علیه الحدیث المشهور المتفق علیه بین الجمهور مما اطبقت الامة علی صحته عن رسول الله صلی الله علیه واله و اتفقت حفاظ الحدیث و رواة الاخبار علی روایته بطرق عدیدة.

منها انه صلی الله علیه واله قام خطیبا بما یدعی خماً بین مکة والمدینة فحمدالله واثنی علیه و وعظ و ذکر ثم قال: ایها الناس انما انا بشر یوشك ان یأتینی رسول ربی فاجیب، فانی تارك فیکم الثقلین، ما ان تمسکتم بهما لن تضلوا بعدی ابداً وهما کتاب الله حبل ممدود من السماء الی الارض و عترتی اهل بیتی، اذکرکم الله فی اهل بیتی اذکرکم الله فی اهل بیتی، اذکرکم الله فی اهل بیتی، ولن یفترقا حتی یردا علی الحوض، فانظروا کیف تخلفونی فیهما.

۱ــ الحاجة ــ م ــ ط.

۲ــ الی خالقهم و معبودهم ــ م.

۳ــ تریکتا ــ م ــ ط.

قال الناقد النحرير ابن الاثير فی نهایته موافقا لشارح صحیح مسلم ابی عبدالله المازری : سماهما ثقلین لان الاخذ بهما و العمل بمؤداهما ثقیل[1]، و یقال لکل خطیر نفیس ثقل ، فسماهما ثقلین اعظاماً لقدرهما وتفخیماً لشأنهما ، وقال الطبی[2] فی‌شرح المشکوة: شبه بهماالکتاب والعترة فی ان الدین یستصلح بهما ویعمر کما عمرت‌الدنیا بالثقلین، و سمی الجن والانس ثقلین لانهما فضلا علی سائرالحیوان، وکل شیء لـه وزن وقدر یتنافس[3] فیه فهو ثقل.

و مما اتفقت الامة من‌الخاصة والعامة علی صحته عن النبی صلی‌الله علیه والـه انه قال: الا ان مثل اهل بیتی کمثل سفینة نوح من رکبهانجی و من تخلف عنها هلك، کذلك رواه احمد بن حنبل فی مسنده و الحاکم فی‌مستدرکـه و اورده السیوطی فی جامعه‌الصغیر والطبی[4] فی‌شرح‌المشکوة، ومن طریق عدیدة جمهوریة: من‌تخلف عنها غرق، ومن طرق کثیرة خاصیة و عامیة: من تخلف زخ فی‌النار بالزاء والخاء المعجمة وکذلك فی‌الصحیفة المکرمة الرضویة وفی کتاب عیون اخبارالرضا.

و اورد ابن الاثیر فی‌النهایة: من تخلف عنها زخ بـه فی‌النار، فسره فقال: ای رفع ورمی، وعلی هذه‌الروایة الباء لیست للتعدیة بل اما مزیده لتأکید المعنی والعائد لمن، واما للسببیة والعائد لمصدر الفعل، ای رفع ورمی فی‌النار بسبب التخلف.

قال فی شرح المشکوة : شبه الـدنیا بما فیها من الکفر و الضلالات و البدع و الاهواء الزائغة ببحرلجی یغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض (النور ـ ۴۰)، وقد احاط باکنافه و اطرافه الارض‌کلها ولیس منه خلاص ولامناص الابتلك السفینة.

۱ـ والعمل بهما ثقیل « النهایة » .

۲ و ۴ـ الطیبی ـ م.

۳ـ نافس نفاساً و منافسة فلاناً فی‌الامر: فاخره وباراه فیه.

الحدیث الثانی
و هوالحادی والاربعون و اربع مائة

«الحسین بن محمد، عن معلی بن محمد؛ عـن الحسن بن علی الوشاء قال: سمعت الرضا و اباعبدالله علیهما السلام[1] قال: ان الحجة لاتقوم لله عزوجل علـی خلقه الابامام حتی یعرف».

الشرح

معناه کما مضی.

الحدیث الثالث
وهوالثانی والاربعون و اربع مائة

«احمد بن محمد عن محمد بن الحسن، عن عباد بن سلیمان»، همارجلان: احدهما عباد بن سلیمان[2] بن محمد بن خالد البرقی روی عنه و کذا بکتابه قاله النجاشی، والاخر روی عنه محمد بن سلیمان الدیلمی روی عنه الصفار. «عـن سعد بن سعد»، الاحوص بن مالك الاشعری القمی ثقة روی عن الرضا و ابی جعفر علیهما السلام و روی الکشی عن اصحابنا عن ابـی طالب عبدالله بن الصلت القمی ان ابا جعفر علیه السلام سأل الله تعالی ان یجزیه خیراً «صه» روی عنه عباد بن سلیمان و محمد بن خالد البرقی، «عن محمد بن عمار[3] عن ابی الحسن الـرضا علیه السلام قال: ان الحجة لاتقـوم لله علی خلقه الا بامام حتی یعرف».

۱ـ سمعت الرضا علیه السلام یقول: ان اباعبدالله علیه السلام قال: (الکافی).

۲ـ عباد بن سلیمان: محمد بن خالد البرقی عنه بکتابه «جش».

۳ـ عمارة (الکافی).

الحديث الرابع
و هوالثالث والاربعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ، عن البرقى عن خلف بن حماد ، عن ابان بن تغلب قال : قال ابوعبدالله عليه‌السلام : الحجة قبل‌الخلق و مع الخلق و بعدالخلق».

الشرح

فائدة هذاالحديث دفع توهم مايظنه‌النفوس العامية ان الذوات‌الكاملة والنفوس العالية و الانوار الشامخة انما خلقت لاجل اهتداء الخلق حتى يكون الغاية فى وجود العالى انتفاع السافل وليس الامر كما زعموه ، فان الغاية دائماً اشرف من ذى‌الغاية، والذى لاجله يكون شىء فذلك الشىء ادون منزلة منه.

و ذلك كما يتوهم ان‌حركات الافلاك و دوران الشمس والقمر والنجوم ودؤبها وسعيها ليلا و نهاراً انما هى لانتفاع السافلات من‌الحيوان والنبات و الجماد بوقوع اشعتها على هذه المواد وحصول الفصول الاربعة و اختلاف الازمنة لانصلاح احوال البقاع والبلاد، بل انما هى مسخرة بامرالله مقيدة بزمام التقدير، و انما يتحرك عبادة لله و تقرباً اليه و تشبها بالمقربين لديه ويلزم من حركاتها نفع السافلات على سبيل التبع، لا انه المقصود بالذات من وجودها وحركاتها.

وكذلك الانبياء والهداة و الحجج ليس الغرض و الغاية فى وجودهم اصلاح حال الامم، بل ماهواعلى من وجودهم[1] و هوالقرب من‌الله والوصول الى لقائه، ولكن تترتب على افعالهم التى بها يتقربون اليه تعالى اهتداء الامة الى سبيل نجاتهم والفوز الى سعاداتهم.

وايضاً وجودالشىء على قسمين: وجوده فى‌نفسه لنفسه و وجوده فى‌نفسه‌لغيره،

۱ـ وجوههم ـ م ـ ط.

و الثانى كوجود الاعراض و الصور المادية ، فان وجـوداتها فى انفسها هـى بعينها لموضوعاتها و موادها، والاول كوجودالجواهر المفارقة، ولكن قد يعرض لهاالوجود النسبى، كالنفس الناطقة لهاوجودان: وجودها لنفسها وهو وجودها الحقيقى و وجودها للبدن وهووجودالنسبى وهونفسيتها وتدبيرهاله، فاذاانقطع تعلقهاعن البدن زالت نفسيتها ولم تزل ذاتها وحقيقتها، لان وجودها النسبى غيروجودها الحقيقى بخلاف الاعراض، و الصور التى وجودها الحقيقى هو بعينه وجودها النسبى فاذا زالت عن المحل بطلت.

فاذا علمت هذا فنقول: كون النبى والامام حجة للخلق اضافة عارضةله، و ذاته من هذه الحيثية يكون مع الخلق فاذا لم يكن الخلق لم يكن حجة لهم ، ولكن لايلزم منه ان لايكون موجوداً فى حد ذاته، بل ذوات الحجج الالهية لكونها مرتفعة الذوات عن المواد و الجسمانيات باقية فى حد حقائقها و ذواتها ببقاء الله.

فهى قبل الخلق من حيث كـونها واسطة فى ايجاد الخلق، وبعدالخلق من حيث كونها من الغايات التى ينتهى اليها الجسمانيات ، ومع الخلق لتكون حجة لهم و نوراً يهتدون به فى ظلمات احوالهم الى طريق الاخرة وسبيل القدس.

فافهم، ولااراك ان تفهم، لانـك لست من الطيارين ولامن السيارين، فادع الى الله وتضرع اليه و ارج بلطفه و رحمته ان لاتكـون من المحبوسين المقيدين فى سجن التعلق بحبل التقليد، انه لطيف رحيم بمن دعاه ومستجيب لمن ناجاه.

باب ان الارض لاتخلو من حجة

وهو الباب الخامس من كتاب الحجة وفيه ثلاثة عشر حديثا :

الحديث الاول

وهو الرابع و الاربعون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن ابى عمير عن الحسين بن ابى العلاء قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: تكون الارض ليس فيها امام؟ قال: لا، قلت: يكون امامان؟ قال: لا الا واحدهما صامت».

الشرح

اما ان الارض لابد فيها بعد انقراض زمن النبوة من امام، فعليه اتفاق الامة سلفا و خلفا الاشاذاً لايعبأبه مـع اختلافهم فى ان وجوب نصبه علينا سمعاً او علينا عقلا او على الله تعالى عقلا.

فالاول مذهب جمهور اهل السنة واكثر المعتزلة.

والثانى مذهب الجاحظ والكعبى وابى الحسن[١] البصرى.

والثالث مذهب الشيعة رحمهم الله، فعند بعضهم ليكون معلماً فى معرفة الله تعالى وهـو الظاهر من بعض الاحاديث المنقولة فى هذا الكتاب ، وعند بعضهم وهم اكثر الامامية ليكون لطفا فى اداء الواجبات العقلية واجتناب المقبحات العقلية، وعند بعضهم وهم الغلاة لتعليم اللغات و احوال الاغذية و الادوية و السموم و الحرف و الصناعات والمحافظة عن الافات والمخافات.

و قالت النجدات قـوم من الخوارج اصحاب نجـدة بن عامر[٢]: انـه ليس بواجب اصلا.

وقال ابوبكر الاصم من المعتزلة: يجب عند ظهور الظلم.

وقال هشام العوطى[٣] منهم: بالعكس، اى يجب عند ظهور العدل لاظهار شعائر[٤] الشرع لاعند ظهور الظلم، لان الظلمة لم يطيعوه وصار سبباً لزيادة الفتن.

واما القائلون بالمذهب الاول فاستدلوا بوجوه: الاول وهو العمدة عندهم اجماع الصحابـة و غيرهم حتى جعلوا ذلك اهم الواجبات و اشتغلوا بـه معرضين عن دفن الرسول صلى الله عليه واله، كذا عقيب موت كل امام، قالوا: روى انه لماتـوفى النبى صلى الله عليه واله خطب ابـوبكر فقال : ايها الناس من كان يعبد محمداً فـان محمدا

١ــ ابى الحسين «تلخيص المحصل».

٢ــ عويمر «شرح المقاصد».

٣ــ القوطى «شرح».

٤ــ شرايع « شرح » .

قدامات و من كان يعبد رب محمد فانه حی لايموت ، لابـد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا ارائكم رحمكم‌الله، فتبادروا من كل جانب وقالوا: صدقت ولكن ننظر فی هذا الامر، ولم يقل احد لاحاجة الی الامام.

الثانی ان الشارع امر باقامـة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد و كثير من الامور المتعلقة بحفظ النظام و حماية بيضة الاسلام مما لايتم الا بالامام ، و مالايتم الـواجب المطلق الابه وكان مقدوراً فهو واجب علی ماثبت فی اصول الفقه. لايقال الامر باقامةالحدود كقطع يدالسارق مثلا ان كان مشروطا فلم يكن واجبا مطلقا[1]، لانانقول: فرق بين تقييد الوجوب وتقييد الواجب، فهيهناالوجوب مطلق، ای لم يقيد ولم‌يشترط بوجودالامام، والواجب اعنی المأمور به مشروط[2] وموقوف عليه‌كوجوب الصلوة المشروط بالطهارة، واما فی‌الزكوة فالوجوب مشروط بحصول النصاب‌حتی اذا انتفی فلاوجوب.

الثالث ان فی نصب الامام استجلاب منفعة لاتحصی و استدفاع مضار لايخفی وكل ماهوكذلك فهو واجب ، اما الصغری فتكادتلحق بالضروريات بل‌المشاهدات و تعد من العيان الذی لايحتاج الی البيان، و لهـذا اشتهر ان مانزع[3] السلطان اكثر مما نزع[3] القران، و مايلتئم بالسنان لاينتظم بالبرهان.

و ذلك لان الاجتماع المؤدی الی صلاح المعاش والمعاد لايتم بـدون سلطان يدفع المفاسد و يحفظ المصالح ويمنع مايتسارع اليه الطباع ويتنازع عليه الاطماع، وكفاك شاهداً مايشاهد من‌استيلاء الفتن والابتلاء بالمحن بمجرد هلاك من‌يقوم بحماية الحوزة ورعاية البيضة، وان لم‌يكن علی ماينبغی فی[4] الصلاح و السداد ولم يخل عن شائبة شر وفساد، ولهذا لاينتظم امر ادنی اجتماع كرفقة طريق بدون رئيس يصـدرون

۱ــ لم يكن مطلقا « شرح » .

۲ــ مشروط به « شرح » .

۳ــ يزع « شرح ».

۴ــ من « شرح » .

عن رأيـه و مقتضى امره و نهيه، بل ربما يجرى مثل هـذا فيمابين الحيوانات العجم كالنحل لها عظيم يقوم مقام الرئيس منتظم امرها مادام فيها، فاذا هلك انتشرت الافراد انتشار الجراد و شاع فيمابينها الهلاك والفساد.

لايقال غاية الامر انه لابـد فى كل اجتماع من رئيس مطاع ينوط بـه النظام و الانتظام، لكن من اين يلزم عموم رئاسته[۱] جميع الناس وشمولها امر الدين على ماهو المعتبر فى الامامة[۲]؟

لانا نقول: انتظام امر عموم الناس على وجه يؤدى الى صلاح الدين و الدنيا يفتقر الـى رئاسة عامة فيها[۳]، اذ لو تعددت الرؤساء فى الاصقاع والبقاع لادى الـى منازعات و مخاصمات موجب لاختلال امر النظام، ولواقتصرت رئاسته على امر الدنيا لفات انتظام امر الدين الـذى هـوالمقصود الاهم والعمدة العظمى ، و امـا الكبرى فبالاجماع عندنا وبالضرورة عندالقائلين بالوجوب العقلى.

واعترض صاحب تلخيص المحصل بانالصغرى عقلى من باب الحسن والقبح وليس من مذهبكم و الكبرى اوضح من الصغرى فلا حاجة الـى التعرض للاجماع، مدفوع بانكون الشىء صلاحاً او فساداً ليس فى شىء[۴] من متنازع الحسن و القبح و كون دفـع الضرر واجباً بمعنى استحقاق تاركه العقاب عندالله تعالى ليس بواضح فضلا عن الاوضح ، ولاينبغى ان يخفى مثل هذا عليه ولا ان يكون الرجل العلمى فى هذه الغاية من الشعف[۵] فىالاعتراض.

لايقال الاجماع علىالوجوب انما هو اذالم يتضمن مضرة مثلالمضرةالمندفعة

۱ــ رياستها «شرح».

۲ــ الامام «شرح»

۳ــ فيهما «شرح».

۴ــ فيه مافيه، اذكونه نصب الامام من قبلنا صلاحاً وعدمه فساداً ليس بمحل الكلام بل الكلام فى ذلك النصب وتركه، فتفطن « نورى » .

۵ــ الشغف « شرح » .

اوفـوقها، و ههنا نصب الامام يتضمن مفاسداً لايضبطها العد و الاحصاء لما فى الاراء من اختلافات الاهـواء وفـى الطباع من الاستنكاف عن تسلط الاكفاء، والانسان قليل البقاء على ما عليه من الاهتداء وصلوح الاقتداء فتميل النفوس الى الاباء والاستعصاء و يظهر الفساد و يكثر البغي والعناد[1] ويهلك الحرث والنسل و يـذهب الفرع والاصل، وكفاك شاهداً ماتسمع من قصص انقضاء خلافة عثمان الى ابتداء دولة بنى العباس.

لانا نقول: مضاره بالنسبة الى منافعه ومفاسده بالاضافة الى مصالحه مما لايعبأ[2] بكثرته ويلحق بالعدم فى قلته.

فان قيل : لووجب نصب الامام لـزم اطباق الامـة فى اكثر الاعصار على ترك الواجب، لانتفاء الامام المتصف بمايجب من الصفات سيما بعد انقضاء الدولة العباسية ولقوله صلى الله عليه واله: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضاً[3]، وقدتم ذلك بخلافة على عليه السلام، فمعاوية و من بعده مـلوك وامراء لائمة و لاخلفاء ، و اللازم منتف ، لان ترك الـواجب معصية و ضلالة و الامـة لاتجتمع على الضلالة للحـديث المشهور؟

قلنا: انما يلزم الضلالة لو تركوه عن قـدرة و اختيار لاعن عجز و اضطرار، و الحديث مع انه من باب الاحاد يحتمل الصرف الى الخلافة على وجه الكمال[4]، وقد يتمسك بمثل قوله تعالى: اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ــ ۵۹)، و قوله صلى الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، فان وجوب الطاعة والمعرفة يقتضى وجوب الحصول.

واما انه لايجب علينا عقلا ولاعلى الله اصلا، فلما مر من بطلان الاصلين[5].

۱ــ العناء ــ ط.

۲ــ اى ان كان كثيراً الايعبأ بكثرته وان كان قليلا يكون ملحقا بالعدم.

۳ــ اى ملكا بكره و جبر.

۴ــ اى ماقال صلى الله عليه واله بانقضائه هو الخلافة على وجه الكمال مطلقا.

۵ــ اى وجوب العقلى على مذهب الاشعرى باطل.

هذه زبدة ما ذكره هـذه الفرقة، فانظر الى مرتبة عقول هؤلاء و منزلـة امامهم الذى اوجبوا على الرعية نصبه ولايجب بزعمهم على‌الله و لامن‌الله ولاشرعا و لاعقلا، ثم الى استدلالهم المبتنى على نفى الرابطة العقلية بين الاشياء و الايجاب والاقتضاء و على نفى الحسن والقبح الذاتيين فى‌الافعال، فمع نفى هذين الاصلين ونفى الدواعى والغايات فى‌الافعال والاثار و تمكين الارادة الجزافية من‌الفاعل المختار لاادرى كيف يبقى لهم البحث فى شىء والاستدلال و كيف يسع لاحد غيرهم معهم مجال المناظرة والجدال والقيل والقال؟

فعلى‌مذهبهم‌لايجب من‌الله ولاعليه بعثةالرسل عليهم‌السلام ولاالوحى ولاالكتاب ولا الايمان والالهام.

ثم لم يتفكروا فى انفسهم اذاكان امامة امامهم باختيار الرعية من غيراستحقاق ذاتى و تأييد ربانى والهام غيبى، ثم اتفق ان يختاروا بعقولهم الناقصة احداً للامامة و الرئاسته العامة فى امر الدين و الدنيا ولم يكن له من العلم بالله واياته و اسرارالتنزيل وانوار التأويل شىء يعتدبه ولا له خيرمن‌الحقائق العلمية و المعارف اليقينية، فاذا قدم عليه قادم من الاخيار بل احـد من‌الحكماء العارفين باحوال المبدأ و المعاد و اراد ان ينظر فى‌حقيقة هذه الملة حتى يدخل فى‌الاسلام فكيف يكون الحال اذا كانت له مسائل مشكلة طرأت له من‌النظر والتأمل فى‌ايات القران ومافيها من‌العلوم التى عجزت‌العقول النظرية عن ادراكها، فمن الذى اجاب عن سؤالاته و تفصى عن اشكالاته؟

فان‌اصل اصول هذه‌الدين‌المتين هوالقران‌المبين والقائم به الحافظ له عن‌اوهام المضلين وزيغ‌المبطلين‌لابد ان يكون مؤيداً من عندالله بنفس قدسية والهام‌الهى وعلم لدنى، حتى‌يعلم بتعليم‌الله اسرار ايات القران و رموزه وظهره وبطنه وتفسيره وتأويله، ومثله‌يقدرعلى‌حل‌الرموز والغوامض‌ودفع‌الشكوك والنواقض‌فهذا هو اللايق‌بامر الامامة، ولماكان امره خافياً على‌الناس فلابـد فى معرفته والاهتداء بهداه والاستضاء بنوره من تعريف ونص من قبل‌الله و رسوله.

واما استدلالهم بقولـه تعالى: اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامرمنكم

(النساء ــ ۵۹)، وبقوله صلى‌الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه فقدمات ميتة جاهلية، فذلك لايدل اصلا على مذهبهم من وجوب نصب الامام عليهم، بل يدل على وجوب الطاعة له والمعرفة به كما دل على وجوب طاعة الرسول وعرفانه لاعلى وجوب نصبهم اياه.

واما القائلون بوجوبه علينا عقلا فاستدلوا على ذلك بان دفع الضرر واجب عقلا كالاجتناب من الطعام المسموم والجدار المشرف على السقوط ولوظنا، ويرد عليهم مثل مايرد على الطائفة الاولى فيقال لهم: ان وجوب اختيار شىء و دفع الضرر به فرع معرفته، فلابد اولا ان يعرف الامام بوصف ماوجب للامام ان يكون عليه حتى يجب اختياره للامامة، ومن اين لكم هذه المعرفة؟ فان استحقاقيته الامامة ليست امراً محسوساً و لابديهيا ولامما يمكن لكل احدان يعرفوا[1].

واحتج هؤلاء على عدم وجوبه على الله تعالى مع ان الوجوب على الله فى الجملة مذهبهم، بانه لووجب على الله تعالى لماخلازمان من الازمنة من امام ظاهرقاهر جامع لشروط الامامة قامع[2] لرسوم الضلالة قائم بحماية بيضة الاسلام واقامة الحدود و تنفيذ الاحكام، واللازم ظاهر الانتفاء فالملزوم منتف.

اقول: والجواب عنه اما اولافبانه منقوض بحال الرسل مع وجوب بعثة الرسول عليه تعالى عندهم، و اما ثانيا فبان النصب للامام شىء و تسليطه على الكفار والفجار باقامة الحدود و تنفيذ الاحكام شىء اخر و لايلزم من نفى احدهما نفى الاخر بل نقول:

ربماكان انتفاع الناس به من خموله و اشتغاله بتعليم العلوم اكثر من انتفاعهم به من ظهوره واستقلاله باقامة الحدود و السياسات، لان الاول ينفع للاخرة والثانى للدنيا و نفع الاخرة خيرمن نفع الدنيا لانه اهم و اتم وابقى.

و اما القائلون بوجوب نصب الامام على الله وهم اصحابنا الامامية رحمهم الله

۱ــ يعرفه ــ م.

۲ــ قاطع «شرح».

فمتکلموهم استدلوا علیه بان: نصب الامام لطف من الله فی حق العباد و اللطف واجب علیه تعالی فیکون واجباً علیه، اما الصغری فلان اللطف وهومایقرب العبد الی الطاعة و یبعده عن المعصیة متحقق بنصبه ، فان الناس اذا کان لهم رئیس قاهر یمنعهم من المحظورات ویحثهم علی الواجبات، کانوا معه اقرب الی الطاعات وابعد من المعاصی منهم بدونه، و اما الکبری فلما بینوه فی اصولهم الکلامیة.

و هذا الاستدلال لایخلو من ضعف و ذلک لقصور عقولنا عن ادراک غوامض الطاف الله فی حق عباده، و اعترض علیه مخالفوهم بانا نقول بعد تسلیم المقدمتین نصب الامام انما کان لطفا واجباً اذا لم یکن لطف اخر یقاوم له، والقول بانا نعلم ان اللطف الذی یحصل بالامام لایحصل بغیره مجرد دعوی لیس ببین و لامبین، نعم لو ادعی احد البدیهة فی کونه لطفا اذا کان قاهراً زاجراً عن القبائح قادراً علی تنفیذ الاحکام و اعلاء لواء الاسلام لکان له وجه ولکن هذا غیر واجب عندکم، فالامام الذی ادعیتم وجوبه لیس بلطف والذی هو لطف لیس بواجب.

واجابوا عنه بان: وجود الامام لطف سواء تصرف اولم یتصرف علی مانقل عن امیرالمؤمنین علیه‌السلام انه قال: لاتخلوالارض من قائم‌لله بحجة اماظاهرا مشهورا او[1] خائفا مغمورا لئلاتبطل حجج الله و بیناته، و تصرفه الظاهر لطف اخر و انما عدم من جهة العباد وسوء اختیارهم حیث اخافوه و ترکوا نصرته ففوتوا اللطف علی انفسهم، وفیه للکلام مجال و للخصم مقال.

و اما حکمائهم و عرفائهم فیعلمون بقوانینهم العقلیة والایات القرانیة عدم خلو الارض عمن یقوم به حجة لله علی خلقه، اما رسول نبی او امام وصی، و بهذا جرت سنة الله من لدن ادم و نوح و ال ابراهیم و ال عمران وهکذا الی وقت نبینا محمد صلی الله علیه واله.

لکن النبوة ختمت به اعنی نبوة الرسالة والتشریع و بقیت الامامة التی هی باطن النبوة الی یوم القیامة، فلابد فی کل زمان بعد زمان الرسالة من وجود ولی یعبد-

---

۱ــ اما «نهج».

الله على الشهود الكشفى و يكون عنده علم الكتاب الالهى و مأخذ علوم العلماء و المجتهدين، وله الرئاسة المطلقة و الامامة فى امر الدين و الدنيا، سواء الرعية اطاعوه او عصوه والناس اجابوه او انكروه، وكما كان الرسول رسولا و ان لم يؤمن برسالته احد كما كان حال نوح عليه السلام مثلا، فكذلك الامام امام وان لم يطعه احد من الرعية، وليس اذا لم يستعلج ولم يستشف المرضى من الطبيب لم يكن طبيبا، فهكذا حكم الذين هم اطباء النفوس ومعالجوا الامراض النفسانية والأدواء القلبية وهم الانبياء و الاولياء عليهم الصلوة والثناء[1].

وايضاً قاعدة الامكان الاشرف[2] دالة على وجودهم فى كل زمان كما لايخفى على من تأمل.

و ايضاً ان وجودهم غاية وجود الخلائق من الجن والانس كمادل عليه القران مطابقا للبرهان: وماخلقت الجن والانس الاليعبدون (الذاريات ـ ۵۶)، و هم العابدون العارفون بالله على بصيرة و كشف، وكما ان النبوة والرسالة ختمت برسولنا محمد صلى الله عليه واله، فالولاية والامامة يختم باخر اولاد المعصومين، وهو الذى يواطىء اسمه رسول الله صلى الله عليه واله ومعناه معناه وبوجوده اقيمت البلاد و رزقت العباد وبظهوره يملاء الله الارض قسطا وعدلا بعد ماملئت جوراً و ظلما.

و بالجملة لاتخلو الارض ابداً من حجة ، و فى حديث كميل بن زياد النخعى المنقول عن اميرالمؤمنين عليه السلام مايدل على هذا المطلب وهو قوله عليه السلام بعد كلام

۱ـ قال قدس سره فى الحديث السادس الاتى: و الحاجة الى الامام فى كل زمان اعظم و اهم من الحاجة الى غذائهم وكساهم و مايجرى مجراها من المنافع والضرورات، فوجب فى العناية الربانية ان لايترك الارض ... الى اخره، فليراجع.

۲ـ قال قدس سره فى الباب الاتى و هو الباب السادس فى شرح الحديث الاول: فان قلت : هذه القاعدة اعنى قاعدة امكان الاشرف انما يطرد فى الابداعيات التى لايفتقر وجودها الى صلوح قابل... قلنا: حكم الانواع والطبايع الكلية فى ذواتها... الى اخره، فيلراجع.

سابق: یاکمیل مات خزان الاموال[1]، والعلماء باقون مابقی الدهر، اعیانهم مفقودة و امثالهم فی‌القلوب موجودة، آه آه[2] ان هیهنا (واشاربیده الشریفة الی صدره المنشرح بنور القدس) لعلماً جما لوجدت له حملة، بلی اصیب[3] لقناً غیر مأمون یستعمل الة الدین‌فی‌الدنیا ویستظهر بحجج‌الله علی‌خلقه وبنعمه علی‌عباده، او منقاداً للحق لابصیرة له فی‌احیائه[4]، ینقدح الشك فی قلبه باول عارض من شبهة، الا لا ذا ولاذاك.

او منهوماً باللذات سلس‌القیاد للشهوات او معزماً بالجمع والادخار لیسا من رعاة الدین فی شیء، اقرب شبهاً[5] بهما الانعام السائمة، کذلك یموت العلم بموت حاملیه، اللهم بلی لاتخلو الارض من قائم لله بحجة ظاهر مشهور او مستتر مغمور[6] لئلایبطل‌حجج‌الله وبیناته، وکم ذا واین اولئك؟ اولئك والله الاقلون عدداً والاعظمون خطراً[7]، بهم یحفظ الله حجته[8] وبیناته حتی یودعوها نظرائهم و یزرعوها فی‌قلوب اشباههم،هجم بهم‌العلم‌علی حقائق‌الامور[9] وباشروا‌روح‌الیقین واستلانوا مااستوعره[10] المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنیا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلی، اولئك خلفاء الله فی‌ارضه والدعاة الی دینه، آه آه شوقا الی رؤیتهم. انتهی الحدیث وفیه دلالة علی امور:

۱ـ الاموال وهم احیاء «نهج».

۲ـ ها ان ههنا «نهج».

۳ـ اصبت «نهج».

۴ـ مأمون علیه، مستعملا الة الدین للدنیا ومستظهراً بنعم‌الله علی عباده وبحججه علی اولیائه، اومنقاداً لحملة الحق لابصیرة له فی احنائه «نهج».

۵ـ اقرب شبهاً «نهج».

۶ـ بحجة، اما ظاهراً مشهوراً واما خائفاً مغمورا «نهج».

۷ـ والاعظمون عندالله قدراً «نهج».

۸ـ حججه «نهج».

۹ـ علی حقیقة البصیرة «نهج».

۱۰ـ ما استعوره «نهج».

الاول ان العالم الحقیقی و العارف الربانی له الولایة علی الدین و الدنیا و له الرئاسة الکبری.

والثانی ان سلسلة العرفان بالله و الولایة المطقلة لاینقطع ابداً.

والثالث ان عمارة العالم الارضی و بقاء الانواع فیها بوجود العالم الربانی، وقد اقیم علیه البرهان فی الحکمة المتعالیة، فیلزم الاعتراف بوجود امام حافظ للدین فی کل زمان.

الرابع ان هذا القائم بحجةالله لایجب ان یکون ظاهراً مشهوراکهو علیهالسلام فی اوقات تمکنه من الخلافة، بل ربمایکون خاملا مستوراً کاولاده المعصومین صلوات الله علیهم اجمعین.

والخامس ان قوله علیهالسلام: هجم بهم العلم علی حقائق الیقین وباشروا روح الیقین، دال علی ان علوم اولیاءالله حاصلة بحدس تام والهام من الله وانه اطلعهم الله علی الحقائق و قذف فی قلوبهم نوراً من لدنه یریهم الله الاشیاء کماهی و هو روح الیقین، والله ولی المتقین.

الحدیث الثانی
و هوالخامس والاربعون و اربع مائة

«علی بن ابراهیم، عن ابیه عن محمد بن ابی عمیر، عن منصور بن یونس و سعدان بن مسلم عن اسحاق بن عمار، عن ابیعبدالله علیهالسلام قال: سمعته یقول: ان الارض لاتخلوا لاوفیها امام، کیما ان زاد المؤمنون شیئاً ردهم، و ان نقصوا شیئاً اتمه لهم».

الشرح

قد علمت ان الارض لاتخلو من حجة الله علی خلقه اما رسول اونائبه الامام علی الناس، فبعد انقراض زمان الرسالة لاتخلو الارض من امام هادی للخلق.

وقوله علیه‌السلام: ان زاد المؤمنون[1] الی اخره، معناه ان‌اضافوا علی‌الدین‌شیئاً لیس من الدین فیکون لامحالة من بدعة وتشریع ردهم الامام علیه‌السلام الی ماهو من الدین، و ان نقصوا من‌الدین شیئاً کاهمال فرض او تعطیل حکم من احکام الشریعة اتمه الامام لهم. وبالجملة کلما وقع منهم خطاء فی الاجتهاد قومهم الامام واصلح فسادهم فی‌جانبی الافراط والتفریط، و ذلک لانهم غیرمعصومین عن الخطاء، فلابد من امام معصوم عن‌الغلط والخطاء لیحفظ الدین عن شبهات المخطئین و اغلاط الضالین و تغلیطات المضلین.

فان قیل: هیهنا آلة میزانیة تعصم الناس عن‌الخطاء فی‌افکارهم فیکتفی بها عن الحاجة الی الامام.

قلنا: قد یقع السهو والاهمال عن مراعات تلک الالة، ولذلک وقع الغلط من المتفکرین العالمین بقوانین المیزان حتی ناقض بعضهم بعضا فی مسألة واحدة کقدم العالم وحدوثه، ولوکانت الالة کافیة فی‌العصمة لم یقع منهم الخطاء.

ثم ان بعض اسرارالدین و اطوار الشرع المبین بلغ الی حد هو خارج عن طور العقل الفکری وانما یعرف بطور الولایة والنبوة[2]، ونسبة طورالعقل و نوره الی طور الولایة ونورها کنسبة نورالحس الی نورالفکر، فلیس لمیزان الفکر کثیر فائدة و تصرف هناک.

الحدیث الثالث

و هوالسادس والاربعون واربع مائة

«محمد بن یحیی، عن احمد بن محمد عن علی بن حکم، عن ربیع بن محمد

۱ــ ای هذا الحکم یکون فی‌المؤمنین خاصة لامطلقا، فلاتغفل «نوری».

۲ــ ولله دره:

مرغان هوا ز آشیان دگراند   مردان خدا ز خاکدان دگراند

المسلی» الکوفی ابن محمد بن عمرو[1] بن حسان الاصم المسلی ، و المسیلة قبیلة من مذحج، روی عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال النجاشی، وقال ایضاً کمافی‌الفهرست: له کتاب روی عنه عباس بن عامر. «عن عبدالله بن‌سلیمان العامری»، کوفی من اصحاب الصادق علیه‌السلام، «عن ابی‌عبدالله علیه‌السلام قال: مازالت الارض الاولله فیه‌الحجة، یعرف الحلال والحرام ویدعوالناس الی سبیل‌الله».

الشرح

قد سبق فی‌شرح الحدیث الاول من احادیث هـذا الباب: ان الارض لم یزل غیرخالیة عن الامام الی قیام الساعة، والذی یزیدك فی‌هذا باب تأکیداً و ایضاحاً فوق الشواهـد العقلیة والمعالم الحکمیة ماروواه العامة والخاصة علی حد التواتر معنی وان کانت الروایات بالفاظ مختلفة عن رسول الله صلی‌الله علیه واله.

ان اوصیائه وخلفائه وائمة امته من بعده اثنی‌عشر اماماً بعدد نقباء بنی‌اسرائیل ، لایزال‌الدین بهم قیماقویما والاسلام بهم قیما مستقیما الی ان‌یقوم‌الساعة، وان‌الله تعالی جعل الامامة فی‌عقب الحسین علیه‌السلام و ذلك قوله عزوجـل : وجعلهاکلمة باقیة فی عقبه (الزخرف ـ ۲۸)، من انه صلی‌الله علیه واله قال: یکون بعدی اثنی عشر امیراً، و قال: لایزال هذا الامر فی‌قریش مابقی منهم اثنان، وفی‌روایة مابقی من‌الناس اثنان، و قال صلی‌الله علیه واله: لایزال امرالناس ماضیا ماولیهم اثنا عشر رجلا، و قال صلی‌الله علیه واله: ان هذا الدین لاینقضی حتی یمضی فیه اثنی عشر خلیفة، وقال صلی‌الله علیه واله: ان هـذا الدین لایزال عزیزاً منیفاً الی اثنی عشر خلیفة، و انه صلی‌الله علیه واله قال: لایزال هذا الدین قائما حتی یقوم الساعة ویکون علیهم اثنی خلیفة، وقال صلی‌الله علیه واله: اثنی عشر خلیفة کلهم من قریش، و فی‌روایة: لایزال الدین قائما حتی تقوم الساعة ویکون علیهم اثنی عشر خلیفة کلهم من قریش، وانه صلی‌الله علیه واله قال: ان

۱ـ عمر بن‌حسان « جش » .

عدة الخلفاء من بعدى عدة نقباء بنى اسرائيل.

فهذه الروايات باسرها مستصحبة[1] الاسانيد من طرق العامة مثبتة الصحة فى صحاحهم واصولهم جميعاً وهنالك من الطريقين مسانيد صحاح وطرق مستفيضة يجمعها انه صلى‌الله عليه واله قال: الائمة بعدى من عترتى عدد نقباء بنى اسرائيل تسعة من صلب الحسين عليه‌السلام، اعطاهم الله علمى وفهمى والتاسع مهديهم، و فى صحاحهم، الستة وجامع اصولهم انه صلى‌الله عليه واله قال: المهدى من عترتى من ولد فاطمة يملاء الارض قسطا وعدلا كماملئت ظلما و جوراً، وانه صلى‌الله عليه واله قال: لايذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى، وانه صلى‌الله عليه واله قال: لولم يبق من الدنيا الايوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا منى او من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى يملاء الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلماً و جوراً.

قال شارح المشكوة: هذه الاحاديث و اشباهها فيها دليل ظاهر على ان الخلافة مختصة بقريش ولايجوز عقدها لغيرهم وبين صلى‌الله عليه واله ان هذاالحكم الى اخر الدهر مابقى من الناس اثنان.

فنقول: من لم يكن فى عقله آفة و على بصيرته غشاوة يعلم ان هذه النصوص المتواترة الصحة دالة على ان خلفاء النبى صلى‌الله عليه واله من بعده اثناعشر اماما لاغير كلهم من قريش بهم يقوم الدين و يستقيم الاسلام الى قيام الساعة، ولم يوجد هذا العدد ولاهذا الوصف الا فى الائمة الشيعة الامامية فهؤلاء الاوصياء الخلفاء، فثبت ان الارض مازالت الا ولله فيه الحجة.

وقوله عليه‌السلام: يعرف الحلال والحرام، اى عرفانا شهوديا عن كشف الهى و الهام، لابطريق استفادة بشرية و رواية سمعية او اجتهاد رسمى او استنباط فكرى، و قوله عليه‌السلام: يدعو الناس الى سبيل الله، اى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن، كماامر الله عزوجل به الرسول صلى‌الله عليه واله فى قوله ادع الى سبيل

---

۱ ـ مستصحة ـ م.

ربك[1]... الاية، لان الامام نائب الرسول صلى‌الله عليه واله و خليفة[2] على امته، فيصنع بهم كما صنع ويعلمهم كما علم.

فالدعوة بالحكمة لقوم والموعظة لقوم والجدل لقوم اخرين، و ذلك لاختلاف قرائح الناس وتفاوت عقولهم، قال صلى‌الله عليه واله: نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم، فهكذا شأن خلفائهم و اوصيائهم، ولقدشبه التعليم بالتغذية لكون العلم مما يتقوى به الروح كما يتربى البدن بالغذى.

فالحكمة والبرهان كاللحوم ونحوها من الاغذية القوية للرجال الأصحاء، و الموعظة للمبتدى كاللبن الاطفال للناقصين، والجدل للمنحرفين عن سمت السبيل كالادوية للمرض[3] حتى يرد الى مزاجه الاصلى ويصلح معدته لهضم الطعام، فلوغذى الطفل باغذية الرجال البالغين لهلك و لوغذى المريض باغذية الأصحاء الصحيح[4] لازداد مرضه وانجر الى الهلاك، وهكذا حال اختلاف قرائح الناس الموجب لاختلاف الدعوة والتعليم.

الحديث الرابع
و هوالسابع والاربعون و اربع مائة

«احمد بن مهران، عن محمد بن على عن الحسين بن ابى‌العلا، عن ابى‌عبدالله

۱ــ النحل ــ ۱۲۵ ، قال الشيخ الرئيس فى‌الفصل الاول من المقالة الاولى من الخطابة فى منطق الشفاء : نطق الكتاب الالهى الذى لا يأتيه الباطل بين يديه و لامن‌خلفه الذى هوتنزيل العزيز الحكيم: ادع الى ربك، اى‌الديانة الحقيقية بالحكمة، اى‌البرهان، و ذلك ممن يحتمله، والموعظة الحسنة، اى الخطابة، و ذلك لمن يقصر عنه، وجادلهم بالتى هى احسن، اى بالمشهورات المحمودة، فاخر الجدل عن‌الصناعتين لان ذينك مصروفتان الى الفائدة والمجادلة مصروفة الى المقاومة، والغرض الاول هوالافادة و الغرض الثانى هومجاهدة من ينتصب للمجاهدة فالخطابة وافرة النفع فى مصالح المدن وبها يدبرالعامة.

۲ــ خليفته ــ م .

۳ــ كذا فى‌جميع النسخ: والظاهر للمرضى.

۴ــ نسخة « م » لفظة الصحيح فاقدة.

عليه‌السلام قال: قلت له: تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا».

الحديث الخامس
وهوالثامن والاربعون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان عن ابى بصير عن احـدهما عليهما‌السلام قال: قال: ان الله لم يدع الارض بغير عالم ولولا ذلك لـم يعرف الحق من الباطل».

الشرح

المراد بالعالم فى كلامهم هوالعالم الربانى الاخـذ علمه من‌الله علماً لدنيا، لان من كان علمه مأخوذا من الرواية و السماع او من افواه الرجال فليس بعالم حقيقى لما فيه من امكان تطرق الشبه والشكوك فى قلبه و احتمال الزوال لعلمه، و اما الـذى علمه مأخـوذ من البرهان النير القدسى او الالهام التام الالهى فلايزول عن علمه وان زالت الجبال‌الرواسى من‌مكانها وانقطعت‌السموات عن‌دورانها، قوله عليه‌السلام: ولولا ذلك لم يعرف الحق من‌الباطل، اى ولولا العالم الربانى او ولولا الامر كما ذكرنا: من ان الله لم يدع الارض بغير امام حتى لوفرض وقت لم يكن فى‌الارض امام ، لـم يعرف الحق من‌الباطل فى‌الامور التى عجزت عن ادراكها عقول البشر بافكارها وانما يعرف بنور الوحى او الالهام.

الحديث السادس
و هوالتاسع والاربعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن- محمد، عن على بن ابى‌حمزة عن ابى بصير، عـن ابى عبدالله عليه‌السلام قال: ان الله

اجل واعظم من ان يترك الارض بغير امام عادل».

الشرح

لماثبت ان نظام‌الدين والدنيا لايتمشى الابوجود امام يقتدى به الناس ويأتمون به ويتعلمون منه سبيل هداهم و تقواهـم ، والحاجة اليه فى كل زمان اعظم و اهم من الحاجة الى غذاهم وكساهم ومايجرى مجراهما من‌المنافع و الضرورات، فوجب فى العناية الربانية ان لايترك الارض ولا يدع الخلق بغير امام والالزم احد الامور الثلاثة: اما الجهل وعدم‌العلم بتلك الحاجة او النقص وعدم القدرة على خلقه او البخل والضنة بوجوده والكل محال[۱]، والله اجل واعظم مما يستلزم احد هذه الامور.

الحديث السابع
و هوالخمسون و اربع مائة

«على بن محمد؛ عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب ، عن ابى اسامة، و على بن ابراهيم ، عـن ابيه، عـن الحسن بن محبوب، عـن ابى اسامة ؛ و هشام بن سالم ، عـن ابى حمزة عـن ابى اسحاق ، عمن يثق به من اصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام ان اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال : اللهم انك لاتخلى ارضك من حجة لك على خلقك».

۱ــ هذااشارة الى سرقاعدة الامكان‌الاشرف، اعلم ان‌الائمة مشتركون فى‌مطلق‌الارشاد والهداية وان اختلفت فى‌خصوصياتها، وهذا المطلق لايكون متوقفاً على‌الاستعداد والايمكن ان يكون مختلفا بحسب اختلاف الاستعدادات، و لما لم يكن المطلق متوقفاً على الاستعداد فبرهان الامكان الاشرف يجرى فيه‌كما يجرى فى الانواع من حيث هى انواع، لان النوع من حيث هو نوع لايحتاج الـى المادة و الاستعداد، لان‌كل الاشخاص مشترك فيماكان من مقتضيات الانوع و لوازمه مـع اختلاف استعداد الاشخاص، فمايكون فى‌الكل متفقاً و على نهج واحـد من غيراختلاف مع‌كون الاستعدادات مختلفة لايكون مستنداً الى الاستعدادات المختلفة، ويمكن ان يكون مجرداً كلياً كما فى‌الذهن «نورى».

الشرح

لاتخلى صيغة مضارع من باب‌الافعال من خلاء الاناء مما فيه، يخلوخلواً وخلى لك الشيء و اخلا بمعنى و اخليت المكان صادفته خاليا، و استخلاه مجلسه‌ای سأله ان يخليه له، و اخليت اى خلوت و اخليت غيرى يتعدى ولايتعدى.

و كلامه عليه‌السلام مناجاة وحمد وليس بدعاء وطلب، كأنه قال: اللهم انك بلطفك وجودك على عبادك لاتخلى ارضك من‌حجة لك عليهم ليهتدوا به سبيل قربك و رحمتك وينجوا به عن عقابك وغضبك.

الحديث الثامن
و هوالحادى والخمسون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل»، له‌كتاب روى عنه الحسين بن‌على اللؤلؤى الشعيرى، كذا فى‌الفهرست، وقال الفاضل الاسترابادى: يحتمل‌كونه الازدى الاتى اسمه واراد به محمد بن فضيل الازدى‌الصيرفى من‌اصحاب الرضا عليه‌السلام‌الذى يرمى بالغلو وقدمرذكره. «عن‌ابى‌حمزة عن‌ابى‌جعفرعليه‌السلام قال، قال: والله ماترك الله ارضا مند قبض ادم عليه‌السلام الاوفيها امام يهتدى به الى الله وهوحجته على عباده ولاتبقى الارض بغيرامام حجة لله على عباده».

الشرح

اراد عليه‌السلام بالامام مقتدى‌الخلائق اعم من ان يكون رسولا اوخليفة رسول، فان الارض تخلو من احدهما لابعينه وان جاز خلوهامن احدهما بسبب حصول الاخر، ومعنى‌كون الامام والنبى‌حجةلله على‌العباد انه اذا لم يكن احدهما فى‌الارض لم يعرف العباد خالقهم ومبدئهم و معادهم، و اذا جهلوا باحوال مبدئهم و معادهم جهلوا بكيفية اكتساب مايقربهم اليه و الى ثوابه والاجتناب عما يبعدهم عنه ويوجب عقابهم، فلم

يكونوا مكلفين بالعبودية والطاعة.

اذالتكليف فرع معرفة المكلف والمكلف به، و اذا خرجوا عن‌حدود التكاليف خرجوا عن‌حدود الانسانية الى‌حدود البهيمية فلم‌يستحقوا ثوابا ولاعقابا كسائرالبهائم، وكماليس لله حجة على البهائم والحشرات فكذلك حكم من لاامام له، ولهذا ورد عنه صلى‌الله عليه واله: من مات ولم يعرف امام زمانه فقدمات ميتة جاهلية.

و ليس فى‌قوله: ولاتبقى الارض بغير امام حجة لله على عباده، تكرار لما مضى من قوله، اذ الاول لبيان حاجة العباد للاهتداء الى الله و الى سبيل النجاة فى‌الأخرة اليه، والثانى لبيان ان الارض لاتبقى معمورة لتعيش الخلق الا به، لما سبق ان الحاجة الى النبى ومن ينوبه فى‌المعاد و المعاش جميعاً لا فى‌المعاد وحده ، فالفقرة الثانية لبيان الثانى و قوله: فيها حجة لله على عباده، صفة موضحة للامام وليس للتعليل.

الحديث التاسع

و هوالثانى والخمسون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمدعن بعض اصحابنا، عن ابى على بن‌راشد»، اسمه حسن وقد مروصفه. «قال: قال ابوالحسن عليه‌السلام: ان الارض لاتخلو من حجة وانا والله ذلك الحجة».

الشرح

اى انا والله ذلك الحجة الذى لاتخلو الارض منه فى‌هذا الوقت، و اما علمه عليه‌السلام بكونه‌حجة فبوجهين: احدهماالوجدان والكشف التام‌الذى به يعلم الانسان حال نفسه، فهو عليه‌السلام‌كان يعلم من نفسه انه يقع اليه الالهام من‌الله فى‌معرفة امور يعجز عقول الخلائق عن ادراكها من احوال المبدأ والمعاد ومعرفة النفس ومافوقها و ماتحتها ومايسعدها و مايشقيها، ويجد ايضاً التأييد منه تعالى فى قوة المجاهدة مع

النفس والصبر على الشدائـد والزهـد فى‌الدنيا وغير ذلك من الاخلاق العظيمة التى يختص بامثالهم من الانبياء و الاولياء عليهم‌السلام.

و ثانيهما بالنصوص الواقعة عليه من ابيه و ابائه واجـداده عليه و عليهم‌السلام كما سيجىء ذكره.

الحديث العاشر
وهوالثالث والخمسون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى؛ عن محمد بن الفضيل، عن ابى حمزة قال: قلت لابى عبدالله عليه‌السلام، تبقى[1] الارض بغير امام؟ قال: لوبقيت الارض بغير امام لساخت».

الشرح

قوله: لساخت، اى انخسفت، ويقال: ساخت قوائمه فى‌الارض تسوخ وتسيخ اى دخلت فيها وغلبت.

والسبب اللمى الحكمى فى‌ذلك ان الله تعالى لما خلق الموجـودات المترتبة فى‌الشرف و الخسة على سنة الابـداع حتى بلغت نهايتها فى‌الدنائة و وصلت مركزها فى‌السفالة وهى‌الموادالعنصرية سيما الارضية التى هى منبع‌الخسة والكثافة والبعد عن اللطافة، ارادان يرتقى بها الى غايتها فى‌الشرف والعلومع مايزيدعليها مما يحصل لها من جهات الامتزاج والتركيب و لاتناهى اعـداد الافراد لانحفاظ الانواع وبقائها الى ماشاء واراد، فجعل فى‌هذه الموجودات العائدة كل ماهو اشرف و اعلى سبباكماليا و علة غائية لما هواخس وادنى.

فخلق الارض للنبات والنبات للحيوان والحيوان للانسان و اخر درجة الانسان الذى هوغاية هذه الاكوان هو مافى مرتبة الامامة اعنى الانسان الكامل الذى هوسلطان

۱ـ اتبقى؟ (الكافى).

العالم الارضی و خليفة الله فيه، فالارض و مافيها انما خلقت لاجله، و كل ماخلق لاجل شیء فمتی لم يكن لم يكن ذلك الشیء[1]؟ فمعنی قوله: لو بقيت بغير امام لساخت، ای لوفرض انها خلت من امام لهلكت وسقطت عن درجة الوجود.

الحديث الحادی عشر
وهوالرابع والخمسون و اربع مائة

«علی بن ابراهيم، عن محمد بن عيسی، عن محمد بن الفضيل، عن ابی الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: اتبقی الارض بغير امام؟ قال: لا، قلت: فانا نروی عن ابی عبدالله عليه السلام انها لاتبقی بغير امام الا ان يسخط الله تعالی علی اهل الارض او علی العباد، فقال: لا، لاتبقی اذاً لساخت».

الشرح

يعنی ان الارض لاتبقی بغير رسول او امام سواء كان الله ساخطاً علی اهلها ام لا.

و ذلك لمامر ذكره من ان وجوده سبب لوجودها ، و بقائه سبب لبقائها ، و لايقوم المسبب بدون سببه كماهو قاعدة العلة و المعلول ، و سنزيدك ايضاحاً و تاكيداً.

وقوله: اوعلی العباد، هذا الترديد شك من الراوی اومن محمد بن الفضيل.

الحديث الثانی عشر
و هوالخامس والخمسون و اربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلی بن محمد عن الوشاء قال: سألت ابا الحسن

۱ــ ذلك الشیء لكان هالكا ــ ط.

الرضا عليه‌السلام هل تبقى الارض بغير امام؟ قال: لا، قلت: انا نروى انها لاتبقى الاان يسخط الله عزوجل على العباد؟ قال: لاتبقى اذاً لساخت».

الشرح

قد مر شرحه.

تذنيب

لايخفى على كل عاقل ان من كان له ادنى بصيرة ولم يعم عين قلبه بغشاوة العصبية والتقليد ونظر فى هذه المأثورات وماثبت عن رسول‌الله صلى‌الله عليه واله بالنقل الشائع المشهور بطرق متكاثرة انـه قال: الخلفاء او الائمة بعدى اثنى عشر كلهم من قريش، و قال: لايزال الاسلام عزيزاً او هذا الدين قائما حتى يقوم الساعة ويكون عليهم اثناعشر خليفة، او مايجرى مجرى هذه الالفاظ كما مر مع ماشاع و ذاع من قوله صلى‌الله عليه واله: انى تارك فيكم الثقلين... الحديث، وسائرما ورد فى فضائل اهـل البيت عليهم السلام، لعلم يقينيا ان المذهب الحق هو مذهب الشيعة الامامية، اى محققيهم الذين اهتدوا بهدى الائمة الطاهـرين عليهم السلام و ساروا بسيرتهم من طلب الحق و الاعـراض عن الاغراض الدنيا، لاالجهلة والحمقى الذين وجهة قصدهم التعصب والرياء والعداوة والبغضاء واللعن والطرد و ايلام الخلق و ايذاء البرايا.

ثم من العجب ان جماعة من علماء العامة ضاق عليهم المخرج من النقل المتواتر عن النبى صلى‌الله عليه واله ان القائـم بالامر بعده اثناعشر خليفة وليس هـم الا ائمة الامامية، فحاولوا التفصى عنه والتجئوا الى القول بان المراد الخلفاء من بعده الى عمرو بن عبدالعزيز فان به يتم عدد الاثنا عشر.

و لايخفى لعاقل ان الذى ذكروه سفاهة لايستحق الاصغاء اليها ولا الاعتباربها.

اما اولا فان الاحاديث المذكورة ناطقة تصريحاً وتفهيما باستمرار الامر بالاثنا-عشر الى اخر الدهر وقيام الخلافة بهم الى قيام الساعة.

واما ثانيا فلان حديث نعت[1] النبی صلی‌الله علیه واله و رؤياه المشهورة بين الجمهور ينافيه، وهی ان رجالا من امته ينزون على منبره بعده نزوة القردة يردون الناس على اعقابهم القهقرى، وهو ثابت الصحة متواترة النقل بين الفريقين، و قوله سبحانه فی التنزيل الكريم: و ماجعلنا الرؤيا التی اريناك الافتنة للناس والشجرة الملعونة فی القران (الاسراء ـ ۶۰)، مفسر بذلك، والشجرة الملعونة بنی امية.

اما من طريق اهل البيت عليهم السلام فقد ثبت لدى الخاصة من طرق غير محصورة.

واما من طريق الجمهور فقد رواه علامتهم الزمخشری فی الكتاب بقوله فی تفسير هذه الاية: قيل هی رؤياه انه سيدخل مكة وقيل: رأى فی المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

فقال الشارحون : الولد ههنا للجنس ، ای اولاد الحكم يعنی نوافل الحكم و هو الجد الاعلى لمعاوية ويزيد و فعلهم بالحسن و الحسين عليهما السلام تعبير هذه الرؤياء.

وقال النيشابوری فی تفسيره: الثالث من الاقوال قول سعيد بن مسيب وابن عباس فی رواية عطاء : ان رسول الله صلی الله علیه واله رأى بنی امية ينزون على منبره نزو القردة فسائه ذلك ، و قالوا فی بيان الشجرة الملعونة عن ابن عباس: الشجرة الملعونة بنو امية.

وقال علامتهم الفخر الرازی فی التفسير الكبير: والقول الثالث فی الرؤيا قال سعيد بن مسيب رأى رسول الله صلی الله علیه واله الى قوله فسائه ذلك، وهذا قول ابن عباس فی رواية والاشكال فيه ان[2] هذه الاية مكية و ماكان لرسول صلی الله علیه واله بمكة منبر، قال : ويمكن ان يجاب عنه بانه لايبعد ان يرى بمكة ان له بالمدينة منبراً يتداوله بنو امية.

۱ـ نعسة ـ م.

۲ـ فی رواية عطاء والاشكال المذكور عائد فيه لان هذه... «التفسير الكبير».

ثم قال: القول الثانی فی الشجرة الملعونـة: قال ابن عباس: الشجرة الملعونة فی القران المرادبها بنوامیة الحکم بن ابی العاص و ولده، قال: رأی رسول الله صلی الله علیه واله فی المنام ان ولد مروان یتداولون منبره، فقص رؤیاه علی ابی بکر وعمر وقد خلا فی بیته معهما، فلما تفرقـوا سمع رسول الله صلی الله علیه واله الحکم یخبر برؤیا رسول الله صلی الله علیه واله فاشتد ذلك علیه واتهم عمر فی افشاء سره، ثم ظهران الحکم کان یتسمع الیهم فنفاه رسول الله.

ومما یؤکد هذا التأویل قول عائشة لمروان: لعن الله اباك وانت فی صلبه فانت بعض من لعنه الله. انتهی ماقاله فی تفسیر هذه الایة بعبارته.

ثم قال فی تفسیر سورة القـدر فی قوله تعالی: لیلة القـدر خیر من الف شهر (القدر ـ ۳)، روی القاسم بن فضل عن عیسی بن مـازن قال: قلت للحسن یامسود وجوه المسلمین[۱] عمدت الی هذا الرجل فتابعت معدله[۲] یعنی معویة؟ فقال: ان رسول ـ الله صلی الله علیه واله رأی فی منامه بنی امیة یطئون منبره واحد بعد واحد، و فی روایة ینزون علی منبره نزوالقردة، فشق ذلك علیه فانزل الله: اناانزلناه فی لیلة القدرالی قوله خیرمن الف شهر، یعنی ملك بنی امیة، قـال القاسم: فحسبنا ملك بنی امیة فـاذا هوالف شهر.

طعن القاضی فی هذه الوجه فقال: ما ذکره من الف شهر لیس فی ایام بنی امیة[۳] لانه تعالی لایذکرفضلها بذکر الف شهر مذمومة، وایام بنی امیة مذمومة. واعلم ان هذا الطعن باطل[۴] لان ایام بنی امیة کانت ایاماً عظیمة بحسب السعادات الدنیویة، فلایمتنع ان یقول الله تعالی: انی اعطیتك لیلة هی فی السعادات الـدینیة افضل من تلك الایام فی السعادات الدنیویة. انتهی کلامه بالفاظه.

۱ـ المؤمنین «التفسیر».

۲ـ فبایعت له «التفسیر».

۳ـ بنی امیة بعید «التفسیر».

۴ـ ضعیف «التفسیر».

وقال البیضاوی فی تفسیره: وقیل : رأی رسول الله صلی الله علیه واله قوماً من بنی امیة یرقون منبره وینزون علیه نزو القردة فقال: هو حظهم من الدنیا یعطونها باسلامهم، وعلی هذا کان المراد بقوله الا فتنة للناس ماحدث فی ایامهم، والشجرة الملعونة فی القران عطف علی الرؤیا ثم قال: وقد اولت بالشیطان و ابی جهل و الحکم بن ابی العاص. انتهی قوله.

وقال امین الاسلام ابوعلی الطبرسی طاب ثراه فی تفسیره المسمی بمجمع البیان وفی تفسیره الوجیز المسمی بجامع الجوامع: وثالثها ای ثالث الاقوال: ان ذلک رؤیا رآها النبی صلی الله علیه واله فی منامه ان قروداً تصعد منبره و تنزل فسائه ذلک واغتم به، رواه سهل بن سعید عن ابیه: ان النبی صلی الله علیه واله رأی ذلک وقال: انه صلی الله علیه واله لم یسمع بعد ضاحکا حتی مات، و روی سعید بن یسار وهو المروی عن ابی جعفر و ابی عبدالله علیهما السلام و قالوا علی هذا التأویل : ان الشجرة الملعونة فی القران هی بنو امیة اخبره الله تعالی بتغلبهم علی مقامه وقتلهم ذریته.

روی عن المنهال بن عمرو قال دخلت علی علی بن الحسین علیه السلام فقلت له : کیف اصبحت یابن بنت[1] رسول الله : فقال : اصبحنا والله بمنزلة بنی اسرائیل من ال فرعون یذبحون ابنائهم و یستحیون نسائهم واصبح خیر البریة بعد رسول الله صلی الله علیه واله یلعن علی المنابر واصبح من یحبنا منقوصا حقه لحبه ایانا، و قیل للحسن البصری[2]: یا اباسعید قتل الحسین بن علی علیه السلام فبکی حتی اختلج جنباه ثم قال: واذلاه لامة قتل ابن دعیها ابن نبیها. انتهی کلامه.

فاذن حدیث المنام ناص بمنطوقه علی ان دین الاسلام بعد رسول الله صلی الله علیه واله قائم باثنا عشر اماما لیس احد من اولئك المدعین منهم. و بالجملة اذا کان الامر علی هذا المنهاج فکیف یستصح ذو بصیرة وقسط من الدین ان یکونوا بنوامیة وهم القرود و الشجرة الملعونة من ائمة الدین بعد الرسول صلی الله علیه واله النازلین

۱ـ یا بن «مجمع».

۲ـ للحسن یا ابا سعید «مجمع».

منزلة القائمين مقامه؟

واما ثالثا فلان من الامــراء المستكمل بهم نصاب العدد عندهــم الى عمر بن-عبدالعزيز يزيد بن معوية و مروان بن الحكم ابن ابى العاص بن امية بن عبدالشمس بن عبد مناف، اما يزيد فمن اشقى المقرنين فى‌الاصفاد و اخــرى المقمحين بالاغلال فى‌العذاب الشديــد ، و اما مروان فقدكان يقال له الطريد ابن طريد، لما قدكان طرد رسول‌الله صلى‌الله عليه واله ونفاه الى الطائف، وقيل: طرده الى‌الربذة، ثم الى‌الطائف فارجعهما عثمان الــى المدينة و نفى اباذر الى الربــذة ، و من المتفق على صحته ان رسول‌الله صلى‌الله عليه واله سماه: الوزغ ابن‌الوزغ و الملعون بن ملعون، قال حافظ الدميرى الشافعى فى موضعين من كتاب حيوة الحيوان.

روى الحاكم فى كتاب‌الفتن والملاحم من المستدرك عن عبدالرحمن بن‌عوف انه قال: كان لايولد لاحد مولود الا اتى الى النبى صلى‌الله عليه واله فيدعوله، فادخل عليه مروان بن‌الحكم فقال: هوالوزغ بن الوزغ الملعون بن‌الملعون، ثم قال: صحيح الاسناد، و روى بعده بيسير عن‌محمد بن‌زياد قال: لمابايع معوية لابنه يزيد قال مروان: سنة ابى‌بكر وعمر، فقال عبدالرحمن بن ابى‌بكر: سنة هرقــل وقيصر، فقال له مروان: انت الذى انزل الله فيك: والذى قال لوالديه اف لكما (الاحقاف ـ ۱۷)، فبلغ ذلك عايشة فقالت : كذبت و الله ماهو به ولكن رسول‌الله صلى‌الله عليه واله لعن ابا مروان و مروان فى صلبه.

ثم روى الحاكم عن عمرو بن‌مرة الجهنى وكانت له صحبة رسول‌الله صلى‌الله عليه واله قال : ان الحكم بن عاص استأذن على النبى صلى‌الله عليه واله فعرف صوته فقال: ائذنواله لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه الا المؤمن منهم وقليل ماهــم، يشرفون فى‌الدنيا و يصنعون[1] فى‌الاخــرة ذومكر و خديعة يعطون فى‌الدنيا ومالهم فى الاخرة من خلاق. انتهى كلامه.

ومن بعده عبدالملك بن‌مروان الجابرالغشوم الظلوم المقدام على سفك الدماء،

۱ــ يضعون ــ م ــ يترفهون فى‌الدنيا ويضيعون «حيوة الحيوان».

هو و كل من عماله كالحجاج بن‌يوسف و اخيه والمهلب بن ابى صفرة وغيرهم، كان يلقب برشح الحجر لبخله، جائته الخلافة وهو يقرء القران فطبقه وقال[1]: هذا فراق بينى و بينك.

ومن بعده الوليد بن عبدالملك، وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز قال: لما الحدت الوليد ارتكض فى اكفانه وغلت يداه الى عنقه، نستعيذ بالله من عذاب الله[2].

فاما بعد عمر بن عبدالعزيز فمنهم يزيد بن عبدالملك المعروف بالفاسق[3]، قال: خذوا بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فصار[4] بسيرته اربعين يوماً فدخل عليه اربعين رجلا من مشايخ دمشق وحلفوا له انه ليس على الخليفة[5] حساب ولاعقاب فى الاخرة وخدعوه بذلك فانخدع لهم فتولع بالفجور والفسوق.

ومنهم ولده وليد بن يزيد اوغل فى المعصية منه، فهم عمه هشام بن عبدالملك بقتله لاشتهاره بالفسق و استخفافه بالدين وانهماكه فى شرب الخمر و مجاهرته بالكفر والزندقة، ففر منه وصار لايقيم بارض خوفا منه على نفسه، بويع له بالخلافه يوم موت هشام وهو اذ ذاك بالبرية فاراً من مخافته[6] فنبذ فى خلافته الاخرة وراء ظهره وتوغل فى الولوع على المنكرات حتى انه واقع جاريته[7] وهو سكران وجائه المؤذنون يؤذنونه بالصلوة فخلف ان لايصلى بالناس الا هى، فلبست ثيابه وتنكرت و صلت بالمسلمين وهى سكرى متلطخة بالنجاسات على الجنابة.

وحكى اهل السير و الاخبار انه اصطنع بركة من خمر وكان اذا طرب القى

۱ـ سلام عليك هذا «حيوة الحيوان».

۲ـ نسأل الله العافية والسلامة «حيوة الحيوان».

۳ـ قال الدميرى فى كتاب حيوة الحيوان: قال بعض المؤرخين: ان يزيد هذا هو المعروف بالفاسق وهو غلط، وانما الفاسق ولده الوليد كما سيأتى.

۴ـ فساروا «حيوة الحيوان».

۵ـ الخلفاء «حيوة الحيوان».

۶ـ فاراً من عمه هشام «حيوة الحيوان».

۷ـ جارية له «حيوة الحيوان».

نفسه فيها و يشرب منها حتى يبين النقص من اطرافها[1]، وحكى صاحب الكشاف والدميرى: ان الوليد تفأل يوماً فى المصحف وخرج له قوله تعالى: واستفتحوا و خاب كل جبار عنيد (ابراهيم ـ ۱۵)، فمزق المصحف وانشأ يقول:

اتـوعـد كل جبار عنيد؟ فها انـا ذاك جبـار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقنى الوليد

فاجمع اهل دمشق على قتله، فلما دخلوا عليه فى قصره قال: يـوم كيوم عثمان، فقتلوه وقطعوا رأسه وطيف به فى دمشق.

فانظروا يا اهـل العقل والانصاف هـل يستصح ذومسكة ان يقال ان رسول الله صلى الله عليه واله يقول لايزال الاسلام عزيزاً والـدين قائماً ما وليهم اثنى عشر رجلا من امثال هـؤلاء الخلفاء من الشجرة الملعونة ؟ ثم العالم المستبصر يعلـم ان حديث نزو القردة ليس بتخصيص[2] هؤلاء اى يزيد ومابعده، بل يرتقى منهم الى معوية بن ابى-سفيان وماقبله.

ومن ثم قال علامتهم التفتازانى فى شرح المقاصـد بهذه العبارة: ان ماوقع بين الصحابة من المشاجرات على الوجه المسطور فى كتب التواريخ والمذكور على السنة الثقاة يدل بظاهره على ان بعضهم قد جاوز عن طريق الظلم[3] والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد والحسد واللداد وطلب الملك والرئاسة والميل الى اللذات والشهوات، اذ ليس كل صحابى معصوما و لا كل من لقى النبى صلى الله عليه واله بالخير موسوماً، الا ان العلماء لحسن ظنهم باصحاب رسول الله صلى الله عليه واله قد ذكروا لها محامل وتأويلات بها يليق، او ذهبوا الى انهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائـد المسلمين عن الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابـة سيما المهاجرون منهم و الانصار والمبشرين بالثواب فى دار القرار.

۱ـ فى «حيوة الحيوان».
۲ـ يختص بهؤلاء ـ م.
۳ـ قد حاد عن طريق الحق و بلغ حد الظالم «شرح المقاصد».

و اما ماجری بعدهم من الظلم علی اهل بیت النبی صلی الله علیه و اله فمن الظهور بحیث لامجال للاخفاء و الشناعة بحیث لا اشتباه علی الاراء یکادتشهد به الجماد و العجماء ویبکی لـه الارض[1] والسماء و تنهدم[2] منه الجبال وتنشق لـه الصخـور[3] ویبقی سوء عملهم علی کنز[4] الشهور و مرالدهور، فلعنة الله علی من باشراوامر اورضی اوسعی، و لعذاب الاخرة اشد و ابقی (طه ــ ۱۲۷).

فان قیل: فمن علماءالمذهب من لم یجوزاللعن علی یزید مع علمهم بانه یستحق مایربوا علی ذلك ویزید.

قلنا : تحامیاً علی ان یـرتقی الی الاعلی فالاعلی کماهـو شعار الروافض علی مایروی فی ادعیتهم ویجری فی اندیتهم، فرأی المعتنون بامرالدین الجام العوام بالکلیة طریقا الی الاقتصاد فی الاعتقاد بحیث لاتزل الاقدام عن السواء ولاتضل الافهام بالاهواء، والا فمن الـذی یخفی علیه الجواز والاستحقاق و کیف لایقـع علیه[5] الاتفاق؟ انتهت عبارته بالفاظها.

و من المستغرب فیما نحـن فیه من صاحب کتاب الملل و النحل محمد بـن۔ عبدالکریم الشهرستانی وهومن نحاریرهم وعظماء علمائم حیث قال فی مقدمات کتابه : المقدمة الثالثة فی بیان اول شبهة وقعت فی الخلیقة و من مصدرها فی الاول ومن مظهرها فی الاخر.

اعلم اناول شبهة وقعت فی الخلیقة شبهة ابلیس علیه اللعنة، ومصدرها استبداده بالرأی فی مقابلة النص و اختیاره الهـوی فی معارضة الامر و استکباره بالمادة التی خلق منها وهی النار علی مادة ادم علیه السلام وهی الطین، وانشعبت عن هذه الشبهة سبع

۱ــ لهمن فی الارض «شرح».

۲ــ تنهد «شرح».

۳ــ تنشق الصخور «شرح».

۴ــ عمله علی کر «شرح».

۵ــ علیها «شرح».

شبهات وسارت فی‌الخليقة وسرت فی‌اذهان الناس حتی صارت مذاهب بدعة وضلالة، و تلك الشبهات مسطورة فی‌شرح الاناجيل الاربعة: انجيل لوقا و مارقوس و يوحنا و متی، مذكورة فی التورية متفرقة علی شكل المناظرة بينه و بين‌الملائكة بعدالامر بالسجود و الامتناع[1].

و ذكر تلك‌السبع وما نشأت منها من‌الشبهات فی‌سائر الامم و قال: انها بالنسبة الی سائر الشبهات وانواع الضلالات كالبذر[2] ويرجع جملتها الی‌انكار الامر بعدالاقرار والاعتراف بالحق والی الجنوح الی الهوی فی‌مقابلة النص، وختم الكلام بقوله: قال صلی‌الله عليه‌واله جملة: لتسلكن سبيل‌الامم قبلكم حذوالقذة بالقذة[3] والنعل بالنعل‌حتی لودخلوا حجرضب لدخلتموه.

ثم قال: المقدمة الرابعة فی‌بيان اول شبهة وقعت فی الملة الاسلامية وكيفية[4] انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها، وكما قررنا ان‌الشبهات التی وقعت فی‌اخرالزمان هی‌بعينها تلك‌الشبهات التی وقعت فی‌اول‌الزمان، كذلك يمكن ان يقرر فی كل زمان[5] نبی و دوركل صاحب ملة وشريعة ان شبهات امته فی اخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من‌الكفار والمنافقين[6]، وان خفی علينا ذلك فی‌الامم السالفة لتمادی الزمان، فلم يخف من[7] هذه الامة ان شبهاتها كلها انشأت[8] من شبهات منافقی زمن النبی‌صلی‌الله‌عليه‌واله، اذلم‌يرضوابحكمه‌فيماكان يأمر وينهی وشرعوا فيمالامشرع[9] فيه

۱ـ والامتناع منه «الملل».

۲ـ كالبذور «الملل».

۳ـ القدة بالقدة «الملل» القدة: القطعة من الشیء.

۴ـ وكيف «الملل».

۵ـ نقرر فی زمان‌كل «الملل».

۶ـ واكثرها من المنافقين «الملل».

۷ـ فی «الملل».

۸ـ نشأت «الملل».

۹ـ مسرح «الملل».

الکفرو لامسری وسألوا عما منعوا من الخوض فیه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فیما لایجوز الجدال فیه.

فهذا ماکان فی زمانه صلی الله علیه واله و هـو علی شوکته وقدرته وصحة بدنه، فالمنافقون یخادعون فیظهرون الاسلام ویبطنون النفاق، وانما یظهر نفاقهم فی کل وقت بالاعتراض علی حرکات النبی صلی الله علیه واله وسکناته[1] فصارت الاعتراضات کالبذور وظهرت منه الشبهات کالزروع.

فاول تنازع وقع فی مرضه صلی الله علیه واله فیمارواه الامام ابوعبدالله محمد[2] بن اسمعیل البخاری باسناده عـن عبدالله بن عباس قال: لما اشتد بالنبی صلی الله علیه واله مرضه الذی توفی فیه قال: اتونی[3] بدواة وقرطاس اکتب لکم کتاباً لاتضلوا بعدی، فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا کتاب الله، وکثر اللغط[4] فقال النبی صلی الله علیه واله: قوموا عنی لاینبغی عندی التنازع، قال ابن عباس: الرزیئة کل الرزیئة ماحال بیننا وبین کتاب رسول الله. انتهی کلامه بالفاظه. وفی کلام امامهم الامدی علی مضاهاة ذلک.

ونحن نقول: ومن تلک الاعتراضات و الشبهات مافی صحیح البخاری ومسلم وسائر صحاحهم و اصولهم مما صدرعن عمر فی صلح حدیبیة وما صدر عنه فی التمتع فی حجة الوداع.

و روی البلاذری: لماقتل ذبیح الله الحسین بن علی علیه السلام کتب عبدالله بن عمر الی یزید بن معویة اما بعد: فقد عظمت الرزیئة وجلت المصیبة وحدث فی الاسلام حدث عظیم و لایـوم کیوم الحسین علیه السلام، فکتب الیه یزید اما بعد: یا احمق فانا جئنا الی بیوت منجدة[5] وفرش ممهدة و وسائد منضدة فقاتلنا عنا، فان یکن الحق لغیرنا

۱ــ علی حرکاته وسکناته «الملل».
۲ــ فیما رواه محمد بن... «الملل».
۳ــ ایتونی «الملل».
۴ــ اللغط «الملل» اللغط: الصوت والجلبة ـ الاصوت المبهمة لاتفهم.
۵ــ ای: مرتفعة :

فابوك اول من سن هذا و ابتز[۱] واستأثر بالحق على اهله، و من هيهنا قيل: قتل الحسين عليه السلام يوم السقيفة، وقيل ايضاً:

باسياف ذاك البغى اول سلها　　　اصيب على لابسيف ابن ملجم

ومما يدل على مانحن فيه انه قد صح فی باب الحشر من مشكوتهم ومصابيحهم وفی غير ذلك من ابواب صحاحهم عن ابن عباس عن النبی صلی الله عليه واله انه قال لاصحابه: انكم محشورون حفاة عراة غرلا[۲]، ثم قرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا اناكنا فاعلين (الانبياء - ۱۰۴)، الا ان اول[۳] من يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام وان ناساً من اصحابی يؤخذ بهم ذات الشمال فاقول: اصحابی، اصحابی و روی ايضاً اصيحابی اصيحابی، فيقال: انك لاتدری ما احدثوا بعدك انهم لن يزالوا مرتدين على اعقابهم مذ فارقتهم، فاقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنی كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شیء شهيد[۴].

ومن طريق اخر: سيجاء برجال من اصحابی فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول: يارب اصحابی فيقول: لا لاتدری ما احدثوا بعدك انهم لايزالون مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم.

ومن طريق اخر: يرد علی يوم القيامة رهط من اصحابی فيخلون عن الحوض فاقول: يارب اصحابی فيقول: انك لاعلم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقری.

ومن طريق اخر فيقال: انهم كانوا يمشون بعدك القهقری، وايضاً قد نقل فی صحاحهم الستة والمشكوة والمصابيح انه قال صلی الله عليه واله: سيكون بعدی اثرة، وانه قال صلی الله عليه واله للاصحاب: انكم ستحرصون على الامارة وسيكون ندامة

۱- ای استلبه قهراً .

۲- ای غير مختونين وهو الاقلف.

۳- و اول «مشكوة المصابيح».

۴- المائدة - ۱۱۷، وفی مشكوة المصابيح: ما دمت فيهم الی قوله: العزيز الحكيم.

یوم القیامة، فنعمت المرضعة و بئست الفاطمة[1].

وانه قال صلی‌الله علیه و اله لکعب بن عجزة: اعیذك بالله من امارة السفهاء قال: وما ذاك یا رسول‌الله؟ قال: امراء سیکونون بعدی من دخل علیهم فصدقهم بکذبهم و اعانهم علی ظلمهم فلیسوا منی ولست منهم ولن یردوا علی الحوض، ومن لم یدخل علیهم ولم یصدقهم بکذبهم ولم یعنهم علی ظلمهم فاولئك منی وانا منهم و اولئك یردون علی الحوض، وان اباذر قال: قال رسول‌الله صلی‌الله علیه واله: کیف انتم و الائمة من بعدی یستأثرون بهذا الفیء؟ قلت: اما والذی بعثك بالحق اضع سیفی علی عاتقی ثم اضرب به حتی القاك، قال: اولا ادلك علی خیر من ذلك؟ تصبر حتی تلقانی.

و بالجملة الروایات الصحاح فی هذا الباب کثیرة مشهورة لایمکن انکارها و لاتأویلها، یعلم منها ان ائمة الدین و خلفاء الله و رسوله علی المسلمین و ولاة امرالله و القوام علی شرعه لیس المراد بهم الا الائمة لهذه الطائفة، لکونهم المعصومین عن الذنوب والخطایا، العارفین بالله وایاته عن کشف وشهود، ولانهم من ذریةالنبی صلی‌الله علیه واله واهل بیت النبوة والهدایة الذین امرنا النبی صلی‌الله علیه واله بالتمسك بهم‌حتی‌لانضلوابعده ابداً فی‌قوله: انی‌تارك فیکم‌الثقلین، ولانه صلی‌الله‌علیه واله افضل الانبیاء و خاتمهم علیه وعلیهم السلام، وکان فی‌ذریة نوح و ابراهیم وهما ابوا الانبیاء بعدهم النبوة والکتاب لقوله تعالی: ولقد ارسلنا نوحا وابراهیم و جعلنا فی‌ذریتهما النبوة والکتاب (الحدید ـ ۲۶).

فیجب ان لاتنقطع الامامة التی هی و النبوة حقیقة واحدة بالذات متغایرة بالاعتبار عن ذریته صلی‌الله علیه واله، بل‌نقول: لابدان لاینقطع معنی النبوة ومایجری مجراه عن وجه الارض ابداکما علمت، ثم لم یکن احدمن لصوص‌الخلافة ومتقلدیها ممایحتمل فیه ذلك المعنی او یدعیه احد، فیبقی ان یکون هذا السلسلة المبتدأة من

---

[1] ـ ای حسن الابتداء و سیئی العاقبة.

نوح و ابراهيم عليهماالسلام مستمرة الى يوم القيامة فى‌هذه الذرية التى بعضها من بعض.

وايضاً قوله عليه‌السلام: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، هل يستصح عندذى مسكة ان مقتضى الحديث وجوب معرفة كل من تلك الامراء التى مروصفها على كل من كان فى زمانه ؟ و هذا شىء يلزم هؤلاء القوم الذين انكروا حقيقة[1] اهل البيت عليهم‌السلام ولم يهتدوا بهداهم، وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون (الشعراء ـ ۲۲۷)، ولنرجع الى ما كنا فيه.

الحديث الثالث عشر
وهوالسادس و الخمسون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن‌عيسى عن ابى عبدالله المؤمن»، قال الفاضل الاسترابادى فى‌ذكر الكنى من كتابه فى‌النجاشى: هو زكريا بن محمد عتبة النوفلى محمد بن‌عيسى تقدم فى‌الاسماء انه‌ابن‌على بن‌محمدالبرمكى، وعن‌ابن‌طاووس: ان‌فى رواية صحيحة اسمه على بن البرمكى، وقال العلامة فى «صه» كما فى‌النجاشى: زكريا بن محمد ابوعبدالله المؤمن روى عن ابى عبدالله و ابى الحسن عليهما السلام ولقى الرضا عليه‌السلام فى‌المسجدالحرام، وحكى عنه مايدل على انه كان واقفيا وكان مختلط الامر فى‌حديثه.

«عن ابى هراسة» ، ذكر اسمه عند اسم ابنه الموصوف بان له كتاب الايمان و الكفر والتوبة، ابوسليمان احمد بن نضر[2] بن سعيد المعروف بابن ابى هراسة فيكون اسم ابى هراسة احمد بن نضر بن‌سعيد و فى «صه» والنجاشى‌الباهلى المعروف بابن‌ابى هراسة يلقب ابوهوذة[3]، سمع منه التلعكبرى سنة احدى وثلاثين و ثلاث مائة، و

۱ـ حقية ـ م.

۲ـ و فى بعض النسخ: نصر.

۳ـ الهوذة: القطاة، وهولقب النضر او نصروالد احمد.

لـه منه اجازة مات يـوم التروية سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاث مائـة . «عن ابى جعفر عليه السلام قال : لـو ان الامام رفـع مـن الارض ساعة لماجت باهلها كما يمـوج البحر باهله».

الشرح

ماج البحر يموج موجاً اضطرب.

دل هذاالحديث على حقيقة مامر ذكره منا من ان وجود النبى صلى‌الله عليه واله او الامام عليه السلام ليس بمجرد ان الخلق محتاجون اليه فى اصلاح دينهم و دنياهـم وان كان ذلك امراً مترتبا على وجـوده ضرورة، بل انما قامت بوجـوده الارض ومن فيها الكون وجوده الكونى علة غائية لوجودها، فلاتقوم الارض ومن فيها لحظة الابوجود الانسان الكامل، وذلك لقوله عليه السلام: ساعة، اى لحظة، اذ على ذلك التقدير لم يلزم من فرض عدمه ساعة بطلان الارض واهلها.

باب انه لولم يكن فى الارض الا رجلان لكان احدهما الحجة

وهو الباب السادس من كتاب الحجة وفيه خمسة احاديث:

الحديث الاول
وهوالسابع والخمسون واربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد عن محمد بن سنان، عن ابن ابى الطيار قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: لو لم يبق فى الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة» .

الشرح

قد علمت ان ترتيب سلسلة الوجود الصادرة من الاول سبحانه انما يكون ابداً

من الاشرف الى الاخس ومن الاعلى الى الادنى، ومن نظر فى احوال الموجودات و نسبة بعضها الـى بعض عرف ان الادنى والانقص لايـوجد الابسبب الاعلى والاكمل سببية ذاتية و تقـدماً طبيعياً، وان كان وجـود الادنى والانقص يصير مبدأ متهيأ[1] للمادة لفيضان الاعلى والاكمل، فالحيوان سبب ذاتى لوجود النطفة متقدم عليها تقدماً بالذات وكذا النبات للبذر، اما النطفة فهى سبب معد لوجود الحيوان متقدمة عليه تقدماً بالزمان لابذات وكذا البذر للنبات.

و بالجملة فالنوع الاشرف متقدم على النوع الاخس فى سلسلة البداية وان كان بعض اشخاص الاخس متقدماً بالزمان على بعض اشخاص الاشرف كما ذكرنا من مثال النطفة والحيوان والبذر والشجر.

فان قلت : هذه القاعدة اعنى قاعدة الامكان الاشرف انما يطرد فى الابداعيات التى لايفتقر وجـودها الى صلوح قابل واستعداد مادة دون المكونات الزمانية الواقعة فى عالم الحركات والاضداد والاتفاقيات، فان كثيراً مماهو الممكن الاشرف لايوجد لمانـع خارجى او فقد استعداد.

قلنا: حكم الانواع والطبائع الكلية فى ذواتها حكم الابداعيات، فان افتقار النوع الطبيعى كالفلك والانسان والفرس وغيرها الى استعداد خاص ليس بالذات بل بواسطة مايلزمه من العوارض والاحوال الانفعالية[2].

فان قلت: فعلى هـذا لايلزم ماكنت بصدده، لان الحجة و غير الحجة والامام و

١ــ مهيأ ــ م.

٢ــ اى النوع لايصير بالمادة نوعا وان صاربها موجوداً فى عالم الماديات، والطبيعة من حيث هى يمكن ان تصير كلية مجردة وان تصير جزئية، ومثل هذا الشىء لايكون محتاجاً الى الزمان والاستعداد، اى الى المدة والمادة.

قال السيد الداماد فى القبس الخامس من القبسات: ليس طبيعة الحيوان المرسل بما هى حيوان مثلا متعلق الذات بمادة ومـدة، و لاهــو مرهون الوجود بالامكان الذاتى هناك ملاك فيضان الوجود عن مدبر العالم وممسك النظام اعنى العناية الاولى الالهية. انتهى.

الحاصل: ان الطبيعة من حيث هى لاتكون مكونة ولافاسدة.

والرعية جميعها من نوع واحد وافراد النوع الواحد متماثلة لاتقدم لاحدها على الاخرى بالذات ولاعلاقة ذاتية لبعضها بالقياس الى بعض.

قلنا: هيهات! انما المماثلة بين افراد البشر انما هى بحسب المادة البدنية و النشأة الطبيعية قبل ان يخرج النفوس الساذجة الهيولانية من القوة الى الفعل بحصول الملكات والاخلاق الفاضلة او الرذيلة فيها، و اما بحسب النشأه الروحانية فهى واقعة تحت انواع كثيرة لاتحصى، وقوله تعالى: قل: انما انابشر مثلكم (الكهف ۱۱۰)، انما هو بالاعتبار الاول دون الثانى، فنوع النبى صلى الله عليه واله و الامام عليه السلام نوع عال شريف اشرف من سائر الانواع الفلكية والعنصرية، فنسبة نوع الحجة الى سائر البشر فى رتبة الوجود كنسبة الانسان الى سائر الحيوان و كنسبة الحيوان الى النبات و النبات الى الجماد.

وقد علمت الحال فى باب التقدم والتأخر فى الوجود بين النوع الشريف والنوع الخسيس كما وصفناه، قال تعالى مخاطبا للانسان: خلق لكم مافى الارض جميعاً (البقرة ـ ۲۹)، لكونه اشرف الاكوان الارضية، فصار سبباً لوجودها و غاية ذاتيه لخلقها، فلوارتفع الانسان عن الارض ارتفع سائر الاكوان من الجماد والنبات والحيوان، فكذلك لو ارتفع الحجة عن الارض ارتفع الناس كلهم، فثبت قوله عليه السلام: لولم يبق فى الارض الا اثنان لكان احدهما الحجة.

الحديث الثانى

و هوالتاسع والخمسون و اربع مائة

«احمدبن ادريس ومحمدبن يحيى جميعاً، عن احمدبن محمد، عن محمد بن عيسى بن عبيد عن محمد بن سنان، عن حمزة بن الطيار، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: لو بقى اثنان لكان احدهما الحجة على صاحبه. محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى مثله».

الشرح

كما مضى ذكره فلاحاجة الى اعادته.

الحديث الثالث
و هوالستون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عمن ذكره، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن جعفر بن-محمد، عن كرام» بن عمر بن عبدالكريم قاله الكشى، وقال ابن داود : انه واقفى «قال: قال ابوعبدالله عليه‌السلام: لوكان‌الناس رجلين لكان احدهما الامام وقال: ان اخر من يموت الامام لئلا يحتج احد على‌الله عزوجل انه تركه بغير حجة لله عليه».

الشرح

واعلم ان معنى كون النبى او الامام حجة من‌الله على عباده والسبب اللمى فيه هو ان‌الانسان اول مايولد فى‌مقام‌النفس، فانه‌حيوان كباقى‌الحيوانات لايعرف الا الاكل والشرب لاغير، ثم بالتدريج يظهر له باقى صفات النفس من‌القوى الشهوية والغضبية والحرص والحسد والبخل وغيرذلك من‌الصفات التى هى نتائج الاحتجاب والبعدمن عالم الملكوت ومعدن الصفات الكمالية.

فهو حيوان منتصب القامة يصدر منه الافاعيل‌المختلفة‌بحسب الارادة المتنوعة، فهو فى‌الحجب الظلمانية الساترة للحق سبحانه، فلومات على هذه الحالة لـم يكن له فى‌الأخرة حيوة مستقرة ولاحساب ولاكتاب ولا ثـواب ولا عقاب ايضاً، اذ العذاب و الشقاوة فرع الشعور بالسعادة التى فى‌مقابلها، بل‌كان اما كسائر الحيوانات ملهواً عنها اوكان لها حيوة ناقصة وسعتها الرحمة التى وسعت كل شىء.

و اما اذا تيقظت نفسه من نـوم الجهالـة وسنة الغفلة و تنبهت بـواسطة احدى الرسولين الحجتين: اما داخلى‌كالبرهان‌النير العقلى او خارجى كالنبى ومن ينوبه وهو

البرهان النیر الحسی، والاول للانبیاء والکمل من الاولیاء صلوات الله علیهم اجمعین والثانی لسائر الناس.

فتذکرت او ذکـرت ان وراء هذا العالم عالـم اخـر فیه الجنة للسعداء والنار للاشقیاء وان فوق هذه اللذات لذات اخر کمالیة وحینئذ لم یبق له عـذر فی التوانی و التساهل، فان ساعـده التوفیق فلابـد ان یتوب عن اشتغاله بالمنهیات الشرعیة وینیب الی الله تعالـی بالتوجه الیه ویعرض عن الدنیا وطیباتها و یترك فضول شهواتها طلباً للطیبات الاخرویة ولذاتها الحقیقیة الکمالیة، فیشتغل بالذکر والفکر والصلوة و الصیام وغیرها من الطاعـات والعبادات وهکـذا الی ان یتم الاجـل، فحینئذ یستحق الثواب الدائم علی حسب مقامه وحاله.

و اما اذا استهواه الشیطان ولحقه الخذلان و اعرض عن الذکر بعدما انـذر به واستحب العمی علی الهدی بعدما دعـی الیه، فحینئذ یستحق العذاب الالیم والنکال الجسیم علی حسب مقامه فی الجحود والاعراض عن الهدی او الرکـون الی اغراض النفس والهوی.

اذا تبین هـذا فنقول: معنی کون النبی او الامام حجة لله علی العباد: ان طاعته یوجب استحقاق الرحمة والجنة والنعیم وان عصیانه یوجب استحقاق الغضب والعذاب الالیم، ومعنی کون رفعهما جمیعاً حجة للعباد انهم لایستحقون عند ذلك ثوابا ولا عقابا کماذکرنا.

الحدیث الرابع
و هوالحادی والستون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقی، عن علی بـن اسمعیل» مشترك بین عدة من الرجال، وکان المراد بـه علی بن اسمعیل بن شعیب بن میثم بن یحیی التمار ابوالحسن المیثمی، اول من تکلم علی مذهب الامامیة وصنف کتابا فی الامامة،

كوفیسكن البصرة و كان من وجوه المتكلمين من اصحابنا تكلم اباهذيل العلاف[1] و النظام «صه» وفيالنجاشي: مولى بنياسد. «عن ابن سنان، عن حمزة بن الطيار قال: سمعت ابـا عبدالله عليه السلام يقول: لـولـم يبق فیالارض الاثنان لكان احـدهما الحجة او الثانی الحجة. الشك من احمد بنمحمد».

الشرح

معناه ظاهر و سببه ما ذكر، و وقـوع الشك لابد ان يكون من احـدالرواة، و انما علم صاحبه بخصوصه بان يصرح به ويقول: الشك منی او مايجری مجراه من لفظ اخر.

الحديث الخامس

و هوالثانی والستون و اربع مائة

«احمد بن محمد، عن محمد بن الحسن عن النهدی»، مجهول غير مذكور فی هـذه الكتب المشهورة الرجالية. «عن ابيه، عن يـونس بن يعقوب، عن ابی عبدالله عليهالسلام قال: سمعت[2] يقول: لو لم يكن فیالارض الاثنان لكان الامام احدهما».

الشرح

معناه مكشوف، و مما يجب ان يعلم ان الغايـة والغرض من وجود الامام ليس مجرد حصول الائتمام، حتی لو فرض امام لم يرجـع اليه احد منالناس لفات الغرض من وجوده و كذا لوكان خاملا مستوراً غير ظاهر، فانا قداشرنا الی ان السبب و العلة فیكون الارض لاتخلو عن حجة ماذا هو؟

فبذلك يندفع طعن جماعة منالمخالفين علی الامامية بانهم قائلون بوجود امام

١ــ كلم ابوالهذيل العلاف «صه».

٢ــ سمعة (الكافی).

قائم حی مدة مدیدة من غیر ان یعرف احد شخصه ویهتدی بنور تعلیمة و ارشاده فما الفائدة فی وجوده؟

وهذا الطعن غیر وارد اصلا، فان الغایة الحقیقیة فی وجوده شیء اعلی و ارفع من تعلم الناس منه، و معذلك یلزم وجوده[۱] کونه بحیث یکون هدی للناس ان اهتدوا به، و اما عدم اهتدائهم بنوره واستضائهم بضوئه فلیس من جهته علیه السلام بل من جهة الناس، لاحتجابهم عن الحق بالظلمة الغاشیة بینهم وغلبة الهوی والشهوات علی نفوسهم الی ان یفتح الله من رحمة من عنده ویهب ریح عاطفة یکشف عنهم حجاب الظلمة والهوی فیهتدوا بنور الهدی والحجة البیضاء ان شاء الله تعالی.

باب معرفة الامام والرد الیه

و هو الباب السابع من کتاب الحجة و فیه اربعه عشر حدیثا :

الحدیث الاول

و هو الثالث والستون و اربع مائة

«الحسین بن محمد، عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضیل، عن ابی حمزة قال: قال لی ابوجعفر علیه السلام: انما یعبدالله من یعرف الله، فاما من لایعرف الله فانما یعبده هکذا ضلالا قلت: جعلت فداك فمامعرفة الله؟ قال: تصدیق الله عزوجل و تصدیق رسوله صلی الله علیه واله و موالاة علی علیه السلام والائتمام به و بائمة الهدی علیهم السلام والبراءة الی الله عزوجل من عدوهم، هکذا یعرف الله عزوجل».

الشرح

اما قوله علیه السلام: انما یعبدالله من یعرف الله، فوجهه ان العبادة والعبودیة له

۱ـ من وجوده ـ م.

تعالى فرع معرفته، كيف و المقصود الاصلى من العبادة التقرب الى المعبود الحقيقى برياضة ما للقوى الحيوانية الخيالية والشهوية والغضبية من النفس لتصير منكسرة مطواعة للروح مسالمة له ليجرها بالتطويع والتعويد من جانب الزور ومعدن الغرور الى جناب الحق ومقصد[1] الصدق و مشهد النور، و هكذا كله متوقف على معرفة الحق و دار القربة على معرفة النفس ومنزل القربة[2]:

فمن لم يعرف نفسه بالمذلة والنقصان والوقوع فى مهبط الارذال ولاربه بصفات القدس والعزة والجلال فلامعنى لارادته للعبادة الارياء وتصدية ومكاء كما عليه اكثر الناس، واليه اشار بقوله: فاما من لايعرف الله فانما يعبده هكذا ضلالا، فان اكثر الناس يعبدون الله بزعمهم من غير معرفة و بصيرة، ولا ايضاً يقتدون بامام ذى بصيرة كالا عمى الذى له قائد يعول عليه فى سلوكه ايضاً على سبيل نجاة وضرب من الخلاص عن النكال.

فمن لم يوقع نفسه موقع المقلدين ولا له درجة العارفين المستبصرين فلاجرم يكون فى ضلال مبين، اذ يترتب على عبادته سيما اذا بالغ فيها واكثر منها انواع من الشر والافة كالعجب والتكبر والامن من مكر الله الخفى والاستدراج ونحو ذلك.

واما قوله عليه السلام فى جواب السائل عن بيان معرفة الله حيث قال : تصديق الله عزوجل الى اخره ففيه وجهان: خاصى وعامى.

اما الوجه الخاصى فى المعرفة و هو ان يصدق بوجوده تعالى تصديقا يقينيا حاصلا بالبرهان، ويصدق بوحدته واحديته وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفاته الكمالية و انها غير زائدة على ذاته، وان ذاته بذاته منشأ افعاله وان افعاله محكمة فى غاية الجودة والنظام والتمام.

فلابد ان يكون بينه تعالى وبين خلقه وسائط فى الايجاد وهم الملائكة المقربون المقدسون و من والاهم من الملائكة المدبرين، و وسائط فى التكميل والارشاد وهم الانبياء المكرمون ومن يخلفهم من الاولياء الهادين.

۱ــ مقعد ــ م.

۲ــ الغربة ــ م .

و بالجملة فالملائكة و من والاهـم وسائط فی الخلق و البداية و الانبياء و من ضاها هم وسائط فی الامر والاعادة، فاهل الخصوص يعرفون اولاً ذات الله تعالى ومن ذاته صفاتـه ومن صفاته افعالـه على الترتيب الاشرف فالاشرف فی جانبی النزول من عنده و العود اليه ، و المعرفة على هذا الوجه هو الايمان الحقيقی كما قال الله تعالى: والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه و رسله (البقرة ۲۸۵)، فاذا عرفـوه وعرفـوا رسله و اوليائه كذلك، فلاجرم احبوا خاتـم الرسل و اوصيائـه عليه و عليهم السلام و اطاعوهم و والوا اوليائهم وعادوا اعدائهم وتبرأوا برائة شديدة منهم الى الله فی الدنيا و الاخـرة ، فحشروا مـع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا.

و اما الوجه العامی: فاول مايجب الاعتقاد به على البالغ المكلف هـو ترجمة ان لااله الاالله وحده لا شريك له وان محمداً رسوله المبعوث الى كافة الخلق اجمعين، وينبغی ان يصدق فی صفات الله واليوم الاخر على قدر عقله و مبلـغ فهمه، و ان يتيقن بوجود الامام المعصوم بعد رسول الله صلى الله عليه واله فی كل زمان، وان يعرف الائمة الاثناعشر عليهم السلام على التفصيل واحداً بعد واحد الى القائم المهدی ويحبهم بقلبه ولسانه ويوالی اوليائهم ويتبرأ من اعدائهم، وكل ذلك ممايشتمل عليه القران والحديث من غير مزيد برهان.

اما فی صفات الله: فلايجب عليه فوق انه حی عالم قادر مريد كاره متكلم، ليس كمثله شیء وهو السميع البصير (الشورى ـ ۱۱)، وليس عليه بحث عن حقيقة هـذه الصفات، وان الكلام قديم او حادث.

اما فی الاخرة: فبالايمان بالبعث والحشر والثواب والعقاب والجنة والنار، و ليس عليه بحث عن تحرير الادلة التی حررها المتكلمون، بل متى خطر فی قلبه التصديق بما هو الحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو من حزب المؤمنين ولم يكلف الرسول صلى الله عليه واله العرب اكثر من هذا، و على هـذا الاعتقاد المجمل استمر العرب وعوام الخلق، ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن ذات الله و صفاته و

الكلام فيها، وانما زجرواعنه الضعفاء والعوام.

واما ائمة الدين والعلماء الكاملين فلهم الخوض فی‌غمرة الاشكالات و السباحة فی‌ابحر العلوم الغامضة ومنع‌العوام من‌الكلام يجری مجری منع‌الصبيان السباحة عن شاطیء الدجلة خوف الغرق، ورخصة الاقوياء فيه يضاهیء رخصة الماهر فی‌صنعة السباحة، الا ان ههينا موضع غرور ومزلة اقدام، اذكثير من الناس يزعم بنفسه انه من الاقوياء وليس كذلك.

و اما الاقوياء فربما يخوضون و ربما يغرقون فی بحر الجهالات من حيث لايشعرون، فالاولی منع الخلق كلهم الاالشواذ الذين لايسمح الاعصار الابواحد منهم اواثنين، فمن تجاوز من النازلين او المتوسطين سلوك مسلك السلف الذين كانوا فی عهد النبی صلی‌الله عليه واله و عهد اميرالمؤمنين عليه‌السلام ومايقرب منه قبل ظهور البدع والمقائيس وصنعة الكلام بالايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ماانزل الله او امر به رسوله من غير بحث و تفتيش، فقد ركب متن الحظر واوقع نفسه فی شغل شاغل كان الغالب فيه الهلاك و سوء العاقبة الامن عصمه الله تعالی.

اذقال رسول‌الله صلی‌الله عليه واله حيث رأی اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتی احمرت وجنتاه: افبهذا امرتم؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا الی ما امركم الله فافعلوا ومانهيكم عنه فانتهوا، فهذا تنبيه علی منهج الحق ومشرع الدين المبين لعامة المسلمين امناً من‌الزيغ والضلالة وسد طريق الوسواس والضلالة.

الحديث الثانی
و هوالرابع والستون واربع مائة

«الحسين عن‌معلی عن‌الحسن بن‌علی الوشاء، عن‌احمد بن‌عائذ، عن ابيه، عن ابن‌اذينة قال: حدثناغيرواحد، عن‌احدهما عليهما‌السلام انه‌قال: لايكون‌العبد مؤمناً‌حتی يعرف‌الله ورسوله والائمة‌عليه‌السلام كلهم وامام زمانه ويرداليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول».

الشرح

شرط فى ايمان العبد ان يكون عارفا بالله اى بوجوده ووحدانيته وصفاته الحسنى وبرسوله صلى الله عليه واله و انه خاتم الانبياء و الرسل و بالائمة بعده الى امام زمانه، فيرد امر دينه اليه ويسلم له اى يطيعه فى كل مايأمره وينهاه، فيأتمر بامره فيما يأمره وينتهى بنهيه عماينهاه، وانما لم يذكر عليه السلام معرفة المعاد لانه مندرج فى الايمان بالرسول والائمة عليهم السلام.

وقوله: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول، اراد به ان معرفة الرسول صلى الله عليه واله، كما هومتوقف على معرفة الله ومعرفة الائمة عليهم السلام متوقف على معرفة الرسول صلى اله عليه واله، كذا معرفة كل امام لاحق موقوف على معرفة الامام السابق عليه، وفيه اشارة الى ان العصمة والامامة امر خفى لايعرف الا بنص سابق كما ان النبوة امرخفى لايعرف الا باعلام من الله و وحيه الى الرسول ثم بتوسط تأييده بالمعجزات للامة.

الحديث الثالث

و هوالخامس والستون و اربع مائة

«محمد بن يحيى، عن احمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم عن زرارة قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: اخبرنى عن معرفة الامام منكم واجبة على جميع الخلق، فقال: ان الله عزوجل بعث محمد صلى الله عليه واله الى الناس اجمعين رسولا و حجة لله على جميع خلقه فى ارضه، فمن آمن بالله و بمحمد رسول الله صلى الله عليه واله و اتبعه و صدقه فان معرفة الامام منا واجبة عليه و من لم يؤمن بالله و برسوله ولم يتبعه ولم يصدقه و لم يعرف حقهما فكيف يجب عليه معرفة الامام وهو لايؤمن بالله و رسوله ولم يعرف حقهما؟! قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله و رسوله ويصدق رسوله فى جميع ما انزل الله، ايجب على اولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم اليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: اترى ان الله هو الذى اوقع فى قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما اوقع ذلك فى قلوبهم الا الشيطان، لا والله ما الهم

المؤمنين حقاالا الله عزوجل.

الشرح

اعلم ان الناس کمامر غیرمـرة قسمان : عامة الخلق و الضعفاء، والخواص و الاقویاء، وقدمر ایضا ان الایمان غیرالاسلام وهو کمال زائد علی الاسلام، فکل مؤمن مسلم دون العکس.

اذا تقرر هذا فنقول: قد استفید من هذاالحدیث ان معرفةالامام بالحق انمایجب علی احد اذاکان بحیث یؤمن بالله و یؤمن بمحمد صلی‌الله علیه واله و یتبعه ویصدقه، یعنی بذلك ان من شأنه ان یعرف حقیة النبی صلی‌الله علیه واله فی جمیع ما انزل الله من ربه فحینئذ یجب علیه معرفة اهل بیت النبوة والرسالة کمایجب علیه معرفةالکتاب بالسؤال عنهم علیهم السلام ، فان النبی صلی‌الله علیه واله حین مضی بسبیله الـی الله تعالی خلف فی‌امته کتاب الله و وصیه امیرالمؤمنین علیه‌السلام صاحبین مؤتلفین یشهد کل منهما صاحبه ویصدقه ، ینطق الامام عن الله فی‌الکتاب بما اوجب الله علـی عباده للذی اراد من استکمال دینه و الاحتجاج بحجته و الاستیضاء بنـوره و کـذا فـی کل زمان.

فاوضح الله بائمة الهدی واهـل صفوته و خیرة خلقه من اهل بیت نبینا علیه و علیهم السلام عن دینه و ابلج بهم عن سبیل منهاجه وفتح بهم عن باطن ینابیع علمه و اسرارکتابه وجعلهم ابواب معرفته حیث‌اطلعهم علی خزائن علمه ومکامن سره و وحیه، کلما مضی امام منهم نصب لخلقه من عقبه اماماً مرشداً هادیاً نیرا.

فالامام هوالکتاب‌الناطق والکتاب هوالامام الصامت، فهما متصاحبان متلازمان معرفة و جهالة ، فمن لیس لـه استیهال معرفة الکتاب وان یسأل عن علـومه و مسائله فلیس من شأنه ان یعرف الامام وحقه فلایجب علی مثله ان یعرف الامام الحقیقی، بل الذی یجب علیه ان یکون تحت سیاسة الشرع العام والاسلام المطلق الذی یبتنی علیه حقن الـدماء و الاحـوال و صحة المعاملات و المناکحات و العقـود و الـذبائح

و نحوها.

واليه الاشارة بقوله عليه‌السلام: ومن لم يؤمن بالله ورسوله، اى ايماناً ناشئاً عن الدليل والمعرفة لابمجرد الاقرار اللسانى و مافى حكمه، ولم يتبعه، اى اتباعا مترتبا على المعرفة، ولم يصدقه، اى تصديقا يقينيا عن حجة ودليل، ولهذا عقب بقوله: ويعرف حقهما، اى لم يعرف حق الله ورسوله، لانه عطف على يصدقه مدخول حرف النفى و كذا فى الموضع الثانى عطف على يؤمن بالله ورسوله، اى لايؤمن بهما ولايعرف حقهما، وليس المراد به الكفرة والمجوس واليهود والنصارى بل ضعفاء اهل الاسلام.

ويؤيد ماذكرنا ايضاً قوله عليه‌السلام فى الجواب عماسأله زرارة بقوله: فماتقول فيمن يؤمن... الى اخره، نعم! اليس هؤلاء يعرفون فلانا وفلانا، يعنى ان الذين يدعون المعرفة والايمان بالله و برسوله والتصديق له فى جميع ما انزل اليه ثم يبحثون عن الامامة و يعرفون ائمة الخلاف فهم ليسوا معذورين كالضعفاء و اهل الضرر و الزمانة وسائر العوام والناقصين الذين لايجدون حيلة ولايهتدون سبيلا فى ان يجهلوا حقنا اهل البيت، فهؤلاء لم يعرفوا حقنا.

كان ذلك لاجل مرض فى قلوبهم واغراض فاسدة فى نفوسهم توجب لهم اتباع الهوى والشيطان و اشار بقوله: فلانا و فلانا الى مطلق ائمة الجور و الطغيان او الى اثنان[1] منهم على الخصوص، ثم اكد ذلك بقوله: الاترى ان الله هو الذى اوقع فى نفوسهم معرفة هؤلاء اى الائمة الجابرة، و ذلك لان الله اجل واعلى من ان يوقع او يفيض على قلب احد مادام على فطرته الاصلية ولم يطرأ عليه مرض او انحراف و سوء استعداد، اعتقاداً باطلا.

ثم بين مؤكداً بالقسم ان الموقع فى نفوس المنحرفين الضالين صورة الجهالات والعقائد الزائفة[2] كاتباع ائمة الجور ونحوه ليس الا الشيطان، ومنشأ تسلطه على النفوس بالوسواس والاغواء سبق اتباع الشهوة والهواء وطلب الدنيا، وان الملهم فى القلوب

١ـ اثنين ـ م .

٢ـ اى : المردودة لغش فيها.

المؤمنين بالمعارف والعلوم الحقة ومعرفة الائمة الطاهرين و واجب حقهم الذى كانوا عليه ليس الا الله تعالى، و ذلك لكون قلوبهم خالية عن امراض النفس واتباع الهوى وحب الدنيا.

الحديث الرابع
و هوالسادس و الستون و اربع مائة

«عنه عن احمد بن محمد عن الحسن بن‌المحبوب، عن عمرو بن‌ابى المقدام» ثابت بن هرمز العجلى مـوليهم كوفى تابعـى من اصحاب الصادق عليه‌السلام ، قال النجاشى: ان ابى المقدام[1] ثابت بن هرمز الحداد مولى بنى عجل روى عن على بن-الحسين و ابى جعفر و ابى عبدالله عليهم السلام ، لـه كتاب لطـيف روى عنه عباد بن يعقوب.

قال‌الكشى: حدثنى حمدويه بن‌نصير قال: حدثنى محمد بن‌الحسين عن احمد بن‌الحسن الميثمى، عن‌ابى‌العرندس الكندى عن رجل من قريش قال: كنا بفناءالكعبة و ابوعبدالله عليه‌السلام قاعد، فقيل: ماا كثر الحاج؟ فقال: مااقل الحاج، فمرعمرو بن ابى‌المقدام فقال: هذا من الحاج، وقال‌العلامة فى«صه» روى‌الكشى باسناد متصل الى ابى‌العرندس عن‌رجل من قريش ان‌الصادق عليه‌السلام قال عنه: هذااميرالحاج، وهذه الرواية من‌المرجحات، ولعل الذى وثقه ابن الغضائرى ونقل عن اصحابنا تضعيفه هو هذا، انتهى. «عن جابر قال سمعت ابا جعفر عليه‌السلام يقول: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله و عرف امامه منا اهل البيت ومن لايعرف الله عزوجل و يعرف[2] الامام منا اهل البيت فانما يعرف ويعبد غيرالله هكذا والله ضلالا.

۱ــ ابن ابى‌المقدام «جش» .
۲ــ و [لا] يعرف (الكافى) .

الشرح

هذا الحديث يدل على ان معرفـة الله يتوقف على معرفة الامام و معرفة الامام يتوقف على معرفةالله عزوجل فيوهم دوراً مستحيلا، وكذا قوله: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله، يدل على ان معرفةالله يتوقف على معرفةالله، فيوهم توقف الشىء على نفسه ابتداء والكل صحيح من غير دور مستحيل و لاتوقف لشىء على نفسه توقفا مستحيلا، فان مراتب المعرفة بالله تعالى متفاوتة وكذا معرفة الامام.

فنقول: الذى يكلف به الانسان اولا ان يعلم ان له الها واحداً حيا قادراً عالماً، فاذا عرف المكلف هـذا القدر فلابدان يطلب اماماً مرشداً هـادياً يعلمه طريق معرفته لمعبوده وكيفية عبادته لربه حتى لايضل عن سبيل معرفته ولايقـع فى الالحاد والاباحة باغواء الشياطين وازاغة المبطلين، فاذا وفق لذلك و وجد الامام الحق يتزيد فى معرفته بالله ويحسن العبادة، فاذا ازدادت معرفته بالله وعبادته فيزداد اعتقاده بالامام و انقياده له فى كل مايأمره به وينهاه عنه حتى يصير كالميت بين يدى الغاسل لايتحرك الابتحريكه ولايريد غير ارادته.

فاذا دام على هذه الحالة يعرف الله حق معرفته التى من شأنه ان ينالها ويعبدالله حق عبادته التى فى وسعه ان يفعلها، فعلى هذه الوجه تبين ان من لم يعرف الله اولا بوجه ولم يعرف الامام ويتبعه لم يعرف الله على التحقيق ولم يعبده، وتبين ايضا ان من يدعى معرفة الامام الحق ولم يعرف الله فهو مدع[1] كاذب ضال يعبد غير الله.

و قوله: هكذا والله، جملة اسمية مؤكـدة بالقسم، اى حاله فى المعرفة والعبادة هكذا والله، وقوله: ضلالا، حال اوتميز والعامل معنى الاشارة.

الحديث الخامس
و هوالسابع والستون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور عن فضالة بن-

۱ــ مبتدع ــ م .

ایوب، عن معوية بن‌وهب، عن ذریح»، بالراء المکسورة بعدالدال المعجمة المفتوحة والیاء المنقطة نقتطین تحتها و الحاء المهملة ابن محمد بن یزید ابوالولید المحاربی، عربی من بنی محارب بن قیس[1] روی عن ابی‌عبدالله وابی‌الحسن علیهماالسلام «صه» والنجاشی، قال الشیخ: انه ثقة له اصل.

و اما ذریح بن یزید المحاربی الکوفی ابــوالولید من اصحاب الصادق علیه السلام، فلعله هــو والمذکور اولا واحداً وکان ابن محمد سقط عن‌القلم کماقیل، لان فی‌الفقیه: ذریح بن یزید بن محمد وهو دلیل علی الاتحاد.

قال الکشی: و روی عن‌محمد بن سنان، عن‌عبدالله بن‌جبلة عن ذریح‌المحاربی قال: قلت لابی‌عبدالله علیه‌السلام بالمدینة ماتقول فی‌احادیث جابر؟ قال: تلقانی بمکة، قال: فلقیته‌بمکة قال تلقانی بمنی، قال فلقیته فی‌المنی‌فقال‌لی: ماتصنع باحادیث جابر[2]؟ اله عن‌احادیث جابر فانها اذا وقعت الی‌السفلة اذاعوها، قال عبدالله بن‌جبلة: فاصبت[3] ذریحاً سفلة، انتهی.

قال الفاضل الاسترابادی: لایخفی انقطاعه وضعفه لمحمــد بن سنان، قال و فی موضــع اخــر منه عن جبرئیل بن احمد عن محمد بن عیسی عن عبدالله بن جبلة عن ذریح: قال: سألت ابا عبدالله علیه‌السلام عن جابر و ما روی فلم یجبنی فسألته الثانیة فقال: یاذریح دع ذکر جابر فان‌السفلة اذا سمعوا شنعوا[4]، وقال اذاعوا.

لکن روی الصدوق فی‌الصحیح عن عبدالله بن سنان قال: اتیت اباعبدالله علیه السلام فقلت: جعلنی‌الله فــداك، قول‌الله عزوجل: لیقضوا تفثهم (الحج ـ ٢٩)، قال: اخذ الشارب وقص‌الاظفار وماأشبه ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فان ذریح‌المحاربی

١ـ بن حفص «صه».
٢ـ ای : اترك ذکره.
٣ـ وفی الکشی ـ فاحسب ـ والظاهر ان‌الکلمة بصیغةالتکلم من المضارع المجرد او الماضی المزید.
٤ـ شیعوا او قال «جامع الرواة».

حدثنی عنك انك قلت لیقضوا تفثهم لقاء الامام و لیوفوا نذورهم تلك المناسك، قال: صدق ذریح وصدقت، ان للقران ظاهراً و باطنا ومن یحتمل مایحتمل ذریح؟ وفیه کما تری دلالة علی علو مرتبة ذریح رحمه‌الله. «قال سألت ابا عبدالله علیه‌السلام عن الائمة بعدالنبی صلی‌الله علیه و اله فقال: کان امیرالمؤمنین علیه‌السلام اماماً ثم کان الحسن اماما ثم کان الحسین اماماثم کان علی بن الحسین اماما ثم کان محمدبن علی اماما، من انکر ذلك کان کمن انکر معرفة الله تعالی ومعرفة الرسول[1] صلی‌الله علیه و اله ثم قال قلت: ثم انت جعلت فداك؟فاعدتها علیه ثلث مرات فقال لی علیه‌السلام: انی انماحدثتك لتکون من شهداء الله تبارك وتعالی فی ارضه».

الشرح

الامام عندنا وعنداهل الحق من ینوب عن رسول‌الله صلی‌الله علیه و اله فی جمیع مایحتاج الامة فی امر دینهم و دنیاهم ویکون ممن عنده علم القران ظاهـره و باطنه و تفسیره و تأویله وجمیع علوم الانبیاء و المرسلین، ولایوجد هذاالوصف باتفاق محققی الامة بعدالنبی صلی‌الله‌علیه‌واله فی غیرعترته علیهم‌السلام ممن یتولی الامارة و یتسمی بالخلافة.

اولهم علی بن ابی طالب علیه‌السلام، وقد ثبت فی الصحاح والاصول انه باب مدینة العلم وباب دارالحکمة وذوقرنی هذه الامة وباب حطتها وانه خیرالبشر وخیرالخلق والخلیفة وانه سیدالعرب و ربانی هـذه الامة و امیرالمؤمنین و سید الـوصیین و یعسوب البریة اجمعین، وان مثله فی الناس مثل قل هو الله فی القران، وانه ورسول‌الله صلی‌الله‌علیه واله خیرة من الوری وابوا هذه الامة، وانه قد اعطی تسعة اعشارالعلم والناس کلهم عشراً واحداً وهو اعلمهم بالعشر الباقی.

وان علم ابن عباس فی جنب علمه کالقرارة فی المثعنجر[2]، و بحبه یتبار[3] اسلام

۱ـ رسوله (الکافی).

۲ـ القرارة : الغدیر الصغیر. المثعنجر: هواکثر موضع فی البحر ماء.

۳ـ ای یختبر و یمتحن. و منه الحدیث: کنانبور اولادنا بحب علی علیه‌السلام. و←

المسلمين، ومن احبه فهو لرشده ومن ابغضه فهو لغيه، و به فسر: من عنده علم الكتاب (الرعد ـ ٤٣)، والامام المبين في قوله تعالى: وكل شيء احصيناه في امام مبين (يس ـ ١٢)، والنبأ الذى هم فيه مختلفون (النبأ ـ ٢ و ٣)، وعنه مسئولون، و اطبقت العقول على ان كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق، وقال النبى صلى الله عليه واله: من كنت مولاه فهذا على مولاه ومن كنت نبيه فعلى وليه.

قال ابن الاثير في النهاية: قال الشافعي: يعنى بذلك ولاء الاسلام وتولى امر المسلمين كقوله تعالى: ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لامولى لهم (محمد ـ ١١)، وقال عمر لعلى: اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، اى ولى كل مؤمن، ولو ذهبنا الى ذكر نعوته و مناقبه لايفى به الدفاتر والالواح.

و اما ابناه الحسن والحسين فهما سبطا رسول الله صلى الله عليه و اله و سيد الشباب اهل الجنة، و قد كان رسول الله صلى الله عليه واله يتمطى لهما ويركبهما على عاتقته و يقول لهما: نعم المطى مطيكما ونعم الراكبان انتما و ابوكما خير منكما.

واما على بن الحسين سيد الساجدين وزين العابدين مشهور في السموات ومعروف في الارضين، صحيفة الكريمة السجادية من انوار حقائق المعرفة و اثمار حدائق الحكمة واسرار دقائق البلاغة يجرى مجرى التنزيلات السماوية وتسير مسير الصحف اللوحية والعرشية، ومن المعروف عند العارفين باحوال الرجال ان اخيار العلماء و احبار العقلاء من السلف الصالح كانوا يلقبونها زبور ال محمد صلى الله عليه واله وانجيل اهل البيت عليهم السلام، و من حواريه اعاظم من بقى من الصحابة وافاخم من سبق من التابعين. قال الزمخشرى في الكشاف في قوله سبحانه: سيماهم في وجوههم من اثر السجود (الفتح ـ ٢٩)، كان كل من العليين يقال له ذوالثفنات، لان كثرة سجود هما احدث[1] في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير.

واما ابوجعفر محمد بن على باقر علم النبيين سماه رسول الله ولقبه بالباقر لتبقره

← في حديث علقمة الثقفي: حتى والله ما نحسب الان ذلك شيء يبتار به اسلامنا «النهاية».

١ــ احدثت «الكشاف».

فى العلم وقال: انه يبقر العلم بقراً، و انبأ جابر رضى الله عنه: انك ستدركه، قال له: اذا ادركته فاقـرأه منى السلام، و الحديث مستفيض الطرق متواتر المعنى و المفاد لدى العامة والخاصة.

واما ابوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فهو ميزان الله الفارق ولسان الحق الناطق و نوره الشارق و وميضه البارق، انفجرت منه ينابيع العلـوم والحكم و انتثرت ازاهير المعارف والاحكام، احصى من رجاله المعروفين زهاء اربعة الاف رجال من الحجاز والعراق والشام وخراسان و دون فى مجالسه من اجوبة عن المسائل واقضية فى الغوامض اربعمائة مصنف، لاربعمائه مصنف، هى المسماة باصول ائمة المذاهب، واعلام الطرائق و عظماء المشايخ يدخلون انفسهم ويسندون مسالكهم الى طريقه ويتبجحون[1] بالاسناد الـى بابه و يباهون بالانتساب الى جنابه. كان مالك اذا سأل فى الدرب عن مسألة لم يجب السائل، فقيل لـه فى ذلك فقال: انى اخذت العلم من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكنت اذا اتيت اليه لاستفيد منه نهض و لبس افخر ثيابه و جلس فى مسنده و حمدالله تعالى و افـادنى شيئا ، و استفادة ابـى حنيفة منه ظاهـرة غنية عن البيان.

قال شيخهم الناقد ابوعبدالله الذهبى فى كتاب ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: جعفر بن محمد بن على بن الحسين الهاشمى ابوعبدالله احد الائمة الاعلام بر صادق كبير الشأن، ثم قال: لم يرو مالك عن جعفر حتى ظهر امر بنى العباس، وقال فى مختصره فى رجال الكتب الستة: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ابوعبدالله، قال ابـوحنيفة: مارأيت افقه منه مشى[2]، وقد دخلنى له من الهيبة مالم يدخلنى المنصور فى موكبه.

و قال امامهم الرازى فى كتاب الاربعين: كان ابويزيـد البسطامى يفتخر بانـه يستسقى الماء لدار جعفر الصادق عليه السلام ومعروف الكرخى اسلم على يدى الرضا عليه السلام وكان بواب داره الى ان مات.

۱ـ اى : يتفاخرون و يتباهون.

۲ـ شىء ـ م .

و قال القاضى عضد فى كتاب المواقف فى‌فضائل على عليه‌السلام: اختصاصه بمصاحبة كفاطمة سيدة نساء العالمين و ولدين كالحسن والحسين وهما سيداشباب اهل الجنة ثم اولاد اولاده ممن اتفق الانام على فضلهم على‌العالمين حتى كان ابويزيد مع علو طبقته سقاء فى دارجعفر الصادق عليه‌السلام و كان معروف الكرخى بواب دار على بن موسى الرضا عليه‌السلام.

فانما اوردنا هذه الاخبار من كتب الجمهور ليكون حجة على العامة و علمائهم الذين هم علماء الرسوم ولايعرفون الحق الامن طريق السمع و نقل الرجال لابنور[1] الاحوال.

واما العارفون بالله واياته و ملائكته و كتبه و رسله من طريق المكاشفة والبرهان فهم اذا نظروا الى احاديث اهل البيت و علومهم المنقول عنهم عليهم‌السلام علموا وتيقنوا انهم ينابيع الهدى و العرفان و معادن علم الوحى و القران و ابواب الحكمة والبرهان ومقائيس[2] انوار الايمان.

وقوله عليه‌السلام: انما حدثتك لتكون من شهداء الله تعالى فى ارضه، اى انما علمتك معرفةالائمة الهداة لتكون من العرفاء الشاهدين بتوحيده تعالى كمافى قوله تعالى: شهدالله انه لااله‌الا هو و الملائكة و اولوا العلم (ال عمران ـ ١٨)، فان علم التوحيد لايمكن تحصيله بالحقيقة الا بتعليمهم و هدايتهم عليهم‌السلام، وكأنه انما لم يجب عن قول ذريح: ثم انت؟ لاجل ان معرفتهم عليهم‌السلام يستلزم معرفته، ولانه عليه‌السلام لم يرد التصريح بتزكية النفس.

الحديث السادس

وهوالثامن والستون واربع مائة

«عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن خالد، عن ابيه، عمن ذكره عن

١ـ لابغور ـ م .

٢ـ مقابس ـ م .

محمد بن عبدالرحمن بن ابی لیلی، عن ابیه، عن ابی عبدالله علیه السلام قال: انکم لاتکونون صالحین حتی تعرفوا ولاتعرفوا حتی تصدقوا و لاتصدقوا حتی تسلموا ابواباً اربعة لایصلح اولها الا باخرها، ضل اصحاب الثلاثة وتاهوا تیها بعیداً ان الله تبارك و تعالی لایقبل الا العمل الصالح ولایقبل الله الا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفی لله عزوجل بشرطه واستعمل ماوصف فی عهده نال ماعنده و استکمل [ما] وعده، ان الله تعالی اخبر العباد بطریق[1] الهدی وشرع لهم فیها المنار واخبرهم کیف یسلکون، فقال: وانی لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدی (طه ـ ۸۲)، وقال: انمایتقبل الله من المتقین (المائدة ـ ۲۷). فمن اتقی الله فیما أمره لقی الله مومناً بماجاء به محمد صلی الله علیه واله هیهات هیهات! فات قوم وماتوا قبل ان یهتدوا وظنوا انهم امنوا واشرکوا من حیث لایعلمون، انه من اتی البیوت من ابوابها اهتدی ومن اخذ فی غیرها سلك طریق الردی، وصل الله طاعة ولی امره بطاعة رسوله و طاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاة الامر لم یطع الله ولارسوله و هو الاقرار بما انزل من عندالله عزوجل، خذوا زینتکم عند کل مسجد (الاعراف ـ ۳۱) والتمسوا البیوت التی اذن الله ان ترفع ویذکر فیها اسمه، فانه اخبرکم انهم رجال لاتلهیهم تجارة ولابیع عن ذکر الله و اقام الصلاة و ایتاء الزکاة یخافون یوما تتقلب فیه القلوب و الابصار (النور ـ ۳۶ و ۳۷) ، ان الله قد استخلص الرسل لامره، ثم استخلصهم مصدقین بذلك فی نذره، فقال : وان من امة الاخلا فیها نذیر (فاطر ـ ۲۴)، تاه من جهل واهتدی من ابصر وعقل. ان الله عزوجل یقول: فانها لاتعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور (الحج ـ ۴۶)».

«وکیف یهتدی من لم یبصر! وکیف یبصر من لم یتدبر! اتبعوا رسول الله واهل بیته و اقروا بمانزل من عندالله و اتبعوا آثار الهدی، فانهم علامات الامانة والتقی و اعلموا انه لوانکر رجل عیسی بن مریم علیهما السلام و اقر بمن سواه من الرسل لم یؤمن، اقتصوا الطریق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الاثار تستکملوا امر دینکم و تؤمنوا بالله ربکم.

۱ـ طرق (الکافی).

الشرح

قال الجوهری فی‌الصحاح: التسلیم بذل الرضا بالحکم وکذا الاسلام، و اسلم امره الی الله ای سلم، واسلم دخل فی‌السلم و هوالاستسلام، واسلم من الاسلام، یقال: تاه فی‌الارض تیهاً وتیهانا ذهب متحیراً؛ والمنار علم الطریق، و اول من ضربه ابرهة بن‌الحرث ملک‌الیمن فسمی ذاالمنار، والمنارة التی یؤذن علیها لانهاکانت ممایوضع فوقها[1] السراج و هی مفعلة من الاستنارة؛ وهیهات وکـذا ایهات کلمة تبعید؛ و النذر بضمتین جمع نذراونذیر بمعنی منذور ، و النذیـر فعیل بمعنی المنذر ای المبلـغ و الانذار الابلاغ ولایکون الا فی‌التخویف؛ والردی من ردی فی‌البئر و تردی اذا سقط فی بئر او تهور من جبل، وقص اثره وکذا اقتص وتقصص‌ای اتبعه قال تعالی: فارتدا علی اثارهما قصصا (الکهف ـ ۶۴).

الغرض من هذا الحدیث بیان حاجةالناس الی الامام‌الحق من جهة ان طاعتهم لله لاتتم ولاتصلح الابالمعرفة و التصدیق علی وجه الیقین، و ذلک لایمکن الا بالاخذ عن ولاة الامر وابواب‌العلم والهدی واهل بیت‌النبوة والولایة، فقوله: انکم لاتکونوا صالحین حتی تعرفوا، ان الصلاح والعدالة لاتحصل الابتکررالعبادة والاعمال مقرونا بالنیة الخالصة و قصدالتقرب الی الله تعالی، و ذلک یتوقف علی معرفةالله.

و قوله: ولاتعرفوا حتی تصدقوا ، ای تعلموا علماً یقینیا بوجود ذاته تعالی و توحیده وبرائته عن نقائص الامکان و مثالب الحدثان ، اذا المَراد بمعرفته لیس مجرد تصور هذه المعانی او حصول الظن بتحقیقهاکما هوحال الاکثرین کما قال: و مایتبع اکثرهم الاظنا ان الظن لایغنی من‌الحق شیئاً (یونس ـ ۳۶) ، وقوله: ولاتصدقوا حتی تسلموا ابوابا اربعة، و ذلک لان العلم والحکمة کمامر لایأتی الامن قبل‌الله بالوحی او الالهام، و هوالمسمی بالعلم اللدنی، او بواسطة من یأتیه من لدنه وهم الابواب.

واما من اکتسب علمه من جهة تقلید او روایة او قیاس اونحو ذلک فلیس ذلک

---

[1] ـ علیها. النسخة البدل.

بعلم حقيقى وسيغلب به الشكوك و توقعه فى اودية الظنون والجهالات ومهاوى الحيرة والضلالات، فالانسان الذى هو غير النبى والولى لايعرف الاصول الايمانية الا بالاخذ من احدهما، ولايكون الرجل مؤمنا حقا الا بان يكون عارفا بالله وملائكته وكتبه ورسله على وجه التحقيق، و بين عليه السلام ذلك بوجوه:

منها قوله: ان الله تبارك و تعالى الى قوله و استكمل وعده، يعنى ان الفوز والنجاح لايحصل الا بالعمل الصالح ولايكون العمل صالحا مقبولا عندالله الا اذا كان مقرونا باستيفاء شروطه وعهوده التى لايتم الابها، ومن الشروط والعهود الاخلاص فى العمل، و معرفة الغاية التى لاجلها العمل، و معرفة المبدأ الذى امر العباد بذلك و توحيده وعلمه الكامل المحيط وقدرته الشاملة وكرمه و جوده ولطفه و رحمته وسائر صفاته التمجيدية والتقديسية، و معرفة الهادين المعلمين و معرفة الشياطين المضلين من الجن والانس وجنود ابليس اجمعين.

ومنها قوله عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى اخبر العباد الى قوله: لقى الله مؤمنا بماجاء به محمد صلى الله عليه واله، حاصله: ان القران مشحون بذكر طرق العلم والهدى و ابواب الدخول الى عالم القرب والملكوت الاعلى وكيفية العبودية و سلوك الصراط المستقيم الى الرب تعالى والوصول الى دار رحمته وكرامته.

اما الاول فهو المراد بذكر الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر عبادالله الكاملين كخضر ولقمان و اسكندر وآصف تعليما لعباده بالاتباع لمن كان يضاحيهم ويحذو حذوهم ويتنور بمثل نورهم و يهتدى بهداهم، كما قال تعالى بعد ذكر الانبياء مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه واله: اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده (الانعام ـ ۹۰)، وقوله: شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى و عيسى ان اقيموا الدين ولاتتفرقوا (الشورى ـ ۱۳)، وقوله تعالى: انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبوراً الى قوله: وكلم الله موسى تكليما (النساء ۱۶۳ و ۱۶۴)، وامثال هذه من الايات التى فيها ذكر الانبياء عليهم السلام

واحوالهم و حكاياتهم.

اذ المقصود من ذلك كله ان يعلم العباد ابـواب الهداية و ائمة الرشاد واولياء الرحمن و منارالسبيل الى دارالرضـوان و امناء الدين و الايمان لينتهجوا مناهجهم و ليقتبسوا نورالعلم والعرفان من مشكوتهم.

و اما الثانى اعنى اخبار الله عن كيفية السلوك الى الله فيه ايات كثيرة: مثل قوله تعالى: و انى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى (طه ـ ٨٢)، جعل غفرانه متعلقا بامور اربعة: احدها التوبة لانه بمنزلة صقالة مراة القلب عن درن المعاصى ورين السيئات؛ والثانى الايمان والمراد به هيهنا الاقرار بالتوحيد والرسالة ؛ والثالث العمل الصالح كالصلوة و الزكوة والصوم والحج والجهاد؛ والرابع الاهتداء و هوالعمدة و لهذا عطف بـ«ثم» اهتماماً به ، فعلم من هـذه الاية ان استحقاق غفران الله و رضـوانه لايحصل الا بالاهتداء وهو استنارة القلب بنورالعلم و الهدى، و كقوله: انما يتقبل الله من المتقين، يعنى ان الاعمال والعبادات غيرمقبولة لله من احد الا من المتقين، والمتقى من اتقى الله فيما يأمره وينهاه، والاتقاء والخشية فرع على العلم و المعرفة لقوله: انما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ـ ٢٨)، و مثل الايات التى فيها الحث على العلم و التذكر والعقل والتدبر والذم للجهل والنسيان والغفلة وهى كثيرة لاتحصى.

و قوله: هيهات هيهات، الى قوله: سلك طريق الردى، اشارة الى غرور طائفة زعموا انفسهم انهم من اهل النسك والعرفان وهم اضل ضلالا من الانعام، وظنوا انهم من المؤمنين الموحدين والله يشهد انهم من المنافقين والمشركين وماتوا وهم كافرون، واليهم الاشارة بقوله تعالى: قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم (الكهف ـ ١٠٣) ...الايـة، و ذلك لتركهم الاقتداء بالذين هـم من اهـل الهدى و اليقين و البصيرة فى امرالدين .

ومنها قوله عليه السلام: وصل الله طاعة ولى امره بطاعة رسوله الى قوله عزوجل، يعنى انه تعالى حيث امر عباده بطاعة الله و طاعة رسوله و طاعة اولى الامر فى قوله : اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩) ، فقد ربط طاعة ولى

امره بطاعة رسوله كما وصل وناط طاعة رسوله بطاعته. فقد علم و تحقق ان طاعة الله كمالايتم الابطاعة الرسول فكذلك طاعة الرسول لايتم ولايكمل الابطاعة ولى الامر فى كل زمان، فمن ترك طاعة[1] الرسول وهو الاقرار بجميع ما انزل اليه من عندالله كفر بالله وترك طاعته واشرك به.

و منها قوله عليه‌السلام على وجه الاقتباس : خذوا زينتكم عند كل مسجد، فان زينة الانسان وكماله بماهو انسان معنوى انما هى بالعلم والعبودية، و حقيقة المسجد هى بيت الذكر و التقديس والتسبيح، وهو بالحقيقة قلب العالم بالله الراسخ فى العلم و العرفان.

فتأويل الاية : ايجاب اخذ العلم من قلوب الاولياء والعلماء الراسخين لامن افواه الرجال الناقصين فى العلم واليقين.

وقوله: والتمسوا البيوت التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، يعنى اطلبوا العلم من اهالى بيوت النبوة والعلم والهدى، وتلك البيوت هى قلوب الانبياء والاولياء التى ارتفعت وصعدت الى الله تعالى باذنه و تأييده لها بالعلم والعمل كما فى قوله : اليه يصعد الكلم الطيب (فاطر ــ ۱۰)، اذ قد يعبر عن القلوب والارواح بالكلمات كما فى قوله: وكلمته القاها الى مريم و روح منه (النساء ــ ۱۷۱)، وقوله: ومثل كلمة طيبة (ابراهيم ــ ۲۴)، وقوله: ومثل كلمة خبيثة (ابراهيم ــ ۲۶)، كما يعبر عنها بالكتب كما فى قوله: ان كتاب الابرار لفى عليين (المطففين ــ ۱۸) ، و قوله: ان كتاب الفجار لفى سجين (المطففين ــ ۷).

وانما يعبر عن قلوبهم و ارواحهم بالمساجد والبيوت لله، لانها بالحقيقة مواضع ذكر الله ومحال معرفته و خزائن علمه كما اشير اليه بقوله: و يذكر فيها اسمه، والمراد بالذكر هو العلم بالله وصفاته و اسمائه، ومعلوم لذوى البصائر انه ليس المراد بالبيوت فى هذه الاية البيوت المبنية من الحجر و المدر ولاالمراد بان ترفع ارتفاع الجدران

۱ــ فمن ترك طاعة ولاة الامر و الائمة فقد ترك طاعة الرسول، لانهم حفظة كتابه و علمه وخزنة سره و وحيه، و من ترك طاعة الرسول... ــ م.

والسقوف، وقد ورد: قلب المؤمن بيت‌الله، فعلى‌هذاالقياس قلب المنافق بيت الشيطان لانه موضع الوساوس والحيل والاغاليط.

وقوله عليه‌السلام: فانه اخبركم انهم رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار، اشارة الى صحة هذا التأويل و تحقيقه، يعنى ان الله تعالى اعلمكم وانبأكم بان المراد من‌البيوت المذكورة التى اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه هم نفوس الائمة والاولياء عليهم السلام حيث قال: رجال‌كذا وكذا ولم يقل فيها رجال.

واماالقول بان‌الرجال ومايوصف به متعلق بقوله: فى بيوت و روادفه بان يكون مبتداء و قدم عليه خبره كما قاله اهل التفسير فلايخلو عن بعد مع انه غير لازم، و انه عليه‌السلام اعلم بالتأويل لانه من‌الراسخين فى‌العلم، والمراد بقوله‌تعالى‌يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار، يوم‌القيامة ونشأة الاخرة اذ يبعث فيه‌القلوب والابصار. فطائفة تبعث وقدصارت قلوبهم‌كارواح‌الملائكة المقربين وابصارهم بصائر ناظرة الى ربهم، وطائفة تحشر و قد صارت قلوبهم البهائم والسباع و ابصارهم عمياء، وهذه حركة جوهرية و تقلب ذاتى ومسخ باطنى كما حققناه.

ومنها قوله عليه‌السلام: قد استخلص‌الرسل لامره ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى‌نذره فقال: وان من امة الا خلا فيها نذير. وجه الاستدلال به ان الله سبحانه من لدن ابتداء العالم و وجود بنى ادم الى بعثة نبينا صلى‌الله عليه واله لم يبق الارض من غير رسول اونبى، و لم يترك الامـم الاوارسل اليهم الهداة المنذرين، وانه قد اصطفى و استخلص الرسل والانبياء وهم افضل الخلائق‌لتبليغ امره وحكمه وجعلهم بسبب ذلك الاستخلاص والاصطفاء مصدقين معصومين عن الخطاء فى اخبار الله و نـذره كما دل عليه قوله‌تعالى: وان من امة الا خلا فيها نذير، اى مامن امة الا مضى وارسل فيها نذير وهو رسول اونبى.

فاذا تقرر و ثبت ان سنة الله جارية على عـدم خلو الارض عن القائمين بامره الحافظين لدينه المخبرين عنه الهادين لخلقه فيكـون الحال فى كل زمان على هـذا

المنوال ولن تجد لسنةالله تبديلا ولاتحويلا، الاان الرسالة لما ختمت بمحمد صلى‌الله عليه واله فلايكون بعده نبى، اى نبوة التشريع ولارسول.

لان كل من يأتى بعده من الائمة و الاولياء فهو تابع له فى دينه و شريعته، لان الدين قدكمل ببعثته و بلغت الشريعة غايتها لقوله تعالى: اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى (المائدة ــ ۳)، فلم يبق الا الاعلامات والالهامات الباطنية المتعلقة باسرار اليقين وعلوم الكتاب والحكمة والدين وهى لاتنقطع ابدا، فلابد فى كل زمان من هادى منذر يتعلم من الله ويتنور قلبه بنوره ويهتدى بهداه لابهدى الخلق لان يهدى الخلق.

ومنها قوله عليه‌السلام: تاه من جهل واهتدى من ابصر الى قوله عليه‌السلام: لم يتدبر، تقريره:

ان العلم و هــو البصيرة القلبية شرط الاهتداء الى سواء السبيل، كما ان البصر الحسى شرط للمشى على طريق مقصد من غير زيغ و وقوع فى بئر ونحو ذلك، فمن جهل تاه عن سبيل‌الله فى اودية الضلال والهلاك ومن ابصر اى عقل اهتدى، لان الجهل عمى فى القلب عن ملاحظة طريق الحــق و العقل بصيرة قلبية لقــوله : فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، فكيف يهتدى الى طريق الحق بلاامام وقائد من لم يكن له نور البصيرة العقلية ولم يتدبر؟ كما ان من لم يكن له البصر الحسى لايقدر ان يمشى الى المقصد بلاقائد.

فعامة الناس يحتاجون فى طريق العبودية والطاعه لله الى قائد ذى بصيرة و امام حق اخذ علمه من الله بلاواسطة ، والالاحتاج هو ايضاً الى امام اخر فيلزم اما التسلسل او الانتهاء الى من يأخذ من الله، والاول باطل فتعين الثانى وهو المراد بالامام هيهنا.

و اذا بين وحقق عليه‌السلام بهذه الوجوه والدلائل ماكان بصدده صرح بماهو كالنتيجة لها فى صورة الامر بالعمل بمقتضاها فانه ابلغ واكد وهو قوله: اتبعوا رسول الله صلى اله عليه واله واهل بيته، اى اهل بيت النبوة والهدى، وقوله: و اقروا بما نزل من عندالله، اراد بمانزل من عندالله الايات التى ذكرها فى هذاالحديث اوكل اية نزلت فى باب اتباع الرسول و ولاة الامر او نزلت فى باب العلم والهدى و التقى و ذم الجهل

والعمى، فان الاقرار بها يوجب اتباع ائمة الدين و اقتفاء اثار العلم واليقين وعلامات هدى الله و اليه اشار بقوله: و اتبعوا اثار الهدى فانهم علامات الامانة و التقى، و قد حققنا معنى الامانةالتى عرضت علىالسموات والارض والجبال ولم يحملها الاالانسان الكامل .

و قوله: و اعلموا انه لوانكر رجل عيسى بن مريم عليه‌السلام و اقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن ، اراد به ان الايمان بالرسول صلى‌الله عليه واله لايتم الا بالايمان بمن بعده من الائمة عليهم‌السلام، لان سبب وجوب الايمان والطاعة مشترك بينه و بين الائمة عليهم‌السلام و هوالحاجة الى من يقودالناس ويهديهم فى كل زمان.

و اوضح ذلك بان من انكر واحداً من الرسل والانبياء كعيسى عليه‌السلام و اقربمن سواه منهم لم يكن مؤمنا بهم ولا باحدهم فى‌الحقيقة، لان العلة مشتركة بين الجميع، فمن‌امن ببعضهم دون بعض‌فليس ايمانه الامجرد الاقرار باللسان دون‌الضمير والا فلامعنى للتفرقة بينهم كمافى قوله تعالى حكاية عن قول المؤمنين بالله و رسوله: لانفرق بين احد منهم (البقرة ـ ١٣٦)، فكذلك يجب ان يكون الامر فى باب الائمة والاوصياء عليهم السلام من وجوب طاعته كلهم وانقيادهم و اتباع سبيلهم جملة من غير فرق.

ثم استأنف الكلام تأكيداً و توضيحا بقوله: اقتصوا الطريق، اى اتبعوا سبيل الحق واسلكوها بالتماس المنار، اى العلامة كيلا تضلوا و لاتخرجوا عن الطريق الى اودية الهلاك، و قوله: والتمسوا من وراء الحجب الاثار، عطف تفسير لما قبله مع زيادة اعتراضية افادها تنبيها على شدة الحاجة الى التماس المنار والاثار، فان الاعمى فى‌الظاهر له حجاب واحد وهو فقد بصره واكثر الناس لهم حجب كثيرة يحجبهم عن سبيل الحق بعضها داخلية وبعضها خارجية.

فالداخلية كالجهل وسائر الامراض‌القلبية ممايطول شرحها ـ وسيأتى فى كتاب الايمان و الكفر ـ ، والخارجية كالائمة و الامراء المضلين و علماء الدنيا الجاهلين بحقائق الدين و اسرار اليقين و سائر المعطلين و الاشرار وابناء الشياطين و جنود

ابليس اجمعين .

و قـوله عليه‌السلام : تستكملوا امر دينكم و تؤمنوا بالله، جـواب لماسبق من الاوامر اولقوله: اقتصوا والتمسوا خاصة تنبيها على ان الدين لايكمل والايمان لايحصل الاباتباع هؤلاء الائمة عليهم السلام.

الحديث السابع
و هوالتاسع والستون و اربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن‌ـ الحسين بن صغير»، مجهول غير مذكور فى هـذه الكتب الرجالية. «عمن حدثه عن ربعى بن عبدالله، عن ابى عبدالله عليه‌السلام انه قال: ابى الله ان يجرى الاشياء الاباسباب، فجعل لكل شىء سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما وجعل لكل علم بابا ناطقا، عرفه من عرفه وجهله من جهله؛ ذاك رسول‌الله صلى الله عليه واله ونحن».

الشرح

قوله: ابى الله ان يجرى الاشياء الاباسباب، لان الله سبحانه فى غاية الاحـدية و التنزيه والتقديس، والاشياء كثيرة منقسمة، ولابد فى الايجاد من مناسبة خاصة بين السبب والمسبب، وايضاً نسبته تعالى الى الكل بالقدرة نسبة واحدة فلابد فى تخصيص بعضها بايجاد دون بعض من سبب مرجح والايلزم الترجيح بلامرجح وهومحال.

واعلم ان هذه مسألة مهمة لااهـم منها، لان القول بالعلة والمعلول مبنى جميع المقاصد العلمية و مبنى علـم التوحيد والربوبية والمعاد وعلم الرسالة والامامة و علم النفس ومابعدها وماقبلها و علـم تهذيب الاخلاق والسياسات وغيرذلك، و بانكاره و تمكين الارادة الجزافية كما هو مذهب اكثر العامة و علمائهم، تنهدم قواعـد العلم و اليقين واصول الحكمة والكتاب والدين.

ففى ما ذكره عليه السلام رد على مذهب العامة و من يجرى مجراهـم ، و انه

اعظم فتنة ابـدعها الشيطان و انتشرت بين الناس يتشبث بها المنافقون المعرضون عن طريق الحق من انكار الحكمة واليقينيات والاقتصار على الظنون والنقليات، و انما عبر عن ايجادالاشياء باجرائها تنبيهاً على ان وجودات الاشياء الكونية على وجه السيلان و التجدد وانها تدريجيةالوجود من باب الحركة والزمان ـ كما حققناه واثبتنا به حدوث العالم بجميع مافيه ـ .

وقوله: فجعل لكل شيء سببا، اى لكل موجود سواه، فان الممكن مفتقر الى السبب لا في امكانه و لافي شيئيته بل في وجوده ، فالمجعول هو وجـود الانسان مثلا لاماهيته ولاانسانيته ولاكـونه انسانا اوحيوانا بالجعل البسيط او المركب كمابين في مقامه، و قوله: و جعل لكل سبب شرحاً ، اى حـدا او رسماً وهوالذى يقال له القول الشارح فيعرف النظار، فالحد للمركبات سواء كان من المواد والصور اومن الاجناس والفصول، والرسم للبسائط وهو من الخواص والاعراض اللازمة.

وقوله: وجعل لكل شرح علماً، اراد بالعلم اليقين كماهوعرف القران والحديث، وفيه اشارة الى مابين في الحكمة ان الحد للشيء و البرهان عليه متشاركان في الاجزاء و الحدود، وما لاحـد له لابرهان عليه وكـذا العكس، وان العلم اليقينى بذى السبب لايحصل الامن جهة سببه وهوالبرهان.

فكما ان العلم بوجود الشيء لايحصل الا بالبرهان فكذلك معرفة حده وشرحه لايحصل الا بالبرهان، لان اجزاء شرحه الحدى هى بعينها اسباب وجـوده فى ذاته و اجزاء شرحه الرسمى هي اسباب وجوده على صفة[1]، وقدجعل الله لكل من هذه المطالب علماً يستفاد بالبرهان وهو معرفة الشيء من جهة سببه.

و قوله: وجعل لكل علم باباً ناطقا عرفه من عرفه وجهله من جهله، الضمير الاول فى كل منهما راجع الى العلم والثانى الى الباب، وقد علمت فيماسبق ان حجة الله حجتان: حجة باطنة وحجة ظاهرة.

فالاولى الانبياء و من يحذو حذوهم في الاخذ عن الله بواسطة البرهان العقلى.

١ـ على صفته ـ م.

والثانیة للعامة من العباد و مایجری مجراهم فی وجـوب اخذهم المعارف من النبی والامام علیهما السلام، فکما جعل الله لکل علم باباً باطناً و حجة باطنة فکـذلك جعل لکل علم بابا ناطقا و حجة ظاهرة؛ ذلك رسول الله صلی الله علیه واله و اهـل بیته المعصومین علیهم السلام.

الحدیث الثامن
و هو السبعون و اربع مائة

«محمد بن یحیی عن محمد بن الحسین، عن صفوان بن یحیی عن علاء بن رزین، عن محمد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفر علیه السلام یقـول: کل من دان الله عزوجل بعبادة یجهد فیها نفسه ولاامام لـه من الله، فسعیه غیرمقبول وهو ضال متحیر والله شانیء لاعماله، و مثله کمثل شاة ضلت عن راعیها و قطیعها فهجمت ذاهبة و جائیة یومها؛ فلما جنها اللیل بصرت بقطیع غنم مع غیر[1] راعیها، فحنت الیها واغترت بها، فباتت معها فی مربضها فلما ان ساق الراعی قطیعه انکـرت راعیها و قطیعها، فهجمت متحیرة فحنت الیها و قطیعها[2] فبصرت بغنم مع راعیها فحنت الیها واغترت بها، فصاح بها الراعی: الحقی براعیك وقطیعك فانت تائهة متحیرة عن راعیك وقطیعك، فهجمت ذعرة؛ متحیرة، تائهة ، لاراعی لها یرشدها الی مـرعاها او یردها؛ فبینا هی کـذلك اذا اغتنم الذئب ضیعتها، فاکلها».

«وکذلك والله یامحمد! من اصبح من هذه الامة لاامام له من الله عزوجل ظاهر عادل اصبح ضالا تائهاً، وان مات علی هذه الحالة مات میتة کفرو نفاق واعلم یامحمد! ان ائمة الجـور و اتباعهم لمعزولون عن دین الله قـد ضلوا و اضلوا، فاعمالهم التی یعملونها کرماد اشتدت به الریح فی یوم عاصف لایقدرون مما کسبوا علی شیء، ذلك هو الضلال البعید (ابراهیم ــ ۱۸)».

۱ــ مع راعیها (الکافی).

۲ــ متحیرة تطلب راعیها و قطیعها (الکافی).

الشرح

دان الله اى اطاعه من الدين؛ وشانیء من الشنائة كالشناعة و هی البغض، وقد شنأه من باب لبس شنئاً بحركات الشين اى ابغضه فهوشانیء؛ والقطيع الطائفة من الغنم والبقر؛ والهجوم الاتيان دفعة والدخول من غير استئذان؛ جنه الليل وجن عليه واجنه ستره؛ والمربض للغنم كالمعطن والمبرك للابل، وربوض الغنم والبقر والفرس و الكلب مثل بروك الابل و جثوم الطير وجلوس الانسان، ذعرة اى فزعة من ذعره ذعراً فزعه، بيناهی كذلك ای كانت بين اوقات تحيرها فانه قديحذف مضاف اليه بين ويعوض عنه بالالف، كمايقال: بينا نحن نرقبه اتانا، اى اتانا بين اوقات رقبتنا اياه، و الضيعة الهلاك، يقال: ضاع الشیء يضيع وضياعا.

اقول: لما ثبت ان العبادة لاتصح الابالعلم والعلم لايحصل الامن عندالله بلا واسطة او بواسطة من حصل له من عندالله كالنبى والامام بالحق، فكل من اراد ان يدين الله بعبادة و بذل فيها غاية سعيه وجهده وهو ليس ممن يهتدى بهدى الله ونوره بلاواسطة ولاله امام هاد ومهدى من الله فسعيه باطل غير مقبول، وهومعذلك ضال عن طريق الحق متحير والله مبغض لاعماله.

اما كون سعيه باطلا غير مقبول فظاهر، لان شرط صحة العبادة معرفة المعبود والقصد الى تقربه وهی غير حاصلة له، واما كونه ضالا عن الطريق فلظنه الفاسد انه على شیء يعتد به من الطاعة وهو ليس على شیء منها اصلا، و اما كون عمله مبغوضاً ممقوتا عندالله وعند ملائكته ورسله واوليائه، فلما لاينفك عنه الجاهل الناسك من الاعجاب والكبر و الغرور و تزكية النفس و تحقير الغير وسائر الامراض والافات المهلكة.

ثم انه عليه السلام ضرب للجاهل المتعبد الذى ليس له امام مثلا فقال: و مثله كمثل شاة الى قوله: ميتة كفرو نفاق، والتمثيل عبارة عن تشبيه هيئة مجموع بهيئة مجموع اخر ولابد من اشتماله على تشبيهات متعددة للاجزاء.

ففى هذاالتمثيل شبه الامام بالراعى والامة بالغنم والجاهل الذى لاامام له بالشاة التى ضلت عن راعيها و قطيعها و شبهت عبادته و سعيه بتهجم تلك الشاة ذاهبة و

جائیة لاشتراکهما فی‌الضلال والتحیر مع السعی والتردد.

واما قوله علیه‌السلام: فلما جنها اللیل بصرت بقطیع غنم، فکان المشبه ههنا اطلاع الجاهل الناسك فی بعض الاوقات علی ظلمة جهله وعماه لما ظهر علیه بعض العلامات الدالة علی انحطاط مرتبته، مثل مایری من ارتفاع حال من یحقرهم ویذری بهم من بعض طلبة العلم و نحو ذلك، فعند ذلك ربما یرید ان یدخل فی زمرة طائفة منهم ویشرع فی‌اکتساب ماهم علیه، لکن لما بطل استعداده ورسخ فی‌قلبه هیئة الجهل والعمی فلم یزده‌الدخول فیهم والکون معهم زماناً الاتنفراً وانکاراً انکرطبعه طریق تلك الطائفة وانکر قائدهم و امامهم وان کانوا علی الحق، فقوله: فباتت معها فی‌مربضها، تشبیه لکونه مع‌تلك‌الجماعة مدة فی‌مجلس استفادتهم ومدرستهم، والتعبیرعنه بالبیتوتة لماسبق من کونه فی‌ظلمة لیل الجهل.

و قوله: فلما ان ساق الراعی قطیعه، تشبیه لترقی تلك الطائفة فیما هم علیه و انسیاقهم فی سبیلهم من جهة امامهم وقائدهم، وقوله: وانکرت راعیها و قطیعها، تشبیه لانکار هذاالجاهل المتنسك لتلك الجماعة من‌الطلاب و رئیسهم بعد ان‌کان مدة معهم علی ظاهرالتقلید و صورة الطلب من غیر قلب سامع و اذن واع.

وقوله: فهجمت متحیرة بطلب راعیها وقطیعها، تشبیه لحاله بعدانکاره لهؤلاء و انضجاره عن‌طریقتهم لما وجدها صعباً غامضاً، وهولاعجابه بنفسه یرید ان یطلب‌منهجاً یکون هومن جملة المعتبرین فیه.

و قوله علیه‌السلام: فبصرت بغنم مع راعیها فحنت الیها و اغترت بها، تشبیه بحاله فی‌ارادة لحوقه بطائفة اخری زاعما انه من صنف هؤلاء دون الطائفة الاولی لما رأی منهم من صورة الاعمال والعبادات، ولم یدر ان بناء اعمالهم علی‌المعارف الحقة الباطنیة والمکاشفات العلمیة السریة، فلما اراد ان یدخل فی زمرتهم ویسنن بسنتهم رده شیخ هذه الطائفة و امامهم لما رأی من عدم اهلیته و فساد باطنه و جمود قریحته و قساوة قلبه.

والی هذا الرد اشار بقوله: فصاح بها الراعی الحقی براعیك وقطیعك فانت

تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، تنبيه على انه كان يجب عليه متناول امره قبل رسوخ هذه الرذائل النفسانية و استحكام الجهالة و القساوة ان يكون مع الجماعة تابعا لقائد مرشد يهديه ويأمره وينهاه، وهو يأتمر بامره وينتهي بنهيه ويعمل باشارته ويسلك بنوره و يهتدى بهداه، واما بعد مرور الازمنة والاوقات بالبطالة والجهالات فلاينجع فيه التعليم والتأديب ولاالسعي والتهذيب، ومثل قول هـذا الراعي لها: الحقي براعيك وقطيعك في ما حكاه الله تعالى بقوله : يـوم يقول المنافقون و المنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا (الحديد ـ ١٣).

وقوله: فهجمت ذعرة متحيرة لاراعي لها يرشدها الى مرعاها او يردها، تشبيه بضيعة فيمابقي من عمره متحيراً شاكا مضطرباً ضالا لاهـادي له يرشده الى معاده او يرده من الضلالة الى الاهتداء ومن الانحراف الى الاستقامة.

وقوله: فبينا هي كذلك اذا اغتنم الذئب ضيعتها فاكلها، المشبه بالذئب اما موته الذي هو باستيلاء احدى الطبائع العنصرية على مزاجه الحيواني و حرارته الغريزية وتغمرها و تفنيها فيقطع الهلاك، واما الشيطان اذ يغتنم اضلاله في تلك الحالة و يجـد الفرصة لاهلاك الابدي بالكفر والنفاق، وباقي الفاظ الحديث واضح.

الحديث التاسع

وهوالحادي والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور عن عبدالله بن- عبدالرحمن» الاصم المسمعي بصري ضعيف غال ليس بشيء، وله كتاب في الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت وكان من كذابة اهل البصرة، و روى عن مسمع- كردين وغيره «صه» قال النجاشي: له كتاب المزار سمعت ممن رآه فقال[1]: هو تخليط، وله كتاب الناسخ والمنسوخ روى عنه محمد بن عيسى.

«عن الهيثم بن واقـد» ، من اصحاب الصادق عليه السلام، و في كتاب البرقي

١ـ فقال لي «جش».

مولاه[1] علیه‌السلام، فی النجاشی: الخرزی[2]، روی عن ابی عبدالله علیه‌السلام له کتاب یرویه محمد بن سنان، و فی کتاب ابن داود: من اصحاب الصادق علیه‌السلام، کشی: ثقة فیتدبر.

«عن مقرن» بن عبدالرحمن مولاهم کوفی من اصحاب الصادق علیه‌السلام: «قال: سمعت اباعبدالله علیه‌السلام یقول: جاء ابن الکوا الی امیرالمؤمنین علیه‌السلام فقال یا امیرالمؤمنین! وعلی الاعراف رجال یعرفون کلابسیماهم (الاعراف ــ ۴۶)، فقال: نحن علی الاعراف نحن، نعرف انصارنا بسیماهم و نحن الاعراف الذی لایعرف الله عزوجل الابسبیل معرفتنا و نحن الاعراف یعرفنا الله عزوجل یوم القیامة علی الصراط؛ فلایدخل الجنة الامن عرفنا وعرفناه ولایدخل النار الامن انکرنا وانکرناه، ان الله تبارك و تعالی لوشاء لعرف العباد نفسه و لکن جعلنا ابوابه وصراطه وسبیله والوجه الذی یؤتی منه، فمن عدل عن ولایتنا اوفضل علینا غیرنا، فانهم عن الصراط لناکبون فلاسواء من اعتصم الناس به ولاسواء حیث ذهب الناس الی عیون کدرة یفرغ بعضها[3] من بعض، و ذهب من ذهب الینا الی عیون صافیة تجری بامر ربها، لانفاد لها ولاانقطاع».

الشرح

ابن الکوا اسمه عبدالله هـو من جملة رؤساء الخوارج الذین خـرجـوا علی امیر المـؤمنین علیه السلام حین جری امرالحکمین و اجتمعـوا بحروری من ناحیة الکوفة، و رأسهم عبدالله بن الکوا وعتاب بن الاعور وزید بن عاصم المحاربی وابن زهیرالبجلی المعروف بذی الثدیة، وکانوا یومئذ فی اثناعشر الفا اهل الصلوة والصیام اعنی یوم النهروان، وفیهم قال النبی صلی‌الله علیه واله: تحقر صلوة احدکم فی جنب صلوتهم وصوم احدکم فی جنب صومهم ولکن لایجاوز ایمانهم تراقیهم، وهم المارقة

۱ــ مولی الصادق «جامع الرواة».
۲ــ الجزری «جش».
۳ــ فی (الکافی).

الذين قال صلى‌الله عليه واله فيهم: سيخرج من ضئضیء[1] هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم عن الرمية، وهم الذين اولهم ذو الخويصرة و اخرهم ذو الثدية وحكايتهم طويلة.

والغرض ان ابن الكـوا كان منهم ومن اشدهم مروقا من الدين وخروجا على امير المؤمنين عليه‌السلام.

والاعراف جمع عرف و هو كل مكان عال مرتفع، ومنه عرف الفرس و عرف الديك، وكل موضع مرتفع من الارض عرف، وذلك لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه، نكب عن الطرين من باب طلب نكـوبا فهو ناكب اى عدل؛ و فرغ الماء من باب لبس انصب.

اعلم ان الذى ذكره عليه‌السلام فى معنى الاعراف و اصحاب الاعراف اليق و اولى مما ذكره المفسرون واوفق بما فى الاية من الاوصاف التى ذكره‌الله تعالى للرجال الذين هم على الاعراف، و ذلك ان للمفسرين اقوالا فى تفسير الاعراف واصحابه، اما تفسير الاعراف فلهم قولان:

الاول وهو الذى ذهب اليه الاكثرون ان المـراد بها اعلى السور[2] المضروب بين الجنة و النار و هـو المروى عن ابن عباس ، و روى عنه ايضاً انه قال : الاعـراف شرف الصراط.

والقول الثانى عن الحسن والزجاج فى احد قوليه: انه و على الاعراف اى و على معرفة اهل الجنة والنار رجال يعرفون كلا من اهـل الجنة و النار بسيماهم، وقيل للحسن: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فضرب على خده[3] ثم قال: هم قوم جعلهم‌الله على ان تعرف اهل الجنة واهل النار يميزون البعض عن البعض، والله لا ادرى لعل بعضهم معنا،

۱ــ قال صاحب المجمع: ضئضیء الشیء، اصله، ومنه حديث على عليه‌السلام: سيخرج من ضئضیء هذا... الى اخره.

۲ــ اعالى ذلك السور «التفسير الكبير».

۳ــ فخذه «مجمع» فخذيه «التفسير».

وما ذكره قريب من الحق.

ثم ان القائلين بالقول الاول اختلفوا فى ان الذين هم على الأعراف من هم؟ و لقد كثرت الاقوال فيه وهى مع كثرتها محصورة فى قولين: احدهما ان يقال: انهم الأشراف من اهل الطاعة والثواب، والثانى ان يقال: انهم اقوام يكونون فى الدرجة االسافلة من اهل الثواب، اما على تقدير الاول ففيه وجوه:

احدها قال ابومجاز[1]: هم ملائكة يعرفون اهل النار، فقيل له: قال تعالى: وعلى الاعراف رجال، فقال[2]: الملائكة ذكور لااناث فيكونون رجالا، و لقائل ان يقول: الوصف بالرجولية انمايحسن فى الموضع الذى فى[3]مقابلة الرجل من تكون انثى، و لما امتنع ان يكون الملك انثى امتنع وصفهم بالرجولية.

وثانيها قالوا: انهم الانبياء، عليهم السلام اجلسهم الله على اعالى ذلك السور تميزاً[4] لهم عن سائر اهل القيامة واظهاراً لشرفهم و علو مرتبتهم، و اجلسهم الله على ذلك المكان العالى ليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار، مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم، وفيه ماسيأتى من منافاة حالهم فى الاخرة لذلك.

وثالثها قالوا انهم هم الشهداء لانه تعالى وصف اصحاب الاعراف بانهم يعرفون كل واحد من اهل الجنة واهل النار ، ثم قال: قوم انهم يعرفون اهل الجنة يكون وجوههم ضاحكة مستبشرة و اهل النار بسواد وجوههم و زرقة عيونهم. وهذا الوجه باطل، لانه تعالى خص اهل الاعراف بانهم يعرفون كل احد من الطائفتين بسيماهم، و لوكان المراد ماذكروه لما بقى لاهل الاعراف اختصاص بهذه المعرفة، لان كل احد من اهل الجنة واهل النار يعرفون هذه الاحوال.

ولما بطل هذا الوجه ثبت ان المراد بقوله: يعرفون كلا بسيماهم هو انهم كانوا

۱ـ ابومجلز «التفسير».

۲ـ وتزعم انهم ملائكة؟ فقال ... «التفسير».

۳ـ يحصل فى «التفسير».

۴ـ تمييزاً «التفسير».

يعرفون فى‌الدنيا اهل الخير والايمان واهل‌الشر والفساد والطغيان، وهوتعالى يجعلهم على الاعراف وهى الامكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل و يشهدون على كل احد بما يليق به ويعرفون ان اهل الثواب وصلوا الى الدرجات و يصلون اهل العقاب الى الدركات.

و اعترض بان هذه الوجوه الثلاثة باطلة، لانه تعالى قال فى وصفهم: انهم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها وهذا الوصف لايليق بالانبياء والملائكة والشهداء.

واجاب الذاهبون الى هذاالوجه بانه لايبعد ان يقال: انه تعالى بين من صفة[1] اصحاب الاعراف ان دخولهم‌الجنة يتأخر، والسبب فيه انه تعالى ميزهم عن اهل‌الجنة و اهل النار و اجلسهم على تلك الشرفات العالية و الامكنة المرتفعة ليشاهدوا احوال اهل‌الجنة واهل النار فيلحقهم السرورالعظيم بمشاهدة تلك الاحوال، ثم اذا استقر اهل الجنة فى الجنة و اهل النار فى النار ينقلهم[2] الله تعالى الى امكنتهم‌العالية فى الجنة.

فثبت ان‌كونهم غير داخلين فى‌الجنة لايمنع من‌كمال شرفهم وعلو درجتهم، و اما قوله تعالى: وهم يطمعون، فالمراد من هذا الطمع اليقين، الاترى ان الله تعالى قال حكاية عن‌الخليل عليه‌السلام: والذى‌اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم‌الدين؟ (الشعراء ـ ٨٢)، وذلك‌الطمع يقين فكذا هيهنا.

فهذا تقرير قول من يقول ان اصحاب الاعراف هم اشراف اهل‌الجنة، و هذا الجواب ضعيف كما لايخفى، فان السرور بمشاهدة احوال الفريقين انى يكون‌كالكون فى‌اعلى منازل الجنة ومقعدالصدق ولذة لقاءالله حتى يكون لاجله التعويق عن‌الدخول فيها واللقاء؟

ثم ما ذكروا من ان الطمع لاينافى اليقين انما يصح اذا وقع فى الدنيا قبل انكشاف الغطاء وقيام الاخرة وحيث يصير اليقين مشاهدة والعلم عيناً، فهذا الطمع انما

١ـ صفات «التفسير».

٢ـ فحينئذ ينقلهم «التفسير».

يليق بحال الانبياء ومن يجرى مجراهم ماداموا فى‌الدنيا.

واما القول الثانى وهو قول من يقول: انهم يكونون فى‌الدرجة النازلة من‌اهل الثواب والقائلون بهذا القول ذكرواله وجوها:

احدها انهم اقوام تساوت حسناتهم و سيئاتهم فلاجرم ماكانوا من اهل الجنة ولامن اهل النار ثم يدخلهم الله الجنة بفضله و رحمته و هم اخر قوم[1] يدخلون الجنة، وهذا منقول عن حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وطعن الجبائى والقاضى الباقلانى فى‌هذاالقول واحتجوا على فساده بوجهين:

احدهما ان قالوا : ان قوله تعالى : و نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بماكنتم تعملون (الاعراف ـ ۴۳)، يدل على ان كل من دخل‌الجنة فانه لابد ان يكون مستحقالدخولها، و ذلك يمنع من‌القول بوجود اقوام لايستحقون الجنة والنار ثم‌انهم يدخلون الجنة بمحض‌التفضل لابسبب الاستحقاق.

و ثانيهما ان‌كونهم من اصحاب الاعراف يدل على انه تعالى ميزهم من جميع اهل القيامة بان اجلسهم على الاماكن العالية المشرفة على اهل الجنة والنار، و ذلك تشريف عظيم و مثل هذاالتشريف لايليق الا بالاشرف ، و لاشك ان الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فدرجاتهم قاصرة لايليق بهم ذلك التشريف.

والوجه الثانى من‌الوجوه المذكورة فى‌تفسير اصحاب الاعراف قالوا: المراد منهم قوم[2] خرجوا الى‌الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فجلسوا بين الجنة والنار.

واعلم ان‌هذاالقول داخل فى‌القول‌الاول، لان هؤلاء لماساوت معصيتهم طاعتهم بالجهاد[3] فهم من جملة من ساوت حسناته سيئاته، فلا وجه لتخصيص هذه الصورة و قصر لفظ الاية عليها.

والوجه الثالث قال عبدالله بن الحرث: انهم مساكين اهل الجنة.

۱ـ قوم «التفسير».

۲ـ اقوام «التفسير».

۳ـ باجهاد «التفسير».

والوجه الرابع قال: قوم انهم الفساق من اهل الصلوة يعفوالله عنهم و يجلسهم فی‌الاعراف، و کلا القولين ضعيف کما لايخفی.

فهذا کله شرح قـول من يقول : الاعراف عبارة عن الامکنة العالية على السور المضروب بين الجنة والنار.

واما الذين يقولون: الاعراف عبارة عن‌الرجال الذين يعرفون اهل‌الجنة واهل النار فقال بعض متأخری مفسرين: ان هـذا القول غير بعيد عن الثواب، الا ان هؤلاء الاقوام لا بد لهم من مكان عال يشرفون منه على اهل‌الجنة واهل‌النار وحينئذ يعود هذا القول الى القول الاول.

اقول: سينکشف لك تحقيق هذاالقول من غير ان يعود الی‌القول الاول.

فهذه تفاصيل اقوال‌الناس ممن لاکشف‌لهم بحقائق‌الامور وليسوا من‌الراسخين فی‌العلم والنور.

و لنرجع الى تبيين ما ذكره اميرالمؤمنين عليه‌السلام، فلتعلم اولا ان اصحاب الكشف والشهود والعيان والكاملين فی‌العلم والايقان وصلـوا الى مرتبة من‌اليقين و الكمال يشاهـدون احوال الاخرة و اهـل الجنة و اهل‌النار، وهم بعد فی‌جلابيب من ابدانهم الدنيوية كأنهم قدنضوها و تجردوا عنها، فلايحجبهم الابدان عن‌مشاهدة تلك النشأة و احـوال اهلها، کماحکی حارثـة الانصاری عن نفسه و هو من خواص امير المؤمنين عليه‌السلام حين سألـه رسول الله صلى‌الله عليه واله عن حقيقة ايمانـه فقال: اری اهل الجنة فی‌الجنة يتزاورون واهل‌النار فی‌النار يتعاوون.

فحمل قـوله تعالى: وعلى‌الاعراف رجال، على مثل ماذكرناه اليق واولى، اذ قوله تعالى: يعرفون کلابسيماهم، يناسب حال اهل‌العرفان مادامو فی‌الدنيا، فان معرفة الطائفتين والتميز بينهما بالسيماء والعلامة انما يكون فی‌الدنيا.

واما فی الاخـرة فالامتياز بين‌الفريقين فی غاية الظهور لايحتاج الى ان يعرف بالسيماء وكذا: لم يدخلوها وهـم يطمعون، يناسب حالهم فی الدنيا وكذاقوله: و اذا صرفت‌ابصارهم تلقاء اصحاب‌النار قالوا لاتجعلنا مع‌القوم‌الظالمين (الاعراف ـ ۴۷)،

یعنی اذا رأوا اهل النار الذین عرفوهم بسیماهم وماهم علیه من الکفر والفسق ظاهراً کان اوباطناً استعاذوا بالله ودعوا الله ان لایجعلهم مع القوم الظالمین ولایحشرهم مع هؤلاء، ومثل هذا الدعاء انما یلیق ویفید ویستجاب اذا کان العبد فی الدنیا دار الاکتساب، لان الاخرة دار الجزاء والثواب والعقاب لادار العمل والسعی، الاتری ان اهل النار یدعون ربهم: خفف عنا یوما من العذاب ولایفید ولایستجاب؟

واماقوله تعالی: ونادوا اصحاب الجنة ان سلام علیکم (الاعراف ـ ۴۶) فیحتمل الوقوع فی الدارین وکذا قوله: ونادی اصحاب الاعراف رجالا یعرفونهم بسیماهم قالوا مااغنی عنکم جمعکم وماکنتم تستکبرون (الاعراف ـ ۴۸)، وان کان الظاهر فیه کونه حکایة قولهم فی الاخرة بان یکون معناه: و نادی اصحاب الاعراف فی الاخرة رجالاکانوا یعرفونهم فی الدنیا بسیماهم، وقالوا ذلك القول ولکن یجوز حمله الوقوع فی الدنیا اوعلی ماهواعم ، وعلی ای تقدیر لاینافی کون ماسبق من المذکورات اخباراً عن حال العارفین فی الدنیا.

فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول: قوله علیه السلام: نحن علی الاعراف نعرف انصارنا بسیماهم، تنبیه علی ان معنی علی الاعراف علی المعرفة وان کلمة «علی» هیهنا للاستعلاء المعنوی العلمی لاللارتفاع المکانی الوضعی، وفیه اشارة الی ان انصارهم اهل الجنة و اعدائهم اهل النار وهم یعرفون الفریقین فی الدنیا بسیماهم لابظواهر اعمالهم الحسنة او السیئة.

ولایبعد ان یکون فیه کنایة لابن الکوا ونظرائه الذین کانوا فی الظاهر من اهل العبادة والزهد وکانت بواطنهم ملطخة بالکفر والعداوة والنفاق.

وقوله علیه السلام: ونحن الاعراف الذی لایعرف الله الا بسبیل معرفتنا، اراد بالاعراف مایعرف به الشیء سواء کان مابه المعرفة ذاتا اوصفة من باب تسمیة[1] الشیء باسم سببه و منشئه، فلامنافاة بین قوله: نحن علی الاعراف وقوله: نحن الاعراف، و

۱ـ الظاهر هنا تسمیة الشیء باسم مسببه لاالسبب، ویمکن التوجیه بعیداً والامرفیه سهل لمکان سهوالقلم، ومحصل التفرقة هیهنا هو ان المراد فی الاول هوالمعرفة بمعنی العارفیة و←

لايلزم كون الشيء علــى نفسه لاختلاف معنى اللفظ فيهما، ففى اولاول اريد بالاعراف نفس المعرفة وفى الثانى اريد سببها، وقوله: لايعرف الله بصيغة المجهول ومعنى الكلام: انه لايمكن من الناس معرفة الله الا من طريق معرفتنا، اى من عرفنا فقد عرف ربه.

واما قوله عليه السلام: ونحن الاعراف يعرفنا الله عزوجل يوم القيامة على الصراط[1] فلايدخل الجنة الا من عرفنا وعرفناه و لايدخل النار الا من انكرنا وانكــرناه ، فاراد بالاعراف هيهنا نفس المعروف بالذات كما يطلــق العلم علــى الصورة العلمية وهى المعلومة بالذات، واما الذى فى الخارج بازائها فهو معلوم بالعرض لابالذات.

اذاعرفت هذا فاعلم ان علمه تعالى بالاشياء على وجهين: احدهما اجمالى والاخر تفصيلى، اما علمه الاجمالى وهو علمه الكمالى الذاتى، فهو نفس ذاته الاحدية من غير كثرة وتفصيل، لان ذاته منبع انبجست منه وجــودات الاشياء كلها، فاذا علم ذاته علم جميع الاشياء بنفس ذلك العلم الذى هو نفس ذاته تعالى.

و اما علمه التفصيلى سواء كان بحضور ذواتها عنده بحسب وجودها الخارجى او بحصول صورها العلمية قبل ايجادها فى خزائن قضائه كلية اوفى الواح قدره جزئية، فذلك انما يكــون على الترتيب السببى و المسببى، فان العلم بالشيء ذى السبب انما يكون من جهة العلم بسببه كما ثبت فى العلوم الحكمية.

← فى الثانى هو المعرفة بمعنى المعروفية التى مرجعها كون الله تعالى معروفا بهم عليهم السلام و كونهم ما يعرف به الله سبحانه، ولكن كونهم عليهم السلام مايعرف به الله، محصلة كــون اشعة انوارهم الفائضة على قلوب العرفاء بالله سبحانه شعاع شعاع نور الانوار، فان انوارهم الربوبية عبارة عن تجلى نور الانوار و اشعة انوارهم عبارة عن تجلى نور التجلى الاول، و تجلى التجلى الاول ليس بمباين لــه، بل هو بمنزلة عكس العكس، و الكل يرجــع الى التجلى الواحد الذى له مراتب باعتبار اختلاف المظاهــر والترتب الواقع بين المرايا. فافهم (نورى).

۱ــ كان المراد من الصراط حسبما اقتضاه مساق الشرح هيهنا هــوالقوس الصعودى الوجودى يتأدى لطائفة الى الجنة ولطائفة الى النار وهــوصراط الوجودى الذى هوغير صراط التوحيد لمكان التعميم الذى يبتنى عليه حل الحديث، وفيه اسرار عجيبة حسبما اومىء اليه ان شاء الله، ومنها كونه علمه تعالى فعليا فيترتب عليه ما يترتب. فافهم (نورى).

ثم اعلم ان‌الانبیاء والرسل علیهم‌السلام ومن یحذو حذوهم من الائمة والاولیاء علیهم السلام اسباب و وسائط لهدایة الناس، وجعلهم من اهل الجنة و صیرورتهم من حدود الحیوانیة الی حدود الملکیة، کماان الملائکة اسباب فعالة لایجاد الخلائق و ما هو دونهم فی رتبة الوجـود؛ وکما ان علمه تعالی بالموجودات الکائنة بواسطة علمه بالملائکة من العقول و النفوس و غیرها و هـومعنی کونهم شهداء عندالله علی خلقه، فکذلک‌علمه بعباده‌المؤمنین بواسطة علمه بالانبیاء والاولیاء الهادین، فهم‌شهداء عندالله یوم القیامة علی‌العباد.

ثـم کان معرفتهم واتباعهم سبب السعادة و الجنة و انکارهـم و عصیانهم سبب الشقاوة و النار، فلهم السببیة علی الوجهین للفریقین، و هذا معنی کونهم قسیم الجنة و النار، فعلمه تعالی بکل من‌الفریقین واحواله ومایستحق من‌الثواب والعقاب انما حصل من جهة هؤلاء الشهداء بالاعتبارین المذکورین.

فهذا تحقیق کون النبی والائمة علیه و علیهم السلام شهداءالله علی خلقه ومعنی قوله تعالی: فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید و جئنا بک علی هؤلاء شهیدا (النساء ـ ۴۱)، فاعرف قدره واغتنم فانک لاتجده فی غیرهذا الکتاب.

فاذا تقرر ماذکرناه ظهر معنی قوله علیه‌السلام: نحن الاعراف، ای المعروفون بالذات المشهودون لله بلاواسطة، لکونهم فی‌درجة‌القرب عندالله من درجات الصراط و منازله التی لابد للانسان من‌المرور علیها علی الاستقامة حتی یصل الی درجة القرب منه تعالی.

فمن کان علی الصراط فی درجة القرب فهو معروف الحق تعالی، فیعرفه بذاته ویعرف به امته واتباعه، فمن عرفهم وعرفوه یدخلون‌الجنة، لان ذلک سبب استحقاقهم لدخـولها و ادراک النعیم ، و من انکرهم وانکـروه یـدخلون النار لان ذلک سبب حرمانهم عن الجنة واستحقاقهم لدخول الجحیم ونیل العذاب الالیم.

وقوله علیه‌السلام: ان الله تبارک و تعالی لوشاء لعرف العباد نفسه و لکن جعلنا ابوابه و صراطه وسبیله والوجه الـذی یؤتی منه، متعلق بقوله: نحن الاعراف الـذی

لايعرف الله الابسبيل معرفتنا، والغرض منه دفع ما ربما يتوهم من ظاهرالعبارة انه لو اراد الله تعريف نفسه للعباد بلاتوسيط لاحد فی‌ذلك لكان مستحيلا[1].

فازاح انذلك جائز علی‌وجه الاطلاق كمافی تعريف ذاته‌للمقربين من‌الملائكة المهيمين والانبياء الكاملين والاولياء الـواصلين سلام الله عليهم اجمعين وغير جـائز علی وجه‌العموم لكل احد ، فان سائر افراد الناس لايمكن لهم ان يعرفوا الله الابتعليم من هو نبی او وصی او وارث، واليه اشار بقوله: ولكن جعلنا ابوابه وصراطه و سبيله والوجه الذی يؤتی منه.

اماكونهم ابـوابا لـه تعالی فمن حيث انه لايمكن للناس الدخول الی معرفته الا بهم.

واماكونهم صراطه فمن حيث انه لابـد من المرور علی منازل مقاماتهم العلمية

۱ـ خلاصة ازاحةالوهم هوان كونهم عليهم‌السلام واسطة‌للكل من‌الملائكةالمقربين وسائر الانبياء و الاوصياء و الاولياء الماضين وغيرهم ينافی‌كون المقربين من الملائكة و سائر الانبياء الكاملين والاولياء الـواصلين من العلماء اللدنيين و من العارفين بالله بغير واسطة و بدون وساطة احد من‌الاولين والاخرين، والسر فيه هوكونهم ربانيين بالاصالة و علی الحقيقة، وكون غيرهـم من‌الربانيين ربانيين علی ضرب من‌التبعية، وكل ربانی و ان كان علمه بالله و بصفاته العليا وافعاله لدنياً مأخوذاً من‌الله تعالی من دون وساطة احد، لكن ربانيتهم عليهم‌السلام اصل الربانيات ، والربانيات الاخـری من فروع ربانيتهم، كما ان نور وجودهم اصل الانوار الوجودية و سائر الانوار الوجـودية نزولية كانت او صعودية من اشعة انـوارهم، وان الملائكة المقربين المهيمين و سائـرالانبياء المرسلين و الاولياء الواصلين وان كان لهم منصب الوراثة، لكن وراثتهم بتبعية وراثة هـؤلاء الختميين عليهم السلام، لكون الختمية مقتضية للاصالة فی‌الـولاية والوراثة، و سر السر هوالفناء فی الله و البقاء به، و الحاصل فی‌هذه الخصوصية العليا التی هی الغاية القصوی هم عليهم‌السلام و الباقون من فروعهم فی‌هذا المقام القمقام علی تفاوت درجاتهم فی منصب الفرعية و التبعية فی‌المقام، وظاهر ان اندكاك الانية له درجات مختلفة و مقامات متفاوتة بالقرب والبعد، مع انهم‌عليهم‌السلام هم‌الكل ولهم‌الكل وبهم‌الكل، ومنهم واليهم يرجع‌الكل،ان‌الينا ايابهم، فافهم فانه من‌اللطائف‌الشديدة اللطافة «نوری».

ودرجات اخلاقهم العملية ولوعلى وجه التبعية حتى يمكن الوصول الى الجنة والمغفرة.

و اما كونهم سبيله تعالى فلكـون الانحراف عنهم يوجب السقوط فى الحميم والوقوع فى نار الجحيم.

واما كونهم وجهه الذى يؤتى منه اى من ذلك الوجه اليه تعالى فلان العباد من جهة معرفتهم بهؤلاء يعرفون الله، فان وجه الشيء مايواجه منه، فان اريد بالـوجه الجهة والسمت فهم جهة الحق التى يؤتى منها اليه كما علمت.

و قوله: فمن عـدل عن ولايتنا او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون، شرح و تأكيد لمعنى كـونهم صراطا، فان صراط الله بالحقيقة من جهة العلم هو الايمان بالله واليوم الاخر ومن جهة العمل هو العدالة وهى التوسط بين الاضداد والاطراف فى مبادى الصفات الشهوية والغضبية والفكرية.

فقوله تعالى: ان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون (المؤمنون ـ ۷۴) اشارة الى ان الايمان هو الصراط، وقد علمت ان ايمان الامة بالله واليوم الاخر يحصل بسببهم و بمعرفتهم عليهم السلام، فهم بهذا المعنى صراط الله ومن عدل عن ولايتهم و الاهتداء بنورهم او زعم ان غيرهم افضل واهدى منهم فقد عدل عن الصراط وانصرف عن معنى العلم والايمان وتنكب عن طريق الحق وخرج عن نور الفطرة و سقط فى الجحيم.

وقوله عليه السلام: ولاسواء من اعتصم الناس به ولاسواء، تنبيه على الفرق بين ائمة الضلال و ائمة الهدايـة وكرر لفظ «ولاسواء» لزيـادة التأكيد فى الفرق وعلل ذلك بقوله: حيث ذهب الناس الى عيون كدرة الى اخره، شبه عليه السلام قلوب ائمة الضلال و رؤساء المذاهب الفاسدة من جهة مافيها من العلوم المغالطية و الشبهات التقليدية بعيون كـدرة ينصب الكـدر من الماء ويفرغ بعضها الى بعض، و شبه قلوب الائمة الهداة عليهم السلام من حيث اشتمالها على العلوم الالهية المصفاة عن كدورات الشبه والشكوك، لانها العلوم البرهانية الفائضة عليهم من الله بلاتوسط سماع او تقليد، بالعيون الصافية الجارية بامر الله التى لاتنفد ولاتنقطع.

واعلم ان مبنى هذين التمثيلين على تشبيه مطلق العلم بالماء مطلقا، و وجه الشبه

اشتراكهما فى سببية الحيوة فى الجملة، اما العلم فللحيوة الحقيقية الباقية و امـا الماء فللحيوة الدنيوية.

وقد ورد فى الكتاب الالهى تشبيه العلم بالماء فى مواضع كقوله تعالى: لايستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج (فاطر ـ ١٢)، تمثيل للايمان والكفر و هما نوعان من العلم: احـدهما منشأ الحيوة الاخرويـة السالمة من العذاب، والاخر منشأ العقوبة والمحنة، اذ المراد بالكفر فى اكثر مواضع القران الاعتقاد الباطل فى حق الله واياته و رسله مـع الجحود والعناد لامجرد الجهل بهذه الامور فانه امر عدمى وليس قسماً من العلم حتى يمثل بالماء الاجاج.

وقوله تعالى: انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها (الرعد ـ ١٧)...، الاية.

قال بعض العلماء: العلم كبحر اجرى منه اودية ثـم اجريت من الاودية الانهار ثم اجريت من الانهار جـداول ثـم اجريت من الجداول سواقى ، فالوادى لايحتمل البحر والنهر لايحتمل الوادى والجدول لايحتمل النهر، فبحـور العلم عندالله فاعطى الرسل ومن يجرى مجراهم[1] منها اودية، ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهار الى العلماء، ثم اعطى العلماء جداول صغار الى عامة المتعلمين على قدر طاقتهم، ثـم اجرى هؤلاء المتعلمون سواقى الى اهاليهم من العوام بقدر طاقتهم.

وهذا مأخوذ مما ورد فى الخبر: للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى من وراء ذلك كله سر، فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم[2]، ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم[3]، ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم، ولو اطلع

١ـ فالكل يجرى من البحر الى البحر، والكل من الله والـى الله، والاسم يعنى اسم الله الذى هـو امام ائمة الاسماء الحسنى هو سر الولى المطلق و المسمى انما هـوالحق سبحانه و تعالى شأنه، والذى هوشأن الذوت وفعل الذات بالذات وهوالاسم الاعظم الذى يكون امام الائمة، وهو الحقيقة المحمدية والعلوية الولوية. «نورى»

٢ـ باد بيداً و بياداً و بيوداً هلك ـ اباده: اهلكه.

٣ـ لوعلم اباذر مافى قلب سلمان لكفره او لقتله :

و رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا. «نورى»

الانبياء على سر الملائكة لخالفوهم، ولواطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين و بادوا بائدين[۱].

والسبب فى ذلك ان العقول والاذهـان لايحتمل الاسرار القويـة كمالايحتمل الابصار الضعيفة كابصار الخفافيش نـور الشمس، وكذلك كل مرتبة من النور القوى لايحتمل ماهو اقوى منه واشد كثيراً فيضمحل فى مشهده، وكذلك فى قوله: اناعطيناك الكوثر (الكوثر ـ ۱)، فالكوثر صورته صورة الماء وحقيقته حقيقة العلم.

لست اقول المراد من هذه الامثال الواردة فى القران مقصور على معانيها الباطنة العقلية من غير تحقق صور[۲] المحسوسة كمايقوله الباطنية كلا، بل نقول: الغرض منها العبور من مظاهرها الى مطاويها ومن صـورها الى معانيها، فان للقران ظهراً و بطناً و تفسيراً و تأويلا.

ثم اذا شبه العلم مطلقا بالماء فيترتب عليه تشبيه اقسامه باقسام المياه كتشبيه العلوم الحقة الخالية عن الشبه والشكوك بالماء الطاهـر الزلال و العلوم التى بخلافها بالماء الكدر المخلوط بالكثائف، وكتشبيه اليقينيات الدائمة بماء الجارى ابداً والتى بخلافها بالماء المنقطـع، وكتشبيه العلم الذى يفيض من عندالله بالهامه بلاواسطة معلم بشرى بالماء النازل من السماء الجارى فى الاودية بلاسعى وتعمل آلة وحفر قناة واستنباط.

والذى يحصل بالفكر والروية كالماء المستنبط من الارض بالحفر ونحـوه، و الذى يحصل بالتقليد كالماء الـذى يفرغ من حوض الى حـوض واليه الاشارة بقوله عليه السلام: يفرغ بعضها من بعض، اشعاراً بان علوم ائمة الضلال ليست مستفادة مـن قبل الله و رسوله ولامأخوذة ايضاً باستنباط من كتاب اوسنة، بل يأخذه بعضهم من افواه

۱ـ ومقام سر الاسرار الذى هو سر الله تعالى هو الختميين صلى الله عليهم اجمعين، اذالولاية المطلقة منصبهم الاعلى الذى هو فوق المناصب وهى مظهر العجائب ومظهر الغرائب، والولى المطلق هوسر الله السارى فى السموات والارضين، الله نورالسموات والارض مثل نوره... الاية. «نورى»

۲ـ صورها ـ م.

بعض تلفقا[1] و تقليداً لاتحقيقا وعرفانا، فيضلون و يضلون.

الحديث العاشر
و هوالثانى والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن على بن محمد، عن بكر بن‌صالح عن الريان بن شبيب»، خال المعتصم ثقة «صه» و قال‌النجاشى : سكن قم و روى عنه اهلها و جمع مسائل الصباح بن نصر الهندى للرضا عليه‌السلام، روى عنه يحيى بن زكريا اللؤلؤى. «عن يونس ، عن ابى‌ايوب الخراز عن ابى‌حمزة قال: قال ابوجعفر عليه‌السلام: يا اباحمزة! يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وانت بطرق السماء اجهل منك بطرق الارض ، فاطلب لنفسك دليلا».

الشرح

نبه عليه‌السلام على وجوب طلب‌الامام والاهتداء بنور تعليمه وارشاده فى‌سلوك سبيل الاخرة والمشى على صراط الحق بان الانسان ربما يخرج من بيته فراسخ فى طلب دليل لنفسه لاجل سفره البعيد فى‌الارض الى مقصد يسافر اليه، و ذلك لجهله بالطريق‌الموصل الى مقصده، و اذا كان الامر كذلك ولاشك ان الانسان الغيرالمستبصر بنورالعرفان والشهود جهله بطرق السماء اكثر واشد من جهله بطرق الارض.

و ذلك لان هذه الطرق امور حسية ومراحل صورية وتلك امور عقلية ودرجات معنوية ، و ادراك المحسوسات اسهل عليه من ادراك مابعدها لانه فى اوائل السلوك و مبادى الاحوال ، واقع فى مرتبة الحس والمحسوس لايعرف غيرها ، فاذن هو اجهل بطرق السماء منه بطرق الارض بل هوكالاعمى بالقياس الى تلك المراحل فهو احوج فى‌سلوك سبيل‌السماء الى امام يكون قائداً و دليلا له من الاعمى الى القائد فى سلوك

۱ــ تلفق به: لحقه، و تلقف الشىء: تناوله بسرعة.

طرق الارض، فكيف من الجاهل[1]؟

فثبت و تحقق ان الناس محتاجــون فى سلوك الاخرة الى امام هــاد يقتدون به و يهتدون بنوره، فيجب عليهم طلبه و التوصل اليه اشد وجــوب و اكده لئلا يقعوا فى اودية الضلال و مهاوى النكال؛ وهذا الحديث حجة لمن اعتقد ان الجنة فى السماء او فى السماء السابعة، و الذى يستفاد منه انه لابد للسالك المرور عليها و ليس هيهنا موضع تحقيق ذلك.

لكــن يجب ان يعلم ليس المراد من السماء هيهنا صــورتها الظاهرة ولا المراد من طرقها او المرور عليها او الوصول بها مايكون بحسب صورتها الطبيعية الــوضعية، لانها من الدنيا و الاخرة نشأة اخرى ليست من جنس الدنيا، بل ماهو بحسب صــورها الباطنية الغيبية التى لاتــدرك بهذه الحــواس الطبيعية بل بحاسة اخــرى باطنية، و الله ولى التوفيق.

الحديث الحادى عشر
و هو الثالث و السبعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ايوب بن الحر» بالراء بعد الحاء المهملة، الجعفى مولا ثقة روى عن ابى عبدالله عليه السلام «صه» قال النجاشى: ذكره اصحابنا فى الــرجال يعرف باخى ارديــم[2]، لــه اصل و فى الفهرست: روى عنه احمد بــن ابى عبدالله. «عــن ابى بصير، عــن ابى عبدالله عليه السلام فى قــول الله عزوجل: و من يؤت الحكمة فقــد اوتى خيرا كثيرا (البقرة ــ ۲۶۹)، فقال طاعة الله ومعرفة الامام».

۱ــ اى فكيف لم يكن الانسان احوج من الجاهل الغير الاعمى المسافر فى الارض؟ و الحال انه احوج من الاعمى الى القائد.

۲ــ اديم «جش».

الشرح

حقيقة الحكمة[1] هـي معرفـةالله تعالى و طاعته، و بعبارة اخـرى الايمان بالله وبملائكته وكتبه و رسله واليوم الاخر والعمل بمقتضاه، وبعبارة اخرى: العلم بحقائق الاشياء كماهي عليها والزهد في الدنيا.

وكما علمت ان الحجة حجتان: باطنة وظاهرة، فكذاالحكمة حكمتان: مستورة ومكشوفة، فالمستورة فيقلوب الانبياء و الاولياء وهم الحكماء الالهيون، وكل واحـد منهم حكيم باعتبار، وحكمة باعتبار على مانقرر فياتحاد العقل بالفعل[2] و العاقـل، و اما الحكمة الظاهرة فهي ذوات هـؤلاء، اشخاصهم اشخاص الحكمة، فكل من رأى واحداً منهم رأى صـورة الحكمة و شخصها، و هـذا غاية ايتاء الحكمة وايتاء الخير الكثير فيحق عامة الناس.

فمن عرف امامـه و اطاعـه فقد اطاع الله و اوتي الحكمة والخير الكثير، يعني الامام عليه السلام، لانه نفس الحكمة[3] كمابين. فافهم هذا واغتنم.

الحديث الثاني عشر
و هو الرابع والسبعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن ابان، عن ابي بصير، قال: قال لي ابوجعفر عليه السلام: هل عرفت امامك؟ قال، قلت: اي والله، قبل ان

۱ـ فسرت بالحكمة العملية والعلمية، و تقديم العملية على مايستفاد من قوله تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، لان العمل طريق الى العلم و ان كان بعض مراتب العلم مما يتوقف عليه العمل. «نوري»

۲ـ على ماتقرر من اتحاد العاقل مع العقل بالفعل ـ م.

۳ـ اشارة الى كـون الولي المطلق و الامام الحق كل الاشياء ، لان حقيقة الولاية المطلقة و الامامة الكلية التي هي ولايـة ولي الاولياء و امام الائمة بسيطة محيطة ، فانها بعينها نورالله الساري في السموات والارض، الله نور السموات والارض... الاية. «نوري»

اخرج من الكوفة. فقال: حسبك اذاً».

الشرح

معناه واضح مكشوف[1].

الحديث الثالث عشر
و هو الخامس و السبعون و اربع مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن محمد بن اسمعيل، عن منصور بن يونس، عن بريد قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: فی قول الله عزوجل: او من كان ميتافاحييناه و جعلنا له نوراً يمشی بـه فی الناس (الانعام ـ ۱۲۲)، فقال: «ميت» لايعرف شيئاً و «نورا يمشی بـه فی الناس» اماماً يأتم[2] به «كمن مثله فی الظلمات ليس بخارج منها» قال: الذی لايعرف الامام».

الشرح

قوله عليه السلام: ميت، الاولی ان يكون النسخة ميتا بصورة النصب ليكون علی وجه الحكاية كمافی نوراً يمشی به الناس و كذا كمن مثله فی الظلمات، واما محل كل منهما من الاعراب فيحتمل ان يكون الرفع بالابتدائية ومابعده خبره ويحتمل ان يكون باقيا علی اعرابه ويكون مابعده نعتا تابعاً له فسر معناه بذلك الوصف.

و اما شرح الحديث وتحقيقه بعدما تحقق ان حيوة الاخرة انما هی بنور العلم و العرفان و قوة العقل والايقان فنقول: ان الناس بحسب النشأة الثانية قسمان : امـا

۱ـ فيه لطيفة عجيبة حيث يومیء الی ان معرفة الامام هی المعرفة التامة التی يحتوی علی كل المعارف، ولكن هـذه المعرفة انما هـی المعرفة بالنورانية عاميا كان او عينيا ام حقيا. «نوری»

۲ـ يؤتم (الكافی).

اموات او احياء، والاحياء قسمان: احدهما من يكون حيوته حيوة ذاتية مستقلة وثانيهما من يكون حيوته حيوة تابعة لحيوة غيره غيرمستقلة، فهذه ثلاثة اقسام.

اماالقسم الاول اى الميت فهو من لايعرف شيئاً لا بالاستقلال ولا بالتقليد.

و اما القسم الثانى وهو الحى بالذات فهوالذى احياه الله بنور العلم والحكمة كالنبى والامام بالحق عليهماالسلام.

واما القسم الثالث فهوالذى له امام يتبعه و يأتم به ، فيكون الامام نوره الـذى يمشى به الى سبيل الاخرة فى زمرة الناس الماشين الى الاخرة، وكـون الامام عليه- السلام نوراً على وزان ما علمت فيما سبق من كـونه حجة ظاهرة و فيه حجة باطنة، و من كونه حكمة باهرة و فيه حكمة خفية من وجهين، فهكذا وزان كونه نوراً يهتدى به ويجىء تابعه فى الاخرة و له نور باطنى عقلى هوحيوته العقلية[1] و به يستضىء له الدار الاخرة ومافيها من الصور و الهيئات الملكوتية باذن الله العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (الجمعة ـ ۴).

الحديث الرابع عشر
و هوالسادس والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن محمد بن اورمة»، بضم الهمزة و اسكان الواو و فتح الراء و الميم، و قـد يتقدم الراء على الـواو، يكنى محمد بابى- جعفر، له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد.

قال الشيخ الطوسى رحمه الله : فى رواياتـه تخليط، و قال: قال محمد بن على بن بابويه القمى: محمد بن اورمة طعن عليه بالغلو، وكلما كان فى كتبه مما يوجد فى كتب الحسين بن سعيد وغيره فانه يعتمد عليه و يفتى به، ومهما تفرد به لم يجز العمل عليه ولايعتمد، وقال النجاشى: ذكره القميون و غمزوا عليه و رمـوه بالغلو حتى دس

١ــ ولاسيما امام الائمة، فان نوره العقلى نورالله السارى كما اسلفناه. «نورى»

علیه من یفتك به فوجدوه یصلی من اول اللیل الی اخره لیال عدة[1] فتوقفوا عنه.

وقال بعض اصحابنا: انه رأی توقیعات ابی‌الحسن الثالث علیه‌السلام الی اهل قم فی‌معناه وبرائته مما قذف به، قال: وکتبه صحاح کلها الاکتاباً ینسب‌الیه من ترجمة تفسیر الباطن فانه مختلط ، وقال ابن الغضائری : انه اتهمه القمیون بالغلو و حدیثه نقی لافساد فیه، ولم ارشیئاً ینسب الیه تضطرب فیه‌النفس الااوراقاً فی تفسیر الباطن و مایلیق بحدیثه واظهار[2] موضوعة علیه، ورأیت کتابا خرج من‌ابی‌الحسن علی بن‌محمد علیهما‌السلام الی القمیین فی‌برائته مما قذف به، والذی اراه التوقف فی‌روایته «صه»».

«و محمد بن عبدالله عن علی بن حسان، عن عبدالرحمن بن کثیر، عن ابی عبدالله علیه السلام قال: قال ابوجعفر علیه‌السلام: دخل ابوعبدالله الجدلی علی امیرالمؤمنین علیه السلام فقال: یا ابا عبدالله الااخبرك بقول‌الله عزوجل: من جاء بالحسنة فله خیر منها و هم من فزع یومئذ آمنون ومن جاء بالسیئة فکبت وجوههم فی‌النار هل یجزون الا ماکنتم تعملون (النمل ـ ۸۹ و ۹۰) ، قال : بلی یا امیرالمؤمنین جعلت فداك. فقال: الحسنة معرفةالولایة وحبنا اهل‌البیت والسیئة انکار الولایة وبعضنا اهل البیت، ثم قرأ علیه الایة»[3].

الشرح

قد علمت مراراً ان حکم‌الناس فی‌طریق‌الحق اما اهل البصائر کالانبیاء والاولیاء علیهم‌السلام واما المحجوبون، فاهل البصیرة المکحلة بصائرهم بنورالمعرفة والشهود فیشاهدون سبیل الاخرة ویسلکون منازلها و درجاتها من غیرحاجة لهم الی قائدوهاد غیرالله سبحانه، واما اهل الحجاب فهم بمنزلة العمیان فی طریق السعادة والرحمة و الرضوان فلابد لهم من الاقتداء بامام قائدیهدیهم الی طریق النجاة، و ذلك لایتم الا

۲ـ عدة لیال «صه».

۲ـ واظنها «صه».

۳ـ هذه الایة (الکافی).

بمعرفةالولاية للامام والمحبة له، فان الاعمى متى لم يعرف قائـده بالبصيرة فى طريق المطلوب والوصول الى الغاية المطلوبة ولم يحبه من جهة كـونه واسطة الى محبوبه الاصلى الـذى عرف بالاجمال ان خيره و سعادتـه بنيل القرب منه، لم يعول علـى ذلك القائـد و لم يطعه كما ينبغى، فينقطع عن السبيل و يبقى متحيراً ضالا فى معرض الهلاك .

فاذا تقرر هذاظهر وتبين ان لاحسنة لاهل الحجاب الامعرفة ولاية امامهم الهادى لهم طريق الاخرة والمحبة له، اذ جميع اعمالهم التى يفعلونها بالاستبداد باطلةالامافيه اتباع الامام، وان لاسيئة لهم اعظم من انكار الولاية و بغض الامام الهادى من اهل بيت النبوة والولاية سلام الله عليهم اجمعين.

فجميع حسنات هذه الامة يرجع الى ولاية اهل البيت عليهم السلام و محبتهم و جميع سيئاتها يرجع الى انكار ولايتهم و بغضهم.

باب فرض طاعة الائمة عليهم السلام

وهو الباب الثامن من كتاب الحجة وفيه سبعة عشر حديثا

الحديث الاول

و هوالسابع والسبعون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن ابى جعفر عليه السلام قال: ذروة الامر وسنامه ومفتاحه وباب الاشياء و رضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته ثم قال: ان الله تبارك و تعالى يقول: من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا (النساء ـ ۸۰)».

الشرح

الذروة بالكسر و الضم واحدة الذرى بالضم وهى اعالى الشىء؛ السنام واحد

اسنمة البعير، وسنام الشىء ماارتفع منه.

المعنى: ان اصل امر الدين وعمدته ومعظمه ومفتاح خزائن الرحمة والمنفعة و باب معرفةالاشياء ومابه الفوز برضاءالرحمن والبعد من سخطه جميع ذلك كله مندرج فى الطاعة للامام بعد معرفته، واستشهد عليه‌السلام فى‌هذا المعنى بقوله تعالى: من يطع الرسول فقد اطاع الله، حيث انه تعالى جعل طاعةالرسول صلى‌الله عليه واله عين طاعة الله، ولاشك ان الامام بالحق ينوب مناب الرسول صلى‌الله عليه واله فى‌جميع الامور الافيما يختص بكونه رسولا من نزول الملك اليه بالوحى فى كسوة الامثال، فيجب ان يكون حكمه عليه‌السلام فى باب الاطاعة و الاتباع حكم الرسول من كون طاعته طاعة الله و رسوله.

ولما كانت طاعة الله بعد معرفة[1] اصل الخيرات الحقيقية و مفتاح السعادات العقلية كلها، فكذلك طاعة الامام اصل الخيرات و مفتاح السعادات على النحو الذى يليق بنشأة المتبعين المطيعين، فان طبقات النشأة الاخرة و درجات الجنة متفاوتة متفاضلة .

وقوله تعالى: و من تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا، اى من اعرض عن‌الطاعة و تولى عنها الى طاعة الطاغوت فلايعود وبال ذلك وشره الاعليه، فليس على‌الرسول الا التبليغ والاعلام والنصيحة، فما ارسل الرسول على الامة ليكون حفيظا لهم عن المعاصى والشرور والافات، فلايضره كثرة المخالفات و المعاصى الواقعة منهم وكذا حال الامام عليه‌السلام، فان تولى القوم عن طاعته الى طاعة غيره من امراء الجور لايضره ولاينقص قدره عندالله.

الحديث الثانى
وهوالثامن والسبعون واربع مائة

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد، عن‌الحسن بن‌على الوشاء،

۱ــ معرفته ــ م.

عن ابان بن عثمان، عن ابی الصباح»، اسمه ابـراهیم بن نعیم بضم النون وفتح العین غیرالمعجمة واسکان الیاء الغیر المنقطة تحتها نقطتین ، الکنانی العبدی[1]، قال العلامة فی «صه»: ثقة اعمل علی قوله، سماه الصادق علیه‌السلام: المیزان، قال له: انت میزان لاعین فیه، یکنی ابا الصباح بفتح الصاد غیرالمعجمة و تشدیدها و تشدید الباء المنقطة تحتها نقطة، کان کوفیا ومنزله فی کنانة فعرف به و کان عبدیا، رأی ابا جعفر الجـواد[2] علیه‌السلام و روی عن ابی‌ابراهیم موسی علیه‌السلام.

«قال[3]: انی اشهد ان علیاً امام فرض‌الله طاعته و ان الحسن امام فرض‌الله طاعته و ان الحسین امام فرض الله طاعته و ان علی بن‌الحسین امام فرض‌الله طاعته و ان محمد بن‌علی امام فرض‌الله طاعته».

الحدیث الثالث
وهوالتاسع والسبعون واربع مائة

«وبهذه الاسناد عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی، قال: حدثنا حماد بن- عثمان عن بشیرالعطار» مجهول. «قال: سمعت‌ابا عبدالله علیه‌السلام یقول: نحن قـوم فرض الله طاعتنا و انتم تأتمون بمن لایعذر الناس بجهالته».

الحدیث الرابع
و هوالثمانون واربع مائة

«محمد بن‌یحیی عن احمد بن‌محمد، عن الحسین بن‌سعید، عن حماد بن‌عیسی عن الحسین بن‌المختار، عن بعض اصحابنا عن ابی جعفر علیه‌السلام فی‌قول‌الله عز و

۱ــ ای من عبدالقیس و نسب الی بنی‌کنانة، لانه نزل فیهم «جخ» .

۲ــ قال صاحب جامع الرواة : و فی «صه» ابا جعفر الجـواد، و هو سهوکما یفهم من «جخ و کش».

۳ــ قال: اشهد انی سمعت ابا عبدالله علیه‌السلام یقول: اشهد ان علیاً... (الکافی).

جل: و آتيناهم ملكا عظيما (النساء ـ ۵۴)، قال: الطاعة المفروضة».

الشرح

الملك بضم الميم مبدأ اشتقاق الملك و هـو القادر الواسع المقدور التى لـه السياسة والتدبير، والملك بكسر الميم او فتحها مبدأ اشتقاق المالك و هوالقادر على التصرف فى ماله على وجه ليس لاحد منعه، و قد يتحقق المالكية مع العجز و بالنسبة الى المملوك الحقير، بخلاف الملكية فانها لايكـون الامع القدرة وبالنسبة الى المملكة الجليلة و يقال: ملك بين الحكم والملك بضم الميم، ومالك بين الملك والملك بكسر الميم و فتحها.

وقال بعض اللغويين: الملك والملك يرجعان الى اصل واحـد و هوالربط و الشد كما قالوا: ملكت العجين اى شددته، ثم انه قـد يطلق المصدر و يراد به المعنى الحقيقى المضاف اليه دون الامر النسبى ، كما يطلق الخلـق على المخلـوق و هـو المراد هيهنا.

اذا عرفت مفهوم اللغة فاعلم ان الملك العظيم المذكورة فى هذه الاية هو ملك الأخرة، لان ملك الدنيا بحـذافيرها حقيرة بل الدنيا ولذاتها و ترفعاتها امـور وهمية مستحيلة زائلة، ثم نقول: هذاالملك العظيم الدائم الحقيقى مما يتفاوت و يختلف، فهو بالقياس الى الحق الاول جلت كبريائه شىء و بالقياس الـى الانبياء و الائمة شىء و بالقياس الى الامة شىء والاتباع شىء آخر.

اماالذى بالقياس الى الحق الاول فكون ذاته تعالى غنيا عن كل شىء ولايستغنى عنه شىء فى شىء، و له ذات كل شىء، لانه فاعل الكل و غاية الكل فمنه بدو الاشياء واليه مصير الاشياء، فيكون هوالكل على وجه اعلى وابسط. ونحن قدافادنا الله البرهان النير العرشى على هذه المعانى سيما على كونه فى حد ذاته البسيطة الذى لاابسط منه كل الاشياء.

و امـا الملك العظيم بالقياس الى الانبياء والائمة عليهم السلام و هو كون ذات

الانسان فی مقام القرب بحيث يری الاشياء كماهی بنور الحـق تعالی ويحيط بها علماً و عينا ويستغنی بـه تعالی عما سواه ، ذلك بصيرورة نفسه مترقية الی الحضرةالالهية موضوعة لهيئة الوجود كله علی وجه عقلی مقدس عن النقص والقصور من صورة عالم عقلی يـوازی العالم الحسی المثالی كله، وجنة عقلية يحاذی جنة عرضها السموات و الارض، وعقلـه المنوربنورالله عزوجل محيطاً بها متصرفا فيها كيف يشاء بمشية ربـه، فيسری حكمه فی الملك و الملكوت بحكم ربه لكونه مستغرقا فی بحراحـديته باقيا ببقائه فضلا عن ابقائه.

وهـذا هوالملك العظيم الذی لااعظم منه فی حق المقربين من الانبياء العظام و الاولياء الكرام ، والی هذا المقام اشار اميرالمؤمنين و سيدالموحدين علی عليه‌السلام فيما نسب الی نفسه الشريفة من الامور الالهية والافعال الربانية.

واما الملك العظيم فی حق عامة اهل الاسلام فغاية مايتصور فی‌حقهم منه هـو الطاعة المفترضة للامام لكونها تـوجب لهم الفوز بالجنة التی فيها ماتشتهی انفسهم و تلذاعينهم وهم فيها خالـدون، فهذا هوالملك العظيم و النعيم المقيم فی حق المقلد فی المعرفة و التابـع فی‌العبودية للامـام العارف بالحق الناهـج سبيل الله بالشهود المطلق .

والسر فی‌ذلك: ان الاخرة نشأة علمية و دارحيوانية ولايمكن الـوصول اليها الابالعلم والايمان، ونسبة المقلد فی‌العلم الی العارف البصير كنسبة القالب الی الروح والظل الـی ذی الظل و القشر الی اللب والشبح الی الاصل، فيصيب المقلد والاتباع من كل ما هـو يصيب القائد المطاع قشر من اللب وظل من‌النور و شبح من الاصل، و لان صـور الاجسام والامثال المحسوسة تابعة فی وجـوداتها لصور العقليات، فالملك الحقيقی والجنة المعنوية للائمة الهدی عليهم‌السلام والملك الحسی والجنةالجسمانية للمقلدين التابعين. فاعلم واغتنم.

ثم ان اصل الاية قوله تعالی: ام يحسدون الناس علی ما اتيهم‌الله من فضله فقد اتينا آل‌ابراهيم‌الكتاب والنبوة واتيناهم ملكاً عظيما، وسنعود الی تفسيرها فی‌الحديث

الاتی بما فیه زیادة توضیح و تحقیق.

الحديث الخامس

وهو الحادي والثمانون واربع مائة

«عـدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن ابی خالد القماط»، فی الفهرست: له کتاب، قال ابن عقدة: اسمه کنکر روی عنه ابن سماعـة و محمد بن سنان، و فی «صه» ابوخالد القماط اسمه یزید، وعن الکشی فی عبدالرحمن بن میمون فی طریق صحیح: ابوخالد صالح القماط[1]. «عن ابی الحسن العطار»، مجهول. «قال: سمعت ابا عبدالله علیه السلام اشرك[2] بین الاوصیاء والرسل فی الطاعة».

الشرح

امر علیه السلام بالاشراك فی الطاعة بین رسل الله و اوصیائهم، لان لافرق بینهم فیما هو سبب طاعتهم و اتباعهم، و هـو کونهم وسائـط بین الله عزوجل و عباده فی هدایتهم وارشادهم علی سبیل النجاة وتعلیمهم الکتاب و الحکمة و تنویر قلوبهم بنور الایمان و المعرفـة علی حسب احتمالهم و قـدر عقولهم ، فاذا کانت العلة مشترکـة فالطاعة کذلك.

۱ــ وفی نضد الایضاح: القماط مولی بنی عجل بن لجیم کوفی ثقة، وجـدت بخط السید السعید صفی الدین محمد بن معد حاشیة صورتها: ان اراد بیزید هذا الکناسی فالذی ذکره الدارقطنی انه برید بالباء المنقطة نقطة من تحتها قال: و هو شیخ من شیوخ الشیعة روی عن ابی جعفر و ابی عبدالله علیهما السلام والشیخ ابوجعفر الطوسی ذکره فی رجال ابی جعفر و ابی عبدالله علیهما السلام وقال: یزید بیاء منطقة نقطتین من تحتها. ذکر ذلك فی کتابه کتاب الـرجال، والله اعلم. وکتب محمد بن معد الموسوی: اقول : حکی انه ناظر زیـدیا فظهر علیه فنقل لابی عبدالله فاعجبه.

۲ــ یقول: اشرك (الکافی).

فان قلت: كيف يكون حال الوصى كحال النبى فى كونه واسطة بين الله وعباده، اومتى يكون وصى من الاوصياء منزلته كمنزلة الرسول؟ والرسول هوالذى علمه العلم والحكمة وافاده الفضيلة واسطة من الله والمتعلم المستفيد كيف يكون مساوياً للمعلم المفيد؟ وايضاً النبى صلى الله عليه واله كان اخذ العلم من الله بلاواسطة و الامام اخذ العلم منه تعالى بواسطة النبى صلى الله عليه واله، فلامساواة فى المرتبة بين من لاواسطة بينه و بين الله فى الافاضة و بين ذى الواسطة فيها؟

قلت: التفصى عن هذا الاشكال يستدعى تمهيد مقدمة: وهى ان الواسطة قسمان: احدهما واسطة فى الاعداد وهى ان يهيىء القابل ويعده لان يفيض الواهب عليه مايستعد له والثانى واسطة فى الافاضة والايجاد.

اذا تمهدت هذه المقدمة فنقول: ان النفس مادامت متعلقة بهذاالبدن العنصرى لايكون افعالها الامن باب التحريكات والاحالات دون الافاضة و الايجاد، و انما يصير سبباً فياضاً اومتوسطاً بينه تعالى وبين خلقه فى الافاضة والايجاد اذاتجردت عن هذاالعالم بالكلية وانخرطت فى سلك الملائكة الفعالة المقربين، و كذاحكم التعليم، فان التعليم نوعان: تعليم بشرى و تعليم الهى، والمعلم البشرى نسبته الى المتعلم نسبة الوالد الى الولد، والوالد ليس موجداً للولد ولاواسطة فى الايجاد بل فى الايلاد الذى هوالاعداد، وكذا المعلم البشرى واسطة فى اعداد النفس لقبول الحيوة الاخروية الدائمة ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه واله: يا على انا وانت ابوا هذه الامة.

فاذا تحقق وتبين هذا فلاحجرفى ان يكون معلم البشرى واسطة فى ان يصير المتعلم منه مثله فى درجة العلم والمنزلة عندالله، و رب ولد يكون مثل والده او افضل منه. على انا قد اسمعناك كلاماً فيماسبق شرحه من شرح بعض الاحاديث كيفية اخذ الاولياء علومهم وراثة عن الانبياء عليهم السلام بعد ان يرثه الله والله خيرالوارثين. فتذكر ان كنت من اهل الذكر، والله ولى التوفيق.

الحديث السادس
و هوالثانی والثمانون و اربع مائة

«احمد بن محمد عن محمد بن ابی‌عمیر، عن سیف بن‌عمیرة، عن ابی‌الصباح الکنانی‌قال، قال ابوعبدالله علیه‌السلام: نحن‌قوم فرض‌الله عزوجل طاعتنا، لنا الانفال و لناصفـوالمال ونحن الـراسخون فی‌العلم ونحن المحسودون الذین قال‌الله سبحانه: ام یحسدون الناس علی ما اتیهم الله من فضله (النساء ـ ۵۴)».

الشرح

الانفال فی‌اللغة جمع‌النفل والنفل‌الزیادة علی‌الشیء، یقال: نفلتك کذا اذازدته، وقیل: النفل‌العطیة، یقال: نفلتك ای اعطیتك، والنافلة عطیة التطوع من حیث لایجب، ومنه نوافل الصلوة، والنوفل الرجل الکثیرالعطیة.

ثم اختلف‌المفسرون فی‌الانفال فقیل: هی‌الغنائم التی غنمها النبی صلی‌الله علیه واله یوم بـدر وهوالمروی عن عکـرمة عن ابن عباس، وقیل: هی انفال السرایا عن الحسن، وقیل: هی ماشذ عن‌المشرکین الی المسلمین من عبداوجاریة من غیرقتال او ما اشبه ذلك عن عطاء، وقیل: هوللنبی صلی‌الله علیه واله خاصة یعمل به‌ماشاء، و قیل: ماسقط بعد[۱] قسمة‌الغنائم من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس فی روایة اخری، و روی عنه ایضاً: ان سلب الـرجل و فرسه ینفل النبی صلی‌الله علیه واله من شاء، و قیل: هوالخمس الذی جعله‌الله لاهل الخمس عن مجاهد فی روایة اخری.

وقال شیخ ابـوعلی الطبرسی فی تفسیره المسمی بمجمع البیان: قـد صحت الروایة عن ابی جعفر و ابی عبدالله علیهما‌السلام انهما قالا: الانفال‌کل ما اخـذ فی[۲] دارالحرب بغیر قتال وکل ارض انجلی اهلها عنها بغیر قتال و میراث من لاوارث لـه

۱ـ من المتاع بعد «مجمع» .

۲ـ من «مجمع» .

وقطائع الملوك اذا كانت فی ايديهم بغير غصب و الاجام و بطون الاودية والارضون الموات و غير ذلك مما هو مذكور فی مواضعه، وقالا عليهماالسلام: هی لله وللرسول و بعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شیء.

وقالا عليهماالسلام: انغنائم بدر كانت للنبی صلی‌الله عليه واله خاصة، فسألوه ان يعطيهم. و قد صح ان قرائة اهل البيت عليهم‌السلام: يسئلونك عن‌الانفال فقال‌الله سبحانه: قل يا محمد الانفال لله وللرسول، وكذلك ابن مسعود وغيره انما قرأوا كذلك على هذا التأويل[1]. انتهی كلام الطبرسی رحمه‌الله.

وقوله عليه‌السلام: ولناصفو المال، اراد به صفايا الملوك والسلاطين وقطائعهم مما لم يكن مغصوبة من مسلم اومعاهد، وقد علمت انها بعدالرسول صلی‌الله عليه واله للامام خاصة بل هی داخلة فی‌جملة الانفال كمافی الرواية الاخيرة.

ذكرعليه‌السلام من خصال الائمة عليهم‌السلام ومناقبهم اموراً اربعة:

الاول كونهم مفترض الطاعة و قد مربيانه.

والثانی كون الانفال والصفايالهم بعد رسول الله يصرفونها كماشاؤا فی‌مصالح انفسهم، و ذلك كونهم بمنزلة الرسول صلی‌الله عليه واله فی امور الدين و الدنيا فيستحقون السلطنة الكبری و الصغری و خلافة الله فی‌الارض والسماء.

والثالث كونهم الراسخين فی‌العلم و هذا اصل كل فضيلة و رأس[2] كل منقبة، وانماكانوا راسخين فی‌العلم لان علومهم الهية لدنية غيرمكتسبة من تعلم بشری او بترتيب مقدمات فكرية و تأليف قضايا باستعمال قوانين ميزانية، فان هذه الصنعة الميزانية والحيلة الفكرية قليلة‌الجدوی فی‌باب‌ادراك‌الغوامض‌الالهية والمعارف‌القرانية والاسرار الربانية التی هی وراء طورالعقول البشرية.

والرابع كونهم محسودين وانهم و رسول‌الله صلی‌الله عليه واله هم المرادون

۱ـ قال استاذنا الشعرانی تغمده‌الله برحمته: هذا بمعنی رواية‌الثقات لا بمعنی‌التواتر حتی يجوز القرائة به، لان القران لايثبت بغير المتواتر.

۲ـ اس ـ م.

بقوله: ام یحسدون الناس علی ما اتیهم الله من فضله، وهذه الایة هی التی تمامها: فقد اتینا ال ابراهیم الکتاب والحکم والنبوة و اتیناهم ملکاً عظیما، وقد وعدنا تفسیرها.

فنقول: کلمة ام هیهنا منقطعة، والتقدیر: بـل یحسدون الناس، والحساد کانت حینئذ احبار الیهود، وکذا فی‌عصر کل نبی و وصی کان‌الحاسدون من ذلک القبیل من المتشبهین بالعلماء و الزاعمین انفسهم انهم من‌العلماء وهم من‌الجهال المنافقین کبلعم بن باعـور، فانه رأی فی‌بعض الکتب ان الله یبعث نبیا فزعم انه هـو ذلک النبی فلما بعث موسی علیه‌السلام حسده و دعا علی قـومه حتی بقوا فی‌التیه فکان کما افصح‌الله عن حاله فی قـوله: و اتل علیهم نبأ الذی اتیناه الی قـوله: فاقصص القصص لعلهم یتفکرون (الاعراف ـ ۱۷۵ و ۱۷۶).

و اختلفوا فی‌المراد بلفظ الناس علی قولین: الاول وهوالمروی عن ابن‌عباس والاکثرین انه محمد صلی‌الله علیه واله، وانما جاز ان یقع علیه لفظ الناس وهو واحد لانه اجتمع عنده من خصال الخیر مالایحصل الامتفرقا فی‌الجمع العظیم، و من هـذا یقال: فلان امة وحـدة وقال الله تعالی: ان ابراهیم کان امة (النحل ـ ۱۲۰)، والقول الثانی: ان المراد هو الرسول صلی‌الله علیه واله و من معه من‌المؤمنین، قال من ذهب الـی هـذا القول ان لفظ الناس لفظ جمـع فحمله علی الجمیع[1] اولـی من حمله علی المفرد.

اقول: والحق کماعلم من هذا الحدیث ان یکون المراد من‌الناس محمد صلی الله علیه واله واهل بیته الذین هم بیت النبوة والولایـة و ذلک لوجهین: احدهما ان الحساد کمامـر هم‌الـذین یعظمون العلم ویـزعمون انفسهم انهم من‌اهلـه، و امثالهم لایحسدون عامة اهل الایمان اللهم الا ان یـراد بالمؤمنین من لهم الایمان‌الحقیقی کما فی قوله تعالی: انما ولیکم الله و رسوله والذین امنوا (المائدة ـ ۵۵)، وهـذاالمعنی من‌الایمان لایکون الامع نور الولایة.

والثانی انما حسن ذکر الناس فی‌هـذا المقام و ارادة طائفة معینة من الناس،

۱ـ الجمع «التفسیر الکبیر».

لان المقصد[1] و الغاية من الخلق انما هـو القيام بالعبودية التامة و المعرفة الكاملـة كما قال تعالى: وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (الذاريات ـ ۵۶)، فلما كان القائمون بهذا المقصد[1] ليس الا محمداً صلى الله عليه واله و من يحذو حذوه وينوب منابه و هو اولياء امته واهل بيت نبوته فكانوا كأنهم كل الناس، ولهذا حسن اطلاق لفظ الجمع وارادة البعض.

ثم ان المفسرين اختلفوا فى تفسير الفضل الذى لاجله صاروا محسودين، القول الاول: انه هو النبوة والكرامة الحاصلة بسببها فى الدين و الدنيا، و القول الثانى: انهم يحسدون على انه كان له صلى الله عليه واله من الزوجات التسع[2].

و اعلـم ان الحسد لايحصل الاعند الفضيلة ، فمهما كانت فضيلة الانسان اتم و اكمل كان حسد الحاسدين عليه اعظم، و معلوم ان النبوة اعظم المناصب ثم انه تعالى اعطاها لمحمد صلى الله عليه واله وضم اليها انه جعله كل يوم اقوى دولة و اعظم شوكة واكثر انصاراً واعـوانا وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم، و اما كثرة الـزوجات فهى كالامر الحقير بالنسبة الى ماذكرنا، فتفسير ذلك الفضل بكثرة الزوجات فى غاية السقوط.

ثـم ان من تأمل فى خصال اميرالمؤمنين عليه السلام و مناقبه الجمة العظيمة و جامعيته لاشتات الصفات الالهية والخلقية والكمالات العقيلة والنفسية والبدنية مما يشبه جمع الاضداد و علم ايضاً كما علمت ان باطن النبوة مشترك بينه و بين النبى صلى الله عليه والـه و انما خص النبى صلى الله عليه و اله برسالـة التشريـع و نزول الملك بالصورة المتجسدة، يعلم ان لااحد بعد رسول الله صلى الله عليه واله اشد استحقاقاً لان يكون اكثر حساداً و اعظم حسد عليه منه.

ولذلك كان اكثر حساده من اعظم الصحابة و اشراف قومه لكن بعضهم ابطن الحسد و بعضهم اظهر، و ذلك لانهم كانوا اعرف من غيرهـم بفضائلـه و مناقبه، بل

۱ــ المقصود «التفسير».

۲ــ تسع «التفسير».

يمكن ان يقال: كل ما اصابه من المصائب و الشدائد و المنع عن الخلافة كان منشأه الحسد و العناد و الحقد و اللداد من رؤساء القوم و امرائهم الغاصبين للخلافة المتقمصين للامارة، حتى انه لوفرض انه عليه‌السلام لم يكن بهذا المثابة من العلم و الكرامة و كان كغيره من الصحابة، لكان فوضت اليه الخلافة بمجرد قرابة الرسول صلى‌الله‌عليه واله وزوجية البتول و ابوة الحسن و الحسين عليهما السلام هذا.

ثم انه تعالى لما بين ان كثرة نعم الله على النبى صلى‌الله عليه واله صار سبباً لحسد هؤلاء اليهود و امثالهم بين مايدفع ذلك فقال: فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب و الحكمة والنبوة و اتيناهم ملكاً عظيماً (النساء ـ ۵۴)، و المعنى انه حصل فى اولاد ابراهيم عليه السلام جماعة كثيرة جمعوا بين العلم و النبوة و الملك و انتم لاتتعجبون من ذلك ولاتحسدونهم، فلم تتعجبون من حال محمد صلى‌الله عليه واله و ال محمد عليهم السلام و يحسدونهم[۱]؟

واعلم ان الكتاب اشارة الى اسرار الحقيقية المثبتة فى صحائف العلوية بالاقلام الالهية، النبوة وهو كمال العلم كماعلمت و الحكم من اثاره و نتائجه، و اما الملك العظيم فهو كمال القدرة، وقد ثبت ان الكمالات الحقيقية كلها راجعة الى العلم و القدرة.

و اعلم ان العلم و القدرة متغايران فى النشأة النفسانية و اما فى العالم الالهى و النشأة العقلية فاعلم هناك عين القدرة و القدرة عين العلم و كذا المبادى العقلية، علمها بالاشياء عين ايجادها و انشائها لصورتلك الاشياء، والانسان اذا كمل علمه و تم كماله وتجرد عن هذا العالم صائراً[۲] الى عالم القدس كان علمه و قدرته شيئاً واحداً فنفذ حكمه و قدرته فى الملك و الملكوت و جرى سلطانه فى طبقات الجنات وملكوت السموات، و ذلك هو الملك العظيم للانسان الكامل بالاصالة ومثاله وشبحه للمقلدين و التابعين بالتبعية كمامر.

۱ــ و تحسدونهم ــ م.

۲ــ كذا فى جميع النسخ، و الظاهر: سائراً.

الحديث السابع
و هوالثالث والثمانون و اربع مائة

«عنهم[1] عن احمد بن محمد عن على بن الحكم، عن حسين بن ابى العلاء قال: ذكرت لابى عبدالله عليه السلام قولنا فى الاوصياء ان طاعتهم مفترضة قال، فقال: نعم! هم الذين قال الله تعالى: اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم (النساء ـ ٥٩)، وهم الذين قال الله عزوجل انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا (المائدة ـ ٥٥)».

الشرح

قد علم مما ذكرنا انفاً ان الايمان الحقيقى الذى هو العلم التام واليقين الكامل بالله وكلماته و اياته و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الاخر هو نور فائض من الله تعالى على النفس الانسانية، فتصير بذلك النور جوهراً قدسيا و روحاً امريا وانسانا ربانيا و ملكاً عقليا بعد ان كان حيوانا بشريا طبيعيا، و هذا النور هو النور النبوة فى النبى صلى الله عليه واله ونور الالهام والولاية فى الولى.

الحديث الثامن
وهوالرابع والثمانون و اربع مائة

«و بهذا الاسناد عن احمد بن محمد، عن معمر بن خلاد» ، بغدادى ثقة روى عن الرضا عليه السلام «صه» قال فى الفهرست: له كتاب روى عنه محمد بن عيسى بن-زياد واحمد بن ابى عبدالله. «قال: سأل رجل فارسى اباالحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: نعم، قال: مثل طاعة على بن ابيطالب عليه السلام؟ فقال: نعم».

الشرح

قد علمت علة الاشتراك والمماثلة فى الطاعة بين الرسل و الائمة عليهم السلام،

١ـ لفظة عنهم ليست فى الكافى.

فالاشتراك فيها بين الائمة اولى ، بـل الحق ان ارواحهم عندالاستكمال بالعبوديـة فى مقام قرب الاحدية متحدة وطينتهم فى البداية و انوارهم فى النهاية واحـدة لافرق بين احد منهم فى الهداية والاشراق، و بايهم وقع الاقتداء وقع الاهتداء.

الحديث التاسع

و هوالخامس والثمانون و اربع مائة

«احمد[1] بن محمد عن على بن الحكم، عن على بن ابى حمزة، عن ابى بصير، عن ابى عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الائمة هل يجرون فى الامـر والطاعة مجرى واحد؟ قال: نعم».

الشرح

قد سبق الوجـه العقلى فى كونهم يجرون مجرى واحـد فى باب الامر منهم و الطاعة من العباد لهم عليهم السلام.

الحديث العاشر

و هوالسادس والثمانون واربع مائة

«و بهذا الاسناد عن مروك بن عبيد، عن محمد بن ذيل[2]» الطبرى، اصله كـوفى من اصحاب الرضا عليه السلام. «قال: كنت قائما على رأس الرضا عليه السلام بخراسان وعنده عـدة من بنى هاشم وفيهم اسحق بن موسى بن عيسى العباسى، فقال: يا اسحق بلغنى ان الناس يقولون انا نزعم ان الناس عبيد لنا؟ لا وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه واله، ماقلته قط ولاسمعته من احد آبائى[3] قاله ولابلغنى من احد من آبائى قاله ولكنى اقول:

۱ــ و بهذا الاسناد عن احمد بن محمد (الكافى).

۲ــ زيد (الكافى).

۳ــ ولا سمعته من ابائى (الكافى).

الناس عبيد لنا فى الطاعة، موال لنا فى الدين، فليبلغ الشاهد الغائب».

الشرح

معنى الالفاظ غنى عن الشرح، والسبب العقلى فى كون الناس عبيداً و موالى لهم فى الطاعة والدين كما علمت. ثم ان عبودية العلم والدين ليست باقل من عبودية الخدمة والقن[1]، على الناس لوعلم مقامهم عليهم السلام عندالله ومافيهم من الامر الالهى والقوة الربانية لعلموا انهم لو عبدوهم لم يعبدوا الا الله الها واحداً كما قال تعالى : من يطع الرسول فقد اطاع الله (النساء ــ ۸۰)، و عنه صلى الله عليه واله انه قال: من رآنى فقد رأى الحق، وعن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: ما قلعت باب خيبر بقوة انسانية بل بقوة ربانية، ونفس بنور ربها مضيئة.

وانت اذا رأيت الحديدة الحامية بمجاورة النار تتصوره بصورة النار و تفعل فعلها من التسخين والاحراق والاضائة، فلاتتعجب من نفس استنارت و استضائت بنور الله فاطاعها الاكوان طاعتهم للملائكة المقربين، فطاعة الناس لمثل هذه النفوس الطاهرة، الذين طهرهم الله عن رجس المعاصى والجهالات ونورهم بنور العلم والفضائل والكرامات ترجع الى طاعة الله.

الحديث الحادى عشر

وهوالسابع والثمانون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن صالح بن السندى»، فى الفهرست: له كتاب روى عنه احمد بن ابى عبدالله ، و فى النجاشى: روى عن يونس بن عبدالرحمن و روى عنه ابراهيم بن هاشم لم[2] يرو.

«عن جعفر بن بشير» ابومحمد البجلى الوشاء من زهاد اصحابنا و عبادهم و

---

[1]ــ القن: عبد ملك هو وابواه.

[2]ــ اى: ولمن لم يروعنهم عليهم السلام.

نساکهم، و کان ثقة و مات بالابواء سنة ثمان و مأتین یعرف بفقه العلم، لانه کان کثیرا العلم ثقة روی عن الثقات و رووا عنه «صه» و فی الفهرست: له کتاب ینسب الی جعفر بن محمد علیه السلام روایة الرضا علیه السلام، روی عنه ابن ابی الخطاب، وفی النجاشی: ذکره الشیخ فی اصحاب الرضا و کان یلقب فقه العلم روی عنه، و فی الایضاح ایضا: قفحة وقیل نفحة و فی «صه» کمامر.

«عن ابی سلمة» البصری له کتاب، ذکره ابن الندیم کذا فی الفهرست. «عن ابی عبدالله علیه السلام قال، سمعته یقول: نحن الذین فرض الله طاعتنا، لایسع الناس الا معرفتنا و لایعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا کان مؤمنا ومن انکرنا کان کافراً ومن لم یعرفنا ولم ینکرنا کان ضالا حتی یرجع الی الهدی الذی افترض الله علیه من طاعتنا الواجبة، فان یمت علی ضلالته یفعل الله به مایشاء».

الشرح

اعلم ان ظاهر هذا الحدیث و امثاله عموم الحکم بوجوب معرفة الائمة علیهم السلام علی جمیع الناس و بکونهم کفاراً ان لم یعرفوهم باعیانهم، لکنه مختص بمن کان ذاقوة استعداد عقلیة دون عامة الناس والناقصین والضعفاء العقول الذین لایجدون حیلة و لایهتدون سبیلا، والدلیل علی هذا التخصیص اما من النقل فمثل مامر فی الباب الذی قبل هذاالباب فی معرفة الامام من الاحادیث.

منها ماروا ه زرارة قال: قلت: لابی جعفر علیه السلام: اخبرنی عن معرفة الامام منکم واجبة علی جمیع الخلق؟ فقال: ان الله بعث محمداً صلی الله علیه واله علی[1] الناس اجمعین رسولا و حجة لله علی جمیع خلقه فی ارضه، فمن امن بالله و بمحمد صلی الله علیه واله[2] و اتبعه وصدقه فان معرفة الامام منا واجبة علیه، ومن لم یؤمن بالله و رسوله ولم یتبعه ولم یصدقه لم یعرف حقهما فکیف یجب علیه معرفة الامام وهو لایؤمن بالله ورسوله

۱ــ الی (الکافی).

۲ــ بمحمد رسول الله (الکافی).

ولايعرف حقهما.

قال: قلت: فما تقول فی من يؤمن بالله و رسوله و يصدق رسوله فی جميع ما انزل‌الله يجب على اولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم! اليس هؤلاء يعرفون فلانا و فلاناً؟ قلت: بلى! قال: الاترى[1] ان الله هوالذى اوقع فی قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما اوقع فی‌قلوبهم الا الشيطان، لاوالله: ما الهم المؤمنين حقنا الا الله عزوجل.

فعلم من هذا الحديث ان معرفة الائمة عليهم‌السلام انما يجب على من فی نفسه داعية البحث و التفتيش عن المذاهب والاراء والملل والاهواء، وان يكون فی قلبه اما موضع وسوسة الشيطان او محل المعرفة والالهام، واكثر عامة المسلمين ليس من‌هذا ولامن ذاك.

ومنها ما رواه ابوالمقدام عن جابر انه سمع ابا جعفر عليه‌السلام يقول: انما يعرف الله عزوجل ويعبده من عرف الله و عرف امامه منا اهل البيت، ومن لايعرف الله عزوجل ولايعرف الامام منا يعرف[2] ويعبد غيرالله، هكذا والله ضلالا.

ومعلوم ان اكثرالناس ليس فی وسعهم ادراك الامور العقلية فضلا عن معرفة الله و معرفة اوليائه و مقربيه، فانها علوم غامضة ليست سهل المنال.

ومنها الحديث الثانی من ذلك الباب الذی رواه ابن اذينة عن احدهما عليهما-السلام: انه لايكون‌العبد مؤمنا حتى يعرف الله و رسوله والائمة كلهم و امام زمانه و يرد اليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الاخر وهو يجهل الاول؟

وانى يتيسر لعامة المسلمين هذه المرتبة من‌المعرفة واليقين؟ ومعلوم ان الحاجة الى الامام ليست الا لاكمال النعمة والدين ولاكتساب معارف وعلوم هدى يختص هو بتعليمها و افادتها ولايمكن استفادتها من غيره الامن استفاد ايضاً منه ، وانت تعلم ان اكثرالناس بمعزل عن نيل رتبة الاستفادة العلمية.

و من الدلائل النقلية قوله : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

١ــ اترى (الكافى).

٢ــ منا اهل البيت فانما يعرف (الكافى).

محمد رسول الله، فاکتفی فی اسلامهم بمجرد هـذا القول و لم یکلفهم بمعرفة الله علی التحقیق.

ومنها قوله تعالی: قالت الاعراب امنا، قل لم تؤمنوا ولکن قولوا اسلمنا (الحجرات ـ ۱۴)، فانه تعالی حکم باسلامهم ونفی الایمان عنهم و لـم یحکم بکفرهم؛ فعلم ان مرتبة الایمان شیء اخر فوق الاسلام، و انما الحاجة الی معرفـة الامام لاجل اکتساب المعارف الالهیة و العلـوم الحقیقیة التی مفاتیحها بیدهم و هم علیهم السلام ابـواب خزائنها.

و اما الدلیل العقلی: فلما علمت من تضاعیف ماسبق من الکلام من کون الایمان بالله وملائکته و کتبه و رسله و الیوم الاخر ومعرفة النفس ونشأتها و مقاماتها والوحی والالهام و کیفیة النبوة و الامامة علوم یختص بدرکه علماء الاخرة و هی غایة الکمال الانسانی.

و مامر ایضاً من کـون الایمان الحقیقی نور من انوار الله العقلیة یصیر بها من حزب الملائکة المقربین، مع ماسیرد من الاحادیث المذکـورة فی کتاب الایمان من فضائل الایمان وخصائص المؤمن، فانه کالکبریت الاحمر لایوجد الا علی غایة الندرة والشذوذ، فمن تأمل فی هذا الامور یعلم ان تکلیف الناس کلهم بالایمان الحقیقی تکلیف بما لایطاق.

و مما یؤید هذا ماذکره صاحب هذا الکتاب الکافی رحمه الله فی صدر الکتاب ان الله تعالـی خلق عباده خلقة منفصلة عن البهائـم فی الفطن والعقول المـرکبة فیهم محتملة للامر والنهی وجعلهم صنفین: صنفاً منهم اهل الصحة والسلامة و ضنفامنهم اهل الضرر و الزمانـة، فخص اهل الصحة و السلامة بالامر والنهی بعدمـا اکمل لهم الة التکلیف، و وضع التکلیف عن اهل الزمانة و الضرر، اذ قد خلقهم خلقة غیر محتملة للادب والتعلیم، وجعل عزوجل سبب بقائهم اهـل الصحة والسلامة وجعل بقاء اهل الصحة و السلامة بالادب والتعلیم، فلـو کانت الجهالة جائـزة لاهل الصحة والسلامة لجاز وضع التکلیف عنهم، و فی جـواز ذلك بطلان الکتب والرسل والاداب، و فی

رفـع الكتب و الرسل و الاداب فساد التدبير و الرجوع الى قـول اهل الـدهر . انتهى كلامه.

فان قلت: اليست العامة والضعفاء مكلفين بالصلوة والصيام والزكوة والحج و الجهاد واداءالامانات واقامةالشهادات وحضورالجمعة والجماعات وغيرذلكمنالامور الاسلامية التى كلفت بها عامة الناس؟ فكيف قال الجامع لهذا الكتاب من انه وضـع عنهم التكاليف اذ خلقهم خلقة غير محتملة للادب والتعليم؟

قلت: لونظرت حق النظرفيهم و فىاحوال نفوسهم الناقصة لعلمت ان تكاليفهم بهذه الامور ممايجب علىالسائس، لان فائدتها لهم لايتعدى هذهالنشأة الظاهرة، وهى من بابالسياسات الحيوانية الدنيوية التى تنتظم بها امور المعاشللجميع وينصلح بها احـوال المعاد لمن كان من اهله، و بالحقيقة انما يجب على الامام السائس ضبطهم و تكليفهم و سياستهم بما فيه صلاح امـورهم لئلايكونـوا معطلين مهملين مسلمين عن الخطاب كسائر الدواب.

وايضاً لماكان جميع افراد الناس متماثلة فىصورة البشرية غير متميزة فىظاهر الحس وانما الاختلاف بينهم فى قبول السعادة و عدمه بحسب البواطن والضمائر، و الدنيا دار الاشتباك والاختلاط والاشتباه والاخرة دار الامتياز والافتراق كما قال تعالى: يومئذ يتفرقون (الروم ـ ۱۴)، وقوله: ليميزالله الخبيثمن الطيب فيجعلالخبيث بعضه على بعض فيركمه فىجهنم (الانفال ـ ۳۷)... الاية.

فعلى هذا يجب ان يكون التكليف بالامور الاسلامية و الاحكام السياسية عامـة للجميع، واما الذى يحصل بهالسعادات الاخروية منالعلوم الحقيقية والمعارف الالهية التى يختص بدركه اهل الصحة والسلامة فليس المكلف بها الاهذا القسم خاصة.

فعلم مما ذكرنا ان انـواع الناس بحسب العاقبة خمسة : لانها بالقسمة الاولى التى ذكرها الجامع قسمان، ثم ان القسم الثانى قسمان: اما اهل النبوة والولاية و من فىدرجتهم منالقرب عندالله والاخـذ منه بلاواسطة، و اما غيرهم، والثانى ثلاثة اقسام كما فىهذا الحديث: احدها المؤمن وهو العارف بائمة الدين الاخذ منهم التابع لهم

فی‌سلوك الاخرة.

والقسم الثانی الكافر المعاند وهو المنكر لائمة الدين‌الجاحد لحقهم و هو الضال المضل.

و القسم الثالث ما ليس بمؤمن ولاكافر معاند، وهومادام‌كذلك ضال واقف عن الطريق حتى يهتدى بنور المعرفة و يرجع الى الهدى الذى فرض الله عليه من طاعة الامام فيحشر معه على الوجه الذى مر بيانه.

اذ ليس حكمه حكم من لايجب عليه‌المعرفة بالله و كلماته لا على الاستقلال و و لا على الاتباع، وهم الذين قال الله فيهم: لهم قلوب لايفقهون بها الى قوله: اولئك كالانعام بل هم‌اضل اولئك هم‌الغافلون (الاعراف ـ ۱۷۹)، وهم المختوم على‌قلوبهم فى‌اصل الفطرة، واما هؤلاء فليسوا كذلك، فان ماتوا على هذه الضلالة فيفعل‌الله بهم مايشاء، اما يعذبهم و اما يتوب عليهم (التوبة ـ ۱۰۶).

فان قلت: فماحال الطائفة الاولى فى‌الاخرة؟

قلت: قد وقع الاختلاف من‌الحكماء الاسلاميين فى‌معادهم على قولين، والحق ان لهم فى‌الاخرة حيوة ناقصة حيوانية ، ثم انه قد اختلف اهل الكشف فى تعذيب الجهلة والكفرة الذين لايهتدون و لايجحدون و ليسوا من اهل العناد و الاستكبار ولا الجحود والانكار مع اتفاقهم على تسرمدهم فى‌الجحيم وخلودهم فى‌النار.

الحديث الثانى عشر
و هوالثامن والثمانون و اربع مائة

«على عن محمد بن عيسى عن يونس، عن محمد بن‌الفضيل، قال : سألته عن افضل مايتقرب به العباد الى‌الله عزوجل، قال: افضل مايتقرب به‌العباد الى‌الله عزوجل طاعة الله وطاعة رسول‌الله و طاعة اولى الامر. قال ابوجعفر عليه‌السلام: حبنا ايمان و بغضنا كفر».

الشرح

الضمير فی سألته راجع الی الصادق علیه السلام و یحتمل ان یکـون الکاظم علیه‌السلام، لان القوم کانـوا لایصرحون باسمه خوفاً من الاعـداء، و معنی الحدیث کما علمت.

الحدیث الثالث عشر
و هوالتاسع والثمانون واربع مائة

«محمد بن‌الحسن عن سهل بن زیاد، عن محمد بن عیسی، عن فضالة بن‌ایوب عن ابان، عن عبدالله بن سنان، عن اسمعیل بن جابر قال، قلت لابی جعفر علیه‌السلام: اعرض علیك دینی الذی ادین‌الله عزوجل به قال، فقال : هات. قلت: اشهد ان لااله‌الا الله وحده‌لاشریك له، واشهد ان محمدا عبده و رسوله والاقرار بماجاء به‌من عندالله، و ان علیا کان اماما فرض‌الله طاعته، ثم کان بعده الحسن علیه‌السلام اماما فرض‌الله طاعته، ثم کان‌الحسین علیه‌السلام بعده اماما فرض‌الله طاعته، ثم کان علی‌بن‌الحسین علیه‌السلام بعده اماما حتی انتهی[1] الامر الیه، ثم قلت: انت یرحمك الله. قال، فقال: هذا دین الله و دین ملائکته».

الشرح

ادین الله به ای اطیعه واعبده به، فان الدین بمعنی الطاعة، وقوله: والاقرار بما جاء به، خبر مبتداء وکذا ماعطف هذا علیه من قول اشهد مـع مایتلوه.

وتقدیرالکلام: دینی انه‌اشهد ان‌لااله‌الاالله ودینی انه‌اشهد ان‌محمداً عبده‌ورسوله ودینی الاقرار بماجاء بـه من عندالله و دینی ان علیا کـذا الی اخرکلامه، والمراد ان دینی‌مجموع هذه‌الامور لاکل واحد واحد، لان‌کل واحد جزء الدین لا تمامه، وقوله:

۱ـ علی‌بن‌الحسین اماماً فرض‌الله طاعته ـ حتی انتهی الامر الیه (الکافی).

حتى انتهى الامر اليه، يعنى انى ذكرت و احداً و احداً من الائمة على هذا الوجه حتى انتهت النوبة اليه.

ثم قلت: انت يرحمك الله، اى انت بعدهم تكون اماماً فرض الله طاعته، وقوله عليه السلام: هذا دين الله و دين ملائكته، من باب اضافة المصدر الى مفعوله اى هذا طاعة الله و طاعة ملائكته.

الحديث الرابع عشر
و هو التسعون واربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن ابن محبوب عن هشام بن سالم، عن ابى حمزة، عن ابى-اسحق، عن بعض اصحاب امير المؤمنين عليه السلام، قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: اعلموا ان صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به وطاعته مكسبة للحسنات ممحات للسيئات و دخيرة للمؤمنين و رفعة فيهم فى حيوتهم وجميل بعد مماتهم».

الشرح

مكسب بكسر الميم اسم الة كمفعال من الكسب وكذا ممحاة مفعال قلبت لامه الفاً من المحو.

واعلم انه اراد عليه السلام بالعالم العالم الربانى العارف بحقائق الاشياء كماهى وهو الامام، فذكر ان صحبته و اتباعه دين لمن يتبعه به يدين الله و يطيعه، و يستفاد من كلامه عليه السلام ان لادين لغير العالم الربانى الااتباعه و تقليده لذلك العالم وان طاعته عين طاعة الله، و ذلك امر محقق يظهر صدقه عند التأمل، فان العالم الحقيقى هو البصير بامر الدين السالك سبيل الله بقدم العلم و اليقين بخلاف غير العالم، فانه فى حد نفسه لابصيرة له ولاقدم صدق عند ربه ولاقوة سلوك فى قطع المنازل الى الاخرة وانما له ان يقتدى بغيره.

فالامام هو القائد البصير، والتابع كالاعمى الذى يحمله القائد البصير ويمشى به

ويسلك به الى المقصد، فكما ان الاعمى لادين و لارأى له فى‌باب المذهب والمطلب الا مايقوده القائد البصير فكذلك حكم التابع فى‌باب امر الدين وطاعة رب العالمين، فدينه و طاعته لله عزوجل عبارة عن طاعته للامام العالم.

وقد وقعت الاشارة الى ما ذكرنا من عدم قوة العمل و السلوك لغير العالم الا بقوةالعالم فى‌الحديث‌النبوى على قائله واله افضل الصلوة وازكى التحيات: مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى و من تخلف عنها غرق.

فمااحسن هذاالتمثيل من جهة احدى‌القوتين[1] اللتين بهماكمال‌النفس‌الحيوانية والسعادة الاخروية لها؟ اعنى قوة العمل و المشى فى‌سبيل القدس والنجاة من‌الغرق فى‌بحرالطبيعة التى باطنها نارا لجحيم.

فكما ان السفينة متحركة بامرالله واذنه و بهبوب الرياح الهابة من لطف عنايته ورحمته وبسم‌الله مجريها و مرسيها واماالراكب فيها فهوساكن بالذات متحرك بالتبعية بحركةالسفينة لابالذات، فكذلك حكم التابع للعالم من جهةالقوة العملية، واما حكمه من جهة القوةالنظرية فمثل الاعمى الذى يقوده البصير فى‌سبيل مقصده.

وقوله: وطاعته مكسبة للحسنات و ممحاة للسيئات، و ذلك لان العالم كالطبيب وغيره كالمرضى فمن اتبعه يأمره بفعل الخيرات والحسنات التى هى كالادوية النافعة ويأمره بترك المعاصى والسيئات التى هى‌كالسموم المهلكة او الضارة، فيصير التابع المطيع له فيما يأمره و يزجره صحيحاً معافاًذا قلب سليم فيخلص من عذاب الاخرة، فلذا قال الله تعالى: الا من اتى الله بقلب سليم[2]، فهذا معنى كون طاعته مكسبة للحسنات

۱ـ يعنى ان هذامنه صلى‌الله عليه واله تنصيص و تصريح بكون‌كل من النور العملى والعلمى اللذين يتنور بهما شراشر وجود اشياع الائمة واتباعهم انما هو من اشعة انوارهم عليهم‌السلام، فتبصر «نورى».

۲ـ الشعراء ـ ۸۹ ، قوله سبحانه: الا من اتى الله بقلب سليم نص على‌كون النشأة الاخروية حسية كانت او عقلية ناشئة من مادة القلب الذى يكون القلب الجسمانى اللحمى الصنوبرى مظهراً له و ذلك القلب يبقى بعد فناء البدن بسبب تجرده عما يقتضى الانحلال والدثور والزوال فى وجه لايعرفه الا الراسخون فى‌الفن. فافهم «نورى».

وممحاة للسيئات.

وقوله: ذخيرة للمؤمنين، اى ما يدخر لهم من ثـواب الاخرة لاجل ما يحصل لهم من القلب السليم والاستقامة على الصراط المستقيم بملكة العـدالة و التوسط بين ذمائم الافراط والتفريط والاقتصاد بنفى الاطراف واضداد، وكلاطرفى القصد فى الامور ذميم وسقوط عن الصراط فى الجحيم، وقوله عليه السلام: و رفعة فيهم فى حيوتهم، لان ارتفاع حال الباطن و حسن الخلـق مما يترشح منه الى الظاهـر فيوجب الوقـع فى قلوب الناس فيعظمون صاحبه، وقـوله: وجميل بعد مماتهم ، اى ذكـر جميل لهم بعد الموت.

الحديث الخامس عشر
وهو الحادى والتسعون و اربع مائة

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن- حازم قال، قلت لابى عبدالله عليه السلام: ان الله اجل و اكـرم من ان يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله. قال: صدقت. قلت: ان من عرف ان له ربا فقد ينبغى له ان يعرف ان لذلك الرب رضا وسخطا وانه لايعرف رضاه وسخطه الا بوحى او رسول، فمن لم يأته الـوحى فينبغى لـه ان يطلب الرسل فاذا لقيهم عرف انهم الحجة و ان لهم الطاعـة المفترضة فقلت للناس: اليس تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه واله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا: بلى! قلت: فحين مضى صلى الله عليه واله من كان الحجة؟ قالوا: القران! فنظرت فى القران فاذا هو يخاصم به المرجىء والقدرى والزنديق الذى لايؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت ان القران لايكـون حجة الابقيم فما قال فيه من شىء كان حقا. فقلت لهم: من قيم القران؟ قالوا: ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم. قلت: كله؟ قالوا: لافلم اجد احد يقال انه يعلم القران كله الاعليا صلوات الله عليه و اذا كان الشىء بين القوم فقال هذا لاادرى و قال هذا لاادرى و قال هذا: انا ادرى! فاشهد ان عليا عليه السلام كان قيم القران وكانت طاعته مفترضة وكان الحجة على

الناس بعـد رسول الله صلى‌الله عليه والـه و ان ما قال فی القران فهو حـق . فقال : رحمك الله».

الشرح

صدر هذا الحديث الى هذا الموضع بهذاالسند بعينه، قد سبق ايراده فی‌الباب الاول من هـذا الكتاب اعنی کتاب الحجة، و قـد شرحناه بما تيسر لنا فلاوجه لاعادة شرحه، فلنذكر التتمة ونشرح مايحتاج الى الشرح و هی قـوله:

«فقلت: ان عليا عليه‌السلام لم يذهب‌حتى ترك‌حجة من بعده‌كما ترك رسول‌الله، وان الحجة بعد علی‌الحسن بن علی واشهد علی الحسن عليه‌السلام انه لم يذهب حتى ترك‌حجة من‌بعده‌كماترك ابوه وجده، وان‌الحجة بعدالحسن‌الحسين‌عليه‌السلام وكانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك‌الله، فقبلت رأسه و قلت: و اشهد على الحسين عليه‌السلام انه‌لم‌يذهب حتی‌ترك حجة من بعده على بن‌الحسين عليه‌السلام وكانت طاعته‌مفترضة. فقال: رحمك‌الله فقبلت رأسه. وقلت: و اشهد على على بن الحسين انه لم‌يذهب حتى ترك حجة من بعده محمد بن على ابـا جعفر عليه‌السلام وكانت طاعته مفترضة. فقال: رحمك‌الله. قلت: اعطنی رأسك‌حتى اقبله. فضحك. قلت: اصلحك‌الله قدعلمت انااباك لم يـذهب حتى ترك حجة من بعده‌كما ترك ابوه و اشهد بالله انك انت الحجة و ان طاعتك مفترضة. فقال : كف رحمك‌الله. قلت: اعطنی رأسك حتى اقبله. فقبلت رأسه، فضحك و قـال : سألنی عما شئت فلاانكرك بعد اليوم ابداً».

الشرح

قوله: فضحك، كأنه لاجل سروره عليه‌السلام، لكون‌الرجل عارفا بحقهم عليهم السلام، و انما اقتصر على‌الدعاء فی‌المرتبة الاولى اقر بامامة على والحسن و الحسين عليهم‌السلام، و زاد فی‌المرتبة الثانية التی ساق الامامة الى ابی‌جعفر الباقر عليه‌السلام فضحك سروراً ثم زاده فی‌المرتبة الاخيرة التی اقر بامامته على الدعاء واظهارالسرور

بان رخصه فی السؤال عماشاء وجعله من معارف اصحابـه تنبیها علی تفاوت المراتب فی الفضیلة و العرفان.

و ذلك لان القول بامامة الثلاثة الاولی علیهم السلام ربما قال به غیرهذه الفرقة فلیس فی ذلك اشكال، و انما الجاحدون لامامتهم كالجاحدلضوء الشمس فی رابعة النهار لكثرة ماورد فی شأنهم من ایات القران و احادیث سید الابرار.

واما القول بامامـة الائمة الثلاثـة بعدالاولین علیهم السلام ففیه زیادة بصیرة و اهتداء ولهذا وقع فیه اظهار السرور، ان العثور علی الامامة الموجود فی الوقت مـع ماجرت علیه عادة الناس من الحسد والوقوع فیمن فاق علیهم من الفضل والكمال امر یحتاج الی درك كامل وقلب مستنیر وعقل صحیح، ولهذا زاده فی التعظیم والتخصیص، واما قوله: كف رحمك الله، فكأنه امر بالتقیة.

الحدیث السادس عشر
و هوالثانی والتسعون و اربع مائة

«محمد بن یحیی عن احمد بن محمد بن عیسی عن محمد بن الخالـد البرقی عن القاسم بن محمد الجوهری» ، من اصحاب ابی الحسن الكاظم علیه السلام واقفی لـم یلق ابا عبدالله علیه السلام «صه» وفی رجال الشیخ : و قال الكشی : قال نصربن- صباح : قالـوا : كان واقفیا ، و قال النجاشی: مولی تیم الله كوفی الاصل روی عن علی بن ابی حمزة و غیره من اصحاب الصادق علیه السلام ، كوفی سكن بغداد روی عن موسی بن جعفر علیه السلام، و فی الفهرست: روی عنه الحسین بن سعید و ابـو- عبدالله البرقی.

«عن الحسین بن ابی العلاء قال، قلت لابی عبدالله علیه السلام: الاوصیاء طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم! هم الذین قال الله عزوجل: اطیعوا الله واطیعوا الرسول و اولی الامر منكم (النساء ــ ۵۹)، وهم الـذین قال الله عزوجل: انما ولیكم الله و رسوله والـذین امنوا الذین یقیمون الصلوة ویؤتون الزكوة وهم راكعون (المائدة ــ ۵۵)».

الشرح

استدل عليه‌السلام على كون الاوصياء طاعتهم مفترضة بهاتين الايتين: اما الاية الاولى: فظاهر ان‌المراد باولى‌الامر الذين امرالله الناس بطاعتهم بعدالله و رسوله ليس امراء الزور وائمة‌الجور لقوله‌تعالى: لاينال عهدى‌الظالمين (البقرة ـ ۱۲۴)، فثبت ان المراد منهم الاوصياء و ائمة‌الدين و ان طاعتهم واجبة.

واما الايـة الثانيه: فقد نزلت فى اميرالمؤمنين عليه‌السلام‌بالاتفاق حين تصدق بخاتمه‌فى‌صلوته كما روى‌الجم‌الغفير بروايات كثيرة وطرق‌شتى‌مما نقله‌يوجب‌التطويل.

روى ابوالمؤيد الخوارزمى فى مناقبه عن ابى صالح عن ابن عباس قال: اقبل عبدالله بن سلام ومعه نفرمن قـومه ممن قد امنوا بالنبى صلى‌الله عليه واله فقالـوا: يا رسول‌الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولامتحدث دون هذاالمجلس من ان قومنا لما رأونا امنا بالله و رسوله وصدقناه رفضونا و صـدوا عنا وآلـوا على انفسهم الا يجالسونا ولايناكحونا ولايواكلونا ولايكلمونا فشق‌ذلك علينا، فقال لهم‌النبى صلى‌الله عليه واله: انما وليكم الله و رسوله والذين امنوا... الاية.

ثم ان النبى صلى‌الله عليه واله خرج الى المسجد والناس بين قائم و راكع و بصر بسائل فقال له النبى صلى‌الله عليه واله: هل اعطاك احد شيئاً؟ قال: نعم خاتما من ذهب، فقال له النبى صلى‌الله عليه‌واله: من‌اعطاك[1]؟ قال: ذلك القائم و اومىء بيده الى اميرالمؤمنين عليه‌السلام، فقال صلى‌الله عليه والله: علـى اى حال اعطاك؟ قال: اعطانى وهو راكع، فكبر النبى صلى‌الله عليه واله ثم قرأ: ومن يتول‌الله ورسوله والذين امنوا فان حزب‌الله هم‌الغالبون (المائدة ـ ۵۶)، وانشأ حسان بن ثابت يقول:

ابا حسن تفديك نفسى و مهجتى	وكل بطىء فى‌الهدى و مسارع
ايذهب مدحى و المحتر[2] ضائع	وماالمدح فى‌جنب الاله‌بضائع[3]

۱ـ اعطاكه «كشف الغمة».

۲ـ و فى كشف الغمة: المحبر، حبر الشعر: حسنه و زينه.

۳ـ وفى ديوانه هكذا :

←

وانت الذی اعطیت اذ کنت راکعاً — فدتك نفوس القوم یاخیر راکع
فانزل فیك الله خیر ولایة — و بینها فی محکمات الشرائع

فالایة نص فی انه کلما ثبت لله و رسوله من الولایة فهو ثابت لعلی علیه‌السلام بنص القران یؤیده من الخبر، وقول النبی صلی‌الله علیه واله یوم‌الدار و قد جمع بنی عبدالمطلب خاصة: من یوازرنی علی هذا الامر یکن اخی و وصیی و وزیری و وارثی وخلیفتی فیکم من بعدی، فقام امیرالمؤمنین علیه‌السلام وقال: کنت اصغرهم سناً وارمصهم عیناً واحمشهم ساقا واکبرهم بطنا، قلت: انا یا رسول[1] الله.

وقد اورد ابن جریرالطبری و ابن الاثیر هذا الحدیث فی تاریخهما بالفاظ تقارب هذه و هذا صریح فی استخلافه.

وقوله فی غدیرخم، وهوحدیث مجمع علی صحته اورده نقلة الحدیث واصحاب الصحاح الست: الست اولی بالمؤمنین من انفسهم؟ فقالوا: بلی یا رسول‌الله، فقال: من کنت مولاه فعلی مولاه... الحدیث بتمامه، فاوجب له من الولایة ماکان واجباً له صلی‌الله علیه واله، وهذا نص ظاهر جلی لولاالهوی.

و قوله حین توجه الی تبوك : انت منی بمنزلة هرون من موسی الا انه لانبی بعدی، فهذا ایضاً من الصحاح قد اورده الجماعة و نقله فی مسنده احمد بن حنبل من عدة الطرق، فثبت لامیرالمؤمنین علیه‌السلام وزارته صلی‌الله علیه واله والقیام بکل ماکان هرون یقوم به الانبوة التشریع کما اخبرالله عنه بقوله: واجعل لی وزیراً من اهلی هرون اخی اشدد به ازری واشرکه فی امری (طه ـ ۲۹-۳۲)، و قال فی استخلافه : و اخلفنی فی قومی واصلح ولاتتبع سبیل المفسدین (الاعراف ـ ۱۴۲)، فثبت له خلافته

← ایذهب مدحی والمحبین ضائعاً؟ — وماالمدح فی ذات الاله بضائع

و بعدها:

بخاتمك المیمون یاخیر سید — و یا خیر شار ثم یا خیر بائع

۱ـ و فی الکامل فی التاریخ : لاحدثهم سناً وارمصهم (رمصت عینه من باب تعب، و الرمص: صغرها و لزوقها) و اعظمهم بطناً و احمشهم ساقاً (ای: ادق ساقاً) انا یا نبی‌الله.

بمحكم التنزيل فجعل له النبى صلى‌الله عليه واله كلما لهرون عليه‌السلام عـدا النبوة وجعل له استخلافه و شد ازره و شركته فى‌امره و قيامه بنصره، وامثال هذاكثير يورد فى‌مواضع هذاالكتاب اذا حان حينها ان شاء الله.

فاذن قد ثبت بهذا النصوص من القران والحديث وجوب طاعة الوصى كطاعة النبى صلى‌الله عليه واله وكذلك الامر فى‌سائرالاوصياء والائمة الطاهرين، وقد تكاثرت وتظافرت الاخبار و الروايات الناصة على ان الجميع من نور واحد وطينة واحدة كما سيجىء فى‌هذاالكتاب، فاذن لافرق بين احد منهم فى‌الولاية و وجوب الطاعة.

و دل عليه ايضاً الحديث المتفق على روايته بين اصحاب الروايات من طرقهم الصحاح من قول النبى : لايزال اهـل الاسلام بخير ماوليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش، اومايقارب هذااللفظ، وقدمرذكره بالفاظ مختلفة وبيان دلالتها على‌هذا المطلب فى‌الباب الخامس من هذا الكتاب ، فليتذكر، على ان دلائل هـذا المطلب اكثرمن ان يحصى لولم تكن القلوب مغشاة باغشية الدنيا مأسورة بقيود التعلقات فى طاعة النفس و الهوى.

الحديث السابع عشر

و هوالثالث والتسعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، عن حماد عن عبدالاعلى قال: سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: السمع والطاعة ابواب الخير، السامع المطيع لاحجة عليه والسامع العاصى لاحجة له وامام المسلمين تمت حجته و احتجاجه يوم يلقى‌الله عزوجل، ثم قال: يقول‌الله تبارك وتعالى: يوم ندعـو كل اناس بامامهم (الاسراء ـ ٧١)».

الشرح

اعلم ان جميع ابواب الخير والسعادة و مدارك نورالعلم والهداية منحصر فى

بابین[1] احدهما باب القلب[2] اعنی القلب المؤید بقوة الحجة والبرهان المنور بنور العرفان، والثانی باب السمع الموفق بقوة القبول والتسلیم والطاعة للمعلم الاخذ بقلبه من الحق فی الباطن الملقی بلسانه الی سمع المتعلم فی الظاهر، فالاول للائمة الهادین الکاملین فی الحکمة الراسخین فی العلم والثانی للتابعین لهم المتعلمین منهم المقتبسین من نورهم المهتدین بهداهم.

والی القسم الاول اشار تعالی بقوله: و تلك حجتنا اتیناها ابراهیم علی قومه[3]، نرفع درجات من نشاء و فوق کل ذی علم علیم (یوسف ـ ۷۶)، اشعار بالتفاوت بین من له علم و بین من هو علیم بنفس ذاته لاشیء فی ذاته غیر العلم، اذ کله علم و نور کالباریء جل ذکره و ضرب[4] من الملائکة المقربین کما حقق فی مقامه.

فالامام علیم والسامع المطیع ذوعلم ولابد من انتهاء ذوی العلوم الی علیم کذلك والا لزم التسلسل، لان کل متعلم یحتاج الی معلم فذلك المعلم ان کان علمه زائداً علی ذاته فیحتاج الی معلم اخر، اذ الشیء لایخرج من القوة الی الفعل و من النقص الی الکمال بنفسه بل بامر اخر، فلو لم ینته الی ماذکرناه لزم التسلسل وهومحال.

والی القسم الثانی بقوله: والی القسمین، ایضاً وقعت الاشارة بقوله تعالی: و لو کنا نسمع او نعقل ماکنا فی اصحاب السعیر (الملك ـ ۱۰)، دلت الایة بمفهومها علی ان من لیس بعالم ولامتعلم فهو فی اصحاب النار.

فانقسم الناس الی ثلاثة اقسام: العالم وهم الائمة والمتعلم وهم الشیعة والاتباع، و الباقی وهم الهمج الرعاع کمامر فی الباب الثالث من ابواب کتاب العلم من قول الصادق

۱ـ هذا الشرح و امثاله من الشارح قدس سره مما یدل علی جلالة کماله قدراً و صیرورة هلاله بدراً «نوری».

۲ـ هذا علی مایومیء الیه قوله سبحانه: ان فی ذلك لذکری لمن کان له قلب او القی السمع وهو شهید، فتبصر «نوری».

۳ـ الانعام ـ ۸۳: برهانه هو کون ما بالعرض مستنداً بما بالذات دائماً، فتبصر «نوری».

۴ـ حزب ـ م.

عليه‌السلام الناس على ثلاثة اصناف: عالم ومتعلم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء.

وهكذا كان الامر فى كل زمان سابق او لاحق، وذلك ان العلماء الربانيين سواء كانوا انبياء او اولياء كلهم على دين واحد و مذهب واحد فى حكم واحد، بل كلهم كشخص واحد كلى عقلى وكذا المؤمنون التابعون لهم اينما كانوا و متى كانوا كنفس واحدة، و شيعة كل امام شيعة امام اخر و شيعة جميع الانبياء والاولياء عليهم‌السلام، و بعبارة اخرى للتقسيم: الناس اما سابق بالخيرات او مقتصد اوظالم لنفسه. و بوجه اخر: اما مقربون او اصحاب اليمين او اصحاب الشمال.

اذا تقررت عندك هذه المقدمات وانتقشت فى صحيفة ذهنك فانظر الى كلامه عليه‌السلام كيف راعى تفاوت الدرجات فى الاقسام واعطى لكل قسم حقه، فاثبت الحجة التامة[1] لامام المسلمين، وانما وصف حجته بالتمام اشعاراً بانها ليست على سبيل التبعية والعرض كما للتابع ، بل اوتيت الحجة له من عندالله بلاواسطة الخلق كما اوتى لابيه ابراهيم عليه‌السلام لقوله تعالى: و تلك حجتنا اتيناها ابراهيم، وذكر ان السامع المطيع لاحجة عليه، اى لاحجة على مؤاخذته ولاباعث يوجب عقابه لانه فعل مايجب، عليه من السمع والطاعة فلاوجه لتعذيبه، وكل من لايستحق العذاب وهومن اتباع المطيعين لامام المسلمين المحبين له، فهو لامحالة محشور معه مثاب بثوابه سعيد بسعادته، الاان المثوبات والسعادات للامام بالذات وللمطيع بالعرض.

وللامام حقيقية روحانية و للتابع مثالية بدنية، وانما لم يثبت عليه‌السلام للسامع المطيع حجة له بل اقتصر على انه لاحجة عليه ، تنبيهاً على ان لاحجة له بالاستقلال و انما الحجة لامامه بالذات وله مجرد السمع والطاعة، ولم ينف الحجة له عنه صريحا كما نفى للسامع الغير المطيع، لاحتمال ان يبلغ بعض المطيعين لقوة استعداده واخلاصه

١ـ هذه الحجة التامة هو حصول العقل الكلى البسيط المحيط بالكل المفيض على الكل لقلب الامام عليه‌السلام، ولكن فيه تفصيلا ماحيث يكون مع الحضرات الختمية جهراً و مع سائر الانبياء و الاولياء سراً و بينهما فرقان عظيم «نورى».

فى التابعيه و حسن تعلمه وسماعه الى مقام اتاه الله الحجة و البرهان من قبله بلاواسطة فيكــون ذاحجة بالاستقلال[1] بعد ان كانت حجته امامه و كانت بالعرض.

و قال فى حق السامع العاصى لاحجة له اى لاحجة له فى خلاصه عن العقاب و نيله الثواب لا بالاستقلال، اذ فائدة السمع العمل و الطاعة بمقتضاه فاذ لاطاعة فلافائدة، ثم لم يثبت عليه الحجة صريحاً لاحتمال العفو و الرحمة فى حقه لسلامة قلبه عن الجحود والانكار و سماعه العلم والايمان على سبيل التسليم و الرضاء.

وهيهنا قسم اخر مندرج تحت القسم الاخير من الثلاثـة المذكورة اولا، اعنى العالم و المتعلم و الغثاء، ولانه قسم القسم لايقدح فى تثليث القسمة، وهو الذى اردف مع عدم السمع الانكار، وهذا مما عليه الحجة قطعا، ولاشك فى انه مستحق للعذاب مستوجب للخلود فى النار لاقتضاء ذاته و داعية نفسه و هواه للهوى الــى الجحيم و الهبوط الى اسفل درك السافلين، و انما لم يتعرض لذكره لظهوره.

و اما الاية التى حكاها عليه السلام من قوله تبارك و تعالى: يوم ندعو كل اناس بامامهم، فالغرض من ايرادها التنبيه الى ان جمهور الناس و عامتهم فى الدعــوة الى الجنة والنعيم او النار و الحميم تابعــون لائمتهم، فمن كان امامــه على الحق والعدل كان معه فى الجنة ومن كان امامه على الباطل والجور كان معه فى النار، ليظهر ان جميع ابــواب الخير فى السمع و الطاعة لامام المسلمين وجميع ابــواب الشر فى السمع و الطاعة لامام الظالمين، كل منهما له ماله من النعيم او عليه ما عليه من الجحيم على سبيل التبعية ولاماميهما على الاستقلال، لان احدهما يسمع ويطيع لله بالهامه بلاواسطة سمعاً عقليا والله وليه، والاخر يسمع ويطيع للشيطان بوسوسته سمعا وهميا والشيطان وليه، و: الله ولى الذين امنوا يخرجهم (البقرة ـ ۲۵۷)...، الاية.

۱ـ تأمل فيه واحسن التأمل، فانه من مزال الاقدام «نورى».

باب فى ان الائمة شهداء الله عز وجل على خلقه

وهو الباب التاسع من كتاب الحجة و فيه خمسة احاديث

و مما يجب عليك ان تعرف قبل الخوض فى هذه الاحاديث معنى الشهيد المذكور فى مواضع من القران.

فاعلم ان الشهيد مأخوذ من الشهود و المشاهدة و هو حضور[1] صورة الشيء عند الشيء، فالشاهد لشيء من حضر عنده صورة ذلك الشيء، و الشهيد هو القوة التى بها يقع الشهود و الحضور سواء كانت مفارقة او جسمانية، فان كثيراً من الاشياء ليس من شأنها فى ذاتها ان يحضر عندها صورة شيء الا بقوة اخرى، و كذلك ايضاً كثير من الاشياء مما ليس من شأنه ان يحضر عند شيء اخر الا بصورة اخرى هى مثال مطابق، وجميع ما فى هذا العالم الظلمانى من ذوات الاوضاع هكذا فليس لشيء منها حضور عند اخر ولا ايضاً عنده حضور لاخر، فلا الارض موجودة للسماء ولا السماء موجودة للارض ولا الماء للهواء ولا الهواء للماء ولا جسم ذو وضع لجسم اخر كذلك.

و لذلك يكون الدنيا دار الجهل و الموت و الشيء بقدر تعلقه بهذا العالم يكون ذا ظلمة و جهالة و غفلة و بعد عن عالم النور و العلم و الحيوة و هو عالم الاخرة و دار الحيوان، و بقدر رشاشته[2] من نور عالم الملكوت يكون شعوره و حضوره، و اليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله : ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره... الحديث.

و اول درجة من درجات النور و الشهود القوة الحاسة ثم القوة الخيالية ثم القوة العقلية، فالحس يجرد الصورة المدركة من نفس المادة لا من اثارها و غواشيها،

١ـ بحضور ـ م ـ ط.

٢ـ رشاشه ـ م.

فالخيال يجردها تجريداً اقوى حيث يحضرها ويدركها مع غيبة المادة واحوالها لكن لايجردها عن التعين المقدارى، والعقل يجردها تجريداً بالغاً، فيعمل بالمحسوس عملا يجعلها معقولا كليا مفارقا بالكلية عن هذا العالم عالم الظلمة والتفرقة، و قوله تعالى: و جائت كل نفس معها سائق و شهيد (ق ـ ٢١)، اراد بالسائق القوة العملية و المحركة و بالشهيد القوة العلمية والمدركة.

ومامن نفس الا ولها هاتان القوتان لكن على مراتب متفاوتة فى الكمال والنقص والشرف و الخسة والعلو والدنائة، و ادناهما ماللحيوانات الناقصة فى الغاية كالاصداف والحلزونات، فلها من الحس اللمس فقط و من الحركة الانقباض و الانبساط من غير مفارقة مكانه، فهذان حظها من السائق والشهيد، واعلاهما ما للكاملين فى العلم والعمل، وشهيدهم و سائقهم ملكان كريمان مقربان عقليان احدهما يهديه والاخر يسدده و يسوقه الى الجنة والرضوان، و بازاء هذين الملكين لاهل الهداية والكمال الشهوة و الهوى لاهل الغواية والضلال، فالهوى يضله و يغويه والشهوة يسوقه ويرديه الى اسفل دركة الجحيم ومبداهما الشيطان الرجيم[١].

اذا علمت معنى الشهيد فاعلم: انه قد يكون داخلا فى ذات الشىء مقوماً له و بالجملة غيرمباين لذاته فى الوجود كالامور التى ذكرناها، وقد يكون مباينا عن ذات الشىء وهو كالانبياء عليهم السلام بالقياس الى اممهم و كالائمة عليهم السلام بالنسبة الى اتباعهم، فكل نبى شهيد على امته و كل امام قوم شهيد على قومه، وانما اوتى الشهيد

١ـ بنائه على ما حققه المحققون المحقون من ان كلا من النورين: النور العلمى والنور العملى يتقوى و يستكمل شيئافشيئا بحيث يصير نوراً بسيطاً محيطاً بجملة الانوار التفصيلية، فالانوار التفصيلية يكون موجودة بضرب اشرف اجمالا و فائضة صادرة عنه تفصيلا، و لكل منهما مرتبة هيولانية، وبعدها مرتبة ملكة استعدادية وبعدها مرتبة يسمى بالعقل بالفعل الذى يكون بسيطاً محيطاً مصدراً للصور التفصيلية التى يستفاد من ذلك البسيط المحيط الاجمالى، و هذا البسيط المحيط له درجات متفاوتة حسب تفاوت الاشخاص و استعداداتهم فطرة و كسباً، و غاية العملية انما هى غاية العلمية فتصيران فى المآل واحدة «نورى».

فى‌هذا القسم موصولا ب«على» دون اللام لما فيه من معنى العلو ولشهادتهم على قومهم يوم القيامة ايضاً كمايشهدون لهم ايضا لكن الاول اكثر، لان المهتدين الصالحين اقل من المذنبين.

و وجـه اطلاق الشهيد على الانبياء والائمة عليهم‌السلام مضافاً الى الناس: ان كلامنهم بمنزلة القوة الادراكية لاتباعه، اذ لاعلم ولاشهادة للتابع بما هو تابع الا علم الامام و شهادته.

فكل نبى وامام شهيد على قومه و محمد صلى‌الله عليه واله لكونه امام الائمة و مركز دائرة النبوة شهيد على الانبياء والائمة اجمعين سلفا و خلفا، لان الكل يقتدون به ويحذون حذوه ويصلون خلفه فى‌مقاماتهم و معارجهم وانهم عليه و عليهم‌السلام تحت لوائه كمادل عليه قوله تعالى: فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هـؤلاء شهيدا (النساء ـ ٤١)، والله سبحانه على كل‌شىء شهيد، اذ لاعلم لاحدبشىء من‌الاشياء الا به تعالى وبما اعطاه و افاضه من‌العلم والشهادة كما قالت الملائكة: سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم (البقرة ـ ٣٢).

هذا ما قصدنا ايراده فلنرجع الى مانحن بصدده ان شاء الله تعالى‌الحكيم.

الحديث‌الاول

وهوالرابع والتسعون و اربع مائة

«على بن محمد عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد بن مـروان القندى[١]»، بالقاف والنون والدال المهملة يكنى ابا الفضل، وقيل: ابوعبدالله الانبارى مولى بنى هاشم روى عن ابى عبدالله عليه‌السلام و ابى‌الحسن عليه‌السلام و وقف فى الرضا عليه‌السلام، وقال الكشى عن حمدويـه: قال: حدثنا الحسن بن‌موسى قال: زياد هو احد اركان الوقف، وبالجملة هوعندى مردود «صه».

١ـ عن زياد القندى (الكافى).

وفى الكشى ايضاً قال حمدويه: هو ابن مروان القندى بغدادى، وبسند غيرنقى انـه سمع النص عن ابى الحسن عليه السلام على الرضا عليه السلام و اظهره ثم خالفه، فلما قيل له اى شىء يعدل بهذا الامر ويحج عليه بالكلام مراراً؟ قال: ويحك فيبطل هذه الاحاديث التى رويناها، وبسند كذلك عن يونس بن عبدالرحمن قال: مات ابوالحسن عليه السلام و ليس من قـوامه احـد الا وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب وقفهم و جحدهـم مـوته، وكان عند زياد القندى سبعون الف دينار و عند على بن ابى حمزة ثلاثـون الف دينار، فلما رأيت ذلك و تبين على الحق وعرفت من امـر ابى الحسن الرضا عليه السلام ماعلمت تكلمت و دعوت الناس اليه، فبعثا الى وقالا ان كنت تريـد المال فنحن نغنيك وضمنالى عشرة الاف دينار، فقلت: انارويناعن الصادق عليه السلام: اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه، فان لم يفعل سلب نورالايمان، و ماكنت ادع الجهاد و امرالله على كل حال، فناصبانى واظهرا لى العداوة.

«عن سماعة قال ابوعبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل: فكيف اذاجئنامن كل امة بشهيدوجئنابك على هؤلاء شهيدا(النساء ـ ۴۱)، قال: نزلت فى امة محمد صلى الله عليه واله خاصة فى كل قرن منهم امام مناشاهد عليهم ومحمدصلى الله عليه واله شاهد علينا».

الشرح

الضمير فى منهم راجع الى امة و فى عليهم راجـع الى قرن، و اطلاق القرن والقرية على اهلها شائع كثير فى القران. معنى هذا الحديث يؤيد ماسبق ذكره من ان الائمة فى كل زمان وقرن كانواهم من امـة محمد صلى الله عليه واله ، فالمراد بقولـه: نزلت فى امـة محمد صلى الله عليه واله خاصة، ان الشاهـد على كل امة من الانبياء و الرسل والشهداء هم منا ومن حزبنا اهل بيت النبوة واليقين والشهود والعلـم، وهم و نحن جميعاً من امة محمد صلى الله عليه واله بالحقيقة وسائر الناس من الاتباع هم امة محمد صلى الله عليه واله، ونحن و هم شاهـدون على الامم والاتباع و محمد صلى الله عليه واله شاهد علينا، وهومعنى الاية.

ولیس لك یا حبیبی ان تحمل کلامه علی ان الایة حکمها مختص بامـة محمد صلی‌الله علیه واله خاصة[1] دون سائر الانبیاء علیهم‌السلام وامهم، ویختص ایضاً قـوله فی کل قرن بالقرون التی بعد قرن النبی صلی‌الله علیه واله لما فی‌ذلك من الدلالة علی قصور نظرك وجمود قریحتك عن الاطلاع علی علوشأن نبیك وشموخ درجته وذروةامره، ولانه لاشبهة فی‌ان کل نبی‌شاهد علی‌امته کما ان کل امام بعد نبیناصلی‌الله علیه والهشاهد علی‌قومه، فلاوجه لتخصیص قوله تعالی: اذا جئنامن کل امة بشهید، بهؤلاء الائمةدون اولئك الانبیاء صلوات‌الله علی النبی واله وعلیهم اجمعین، وکذلك لاوجه للعدول عن ظاهر العموم فی‌قوله علیه‌السلام: فی کل قرن منهم امام.

ثم انا قـد اوضحنا معنی‌الشهید انفا[2] بحیث لو تأملت فیه لـم یبق لك ریبة فی صحة ما ادعیناه من تأویل الایة ومعنی الحدیث.

الحدیث الثانی

و هوالخامس والتسعون واربع مائة

«الحسین بن محمد عن معلی بن‌محمد، عن الحسن بن علی الوشاء، عن احمد بن عائذ، عن عمر بن اذینة، عن بریـد العجلی قال: سألت ابا عبدالله علیه‌السلام عن قول‌الله عزوجل : وکذلك جعلناکم امة وسطا لتکونـوا شهداء علی‌الناس (البقرة ـ ۱۴۳)، قال: نحن الامة الوسطی ونحن شهداء الله علی خلقه و حججه فی‌ارضه، قلت: قول‌الله عزوجل: ملة ابیکم ابراهیم (الحج ـ ۲۲)، قال: ایانا عنی خاصة، هـوسماکم المسلمین‌من‌قبل، فی‌الکتب‌التی‌مضت، وفی‌هذا، القران، لیکون الرسول‌علیکم شهیدا، فرسول‌الله صلی‌الله علیه واله الشهید علینا بما بلغنا عن‌الله عزوجل ونحن الشهداء علی

۱ـ و مما اظهر فی شرح هـذا الحدیث یظهر و ینکشف ان مراده مماسبق منه قدس سره حیث‌قال‌قبیل ذلك: فیکون‌ذاحجة بالاستقلال بعد ان‌کانت حجته امامه وکانت بالعرض، لیس مایترا ای من ظاهره، فتلطف «نوری».

۲ـ حیث قال: و وجه اطلاق الشهید علی الانبیاء... الی اخره، فتفطن «نوری».

الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة ومن كذب يوم القيامة كذبناه».

الشرح

المراد بمعنى الامة الوسط هم الذين ارائهم العلمية متوسطة بين الغلو والتقصير كالتعطيل والتشبيه فى ذات الله و صفاته وكالجبر والتفويض فى حق عباده، واخلاقهم العلمية متوسطة بين الافراط و التفريط كالجربزة والبلاهة والتهور و الجبن والفجور والخمول فيكونون حكماء ابرار، اوالوسط فى الاصل اسم للمكان الذى يستوى اليه الساحة[1] من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين افراط وتفريط، ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى توصف بها من المصادر وغيرها.

و السائل عن معنى الاية كأنه سأل عن معنى الامة الوسط و كونهم شهداء على الناس واجاب عليه السلام بماهو مصداق المعنى والمطابق للفحوى[2]، فان اكثر الناس لايسهل لهم ادراك الحقائق الا بالامثلة المحسوسة فقال: نحن الامة الوسطى ونحن شهداء على خلقه وحججه فى ارضه.

وقد علمت فى صدر الباب معنى الشاهد والشهيد وانه قسمان: متصل و منفصل، وان المنفصل هو المعلم والهادى، فالمعلم ذاته بمنزلة الشاهد والحجة والبرهان للمتعلم التابع، وقوله قلت: قول الله عزوجل: ملة ابيكم ابراهيم، يحتمل ان يكون سؤاله عن معنى هذه الاية بتمامها ففسرها عليه السلام جزء فجزئاً، وان يكون عن الضمير فى ابيكم فالاول اظهر.

فقوله عليه السلام: ايانا عنى خاصة، اى ابوته مضافة الينا فقط، اذ نحن اولاده بالولادة المعنوية دون غيرنا سواء كانوا من اولاده الصورية كسائر قريش اولا كسائر الناس،

۱ـ المسافة ـ م.

۲ـ اى: اجاب بالمصداق و قال: نحن الامة الوسطى، ولم يبين معنى الوسط.

والضمير[1] المرفوع فی‌قوله: عنی، راجع الیه تعالی، ای ایانا عنی‌الله بالخطاب فی قوله[2]: هو سماکم المسلمین من قبل، و هو اشارة الی المذکور فی‌قوله تعالی: ملة ابیکم، وکذا من قوله تعالی حکایة عن دعاء ابراهیم و اسمعیل علیهماالسلام: ربنا و اجعلنا مسلمین لك ومن ذریتنا امة مسلمة لك (البقرة ۱۲۸).

وقوله علیه‌السلام: فی‌الکتب التی مضت، متعلق بقوله تعالی: من قبل، ولایلزم ان یکون تفسیراً له لبعده بل هو صفة اخری، ای سماکم المسلمین فی سابق الزمان فی‌الکتب السابقة و هی صحف ابراهیم، و انما احتیج الی هذا التقدیر لیحسن عطفه فی‌هذا القران علیه، و قوله تعالی: لتکونوا شهداء علی‌الناس ویکون الرسول شهیداً علیکم، علة للجعل المذکور فی‌جعلناکم امة وسطا، کأنه قال: جعلناکم علماء حکماء عدولا مزکین بالعلم و العمل لتکونوا معلمین للناس شاهدین و یکون الرسول معلما لکم شهیدا.

وفی تعلیل کون الرسول شهیداً علیهم بصیرورتهم امة وسطاً تنبیه علی ان‌کون الرجل بحیث یقتبس نورالعلم من مشکوة الخاتم صلی‌الله علیه واله مرتبة عظیمة لایحصل الابعد تزکیة نفسه بالعلم والعمل وصیرورته من اهل الکمال وذلك بوجهین: لان الذی اوتی مالم یؤت احداً من العالمین من‌الطورالذی هوفوق طور عقول‌البشر، ولان لسان النبوة والقران اتی بالاجمال فیندمج فیه باطن التأویل فی‌ظاهر التفسیر و ینتهی لب‌المعارف فی‌قشر الالفاظ بحیث لایعلم نور تأویله الا بنور الولایة.

ولاجل ذلك لم یکن لاحد من‌الصحابة رضی‌الله عنهم مع طول صحبتهم و مشاهدتهم اثار الوحی علم بالقران‌کله ظاهره و باطنه و تفسیره و تأویله ومحکمه و متشابهة الا لامیرالمؤمنین علیه‌السلام، ولهذا قال‌النبی صلی‌الله علیه واله فی‌حقه: مولی کل مؤمن ومؤمنة، وقال: انت‌منی بمنزلة هرون من‌موسی، وقال: انت‌منی وانامنك و انا سالم لمن سالمك وحرب لمن حاربك، و قال: انت امام‌کل مؤمن و مؤمنة بعدی،

۱ــ والمضمر ــ م.

۲ــ بالخطاب فی‌قوله ملة ابیکم وکذا فی قوله ــ م .

وقال: انت تبين لهم ما اشتبه عليهم، وقال: تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، الى غيرذلك من الأخبار الواردة عنه صلى‌الله عليه واله فى حقه رواها العامة و الخاصة بالفاظ مختلفة وطرق كثيرة، و كذلك حكم باقى الائمة عليهم‌السلام فى اختصاصهم بفهم عجائب بطون القران وغرائب تأويله، ومايعلم تأويله الاالله والراسخون فى العلم (ال‌عمران ــ ٧)، قالوا: نحن الراسخون فى العلم.

روى : ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهواعلم بهم اقامة للحجة على المنكر، فنؤتى بامة محمد صلى‌الله عليه واله فيشهدون فتقول الامم: من اين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك باخبارالله ذلك فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى‌الله عليه واله فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم، و رواه الزمخشرى وغيره و قال: هذه الشهادة وان كانت لهم لكن لماكان الرسول صلى‌الله عليه واله كالرقيب المیهمن على امته عدى بـ«على»، وقد اشرنا الى مثل ذلك الوجه من احد الوجهين الذين ذكرناهما فى تعدية الشهادة بـ«على» ، ثم انه قدمت الصلة هيهنا للدلالة على اختصاصهم بشهادة الرسول.

واعلم ان قوله عليه‌السلام : فرسول الله شهيد علينا بما بلغنا عن‌الله عزوجل، مؤكداً لماذكرنا فى معنى الشهيد من ان المراد به، هيهنا المعلم، لانه بمنزلة قوةالعلم والشهود للمتعلم بـه لقوله: بما بلغنا عن‌الله، اى بما علمنا وهدانا عن‌الله من المعارف الالهية والعلوم الربانية المنطوية فى القران، وانما قال: شهيد علينا ولم يقل لنا مع ان المقام يقتضيه لان مثل هذة الشهادة من‌الله بالقياس الى مثلهم لايكون الالهم لاعليهم، للنكتة المذكورة ولموافقة الكتاب.

واما قوله ونحن الشهداء على الناس فالاحرى ان يكون هذه الشهادة ايضاً على وفق شهادةالله لهم[1]، وحاصله انا اخذون علومنا من‌الله عزوجل ومعطون للناس، فنحن نكون مهتدين بهدى‌الله مستنيرين بنوره و سائرالامة المسلمة يكونون مهتدون بهدايتنا

١ــ قوله: شهادة الله لهم، وقوله: يهدى الله ، ينظر الى ماهو مقتضى الولاية من اخذ العلم بلاواسطة اويكون اشارة الى عظم منزلة الرسول صلى‌الله عليه واله. فافهم «نورى».

مستنيرين بانوار معرفتنا.

وقوله: من صدق صدقناه يوم القيامة، اى من صدق ولايتنا وعرف حقنا فى الدنيا صدقناه فى الايمان وشهدنا عليه فى الاخرة، وقوله: من كذب يوم القيامة كذبناه، يعنى ان من كذبنا وانكر حقنا كذبناه وانكرناه يوم القيامة. ونظير هذا امامر فى حديث الاعراف من قوله عليه السلام: فلا يدخل الجنة الامن عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار الامن انكرنا وانكرناه، ولعل وجه تقديم الظرف هيهنا للاشعار بتخصيص وقوع تكذيبهم للمكذب لهم بيوم القيامة لاغير بخلاف تصديقهم للمصدق لهم، فربما وقع فى الدنيا كما يقع فى الاخرة.

الحديث الثالث
و هو السادس والتسعون و اربع مائة

«و بهذا الاسناد عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على، عن احمد بن عمر الحلال قال: سألت اباالحسن عن قول الله عزوجل: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (هود ـ ١٧)، فقال: اميرالمؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله على بينة من ربه».

الشرح

كون الانسان على بينة من الله هو ان يعرف الحقائق بنور البرهان الوارد على قلبه من قبل الله بلاواسطة امر اخر من سماع او نقل او احساس او تجربة اوغيرها، فبذلك النور يكون على بصيرة وعلى هدى من ربه، و قد علمت معنى الشاهد فى مثل هذه الموارد من انه بمعنى العالم بالشىء المطلع عليه كما فى قوله تعالى: شهد الله انه لااله الاهو والملائكة و اولوا العلم (ال عمران ـ ١٨)، فاولوا العلم شهداء الله فى ارضه، ومعناه قريب من معنى الذى على بينة من ربه، فذكر عليه السلام ان المراد بقوله تعالى: افمن كان على بينة من ربه، وبقوله: ويتلوه شاهد، هو اميرالمؤمنين عليه السلام.

روى فى كتاب كشف الغمة مرفوعا عن عبادبن عبدالله الاسدى قال: سمعت عليا عليه السلام يقول وهو على المنبر: مامن رجل قريش الا وقد نزلت فيه اية او ايتان،

فقال رجل ممن يحبه[1]: فما نزل فيك؟ فغضب ثم قال: اما انك لولم تسألنى على رؤس القوم ماحدثتك، ويحك هل تقرأ سورة هود؟ ثم قرأ على عليه‌السلام: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه، رسول‌الله صلى‌الله عليه وآله‌على بينة وانا الشاهد منه.

واعلم ان الهمزة فى أفمن استفهامى بمعنى الانكار، لان يقارب من هذا شأنه هؤلاء القاصرى الهمم والانكار[2] على الدنيا و اغراضها، و قد اغنى عن ذكر الخبر للقرينة، وتقديره: افمن كان على بينة كمن يريد الحيوة الدنيا؟

الحديث الرابع
و هوالسابع والتسعون و اربع مائة

«على بن ابراهيم عن ابيه، عن محمد بن ابى عمير، عن ابن اذينة عن بريد العجلى قال، قلت لابى جعفر عليه‌السلام قول الله تبارك وتعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، قال: نحن الامة[3] الوسطى ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه فى ارضه. قلت قوله تعالى: ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتبيكم (الحج - ۷۷ و ۷۸)، قال: ايانا عنى ونحن المجتبون و لم يجعل الله تبارك وتعالى فى الدين من ضيق، فالحرج اشد من الضيق، ملة ابيكم ابراهيم، ايانا عنى خاصة و: سماكم المسلمين، الله عزوجل سمانا[4]، من قبل، فى الكتب التى مضت، و فى هذا، القران: ليكون الرسول عليكم شهيدا، و تكونوا شهداء على الناس، فرسول الله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة فمن[5] صدق

۱- تحته «كشف الغمة»
۲- الافكار - م.
۳- الوسط «الكافى».
۴- الله سمانا (الكافى).
۵- على الناس فمن (الكافى).

يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه».

الشرح

قدمر فی‌شرح‌الحدیث الثانی مایتعلق بتحقیق معنی‌الایة الاولی فلاوجه لاعادته، واما الاية الاخرى وهی قوله تعالی: يا ايهاالذين امنوا اركعوا الی قوله: علی الناس، فنقول: عادة القران غالباً ان يقع فيه‌الخطاب بـ يا ايهاالناس لعامة الناس و بـ يا اهل الكتاب لاهل‌الكلام والمجادلة وحملة الكتب والاسفار من غيربصيرة فی‌الدين و بـ يا ايها الذين امنوا للكاملين فی‌الايمان كمافی هذه الاية، و قد ذكرنا مراراً ان للمؤمن الحقيقی مرتبة عظيمة عندالله و ان الايمان نور قلبی فائض من‌الله وانه مسمی باسامی مختلفة كالهدی والحكمة والبصيرة والولاية والفضل والنور وغيرذلك، ولاجل ذلك قال عليه‌السلام: ايانا عنی، ای بالخطاب الواقع فی‌هذه الاية.

والدليل علی‌حقية ماادعاه عليه‌السلام امور: احدها مااشار اليه بقوله عليه‌السلام: و نحن المجتبون ، لان الاجتباء تشريف عظيم لايعم عامة المسلمين بل مختص باهل القرب والولاية.

وثانيها ان هذه‌الاية متصلة بالاية السابقة من قوله تعالی: الله يصطفی من‌الملائكة رسلا ومن‌الناس ان‌الله سميع بصير يعلم مابين ايديهم وماخلفهم والی‌الله ترجع‌الامور (الحج ـ ۷۵ و ۷۶)، دلت علی ان بعض الملائكة و بعض‌الناس هم‌المصطفون، ای صفوة الخلق لتجردهم عن‌الغواشی والاجرام وطهارتهم عن ارجاس الرذائل والاثام، و ذكر فيهم التقييد بقوله: رسلا، ولم يذكر هذا القيد فی‌الناس، فعلم ان‌المصطفين منهم ماكانوا رسلا، وهم اكابر الملائكة كجبرئيل وميكائيل واسرافيل، وان المصطفون من‌الناس يكون[1] رسلا وغيررسل كالاولياء و الاصياء.

وكما ان الاصطفاء تشريف عظيم فكذلك الاجتباء، و الموصوف باحدهما موصوف بالاخر، فقوله فی‌هذه‌الاية: هو اجتباكم، دال علی ان‌المراد بهم بعض المشار

۱ـ يكونون ـ م.

اليهم فى الاية السابقة بقوله: ومن الناس.

وثالثها قـوله تعالى: وتكونوا شهداء على الناس، وقد علمت ان هـذه المنزلة ليست لسائر المؤمنين وانها مختصة باهل الكشف والشهود.

و رابعها قـوله: وجاهدوا فى الله حق جهاده، والمراد به مجاهـدة النفس على الوجه الاتم، والتكليف به لجميع الناس تكليف بما لايطاق فهـو مختص باهل الله و اهل الاجتباء وميسر لماخلق له، واليه الاشارة بقوله تعالى: ماجعل عليكم فى الدين من حرج، اى وسعنالكم و شرحنا صـدوركم و رفعنا ثقله عنكم كما فى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه والـه: الم نشرح لك صدرك و وضعنا عنك وزرك الـذى انقض ظهرك (الانشراح ـ ۱-۳) ، وللغفلة عن ان المكلف بالمذكورات هم اهـل الخصوص ذهب بعضهم الى ان الايـة منسوخة بقوله تعالى: فاتقوا الله مااستطعتم (التغابن ـ ۱۶)، لان التكليف بها تكليف بمالايطاق.

واعلم انه تعالى لماتكلم فى الايات المتقدمة فى الالهيات ثـم فى النبوات اتبعه بالكلام فى الشرائـع والعمليات وهومن اربعة وجـوه : احدها تعيين المأمور و ثانيها اقسام المأمور به و ثالثها ذكر مايوجب قبول تلك الاوامر و رابعها تأكيد ذلك[1].

اما النوع الاول و هو تعيين المأمور فهو قـوله: يا ايها الـذين امنوا ، و فيه اقوال :

الاول ان المراد به كل المكلفين سواء كان مؤمنا اوكافرا ، لان التكليف بهذه الاشياء عام فى كل المكلفين فلامعنى لتخصيص البعض[2] بذلك.

والثانى ان المراد منه المؤمنون خاصة دون الكفار، اما اولافلان اللفظ صريح فيه، واما ثانيا فلان قوله: هو اجتباكم وقوله: هوسماكم، بالمسلمين، و قوله: تكونوا شهداء على الناس، كل ذلك لايليق الا بالمؤمنين لايشمل غيرهـم ، غايـة مافى الباب ان يقال: لماكان المأمـور به واجباً على الكل فاى فائدة فى تخصيص المؤمنين به؟

۱ـ ذلك التكليف «التفسير الكبير».

۲ـ المؤمنين «التفسير».

لكنا نقول: فائدة التخصيص انه لماجاء الخطاب العام مرة بعداخرى، ثم انه، ماقبله الا المؤمنون خصهم الله بهذا الخطاب ليكون ذلك كالتحريض لهم على المواظبة على ماقبلوه.

والثالث ان المراد به اهل الله خاصة وهم المؤمنون حقا ولهم حقيقة الايمان و علاماته الدالة عليه حديث حارثة الانصارى رضى الله عنه، وهذا قول اهل البيت عليهم السلام كمادل عليه هذا الحديث وغيره من الاخبار المنقولة عنهم وهو القول الصواب لما مر من الوجوه دون الاول وهو الظاهر و دون الثانى، لان الذى ذكروه فى اثباته من الوجهين لايدل عليه شىء منهما على وجه التعميم وكل منهما نعم الوجه على ابطال القول الاول دون اثبات القول الثانى.

اما الوجه الاول فلا نسلم ان اللفظ دال على ان المراد جميع المسلمين وعامة من تسمى بالمؤمنين فى الظاهر، بل التعليق بالوصف دال على العلية واعتبار الحيثية، فيكون المراد بالمكلف بالامور المذكورة المؤمن من حيث ايمانه، فيرجع الى ماندعيه كما لايخفى على اهل المعرفة[1].

واما الوجه الثانى فهو لنا لالهم كمايظهر بادنى تأمل.

واما النوع الثانى وهو المأمور به فقد ذكر سبحانه اموراً اربعة: الاول الصلوة لانها اشرف العبادات البدنية و انها معراج المؤمن و هو المراد بقوله: اركعوا و اسجدوا، لانهما اشرف الاركان الظاهرة فى الصلوة، فكأن ذكرهما جاريا مجرى ذكر الصلوة.

وعن ابن عباس: ان الناس كانوا فى اول اسلامهم يركعون ولايسجدون حتى نزلت هذه الاية، الثانى قوله واعبدوا ربكم و ذكروا فيه وجوها: احدها اعبدوه ولا تعبدوا غيره، و ثانيها اعبدوا ربكم فى سائر المأمورات والمنهيات، و ثالثها افعلوا الركوع والسجود و سائر الطاعات على وجه العبادة، اذ لايكفى صورة العمل مالم

۱ــ لان المؤمن حقا هو المؤمن بالحقيقة وغيره مؤمن بضرب من التوسع و التبعية كما ينظر اليه قوله تعالى: النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم، فانه صلى الله عليه واله هو الاصل والحقيقة، فافهم ان شاء الله «نورى».

يقصد به العبادة.

وهيهنا وجه اخر اولى الوجوه، وهو انالمراد اعبدوا ربكم[1] الذى هـو ربكم فى‌الحقيقة لاماتصورتموه من‌الصور الوهمية و غيرها، فان اكثر الناس يعبدون غيرالله مماتصوروه الها وليس باله، فالعارفون بالله خاصة هم‌الذين يعبدون ربهم‌الذى خلقهم، وغيرهم يعبدون الذى خلقوه وصوروه فى‌اوهامهم واليه الاشارة بقوله تعالى: افرأيت من اتخذ الهه هواه (الجاثية ـ ۲۳) .

والثالث قوله: وافعلوا الخير، قال ابن‌عباس: يريد صلةالرحم ومكارم‌الاخلاق، وقيل: الوجه فى‌هذا الترتيب ان الصلوة نـوع من انواع فعل الخير وهو ينقسم الى خدمة المعبود الـذى هو عبارة عن تعظيم امرالله و الى الاحسان الـذى هو عبارة عن الشفقة على خلق‌الله ويـدخل فيه البر والمعروف و الصدقة على الفقراء و حسن القول فى‌الناس.

وكأنه قال سبحانه: كلفتكم بالصلوة بل كلفتكم بما هـو اعم منها و هو العبادة بل بما هو اعم من العبادات وهوفعل الخيرات لعلكم تفلحون، معناه لتفلحوا والفلاح الظفر بنعيم الاخرة وانما اوتى بلفظ الترجى اعتباراً لـه بالقياس الينا ، لان العواقب مستورة منا و المؤمن مادام فى‌الـدنيا لايخلو عن الخوف و الرجاء ، وكل ميسر لما خلق له .

والرابع قوله: وجاهدوا فى‌الله حق جهاده، وهيهنا سؤالات:

الاول انـه ما وجه هـذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه؟ والجواب: ان الاضافة تكون بادنى مناسبة، ولماكان الجهاد مختصا بالله من‌حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت الاضافة اليه.

السؤال الثانى وهو انه ماهذا الجهاد فيه؟ و ذكروا فيه وجوها: احدها جاهدوا الكفار خاصة، و معنى حـق جهاده ان لايفعل الاعبادة لارغبة فى‌الدنيا من حيث الاسم

۱ــ اى بقصد التقرب والسلوك الى‌الله تعالى وطلب التخلق باخلاقه والتحقق بصفاته بحيث يؤدى الى‌كون‌العبد باقيا ببقائه لا ببقائه وهكذا «نورى».

او الغنيمة. و ثانيهما ان يجاهدوا اخرا كما جاهدوا اولا كما روى عن عمر انه قال لعبدالرحمن بن‌عوف: اما علمت انا كنا نقرأ وجاهدوا فى‌الله حق جهاده فى‌اخرالزمان كما جاهدتم فى اوله؟ قال عبدالرحمن: ومتى ذلك يا اميرالمؤمنين؟ قال: اذا كانت بنوا امية الامراء وبنوالمغيرة الوزراء.

واعلم ان هذه الرواية بعيد ان يكون من‌القران والالنقل كمانقل نظائره، و لعله ان صح ذلك عن الرسول صلى‌الله عليه واله قاله كالتفسير الاية ، و ثالثها روى عن ابن عباس انه قال: حق جهاده ان لاتخافوا فى‌الله لومة لائم، و رابعها عن‌الضحاك: علموالله حق علمه[1]، وخامسها استفرغوا وسعكم فى‌احياء دين الله و اقامته بالحرب واليد واللسان وجميع مايمكن، و ردوا انفسكم عن‌الهون[2] والميل والكسل، وسادسها وهو الاولى قاله عبدالله بن مبارك: حق جهاده مجاهدة النفس والهوى، فانه لمارجع رسول‌الله صلى‌الله عليه واله من غزوة تبوك قال: رجعنا من‌الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر.

السؤال الثالث هل صح مانقل عن مقاتل و الكلبى ان هذه الاية منسوخة بقوله: فاتقوا الله ما استطعتم (التغابن ـ ۱۶)، كما ان قوله: اتقوا الله حق تقاته (ال‌عمران ـ ۱۰۲)، منسوخ بذلك؟ والجواب: كمامر بان هذابعيد من‌العقل، لان‌التكليف مشروط بالقدرة لقوله: لايكلف الله نفسا الا وسعها (البقرة ـ ۲۸۶)، فكيف يقول: و جاهدوا فى‌الله على وجه لايقدرون عليه؟

واما النوع الرابع وهو مايوجب قبول هذه التكاليف وهى ثلاثة امور:

الاول الاجتباء فى‌قوله: هواجتباكم، ومعناه ان التكاليف تشريف من‌الله[3]، فلما خصكم بهذا التكليف فقد خصكم باعظم التشريفات و اختاركم لخدمته والاشتغال بطاعته، فاى مرتبة اعلى من هذا ؟ اما قوله: ماجعل عليكم فى‌الدين من حرج، فهو

۱ـ واعملوالله حق عمله «التفسير»

۲ـ الهوى «التفسير».

۳ـ من الله للعبد «التفسير».

کالجواب عن سؤال یذکر و هو ان التکلیف بهذه الأمور وان کان تشریفاً لکنه شدید شاق علی النفس، فاجاب الله بقوله: ماجعل علیکم فی الـدین من حرج، بل سهل لمن وفق له وجعل عسره یسرا وصعبه ذلولا کما فی قوله تعالی: الم نشرح لک، الی قوله: ان مع العسر یسرا (الانشراح ـ ۱-۵).

الموجب الثانی قوله: ملة ابیکم ابراهیم هوسماکم المسلمین، و ذکر لنصبها[1] وجهان: احـدهما قول الفراء: انه مصدر[2] لمضمون ماتقدم کأنـه قیل: وسع دینکـم وسعة[3] ملة ابیکم ابراهیم ثم حذف المضاف و اقیم المضاف الیه مقامه.

والثانی ان یکون منصوباً علی المدح والتعظیم اعنی بالدین ملة ابیکم ابراهیم، والمعنی ان دینکم هذا هوالتوحیدالخالص والعبودیـة المحضة هوملة ابیکم ابراهیم، فاقیموا ملة ابیکم ابراهیم، فنصبها بتقدیر فعل مثل ماذکرناه[4]، وقوله تعالی: هوسماکم المسلمین من قبل، ای من قبل نزول القران فی الکتب المتقدمة و فی هذا ای فی القران، والضمیرالمرفوع راجع الی الله تعالی وهوقوله علیه السلام: الله عزوجل سمانا المسلمین من قبل فی الکتب التی مضت وفی هذا القران، ویشهد علی کون الضمیر لله قرائة ابی بن-کعب: الله سماکم المسلمین، وقیل: الی ابراهیم، وتسمیتهم مسلمین فی القران وان لم یکن منه لکن کان تسمیته من قبل فی قوله: ومن ذریتنا امة مسلمة لک (البقرة ـ ۱۲۸)، والاول اولی و ارجح، وقیل: وفی هذا تقدیره وفی هذا بیان تسمیته ایاکم مسلمین.

الموجب الثالث قوله: لیکـون الرسول علیکم شهیدا و تکونـوا شهداء علی الناس، وقدمربیانه مستقصی فی الحدیث الثانی، وهومتعلق اما بقوله: اجتباکم اوبقوله: جاهـدوا او بمجموع المذکورات من الاوامر والکل متقارب، والوجه فی تقدیم الجار فی الاول دون الثانی للدلالـة علی اختصاصهم بشهادة الرسول و تبلیغه و تعلیمه دون

۱ـ ای: فی نصب الملة.

۲ـ انها منصوبة «التفسیر».

۳ـ توسعة «الکشاف».

۴ـ مثل الخالص ما ذکرناه.

سائر الناس كمامر واليه الاشارة بقوله عليه‌السلام: فرسول‌الله الشهيد علينا بمابلغنا عن الله تعالى، ونحن شهداء على‌الناس يوم‌القيامة.

واعلم ان فى‌ذكر يوم‌القيامة فى‌الشهادة الثانية وتركه فى‌الشهادة الاولى نكتة لطيفة وهى: ان نفوسهم القدسية وان‌كانت لها ضرب من‌التعلق بهذه القوالب البشرية لزيادة الاستكمال بل‌للتكميل لكنها فى‌ذاتها مجردة عنها، وانهم قد نضوا هذه‌الجلابيب الدنيوية عن اذيال ارواحهم وقامت قيامتهم وحشروا الى ربهم، فشهادة الرسول عليهم ثابتة لهم قبل حشر الخلائق و معه وبعده بخلاف شهادتهم عليهم‌السلام على‌الناس فانها يتوقف على يوم‌القيامه، يوم‌يقوم‌الناس من‌الاجداث والقبور وحصل لهم‌مافى‌الصدور.

وقوله عليه‌السلام: فمن صدق يوم القيامة صدقناه، الفعل الثانى من باب التفعيل والاول يحتمل‌البابين فى‌المعنى على كونه من‌التصديق كمامر، واما على كونه‌من‌الصدق فمعناه ان من كان صادقا فى اعتقاده يوم‌القيامة فنحن الذى جعلناه صادقا فى‌القول و الاعتقاد حيث اقتفى اثارنا واهتدى بهدانا واستضيىء بنورنا.

وكذا قوله: ومن كذب كذبناه، ويحتمل الوجهين: فمعناه على الاول كماعرفت وعلى‌الثانى: ان من كان كاذبا فى‌اعتقاده مصراً على كذبه فنحن منشأ ذلك، لانه لاجل انكاره لحقنا وجحوده لما نحن عليه من الاصول الايمانية و العلوم الحقة اليقينية و اصراره و استمراره على ذلك صار اسوء حالا من ماكان اولا، فبطل استعداده و فسد اعتقاده وساء معاده فصار المعروف عنده منكراً والمنكر معروفا فكان‌كاذبا، وهكذا حال رسل‌الله و اوليائه عليهم‌السلام يوم المعاد كما قال تعالى فى‌حق القران: يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً (البقرة ــ ٢٦)، والله اعلم بالصواب وعنده حسن الماب.

الحديث الخامس
وهو الثامن والتسعون واربع مائة

«على بن ابراهيم، عن ابيه عن‌حماد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليمانى، عن سليم بن قيس الهلالى، عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: ان الله طهرنا وعصمنا و

جعلنا شهداء علی خلقه وحجته فی ارضه و جعلنا مع القران و جعل القران معنا لانفارقه و لایفارقنا».

الشرح

قوله: طهرنا ای عن ارجاس دواعی الکفر والجهالات و ادناس مبادی الاثام والشهوات، وقوله: عصمنا الله، ای عن ارتکاب المعاصی والسیئات والخطاء و السهو فی العلوم والاعتقادات، وقوله: جعلنا شهداء علی خلقه، قد مضی شرح معناه وکذا قوله: وحجته فی ارضه، قد عرفت معناه، وقوله: وجعلنا مع القران الی اخره، اراد انهم علیهم السلام والقران متصاحبان متلازمان لاینفك احدهما صاحبه ، و ذلك لان حقیقة القران[1] و روح معناه وسره و لبه لایعرف الابهم، وکان القران لامعهم لیس بقران حقیقة بل جسد بلاروح و قشر بلالب، وکذلك لایمکن معرفتهم کماهم الابمعرفة القران، لان علومهم هی علوم القران وهم متخلقون بادابه واخلاقه. سأل بعض امهات المؤمنین عن خلق الرسول صلی الله علیه واله فقالت: خلقه القران.

ولنختم الکلام فی شرح هذاالباب بخاتمة حکمیة فی بیان شجرة النبویة وفضلها علی جوهر سائر البریة فنقول:

قد اشرنا سابقا الی ان طبیعة الانسان لیست بحسب باطنه و جوهر نفسه طبیعة

۱ــ حقیقة القران لیست الاحقیقة نوریة بسیطة محیطة یحمله العلوم الحقة والمعارف الحقیقیة وهوالعقل الکلی عقل العقول وکل العلوم بنحو اشرف وبوجه اعلی، بل هو کل الاشیاء مجمع کلیاتها وجزئیاتها لایعزب عنه مثقال ذرة فی الارض ولافی السماء وکل واحد منهم علیهم السلام متحقق بهذه الحقیقة الجامعة الکلیة و متخلق بها فیکون معرفتهم بعینها معرفة تلك الحقیقة البسیطة المحیطة و معرفة تلك الحقیقة یکون معرفتهم بالحق، فانکشف ان حقیقة تلك المعیة والمصاحبة المشار الیها فی هذا الحدیث وامثاله محصلها یرجع الی التوحد فی الوجود، فظهر واتضح من هذا ان منزلتهم علیهم السلام من کلیة العالم والعالم الکلی المعبر بالانسان الکبیر والعالم الاکبر منزله الروح الاعظم من العالم، فبهم یمسك الله السموات والارض «نوری».

نوعية بل‌جنسية، ونسبة الساذجة اولا الى مايخرج من القوة الى‌الفعل فى‌النشأة الثانية والصور الاخروية هى بعينهاكنسبة المادة الجسمانية الى الصور النباتية و الحيوانية التى بها يخرج من‌القوة الى الفعل فى‌هذه النشأة الاولية ، و المادة بازاء الجنس و الصور المختلفة بازاء الفصول المنوعة يصير بها المادة انواعاً، و بهذا القياس يصير المادة النفسانية فى‌الاخرة انواعاً بل اجناساً، و اليه الاشارة بقوله تعالى: ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لاتذكرون (الواقعة ـ ٦٢).

اذا علمت هذا فاعلم ان نسبة ارواح الانبياء والائمة صلوات الله عليهم اجمعين الى سائر النفوس هناك كنسبة نوع الانسانى الى سائرالحيوانات هيهنا بل افضل منها. وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (الاسراء ـ ٢١)، فالحكمةالالهية والعنايةالربانية اقتضت ان يكون الشجرة نوعاً مفرداً مغايراً لسائرالبشر متوسطاً فى‌وجودهم هيهنا بين الانسان والملك مشاركا لكل واحد منهما على‌وجه، فانهم كالملائكةفى‌علومهم‌الحاصلة بتعليم الله كما قالت: لاعلم لنا الا ماعلمتنا، و فى‌اطلاعهم على ملكوت السموات و الارض كما قال تعالى: وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض (الانعام ـ ٧٥)، وكالبشر فى‌احوال المطعم والمشرب، وقد جعل‌الله النبوة فى‌ذرية ابراهيم و من قبله فى ولد نوح عليه‌السلام كما نبه بقوله : ذرية بعضها من بعض (ال عمران ـ ٣٤)، وكذلك جعل الامامة فى ال‌رسول عليه و عليهم‌السلام ، و لو لم يختم النبوة بمحمد صلى‌الله عليه واله لكانوا انبياء.

وقد علمت ان‌الفرق بين‌الوحى والالهام بماذا؟ فهم وان‌كانوا من حيث الابدان كالبشر فهم من حيث الارواح كالملك[1] قد ايدوا بقوة الربانية و خصوا بهاكما قال

١ـ والمراد من‌الملك الروحى هنا انما هوالملك المقرب الكلى الذى يكون كل الملائكة بنحو اعلى، بل يكون‌كل الاشياء بوجه اشرف و اوفى، و هوالذى يتعلم من‌الله تعالى بلاواسطة و يتفاوت درجات الاشياء فى‌الاخذ منه والاتصال منه والاتصال به و ليس لكل نبى ان يتحقق بحقيقة ذلك الروح الكلى القدسى الا الحضرة الخاتمية عليه واله افضل سلام و تحية «نورى».

تعالى فى‌حق عيسى: وايدناه بروح‌القدس (البقرة ــ ۸۷)، وقال فى نبينا: نزل به‌الروح الامين على قلبك لتكون من‌المنذرين (الشعراء ــ ۱۹۴).

وتخصيصهم بهذا الــروح لتمكنهم ان يقبلــوا من الملائكة بل الله، كما قبلت الملائكة منه بما بينهم من المناسبة الروحانية، وينذروا قــومهم بما بينهم من المناسبة البشرية ولذلك قال تعالى: و لو جعلناه ملكالجعلناه رجلا (الانعام ــ ۹)، تنبيهاً على ان ليس فى‌قوة عامة البشر الذين لــم يخصوا بذلك الروح ان يقبلوا الا من البشر، ولما عمى الكفار والمنافقون عن ادراك هذه المنزلة انكروا نبوة الانبياء صلوات الله عليهم و منزلة علومهم من علوم غيرهم قالوا ان انتم الابشر مثلنا (ابراهيم ــ ۱۰).

وكــذلك من انكر ولايــة اميرالمؤمنين و اولاده المعصومين سلام الله عليهم اجمعين، منشأ انكارهم عــدم ادراكهم لما خصصوا به من الروح القدس[1] لمارأوا من المشاركة مع سائرالناس فى‌البشرية، ولم يعلمواانهم بالاضافة الى‌سائرالناس كالانسان الى سائرالحيوان وكالقلب المعنوى الى سائر الجوارح.

فمنزلة النبى صلى‌الله عليه واله من الامة المسلمة منزلة ضوء الشمس من جرم القمر والارض، ومنزلته صلى‌الله عليه واله من اميرالمؤمنين و باقى الائمة عليه وعليهم الصلوة والسلام منزلة ضوء الشمس من ضوء القمر وسائر الكواكب النيرة، فمنزلة علومهم من‌علوم‌الناس منزلة نورالشمس والقمر والنجوم من‌الانوار الفائضة على وجه الارض منها، فلايحصل علوم‌الناس وتزكية نفوسهم الابواسطة النبى صلى‌الله عليه واله ثــم بواسطة الائمة و الاولياء عليهم‌السلام عند ذهــاب شمس النبوة، و على ذلك دل بقوله: هوالذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلــوا عليهم اياتــه و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة ــ ۲)، والله يزكى الانبياء والاولياء بواسطة الملك و بغير واسطة و يزكى الناس بواسطة الانبياء والاولياء عليهم‌السلام.

فتبين واتضح من جملة هــذه المعانى تحقيق ماورد منهم عليهم‌السلام فى‌هــذه الاحاديث من كونهم شاهدين على‌الناس يوم‌القيامة بتعليمهم و تزكيتهم اياهم، وكون

۱ــ القدسى ــ م.

الرسول شاهداً عليهم بتبليغه صلى‌الله عليه واله عن الله اياهم عليهم‌السلام.

باب ان الائمة عليهم‌السلام هم‌الهداة

و هو الباب العاشر من کتاب الحجة
و فيه اربعة احاديث:

الحديث الاول
و هوالتاسع والتسعون واربع مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن- سويد و فضالة بن ايوب، عن موسى بن بکر، عن الفضيل قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول‌الله عزوجل: ولکل قـوم هاد (الرعد ــ ۷) ، فقال: کل امام هاد للقرن الذی هو فيه».

الشرح

انما ذکر بدل القوم القرن لئلايتوهم تعدد الائمة الهداة فی زمان واحــد بتعدد الاقوام، فللاشارة الى ان الامام فی کل قرن لايکون الاواحدا قال: کل امام هاد للقرن الذی هوفيه، ای لاهل ذلك القرن وان کانوا اقواماً متعددة، وهذا بعينها هی‌النکتة فيما ذکر فی‌الحديث التالی لهذا من قول ابی‌جعفر عليه‌السلام : ولکل زمان منا هاد بازاء قوله تعالى: ولکل قوم هاد.

الحديث الثانی
و هوالخمس مائة

«علی بن ابراهيم عن ابيه، عن محمد بن ابی عمير، عن ابن اذينة، عن بريــد العجلی، عن ابی جعفر عليه‌السلام فی قول الله عزوجل: انما انت منذرولکل قوم هاد

(الرعد ـ ٧)، فقال رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: المنذر لكل زمان منا هاد يهديهم الى ماجاء به النبى ثم الهداة من بعده على ثم الاوصياء واحداً بعد واحد».

الشرح

قد وقعت الاشارة سابقا الى ان لسان النبوة لسان الاجمال و ان الذى[1] اوتى جوامع‌الكلم، كما قال صلى‌الله عليه واله : اوتيت جوامع الكلم اى مجملات الاقوال والكلمات و رموز العلم و الاعتقادات ، و مايمكن ان يخاطب بـه كافة الناس فى كل زمان على اختلاف قرائحهم واذهانهم[2]، واما تفصيلها وبسطها على حسب قوة كل قوم و حوصلة ادراكه فليس ذلك الى النبى صلى‌الله عليه واله، بل لكل قوم فى كل قرن و زمان امام يهديهم ويعلمهم على قدر طاقتهم.

الاترى ان النبى صلى‌الله عليه واله لم يكلف ان يخاطب الناس فى الاعتقاد بالله بشىء فوق معرفة انه واحد لاشريك له فى خلق السموات والارض؟ و لـم يكلفهم ان يصدقوا بوجـود اله غير مشاراليه فى مكان ولامنقسم بالقول[3] ولا هو خارج العالم ولا داخله ولاشىء من هذا الجنس، والافقدعظم عليهم الشغل وشوش فيما بينهم الدين واوقعهم فيما لامخلص عنه الا لمن وفق له من الذى يندر وجوده، فلايلبثون ان يكذبـوا بمثل هذا الموجود ويقعوا فى تنازع ويشتغلوا الى مباحثات ومقائسات يصدهم عن اعمالهم المدنية وصعب الامر على الشارع فى ضبطهم، فليس كل بميسر لـه فى الحكمة الالهية، بل يجب ان يعـرفهم جلالـة الله و عظمته برموز و امثلة من الاشياء التى عندهم جليلة عظيمة، و يلقى اليهم مع هذا انه لانظير له ولاند ولاشبه وليس كمثله شىء وهوالسميع

١ـ النبى ـ م.

٢ـ اى بعبارات ظاهرها انيق وباطنها عميق، متاعا لكم ولانعامكم، لان ارشاده للعام والخاص ظاهر كلام حسن معجب صعب مستصعب، لكل وارد فيه مشرع و مشرب، فالكـل يجب ان يصير بتأديبه مؤدب، كل يعمل على شاكلته، لكل شرعة و منهاجا «نورى».

٣ـ بالقوة ولا بالفعل ـ م.

العليم البصير.

وكذلك يجب ان يقرر عندهم امر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وليسكن اليه نفوسهم، واما الحق فى ذلك فلايلوح لهم منه الا امراً مجملا، وهو ان ذلك شيء لاعين رأته ولا اذن سمعته،وان هناك من اللذة ماهو ملك كبير و فوز عظيم و من الالم ماهو عذاب اليم.

ثم ينبغى ان يكون خطاب الله بلسان نبيه صلى الله عليه واله مشتملا على رموز و اشارات و تأويلات يستنبطها المستعدون ويعلمها الراسخون فى العلم وهم الائمة عليهم السلام، وسيجيء الاحاديث فى باب ان الراسخين فى العلم هم الائمة عليهم السلام، فلابد فى كل زمان من واحد منهم.

فهذا تحقيق هذا المقام و به ينكشف ما ذكره عليه السلام فى معنى قوله تعالى: انما انت منذر ولكل قوم هاد من قوله: رسول الله صلى الله عليه واله : المنذر لكل زمان اى لاهل كل زمان منا هاد يهديهم الى ماجاء به النبى صلى الله عليه واله، و ذلك بتفصيل مجمله وفك مشكله و بسط موجزه وحل ملغزه وكشف معضله و تبيين مأوله.

واما قوله عليه السلام: ثم الهداة[1] من بعده على عليه السلام ثم الاوصياء واحد بعد واحد، فالغرض التنبيه على ان ليس احد من الصحابة وغيرهم يستحق الهداية والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه واله الا على امير المؤمنين وبعده الاوصياء من اولاده واحداً بعد واحد الى قيام الساعة بقائمهم المهدى عليه وعليهم السلام، ونعم ماقيل فى هذا المعنى: جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحدا بعد واحد، و قيل شعراً:

خليلى قطاع الفيافى الى الحمى كثير و اما الواصلون قلائل[2]

ومعلوم عند اهل الحقيقة والحكمة ان هذا القسم من البشر الذى وصفناه من ان قياسه الى سائر البشر كقياس الانسان الى سائر الحيوان لايكون وجوده الاعلى الندرة

۱ـ يعنى ان «ثم» للتراخى الذكرى بمنزلة ثم اعلم ان الهداة... الى اخره «نورى».
۲ـ قليل ــ النسخة.

والشذوذ، ولايكون واحد منه الا بعد واحد على انهم من الشجرة النبوة.

الحديث الثالث
وهو الحادى و خمس مائة

«الحسين بن محمد الاشعرى عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن محمد بن اسمعيل، عن سعدان، عن ابى بصير قال، قلت لابى عبدالله عليه‌السلام: انما انت منذر ولكل قوم هاد، فقال: رسول‌الله صلى‌الله عليه واله: المنذر و على صلوات‌الله عليه الهادى. ياابامحمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى! جعلت فداك مازال منكم هاد من بعد هاد حتى دفعت اليك فقال: رحمك الله يا بامحمد لوكانت اذانزلت اية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الايـة مات الكتاب ولكنه حى يجرى فيمن بقى كمايجرى فيمن مضى».

الشرح

سأل ابوبصير الصادق عليه‌السلام المراد من قوله تعالى: انما انت منذرولكل قوم هاد، وكان غرضه ان يستعلم انه من المنذر ومن الهادى فاجابــه عليه‌السلام بقوله: رسول‌الله صلى‌الله عليه واله المنذرو على صلوات‌الله عليه الهادى، وقداشرنا الى الفرق بين المنذر والهادى من ان النبى صلى‌الله عليه واله شأنه دعوة الخلائق اجمعين الى سبيل المعاش فى الدنيا والخلاص فى الاخرة على وجه ينتفع به عامة الناس ويستكمل به اهل الخصوص، لان المنزل اليه من كلام‌الله مشتمل على العلم بالله وصفاته و افعاله وملائكته وملكوته و قضائه وقدره و بداية الخلق ونهايته، ومامن علـم حقيقى الا وفى القران اصله و فرعه و برهانه و تبيانه ولكن على وجه‌الاجمال.

واما الكشف عن رموز اياته و اسرار بيناته وتأويل متشابهاته و تبيين مجملاته لمن هو اهله ومستحقه فليس ذلك الى الرسول صلى‌الله عليه واله بل‌ذلك شأن الاوصياء عليهم‌السلام.

فلابد فی کل زمان من ولی قائـم بحفظ القران عارف برموزه و اسراره لیعلم المؤمنین و یهتدی المهتدین ویکمل نفوس اتباعه وشیعته المتقین وینور قلوبهم بنور المعرفـة والیقین، فاذن المنذر هو رسول رب العالمین والهادی هـو امیرالمؤمنین و امام المتقین علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام لانه الموصـوف بما ذکرناه ــ و الاحادیث النبویة‌المتکاثرة متظافرة فی‌هذاالباب مما ذکره یؤدی الی الاطناب ــ وبعده من ینوب منابه ویقوم مقامه من اولیاء الله و اوصیاء رسوله، اذ لایخلو الارض ممن یهتدی‌الناس بنوره ویستضیئون بضوئه.

ثم‌لمابین علیه‌السلام ان‌الهادی بعدرسول‌الله صلی‌الله علیه واله هو امیرالمؤمنین علیه‌السلام اراد ان‌یشیر الی ان الزمان لایخلو عن‌هاد الی‌قیام‌الساعة، فسأل اولا ابابصیر بقوله: یا بامحمدهل‌من‌هاد الیوم؟ لیستعلم مرتبة ایمانه‌واعتقاده بالائمة‌الهداة‌علیهم‌السلام بعدالنبی والوصی، فاظهر ابوبصیر ایمانه بالائمة الهدی واحدا بعد واحد حتی انتهی الی الصادق علیه‌السلام هادی وقته وامام زمانه وهوقوله: جعلت فداك مازال منکم هاد حتی دفعت الیك، ای دفعت الولایة والهدایة والنبوة‌الیك، ثم اشار الی البرهان الدال علی ان‌الارض لایخلو عن من یقوم بهدایة‌المسلمین ویعلمهم الکتاب والحکمة واسرار الیقین و یهدیهم الی سبیل ربهم و یـدفع عنهم شبه المبتدعین و اغـالیط المضلین الجاحدین فقال: یا بامحمد لوکانت اذانزلت اية... الی اخره، وتقدیره: لوکانت اية اذا نزلت، بان یکون اية اسم‌کانت وقوله: اذا نزلت علی رجل، صفة له.

وقوله: ثم مات الرجل صفة بعـد صفة و یکون خبر کانت قوله: ماتت الاية، و قوله: مات الکتاب، بـدل له بـدل الکل، و المراد بالاية ايـة القران و بالرجل النبی صلی‌الله علیه والـه و الکلام فی قوة قیاس شرطی استثنائی یتم تلیت به‌المطلوب[1] من استثناء نقیض‌تالی‌الشرطیة‌لیلزم‌نقیض‌المقدم وهو عین‌المطلوب، والمطلوب بقاء الهادی فی‌کل زمان.

و صورة القیاس هکذا: لو لم یکن الهادی للخلائق موجوداً فی کل زمان للزم

۱ــ استثنائی یثبت به المطلوب ــ م.

ان یموت القران بموت حاملیه، لکن القران حی لایموت ابدا الی قیام الساعة فالهادی الیه حی فی کل زمان لایموت الی قیام الساعة لاستلزام نقیض اللازم نقیض الملزوم.

واما بیان الملازمة: فبان لامعنی لموت الکتاب وحیوته الا موت حامله العارف بمقاصده ومعانیه وحیوته کما لا معنی لموت العلم الا موت العالم کمامر فی کتاب العقل والعلم فی باب فقد العلماء عن الصادق علیه السلام: ان الله عزوجل لایقبض العلم بعد مایهبطه ولکنه یموت العالم فیذهب بمایعلم ، لان الکتاب لیس الاالعلم المکتوب فی الصحائف اللوحیة و القدریة النفسانیة او الخارجیة، والعلم لایقوم بنفسه بـل فی نفس حامله کما قال: بل هوایات بینات فی صدور الذین اوتوا العلم (العنکبوت ـ ۴۹).

واما اثبات الملزوم الذی هو نقیض وهوالمشار الیه فی قوله علیه السلام: ولکنه حی یجری فیمن بقی کمایجری فیمن مضی اشارة الی الدلیل علی بقائه فی کل دهـر و زمان، وهو ان الغرض من انزاله الی[۱] الرسول صلی الله علیه واله ان یکون هدی للناس ونوراً یتنور به قلوبهم و حکمة یستکمل بها نفوسهم و یستخرج ارواحهم من ظلمات الحیرة والجهالة الی نور العلم والمعرفة.

ولاشك ان الناس محتاجون فی کل زمان الی مایستکمل به نفوسهم من الحکمة والمعرفة، والحاجة الی کتاب الله وایاته مستمرة الی یوم القیامة، فنسبة نور القران وهداه الی من بقی کنسبته الی من مضی، فالحاجة الی من عنده علم الکتاب مستمرة الی یوم القیامة، و الاحادیث فی هـذا الباب کثیرة لاتحصی ولنذکر شیئا منها لیکون انموذجاً للبواقی .

روی محمد بن یعقوب الکلینی رحمه الله فی کتاب الرسائل باسناده عن سنان بن طریف عن ابی عبدالله علیه السلام قال : کان امیرالمؤمنین علیه السلام یکتب هـذه الخطبة الی اکابر الصحابة وفیها کلام رسول الله صلی الله علیه واله:

۲ـ علی ـ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى المقربين[1] فی الاظلة الممتحنين بالبلية المسارعين فی الطاعـةالمستيبثين[2] فیالكرة تحية منااليكم، سلامعليكم، اما بعد: فاننور البصيرةروحالحيوةالذیلاينفع ايمان الابه مع اتباع كلمةالله تصديق[3] بها، فالكلمة منالروح والروح منالنور والنور نور السموات والارض، فبايديكم وصل[4] اليكم منانعمة[5] من الله لاتغفلون سر شكرها خصكـم[6] واستخلصكم لها، و تلك الامثال نضر بها للناس و مـا يعقلها الا العالمـون (العنكبوت ـ ۴۳).

دعانیالیالكتاب اليكماستنقاذكممنالعمیوارشادكم باب‌الهدیفاسلكوا سبل السلام[7]فانهاجماع الكرامة، اصطفیالله منهجهوبين حججه وارفارفقو وضعه وحده، ان العبد اذا دخلحضرته يأتيه الملكان احدهما منكر والاخر نكير، فاول مايسألانه عن ربه وعن نبيه وعن وليه فان اجاب نجاوان تحير عذباه.

فقال قائل: فماحال من عرف ربه و عرف نبيه ولم يعرف وليه ؟ فقال صلیالله عليه واله: ذلك مذبذب لاالی هؤلاء ولاالی هؤلاء، قيل: و من الـولی يا رسول‌الله؟ قال: وليكـم فی هـذا الـزمان انا و من بعـدی وصيی و من بعـد وصيی لكـل زمان لحجج[8]الله كيماتقولون كما قال الضلال قبلكم فارقهم[9] نبيهم: ربنا لولا ارسلت

۱ـ المقرين ـ النسخة البدل فی نهج السعادة.

۲ـ المستيقنين بی «نهج» و فیالبحار : المنششين فی.

۳ـ و التصديق «نهج».

۴ـ سبب وصل «نهج».

۵ـ انعمة «نهج».

۶ـ لا تعقلون شكرها، خصكم بها «نهج».

۷ـ سبيل السلامة «نهج».

۸ـ حجج لله «نهج»

۹ـ حين فارقهم «نهج».

الینا رسولا فنتبع ایاتك من قبل ان نذل و نخزی (طه ـ ۱۳۴)، وانماکان تمام ضلالتهم[1] جهالتهم بالایات وهم الاوصیاء فالاوصیاء قوام علیکم بین الجنة والنار، لایدخل الجنة الامن عرفهم وعرفوه ولایدخل النار الامن انکرهم وانکروه، لانهم عرفاء العباد عرفهم الله ایاهم عنداهل[2] المواثیق علیهم بالطاعة لهم فوصفهم فی کتابه فقال عزوجل: وعلی الاعراف رجال یعرفون کلا بسیماهم (الاعراف ـ ۴۶)، وهم الشهداء علی الناس و النبیون شهداء لهم یأخذ الله لهم مواثیق العباد بالطاعة و ذلك قوله: فکیف اذا جئنا من کل امة بشهید وجئنابك علی هؤلاء شهیدا یومئذ یود الذین کفروا وعصوا الرسول لوتسوی بهم الارض ولایکتمون الله حدیثا (النساء ـ ۴۱ و ۴۲).

وکذلك اوحی الله الی ادم: یاادم قدانقضت مدتك وقضیت نبوتك واستکملت ایاتك و حضراجلك فخذ النبوة و میراث النبوة و اسم الله الأکبر فاودعه الی ابنك هبة الله، فانی لم ادع الأرض بغیر علم یعرف، فلم یزل الانبیاء و الاوصیاء یتوارثون ذلك حتی انتهی الامر الی وانا ادفع ذلك الی علی وصیی وهو منی بمنزلة هرون من موسی، وان علی یورث ولده حیهم عن میتهم.

فمن سره ان یدخل جنة ربه فلیتول علیا و الاوصیاء من بعده ولیسلم لفضلهم، فانهم الهداة بعدی اعطاهم الله فهمی وعلمی، فهم عترتی من لحمی و دمی، اشکوا الی الله عدوهم والمنکر لهم فضلهم القاطع عنهم صلتی، فنحن اهل بیت[3] شجرة النبوة ومعدن الرحمة ومختلف الملائکة وموضع الرسالة، فمثل اهل بیتی کمثل سفینة نوح من رکبها نجاو من تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة فی بنی اسرائیل من دخله غفر له، فایمارایة خرجت لیس من اهل بیتی فهی الدجالیة[4].

ان الله اختار لدینه اقواماً انتجبهم[5] للقیام علیه والنصر له، طهرهم بکلمة الاسلام

۱ـ ضلالهم «نهج».

۲ـ اخذ «نهج».

۳ـ اهل البیت «نهج».

۴ـ دجالیة «نهج».

۵ـ انتخبهم «نهج».

و اوحى اليهم كرامة مفترض[1] القران والعمل بطاعته فى مشارق الارض ومغاربها، ان الله خصكم بالاسلام و استخلصكم له، و ذلك لانه امنع سلامة واجمع كرامة اصطفى الله منهجه و وصفه و وصف اخلاقه و وصل اطنابه من ظاهر علم و باطن حلم[2] ذى حلاوة و مرارة ، فمن ظهر باطنه رأى عجائب مناظره فى موارده و مصادره، و من فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الامثال والسير، فظاهره انيق و باطنه عميق، ولاتفنى غرائبه ولاتنقضى عجائبه، فيه مفاتيح الكلام ومصابيح الظلام، لايفتح الخيرات الابمفاتيحه و لاتكشف الظلمات الابمصابيحه[3]. فى كلام طويل اخذنا منه مواضع الحاجة .

الحديث الرابع
و هوالثانى وخمس مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن منصور، عن عبدالرحيم القصير» ابن روح. الاسدى كوفى روى عنهما عليهاالسلام و بقى بعد ابى عبدالله. «عن ابى جعفر عليه‌السلام فى‌قول الله تبارك وتعالى: انما انت منذرولكل قوم هاد فقال: رسول‌الله صلى‌الله عليه واله المنذرو على الهادى ، اما والله ما ذهبت مناو مازالت فينا الى الساعة».

الشرح

الضمير المرفوع فى‌الفعلين راجعة الى الهداية، لانها المذكورة ضمناً، و معنى الحديث مما قد عرفته فلاوجه لاعادته.

۱ــ اليهم مفترضة «نهج».
۲ــ حكم «نهج».
۳ــ بمفاتحه «نهج».

باب ان الائمة عليهم السلام ولاة امر الله و خزنة علمه

وهو الباب الحادى عشر من كتاب الحجة وفيه ستة احاديث

الحديث الاول

و هو الثالث و خمس مائة

«محمد بن يحيى العطار عن احمد بن ابى زاهر»، واسم ابى زاهر موسى ابو-جعفر الاشعرى القمى مولى كان وجهابقم وحديثه ليس بذلك النقى، وكان محمد بن-يحيى العطار اخص اصحابه كذا فى «صه» و «جش» و «ست». «عن الحسن بن موسى عن على بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: نحن ولاة امرالله و خزنة علم الله و عيبة وحى الله».

الشرح

الولاة جمع الولى و ولى الامر صاحبه، و الخزنة جمع الخازن من خزنت السر، واخزنته كتمته، والمال جعلته فى الخزانة وهى واحدة الخزائن.

هذا معناها اللغوى، وفى عرف اهل الحكمة موافقا للشريعة الالهية يراد بالخزانة القوة الحافظة للصور الادراكية سواء كانت جزئية او كلية، فالخيال عندهم خزانة حافظة لصور المحسوسات، و حافظة الوهم التى سلطانها فى مؤخر الدماغ خزانة للموهومات و مايليها من الاوليات، والعقل الفعال عندهم خزانة للعقليات من العلوم.

اذا علمت هذا فنقول: خزائن علم الله سبحانه هى الجواهر العقلية و الذوات النورية البريئة عن مخالطة المواد والاجرام، وهى كاملة بالفعل فى باب العلم والعقل و ليس فيها نقص ولاقوة انفعالية استعدادية، فلاجرم ليس هى نفوساً ولاصوراً منطبعة فى اجرام، لان النفس فى اول فطرتها امر بالقوة فى باب العقل فيحتاج فى صيرورتها

عقلا بالفعل الی مایخرجها من حـد العقل بالقوة الی حـد العقل بالفعل ، اذ الشیء لایخرج نفسه من القوة الی الفعل ومن النقص الی الکمال، فیکـون بالفعل قبل کونه بالفعل و یکـون کاملا عندکونه ناقصاً، والذی یکمل النفس ویجعلها عاقلا بالفعل بعد ان لم یکن لابد ان یکون عقلا بالفعل کاملا فی اصل الفطرة، والاعاد الکلام فی خروجه من القوة الی الفعل و احتیاجه کامل اخر فیتسلسل الامر الی لانهایة وهومحال.

فثبت ان فی الوجـود ذواتاً قدسیة و جواهر عقلیة فیها صور الموجودات کلها بالفعل علی وجـه مقدس عقلی تستکمل النفوس و تصیر عاقلة بالفعل بعدکونها قابلـة بالقوة، وهی واسطة بین الله و بین الخلق فی افاضة الخیرات و نـزول البرکات علی الدوام، وهی کلمات الله التامات التی لاتبید ولاتفنی، وهی مسماة باسامی مختلفة متعددة باعتبارات و وجوه مختلفة، وهی کلمات الله بوجه وعالم امره وقضائه بوجه ومفاتیح غیبه بوجـه، و عنده مفاتح الغیب لایعلمها الاهـو (الانعام ـ ۵۹)، وهی خزائن علمه و جوده، وان من شیء الاعندنا خزائنه وماننزله الابقدر معلوم (الحجر ـ ۲۱).

فهذا تحقیق خـزائن علم الله وخزنته، فهی خزائن و خزنة باعتبارین، والفرق بینهما بالاعتبار کالفرق بین العقل والعاقل، وکـذلک الحال فی جمیع الصفات الذاتیة التی هی موجودة بوجود ذاتها کصفات الباریء جل ذکره. واما بیان صیرورة الذوات الکاملة الانسانیة خزائن علم الله تعالی فیحتاج الی اصلین شریفین بل بحرین عظیمین من بحار علوم المکاشفة[1].

۱ـ کتب الناسخ فی خاتمة نسخته هـذه العبارة : الی هنا قرر و حرر صدرالافاضل و المتألهین قدس سره ولم یتم الکلام و مات فی اثناء شرحه ، هکذا وجد فی خاتمة بعض النسخ، والی هناتم ماوجد فی مسودة ذلک الشرح و انقطع کلام الشارح هنا لورود القضاء علیه قدس الله سره.

قال العلامة النوری قدس سره فی اختتام هـذا الشرح : کأنه قـدس الله سره اراد بذینک الاصلین الشریفین اللذین یکونان من بحار علوم المکاشفة ویکون القول بهما من خواص علماء الاخرة ومن خصائص اصحاب الولایة والوراثة اصل الحرکة الجوهریة التی لایمکن ان یتیسر حل الاصول الایمانیة لاحـدکما هی علیه الابالقول بها ، و قل من وصل بحقیقة ←

. . . .

←الحقيقة الا واحد بعد واحد، و هو اصل عجيب ينكشف به‌عجائب المعارف الايمانية و غرائب‌العلوم الحقيقية، ويحتجب عنه المحجوبون عن نور الولاية، والاخر هو اصل القول باتحاد العاقل بالمعقول وكون الحقائق المعقولة و الطبائع الكلية موجودة فی صقع من عالم الربوبية، و جواهر عقلية قائمة بذواتها و ذواتاً نورية متأصلة فی الخارج لامرتسمة فی‌الاذهان البشرية كما قالت به‌الجمهور من‌الحكماء، و النفس الناطقة الانسانية فی استكمالاتها العملية و ادراكاتها العقلية و تحولاتها النورية الجوهرية يتصل بها ضرباً من الاتصال تدريجاً و تتحد بها فيدركها و يشاهدها حسب اتصالها و اتحادها بها و غير ذلك من المقاصد المتعلقة والمباحث‌اللاحقة بذينك الاصلين. (لاستادنا الاعظم‌والفيلسوف المعظم مولانا علی النوری دام ظله العالی سنة ۱۲۳۲ هجرية).

و قد فرغ عن تصحيح هذا السفر الكريم و الفيض العظيم ليلة الثلاثاء من شهور جمادی الاولی سنة خمس و اربع مائة بعد الالف. و انا العبدالمفتقر الولوی محمد بن‌ـ احمد الخواجوی عامله الله بلطفه الخفی بحق ائمة المعصومين وال الله الغرالميامين.

الفهارس

فهرس الاحاديث

فهرس الاعلام